الجزء السادس

﴿ من التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ﴾

تأليف أوحد البلغاء المحققين وعمدة النحاة والمفسرين أثير الدين أبي عبد الله
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي
الجياني الشهير بأبي حيان المولود سنة ٦٥٤ المتوفى
بالقاهرة سنة ٧٥٤ رحمه الله وبوأه دار رضاه آمين

وبهامشه تفسيران جليلان * أحدهما النهر الماد من البحر لأبي حيان أيضا * وثانيهما
كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ أبي حيان الامام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد
القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢ المتوفى سنة ٧٤٩
نور الله ضريحه * مجعولا النهر بصدر الصحيفة مفصولا بينه وبين الدر اللقيط بجدول

طبع هذا الكتاب على نفقة سلطان المغرب الاقصى جلالة أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين
فرع الشجرة النبوية وخلاصة السلالة الطاهرة العلوية سيدنا ومولانا عبد الحفيظ
ابن السلطان مولاي الحسن ابن السلطان سيدي محمد خلد الله ملكه

بتوكيل الحاج محمد بن العباس بن شقرون خديم المقام العالي بالله الآن بثغر طنجة
ووكيل دولة المغرب الاقصى سابقا بمصر على يد نجله الحاج عبد السلام بن شقرون

وخدمة لكتاب الله وأداء لبعض ما يجب قد بذلنا وسع الطاقة وأحضرنا أصولا معتمدة معولا
عليها مأثورة عن فحول علماء الغرب والشرق مقابلة على نسخ موثوق بها بالكتبخانة
الخديوية المصرية وعلى الله سبحانه التوكل وبه الاعانة

(الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨ هـ)

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

﴿ فهرست الجزء السادس من تفسير البحر المحيط لابي حيان رحمه الله ﴾

صحيفة

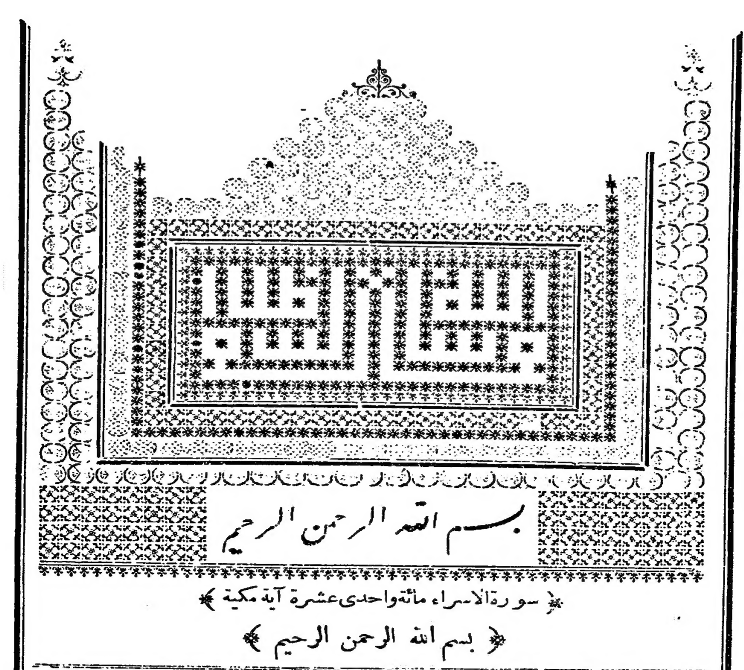
صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿تمت﴾



﴿ سورة الاسراء مائة واحدى عشرة آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه
من آياتنا انه هو السميع البصير * وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا
من دونى وكيلا * ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا * وقضينا الى بنى اسرائيل فى
الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم
عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم
وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا * ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها
فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا *
عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا * ان هذا القرآن يهدى
للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وأن الذين
لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما * ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا *
وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم
ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا * وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه
ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * من

﴿ سورة الاسراء ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) سبحان الذي أسرى الآية سبب نزولها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش الاسراء به وتكذيبهم له فأنزل الله تعالى ذلك تصديقا له وهذه السورة مكية الا آيات اختلف فيها ذكرت في البحر * ومناسبة هذه لما قبلها أنه تعالى لما أمره بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وأن يضيق صدره من مكرهم وكان من مكرهم نسبته الى التكذيب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به أعقب تعالى ذلك بشرفه وفضله واحتفائه به وعلو منزلته عنده وتقدم الكلام على سبحان في البقرة * وأسرى بمعنى سرى وانتقل من ضمير الغيبة في قوله بعبده الى ضمير المتكلم في قوله لنريه والظاهر أن هذا الاسراء كان بشخصه ولذلك كذبت قريش به وشغبت عليه * والمسجد الاقصى بيت المقدس وسمي الاقصى لانه كان في ذلك الوقت أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة و ﴿ الذي باركنا حوله ﴾ صفة مدح لازالة اشتراك عارض وبركته بما خص به من الخيرات الدينية كالنبوة والشرائع والرسل (٣) الذين كانوا في ذلك القطر والدنياوية من كثرة الاشجار والانهار وطيب الأرض وفي الحديث انه تعالى بارك فيما بين العريش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس وفي اضافته تعالى عبده لضميره تشريف عظيم وكثيرا ما أتى التشريف بلفظ العبد كقوله تعالى نعم العبد وان عبادي ليس لك عليهم سلطان واذكر عبادنا ابراهيم ويروى أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت أم هانىء بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانىء وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت أم هانىء بثوبه فقال مالك قالت أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال أبو جهل يامعشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى أبي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال اني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب وقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس طلعت فقال آخر هذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا أيضا بما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى ﴿ انه هو السميع ﴾ لأقوال محمد ﴿ البصير ﴾ بأفعاله وفيه التفات من ضمير

اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا * وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا * من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ * جاس يجوس جوسا وجوسانا تردد في الغارة قاله الليث * وقال أبو عبيدة جاسوا فتشوا هل بقي ممن لم يقتل * وقال الفراء قتلوا * قال حسان ومنا الذي لاقى بسيف محمد * فجاس به الأعداء عرض العساكر * وقال قطرب نزلوا * قال الشاعر فجسنا ديارهم عنوة * وأبناء ساداتهم موثقينا * وقيل داسوا ومنه * اليك جسنا الليل بالمطي * وقال أبو زيد الجوس والحوس والعوس والهوس الطواف بالليل فالجوس والحوس طلب الشيء باستقصاء * حظرت الشيء منعته ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ﴾ سبب نزول سبحان الذي أسرى بعبده ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش الاسراء به وتكذيبهم له فأنزل الله ذلك تصديقا له وهذه السورة مكية * قال صاحب الغنيان باجماع * وقيل إلا آيتين وان كادوا ليفتنونك وان كادوا ليستفزونك * وقيل الا أربع آيات وقوله واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وقوله وقل رب

المتكلم الى ضمير الغائب في انه وآتينا معطوف على الجملة السابقة من تنزيهه سبحانه وبراءته من السوء ولا يلزم من عطف الجمل المشاركة في الخبر أو غيره ولما ذكر تشريف الرسول صلى الله عليه وسلم بالاسراء واراءته الآيات ذكر تشريف موسى صلى الله عليه وسلم بايتائه التوراة والكتاب هنا التوراة والظاهر عود الضمير في وجعلناه على الكتاب وأن لا تكون تفسيرية ولا نهي وأن يكون مصدرية تعليلا أي لأن لا تتخذوا ولا نفي * وانتصب ذرية على النداء أي يا ذرية وقرأت فرقة ذرية بالرفع وخرج على أن تكون بدلا من الضمير في تتخذوا على قراءة من قرأ بياء الغيبة * قال ابن عطية ولا يجوز في القراءة بالتاء لانك لا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت ضربتك زيدا على البدل لم يجز انتهى ما ذكره من اطلاق انك لا تبدل من ضمير مخاطب يحتاج الى تفصيل وذلك انه ان كان في بدل بعض من كل وبدل اشتمال جاز بلا خلاف وان كان من بدل شيء من شيء وهما العين واحدة فان كانت تفيد التوكيد جاز بلا خلاف نحو مررت بكم صغيركم وكبيركم وان لم تفد التوكيد فمذهب جمهور البصريين المنع

أدخلني مدخل صدق وزاد مقاتل قوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله الآية * وقال قتادة إلا ثماني آيات أنزلت بالمدينة وهي من قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخرهن * ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها انه تعالى لما أمره بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وأن يضيق صدره من مكرهم وكان من مكرهم نسبته الى الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به أعقب تعالى ذلك بذكر شرفه وفضله واحتفائه به وعلو منزلته عنده وتقدم الكلام على سبحان في البقرة * وزعم الزمخشري انه علم للتسبيح كعثمان للرجل * وقال ابن عطية ولم ينصرف لان في آخره زائدتين وهو معرفة بالعلمية واضافته لا تزيده تعريفا انتهى ويعنيان والله أعلم انه اذا لم يضف كقوله

* سبحان من علقمة الفاخر * وأما اذا أضيف فلو فرضنا انه علم لنوى تنكيره ثم يضاف وصار إذ ذاك تعريفه بالاضافة لا بالعلمية * وأسرى بمعنى سرى وليست الهمزة فيه للتعدية وعدّيا بالباء ولا يلزم من تعديته بالباء المشاركة في الفعل بل المعنى جعله يسري لان السري يدل على الانتقال كمشي وجرى وهو مستحيل على الله تعالى فهو كقوله لذهب بسمعهم أي لأذهب سمعهم فأسرى وسرى على هذا كسقى وأسقى اذا كانا بمعنى واحد ولذلك قال المفسرون معناه سرى بعبده * وقال ابن عطية ويظهر ان أسرى معداة بالهمزة الى مفعول محذوف تقديره أسرى الملائكة بعبده لانه يقلق أن يسند أسرى وهو بمعنى سرى الى الله تعالى إذ هو فعل يعطي النقلة كمشي وجرى وأحضر وانتقل فلا يحسن اسناد شيء من هذا ونحن نجد مندوحة فاذا صرحت الشريعة بشيء من هذا النحو كقوله في الحديث أتيته سعيا وأتيته هرولة حمل ذلك بالتأويل على الوجه المخلص من نفي

(ش) سبحان علم للتسبيح كعثمان علم للرجل (ع) ولم ينصرف لأن في آخره زائدتين وهو معرفة بالعلمية واضافته لا تزيده تعريفا (ح) يعنيان والله أعلم انه اذا لم يضف كقوله * سبحان من علقمة الفاخر * وأما اذا أضيف فلو فرضنا انه علم لنوى تنكيره ثم يضاف وصار اذ ذاك تعريفه بالاضافة لا بالعلمية (ع) ويظهر ان أسرى هي معداة بالهمزة الى مفعول محذوف تقديره اسرى الملائكة بعبده لانه يقلق أن يسند أسرى وهو بمعنى سرى الى الله تعالى اذ هو فعل يعطي النقلة كمشي وجرى واحضر وانتقل ولا يحسن اسناد شيء من هذا ونحن نجد منه مندوحة فاذا صرحت الشريعة بشيء من هذا النحو كقوله في الحديث أتيته سعيا وأتيته هرولة حمل ذلك بالتأويل على الوجه المخلص من نفي الحوادث وأسرى في هذه الآية تخرج فصيحة كما ذكرنا ولا يحتاج الى تجوز قلق في مثل هذه اللفظة فانه ألزم للنقلة من أتيته وأبى الله بنيانهم من القواعد (ح) انما احتاج (ع) الى هذه الدعوى اعتقاد انه اذا كان أسرى بمعنى سرى لزم من كون الباء للتعدية مشاركة الفاعل للمفعول وهذا شيء ذهب اليه المبرد فان قلت قمت بزيد لزم منه قيامك وقيام زيد عنده وهذا ليس كذلك التبست عنده باء التعدية بباء الحال فباء الحال يلزم فيه المشاركة اذ المعنى قمت ملتبسا بزيد وباء التعدية مرادفة للهمزة فقمت بزيد والباء للتعدية كقولك أقمت زيدا ولا يلزم من اقامتك أن تقوم أنت (ع) ويحتمل أن يكون أسرى بمعنى سرى على حذف مضاف كنحو قوله تعالى ذهب الله بنورهم (ح) يعني أن يكون التقدير أسرت ملائكته بعبده فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وهذا مبني على اعتقاده انه يلزم المشاركة والباء للتعدية وأيضا فورود القرآن في فأسر بقطع الهمزة ووصلها يقتضي انهما بمعنى واحد ألا ترى ان قوله فأسر بأهلك وان أسر بعبادي قرئ بالقطع والوصل ويبعد مع القطع تقدير مفعول محذوف اذ لم يصرح به في موضع فيستدل بالمصرح على المحذوف

الحوادث وأسرى فى هذه الآية تخرج فصيحة كما ذكرنا ولا يحتاج الى تجوز قلق فى مثل هذه اللفظة فانه ألزم النقلة من أتيته وأتى الله بنيانهم انتهى وانما احتاج ابن عطية الى هذه الدعوى اعتقاده انه اذا كان أسرى بمعنى سرى لزم من كون الباء للتعدية مشاركة الفاعل للمفعول وهذا شئ ذهب اليه المبرد فاذا قلت قمت بزيد لزم منه قيامك وقيام زيد عنده وهذا ليس كذلك التبست عنده باء التعدية بباء الحال فباء الحال يلزم فيه المشاركة إذ المعنى قمت ملتبسا بزيد وباء التعدية مرادفة للهمزة فقمت بزيد والباء للتعدية كقولك أقمت زيدا ولا يلزم من اقامتكه أن تقوم أنت * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون أسرى بمعنى سرى على حذف مضاف كنحو قوله تعالى ذهب الله بنورهم يعنى أن يكون التقدير لسرت ملائكته بعبده فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وهذا مبنى على اعتقاد انه يلزم المشاركة والباء للتعدية وأيضا فوارد القرآن فى فأسر بقطع الهمزة ووصلها يقتضى انهما بمعنى واحد ألا ترى أن قوله فأسر بأهلك وان أسر بعبادى قرئ بالقطع والوصل ويبعد مع القطع تقدير مفعول محذوف إذ لم يصرح به فى موضع فيستدل بالمصرح على المحذوف * والظاهر ان هذا الاسراء كان بشخصه ولذلك كذبت قريش به وشنعت عليه وحين قص ذلك على أم هانئ قالت لا تحدث الناس بها فيكذبوك ولو كان مناما استنكر ذلك وهو قول جمهور أهل العلم وهو الذى ينبغى أن يعتقد وحديث الاسراء مروى فى المسانيد عن الصحابة فى كل أقطار الاسلام وذكر انه رواه عشرون من الصحابة * قيل وما روى عن عائشة ومعاوية انه كان مناما فلعله لا يصح عنهما ولو صح لم يكن فى ذلك حجة لانهما لم يشاهدا ذلك لصغر عائشة وكفر معاوية إذ ذاك ولانهما لم يسندا ذلك الى الرسول صلى الله عليه وسلم ولا حدثا به عنه وعن الحسن كان فى المنام رؤيا رآها وقوله بعبده هو محمد صلى الله عليه وسلم * وقال أبو القاسم سليمان الأنصارى لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة فى المعارج أوحى الله اليه يا محمد بم أشرفك قال يارب بنسبتى اليك بالعبودية فأنزل فيه سبحان الذى أسرى بعبده الآية انتهى وعنه قالوا عبد الله ورسوله وعنه انما أنا عبد وهذه إضافة تشريف واختصاص * وقال الشاعر

لا تدعنى الا بيا عبدها * لانه أشرف أسمائى

* وقال العلماء لو كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسم أشرف منه لسماه به فى تلك الحالة * وانتصب ليلا على الظرف ومعلوم أن السرى لا يكون فى اللغة الا بالليل ولكنه ذكر على سبيل التوكيد * وقيل يعنى فى جوف الليل فلم يكن إدلاجا ولا ادلاجا * وقال الزمخشرى أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه أسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة ودلالة التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أى بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به على الأمر بالقيام فى بعض الليل انتهى والظاهر ان قوله من المسجد الحرام هو المسجد المحيط بالكعبة بعينه وهو قول أنس * وقيل من الحجر * وقيل من بين زمزم والمقام * وقيل من شعب أبى طالب * وقيل من بيت أم هانئ * وقيل من سقف بيته عليه السلام وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون أطلق المسجد الحرام على مكة * وقال قتادة ومقاتل قبل الهجرة بعام * وقالت عائشة بعام ونصف فى رجب * وقيل فى سبع عشرة من ربيع الأول والرسول عليه السلام ابن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما * وعن ابن شهاب بعد المبعث بسبعة أعوام * وعن الحربى ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة

ومذهب الاخفش والكوفيين الجواز وهو الصحيح لوجوز ذلك فى كلام العرب * وقد استدللنا على صحة ذلك فى شرح التسهيل وذكر من حملنا مع نوح تنبيها على النعمة التى نجاهم الله بها من الغرق والظاهر أن الضمير فى انه عائد على نوح صلى الله عليه وسلم أى كونوا موحدين شاكرين لنعم الله مقتدين بنوح الذى أنتم ذرية من حمل معه

بسنة والمحقق ان ذلك كان بعد شق الصحيفة وقبل بيعة العقبة ووقع لشريك بن أبي نمر في الصحيح ان ذلك كان قبل أن يوحى اليه ولا خلاف بين المحدثين ان ذلك وهم من شريك * وحكى الزمخشري عن أنس والحسن انه كان قبل المبعث * وقال أبو بكر محمد بن علي بن القاسم الرعيني في تاريخه أسري به من مكة الى بيت المقدس وعرج به الى السماء قبل مبعثه بثمانية عشر شهرا ويروى انه كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال مالك قالت أخشى أن يكذبك قومك ان أخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء * فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى أبي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال اني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق رضي الله تعالى عنه ومنهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية * فقال قائل منهم والله هذه الشمس قد شرقت * وقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر بين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وهذا على قول من قال ان هذه الليلة هي ليلة المعراج وهو قول ابن مسعود وجماعة وذهب بعضهم الى أن ليلة المعراج هي غير ليلة الاسراء والمسجد الأقصى مسجد بيت المقدس وسمي الأقصى لأنه كان في ذلك الوقت أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة * قال ابن عطية ويحتمل أن يريد بالأقصى البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه ويكون المقصد اظهار العجب في الاسراء الى هذا البعد في ليلة انتهى ولفظة الى تقتضي أنه انتهى الاسراء به الى حد ذلك المسجد ولا يدل من حيث الوضع على دخوله * والذي باركنا حوله صفة مدح لازالة اشتراط عارض وبركته بما خص به من الخيرات الدينية كالنبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر ونواحيه ونواديه والدنياوية من كثرة الأشجار والأنهار وطيب الارض وفي الحديث أنه تعالى بارك فيما بين العريش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس * وقرأ الجمهور لنريه بالنون وهو التفات من ضمير الغائب الى ضمير المتكلم وقراءة الحسن ليريه بالياء فيكون الالتفات في آياتنا وهذه رؤيا عين والآيات التي أريها هي العجائب التي أخبر بها الناس واسراؤه من مكة وعروجه الى السماء ووصفه الأنبياء واحدا واحدا حسبما ثبت في الصحيح * وقال ابن عطية ويحتمل أن يريد ليرى محمد الناس آية أي يكون النبي صلى الله عليه وسلم آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنع فتكون الرؤية على هذا رؤية القلب * قال الزمخشري انه هو السميع لأقوال محمد البصير بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك * وقال ابن عطية وعيد من الله للكفار على تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم في أمر الاسراء فهي اشارة لطيفة بليغة الى ذلك أي هو السميع لما تقولون البصير بأفعالكم انتهى ولما ذكر تشريف الرسول صلى الله عليه وسلم بالاسراء واراءته الآيات ذكر تشريف موسى بايتائه التوراة وآتينا معطوف على الجملة السابقة من

﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل ﴾ الآية قضى يتعدى بنفسه الى مفعول كقوله تعالى فلما قضى موسى الاجل ولما ضمن هنا معنى الايحاء أو الانفاذ تعدى بالى أى أوحينا أو أنفذنا الى بنى اسرائيل فى القضاء المحتوم المبتوت واللام فى لتفسدن جواب قسم فاما أن يقدر محذوفا ويكون متعلق القضاء محذوفا تقديره وقضينا الى بنى اسرائيل بفسادهم فى الارض وعلوهم ثم أقسم تعالى على وقوع ذلك وأنه كائن لا محالة فحذف متعلق قضينا وأبقى

منصوب القسم المحذوف ويجوز أن يكون قضينا أجرى مجرى القسم ولتفسدن جوابه كقولهم قضاء الله لاقومن مرتين أولاهما قتل زكريا ونشره فى الشجرة بالمنشار والثانية حبس أرميا حين أنذرهم سخط الله ﴿ فاذا جاء وعد أولاهما ﴾ أى موعود أولاهما والوعد قد سبق بذلك والموعود هو العقاب والضمير فى أولاهما عائد على المرتين ﴿ عبادا لنا ﴾ قال ابن عباس غزاهم سنجاريب وجنوده ملك بابل وقيل بخت نصر وروى أنه دخل قبل فى جيش من الفرس وهو خامل يسير فى مطبخ الملك فاطلع من

تنزيه الله تعالى وبراءته من السوء ولا يلزم من عطف الجمل المشاركة فى الخبر أو غيره * وقال ابن عطية عطف قوله وآتينا على ما فى قوله أسرى بعبده من تقدير الخبر كأنه قال أسرينا بعبدنا وأريناه آياتنا وآتينا * وقال العكبرى وآتينا معطوف على اسرى انتهى وفيه بعد والكتاب هنا التوراة والظاهر عود الضمير من وجعلناه على الكتاب ويحتمل أن يعود على موسى ويجوز أن تكون تفسيرية ولا نهى وأن تكون مصدرية تعليلا أى لأن لا يتخذوا ولا نفى ولا يجوز أن تكون ان زائدة ويكون لا تتخذوا معمولا لقول محذوف خلافا لمجوز ذلك اذ ليس من مواضع زيادة ان * وقرأ ابن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وأبو رجاء وأبو عمرو من السبعة يتخذوا بالياء على الغيبة وباقى السبعة بتاء الخطاب والوكيل فعيل من التوكل أى متوكلا عليه * وقال الزمخشرى ربا تكلون اليه أموركم * وقال ابن جرير حفيظا لكم سواى * وقال أبو الفرج بن الجوزى قيل للرب وكيل لكفايته وقيامه بشؤون عباده لا على معنى ارتفاع منزلة الموكل وانحطاط أمر الوكيل انتهى * وانتصب ذرية على النداء أى يا ذرية أو على البدل من وكيلا أو على المفعول الثانى ليتخذوا ووكيلا فى معنى الجمع أى لا يتخذوا وكلاء ذرية أو على اضمار أعنى * وقرأت فرقة ذرية بالرفع وخرج على أن يكون بدلا من الضمير فى يتخذوا على قراءة من قرأ بياء الغيبة * وقال ابن عطية ولا يجوز فى القراءة بالتاء لأنك لا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت ضربتك زيدا على البدل لم يجز انتهى وما ذكره من اطلاق انك لا تبدل من ضمير مخاطب يحتاج الى تفصيل وذلك أنه ان كان فى بدل بعض من كل وبدل اشتمال جاز بلا خلاف وان كان فى بدل شئ من شئ وهما العين واحد وان كان يفيد التوكيد جاز بلا خلاف نحو مررت بكم صغيركم وكبيركم وان لم يفد التوكيد فمذهب جمهور البصريين المنع ومذهب الأخفش والكوفيين الجواز وهو الصحيح لوجود ذلك فى كلام العرب وقد استدللنا على صحة ذلك فى شرح كتاب التسهيل وذكر من حملنا مع نوح تنبيها على النعمة التى نجاهم بها من الغرق * وقرأ زيد بن ثابت وأبان بن عثمان وزيد بن على ومجاهد فى رواية بكسر ذال ذرية * وقرأ مجاهد أيضا بفتحها وعن زيد بن ثابت ذرية بفتح الذال وتخفيف الراء وتشديد الياء على وزن فعلية كمطية * والظاهر ان الضمير فى انه عائد على نوح قال سلمان الفارسى كان يحمد الله على طعامه * وقال ابراهيم شكره اذا أكل قال بسم الله فاذا فرغ قال الحمد لله * وقال قتادة كان اذا لبس ثوبا قال بسم الله واذا نزعه قال الحمد لله * وقيل الضمير فى انه عائد الى موسى انتهى ونبه على الشكر لأنه يستلزم التوحيد اذ النعم التى يجب الشكر عليها هى من عنده تعالى فكأنه قيل كونوا موحدين شاكرين لنعم الله مقتدين بنوح الذى أنتم ذرية من حمل معه ﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم

(الدر)

(ح) قرأت فرقة ذرية من حملنا برفع ذرية وخرج على أن يكون بدلا من الضمير فى تتخذوا على قراءة بياء الغيبة (ع) ولا يجوز فى القراءة بالتاء لانك لا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت ضربتك زيدا على البدل لم يجز (ح) ما ذكره من اطلاق انك لا تبدل من ضمير مخاطب يحتاج الى تفصيل وذلك انه ان كان فى بدل بعض من كل وبدل اشتمال جاز بلا خلاف وان كان فى بدل شئ من شئ وهما العين واحدة فان كان يفيد التوكيد جاز بلا خلاف نحو مررت بكم صغيركم وكبيركم وان لم يفد التوكيد فمذهب جمهور البصريين المنع ومذهب الاخفش والكوفيين الجواز وهو الصحيح لوجود ذلك فى كلام العرب وقد استدللنا على صحة ذلك فى شرح كتاب التسهيل

جور بنى اسرائيل على مالم يعلمه الفرس لانه كان يداخلهم فلما انصرف الجيش ذكر للملك الاعظم فلما كان بعد مدة جعله الملك رئيس جيش و بعثه نخرب بيت المقدس وقتلهم وجلاهم ثم انصرف فوجد الملك قدمات فملك موضعه واستمر حاله حتى ملك الارض بعد ذلك والبعث هنا الارسال والتسلط ﴿أولى بأس شديد﴾ أى قتال وحرب شديد لقوتهم ونجدتهم وكثرة عددهم وعددهم ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ أسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم لتخريب المساجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم ﴿وكان وعدا مفعولا﴾ أى منجزا ماوقع به الوعد من العقاب ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ هذا اخبار من الله لبنى اسرائيل فى التوراة وجعل رددنا موضع نرد اذ وقت إخبارهم لم يقع الامر بعد لكنه لما كان وعد الله فى غاية الثقة أنه يقع عبر عن مستقبله بالماضى * والكرة الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليهم حين تابوا ورجعوا عن الفساد ملكوا بيت المقدس وقيل الكرة قتل بخت نصر واستنقاذ بنى اسرائيل اسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وذكر فى سبب ذلك أن ملكا غزا أهل بابل وكان بخت نصر قد قتل من بنى اسرائيل أربعين ألفا ممن يقرأ التوراة و بقى بقيتهم عنده ببابل فى الذل فلما غزاهم ذلك الملك وغلب على بابل تزوج امرأة من بنى اسرائيل وطلبت منه أن يرد بنى اسرائيل الى بيت المقدس ففعل و بعد مدة قامت فيهم الانبياء فرجعوا الى أحسن ما كانوا عليه وانتصب نفيرا على التمييز فقيل النفير والنافر واحد واصله من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته وجواب وان أسأتم قوله فلها على حذف مبتدإ ولها خبره تقديره فالاساءة لها ﴿فاذا جاء وعد الآخرة﴾ أى المرة الآخرة فى افسادكم وعلوكم وجواب اذا محذوف يدل عليه جواب اذا الاولى تقديره بعثناهم عليكم وافسادهم وقرىء ﴿ليسوؤا﴾ بلام كى و ياء الغيبة وضمير الجمع الغائب العائد على المبعوثين وقرىء لنسوء بالنون التى للعظمة وفيها ضمير يعود على الله والظاهر أنه أريد بالوجوه الحقيقية لان آثار الأعراض النفسانية فى القلب تظهر على الوجه ففى الفرح يظهر الاسفار والاشراق وفى الحزن يظهر الكلوح والغبرة و يحتمل أن يعبر عن الجملة بالوجه فانهم ساؤهم بالقتل والسبى والنهب فحصلت الاساءة للذوات كلها ﴿وليدخلوا المسجد﴾ أى مسجد بيت المقدس ومعنى ﴿كما دخلوه أول مرة﴾ أى بالسيف والقهر والغلبة والاذلال وهذا يبعد قول من ذهب الى أن أولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب ﴿وليتبروا﴾ أى يهلكوا وقال قطرب يهدموا * وقال

فما الناس الاعاملان فعامل * يتبر ما يبنى وآخر رافع

والظاهر أن مفعوله يتبروا أى يهلكوا ما غلبوا عليه من الاقطار و يحتمل أن تكون ما ظرفية أى مدة استيلائهم ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ بعد المرة الثانية ان تبتم وانزجرتم عن المعاصى وان عدتم الى المعصية مرة ثالثة عدنا الى العقوبة وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ثم ذكر ما أعد لهم فى الآخرة وهو جعل جهنم لهم حصيرا والحصير السجن أو المحبس * قال لبيد

ومقامه غلب الرجال كأنهم * جن لدى باب الحصير قيام

عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال و بنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴿قضى﴾ يتعدى بنفسه الى مفعول كقوله فلما قضى موسى الأجل ولما ضمن هنا معنى الايحاء أو الانفاذ تعدى بالى أى وأوحينا أو أنفذنا الى بنى اسرائيل فى القضاء المحتوم المبتوت وعن ابن عباس معناه أعلمناهم وعنه أيضا قضينا عليهم وعنه أيضا كتبنا * واللام فى لتفسدن جواب قسم فاما أن يقدر محذوفا و يكون متعلق القضاء محذوفا تقديره وقضينا الى بنى اسرائيل بفسادهم فى الأرض وعلوهم ثم أقسم على وقوع ذلك وأنه كائن لا محالة فحذف متعلق قضينا وأبقى منصوب القسم المحذوف و يجوز أن يكون قضينا أجرى مجرى القسم ولتفسدن جوابه كقولهم قضاء الله لأقومن * وقرأ أبو العالية وابن جبير فى الكتب على الجمع والجمهور على الافراد فاحتمل أن يريد به الجنس والظاهر أن يراد التوراة * وقرأ ابن عباس ونصر بن على وجابر بن زيد لتفسدن بضم التاء وفتح السين مبنيا للمفعول أى يفسدكم غيركم * فقيل من الاضلال * وقيل من الغلبة * وقرأ عيسى لتفسدن بفتح التاء وضم السين

أى فسدتم بأنفسكم بارتكاب المعاصى مرتين أولاهما قتل زكرياء عليه السلام قاله السدى عن أشياخه وقاله ابن مسعود وابن عباس وذلك انه لما مات صديقة ملكهم تنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضا ولا يسمعون من زكريا * فقال الله له قم فى قومك أوح على لسانك فلما فرغ مما أوحى الله اليه عدوا عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت له شجرة فدخل فيها وأدركه الشيطان فأخذ هدبة من ثوبه فأراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها حتى قطعوه فى وسطها * وقيل سبب قتل زكريا انهم اتهموه بمريم قيل قالوا حين حملت مريم ضيع بنت سيدنا حتى زنت فقطعوه بالمنشار فى الشجرة * وقيل شعياء قاله ابن اسحاق وان كان زكرياء مات موتا ولم يقتل وان الذى دخل الشجرة وقطع نصفين بالمنشار فى وسطها هو شعياء وكان قبل زكرياء وحبس أرمياء حين أنذرهم سخط الله والآخرة قبل يحيى بن زكرياء وقصد قتل عيسى ابن مريم أعلم الله بنى اسرائيل فى التوراة أنه سيقع منهم عصيان وكفر لنعم الله تعالى فى الرسل وفى الكتب وغير ذلك وأنه سيرسل عليهم أمة تغلبهم وتقتلهم وتذلهم ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم الى حالهم الأولى من الظهور فتقع منهم المعاصى وكفر النعم والظلم والقتل والكفر بالله من بعضهم فيبعث الله عليهم أمة أخرى تخرب ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلاء مبرحا ودل الوجود بعد ذلك على هذا الأمر كله قيل وكان بين آخر الأولى والثانية مائتا سنة وعشر سنين ملكا مؤيدا ثابتا * وقيل سبعون سنة * وقال الكلبى لتعصن فى الأرض المقدسة ولتعلن أى تطغون وتعظمون * وقرأ زيد بن على عليا كبيرا فى الموضعين بكسر اللام والياء المشددة * وقراءة الجمهور علوا والصحيح فى فعول المصدر أكثر كقوله وعتوا عتوا كبيرا بخلاف الجمع فان الاعلال فيه هو المقيس وشذ التصحيح نحو نهو ونهو خلافا للفراء اذ جعل ذلك قياسا فاذا جاء وعد أولاهما أى موعد أولاهما لأن الوعد قد سبق ذلك والموعود هو العقاب * وقال الزمخشرى معناه وعد عقاب أولاهما * وقيل الوعد بمعنى الوعيد * وقيل بمعنى الموعد الذى يراد به الوقت والضمير فى أولاهما عائد على المرتين * وقرأ الجمهور عبادا * وقرأ الحسن وزيد بن على عبيدا * قال ابن عباس غزاهم وقتادة جالوت من أهل الجزيرة * وقال ابن جبير وابن اسحاق غزاهم سنجاريب وجنوده ملك بابل * وقيل بخت نصر وروى انه دخل قبل فى جيش من الفرس وهو خامل يسير فى مطبخ الملك فاطلع من جور بنى اسرائيل على مالم يعلمه الفرس لانه كان يداخلهم فلما انصرف الجيش ذكر ذلك للملك الأعظم فلما كان بعد مدة جعله الملك رئيس جيش وبعثه وخرب بيت المقدس وقتلهم وجلاهم ثم انصرف فوجد الملك قد مات فلك موضعه واستمرت حاله حتى ملك الارض بعد ذلك * وقيل هم العمالقة وكانوا كفارا * وقيل كان المبعوثون قوما مؤمنين بعثهم الله وأمرهم بغزو بنى اسرائيل والبعث هنا الارسال والتسليط * وقال الزمخشرى معناه خلينا بينهم و بين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا أسند بعث الكفرة الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعى وخالف بين كلمتهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم انتهى وفى قوله خلينا بينهم و بين ما فعلوا دسيسة الاعتزال * وقال ابن عطية بعثنا يحتمل أن يكون الله أرسل الى ملك تلك الأمة رسولا يأمره بغزو بنى اسرائيل فتكون البعثة بأمر ويحتمل أن يكون عبر بالبعث عما ألقى فى نفس الملك أى غزاهم انتهى * أولى بأس شديد أى قتال وحرب شديد لقوتهم ونجدتهم وكثرة عددهم وعددهم * وقرأ الجمهور

والذى يظهر انها حاصرة لهم محيطة بهم من جميع جهاتهم فحصير معناه ذات حصر اذ لو كان للمبالغة لزمته التاء لجريانه على مؤنث كما تقول رحيمة وعليمة ولكنه على معنى النسب كقوله تعالى السماء منفطر به أى ذات انفطار

لجاسوا بالجيم * وقرأ أبو السمال وطلحة فحاسوا بالحاء المهملة * وقرئ فتجوسوا على وزن تكسر وبالجيم * وقرأ الحسن خلال الديار واحدا و يجمع على خلل كجبل وجبال و يجوز أن يكون خلال مفردا كالخلال وهو وسط الديار ومابينها والجمهور على انه فى هذه البعثة الأولى خرب بيت المقدس و وقع القتل فيهم والجلاء والأسر وعن ابن عباس ومجاهد انه حين غزوا جاس الغازون خلال الديار ولم يكن قتل ولا قتال فى بنى اسرائيل وانصرفت عنهم الجيوش والضمير فى وكان عائدا على وعد أولاهما * قال الزمخشرى وكان وعدا العقاب وعدا لا بد أن يفعل انتهى * وقيل يعود على الجيوش ثم رددنا لكم الكرة عليهم هذا اخبار من الله لبنى اسرائيل فى التوراة وجعل رددنا موضع نرداد وقت اخبارهم لم يقع الأمر بعد لكنه لما كان وعد الله فى غاية الثقة انه يقع عبر عن مستقبله بالماضى والكرة الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليهم حتى تابوا ورجعوا عن الفساد ملكوا بيت المقدس قبل الكرة قبل بخت نصر واستبقاء بنى اسرائيل اسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وذكر فى سبب ذلك ان ملكا غزا أهل بابل وكان بخت نصر قد قتل من بنى اسرائيل أربعين ألفا ممن يقرأ التوراة و بقى بقيته عندهم ببابل فى الذل فلما غزاهم ذلك الملك وغلب على بابل تزوج امرأة من بنى اسرائيل فطلبت منه أن يرد بنى اسرائيل الى بيت المقدس ففعل و بعد مدة قامت فيهم الأنبياء فرجعوا الى أحسن ما كانوا * وقيل الكرة تقوية طالوت حتى حارب جالوت ونصر داود على قتل جالوت * وقال قتادة كانوا أكثر شرا فى زمان داود عليه السلام وانتصب نفيرا على التمييز * فقيل النفير والنافر واحد وأصله من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته قاله أبو مسلم * وقال الزجاج يجوز أن يكون جمع نفر ككلاب وكليب وعبد وعبيد وهم المجتمعون للمصير الى الأعداء * وقيل النفير مصدر أى أكثر خروجا الى الغزو كما فى قول الشاعر

فأكرم بقحطان من والد * وحمير أكرم بقوم نفيرا

و يروى بالخير بين أكرم نفيرا والمفضل عليه محذوف قدره الزمخشرى وأكثر نفيرا مما كنتم وقدره غيره وأكثر نفيرا من الأعداء ان أحسنتم أى أطعتم الله كان ثواب الطاعة لأنفسكم وان أسأتم بمعصيته كان عقاب الاساءة لأنفسكم لا يتعدى الاحسان والاساءة الى غيركم وجواب وان أسأتم قوله فلها على حذف مبتدا محذوف ولها خبره تقديره فالاساءة لها * قال الكرمانى جاء فلها باللام ازدواجا انتهى يعنى انه قابل قوله لانفسكم بقوله فلها * وقال الطبرى اللام بمعنى الى أى فاليها ترجع الاساءة * وقيل اللام بمعنى على أى فعليها كما فى قوله * فخر صريعا لليدين وللفم * فاذا جاء وعد الآخرة أى المرة الآخرة فى افسادكم وعلوكم وجواب اذا محذوف يدل عليه جواب اذا الأولى تقديره بعثناهم عليكم وافسادهم فى ذلك بقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام * وسبب قتله فيما روى عن ابن عباس وغيره أن ملكا أراد أن يتزوج من لا يجوز له نكاحها فنهاه يحيى بن زكريا وكان لتلك المرأة حاجة كل يوم عند الملك تقضيها فألقت أمها اليها أن تسأله عن ذبح يحيى بن زكريا بسبب ما كان منعه من تزوج ابنتها فسألته ذلك فدافعها فألحت عليه فدعا بطست فذبحه فندرت قطرة على الارض فلم تزل تغلى حتى بعث الله عليهم بخت نصر وألقى فى نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل عليه منهم سبعين ألفا * وقال السهيلى لا يصح أن يكون المبعوث فى المرة الآخرة بخت نصر لان قتل يحيى بعد رفع عيسى و بخت نصر كان قبل عيسى بزمن طويل * وقيل المبعوث عليهم الاسكندر و بين الاسكندر وعيسى نحو ثلاثمائة سنة ولكنه ان أريد بالمرة الاخرى حين قتلوا اشعياء فكان بخت نصر

اذ ذاك حيا فهو الذي قتلهم وخرب بيت المقدس واتبعهم الى مصر وأخرجهم منها * وروى عن عبدالله بن الزبير ان الذي غزاهم آخرا ملك اسمه خردوس وتولى قتلهم على دم يحيى بن زكرياء قائدله فسكن الدم * وقيل قتله ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له لاحب * وقال الربيع بن أنس كان يحيى قد أعطي حسنا وجمالا فراودته امرأة الملك عن نفسه فأبى فقالت لابنتها سلي أباك رأس يحيى فأعطاها ماسألت * وقرأ الجمهور ليسوؤا بلام كي وياء الغيبة وضمير الجمع الغائب العائد على المبعوثين * وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء بالياء وهمزة مفتوحة على الافراد والفاعل المضمر عائد على الله تعالى أو على الوعد أو على البعث الدال عليه جملة الجزاء المحذوفة * وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي والكسائي لنسوء بالنون التي للعظمة وفيها ضمير يعود على الله * وقرأ أبي لنسوءن بلام الامر والنون التي للعظمة ونون التوكيد الخفيفة آخرا وعن علي أيضا لنسوءن وليسوءن بالنون والياء ونون التوكيد الشديدة وهي لام القسم ودخلت لام الامر في قراءة أبي على المتكلم كقوله ولنحمل خطاياكم وجواب اذا هو الجملة الأمرية على تقدير الفاء وفي مصحف أبي ليسيء بياء مضمومة بغير واو وفي مصحف أنس ليسوء وجهكم على الافراد والظاهر انه أريد بالوجوه الحقيقة لان آثار الاعراض النفسانية في القلب تظهر على الوجه ففي الفرح يظهر الاسفار والاشراق وفي الحزن يظهر الكلوح والغبرة ويحتمل أن يعبر عن الجملة بالوجه فانهم ساؤهم بالقتل والنهب والسبي فحصلت الاساءة للذوات كلها أو عن ساداتهم وكبرائهم بالوجوه ومنه قولهم في الخطاب ياوجه العرب واللام في وليدخلوا لام كي معطوفا على ماقبلها من لام كي ومن قرأ بلام الأمر أو بلام القسم جاز أن يكون وليدخلوا ومابعدها أمرا وجاز أن تكون لام كي أي وبعثناهم ليدخلوا * والمسجد مسجد بيت المقدس ومعنى كما دخلوه أول مرة أي بالسيف والقهر والغلبة والاذلال وهذا يبعد قول من ذهب الى ان أولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولانهب وتقدم الكلام في أول مرة في سورة التوبة وليتبروا يهلكوا * وقال قطرب يهدموا * قال الشاعر

فما الناس الا عاملان فعامل * يتبر مايبني وآخر رافع

والظاهر ان مامفعولة يتبروا أي يهلكوا ماغلبوا عليه من الأقطار ويحتمل أن تكون ماظرفية أي مدة استيلائهم عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم وانزجرتم عن المعاصي وهذه الترجئة ليست لرجوع دولة وانما هي من باب ترحم المطيع منهم وكان من الطاعة أن يتبعوا عيسى ومحمدا عليهما السلام فلم يفعلوا وان عدتم الى المعصية مرة ثالثة عدنا الى العقوبة وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يدوهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منه في عذاب الى يوم القيامة انتهى ومعنى عدنا أي في الدنيا الى العقوبة وقال تعالى واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ثم ذكر ما أعد لهم في الآخرة وهو جعل جهنم لهم حصيرا والحصير السجن * قال لبيد

ومقامه غلب الرجال كأنهم * جن لدى باب الحصير قيام

* وقال الحسن يعني فراشا وعنه أيضا هو مأخوذ من الحصر والذي يظهر انها حاصرة لهم محيطة بهم من جميع جهاتهم فحصير معناه ذات حصر اذ لو كان للمبالغة لزمته التاء لجريانه على مؤنث كما تقول رحيمة وعليمة ولكنه على معنى النسب كقوله السماء منفطر به أي ذات انفطار ﴿ان هذا القرآن

﴿ ان هذا القرآن

يهدى﴾ الآية لما ذكر من اختصه بالاسراء وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومن آتاه التوراة وهو موسى صلى الله عليه وسلم وانه هدى لبنى اسرائيل وذكر فيها ما قضى عليهم من التسلط عليهم بذنوبهم كان ذلك رادعا من عقل عن معاصى الله فذكر ما شرف الله به رسوله من القرآن الناسخ لحكم التوراة وكل كتاب إلهى وانه يهدى للطريقة التى هى أقوم والذى يظهر من حيث المعنى أن أقوم هنا لا يراد بها التفضيل اذ لا مشاركة بين الطريقة التى يرشد اليها القرآن وطريقة غيرها وفضلت هذه عليها وانما المعنى التى هى قيمة أى مستقيمة وغيرها من الطرق ليست مستقيمة كما قال تعالى وذلك دين القيمة ﴿وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ عطف على قوله أن لهم أجرا كبيرا بشرا بفوزهم بالجنة و بكينونة العذاب الاليم لاعدائهم الكفار اذ فى علم المؤمنين بذلك وتبشيرهم به مسرة لهم فهما بشارتان وفيه وعيد للكفار * قال الزمخشرى فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفرة ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ إما مؤمن تقى واما مشرك وانما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك انتهى هذه مكابرة بل قد وقع فى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض المؤمنين هنات وسقطات بعضها مذكور فى القرآن و بعضها فى الحديث الصحيح الثابت ﴿ويدع الانسان بالشر﴾ قال ابن عباس وغيره نزلت ذامة لما يفعله الناس من الدعاء على أموالهم وأبنائهم فى أوقات الغضب والضجر * ومناسبتها لما قبلها أن بعض من لا يؤمن بالآخرة كان يدعو على نفسه بتعجيل ما وعد به من الشر فى الآخرة كقول النضر فأمطر علينا حجارة من السماء الآية وكتب و يدع بغير واو على حسب السمع والانسان هنا ليس واحدا معينا والمعنى أن فى طباع الانسان اذا ضجر وغضب دعا على نفسه وأهله وماله بالشر أن يصيبه كما يدعو بالخير أن يصيبه ثم ذكر تعالى أن ذلك من عدم تثبته وقلة صبره وكونه خلق كثير التسرع لما يرد على قلبه لا يتأنى ولا يستبصر

يهدى للتى هى أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وان الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما * و يدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا * وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا * وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ الظاهر أن آيتين هو المفعول الاول والليل والنهار ظرفان فى موضع المفعول الثانى أى وجعلنا فى الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل أى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شئ كما لا يستبان ما فى اللوح المحفوظ وجعلنا آية النهار مبصرة أى يبصر فيه الاشياء و يستبان ومعنى ﴿لتبتغوا فضلا﴾ أى من فضله أى لتتوصلوا الى استبانة أعمالكم وتصرفكم فى معايشكم والحساب للشهور والأيام والساعات ومعرفة ذلك فى الشرع انما هو من جهة آية النهار وكل شئ مما تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم ﴿فصلناه﴾ بيناه تبيينا غير ملتبس والظاهر أن نصب وكل شئ على الاشتغال ﴿طائره﴾ أى أن جميع ما يلقى الانسان من خير وشر فقد سبق به القضاء وألزم حظه وعمله ومكسبه فى عنقه فعبر عن الحظ والعمل اذ هما متلازمان بالطائر ﴿و﴾ قرىء ﴿نخرج﴾ بنون مضارع أخرج ﴿كتابا﴾ بالنصب وعن أبى جعفر و يخرج بالياء مبنيا للمفعول كتابا أو يخرج الطائر كتابا وعنه أيضا كتاب بالرفع على أنه مفعول مالم يسم فاعله و ﴿يلقاه منشورا﴾ صفتان لكتاب و يجوز أن يكون منشورا حالا من مفعول يلقاه ﴿اقرأ كتابك﴾ معمول لقول محذوف أى يقال له اقرأ كتابك وقال قتادة يقرأ فى ذلك اليوم من لم يكن فى الدنيا قارئا و ﴿بنفسك﴾ فاعل كفى والباء زائدة على سبيل الجواز لا اللزوم و يدل عليه انه اذا حذفت ارتفع ذلك الاسم بكفى كقول الشاعر

ويخبرنى عن غائب المرء هديه * كفى الهدى عما غيب المرء مخبرا

و ﴿اليوم﴾ منصوب بكفى وعليك يتعلق بحسيبا ومعنى حسيبا حاسبا كما عليك بعده وحسيبا منصوب على التمييز لجواز دخول من عليه والحسيب بمعنى المحاسب ومعناه حافظا عليك عملك ولذلك عدى بعلى ﴿من اهتدى﴾ الآية قيل نزلت الاشارة فى الهدى الى أبى سلمة بن عبد الاسود وفى الضلال الى الوليد بن المغيرة وتقدم تفسير ولا تزر فى آخر الأنعام ﴿وما كنا معذبين﴾ الآية غيا انتفاء التعذيب ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ﴿حتى نبعث

رسولا * لما ذكر تعالى من اختصه بالاسراء وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آتاه التوراة وهو موسى عليه السلام وانها هدى لبنى اسرائيل وذكر ماقضى عليهم فيها من التسليط عليهم بذنوبهم كان ذلك رادعا من عقل عن معاصى الله فذكر ماشرف الله به رسوله من القرآن الناسخ لحكم التوراة وكل كتاب الهى وانه يهدى للطريقة أو الحالة التى هى أقوم * وقال الضحاك والكلبى والفراء التى هى أقوم هى شهادة التوحيد * وقال مقاتل للأوامر والنواهى وأقوم هنا أفعل التفضيل على قول الزجاج اذ قدر أقوم الحالات وقدره غيره أقوم مما عداها أو من كل حال والذى يظهر من حيث المعنى ان أقوم هنا لا يراد بها التفضيل اذ لا مشاركة بين الطريقة التى يرشد اليها القرآن وطريقة غيرها وفضلت هذه عليها وانما المعنى التى هى قيمة أى مستقيمة كما قال وذلك دين القيمة وفيها كتب قيمة أى مستقيمة الطريقة قائمة بما يحتاج اليه من أمر الدين * وقال الزمخشرى التى هى أقوم للحالة التى هى أقوم الحالات وأشدها أو للملة أو للطريقة وأينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذى تجده مع الحذف لما فى ابهام الموصوف لحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه انتهى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات قيد فى الايمان الكامل اذ العمل هو كمال الايمان نبه على الحالة الكاملة ليتحلى بها المؤمن والمؤمن المفرط فى عمله له بايمانه حظ فى عمل الصالحات والأجر الكبير الجنة * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة (قلت) كان الناس حينئذ اما مؤمن تقى واما مشرك وانما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك انتهى وهذا مكابرة بل وقع فى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض المؤمنين هنات وسقطات بعضها مذكور فى القرآن وبعضها مذكور فى الحديث الصحيح الثابت وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على قوله ان لهم أجرا كبيرا بشروا بفوزهم بالجنة وبكينونة العذاب الاليم لأعدائهم الكفار اذ فى علم المؤمنين بذلك وتبشيرهم به مسرة لهم فهما بشارتان وفيه وعيد للكفار * وقال الزمخشرى ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا يؤمنون انتهى فلا يكون اذ ذاك داخلا تحت البشارة وفى قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة دليل على ان من آمن بالآخرة لا يعد له عذاب أليم وانه ليس عمل الصالحات شرطا فى نجاته من العذاب * وقرأ الجمهور ويبشر مشددا مضارع بشر المشدد * وقرأ عبد الله وطلحة وابن وثاب والأخوان ويبشر مضارع بشر المخفف ومعنى أعتدنا أعددنا وهيأنا وهذه الآية جاءت عقب ذكر أحوال اليهود واندرجوا فيمن لا يؤمن بالآخرة لان أكثرهم لا يقول بالثواب والعقاب الجسمانى وبعضهم قال لن تمسنا النار الا أياما معدودة فلم يؤمنوا بالآخرة حقيقة الايمان بها * ويدع الانسان قال ابن عباس ومجاهد وقتادة نزلت ذامة لما يفعله الناس من الدعاء على أموالهم وأبنائهم فى أوقات الغضب والضجر ومناسبتها لما قبلها ان بعض من لا يؤمن بالآخرة كان يدعو على نفسه بتعجيل ماوعد به من الشر فى الآخرة كقول النضر فأمطر علينا حجارة الآية وكتب ويدع بغير واو على حسب السمع والانسان هنا ليس واحدا معينا والمعنى ان فى طباع الانسان انه اذا ضجر وغضب دعا على نفسه وأهله وماله بالشر أن يصيبه كما يدعو بالخير أن يصيبه ثم ذكر تعالى ان ذلك من عدم تثبته وقلة صبره وعن سلمان الفارسى وابن عباس أشار به الى آدم لما نفخ الروح فى رأسه عطس وأبصر فلما مشى الروح فى بدنه قبل ساقه أعجبته نفسه فذهب يمشى مستعجلا فلم يقدر أو المعنى ذو عجلة موروثة من أبيكم انتهى وهذا القول تنبو عنه ألفاظ

رسولا * فيكذب ولا يؤمن بما جاء به من عند الله وانتفاء التعذيب أعم من أن يكون فى الدنيا بالهلاك وغيره من العذاب أو فى الآخرة بالنار فهو يشملهما

(الدر)

(ش) فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقى واما مشرك وانما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك (ح) هذه مكابرة بل قد وقع فى زمان الرسول من بعض المؤمنين هنات وسقطات بعضها مذكور فى القرآن وبعضها فى الحديث الصحيح الثابت

الآية * وقالت فرقة هذه الآية ذم لقريش الذين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وكان الأولى أن يقولوا فاهدنا اليه وارحمنا * وقالت فرقة هي معاتبة للناس على انهم اذا نالهم شر وضر دعوا والحوا في الدعاء واستعجلوا الفرج مثل الدعاء الذي كان يجب أن يدعوه في حالة الخير اى والباء في بالشر وبالخير على هذا بمعنى في والمدعو به ليس الشر ولا الخير ويراد على هذا أن تكون حالتاه في الشر والخير متساويتين في الدعاء والتضرع لله والرغبة والذكر وينبو عن هذا المعنى قوله دعاءه اذ هو مصدر تشبيهي يقتضي وجوده وفي هذا القول شبه دعاءه في حالة الشر بدعاء مقصود كان ينبغي أن يوجد في حالة الخير * وقيل المعنى ويدع الانسان في طلب المحرم كما يدعو في طلب المباح وجعلنا الليل والنهار آيتين لما ذكر تعالى القرآن وأنه هاد الى الطريقة المستقيمة ذكر ما أنعم به مما لم يكمل الانتفاع الا به ومادل على توحيده من عجائب العالم العلوي وأيضا لما ذكر عجلة الانسان وانتقاله من حال الى حال ذكر ان كل هذا العالم كذلك في الانتقال لا يثبت على حال فنور عقب ظلمة وبالعكس وازدياد نور وانتقاص والظاهر ان الليل والنهار مفعول أول لجعل بمعنى صير وآيتين ثاني المفعولين ويكونان في أنفسهما آيتين لأنهما علامتان للنظر والعبرة وتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النار مبصرة * وقيل هو على حذف مضاف فقدره بعضهم وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين وقدره بعضهم وجعلنا ذوي الليل والنهار أي صاحبي الليل والنهار وعلى كلا التقديرين يراد به الشمس والقمر ويظهر ان آيتين هو المفعول الأول والليل والنهار ظرفان في موضع المفعول الثاني أي وجعلنا في الليل والنهار آيتين * وقال الكرماني ليس جعل هنا بمعنى صير لأن ذلك يقتضي حالة تقدمت نقل الشئ عنها الى حالة أخرى ولا بمعنى سمى وحكم والآية فيها اقبال كل واحد منهما وادباره من حيث لا يعلم ونقصان أحدهما بزيادة الآخر وضوء النهار وظلمة الليل فمحونا آية الليل اذا قلنا ان الليل والنهار هما المجعولان آيتين فمحو آية الليل عبارة عن السواد الذي فيه بل خلق أسود من أول حاله ولا تقتضي الفاء تعقيبا وهذا كما يقول بنيت داري فبدأت بالأس واذا قلنا ان الآيتين هما الشمس والقمر فقيل محو القمر كونه لم يجعل له نورا * وقيل محوه طلوعه صغيرا ثم ينمو ثم ينقص حتى يستتر * وقيل محوه نقصه عما كان خلق عليه من الاضاءة وأنه جعل نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر حتى صار على جزء واحد وجعل ما محي منه زائدا في نور الشمس وهذا مروي عن علي وابن عباس * وقال ابن عيسى جعلناها لا تبصر المرئيات فيها كما لا يبصر ما محي من الكتاب قال وهذا من البلاغة الحسنة جدا * وقال الزمخشري فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان منه شئ كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا أي يبصر فيه الأشياء وتستبان أو فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاع كشعاع الشمس فترى به الأشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شئ انتهى ونسب الابصار الى آية النهار على سبيل المجاز كما تقول ليل قائم ونائم أي يقام فيه وينام فيه فالمعنى يبصر فيها * وقيل معنى مبصرة مضيئة * وقيل هو من باب أفعل والمراد به غير من أسند أفعل اليه كقولهم أجبن الرجل اذا كان أهله جبناء وأضعف اذا كان دوابه ضعافا فأبصرت الآية اذا كان أصحابها بصراء * وقرأ قتادة وعلي ابن الحسين مبصرة بفتح الميم والصاد وهو مصدر أقيم مقام الاسم وكثر مثل ذلك في صفات الأمكنة

كقولهم أرض مسبعة ومكان مضبة وعلل المحو والابصار بابتغاء الفضل وعلم عدد السنين والحساب وولي التعليل بالابتغاء ماوليه من آية النهار وتأخر التعليل بالعلم عن آية الليل وجاء في قوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله البداءة بتعليل المتقدم ثم تعليل المتأخر بالعلة المتأخرة وهما طريقان تقدم الكلام عليهما ومعنى لتبتغوا لتتوصلوا الى استبانة أعمالكم وتصرفكم في معايشكم والحساب للشهور والأيام والساعات ومعرفة ذلك في الشرع انما هو من جهة آية الليل لامن جهة آية النهار وكل شئ مماتفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه تبيينا غير ملتبس والظاهران نصب وكل شئ على الاشتغال وكان ذلك أرجح من الرفع لسبق الجملة الفعلية في قوله وجعلنا الليل والنهار وأبعد من ذهب الى أن وكل شئ معطوف على قوله والحساب والطائر * قال ابن عباس ماقدرله وعليه وخاطب الله العرب في هذه الآية بماتعرف اذ كان من عادتها التيمن والتشاؤم بالطير في كونها سانحة وبارحة وكثر ذلك حتى فعلته بالظباء وحيوان الفلاة وسمى ذلك كله تطيرا وكانت تعتقد أن تلك الطيرة قاضية بمايلقى الانسان من خير وشر فأخبرهم الله تعالى في أوجز لفظ وأبلغ اشارة أن جميع مايلقى الانسان من خير وشر فقدسبق به القضاء وألزم حظه وعمله ومكسبه في عنقه فعبر عن الحظ والعمل اذهما متلازمان بالطائر قاله مجاهد وقتادة بحسب معتقد العرب في التطير وقولهم في الأمور على الطائر الميمون و بأسعد طائر ومنه ماطار في المحاصة والسهم ومنه فطار لنامن القادمين عثمان بن مظعون أي كان ذلك حظنا وعن ابن عباس طائره عمله وعن السدى كتابه الذى يطير اليه وعن أبي عبيدة الطائر عند العرب الحظ وهو الذى تسميه البخت وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذابعثت قلدتها في عنقك وخص العنق لأنه محل الزينة والشين فان كان خيرا زانه كما يزين الطوق والحلى وان كان شرا شانه كالغل في الرقبة * وقرأ مجاهد والحسن وأبو رجاء طيره * وقرئ في عنقه بسكون النون * وقرأ الجمهور ومنهم أبو جعفر ونخرج بنون مضارع أخرج * كتابا بالنصب وعن أبي جعفر أيضا ويخرج بالياء مبنيا للمفعول كتابا أي ويخرج الطائر كتابا وعنه أيضا كتاب بالرفع على أنه مفعول مالم يسم فاعله * وقرأ الحسن وابن محيصن ومجاهد ويخرج بفتح الياء وضم الراء أي طائره كتابا الا الحسن فقرأ كتاب على أنه فاعل يخرج * وقرأت فرقة ويخرج بضم الياء وكسر الراء أي ويخرج الله * وقرأ الجمهور يلقاه بفتح الياء وسكون اللام * وقرأ ابن عامر وأبو جعفر والجحدرى والحسن بخلاف عنه يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف منشورا غير مطوى ليمكنه قراءته ويلقاه ومنشورا صفتان لكتاب ويجوز أن يكون منشورا حالا من مفعول يلقاه اقرأ كتابك معمول لقول محذوف أي يقال له اقرأ كتابك * وقال قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا * وقال الزمخشرى وغيره وبنفسك فاعل كفى انتهى وهذا مذهب الجمهور والباء زائدة على سبيل الجواز لا اللزوم ويدل عليه انه اذا حذفت ارتفع ذلك الاسم بكفى * قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * وقال آخر

ويخبرني عن غائب المرء هديه * كفى الهدى عماغيب المرء مخبرا

* وقيل فاعل كفى ضمير يعود على الاكتفاء أي كفى هو أي الاكتفاء بنفسك * وقيل كفى اسم فعل بمعنى اكتف والفاعل مضمر يعود على المخاطب وعلى هذين القولين لاتكون الباء زائدة واذا فرعنا على قول الجمهور ان بنفسك هو فاعل كفى فكان القياس أن تدخل تاء التأنيث لتأنيث الفاعل فكان يكون التركيب كفت بنفسك كما تلحق مع زيادة من في الفاعل اذا كان مؤنثا كقوله

(الدر)

(ش) وبنفسك فاعل كفى (ح) هذا مذهب الجمهور والباء زائدة على سبيل الجواز لا اللزوم ويدل عليه انه اذا حذفت ارتفع ذلك الاسم بكفى قال * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * وقال آخر * ويخبرني عن غائب المرء هديه كفى الهدى عماغيب المرء مخبرا * وقيل فاعل كفى ضمير يعود على الاكتفاء أي كفى هو أي الاكتفاء بنفسك وقيل كفى اسم فعل بمعنى اكتف والفاعل مضمر يعود على المخاطب وعلى هذين القولين لاتكون الباء زائدة واذا فرعنا على قول الجمهور ان بنفسك هو فاعل كفى فكان القياس أن تدخل تاء التأنيث لتأنيث الفاعل فكان يكون التركيب كفت بنفسك كما تلحق مع زيادة من في الفاعل اذا كان مؤنثا كقوله تعالى ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها وقوله وماتأتيهم من آية ولاتحفظه جاء التأنيث في كفى اذا كان الفاعل مؤنثا مجرورا بالباء

﴿ واذا أردنا أن نهلك قرية ﴾ الآية لما ذكر تعالى انه لا يعذب أحدا حتى يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك علة اهلاكهم وهى مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمادى على الفساد والفسق وأراد هنا على حقيقته وأن نهلك يعنى فى الدنيا وقرىء ﴿أمرنا﴾ بتخفيف الميم من الامر ومفعول أمر محذوف تقديره أمرنا بالطاعة ﴿مترفيها﴾ ويجوز أن تكون أمرنا بمعنى كثرنا تقول العرب أمر القوم بكسر الميم أى كثروا وأمرهم الله بفتح الميم أى كثرهم فصارت الحركة يصير بها الفعل متعديا تقول العرب شترت عين الرجل بكسر التاء وشترها الله بفتح التاء والقول الذى حق عليهم هو وعيد الله الذى قاله رسولهم * والتدمير الاهلاك مع طمس الاثر وهدم البناء مع هلاك أهلها وقرىء آمرنا بالمد أى كثرنا عدى أمر بالهمزة بمعنى كثرنا وقرىء أمرنا بالتشديد أى جعلناهم أمراء أو بمعنى كثرنا وكم فى موضع نصب على المفعول بأهلكنا أى كثيرا من القرون أهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما تميز العدد بالجنس والقرون عاد وثمود وغيرهم ويعنى بالاهلاك هنا الاهلاك بالعذاب وفى ذلك تهديد ووعيد لمشركى مكة وقال من بعد نوح ولم يقل من بعد آدم لان نوحا صلى الله عليه وسلم أول نبى بالغ قومه فى تكذيبه وقومه أول من حلت بهم العقوبة العظمى وهو الاستئصال بالطوفان وتقدم القول فى عمر القرن ومن الأولى للتبيين والثانية لابتداء الغاية وتعلقا بأهلكنا لاختلاف معنيهما وكفى بربك انما يجىء فى الأغلب فى مدح أو ذم واعراب كفى بربك كاعراب كفى بالله وبذنوب عباده تنبيه على أن الذنوب هى أسباب الهلكة ﴿وخبيرا بصيرا﴾ تنبيه على أنه عالم بها ومعاقب عليها ويتعلق بذنوب بخبيرا أو ببصيرا ﴿من كان يريد العاجلة﴾ قيل نزلت فى المنافقين كانوا يغزون مع المسلمين

تعالى ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها وقوله وما تأتيهم من آية ولا تحفظه جاء التأنيث فى كفى اذا كان الفاعل مؤنثا مجرورا بالباء والظاهر ان المراد بنفسك ذاتك أى كفى بك * وقال مقاتل يريد بنفسه جوارحه تشهد عليه اذا أنكر * وقال أبو عبيد أى ما أشد كفاية ما علمت بما عملت واليوم منصوب بكفى وعليك متعلق بحسيبا ومعنى حسيبا حاكما عليك بعملك قاله الحسن * قال يا ابن آدم لقد أنصفك الله وجعلك حسيب نفسك * وقال الكلبى محاسبا يعنى فعيلا بمعنى مفاعل كجليس وخليط * وقيل حاسبا كضريب القداح أى ضاربها وصريم بمعنى صارم يعنى انه بناء مبالغة كرحيم وحفيظ وذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضى والأمير لان الغالب ان هذه الأمور يتولاها الرجال وكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا * وقال الانبارى وانما قال حسيبا والنفس مؤنثة لانه يعنى بالنفس الشخص أو لانه لا علامة للتأنيث فى لفظ النفس فشبهت بالسماء والأرض قال تعالى السماء منفطر به * وقال الشاعر * ولا أرض أبقل ابقالها * من اهتدى الآية قالت فرقة نزلت الاشارة فى الهدى الى أبى سلمة بن عبد الأسود وفى الضلال الى الوليد بن المغيرة * وقيل نزلت فى الوليد هذا قال يا أهل مكة اكفروا بمحمد واثمكم على وتقدم تفسير ولا تزر وازرة وزر أخرى فى آخر الأنعام وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا غيا انتفاء التعذيب ببعثة الرسول عليه السلام والمعنى حتى يبعث رسولا فيكذب ولا يؤمن بما جاء به من عند الله وانتفاء التعذيب أعم من أن يكون فى الدنيا بالهلاك وغيره من العذاب أو فى الآخرة بالنار فهو يشملهما ويدل على الشمول قوله فى الهلاك فى الدنيا بعد هذه الآية واذا أردنا وفى آخره فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وآى كثيرة نص فيها على الهلاك فى الدنيا بأنواع من العذاب حين كذبت الرسل وقوله فى عذاب الآخرة كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير وكلما تدل على عموم أزمان الالقاء فتعم الملقين وقوله وان من أمة إلا خلا فيها نذير وذهب الجمهور الى أن هذا فى حكم الدنيا أى ان الله لا يهلك أمة بعذاب إلا من بعد الرسالة اليهم والانذار * قال الزمخشرى (فان قلت) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم أدلة العقل التى بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكونهم لذلك الاغفال الشرائع التى لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان (قلت) بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر فى أدلة العقل انتهى * وقال مقاتل المعنى وما كنا مستأصلين فى الدنيا لما اقتضته الحكمة الالهية حتى يبعث رسولا اقامة للحجة عليهم وقطعا للعذر عنهم كما فعلنا بعاد وثمود والمؤتفكات وغيرها ﴿ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة

لا للثواب ومن شرطيــة و جوابه عجلنا له فيها ما نشاء فقيد المعجل بمشيئته أي ما نشاء تعجيله ولمن نريد بدل من قوله له بدل بعض من كل لان الضمير في له عائد على من الشرطية وهي في معنى الجمع ولكن جاءت الضمائر هنا على اللفظ لا على المعنى وجعلنا بمعنى صيرنا والمفعول الاول جهنم والثاني له لانه ينعقد منهما مبتدأ وخبر و يصلاها حال من الضمير في له أو من جهنم ﴿مذموما﴾ اشارة الى الاهانة ﴿مدحورا﴾ اشارة الى البعد والطرد من رحمة الله تعالى وهما حالان من الضمير المستكن في يصلاها ﴿ومن أراد الآخرة﴾ أي ثواب الآخرة بأن يؤثرها على الدنيا و يعقد ارادته بها ﴿وسعى﴾ فيما كلف من الأعمال والأقوال ﴿سعيها﴾ أي السعي المعد للنجاة فيها ﴿وهو مؤمن﴾ هو الشرط الاعظم في النجاة فلا ينفع ارادة ولا سعي الا بحصوله وفي الحقيقة هو الناشئ عنه ارادة الآخرة والسعي للنجاة فيها وحصول الثواب ﴿فاولئك﴾ اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف وراعى معنى من فلذلك كان بلفظ الجمع والله تعالى يشكرهم على طاعتهم وهو تعالى هو المشكور على ما أعطى وانتصب كلا بنمد والامداد المواصلة بالشيء وهؤلاء وهؤلاء بدلان من كلا بدل تفصيل وقدره الزمخشري كل واحد من الفريقين نمد وأعربوا هؤلاء بدلا من كلا ولا يصح أن يكون بدلا من كلا على تقدير كل واحد لانه يكون اذ ذاك بدل كل من بعض فينبغي أن يكون التقدير كل الفريقين فيكون بدل كل من كل على جهة التفصيل والظاهر أن هذا الامداد هو في الرزق في الدنيا ويدل على هذا التأويل ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾ أي رزقه لا يضيق عن مؤمن (١٧) ولا كافر ومعنى محظورا أي ممنوعا والظاهر ان ﴿أنظر﴾ بصرية لان التفاوت في الدنيا مشاهد و ﴿كيف﴾ سؤال عن الهيئة منصوب ﴿بفضلنا﴾ والجملة في موضع نصب على اسقاط حرف الجر وهو الى ويجوز أن يكون أنظر من نظر القلب فيكون حرف الجر المقدر لفظه في والتفضيل هنا في الدنيا ودرجات منصوبا على التمييز والمفضل عليه محذوف

عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ لما ذكر تعالى انه لا يعذب أحدا حتى يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك علة اهلاكهم وهي مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والتمادي على الفساد ﴿ وقال الزمخشري واذا أردنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان اهلاكهم الا قليل انتهى فتؤول أردنا على معنى دنا وقت اهلاكهم وذلك على مذهب الاعتزال ﴿ وقرأ الجمهور أمرنا وفي هذه القراءة قولان ﴿ أحدهما وهو الظاهر انه من الأمر الذي هو ضد النهي واختلف في متعلقه فذهب الأكثرون منهم ابن عباس وابن جبير الى أن التقدير أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ﴿ وذهب الزمخشري الى أن التقدير أمرناهم بالفسق ففسقوا ورد على من قال أمرناهم بالطاعة فقال أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لان حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون

 تقديره من درجات الدنيا وتفضيلها والخطاب في ﴿لا تجعل﴾ للسامع المخاطب غير الرسول ﴿فتقعد﴾ قال الفراء وتبعه الزمخشري فتقعد بمعنى فيصير فيكون اسمها ضمير المخاطب وخبرها ﴿مذموما﴾ وحكى الكسائي عن العرب قعد لا يسأل حاجة الا قضاها وأصحابنا لا يجعلون قعد بمعنى صار الا في المثل في قولهم شحذ شفرته حتى قعدت كأنها حربة أي صارت ومذموما حال عندهم من الضمير المستكن في فتقعد و يؤولونه على معنى فيثبت و يسكن في حال الذم

(الدر) (ش) أي أمرناهم بالفسق ففسقوا والامر مجاز لان حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم أفسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازا و وجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا و يعملوا فيها الخير و يتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم ﴿ فان قلت هلا زعمت ان معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا ﴿ قلت لان حذف ما لا دليل عليه لا يجوز فكيف بحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه الا أن المأمور به قيام وقراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم أمرته

(الدر)   فعصانى أوفلم يمتثل أمرى لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ماينا قض الامر مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به فى هذا الكلام غير مدلول عليه ولامنوى لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لاينوى لامره مأمورا به وكأنه يقول كان منى أمر فلم يكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطى و يمنع و يأمر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان لثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا على ان المراد أمرناهم بالخير ففسقوا قلت لايصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك أظهرت شيأ وأنت تدعى اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير أمر شاء فى أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة مابعده عليه تقول لوشاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء تريد لوشاء الاحسان ولوشاء الاساءة فلوذهبت تضمر خلاف ماأظهرت وقلت قددلت حال من أسندت اليه المشيئة انه من أهل الاحسان أومن أهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر مادلت عليه حال صاحب المشيئة لم يكن على سداد

(ح) اماما ارتكبه من المجاز وهو أن أمرنا مترفيها صببنا عليهم النعمة فبعيد جدا وأماقوله وأقدرهم على الخير والشر الى آخره فمذهب الاعتزال وقوله لان حذف مالادليل عليه غير جائز تعليل لايصح فيمانحن بسبيله بل ثم مايدل

على حذفه وقوله فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه الى قوله علم الغيب فنقول حذف الشئ تارة يكون لدلالة موافقه عليه ومنه مامثل به فى قوله أمرته فقام وأمرته فقرأ وتارة يكون لدلالة خلافه أوضده أونقيضه فمن ذلك قوله تعالى وله ماسكن فى الليل والنهار قالوا تقديره ماسكن وماتحرك وقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قالوا تقيكم الحر والبرد وقول الشاعر

وماأدرى اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يلينى
أ ألخير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى هو يبتغينى

تقديره أريد الخير وأجتنب الشر وتقول أمرته فلم يحسن فليس المعنى امرته بعدم الاحسان فلم يحسن بل المعنى أمرته بالاحسان فلم يحسن وهذه الآية من هذا القبيل يستدل على حذف النقيض باثبات نقيضه ودلالة النقيض على النقيض كدلالة النظير على النظير وكذلك أمرته فأساء الى ليس المعنى أمرته بالاساءة فأساء الى انما يفهم منه أمرته بالاحسان فأساء الى وقوله فلايلزم هذا قولهم أمرته فعصانى تقول بل يلزم وقوله لان ذلك مناف أى لان العصيان مناف وهو كلام صحيح وقوله فكان المأمور به غير مدلول عليه ولامنوى هذا لايسلم بل هو مدلول عليه ومنوى لادلالة الموافق بل دلالة الناقض كما بيناوأماقوله لأن من يتكلم بهذا الكلام فانه لاينوى لامره مأمورا به فهذا أيضا لايسلم وقوله فى جواب السؤال لان قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيأ وأنت تدعى اضمار خلافه قلنا نعم ندعى اضمار خلافه ودل على ذلك نقيضه ونظير أمر شاء فى ان مفعوله استفاض فيه الحذف قلت ليس نظيره لان مفعول أمر لم يستفض فيه الحذف لدلالة مابعده عليه بل لا يكاد يستعمل مثل شاء محذوفا مفعوله لدلالة مابعده عليه وأ كثر استعماله مثبت المفعول لانتفاء الدلالة على حذفه قال تعالى قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أمران لاتعبدوا الا اياه أم تأمرهم أحلامهم بهذا قل أمر ربى بالقسط أنسجد لما تأمرنا أى به ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة وقال الشاعر

أمرتك الخير فافعل ماأمرت به *

فبقى أن يكون مجازا و وجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصى واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم إياها ليشكروا و يعملوا فيها الخير و يتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية وآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهى كلمة العذاب فدمرهم (فان قلت) هلا زعمت ان معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا (قلت) لان حذف مالادليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لايفهم منه الا أن المأمور به قيام أوقراءة ولوذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولايلزم هذا قولهم أمرته فعصانى أوفلم يمتثل أمرى لان ذلك مناف للأمر مناقض له ولا يكون ماينا قض الامر مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به فى هذا الكلام غير مدلول عليه ولامنوى لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لاينوى لأمره مأمورا به وكأنه يقول كان منى أمر فلم يكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطى و يمنع و يأمر و ينهى غير قاصد الى مفعول (فان قلت) هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالخير

ففسقوا (قلت) لايصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيأ وأنت تدعى اضمار خلافه فكان صرف الأمر الى المجاز هو الوجه ونظير أمر شاء فى أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة مابعده عليه تقول لوشاء لأحسن اليك ولوشاء لأساء اليك تريد لوشاء الاحسان ولوشاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت وقلت قد دلت حال من أسندت اليه المشيئة انه من أهل الاحسان أومن أهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر مادلت عليه حال صاحب المشيئة لم يكن على سداد انتهى أما ماارتكبه من المجاز وهو ان أمرنا مترفيها صببنا عليهم النعمة صبا فيبعد جدا وأما قوله وأقدرهم على الخير والشر الى آخره فذهب الاعتزال وقوله لان حذف مالادليل عليه غير جائز تعليل لايصح فيما نحن بسبيله بل ثم مايدل على حذفه وقوله فكيف يحذف ماالدليل قائم على نقيضه الى قوله علم الغيب فنقول حذف الشئ تارة يكون لدلالة موافقه عليه ومنه مامثل به فى قوله أمرته فقام وأمرته فقرأ وتارة يكون لدلالة خلافه أوضده أونقيضه فن ذلك قوله تعالى وله ماسكن فى الليل والنهار قالوا تقديره ماسكن وماتحرك وقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قالوا الحر والبرد * وقول الشاعر

وما أدرى اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يلينى

أ الخير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى هو يبتغينى

تقديره أريد الخير وأجتنب الشر وتقول أمرته فلم يحسن فليس المعنى أمرته بعدم الاحسان فلم يحسن بل المعنى أمرته بالاحسان فلم يحسن وهذه الآية من هذا القبيل يستدل على حذف النقيض باثبات نقيضه ودلالة النقيض على النقيض كدلالة النظير على النظير وكذلك أمرته فأساء الى ليس المعنى أمرته بالاساءة فأساء الى انما يفهم منه أمرته بالاحسان فأساء الى وقوله ولايلزم هذا قولهم أمرته فعصانى * نقول بل يلزم وقوله لان ذلك مناف أى لان العصيان مناف وهو كلام صحيح وقوله فكان المأمور به غير مدلول عليه ولامنوى هذا لايسلم بل هو مدلول عليه ومنوى لادلالة الموافق بل دلالة المناقض كما بينا وأما قوله لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لاينوى لأمره مأمورا به هذا أيضا لايسلم وقوله فى جواب السؤال لان قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيأ وأنت تدعى اضمار خلافه * قلنا نعم ندعى اضمار خلافه ودل على ذلك نقيضه وقوله ونظير أمر شاء فى أن مفعوله استفاض فيه الحذف * قلت ليس نظيره لان مفعول أمر لم يستفض فيه الحذف لدلالة مابعده عليه بل لا يكاد يستعمل مثل شاء محذوفا مفعوله لدلالة مابعده عليه وأكثر استعماله مثبت المفعول لانتفاء الدلالة على حذفه قال تعالى قل ان الله لايأمر بالفحشاء أمر أن لاتعبدوا إلا إياه أم تأمرهم أحلامهم بهذا قل أمر ربى بالقسط أنسجد لما تأمرنا أى به ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة * وقال الشاعر * أمرتك الخير فافعل ماأمرت به *

وقال أبو عبدالله الرازى ولقائل أن يقول كما ان قوله أمرته فعصانى يدل على أن المأمور به شئ غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المأمور به فكونه فسقا ينافى كونه مأمورا به كما ان كونه معصية ينافى كونها مأمورا بها فوجب أن يدل هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق هذا الكلام فى غاية الظهور فلا أدرى لم أصر صاحب الكشاف على قوله مع ظهور فساده فثبت ان الحق ماذكروه وهو ان المعنى أمرناهم بالأعمال الصالحة وهى الايمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك عنادا وأقدموا على الفسق انتهى * القول الثانى ان معنى أمرنا كثرنا أى كثرنا مترفيها

يقال أمر الله القوم أي كثرهم حكاه أبو حاتم عن أبي زيد * وقال الواحدي العرب تقول أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله إذا كثرهم انتهى * وقال أبو علي الفارسي الجيد في أمرنا أن يكون بمعنى كثرنا واستدل أبو عبيدة على صحة هذه اللغة بما جاء في الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النسل يقال أمر الله المهرة أي كثر ولدها ومن أنكر أمر الله القوم بمعنى كثرهم لم يلتفت اليه لثبوت ذلك لغة ويكون من باب مالزم وعدى بالحركة المختلفة إذ يقال أمر القوم كثروا وأمرهم الله كثرهم وهو من باب المطاوعة أمرهم الله فأمروا كقولك شتر الله عينه فشترت وجدع أنفه وثلم سنه فثلمت * وقرأ الحسن ويحيي بن يعمر وعكرمة أمرنا بكسر الميم وحكاها النحاس وصاحب اللوامح عن ابن عباس ورد الفراء هذه القراءة لايلتفت اليه اذ نقل انها لغة كفتح الميم ومعناها كثرنا * حكى أبو حاتم عن أبي زيد يقال أمر الله ماله وأمره أي كثره بكسر الميم وفتحها * وقرأ علي ابن أبي طالب وابن أبي اسحق وأبو رجاء وعيسى بن عمر وسلام وعبد الله بن أبي يزيد والكلبي آمرنا بالمد وجاء كذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة وأبي العالية وابن هرمز وعاصم وابن كثير وأبي عمرو ونافع وهو اختيار يعقوب ومعناه كثرنا يقال أمر الله القوم وآمرهم فتعدى بالهمزة * وقرأ ابن عباس وأبو عثمان النهدي والسدي وزيد بن علي وأبو العالية أمرنا بتشديد الميم وروي ذلك عن علي والحسن والباقر وعاصم وأبي عمرو وعدى أمر بالتضعيف والمعنى أيضا كثرنا وقد يكون أمرنا بالتشديد بمعنى وليناهم وصيرناهم أمراء واللازم من ذلك أمر فلان اذا صار أميرا أي ولي الأمر * وقال أبو علي الفارسي لاوجه لكون أمرنا من الامارة لان رياستهم لاتكون الا لواحد بعد واحد والاهلاك انما يكون في مدة واحد منهم وماقاله أبو علي لايلزم لانا لانسلم ان الأمير هو الملك بل كونه ممن يأمر ويؤتمر به والعرب تسمي أميرا من يؤتمر به وان لم يكن ملكا ولئن سلمنا انه أريد به الملك فلا يلزم ماقال لان القرية اذا ملك عليها مترف ثم فسق ثم آخر ففسق ثم كذلك كثر الفساد وتوالى الكفر ونزل بهم على الآخر من ملوكهم ورأيت في النوم اني قرأت وقرئ بحضرتي واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها الآية بتشديد الميم فأقول في النوم ما أفصح هذه القراءة والقول الذي حق عليهم هو وعيد الله الذي قاله رسولهم * وقيل القول لاملان وهؤلاء في النار ولا أبالي * والتدمير الاهلاك مع طمس الأثر وهدم البناء * وكم في موضع نصب على المفعول بأهلكنا أي كثيرا من القرون أهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس والقرون عاد وثمود وغيرهم ويعني بالاهلاك هنا الاهلاك بالعذاب وفي ذلك تهديد ووعيد لمشركي مكة وقال من بعد نوح ولم يقل من بعد آدم لأن نوحا أول نبي بالغ قومه في تكذيبه وقومه أول من حلت بهم العقوبة العظمى وهي الاستئصال بالطوفان وتقدم القول في عمر القرن ومن الأولى للتبيين والثانية لابتداء الغاية وتعلقا بأهلكنا لاختلاف معنييهما * وقال الحوفي من بعد نوح من الثانية بدل من الاولى انتهى وهذا ليس بجيد * وقال ابن عطية هذه الباء يعني في وكفى بربك انما تجيء في الأغلب في مدح أوذم انتهى وبذنوب عباده تنبيه على ان الذنوب هي أسباب الهلكة وخبيرا بصيرا تنبيه على انه عالم بها فيعاقب عليها ويتعلق بذنوب بخبيرا أو ببصيرا * وقال الحوفي تتعلق بكفى انتهى وهذا وهم والعاجلة هي الدنيا ومعنى ارادتها ايثارها على الآخرة ولابد من تقدير حذف دل عليه المقابل في قوله ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فالتقدير من كان يريد العاجلة وسعى لها سعيها وهو كافر * وقيل المراد من كان يريد العاجلة بعمل الآخرة كالمنافق

والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه وقال عليه الصلاة والسلام من طلب الدنيا بعمل الآخرة فماله في الآخرة من نصيب * وقيل نزلت في المنافقين وكانوا يغزون مع المسلمين للغنيمة لا للثواب ومن شرط وجوابه عجلنا له فيها مانشاء فقيد المعجل بمشيئته أي مانشاء تعجيله ولمن نريد بدل من قوله له بدل بعض من كل لان الضمير في له عائد على من الشرطية وهي في معنى الجمع ولكن جاءت الضمائر هنا على اللفظ لا على المعنى فقيد المعجل بارادته فليس من يريد العاجلة يحصل له ما يريده ألا ترى ان كثيرا من الناس يختارون الدنيا ولا يحصل لهم منها الا ماقسمه الله لهم وكثيرا منهم يتمنون النزر اليسير فلا يحصل لهم ويجمع لهم شقاوة الدنيا وشقاوة الآخرة * وقرأ الجمهور مانشاء بالنون وروى عن نافع مايشاء بالياء * فقيل الضمير في يشاء يعود على الله وهو من باب الالتفات فقراءة النون والياء سواء * وقيل يجوز أن يعود على من العائد عليها الضمير في له وليس ذلك عاما بل لا يكون له مايشاء الا آحاد أراد الله لهم ذلك والظاهر ان الضمير في لمن نريد يقدر مع تقديره مضاف محذوف يدل عليه ماقبله أي لمن نريد تعجيله له أي تعجيل مانشاء * وقال أبو اسحاق الفزاري المعنى لمن نريد هلكته وماقاله لا يدل عليه لفظ في الآية وجعلنا بمعنى صيرنا والمفعول الأول جهنم والثاني له لانه ينعقد منهما مبتدأ وخبر فتقول جهنم للكافرين كما قال هؤلاء للنار وهؤلاء للجنة ويصلاها حال من جهنم * وقال أبو البقاء أو من الضمير الذي في له * وقال صاحب الغنيان مفعول جعلنا الثاني محذوف تقديره مصيرا أو جزاء انتهى * مذموما اشارة الى الاهانة * مدحورا اشارة الى البعد والطرد من رحمة الله * ومن أراد الآخرة أي ثواب الآخرة بأن يؤثرها على الدنيا ويعقد ارادته بها وسعى فيما كلف من الأعمال والأقوال سعيها أي السعي المعد للنجاة فيها * وهو مؤمن هو الشرط الأعظم في النجاة فلا تنفع ارادة ولا سعي الا بحصوله وفي الحقيقة هو الناشئ عنه ارادة الآخرة والسعي للنجاة فيها وحصول الثواب وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية فأولئك اشارة الى من اتصف بهذه الأوصاف وراعى معنى من فلذلك كان بلفظ الجمع والله تعالى يشكرهم على طاعتهم وهو تعالى المشكور على ما أعطى من العقل وانزال الكتب وايضاح الدلائل وهو المستحق للشكر حقيقة ومعنى شكره تعالى المطيع الاثناء عليه وثوابه على طاعته وانتصب كلا بنمد والامداد المواصلة بالشئ والمعنى كل واحد من الفريقين نمد كذا قدره الزمخشري وأعربوا هؤلاء بدلا من كلا ولا يصح أن يكون بدلا من كل على تقدير كل واحد لأنه يكون اذ ذاك بدل كل من بعض فينبغي أن يكون التقدير كل الفريقين فيكون بدل كل من كل على جهة التفصيل والظاهر ان هذا الامداد هو في الرزق في الدنيا وهو تأويل الحسن وقتادة أي ان الله يرزق في الدنيا مريدي العاجلة الكافرين ومريدي الآخرة المؤمنين ويمد الجميع بالرزق وانما يقع التفاوت في الآخرة ويدل على هذا التأويل وما كان عطاء ربك محظورا أي ان رزقه لا يضيق عن مؤمن ولا كافر وعن ابن عباس ان معنى من عطاء ربك من الطاعات لمريد الآخرة والمعاصي لمريد العاجلة فيكون العطاء عبارة عما قسم الله للعبد من خير أو شر وينبو لفظ العطاء على الامداد بالمعاصي والظاهر ان انظر بصرية لان التفاوت في الدنيا مشاهد وكيف في موضع نصب بعد حذف حرف الجر لان نظر يتعدى به فانظر هنا معلقة ولما كان النظر مفضيا وسببا الى العلم جاز أن يعلق ويجوز أن يكون انظر من نظر الفكر فلا كلام في تعليقه اذ هو

(الدر)

(ح) انتصب كلا بنمد والامداد المواصلة بالشئ والمعنى كل واحد من الفريقين نمد كذا قدره (ش) وأعربوا هؤلاء بدلا من كلا ولا يصح أن يكون بدلا من كلا على تقدير كل واحد لانه يكون اذ ذاك بدل كل من بعض فينبغي أن يكون التقدير كل الفريقين فيكون بدل كل من كل على جهة التفصيل

فعل قلبي والتفضيل هنا عبارة عن الطاعات المؤدية الى الجنة والمفضل عليهم الكفار كأنه قيل انظر في تفضيل فريق على فريق وعلى التأويل الأول كأنه قيل في تفضيل شخص على شخص من المؤمنين والكافرين والمفضول في قوله أكبر درجات وأكبر تفضيلا محذوف تقديره من درجات الدنيا ومن تفضيل الدنيا * وروى ان قوما من الاشراف ومن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر * وقرئ أكثر بالثاء المثلثة * وقال ابن عطية وقوله أكبر درجات ليس في اللفظ من أي شئ لكنه في المعنى ولا بد أكبر درجات من كل ما يضاف بالوجود أو بالفرض ورأى بعض العلماء ان هذه الدرجات والتفضيل انما هو فيما بين المؤمنين وأسند الطبري في ذلك حديثا نصه ان أنزل أهل الجنة وأسفلهم درجة كالنجم يرى في مشارق الارض ومغاربها وقد أرضى الله الجميع فما يغبط أحد أحدا والخطاب في لا تجعل للسامع غير الرسول * وقال الطبري وغيره الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد لجميع الخلق * فتقعد قال الزمخشري من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الذل والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له انتهى وما ذهب اليه من استعمال فتقعد بمعنى فتصير لا يجوز عند أصحابنا وقعد عندهم بمعنى صار مقصورة على المثل وذهب الفراء الى انه يطرد جعل قعد بمعنى صار وجعل من ذلك قول الراجز

لا يقنع الجارية الخضاب * ولا الوشاحان ولا الجلباب

من دون أن تلتقي الاركاب * ويقعد الاير له لعاب

* وحكى الكسائي قعد لا يسأل حاجة الا قضاها بمعنى صار فالزمخشري أخذ في الآية بقول الفراء والقعود هنا عبارة عن المكث أي فيمكث في الناس مذموما مخذولا كما تقول لمن سأل عن حال شخص هو قاعد في أسوأ حال ومعناه ماكث ومقيم وسواء كان قائما أم جالسا وقد يراد القعود حقيقة لأن من شأن المذموم المخذول أن يقعد حائرا متفكرا وعبر بغالب حاله وهي القعود * وقيل معنى فتقعد فتعجز والعرب تقول ما أقعدك عن المكارم والذم هنا لاحق من الله تعالى ومن ذوى العقول في أن يكون الانسان يجعل عودا أو حجرا أفضل من نفسه ويخصه بالكرامة وينسب اليه الألوهية ويشركه مع الله الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه والخذلان في هذا يكون باسلام الله ولا يكفل له بنصر والمخذول الذي لا ينصره من يحب أن ينصره وانتصب مذموما مخذولا على الحال وعند الفراء والزمخشري على أنه خبر لتقعد كلا اذكر بن مثنى معنى اتفاقا مفردا لفظا عند البصريين على وزن فعل كمعى فلامه ألف منقلبة عن واو عند الأكثر مثنى لفظا عند الكوفيين وتبعهم السهيلي فألفه للتثنية لا أصل ولامه لام محذوفة عند السهيلي ولا نص عن الكوفيين فيها ويحتمل أن تكون موضوعة على حرفين على أصل مذهبهم ولا تنفك عن الاضافة وان أضيف الى مظهر فألفه ثابتة مطلقا في مشهور اللغات وكنانة تجعله كمشهور المثنى أو الى مضمر فالمشهور قلب ألفه ياء نصبا وجرا والذي يضاف اليه مثنى أو ما في معناه وجاء التفريق في الشعر مضافا الظاهر وحفظ الكوفيون كلاى وكلاك قاما وتستعمل تابعا توكيدا ومبتدأ ومنصوبا ومجرورا ويخبر عنه اخبار المفرد فصيحا وربما وجب واخبار المثنى قليلا وربما وجب * وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه

(الدر)

(ش) فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الذل والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له (ح) ما ذهب اليه من استعمال فتقعد بمعنى فتصير لا يجوز عند أصحابنا وقعد عندهم بمعنى صار مقصورة على المثل وذهب الفراء الى أنه يطرد جعل قعد بمعنى صار وجعل من ذلك قول الراجز

* لا يقنع الجارية الخضاب ولا الوشاحان ولا الجلباب * من دون أن تلتقي الاركاب ويقعد الاير له لعاب * وحكى الكسائي قعد لا يسأل حاجة الا قضاها بمعنى صار فالزمخشري أخذ في الآية بقول الفراء رحمه الله

وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ * أف اسم فعل بمعنى أتضجر ولم يأت اسم فعل بمعنى المضارع الا قليلا نحو أف وأوه بمعنى أتوجع وكان قياسه أن لا يبنى لانه لم يقع موقع المبنى وذكر الزناتي في كتاب الحلل له ان في أف لغات تقارب الاربعين ونحن نسردها مضبوطة كما رأيناها وهي أف أف أف أف أف أف أفا أف أفا أف أف أف أف أفى بغير إمالة أفى بالامالة المحضة أفى بالامالة بين بين أفى أفو أفه أفه أفه أفه فهذا اثنان وعشرون مع الهمزة المضمومة إف إف إف إف إف إفا إف إف إفا إفى بالامالة إفى فهذه احدى عشرة مع الهمزة المكسورة أف أف آف آف أفى وذكر ابن عطية أفاه بهاء السكت وهي تمام الاربعين * النهر الزجر بصياح واغلاظ * قال العسكري وأصله الظهور ومنه النهر والانتهار وأنهر الدم أظهره وأساله وانتهر الرجل أظهر له الاهانة بقبح الزجر والطرد * وقال ابن عطية الانتهار اظهار الغضب في الصوت واللفظ * وقال الزمخشري النهي والنهر والنهم أخوات * التبذير الاسراف قاله أبو عبيدة يعني في النفقة وأصله التفريق ومنه سمي البذر بذرا لأنه يفرق في المزرعة * وقال الشاعر

ترائب يستضيء الحلي فيها * كجمر النار بذر بالظلام

﴿وقضى ربك﴾ الآية قال ابن عباس وجماعة قضى بمعنى أمر وأن حرف تفسير * وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون فى موضع نصب أى ألزم ربك عبادته ولا زائدة انتهى وهذا وهم لدخول الا على مفعول تعبدو يلزم أن يكون منفيا أو مبهما ولا تعبدوا نهى و ﴿احسانا﴾ مصدر بمعنى الامر عطف ما معناه أمر على نهى كما عطف فى قوله * يقولون لا تهلك أسى وتجمل * وقد اعتنى بالأمر بالاحسان الى الوالدين حيث قرن بقوله لا تعبدوا الا اياه وبتقديمهما اعتناء بهما على قوله احسانا ومناسبة اقتران بر الوالدين بافراد الله بالعبادة من حيث انه تعالى هو الموجد حقيقة والوالدان وساطة فى انشائه وهو تعالى المنعم بايجاده ورزقه وهما ساعيان فى مصالحه * وقال الزمخشرى اماهى ان الشرطية زيدت عليها ما توكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة فى الفعل ولو أفردت لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن إما تكرمنه انتهى * وهذا الذى ذكره مخالف لمذهب سيبويه لأن مذهبه أنه يجوز أن يجمع بين اما ونون التوكيد وأن تأتى بان وحدها ونون التوكيد وأن تأتى باما وحدها دون نون التوكيد وقال سيبويه فى هذه المسئلة وان شئت لم تقحم النون كما أنك ان شئت لم تجئ بما يعنى مع النون وعدمها وقرئ ﴿يبلغن﴾ بنون التوكيد وعند متعلق به و ﴿أحدهما﴾ فاعل بيبلغن ﴿أو كلاهما﴾ معطوف على أحد وقرئ يبلغان فالالف للتثنية والنون مشددة بعد ألف الاثنين وأحدهما بدل من الضمير وأو كلاهما فاعل بفعل محذوف تقديره أو يبلغ كلاهما والفاء فى فلا جواب الشرط * وقال الزمخشرى * فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان توكيدا لا بدلا فمالك زعمت أنه بدل * قلت لانه معطوف على مالا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم فى حكمه فوجب أن يكون مثله * فان قلت ماضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل * قلت لو أريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الأول * قال ابن عطية وعلى هذه القراءة الثالثة يعنى يبلغان يكون قوله أحدهما بدلا من الضمير فى يبلغان وهو بدل مقسم * كقول الشاعر

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

انتهى ويلزم من قوله أن يكون كلاهما معطوفا على أحدهما وهو بدل والمعطوف على البدل بدل والبدل مشكل لانه يلزم منه أن يكون المعطوف عليه بدلا واذا جعلت أحدهما بدلا من الضمير فلا يكون الا بدل بعض من كل واذا عطفت عليه كلاهما فلا جائز أن يكون بدل بعض من كل لان كلاهما مرادف للضمير من حيث التثنية فلا يكون بدل بعض من كل ولا جائز أن يكون بدل كل من كل لان المستفاد من الضمير التثنية وهو المستفاد من كلاهما فلم يفد البدل زيادة على المبدل منه * وأما قول ابن عطية وهو بدل مقسم كقول الشاعر

وكنت كذى رجلين البيت * فليس من بدل التقسيم لأن شرط ذلك العطف بالواو وأيضا فالبدل المقسم لا يصدق المبدل فيه على أحد قسميه وكلاهما يصدق عليه الضمير وهو المبدل منه فليس من البدل المقسم وقد ذكرنا تخريجه على اضمار فعل فتكون كلاهما فاعلا بذلك الفعل ﴿أف﴾ اسم فعل بمعنى أتضجر ولم يأت اسم فعل بمعنى المضارع الا قليلا نحو أف وأوه بمعنى أتوجع واذا كان قد نهى أن يستقبلهما بهذه اللفظة الدالة على الضجر والتبرم بهما فالنهى عما هو أشد كالشتم والضرب هو بجهة الأولى وفى أف لغات ذكرت فى البحر ولما نهاه تعالى أن يقول لهما ما مدلوله اتضجر منكما ارتقى الى النهى عما هو من حيث الوضع أشد من أف وهو نهرهما وان كان النهى عن نهرهما يدل عليه النهى عن قول أف لانه اذا نهى عن الادنى كان ذلك نهيا عن الأعلى بجهة الاولى والمعنى ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك وقل لهما بدل قول أف ونهرهما ﴿قولا كريما﴾ أى جامعا للمحاسن من البر وجودة اللفظ ثم أمره تعالى بالمبالغة فى التواضع معهما بقوله ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ وقال القفال فى تقديره

ويروى بدد أى فرق * المحسور قال الفراء تقول العرب بعير محسور اذا انقطع سيره وحسرت الدابة حتى انقطع سيرها ويقال حسير فعيل بمعنى مفعول ويجمع على حسرى * قال الشاعر

بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب

* القسطاس بضم القاف وكسرها وبالسين الأولى والصاد * قال مؤرج السدوسى هى الميزان بلغة الروم وتأتى أقوال المفسرين فيه * المرح شدة الفرح يقال مرح يمرح مرحا * الطول ضد القصر ومنه الطول خلاف العرض * الحجاب ما ستر الشئ عن الوصول اليه * الرفات قال الفراء التراب * وقيل الذى بولغ فى دقه حتى تفتت ويقال رفت الشئ كسره ورفته بالكسر والرفات الاجزاء المتفتتة من كل شئ مكسر وفعال بناء لهذا المعنى كالحطام والفتات والرضاض والدقاق ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما

وجهان *أحدهما أن الطائر اذا ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فخفض الجناح كناية عن حسن التدبير وكأنه قيل للولد
أكفل والديك بأن تضمهما الى نفسك كما فعلا بك ذلك حال صغرك *الثاني ان الطائر اذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه
واذا أراد ترك الطيران والارتفاع خفضه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه ثم أمره تعالى بأن يدعو الله
تعالى لهما بان يرحمهما رحمته الباقية اذ رحمته عليهما لا افناء لها ثم نبه على العلة الموجبة للاحسان اليهما والبر بهما

ربياني صغيرا ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم أن تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا﴾ قرأ الجمهور
وقضى فعلا ماضيا من القضاء *وقرأ بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك مصدر قضى مرفوعا على
الابتداء وأن لا تعبدوا الخبر وفي مصحف ابن مسعود وأصحابه وابن عباس وابن جبير والنخعي
وميمون بن مهران من التوصية * وقرأ بعضهم وأوصى من الايصاء وينبغي أن يحمل ذلك على
التفسير لأنها قراءة مخالفة لسواد المصحف والمتواتر هو وقضى وهو المستفيض عن ابن مسعود
وابن عباس وغيرهم في أسانيد القراء السبعة * وقضى هنا قال ابن عباس والحسن وقتادة بمعنى أمر
* وقال ابن مسعود وأصحابه بمعنى وصى * وقيل أوجب وألزم وحكم * وقيل بمعنى أحكم * وقال ابن
عطية وأقول ان المعنى وقضى ربك أمره أن لا تعبدوا الا اياه وليس في هذه الألفاظ الأمر بالاقتصار
على عبادة الله فذلك هو المقضي لا نفس العبادة والمقضي هنا هو الامر انتهى كأنه رام أن يترك
قضى على مشهور موضوعها بمعنى قدر فجعل متعلقه الامر بالعبادة لا العبادة لانه لا يستقيم أن
يقضي شيئا بمعنى أن يقدر الا ويقع والذي فهم المفسرون غيره ان متعلق قضى هو أن لا تعبدوا وسواء
كانت ان تفسيرية أم مصدرية * وقال أبو البقاء ويجوز أن تكون في موضع نصب أي ألزم ربك
عبادته ولا زائدة انتهى وهذا وهم لدخول الا على مفعول تعبدوا فلزم أن يكون منفيا أو منهيا
والخطاب بقوله لا تعبدوا عام للخلق * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون قضى على مشهورها في
الكلام ويكون الضمير في تعبدوا للمؤمنين من الناس الى يوم القيامة انتهى * قال الحوفي الباء
متعلقة بقضى ويجوز أن تكون متعلقة بفعل محذوف تقديره وأوصى بالوالدين احسانا واحسانا
مصدر أي تحسنوا احسانا * وقال ابن عطية قوله وبالوالدين احسانا عطف على ان الاولى أي
أمر الله أن لا تعبدوا الا اياه وأن تحسنوا بالوالدين احسانا وعلى هذا الاحتمال الذي ذكرناه يكون
قوله وبالوالدين احسانا مقطوعا من الاول كأنه أخبرهم بقضاء الله ثم أمرهم بالاحسان الى
الوالدين *وقال الزمخشري لا يجوز أن تتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا تتقدم
عليه صلته * وقال الواحدي في البسيط الباء في قوله بالوالدين من صلة الاحسان وقدمت عليه كما
تقول بزيد فامرر انتهى وأحسن وأساء يتعدى بالى وبالباء قال تعالى وقد أحسن بي * وقال الشاعر
* أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * وكأنه تضمن أحسن معنى لطف فعدي بالباء واحسانا ان كان
مصدرا ينحل لان والفعل فلا يجوز تقديم متعلقه به وان كان بمعنى أحسنوا فيكون بدلا من اللفظ
بالفعل نحو ضربا زيدا فيجوز تقديم معموله عليه والذي نختاره أن تكون ان حرف تفسير ولا
نعبدوا نهي واحسانا مصدر بمعنى الامر عطف ما معناه أمر على نهي كما عطف في
* يقولون لا تهلك أسى وتجمل * وقد اعتني بالامر بالاحسان الى الوالدين حيث قرن بقوله لا

واسترحام الله تعالى لهما وهي
تربيتهما له صغيرا وتلك
الحالة مما يزيده اشفاقا
لهما ورحمة اذ هي تذكير
بحالة احسانهما اليه وقت
أن لا يقدر على الاحسان
لنفسه والظاهر أن
الكاف في كما للتعليل
أي رب ارحمهما لتربيتهما لي
واحسانهما الي حالة الصغر
والافتقار ﴿ربكم أعلم بما
في نفوسكم﴾ أخبر تعالى
أنه أعلم بما انطوت عليه
الضمائر من قصد عبادة الله
والبر بالوالدين ثم قال ﴿ان
تكونوا صالحين﴾ أي
ذوي صلاح ثم فرط منكم
تقصير في عبادة أو بر وانبتم
الى الخير ﴿فانه كان للاوابين
غفورا﴾ أي غفور لما
فرط من هناتكم والظاهر
أن هذا عام في كل من

(الدر)

(ع) وأقول ان المعنى
وقضى ربك أمره أن لا
لا تعبدوا الا اياه وليس في
هذه الالفاظ الأمر بالاقتصار
على عبادة الله فذلك هو

 المقضي لا نفس العبادة والمقضي هنا هو الامر (ح) كأنه رام ان يترك
قضى على مشهور موضوعها بمعنى قدر فجعل متعلقه الامر بالعبادة لا العبادة لانه لا يستقيم أن يقضي شيأ بمعنى ان يقدر الا و يقع
والذي فهمه المفسرون غيره ان متعلق قضى هو أن لا تعبدوا وسواء كانت ان تفسيرية أم مصدرية وقال أبو البقاء ويجوز أن
تكون في موضع نصب أي ألزم ربك عبادته ولا زائدة انتهى وهذا وهم لدخول الا على مفعول تعبدوا فلزم أن يكون منفيا أو منهيا

إما يبلغن (ش) اماهي ان الشرطية زيدت عليها ماتوكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت لم يصح دخولها تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اماتكرمنه (ح) هذا الذي ذكره مخالف لمذهب سيبويه لان مذهبه أنه لايجوز أن يجمع بين اما ونون التوكيد وان تأتي بان وحدها ونون التوكيد وأن تأتي باما وحدها دون نون التوكيد وقال سيبويه في هذه المسئلة وان شئت لم تقحم النون كما انك ان شئت لم تجئ بما يعني مع النون وعدمها (ع) وعلى هذه القراءة الثالثة يعني يبلغان يكون قولها أحدهما بدلا من الضمير في يبلغان وهو بدل مقسم كقول الشاعر

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت

(ح) يلزم من قوله أن يكون كلاهما معطوفا على أحدهما وهو بدل والمعطوف على البدل بدل والبدل مشكل لانه يلزم منه أن يكون المعطوف عليه بدلا واذا جعلت أحدهما بدلا من الضمير فلا يكون الابدل بعض من كل واذا عطفت عليه كلاهما فلا جائز أن يكون بدل بعض من كل لان كلاهما مرادف للضمير من حيث التثنية فلا يكون بدل بعض من كل ولا جائز أن يكون بدل كل من كل لان المستفاد من الضمير التثنية وهو المستفاد من كلاهما فلم يفد البدل زيادة على المبدل منه وأما قول (ع) وهو بدل مقسم كقول الشاعر

* وكنت كذي رجلين * البيت فليس من بدل التقسيم لان شرط ذلك العطف بالواو وأيضا فالبدل المقسم لايصدق المبدل فيه على أحد قسميه وكلاهما يصدق عليه الضمير وهو المبدل منه فليس من البدل المقسم

تعبدوا وتقديمهما اعتناء بهما على قوله احسانا ومناسبة اقتران بر الوالدين بافراد الله بالعبادة من حيث انه تعالى هو الموجد حقيقة والوالدان وساطة في انشائه وهو تعالى المنعم بايجاده ورزقه وهما ساعيان في مصالحه * وقال الزمخشري اماهي الشرطية زيدت عليها ماتوكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت لم يصح دخولها لاتقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه انتهى وهذا الذي ذكره مخالف لمذهب سيبويه لان مذهبه انه يجوز أن يجمع بين اما ونون التوكيد وان يأتي بان وحدها ونون التوكيد وأن يأتي باما وحدها دون نون التوكيد * وقال سيبويه في هذه المسألة وان شئت لم تقحم النون كما انك ان شئت لم تجئ بما يعني مع النون وعدمها وعندك ظرف معمول ليبلغن ومعنى العندية هنا انهما يكونان عنده في بيته وفي كنفه لا كافل لهما غيره لكبرهما وعجزهما ولكونهما كلا عليه وأحدهما فاعل يبلغن وأو كلاهما معطوف على أحدهما * وقرأ الجمهور يبلغن بنون التوكيد الشديدة والفعل مسند الى أحدهما * وروى عن ابن ذكوان بالنون الخفيفة * وقرأ الاخوان اما يبلغان بألف التثنية ونون التوكيد المشددة وهي قراءة السلمي وابن وثاب وطلحة والاعمش والجحدري * فقيل الالف علامة تثنية لاضمير على لغة أكلوني البراغيث وأحدهما فاعل وأو كلاهما عطف عليه وهذا لايجوز لان شرط الفاعل في الفعل الذي لحقته علامة التثنية أن يكون مسندا لمثنى أو معرف بالعطف بالواو ونحو قاما أخواك أو قاما زيد وعمرو على خلاف في هذا الاخير هل يجوز أولا يجوز والصحيح جوازه وأحدهما ليس مثنى ولا هو معرف بالعطف بالواو ومع مفرد * وقيل الالف ضمير الوالدين وأحدهما بدل من الضمير وكلاهما عطف على أحدهما والمعطوف على البدل بدل * وقال الزمخشري * فان قلت لوقيل امايبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لابدلا فمالك زعمت انه بدل (قلت) لانه معطوف على مالا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب أن يكون مثله (فان قلت) ماضرك لوجعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل (قلت) لوأريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل أحدهما أو كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول * وقال ابن عطية وعلى هذه القراءة الثالثة يعني يبلغان يكون قوله أحدهما بدلا من الضمير في يبلغان وهو بدل مقسم كقول الشاعر

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

انتهى ويلزم من قوله ان يكون كلاهما معطوفا على أحدهما وهو بدل والمعطوف على البدل بدل والبدل مشكل لانه يلزم منه أن يكون المعطوف عليه بدلا واذا جعلت أحدهما بدلا من الضمير فلا يكون الابدل بعض من كل واذا عطفت عليه كلاهما فلا جائز أن يكون بدل بعض من كل لان كلاهما

مرادف للضمير من حيث التثنية فلا يكون بدل بعض من كل ولا جائز أن يكون بدل كل من كل لان المستفاد من الضمير التثنية وهو المستفاد من كلاهما فلم يفد البدل زيادة على المبدل منه وأما قول ابن عطية وهو بدل مقسم كقول الشاعر وكنت كذى رجلين البيت فليس من بدل التقسيم لان شرط ذلك العطف بالواو وأيضا فالبدل المقسم لا يصدق المبدل فيه على أحد قسميه وكلاهما يصدق عليه الضمير وهو المبدل منه فليس من المقسم ونقل عن أبي علي ان كلاهما توكيد وهذا الايتم الا بأن يعرب أحدهما بدل بعض من كل ويضمر بعده فعل رافع الضمير ويكون كلاهما توكيدا لذلك الضمير والتقدير أو يبلغا كلاهما وفيه حذف المؤكد وقد أجازه سيبويه والخليل قال مررت بزيد واياى أخوه أنفسهما بالرفع والنصب الرفع على تقديرهما صاحباى أنفسهما والنصب على تقدير أعينهما أنفسهما الا ان المنقول عن أبي علي وابن جني والاخفش قبلهما انه لا يجوز حذف المؤكد واقامة المؤكد مقامه والذى نختاره أن يكون أحدهما بدلا من الضمير وكلاهما مرفوع بفعل محذوف تقديره أو يبلغ كلاهما فيكون من عطف الجمل لا من عطف المفردات وصار المعنى ان يبلغ أحد الوالدين أو يبلغ كلاهما عندك الكبر وجواب الشرط فلا تقل لهما أف وتقدم مدلول لفظ أف في المفردات واللغات التى فيها واذا كان قد نهى أن يستقبلهما بهذه اللفظة الدالة على الضجر والتبرم بهما فالنهى عما هو أشد كالشتم والضرب هو بجهة الاولى وليست دلالة أف على أنواع الايذاء دلالة لفظية خلافا لمن ذهب الى ذلك * وقال ابن عباس أف كلمة كراهة بالغ تعالى في الوصية بالوالدين واستعمال وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا تقول لهما عند الضجر هذه الكلمة فضلا عما يزيد عليها * قال القرطبي قال علماؤنا وانما صار قول أف للوالدين أردأ شئ لانه رفضهما رفض كفر النعمة وجحد التربية ورد وصية الله وأف كلمة منقولة لكل شئ مرفوض ولذلك قال ابراهيم عليه السلام أف لكم ولما تعبدون من دون الله أى رفض لكم ولهذه الاصنام معكم انتهى * وقرأ الحسن والاعرج وأبو جعفر وشيبة وعيسى ونافع وحفص أف بالكسر والتشديد مع التنوين * وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وأبو بكر كذلك بغير تنوين * وقرأ ابن كثير وابن عامر بفتحها مشددة من غير تنوين * وحكى هارون قراءة بالرفع والتنوين * وقرأ أبو السمال أف بضم الفاء من غير تنوين * وقرأ زيد بن علي أفا بالنصب والتشديد والتنوين * وقرأ ابن عباس أف خفيفة فهذه سبع قراآت من اللغات التى حكيت في أف * وقال مجاهد ان معناه اذا رأيت منهما في حال الشيخ الغائط والبول اللذين رأيا منك في حال الصغر فلا تقذرهما وتقول أف انتهى والآية أعم من ذلك ولما نهاه تعالى أن يقول لهما ما مدلوله أتضجر منكما ارتقى الى النهى عما هو من حيث الوضع أشد من أف وهو نهرهما وان كان النهى عن نهرهما يدل عليه النهى عن قول أف لانه اذا نهى عن الأدنى كان ذلك نهيا عن الأعلى بجهة الأولى والمعنى ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك وقل لهما بدل قول أف ونهرهما قولا كريما أى جامعا للمحاسن من البر وجودة اللفظ * قال ابن المسيب قول العبد المذنب للسيد الفظ * وقيل قولا كريما أى جميلا كما يقتضيه حسن الأدب * وقال عمر أن تقول يا أبتاه يا أماه انتهى كما خاطب ابراهيم لأبيه يا أبت مع كفره ولا تدعوهما بأسمائهما لانه من الجفاء وسوء الأدب ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة نحلني أبو بكر كذا ولما نهاه تعالى عن القول المؤذى وكان لا يستلزم ذلك الأمر بالقول الطيب أمره تعالى بان يقول لهما القول الطيب السار الحسن وأن يكون قوله دالا على التعظيم لهما والتبجيل * وقال عطاء تتكلم معهما بشرط أن لا ترفع اليهما

بصرك ولا تشد اليهما نظرك لان ذلك بينا في القول الكريم * وقال الزجاج قولا سهلا سلسا لا شراسة فيه ثم أمره تعالى بالمبالغة في التواضع معهما بقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة * وقال القفال في تقريره وجهان * أحدهما ان الطائر اذا ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فخفض الجناح كناية عن حسن التدبير وكأنه قيل للولد اكفل والديك بان تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك * الثاني ان الطائر اذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه * وقال ابن عطية استعارة أي اقطعهما جانب الذل منك ودمث لهما نفسك وخلقك وبولغ بذكر الذل هنا ولم يذكر في قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وذلك بسبب عظم الحق انتهى وبسبب شرف المأمور فانه لا يناسب نسبة الذل اليه * وقال الزمخشري (فان قلت) مامعنى جناح الذل (قلت) فيه وجهان * أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه الى الذل أو الذل كما أضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول * والثاني أن يجعل لذله أو لذله جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما انتهى والمعنى انه جعل اللين ذلا واستعار له جناحا ثم رشح هذا المجاز بان أمر بخفضه * وحكى أن أبا تمام لما نظم قوله

لا تسقني ماء الملام فانني * صب قد استعذبت ماء بكائيا

جاءه رجل بقصعة وقال له اعطني شيأ من ماء الملام فقال له حتى تأتيني بريشة من جناح الذل وجناحا الانسان جانباه فالمعنى واخفض لهما جانبك ولا ترفعه فعل المتكبر عليهما * وقال بعض المتأخرين فأحسن

أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى * فلم أستطع من أرضهم طيرانا

* وقرأ الجمهور من الذل بضم الذال * وقرأ ابن عباس وعروة بن جبير والجحدري وابن وثاب بكسر الذال وذلك على الاستعارة في الناس لان ذلك يستعمل في الدواب في ضد الصعوبة كما أن الذل بالضم في ضد العز من الناس ومن الظاهر انها للسبب أي الحامل لك على خفض الجناح هو رحمتك لهما اذ صارا مفتقرين لك حالة الكبر كما كنت مفتقرا اليهما حالة الصغر * قال أبو البقاء من الرحمة أي من أجل الرحمة أي من أجل رفقك بهما فمن متعلقة باخفض ويجوز أن يكون حالا من جناح * وقال ابن عطية من الرحمة هنا لبيان الجنس أي ان هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس لا بأن يكون ذلك استعمالا ويصح أن يكون ذلك لابتداء الغاية انتهى ثم أمره تعالى بان يدعو الله لهما بان يرحمهما رحمته الباقية إذ رحمته عليهما لا بقاء لها ثم نبه على العلة الموجبة للاحسان اليهما والبر بهما واسترحام الله لهما وهي تربيتهما له صغيرا وتلك الحالة مما تزيده اشفاقا ورحمة لهما اذ هي تذكير لحالة احسانهما اليه وقت أن لا يقدر على الاحسان لنفسه * وقال قتادة نسخ الله من هذه الآية هذا اللفظ يعني وقل رب ارحمهما بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين * وقيل هي مخصوصة في حق المشركين * وقيل لا نسخ ولا تخصيص لان له أن يدعو الله لوالديه الكافرين بالهداية والارشاد وأن يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان والظاهر أن الكاف في كما للتعليل أي رب ارحمهما لتربيتهما لي وجزاء على احسانهما الي حالة الصغر والافتقار * وقال الحوفي الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف تقديره رحمة مثل تربيتي صغيرا * وقال أبو

فرطت منه جناية ثم تاب منها ﴿وآت ذا القربى﴾ الآية لما أمر ببر الوالدين امر بصلة القرابة والظاهر انه خطاب لمخوطب بقوله اما يبلغن عندك الكبر والحق هنا ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه ونهى تعالى عن التبذير وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها فى الفخر والسمعة وتذكر ذلك فى أشعارها فنهى الله تعالى عن النفقة فى غير وجوه البر وما يقرب منه ﴿كانوا اخوان الشياطين﴾ واخوة الشياطين كونهم قرناءهم فى الدنيا وفى النار وفى الآخرة وتدل هذه الاخوة على أن التبذير فى معصية الله أو كونهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف فى الدنيا وذكر كفران الشيطان لربه ليحذر ولا يطاع لانه لا يدعو الى خير كما قال تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴿وإما تعرضن عنهم﴾ قيل نزلت فى ناس من مزينة استحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أجد ما أحملكم عليه فبكوا وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان بعد نزول هذه الآية اذا لم يكن عنده ما يعطى وسئل قال يرزقنا الله واياكم من فضله فالرحمة على هذا الرزق المنتظر * قال الزمخشرى ويجوز أن يكون ابتغاء رحمة من ربك علة لجواب الشرط فهو يتعلق به ويتقدم عليه أى فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أى ابتغ رحمة الله التى ترجوها برحمتك عليهم انتهى

ما أجازه لا يجوز لان ما بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبله لا يجوز فى قولك ان تقم فاضرب زيدا ان تقم زيدا فاضرب وهذا منصوص عليه فان حذفت الفاء فى مثل ان تقم تضرب خالدا فمذهب سيبويه والكسائى الجواز فتقول ان تقم خالدا تضرب ومذهب الفراء المنع فان كان معمول الفعل مرفوعا نحو ان تفعل يفعل زيد فلا يجوز تقديم زيد على أن يكون مرفوعا بتفعل هذه وأجاز سيبويه أن يكون مرفوعا بفعل يفسره يفعل كأنك قلت إن تفعل يفعل زيد يفعل ومنع ذلك الكسائى والفراء ﴿فقل لهم قولا ميسورا﴾ أى مداراة باللسان ويسر يكون لازما ومتعديا فميسور من المتعدى تقول يسرت لك كذا اذا أعددته لك ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك﴾ قيل نزلت فى اعطائه صلى الله عليه وسلم قميصه ولم يكن له غيره وبقى عريانا وقيل أعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة مثل ذلك والعباس بن مرداس خمسين ثم أكملها مائة فنزلت وهذه استعارة استعير فيها المحسوس للمعقول وذلك أن البخل معنى قائم بالانسان يمنعه من التصرف فى ماله فاستعير له الغل الذى هو ضم اليد الى العنق فامتنع من تصرف يده واجالتها حيث يريد وذكر اليد لان الأخذ بها والاعطاء واستعير بسط اليد لاذهاب المال وذلك لان قبض اليد يحبس ما فيها وبسطها يذهب ما فيها طابق فى الاستعارة بين قبض اليد وبسطها من حيث المعنى لان جعل اليد مغلولة هو قبضها وغلها أبلغ فى القبض وقد طابق بينهما أبو تمام * قال فى المعتصم

تعوّد بسط الكف حتى لو انه * ثناها القبض لم تطعه أنامله

والظاهر أنه مراد بالخطاب أمة الرسول صلى الله عليه وسلم وإلا فهو صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيأ لغد وكذلك من كان واثقا بالله تعالى حق الوثوق كأبى بكر حيث تصدق بجميع ماله وختم ذلك بقوله خبيرا وهو العلم بخفيات الأمور وبصيرا أى بمصالح عباده حيث يبسط لقوم ويضيق على قوم

البقاء كما نعت لمصدر محذوف أى رحمة مثل رحمتهما وسرد الزمخشرى وغيره أحاديث وآثارا كثيرة فى بر الوالدين يوقف عليها فى كتبهم ولما نهى تعالى عن عبادة غيره وأمر بالاحسان الى الوالدين ولا سيما عند الكبر وكان الانسان ربما تظاهر بعبادة واحسان الى والديه دون عقد ضمير على ذلك رياء وسمعة أخبر تعالى انه أعلم بما انطوت عليه الضمائر من دون قصد عبادة الله والبر بالوالدين ثم قال ان تكونوا صالحين أى ذوى صلاح ثم فرط منكم تقصير فى عبادة أو بر وأبتم الى الخير فانه غفور لما فرط من هناتكم والظاهر ان هذا عام لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج فيه من جنى على أبويه ثم تاب من جنايته * وقال ابن جبير هى فى المبادرة تكون من الرجل الى أبيه لا يريد بذلك الا الخير ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ لما أمر تعالى ببر الوالدين أمر بصلة القرابة * قال الحسن نزلت فى قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم والظاهر انه خطاب لمن خوطب بقوله اما يبلغن عندك الكبر والحق هنا ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة

بالمال والمعونة بكل وجه * قال نحوه ابن عباس وعكرمة والحسن وغيرهم * وقال على بن الحسين فيهاهم قرابة الرسول عليه السلام أمر باعطائهم حقوقهم من بيت المال والظاهر ان الحق هنا مجمل وان ذا القربى عام فى ذى القرابة فيرجع فى تعيين الحق وفى تخصيص ذى القرابة الى السنة * وعن أبى حنيفة ان القرابة اذا كانوا محارم فقراء عاجزين عن التكسب وهو موسر حقهم أن ينفق عليهم وعند الشافعى ينفق على الولد والوالدين فحسب على ماتقرر فى كتب الفقه ونهى تعالى عن التبذير وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها فى الفخر والسمعة وتذكر ذلك فى أشعارها فنهى الله تعالى عن النفقة فى غير وجوه البر ومايقرب منه تعالى * وعن ابن مسعود وابن عباس التبذير انفاق المال فى غير حق * وقال مجاهد لو أنفق ماله كله فى حق ما كان مبذرا وذكر الماوردى انه الاسراف المتلف للمال وقد احتج بهذه الآية على الحجر على المبذر فيجب على الامام منعه منه بالحجر والحيلولة بينه و بين ماله الا بمقدار نفقة مثله وأبو حنيفة لايرى الحجر للتبذير وان كان منهيا عنه * وقال القرطبى يحجر عليه ان بذله فى الشهوات وخيف عليه النفاد فان انفق وحفظ الاصل فليس بمبذر واخوة الشياطين كونهم قرناءهم فى الدنيا وفى النار فى الآخرة وتدل هذه الاخوة على أن التبذير هو فى معصية الله أو كونهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف فى الدنيا * وقرأ الحسن والضحاك اخوان الشيطان على الافراد وكذا ثبت فى مصحف أنس وذكر كفر الشيطان لربه ليحذر ولا يطاع لأنه لايدعو الى خير كما قال انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير و إما تعرضن * قيل نزلت فى ناس من مزينة استحملوا الرسول فقال لا أجد ما أحملكم عليه فبكوا * وقيل فى بلال وصهيب وسالم وخباب سألوه مالا يجد فأعرض عنهم * وروى أنه عليه السلام كان بعد نزول هذه الآية اذا لم يكن عنده مايعطى وسئل قال يرزقنا الله واياكم من فضله فالرحمة على هذا الرزق المنتظر وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة * وقال ابن زيد الرحمة الأجر والثواب وانما نزلت الآية فى قوم كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأبى أن يعطيهم لأنه كان يعلم منهم نفقة المال فى فساد فكان يعرض عنهم وعنه فى الأجر فى منعهم لئلا يعينهم على فسادهم فأمره الله تعالى أن يقول لهم قولا ميسورا يتضمن الدعاء فى الفتح لهم والاصلاح انتهى من كلام ابن عطية * وقال الزمخشرى وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيأ وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء ويجوز أن يكون معنى و إما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم وترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لأن من أبى أن يعطى أعرض بوجهه انتهى والذى يظهر أنه تعالى لما أمر بايتاء ذى القربى حقه ومن ذكر معه ونهاه عن التبذير قال وان لم يكن منك اعراض عنهم فالضمير عائد عليهم وعلل الاعراض بطلب الرحمة وهى كناية عن الرزق والتوسعة وطلب ذلك ناشئ عن فقدان مايجود به ويؤتيه من سأله وكأن المعنى وان تعرض عنهم لاعسارك فوضع المسبب وهو ابتغاء الرحمة موضع السبب وهو الاعسار * وأجاز الزمخشرى أن يكون ابتغاء رحمة من ربك علة لجواب الشرط فهو يتعلق به وقدم عليه أى فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أى ابتغ رحمة الله التى ترجوها برحمتك عليهم انتهى وما أجازه لايجوز لأن مابعد فاء الجواب لايعمل فيما قبله لايجوز فى قولك ان يقم فاضرب خالدا ان تقول ان

(الدر)

(ش) ويجوز أن يكون ابتغاء رحمة من ربك علة لجواب الشرط فهو يتعلق به وقدم عليه أى فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أى ابتغ رحمة الله التى ترجوها برحمتك عليهم (ح) ما أجازه لايجوز لان مابعد فاء الجواب لايعمل فيما قبله لايجوز فى قولك ان تقم فاضرب خالدا ان تقول ان يقم خالدا فاضرب وهذا منصوص عليه فان حذفت الفاء فى مثل ان تقم تضرب خالدا فذهب سيبويه والكسائى الجواز فتقول ان تقم خالدا تضرب ومذهب الفراء المنع فان كان معمول الفعل مرفوعا نحو ان تفعل يفعل زيد فلا يجوز تقديم زيد على أن يكون مرفوعا بتفعل هذه وأجاز سيبويه أن يكون مرفوعا بفعل يفسره يفعل كأنك قلت ان تفعل يفعل زيد يفعل ومنع الكسائى ذلك والفراء

يقم خالدا فاضرب وهذا منصوص عليه فان حذفت الفاء فى مثل ان يقم يضرب خالدا فمذهب سيبويه والكسائى الجواز فتقول ان يقم خالدا نضرب ومذهب الفراء المنع فان كان معمول الفعل مرفوعا نحو ان تفعل يفعل زيد فلا يجوز تقديم زيد على أن يكون مرفوعا بيفعل هذا وأجاز سيبويه أن يكون مرفوعا بفعل يفسره يفعل كأنك قلت ان تفل يفعل زيد يفعل ومنع ذلك الكسائى والفراء * وقال ابن جبير الضمير فى عنهم عائد على المشركين والمعنى وإما تعرضن عنهم لتكذيبهم اياك ابتغاء رحمة أى نصر لك عليهم أو هداية من الله لهم وعلى هذا القول الميسور المداراة لهم باللسان قاله أبو سليمان الدمشقى ويسر يكون لازما ومتعديا فميسور من المتعدى تقول يسرت لك كذا اذا أعددته * قال الزمخشرى يقال يسر الأمر وعسر مثل سعد ونحس فهو مفعول انتهى والمعنى هذه الآية أشار الشاعر فى القصيدة التى تسمى باليتيمة فى قوله

لبكن لديك لسائل فرج * أن لم يكن فليحسن الرد

﴿ وقال آخر ﴾

ان لم يكن ورق يوما أجود به * للسائلين فانى لين العود

لا يعدم السائلون الخير من خلقى * إما نوالى وإما حسن مردودى

* ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الآية * قيل نزلت فى اعطائه صلى الله عليه وسلم قميصه ولم يكن له غيره وبقى عريانا * وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة مثل ذلك والعباس بن مرداس خمسين ثم كملها مائة فنزلت وهذه استعارة استعير فيها المحسوس للمعقول وذلك ان البخل معنى قائم بالانسان يمنعه من التصرف فى ماله فاستعير له الغل الذى هو ضم اليد الى العنق فامتنع من تصرف يده واجالتها حيث تريد وذكر اليد لأن بها الأخذ والاعطاء واستعير بسط اليد لاذهاب المال وذلك أن قبض اليد يحبس ما فيها وبسطها يذهب ما فيها وطابق فى الاستعارة بين بسط اليد وقبضها من حيث المعنى لأن جعل اليد مغلولة هو قبضها وغلها أبلغ فى القبض وقد طابق بينهما أبو تمام * فقال فى المعتصم

تعود بسط الكف حتى لو انه * ثناها لقبض لم تجبه أنامله

* وقال الزمخشرى هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والاقتار انتهى والظاهر انه مراد بالخطاب أمة الرسول صلى الله عليه وسلم والا فهو صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيأ لغد وكذلك من كان واثقا بالله حق الوثوق كأبى بكر حين تصدق بجميع ماله * وقال ابن جريج وغيره المعنى لا تمسك عن النفقة فيما أمرتك به من الحق ولا تبسطها فيما نهيتك عنه * وروى عن قالون كل البصط بالصاد فتقعد جواب للهيئتين باعتبار الحالين فالملوم راجع لقوله ولا تجعل يدك * كما قال الشاعر

ان البخيل ملوم حيث كان * ولكن الجواد على علاته هرم

والمحسور راجع لقوله ولا تبسطها وكأنه قيل فتلام وتحسر ثم سلاه تعالى عما كان يلحقه من الاضافة بأن ذلك ليس بهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لأن بسط الرزق وتضييقه انما ذلك بمشيئته وارادته لما يعلم فى ذلك من المصلحة لعباده أو يكون المعنى القبض والبسط من مشيئة الله وأما أنتم فعليكم الاقتصاد وختم ذلك بقوله خبيرا وهو العلم بخفيات الأمور وبصيرا أى بمصالح عباده حيث

﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ﴾ تقدم تفسير نظيره صدر هذه الآية والفرق بين خشية املاق ومن أملاق و بين قوله يرزقهم واياكم و يرزقكم واياهم تقدم كل ذلك ﴿ ولاتقربوا الزنا ﴾ الآية تقدم تفسير نظيرها فى الانعام ﴿ وساء سبيلا ﴾ أى و بئس طريقة لانها سبيل يؤدى الى النار قال ابن عطية وسبيلا نصب على التمييز التقدير وساء سبيله سبيلا انتهى فاذا كان سبيلا نصبا على التمييز فانما هو تمييز للضمير المستكن فى ساء وهى الضمير الذى يفسره مابعده والمخصوص بالذم محذوف واذا كان كذلك فلا يكون تقديره وساء سبيله سبيلا لانه اذ ذاك لا يكون فاعله ضميرا يراد به الجنس مقيدا بالتمييز و يبقى التقدير أيضا عاريا عن المخصوص بالذم وتقدم تفسير قوله ولا تقتلوا النفس فى أواخر الانعام ولما نهى عن قتل الاولاد نهى عن قتل النفس فانتقل من الخاص الى العام والظاهر ان هذه كلها منهيات مستقلة ليست

مندرجة تحت قوله تعالى وقضى ربك كاندراج ان لاتعبدوا وانتصب مظلوما على الحال من الضمير المستكن فى قتل والمعنى أنه قتل بغير الحق ﴿ فقد جعلنا لوليه ﴾ وهو الطالب لدمه شرعا ﴿ سلطانا ﴾ أى تسلطا وقهرا والظاهر النهى عما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد وقتل غير القاتل والمثلة والمكافاة الذى يقتل لمن قتله والضمير فى انه عائد على الولى لتناسق الضمائر ونصره اياه بأن وجب له القصاص فلا تسترد على ذلك أونصره بمعونة السلطان و باظهار المؤمنين على استيفاء الحق ﴿ ولاتقربوا مال اليتيم ﴾ تقدم تفسير نظيره فى الانعام ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ عام فيما عقده الانسان بينه و بين ربه أو بينه و بين آدمى فى طاعة ﴿ ان العهد كان مسئولا ﴾ ظاهره ان العهد هو المسئول من المعاهد أن يفى له ولا يضيعه وقيل هو على حذف مضاف أى ان ذا العهد كان مسئولا ان لم يف به واسم كان مضمر يعود على العهد أو على ذى العهد مسئولا خبر كان وفيه ضمير المفعول أى مسئولا هو أى عدم الايفاء به * ثم أمره تعالى بايفاء الكيل والوزن المستقيم وذلك فيما يرجع الى المعاملة بالاموال وفى قوله وأوفوا الكيل دلالة على أن الكيل هو على البائع لانه لايقال ذلك للمشترى والتقييد بقوله اذا كلتم أى وقت كيلكم على سبيل التأكيد ولايتأخر الايفاء بأن يكيل به بنقصان ما ثم توفيه بعد ذلك فلايتأخر الايفاء عن وقت الكيل * قال ابن عطية واللفظة للمبالغة من القسط انتهى لايجوز أن يكون من القسط لاختلاف المادتين لأن القسط مادته قسط وذلك مادته قسطس الا ان اعتقد زيادة السين اخيرا كسين قدموس وضغبوس

يبسط لقوم و يضيق على قوم ﴿ ولاتقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾ لما بين تعالى أنه هو المتكفل بارزاق العباد حيث قال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر أتبعه بالنهى عن قتل الأولاد وتقدم تفسير نظير هذه الآية والفرق بين خشية إملاق ومن إملاق و بين قوله نرزقهم ونرزقكم * وقرأ الاعمش وابن وثاب ولاتقتلوا بالتضعيف * وقرئ خشية بكسر الخاء وقرأ الجمهور خطأ بكسر الخاء وسكون الطاء * وقرأ ابن كثير بكسرها وفتح الطاء والمد وهى قراءة طلحة وشبل والاعمش و يحيى وخالد بن الياس وقتادة والحسن والاعرج بخلاف عنهما * وقال النحاس لاأعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها أبو حاتم غلطا * وقال الفارسى هى مصدر من خاطأ يخاطئ وان كنا لم نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه فمنه قول الشاعر

تخاطأت النبل أحشاه * وأخر يومى فلم يعجل

﴿ وقول الآخر فى كمأة ﴾

تخاطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه فى منقع الماء راسب

فكان هؤلاء الذين يقتلون أولادهم يخاطئون الحق والعدل * وقرأ ابن ذكوان خطأ على وزن نبأ * وقرأ الحسن خطاء بفتحهما والمد جعله اسم مصدر من أخطأ كالعطاء من أعطى قاله ابن جنى * وقال أبو حاتم هى غلط غير جائز ولايعرف هذا فى اللغة وعنه أيضا خطى كهوى خفف الهمزة فانقلبت ألفا وذهبت لالتقائهما * وقرأ أبو رجاء والزهرى كذلك الا انهما كسرا الخاء فصار مثل ربا وكلاهما من خطئ فى الدين وأخطأ فى الرأى لكنه قد يقام كل واحد منهما مقام الآخر وجاء عن ابن عامر خطأ بالفتح والقصر مع إسكان الطاء وهو مصدر ثالث من خطئ بالكسر ﴿ ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلايسرف فى القتل انه كان منصورا ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا

بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا * لما نهى تعالى عن قتل الأولاد نهى عن التسبب
في ايجاده من الطريق غير المشروعة فنهى عن قربان الزنا واستلزم ذلك النهي عن الزنا والزنا الأكثر
فيه القصر ويمد لغة لا ضرورة هكذا نقل اللغويون ومن المد قول الشاعر وهو الفرزدق

أبا حاضر من يزن يعرف زناؤه * ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

ويروى أبا خالد * وقال آخر

كانت فريضة ما تقول كما * كان الزناء فريضة الرجم

وكان المعنى لم يزل أي لم يزل فاحشة أي معصية فاحشة أي قبيحة زائدة في القبح وساء سبيلا أي وبئس
طريقا طريقه لانها سبيل تؤدي الى النار * وقال ابن عطية وسبيلا نصب على التمييز التقدير وساء
سبيله انتهى واذا كان سبيلا نصبا على التمييز فانما هو تمييز للمضمر المستكن في ساء وهو من المضمر
الذي يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف واذا كان كذلك فلا يكون تقديره وساء سبيله سبيلا
لأنه اذ ذاك لا يكون فاعله ضميرا يراد به الجنس مفسرا بالتمييز ويبقى التقدير أيضا عاريا عن
المخصوص بالذم وتقدم تفسير قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق في أواخر الأنعام
* قال الضحاك هذه أول ما نزل من القرآن في شأن القتل انتهى ولما نهى عن قتل الأولاد وعن
إيجادهم من الطريق غير المشروعة نهى عن قتل النفس فانتقل من الخاص الى العام والظاهر ان
هذه كلها منهيات مستقلة ليست مندرجة تحت قوله وقضى ربك كاندراج أن لا تعبدوا وانتصب
مظلوما على الحال من الضمير المستكن في قتل والمعنى انه قتل بغير حق فقد جعلنا لوليه وهو الطالب
بدمه شرعا وعند أبي حنيفة وأصحابه اندراج من يرث من الرجال والنساء والصبيان في الولي على قدر
مواريثهم لان الولي عندهم هو الوارث هنا * وقال مالك ليس للنساء شيء من القصاص وانما القصاص
للرجال وعن ابن المسيب والحسن وقتادة والحكم ليس الى النساء شيء من العفو والدم والسلطان
التسلط على القاتل في الاقتصاص منه أو حجة يثبت بها عليه قاله الزمخشري * وقال ابن عطية
والسلطان الحجة والملك الذي جعل اليه من التخيير في قبول الدم أو العفو قاله ابن عباس والضحاك
* وقال قتادة السلطان القود وفي كتاب التحرير السلطان القوة والولاية * وقال ابن عباس البينة في
طلب القود * وقال الحسن القود * وقال مجاهد الحجة * وقال ابن زيد الوالي أي واليا ينصفه في
حقه والظاهر عود الضمير في فلا يسرف على الولي والاسراف المنهي عنه أن يقتل غير القاتل قاله
ابن عباس والحسن أو يقتل اثنين بواحد قاله ابن جبير أو أشرف من الذي قتل قاله ابن زيد أو يمثل
قاله قتادة أو يتولى هو قتل القاتل دون السلطان ذكره الزجاج * وقال أبو عبد الله الرازي السلطنة
مجملة يفسرها كتب عليكم القصاص الآية ويدل عليه انه مخير بين القصاص والدية وقوله عليه
السلام يوم الفتح من قتل قتيلا فأهله بين خيرتين ان أحبوا اقتلوا وان أحبوا أخذوا الدية فمعنى فلا
يسرف في القتل لا يقدم على استيفاء القتل ويكتفي بأخذ الدية أو يميل الى العفو ولفظة في محمولة
على الباء أي فلا يصير مسرفا بسبب اقدامه على القتل ويكون معناه الترغيب في العفو كما قال وان
تعفوا أقرب للتقوى انتهى ملخصا ولو سلم ان في بمعنى الباء لم يكن صحيح المعنى لان من قتل بحق قاتل
موليه لا يصير مسرفا بقتله وانما الظاهر والله أعلم النهي عما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة
بالواحد وقتل غير القاتل والمثلة ومكافأة الذي يقتل من قتله * وقال مهلهل حين قتل بجير بن
الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وأبعد من ذهب الى ان الضمير في فلا يسرف ليس عائدا على

وعرفاس فيكن لكنه ليس من مواضع زيادة السين المقيسة * ذلك خير * أي الايفاء والوزن لان فيه تطييب النفوس بالاتسام بالعدل والايصال للحق * وأحسن تأويلا * أي عاقبة اذ لا تبقى على الموفي والوازن تبعة لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو من المآل وهو المرجع

(الدر)

(ع) وسبيلا نصب على التمييز التقدير وساء سبيله سبيلا (ح) اذا كان سبيلا نصبا على التمييز فانما هو تمييز للمضمر المستكن في ساء وهو من المضمر الذي يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف واذا كان كذلك فلا يكون تقديره وساء سبيله سبيلا لانه اذ ذاك لا يكون فاعله ضميرا يراد به الجنس مفسرا بالتمييز ويبقى التقدير أيضا عاريا عن المخصوص بالذم

الولى وانما يعود على العامل الدال عليه ومن قتل أى لا يسرف فى القتل تعديا وظلما فيقتل من ليس له قتله * وقرأ الجمهور فلا يسرف بياء الغيبة * وقرأ الاخوان وزيد بن على وحذيفة وابن وثاب والأعمش ومجاهد بخلاف وجماعة وفى نسخة من تفسير ابن عطية وابن عامر وهو وهم بتاء الخطاب والظاهر انه على خطاب الولى فالضمير له * وقال الطبرى الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والائمة من بعده أى فلا تقتلوا غير القاتل انتهى * قال ابن عطية وقرأ أبو مسلم السراج صاحب الدعوة العباسية * وقال الزمخشرى قرأ أبو مسلم صاحب الدولة * وقال صاحب كتاب اللوامح أبو مسلم العجلى مولى صاحب الدولة فلا يسرف بضم الفاء على الخبر ومعناه النهى وقد يأتى الامر والنهى بلفظ الخبر * وقال ابن عطية فى الاحتجاج بأبى مسلم فى القراءة نظر وفى قراءة أبى فلا تسرفوا فى القتل ان ولى المقتول كان منصورا انتهى رده على ولا تقتلوا والاولى حمل قوله ان ولى المقتول على التفسير لا على القراءة لمخالفته السواد ولان المستفيض عنه انه كان منصورا كقراءة الجماعة والضمير فى انه عائد على الولى لتناسق الضمائر ونصره اياه بأن أوجب له القصاص فلا يستزاد على ذلك أو نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق * وقيل يعود الضمير على المقتول نصره الله حيث أوجب القصاص بقتله فى الدنيا ونصره بالثواب فى الآخرة * قال ابن عطية وهو أرجح لانه المظلوم ولفظة النصر تقارن الظلم كقوله عليه السلام ونصر المظلوم وابرار القسم وكقوله انصر أخاك ظالما أو مظلوما الى كثير من الامثلة * وقيل على القتل * وقال أبو عبيد على القاتل لانه اذا قتل فى الدنيا وخلص بذلك من عذاب الآخرة فقد نصر وهذا ضعيف بعيد القصد * وقال الزمخشرى وانما يعنى أن يكون الضمير فى انه للذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف انتهى وهذا بعيد جدا * ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده لما نهى عن اتلاف النفوس نهى عن أخذ الاموال كما قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم ولما كان اليتيم ضعيفا عن أن يدفع عن ماله لصغره نص على النهى عن قربان ماله وتقدم تفسير هذه الآية فى أواخر الانعام وأوفوا بالعهد عام فيما عقده الانسان بينه وبين ربه أو بينه وبين آدمى فى طاعة ان العهد كان مسئولا ظاهره ان العهد هو المسئول من المعاهد أن يفى به ولا يضيعه أو يكون من باب التخييل كأنه يقال للعهد لم نكثت فمثل كأنه ذات من الذوات تسأل لم نكثت دلالة على المطاوعة بنكثه والزام ما يترتب على نكثه كما جاء واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت فيمن قرأ بسكون اللام وكسر التاء التى للخطاب * وقيل هو على حذف مضاف أى ان ذا العهد كان مسئولا عنه ان لم يف به ثم أمر تعالى بايفاء الكيل وبالوزن المستقيم وذلك مما يرجع الى المعاملة بالاموال وفى قوله وأوفوا الكيل دلالة على ان الكيل هو على البائع لانه لا يقال ذلك للمشترى * وقال الحسن القسطاس القبان وهو القلسطون ويقال القرسطون * وقال مجاهد القسطاس العدل لا أنه آلة * وقرأ الاخوان وحفص بكسر القاف وباقى السبعة بضمها وهما لغتان * وقرأت فرقة بالابدال من السين الأولى صادا * قال ابن عطية واللفظة للمبالغة من القسط انتهى ولا يجوز أن يكون من القسط لاختلاف المادتين لأن القسط مادته ق س ط وذلك مادته ق س ط س الا أن اعتقد زيادة السين آخرا كسين قدموس وضغبوس وعرفاس فيمكن لكنه ليس من مواضع زيادة السين المقيسة والتقييد بقوله اذا كلتم أى وقت كيلكم على سبيل التأكيد وأن لا يتأخر الايفاء بأن

(الدر)

(ع) واللفظة للمبالغة من القسط (ح) لا يجوز أن يكون من القسط لاختلاف المادتين لان القسط مادته ق س ط ذلك مادته ق س ط س الا ان اعتقد زيادة السين أخيرا كسين قدموس ضغبوس وعرفاس فيمكن لكنه ليس من مواضع زيادة السين المقيسة

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ لما أمر تعالى بثلاثة أشياء بالايفاء بالعهد والايفاء بالكيل والوزن بالقسطاس أتبع ذلك بثلاثة مناه ولا تقف ولا تمش ولا تجعل ومعنى ولا تقف لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل نهى أن يقول ما لا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهى عن اتباع التقليد لانه اتباع لما لا يعلم صحته وقال الكميت فلا أرمى البرىء بغير ذنب * ولا أقفو الحواضن أن قفينا وفى قوله ان السمع والبصر والفؤاد دليل على أن العلوم مستفادة من الحواس ومن العقول وجاء هذا الترتيب القرآنى فى البداءة بالسمع ثم يليه البصر ثم يليه الفؤاد وأولئك إشارة الى هذه الثلاثة وهو اسم إشارة الى الجمع المذكر والمؤنث العاقل وغيره وتخيل ابن عطية أن أولئك مختص بالعاقل فقال وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لانها حواس لها إدراك وجعلها فى هذه الآية مسؤلة فهى حالة من يعقل وليس ما تخيله صحيحا بل جميع أسماء الاشارة مثل أولئك يشترك فيه المذكر والمؤنث والعاقل وغير العاقل قال الزمخشرى وعنه فى موضع الرفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤلا مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت ما لا يحل لك نظره ولم عزمت على ما لا يحل لك العزيمة عليه انتهى وهذا الذى ذهب اليه من أن عنه فى موضع الرفع بالفاعلية ومعنى به أنه مفعول لم يسم فاعله لا يجوز لأن الجار والمجرور وما يقام مقام الفاعل من مفعول به ومصدر وظرف بشرطها جار مجرى الفاعل وكما أن الفاعل لا يجوز تقديمه فكذلك ما جرى مجراه وأقيم مقامه فاذا قلت غضب على زيد فلا يجوز على زيد غضب بخلاف غضبت على زيد فيجوز على زيد غضبت وقد حكى الاتفاق من (٣٥) النحويين على أنه لا يجوز تقديم الجار والمجرور الذى لا يقام مقام الفاعل على الفعل أبو جعفر النحاس ذكر ذلك فى المقنع من تأليفه فليس عنه مسؤلا كالمغضوب عليه لتقديم الجار والمجرور فى عنه مسؤلا وتأخيره فى المغضوب عليهم قول الزمخشرى ولم نظرت ما لا يحل لك أسقط الى وهو لا يجوز الا ان جاء فى ضرورة شعر لأن نظر يتعدى بالى وكان التركيب ولم نظرت الى ما لا يحل لك كما قال النظر اليه فعداه بالى ومسؤلا فيه ضمير يعود على كل من حيث اللفظ وهذا الضمير هو المفعول الذى لم يسم فاعله وعنه فى موضع نصب والضمير فى عنه عائد على معنى أولئك أى عن كل واحد مما تقدم وانتصب مرحا على الحال أى مارحا كما تقول جاء زيد ركضا أى راكضا أو على حذف مضاف أى ذا مرح والمرح هو السرور والاغتباط بالراحة والفرح وكأنه ضمن معنى الاختيال لأن غلبة السرور والفرح يصحبها التكبر والاختيال ولذلك علل بقوله ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أى لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئك وانتصب طولا على التمييز أى لن يبلغ طولك الجبال والظاهر أن ذلك اشارة الى مصدر النهيين السابقين وهما قفو ما ليس لك به علم والمشى فى الارض مرحا وسيئة خبر كان وأنث ثم قال مكروها فذكر وقرئ سيئه فسيئه اسم كان ومكروها الخبر وذلك إشارة الى جميع التكاليف من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى قوله ولا تمش فى الارض مرحا وهى أربعة وعشرون نوعا من التكاليف بعضها أمر وبعضها نهى بدأها بقوله لا تجعل واختتم الآيات بقوله ولا تجعل وقال مما أوحى لأن ذلك بعض مما أوحى اليه اذ أوحى اليه بتكاليف أخر ومما أوحى خبر عن ذلك ومن الحكمة يجوز أن يكون متعلقا بأوحى وأن يكون بدلا مما وأن يكون حالا من الضمير المنصوب المحذوف العائد على ما وكانت هذه التكاليف حكمة لأن حاصلها يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع الطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والعقول تدل على صحتها وهى شرائع فى جميع الأديان لا تقبل النسخ وعن ابن عباس ان هذه الآيات كانت فى ألواح موسى صلى الله عليه وسلم أولها لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ وكرر تعالى النهى عن الشرك ففى النهى الأول فتقعد مذموما مخذولا وفى الثانى فتلقى فى جهنم ملوما

يكيل به بنقصان ثم يوفيه بعد فلا يتأخر الايفاء عن وقت الكيل ﴿ذلك خير﴾ أى الايفاء والوزن لأن فيه تطييب النفوس بالاتسام بالعدل والايصال للحق ﴿وأحسن تأويلا﴾ أى عاقبة اذ لا يبقى على الموفى والوازن تبعة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وهو من المآل وهو المرجع كما قال خير مردا خير عقبا خير أملا وانما كانت عاقبته أحسن لأنه اشتهر بالاحتراز عن التطفيف فعول عليه فى المعاملات ومالت القلوب اليه ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش فى الارض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه

عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا * لما أمر تعالى بثلاثة أشياء الايفاء بالعهد والايفاء بالكيل والوزن بالقسطاس المستقيم أتبع ذلك بثلاثة أمناه ولا تقف ولا تمش ولا تجعل ومعنى ولا تقف لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل نهى أن تقول ما لا تعلم وأن تعمل بما لا تعلم ويدخل فيه النهي عن اتباع التقليد لأنه اتباع بما لا يعلم صحته * وقال ابن عباس معناه لا ترم أحدا بما لا تعلم * وقال قتادة لا تقل رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه * وقال محمد بن الحنفية لا تشهد بالزور * وقال ابن عطية ولا تقل لكنها كلمة تستعمل في القذف والعضه انتهى وفي الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج * وقال في الحديث أيضا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو منا ولا ننتفي من أبينا * ومنه قول النابغة الجعدي

ومثل الدمى شم العرانين ساكن * بهن الحيا لا يتبعن التقافيا

﴿ وقال الكميت ﴾

فلا أرمي البريء بغير ذنب * ولا أقفو الحواصن ان قفينا

وحاصل هذا انه نهى عن اتباع ما لا يكون معلوما وهذه قضية كلية تندرج تحتها أنواع فكل من القائلين حمل على واحد من تلك الأنواع * قال الزمخشري وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لأن ذلك نوع من العلم وقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به انتهى * وقرأ الجمهور ولا تقف بحذف الواو للجزم مضارع قفا * وقرأ زيد بن علي ولا تقفو باثبات الواو * كما قال الشاعر

هجوت زبان ثم جئت معتذرا * من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

واثبات الواو والياء والألف مع الجازم لغة لبعض العرب وضرورة لغيرهم * وقرأ معاذ القارىء ولا تقف مثل تقل من قاف يقوف تقول العرب قفت أثره وقفوت أثره وهما لغتان لوجود التصاريف فيهما كجبذ وجذب وقاع الجمل الناقة وقعاها اذا ركبها وليس قاف مقلوبا من قفا كما جوزه صاحب اللوامح * وقرأ الجراح العقيلي والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح وهي لغة في الفؤاد وأنكرها أبو حاتم وغيره وبه لا تتعلق بعلم لانه يتقدم معموله عليه * قال الحوفي يتعلق بما تعلق به لك وهو الاستقرار وهو لا يظهر وفي قوله ان السمع والبصر والفؤاد دليل على أن العلوم مستفادة من الحواس ومن العقول وجاء هذا على الترتيب القرآني في البداءة بالسمع ثم يليه البصر ثم يليه الفؤاد وأولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد وهو اسم اشارة للجمع المذكر والمؤنث العاقل وغيره وتخيل ابن عطية أنه يختص بالعاقل * فقال وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لانها حواس لها ادراك وجعلها في هذه الآية مسئولة فهي حالة من يعقل ولذلك عبر عنها بأولئك * وقد قال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين انما قال رأيتهم في نجوم لانه انما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل * وحكى الزجاج ان العرب تعبر عمن يعقل وعما لا يعقل بأولئك * وأنشده والطبري

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام

أن يقال له بعد الفعل وذمه لم فعلت كذا وما حملك عليه وما استفدت منه الا الحاق الضرر بنفسك فأول الامر الذم وآخره اللوم والفرق بين مخذولا ومدحورا أن المخذول هو المتروك اعانته ونصره والمفوض الى نفسه والمدحور المطرود المبعد على سبيل الاهانة له والاستخفاف به فأول الامر الخذلان وآخره الطرد مهانا وكان وصف الذم والخذلان يكون في الدنيا ووصف اللوم والدحور يكون في الآخرة ولذلك جاء فتلقى في جهنم والخطاب بالنهي في هذه الآيات كلها للسامع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الزمخشري ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمته وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم

(الدر)

(ع) وعبر عن السمع والبصر والفؤاد باولئك لانها حواس لها ادراك وجعلها في هذه الآية مسئولة فهو حالة من يعقل ولذلك عبر عنها باولئك وقد قال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين انما قال رأيتهم في نجوم لأنه لما وصفها بالسجود وهو

وأما حكاية أبي اسحاق عن اللغة فأمر توقف عنده وأما البيت فالرواية فيه الاقوام انتهى وليس ماتخيله صحيحا والنحاة ينشدونه بعد أولئك الايام ولم يكونوا لينشدوا الامارى واطلاق أولاء وأولاك وأولئك وأولالك على مالا يعقل لانعلم خلافا فيه وكل مبتدأ والجملة خبره واسم كان عائد على كل وكذا الضمير في مسئولا والضمير في عنه عائد على مامن قوله ماليس لك به علم فيكون المعنى ان كل واحد من السمع والبصر والفؤاد يسأل عما لاعلم له به أي عن انتفاء مالاعلم له به وهذا الظاهر * وقال الزجاج يستشهد بها كما قال يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم * وقال القرطبي في أحكامه يسأل الفؤاد عما اعتقده والسمع عما سمع والبصر عما رأى * وقال ابن عطية ان الله تعالى يسأل سمع الانسان وبصره وفؤاده عما قال عما لاعلم له به فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزى * وقيل الضمير في كان ومسئولا عائدان على القائف ماليس له به علم والضمير في عنه عائد على كل فيكون ذلك من الالتفات اذ لو كان على الخطاب لكان التركيب كل أولئك كنت عنه مسئولا * وقال الزمخشرى وعنه في موضع الرفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسئولا عنه فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت مالايحل لك سماعه ولم نظرت مالم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على مالم يحل لك العزم عليه انتهى وهذا الذى ذهب اليه من أن عنه في موضع الرفع بالفاعلية ويعنى بأنه مفعول لم يسم فاعله لايجوز لان الجار والمجرور ومايقام مقام الفاعل من مفعول به ومصدر وظرف بشرطهما جار مجرى الفاعل فكما أن الفاعل لايجوز تقديمه فكذلك ماجرى مجراه وأقيم مقامه فاذا قلت غضب على زيد فلا يجوز على زيد غضب بخلاف غضبت على زيد فيجوز على زيد غضبت وقد حكى الاتفاق من النحويين على أنه لايجوز تقديم الجار والمجرور الذى يقام مقام الفاعل على الفعل أبو جعفر النحاس ذكر ذلك في المقنع من تأليفه فليس عنه مسئولا كالمغضوب عليهم لتقدم الجار والمجرور في عنه مسئولا وتأخيره في المغضوب عليهم وقول الزمخشرى ولم نظرت مالم يحل لك اسقط الى وهو لايجوز الا ان جاء في ضرورة شعر لان نظر يتعدى بالى فكان التركيب ولم نظرت الى مالم يحل لك كما قال النظر اليه فعداه بالى وانتصب مرحا على الحال أى مرحا كما تقول جاء زيد ركضا أى راكضا أو على حذف مضاف أى ذا مرح وأجاز بعضهم أن يكون مفعولا من أجله أى ولا تمش في الارض للمرح ولا يظهر ذلك وتقدم أن المرح هو السرور والاغتباط بالراحة والفرح وكأنه ضمن معنى الاختيال لان غلبة السرور والفرح يصحبها التكبر والاختيال ولذلك بقوله علل انك لن تخرق الارض * وقرأت فرقة فيما حكى يعقوب مرحا بكسر الراء وهو حال أى لاتمش متكبرا مختالا * قال مجاهد لن تخرق بمشيك على عقبيك كبرا وتنعما ولن تبلغ الجبال بالمشى على صدور قدميك تفاخرا وطولا والتأويل أن قدرتك لاتبلغ هذا المبلغ فيكون ذلك وصلة الى الاختيال * وقال الزجاج لاتمش في الارض مختالا فخورا ونظيره وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واقصد في مشيك ولا تمش في الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور * وقال الزمخشرى لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال * وقرأ الجراح الاعرابى لن تخرق بضم الراء * قال أبو حاتم لاتعرف هذه اللغة * وقيل أشير بذلك الى أن الانسان محصور بين جمادين ضعيف عن التأثير فيهما بالخرق وبلوغ الطول ومن كان بهذه المثابة لايليق به التكبر * وقال الشاعر

فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل وحكى الزجاج ان العرب تعبر عمن يعقل وعمن لايعقل باولئك وأنشد هو والطبرى

ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد أولئك الأيام

فاما حكاية أبي اسحق عن اللغة فامر توقف عنده وأما البيت فالرواية فيه الأقوام (ح) تخيل ع ان أولئك تختص بالاشارة الى العاقل وليس ماتخيله صحيحا والنحاة ينشدونه بعد أولئك الأيام ولم يكونوا لينشدوا الامارى واطلاق أولاء وأولئك وأولاك وأولالك على مالا يعقل لانعلم خلافا فيه (ش) وعنه في موضع رفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسئولا عنه فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله على المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت مالايحل لك سماعه ولم نظرت مالم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على مالا يحل لك العزم عليه انتهى (ح) وهذا الذى ذهب اليه من أن عنه في موضع

ولا تمش فوق الارض إلا تواضعا * فكم تحتها قوم هم منك أرفع

والاجود انتصاب قوله طولا على التمييز أى لن يبلغ طولك الجبال * وقال الحوفى طولا نصب على الحال والعامل فى الحال تبلغ و يجوز أن يكون العامل تخرق وطولا بمعنى متطاول انتهى * وقال أبو البقاء طولا مصدر فى موضع الحال من الفاعل أو المفعول و يجوز أن يكون تمييزا ومفعولا له ومصدرا من معنى تبلغ انتهى * وقرأ الحرميان وأبو عمرو وأبو جعفر والاعرج سيئة بالنصب والتأنيث * وقرأ باقى السبعة والحسن ومسروق سيئه بضم الهمزة مضافا لهاء المذكر الغائب * وقرأ عبد الله سيئاته بالجمع مضافا للهاء وعنه أيضا سيئات بغير هاء، وعنه أيضا كان خبيثه * فأما القراءة الاولى فالظاهر ان ذلك اشارة الى مصدرى النهيين السابقين وهما قفو ماليس له به علم والمشى فى الارض مرحا * وقيل اشارة الى جميع المناهى المذكورة فيما تقدم فى هذه السورة وسيئة خبر كان وأنث ثم قال مكروها فذكر * قال الزمخشرى السيئة فى حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاسم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيأ ألا تراك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث انتهى وهو تخريج حسن * وقيل ذكر مكروها على لفظ كل وجوزوا فى مكروها أن يكون خبرا ثانيا لكان على مذهب من يجيز تعداد الاخبار لكان وأن يكون بدلا من سيئة والبدل بالمشتق ضعيف وأن يكون حالا من الضمير المستكن فى الظرف قبله والظرف فى موضع الصفة * قيل و يجوز أن يكون نعتا لسيئة لما كان تأنيثها مجازيا جاز أن توصف بمذكر وضعف هذا بان جواز ذلك انما هو فى الاسناد الى المؤنث المجازى اذا تقدم أما اذا تأخر وأسند الى ضميرها فهو قبيح تقول أبقل الارض ابقالها فصيحا والارض أبقل قبيح وأما من قرأ سيئه بالتذكير والاضافة فسيئه اسم كان ومكروها الخبر ولما تقدم من الخصال ماهو سيئ وماهو حسن أشير بذلك الى المجموع وأفرد سيئه وهو المنهى عنه فالحكم عليه بالكراهة من قوله لا تجعل الى آخر المنهيات وأما قراءة عبد الله فتخرج على أن يكون مما أخبر فيه عن الجمع اخبار الواحد المذكر وهو قليل نحو قوله * فان الحوادث أودى بها * لصلاحية الحدثان مكان الحوادث وكذلك هذا أيضا كان مايسوء مكان سيئاته ذلك اشارة الى جميع أنواع التكاليف من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر الى قوله ولا تمش فى الأرض مرحا وهى أربعة وعشرون نوعا من التكاليف بعضها أمر وبعضها نهى بدأها بقوله لا تجعل واختتم الآيات بقوله ولا تجعل وقال مما أوحى لان ذلك بعض مما أوحى اليه إذ أوحى اليه بتكاليف أخر ومما أوحى خبر عن ذلك ومن الحكمة يجوز أن يكون متعلقا بأوحى وأن يكون بدلا من ما وأن يكون حالا من الضمير المنصوب المحذوف العائد على ما وكانت هذه التكاليف حكمة لان حاصلها يرجع الى الأمر بالتوحيد وأنواع الطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والعقول تدل على صحتها وهى شرائع فى جميع الأديان لا تقبل النسخ * وعن ابن عباس ان هذه الآيات كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله إلها آخر قال تعالى وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ وكرر تعالى النهى عن الشرك ففى النهى الأول فتقعد مذموما مخذولا وفى الثانى فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا والفرق بين مذموم وملوم أن كونه مذموما أن يذكر ان الفعل الذى أقدم عليه قبيح منكر وكونه ملوما أن يقال له بعد الفعل وذمه لم فعلت كذا وما حملك عليه وما استفدت منه الا إلحاق الضرر بنفسك فأول الأمر الذم وآخره اللوم والفرق بين مخذول ومدحور ان المخذول هو المتروك اعانته ونصره والمفوض الى

الرفع على الفاعلية ويعنى به انه مفعول لم يسم فاعله لا يجوز لان الجار والمجرور وما يقام مقام الفاعل من مفعول به ومصدر وظرف بشرطهما جار مجرى الفاعل فكما أن الفاعل لا يجوز تقديمه فكذلك ماجرى مجراه وأقيم مقامه فاذا قلت غضب على زيد فلا يجوز على زيد غضب بخلاف غضبت على زيد فيجوز على زيد غضبت وقد حكى الاتفاق من النحويين على أنه لا يجوز تقديم الجار والمجرور الذى يقام مقام الفاعل على الفعل أبو جعفر النحاس وذكر ذلك فى المقنع من تأليفه فليس عنه مسؤلا كالمغضوب عليهم لتقدم الجار والمجرور فى عنه مسؤلا وتأخيره فى المغضوب عليهم وقول (ش) ولم نظرت مالا يحل لك أسقط الى وهو لا يجوز الا ان جاء فى ضرورة شعر لان نظر يتعدى بالى فكان التركيب ولم نظرت الى مالا يحل لك كما قال النظر اليه فعداه بالى

﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ لما نبه تعالى على فساد طريقة من أثبت لله شريكا ونظيرا أتبعه بفساد طريقة من أثبت لله ولدا والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ والخطاب لمن اعتقد أن الملائكة بنات الله ومعنى أفأصفاكم آثركم وخصكم وهذا كما قال أله البنات ولكم البنون ألكم الذكر وله الانثى وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم ومعنى عظيما بالغا في المنكر والقبح حيث أضفتم اليه الاولاد ثم حيث فضلتم عليه أنفسكم فجعلتم له ما تكرهون ثم نسبة الملائكة الذين هم من شريف ما خلق الى الانوثة ومعنى صرفنا نوعنا من جهة الى جهة ومن مثال الى مثال والتصريف لغة صرف الشيء من جهة الى

نفسه والمدحور المطرود المبعد على سبيل الاهانة له والاستخفاف به فأول الأمر الخذلان وآخره الطرد مهانا وكان وصف الذم والخذلان يكون في الدنيا ووصف اللوم والدحور يكون في الآخرة ولذلك جاء فتلقى في جهنم والخطاب بالنهي في هذه الآيات للسامع غير الرسول * وقال الزمخشري ولقد جعل الله عز وعلا فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا﴾ لما نبه تعالى على فساد من أثبت لله شريكا ونظيرا أتبعه بفساد طريقة من أثبت لله ولدا والاستفهام معناه الانكار والتوبيخ والخطاب لمن اعتقد أن الملائكة بنات الله ومعنى أفأصفاكم آثركم وخصكم وهذا كما قال أله البنات ولكم البنون ألكم الذكر وله الانثى وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بأجود الاشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردؤها وأدونها للسادات ومعنى عظيما بالغا في المنكر والقبح حيث أضفتم اليه الاولاد ثم حيث فضلتم عليه تعالى أنفسكم فجعلتم له ما تكرهون ثم نسبة الملائكة الذين هم من شريف ما خلق الى الانوثة ومعنى صرفنا نوعنا من جهة الى جهة ومن مثال الى مثال والتصريف لغة صرف الشيء من جهة الى جهة ثم صار كناية عن التبيين * وقرأ الجمهور صرفنا بتشديد الراء * فقال لم نجعله نوعا واحدا بل وعدا ووعيدا ومحكما ومتشابها وأمرا ونهيا وناسخا ومنسوخا وأخبارا وأمثالا مثل تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال ومفعول صرفنا على هذا المعنى محذوف وهي هذه الاشياء أي صرفنا الامثال والعبر والحكم والاحكام والاعلام * وقيل المعنى لم ننزله مرة واحدة بل نجوما ومعناه أكثرنا صرف جبريل اليك والمفعول محذوف أي صرفنا جبريل * وقيل في زائدة أي صرفنا هذا القرآن كما قال وأصلح لي في ذريتي وهذا ضعيف لان في لا تزاد * وقال الزمخشري يجوز أن يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد

جهة ثم صار كناية عن التبيين وقرئ ليذكر وأصله من التذكر أدغمت التاء في الذال وقرئ ليذكروا من الذكر وما يزيدهم أي التصريف الا نفورا أي بعدا وفرارا عن الحق ﴿قل لو كان معه آلهة﴾ ذكر قولهم انه تعالى معه آلهة ورد عليهم ومعنى ﴿لابتغوا﴾ أي طلبوا متوصلين إلى ذي العرش الى مغالبته وإفساد ملكه لأنهم شركاؤه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض والكاف في كما في موضع نصب أي مثلما وقرئ تقولون بتاء الخطاب ويقولون بياء الغيبة سبحانه أي تنزيهه وتعالى متعلق به على سبيل الاعمال إذ يصح لسبحان أن يتعلق به عن والتعالي في حقه تعالى هو بالمكانة لا بالمكان وعلوا مصدر على غير الصدر إذ لو جاء على تعالى لكان المصدر تعاليا لان تفاعل بمعنى الفعل المجرد وهو علا ونسبة التسبيح للسموات والارض ومن فيهن من ملك وإنس وجن حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة وان ما لا حياة فيه ولا نمو يحدث الله له نطقا وهذا هو الظاهر من اللفظ ولذلك جاء ولكن لا تفقهون تسبيحهم * قال ابن عطية ثم أعاد على السموات والارض ضمير من يعقل لما أسند اليها فعل الفاعل وهو التسبيح انتهى ويعني بالضمير في قوله ومن فيهن وكأنه تخيل ان هن لا يكون الا لمن يعقل من المؤنثات وليس كما تخيل بل هن يكون ضميرا لجمع المؤنث مطلقا ﴿وان من شيء﴾ إن نافية ومن شيء مبتدأ ومن زائدة وخبره يسبح موجب بعد النفي ﴿إنه كان حليما﴾ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء نظركم ﴿غفورا﴾ إن رجعتم ووحدتم الله

صرفنا القول فى هذا المعنى وأوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعنى هذا المعنى فى مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم انتهى فجعل التصريف خاصا بما دلت عليه الآية قبله وجعل مفعول صرفنا اما القول فى هذا المعنى أو المعنى وهو الضمير الذى قدره فى صرفناه وغيره جعل التصريف عاما فى أشياء فقدر مايشمل ماسيق له ماقبله وغيره * وقرأ الحسن بتخفيف الراء * فقال صاحب اللوامح هو بمعنى العامة يعنى بالعامة قراءة الجمهور قال لان فعل وفعل ربما تعاقبا على معنى واحد * وقال ابن عطية على معنى صرفنا فيه الناس الى الهدى بالدعاء الى الله * وقرأ الجمهور ليذكروا أى ليتذكروا من التذكير أدغمت التاء فى الذال * وقرأ الاخوان وطلحة وابن وثاب والاعمش ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف من الذكر أو الذكر أى ليتعظوا او يعتبر واو ينظروا فيما يحتج به عليهم ويطمئنوا اليه ومايزيدهم أى التصريف الانفورا أى بعدا وفرارا عن الحق كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وقال فمالهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة والنفور من أوصاف الدواب الشديدة الشماس ولما ذكر تعالى نسبة الولد اليهم ورد عليهم فى ذلك ذكر قولهم انه تعالى معه آلهة ورد عليهم * وقرأ ابن كثير وحفص عما يقولون بالياء من تحت والجمهور بالتاء ومعنى لابتغوا الى ذى العرش سبيلا الى مغالبته وافساد ملكه لانهم شركاؤه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض وقال هذا المعنى أو مثله ابن جبير وأبو على الفارسى والنقاش والمتكامون أبو منصور وغيره وعلى هذا تكون الآية بيانا للتمانع كما فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وياتى تفسيرها ان شاء الله تعالى * وقال قتادة مامعناه لابتغوا الى التقرب الى ذى العرش والزلفى لديه وكانوا يقولون ان الاصنام تقربهم الى الله فاذا علموا أنها تحتاج الى الله فقد بطل كونها آلهة ويكون كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب والكاف من كما فى موضع نصب * وقال الحوفى متعلقة بما تعلقت به مع وهو الاستقرار ومعه خبر كان * وقال أبو البقاء كونا لقولكم * وقال الزمخشرى واذا دالة على ان مابعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو انتهى وعطف وتعالى على قوله سبحانه لأنه اسم قام مقام المصدر الذى هو فى معنى الفعل أى براءة الله وقدر تنزه وتعالى يتعلق به عن على سبيل الاعمال اذ يصح لسبحان أن يتعلق به عن كما فى قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون والتعالى فى حقه تعالى هو بالمكانة لا بالمكان * وقرأ الاخوان عما تقولون بالتاء من فوق وباقى السبعة بالياء وانتصب علوا على انه مصدر على غير الصدر أى تعاليا ووصف تكبيرا مبالغة فى معنى البراءة والبعد عما وصفوه به لان المنافاة بين الواجب لذاته والممكن لذاته وبين القديم والمحدث وبين الغنى والمحتاج منافاة لاتقبل الزيادة ونسبة التسبيح للسموات والارض ومن فيهن من ملك وانس وجن حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة وان مالا حياة فيه ولانمو يحدث الله له نطقا وهذا هو ظاهر اللفظ ولذلك جاء ولكن لاتفقهون تسبيحهم * وقال بعضهم ما كان من نام حيوان وغيره يسبح حقيقة وبه قال عكرمة قال الشجرة تسبح والاسطوانة لاتسبح * وسئل الحسن عن الخوان أيسبح فقال قد كان يسبح مرة يشير الى انه حين كان شجرة كان يسبح وحين صار خوانا مدهونا صار جمادا لايسبح * وقيل التسبيح المنسوب لما لايعقل مجاز ومعناه انها تسبح بلسان الحال حيث يدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته وكماله فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله عما لايجوز عليه من الشركاء وغيرها ويكون قوله ولكن لاتفقهون تسبيحهم

﴿ و إذا قرأت القرآن ﴾ الآية نزلت في أبي سفيان والنضر وأبي جهل وأم جميل امرأة أبي لهب كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن فحجب الله أبصارهم إذ قرأ فكانوا يمرون به ولا يرونه * ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر تقرير الألوهية ذكر بعده تقرير النبوة وذكر شيأ من أحوال الكفرة وانكارها وانكار المعاد والمعنى واذا شرعت في القراءة وليس المعنى على الفراغ من القراءة بل المعنى انك إذا التبست بقراءة القرآن ولا يراد بالقرآن جميعه بل ما ينطلق عليه الاسم فانك تقول لمن يقرأ شيأ من القرآن قارئ القرآن والظاهر إقرار مستورا على موضوعه من كونه اسم مفعول أي مستورا عن أعين الكفار فلا يرونه أو مستورا به الرسول عن أعينهم ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ تقدم تفسيره في الانعام ﴿ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ﴾ قيل دخل ملأ من قريش على أبي طالب يزورونه فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ومر بالتوحيد ثم قال يامعشر قريش قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فولوا ونفروا فنزلت قال الزمخشري وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة و وحده من باب رجع عوده (٤١ . على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا انتهى ماذهب اليه من أن وحده مصدر ساد مسد الحال خلاف مذهب سيبويه ووحده عند سيبويه ليس مصدرا بل اسم وضع موضع المصدر الموضوع موضع الحال فوحده عنده موضوع وضع ايحاد وايحاد موضوع موضع موحد ووحده وقع بعد فاعل ومفعول نحو ضربت زيدا وحده فمذهب سيبويه أنه حال من الفاعل أي موحدا له بالضرب ومذهب المبرد أنه يجوز أن يكون حالا من المفعول فعلى مذهب سيبويه يكون التقدير موحدا له بالذكر وعلى مذهب المبرد يكون التقدير موحدا بالذكر والظاهر أن الآية في حال الفارين عنه وقت قراءته القرآن ومروره بتوحيد الله تعالى والمعنى اذا جاءت في قراءته مواضع التوحيد فر الكفار انكارا له واستبشاعا لرفض آلهتهم واطراحها ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به ﴾ أي بالاستخفاف الذي يستمعون به والهزء بك وبالقرآن واللغو كان اذا قرأ صلى الله عليه وسلم قام رجلان من بني عبد الله عن يمينه ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار وبما يتعلق بأعلم وفيه متعلق بيستمعون لما ضمن يستمعون معنى يستهزئون عدي بالباء واليك متعلق بيستمعون الثانية واذا الثانية بدل من الأولى ونجوى على اضمارهم نجوى أي ذو ونجوى وإن في إن يتبعون نافية والجملة في موضع مفعول بيقول وروي أن تناجيهم كان عند عتبة دعا أشراف قريش الى

خطابا للمشركين وهم وان كانوا معترفين بالخالق انه الله لكنهم لما جعلوا معه آلهة لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فيكون التسبيح المسند الى السموات والارض ومن فيهن على سبيل المجاز قدرا مشتركا بين الجميع وان كان يصدر التسبيح حقيقة ممن فيهن من ملك وانس وجان ولا يحمل نسبته الى السموات والارض على المجاز ونسبته الى الملائكة والثقلين على الحقيقة لئلا يكون جمعا بين المجاز والحقيقة بلفظ واحد * وقال ابن عطية ثم أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل لما أسند اليها فعل العاقل وهو التسبيح انتهى ويعني بالضمير في قوله ومن فيهن وكأنه تخيل ان هن لا يكون الا لمن يعقل من المؤنثات وليس كما تخيل بل هن يكون ضميرا لجمع المؤنث مطلقا * وقرأ النحويان وحمزة وحفص تسبح بالتاء من فوق وباقي السبعة بالياء وفي بعض المصاحف سبحت له السموات بلفظ الماضي وتاء التأنيث وهي قراءة عبد الله والأعمش وطلحة بن مصرف انه كان حليما حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء نظركم غفورا ان رجعتم ووحدتم الله تعالى ﴿ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ نزلت واذا قرأت القرآن في أبي سفيان والنضر وأبي جهل وأم جميل امرأة أبي

(الدر) (ع) ثم أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل لما أسند اليها فعل العاقل وهو التسبيح (ح) ويعني بالضمير في قوله ومن فيهن وكأنه تخيل أن هن لا يكون الا لمن يعقل من المؤنثات وليس كما تخيل بل هن يكون ضميرا لجمع المؤنث مطلقا

طعام فدخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله فتناجوا يقولون ساحر مجنون والظاهر أن مسحورا من السحر أي خبل عقله السحر والأمثال هي ماتقدم (٤٢) من قولهم في تناجيهم ﴿ فلايستطيعون سبيلا ﴾ أي الى الايمان

﴿وقالوا أئذا كنا﴾ هذا استفهام تعجب وانكار واستبعاد لما ضربوا له الأمثال وقالوا عنه انه مسحور ذكروا ما استدلوا به على زعمهم على اتصافه بما نسبوا اليه واستبعدوا أنه بعد ما يصير الانسان رفاتا يحييه الله ويعيده وقد رد عليهم ذلك بأنه تعالى هو الذي فطرهم بعد العدم الصرف على ما يأتي شرحه في الآية بعد هذا وجواب اذا محذوف تقديره أئذا كنا عظاما ورفاتا نبعث رفت الشئ كسره برفته بالكسر والرفات الأجزاء المفتتة من كل شئ مكسر وفعال بناء لهذا المعنى كالحطام والفتات والرضاض والرقاق

(الدر)

(ش) وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحدة من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر سادمسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا انتهى (ح) ماذهب اليه من أن وحده مصدر سادمسد الحال خلاف مذهب سيبويه ووحده عند سيبويه ليس مصدرا بل هو اسم وضع موضع المصدر الموضوع موضع الحال فوحده عنده موضوع موضع ايحاد وايحاد موضوع موضع موحد وذهب يونس الى أن وحده منصوب على الظرف وذهب قوم الى أنه مصدر لافعل له وقوم الى أنه

لهب كانوا يؤذون الرسول اذا قرأ القرآن فحجب الله أبصارهم اذا قرأ فكانوا يمرون به ولا يرونه قاله الكلبي وعن ابن عباس نزلت في امرأة أبي لهب دخلت منزل أبي بكر وبيدها فهر والرسول صلى الله عليه وسلم عنده فقالت هجاني صاحبك قال ماهو بشاعر قالت قال في جيدها حبل من مسد وما يدريه ما في جيدي فقال لأبي بكر سلها هل ترى غيرك فان ملكا لم يزل يسترني عنها فسألها فقالت أتهزأ بي ما أرى غيرك فانصرفت ولم تر الرسول صلى الله عليه وسلم * وقيل نزلت في قوم من بني عبد الدار كانوا يؤذونه في الليل اذا صلى وجهر بالقراءة فحال الله بينهم وبين أذاه ولما تقدم الكلام في تقرير الالهية جاء بعده تقرير النبوة وذكر شئ من أحوال الكفرة في انكارها وانكار المعاد والمعنى واذا شرعت في القراءة وليس المعنى على الفراغ من القراءة بل المعنى على انك اذا التبست بقراءة القرآن ولا يراد بالقرآن جميعه بل ماينطلق عليه الاسم فانك تقول لمن يقرأ شيئا من القرآن هذا يقرأ القرآن والظاهر ان القرآن هنا هو ما قرئ من القرآن أي شئ كان منه * وقيل ثلاث آيات منه معينة وهي في النحل أولئك الذين طبع الى الغافلون وفي الكهف ومن أظلم الى اذا أبدا وفي الجاثية أفرأيت من اتخذ الهه هواه الى أفلا تذكرون وعن كعب ان الرسول كان يستتر بهذه الآيات وعن ابن سيرين انه عينه اله هاتف من جانب البيت وعن بعضهم انه أسر زمانا ثم اهتدى قراءتها فخرج لايبصره الكفار وهم يتطلبونه تمس ثيابهم ثيابه * قال القرطبي ويزاد الى هذه الآي أول يس الى فهم لايبصرون ففي السيرة ان الرسول صلى الله عليه وسلم حين نام علي على فراشه خرج ينثر التراب على رؤس الكفار فلا يرونه وهو يتلو هذه الآيات من يس ولم يبق أحد منهم الا وضع على رأسه ترابا والظاهر ان المعنى جعلنا بين رؤيتك وبين أبصار الذين لايؤمنون بالآخرة كما ورد في سبب النزول * وقال قتادة والزجاج وجماعة ما معناه جعلنا بين فهم ماتقرأ وبينهم حجابا فلا يقرون بنبوتك ولا بالبعث فالمعنى قريب من الآية بعدها والظاهر اقرار مستورا على موضوعه من كونه اسم مفعول أي مستورا عن أعين الكفار فلا يرونه أو مستورا به الرسول عن رؤيتهم ونسب الستر اليه لما كان مستورا به قاله المبرد ويؤول معناه الى انه ذو ستر كما جاء في صيغة لابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر وقالوا رجل مرطوب أي ذو رطبة ولا يقال رطبته ومكان مهول أي ذو هول وجارية مغنوجة ولا يقال هلت المكان ولا غنجت الجارية * وقال الاخفش وجماعة مستورا ساترا واسم الفاعل قد يجيء بلفظ المفعول كما قالوا مشؤم وميمون يريدون شائم ويامن * وقيل مستور وصف على جهة المبالغة كما قالوا شعر شاعر ورد بأن المبالغة انما تكون باسم الفاعل ومن لفظ الأول وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا تقدم تفسيره في أوائل الأنعام واذا ذكرت ربك في القرآن وحده * قيل دخل ملأ قريش على أبي طالب يزورونه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ وأمر بالتوحيد ثم قال يامعشر قريش قولوا لا اله الا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فولوا وأنفروا فنزلت هذه الآية والظاهر أن الآية في حال الفارين عند وقت قراءته القرآن ومروره بتوحيد الله والمعنى اذا جاءت مواضع التوحيد فر الكفار انكارا له واستبشاعا لرفض آلهتهم واطراحها * وقال الزمخشري وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد

وعدا وعدة وحده من باب رجع غوده على بدنه وافعله جهدك وطاقتك فى انه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا انتهى وماذهب اليه من ان وحده مصدر ساد مسد الحال خلاف مذهب سيبويه ووحده عند سيبويه ليس مصدرا بل هو اسم وضع موضع المصدر الموضوع موضع الحال فوحده عنده موضوع موضع ايحاد وايحاد موضوع موضع موحد وذهب يونس الى ان وحده منصوب على الظرف وذهب قوم الى انه مصدر لا فعل له وقوم الى انه مصدر لأوحد على حذف الزيادة وقوم الى أنه مصدر لوحد كما ذهب اليه الزمخشرى وحجج هذه الأقوال مذكورة فى كتب النحو * واذا ذكرت وحده بعد فاعل ومفعول نحو ضربت زيدا فمذهب سيبويه انه حال من الفاعل أى موحدا له بالضرب ومذهب المبرد انه يجوز أن يكون حالا من المفعول فعلى مذهب سيبويه يكون التقدير واذا ذكرت ربك موحدا له بالذكر وعلى مذهب أبى العباس يجوز أن يكون التقدير موحدا بالذكر ونفورا حال جمع نافر كقاعد وقعود أو مصدر على غير الصدر لان معنى ولوا نفروا والظاهر عود الضمير فى ولوا على الكفار المتقدم ذكرهم * وقالت فرقة هو ضمير الشياطين لانهم يفرون من القرآن دل على ذلك المعنى وان لم يجر لهم ذكر * وقال أبو الحوراء أوس بن عبد الله ليس شئ أطرد للشيطان من القلب من لا اله الا الله ثم تلا واذا ذكرت الآية * وقال على بن الحسين هو البسملة نحن أعلم بما يستمعون به أى بالاستخفاف الذى يستمعون به والهزء بك واللغو كان اذا قرأ صلى الله عليه وسلم قام رجلان من بنى عبد الله عن يمينه ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبما متعلق بأعلم وما كان فى معنى العلم والجهل وان كان متعديا للمفعول بنفسه فانه اذا كان فى باب افعل فى التعجب وفى أفعل التفضيل تعدى بالباء تقول ما أعلم زيدا بكذا وما أجهله بكذا وهو أعلم بكذا وأجهل بكذا بخلاف سائر الافعال المتعدية لمفعول بنفسه فانه يتعدى فى أفعل فى التعجب وأفعل التفضيل باللام تقول ما أضرب زيدا لعمرو وزيد أضرب لعمرو من بكر * وبه قال الزمخشرى فى موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء أى هازئين واذ يستمعون نصب بأعلم أى أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون وبما به يتناجون اذهم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذهم انتهى * وقال الحوفى لم يقل يستمعونه ولا يستمعونك لما كان الغرض ليس الاخبار عن الاستماع فقط وكان مضمنا ان الاستماع كان على طريق الهزء بأن يقولوا مجنون أو مسحور جاء الاستماع بالباء والى ليعلم ان الاستماع ليس المراد به تفهم المسموع دون هذا المقصد اذ يستمعون اليك وإذهم نجوى فاذ الأولى تتعلق بيستمعون به وكذا واذهم نجوى لأن المعنى نحن أعلم بالذى يستمعون به اليك والى قراءتك وكلامك انما يستمعون لسقطك وتتبع عيبك والتماس ما يطعنون به عليك يعنى فى زعمهم ولهذا ذكر تعديته بالباء والى انتهى * وقال أبو البقاء يستمعون به * قيل الباء بمعنى اللام واذ ظرف ليستمعون الأولى والنجوى مصدر ويجوز أن يكون جمع نجى كقتيل وقتلى وإذ بدل من اذ الاولى * وقيل التقدير اذكر اذ تقول * وقال ابن عطية الضمير فى به عائد على ما هو بمعنى الذى والمراد الاستخفاف والاعراض فكأنه قال نحن أعلم بالاستخفاف والاستهزاء الذى يستمعون به أى هو ملازمهم ففضح الله بهذه الآية سرهم والعامل فى اذ الاولى وفى المعطوف يستمعون الاولى انتهى تناجوا فقال النضر ما أفهم ما تقول وقال ابو سفيان أرى بعضه حقا وقال أبو جهل مجنون وقال أبو لهب كاهن وقال حويطب شاعر وقال بعضهم أساطير الاولين وبعضهم انما يعلمه بشر وروى أن تناجيهم كان عند عتبة دعا أشراف قريش الى

(الدر)

مصدر لاوحد على حذف الزيادة وقوم الى أنه مصدر لوحد كما ذهب اليه (ش) وحجج هذه الاقوال مذكورة فى كتب النحو واذا ذكرت وحده بعد فاعل ومفعول نحو ضربت زيدا فمذهب سيبويه انه حال من الفاعل اى موحدا له بالضرب ومذهب المبرد انه يجوز أن يكون حالا من المفعول فعلى مذهب سيبويه يكون التقدير واذا ذكرت ربك موحدا له بالذكر وعلى مذهب أبى العباس يجوز أن يكون التقدير موحدا له بالذكر

طعام فدخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله فتناجوا يقولون ساحر مجنون والظاهر ان مسحورا من السحر أي خبل عقله السحر * وقال مجاهد مخدوعا نحو فأنى تسحرون أي تخدعون * وقال أبو عبيدة مسحورا معناه ان له سحرا أي رئة فهو لا يستغنى عن الطعام والشراب فهو مثلكم وليس بملك وتقول العرب للجبان قد انتفخ سحره ولكل من أكل أو شرب من آدمي وغيره مسحور * قال

أرانا موضعين لامر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

أي نغذى ونعلل ونسحر * قال لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر

* قال ابن قتيبة لا أدرى ما الذى حمل أبا عبيدة على هذا التفسير المستكره مع أن السلف فسروه بالوجوه الواضحة * وقال ابن عطية الآية التى بعد هذا تقوى ان اللفظة من السحر بكسر السين لان (١) فى قولهم ضرب مثل وأما على انها من السحر الذى هو الرئة ومن التغذى وأن تكون الاشارة الى أنه بشر فلم يضرب له فى ذلك مثل بل هى صفة حقيقة له والامثال تقدم ما قالوه فى تناجيهم وكان ذلك منهم على جهة التسلية والتلبيس ثم رأى الوليد بن المغيرة ان أقربها التخييل الطارئين عليهم هو أنه ساحر فضلوا فى جميع ذلك ضلال من يطلب فيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى أمره عليهم فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى والنظر المؤدى الى الايمان أو سبيلا الى افساد أمرك واطفاء نور الله بضربهم الامثال واتباعهم كل حيلة فى جهتك وحكى الطبرى أنها نزلت فى الوليد بن المغيرة وأصحابه وقالوا أئذا كنا هذا استفهام تعجب وانكار واستبعاد لما ضربوا له الامثال وقالوا عنه انه مسحور ذكر واما استدلوا به على زعمهم على اتصافه بما نسبوا اليه واستبعدوا أنه بعد ما يصير الانسان رفاتا يحييه الله ويعيده وقد رد عليهم ذلك بأنه تعالى هو الذى فطرهم بعد العدم الصرف على ما يأتى شرحه فى الآية بعد هذا ومن قرأ من القراء اذا وانا معا أو احداهما على صورة الخبر فلا يريد الخبر حقيقة لان ذلك كان يكون تصديقا بالبعث والنشأة الآخرة ولكنه حذف همزة الاستفهام لدلالة المعنى وفى الكلام حذف تقديره اذا كنا ترابا وعظاما نبعث أو نعاد وحذف لدلالة ما بعده عليه وهذا المحذوف هو جواب الشرط عند سيبويه والذى تعلق به الاستفهام وانصب عليه عند يونس وخلقا حال وهو فى الاصل مصدر أطلق على المفعول أي مخلوقا * قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم الا قليلا وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا وربك أعلم بمن فى السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وإن من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى

(١) كذا بياض بجميع

أريناك الافتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الاطغيانا كبيرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الاقليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الاغرورا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا * الحديد معروف * نغضت سنه تحركت قال * ونغضت من هرم أسنانها * تنغض وتنغض نغضا ونغوضا وانغض رأسه حركه برفع وخفض * قال * لما رأتني انغضت لي الرأسا * وقال الآخر

أنغض نحوي رأسه وأقنعا * كأنه يطلب شيأ أطمعا

* وقال الفراء أنغض رأسه حركه الى فوق والى أسفل * وقال أبو الهيثم اذا أخبر بشئ فحرك رأسه انكارا له فقد انغض رأسه * وقال ذو الرمة

ظعائن لم يسكن أكناف قرية * بسيف ولم ينغض بهن القناطر

* حنك الدابة واحتنكها جعل في حنكها الاسفل حبلا يقودها به واحتنك الجراد الارض أكلت نباتها * قال

نشكوا اليك سنة قد أجحفت * جهدا الى جهد بنا فأضعفت

* واحتنكت أموالنا وحنفت ومنه ماذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما * استفز الرجل استخفه والفز الخفيف وأصله القطع ومنه تفزز الثوب انقطع واستفزني فلان خدعني حتى وقعت في أمر أراده * وقيل لولد البقرة فز لخفته * قال الشاعر

كما استغاث بشئ فز غيطلة * خاف العيون فلم ينظر نه الحشك

* الجلبة الصياح قاله أبو عبيدة والفراء * وقال أبو عبيدة جلب واجلب * وقال الزجاج اجلب على العدو جمع عليه الخيل * وقال ابن السكيت جاب عليه أعان عليه * وقال ابن الاعرابي أجلب على الرجل اذا توعده الشر وجمع عليه الجمع * الصوت معروف * الحاصب الريح ترمي بالحصباء قاله الفراء والحصب الرمي بالحصباء وهي الحجارة الصغار

وقال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربهم * بحاصب كنديف القطن منثور

والحاصب العارض الرامي بالبرد والحجارة * تارة مرة وتجمع على تير وتارات * قال الشاعر

وانسان عيني يحسر الماء تارة * فيبدوا وتارات يجم فيغرق

* القاصف الذي يكسر كل ما يلقى ويقال قصف الشجر يقصفه قصفا كسره * وقال أبو تمام

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولا يعبأن بالرتم

* وقيل القاصف الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر

﴿قل كونوا حجارة﴾ الآية أي كونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها القساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم الى حال الحياة ﴿أو خلقا مما يكبر في صدوركم﴾ عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فانه يحييه ﴿فسينغضون اليك رؤسهم﴾ أي يحركونها على سبيل التكذيب والاستبعاد ﴿ويقولون متى هو﴾ أي متى العود ولم يقولوا ذلك على سبيل التسليم للعود ولكن حيدة وانتقالا لما لا يسأل عنه لأن ماثبت امكانه بدليل العقل لا يسأل عن تعيين وقوعه ولكن أجابهم على سؤالهم بقرب وقوعه لا بتعيين زمانه لأن ذلك مما استأثر تعالى بعلمه واحتمل أن يكون في ﴿عسى﴾ اضمار أي عسى هو أي العود واحتمل أن يكون مرفوعها أن ﴿يكون﴾ فتكون فيه تامة ووقع في لفظ ابن عطية عسى أن الساعة قريبة انتهى وهذا تركيب لا يجوز لا تقول عسى أن زيدا قائم بخلاف عسى أن يقوم زيد و﴿قريبا﴾ يحتمل أن يكون خبر كان على أنه يكون العود متصفا بالقرب ويحتمل أن يكون ظرفا أي زمانا قريبا وعلى هذا التقدير يكون ﴿يوم يدعوكم﴾ بدلا من قريبا فالظاهر أن الدعاء حقيقة أي يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الأخيرة كما قال تعالى يوم ينادي المنادي من مكان قريب الآية ومعنى تستجيبون توافقون الداعي فيما دعاكم اليه والظاهر أن الخطاب للكفار إذ الكلام قبل ذلك معهم فالضمير لهم و ﴿بحمده﴾ حال منهم أي ملتبسين بالثناء عليه تعالى ﴿إن لبثتم إلا قليلا﴾ ان هنا نافية وتظنون معلقة عن العمل فالجملة بعده في موضع نصب وقلما ذكر النحويون في أدوات التعليق ان النافية ويظهر أن انتصاب قليلا على أنه نعت لزمان محذوف أي الا زمانا قليلا كقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ويجوز أن يكون نعتا لمصدر محذوف أي لبثنا قليلا ودلالة الفعل على مصدره دلالة قوية

﴿قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا﴾ قال الزمخشري لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة أو حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة أو حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحي وغضاضته بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ماركب به البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع ان طباعها القساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم الى حال الحياة أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه * وقال ابن عطية كونوا ان استطعتم هذه الأشياء الصعبة الممتنعة التأتي لابد من بعثكم وقوله كونوا هو الذي يسميه المتكلمون التعجيز من أنواع افعل وبهذه الآية مثل بعضهم وفي هذا عندي نظر وانما التعجيز حيث يقتضي بالأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب كقوله تعالى فادرأوا عن أنفسكم الموت ونحوه وأما هذه الآية فمعناها كونوا بالتوهم والتقدير كذا وكذا الذي فطركم كذلك هو يعيدكم انتهى * وقال مجاهد المعنى كونوا ما شئتم فستعادون * وقال النحاس هذا قول حسن لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا حجارة وانما المعنى أنهم قد أقروا بخالقهم وأنكروا البعث فقيل لهم استشعروا أن تكونوا ما شئتم فلو كنتم حجارة أو حديدا لبعثتم كما خلقتم أول مرة انتهى أو خلقا مما يكبر في صدوركم صلابته وزيادته على قوة الحديد وصلابته ولم يعينه ترك ذلك الى أفكارهم وجولانها فيما هو أصلب من الحديد فبدأ أولا بالصلب ثم ذكر على سبيل الترقي الأصلب منه ثم الاصلب من الحديد أي افرضوا ذواتكم شيأ من هذه فانه لابد لكم من البعث على أي حال كنتم * وقال ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن عمر والحسن وابن جبير والضحاك الذي يكبر الموت أي لو كنتم الموت لأماتكم ثم أحياكم وهذا التفسير لا يتم الا اذا أريد المبالغة لا نفس الامر لان البدن جسم والموت عرض ولا ينقلب الجسم عرضا ولو فرض انقلابه عرضا لم يكن ليقبل الحياة لاجل الضدية * وقال مجاهد الذي يكبر السموات والارض والجبال ولما ذكر انهم لو كانوا أصلب شيء وأبعده من حلول الحياة به كان خلق الحياة فيه ممكنا قالوا من الذي هو قادر على صيرورة الحياة فينا واعادتنا فنبههم على ما يقتضي الاعادة وهو ان الذي أنشأكم واخترعكم أول مرة هو الذي يعيدكم والذي مبتدأ وخبره محذوف التقدير الذي فطركم أول مرة يعيدكم فيطابق الجواب السؤال ويجوز أن يكون فاعلا أي يعيدكم الذي فطركم ويجوز أن

يكون خبر مبتدا أي معيدكم الذي فطركم وأول مرة ظرف العامل فيه فطركم قاله الحوفي فسينغضون أي يحركونها على سبيل التكذيب والاستبعاد ويقولون متى هو أي متى العود ولم يقولوا ذلك على سبيل التسليم للعود ولكن خيدة وانتقالا لما لا يسأل عنه لان ما ثبت امكانه بالدليل العقلي لا يسأل عن تعيين وقوعه ولكن أجابهم عن سؤالهم بقرب وقوعه لا بتعيين زمانه لان ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه واحتمل أن يكون في عسى اضمار أي عسى هو أي العود واحتمل أن يكون مرفوعها أن يكون فتكون تامة * وقريبا يحتمل أن يكون خبر كان على انه يكون العود متصفا بالقرب ويحتمل أن يكون ظرفا أي زمانا قريبا وعلى هذا التقدير يوم ندعوكم بدلا من قريبا * وقال أبو البقاء يوم يدعوكم ظرف ليكون ولا يجوز أن يكون ظرفا لاسم كان وان كان ضمير المصدر لان الضمير لا يعمل انتهى اما كونه ظرفا ليكون فهذا مبني على جواز عمل كان الناقصة في الظرف وفيه خلاف وأما قوله لان الضمير لا يعمل فهو مذهب البصريين وأما الكوفيون فيجيزون أن يعمل نحو مروري بزيد حسن وهو بعمرو قبيح يعلقون بعمرو بلفظ هو اي ومروري بعمرو قبيح والظاهر أن الدعاء حقيقة أي يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة كما قال يوم ينادي المنادي من مكان قريب الآية ويقال ان اسرافيل عليه السلام ينادي أيتها الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودي كما كنت * وروي في الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم ومعنى فتستجيبون توافقون الداعي فيما دعاكم اليه * وقال الزمخشري الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون انتهى والظاهر ان الخطاب للكفار اذ الكلام قبل ذلك معهم فالضمير لهم وبحمده حال منهم * قال الزمخشري وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه * وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك انتهى وذلك لما ظهر لهم من قدرته * وقيل معنى بحمده ان الرسول قائل ذلك لا انهم يكون بحمده حالا منهم فكأنه قال عسى أن تكون الساعة قريبة يوم يدعوكم فتقومون بخلاف ما تعتقدون الآن وذلك بحمد الله على صدق خبري كما تقول لرجل خصمته أو حاورته في علم قد أخطأت بحمد الله فبحمد الله ليس حالا من فاعل أخطأت بل المعنى أخطأت والحمد لله وهذا معنى متكلف نحا اليه الطبري وكان بحمده يكون اعتراضا اذ معناه والحمد لله ونظيره قول الشاعر

فاني بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة أتقنع

أي فاني والحمد لله فهذا اعتراض بين اسم ان وخبرها كما ان بحمده اعتراض بين المتعاطفين ووقع في لفظ ابن عطية حين قرر هذا المعنى قوله عسى ان الساعة قريبة وهو تركيب لا يجوز لا تقول عسى ان زيدا قائم بخلاف عسى أن يقوم زيد وعلى أن يكون بحمده حالا من ضمير فتستجيبون * قال المفسرون حمدوا حين لا ينفعهم الحمد * وقال قتادة معناه بمعرفته وطاعته وتظنون ان لبثتم الا قليلا * قال ابن عباس بين النفختين الأولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب في ذلك الوقت ويدل عليه من بعثنا من مرقدنا هذا فهذا عائد الى لبثهم فيما بين النفختين * وقال الحسن تقريب وقت البعث فكأنك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة لم تزل فهذا يرجع الى استقلال مدة اللبث في الدنيا * وقال الزمخشري وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها

(الدر)

(ح) وهو في لفظ (ع) عسى أن الساعة قريبة انتهى وهذا تركيب لا يجوز لا تقول عسى أن زيدا قائم بخلاف عسى أن يقوم زيد

﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ﴾ الآية إضافة العباد له تعالى تدل على أن المأمورين هم المؤمنون أمروا أن يقول بعضهم لبعض الكلم التى هى أحسن أى يجل بعضهم بعضا و يعظمه ولا يصدر له منه الا الكلم الطيب والقول الجميل ونبهوا على أنه قد يكون من الشيطان نزغ لهم فيجتنبوه ذكروا بعداوته القديمة لهم والخطاب بقوله ﴿ ربكم ﴾ للمؤمنين فالرحمة الانجاء من الكفار وأذاهم والتعذيب تسليطهم عليهم ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلا ﴾ أى حافظا وكفيلا ولما خاطبهم بقوله تعالى أعلم بكم انتقل من الخصوص الى العموم فقال مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وربك أعلم بمن فى السموات والأرض ﴾ ليبين أن علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع من فى السموات والأرض بأحوالهم ومقاديرهم وما يستأهل كل واحد منهم و بمن متعلق بأعلم كما تعلق بكم قبله بأعلم ولما كان الكفار قد استبعدوا تنبيء البشر اذ فيه تفضيل الأنبياء على غيرهم أخبر تعالى بتفضيل بعض الأنبياء على بعض إشارة إلى أنه لا يستبعد تفضيل الأنبياء على غيرهم إذ وقع التفضيل فى هذا الجنس المفضل على الناس والله أعلم بما خص كل واحد من المزايا فهو يفضل من شاء منهم على من شاء إذ هو الحكيم فلا يصدر شئ الا عن حكمته وفيه إشارة إلى أنه لا يستنكر تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء وخص داود بالذكر هنا لانه تعالى ذكر فى الزبور أن محمدا خاتم النبيين وأن أمته خير الأمم وقال تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وأمته وكانت قريش ترجع الى اليهود كثيرا فيما يخبرون به مما فى كتبهم فنبه على أن زبور داود تضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وفى ذلك رد على مكابرى اليهود حيث قالوا لا نبى بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة ونص تعالى هنا على إيتاء داود الزبور وان كان قد آتاه مع ذلك الملك إشارة إلى أن التفضيل المحض هو بالعلم الذى آتاه والكتاب الذى أنزل عليه كما فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بما آتاه من العلم والقرآن الذى خصه به وتقدم تفسير وآتينا داود زبورا فى آخر النساء

يوما أو بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا فى أنفسهم حين عاينوا الآخرة انتهى * وقيل استقلوا لبثهم فى عرصة القيامة لانه لما كانت عاقبة أمرهم الدخول الى النار استقصروا مدة لبثهم فى برزخ القيامة * وقيل تم الكلام عند قوله قل عسى أن يكون قريبا * و يوم يدعوكم خطاب مع المؤمنين لا مع الكافرين لانهم يستجيبون لله بحمده يحمدونه على احسانه اليهم فلا يليق هذا الا بهم * وقيل يحمده المؤمن اختيارا والكافر اضطرارا وهذا يدل على ان الخطاب للكافر والمؤمن وهو الذى يدل عليه ما روى عن ابن جبير واذا كان الخطاب للكفار وهو الظاهر فيحمل أن يكون الظن على بابه فيكون لما رجعوا الى حالة الحياة وقع لهم الظن انهم لم ينفصلوا عن الدنيا الا فى زمن قليل اذ كانوا فى ظنهم نائمين و يحتمل أن يكون بمعنى اليقين من حيث علموا ان ذلك منقض متصرم والظاهر ان وتظنون معطوف على تستجيبون وقاله الحوفى * وقال أبو البقاء أى وأنتم تظنون والجملة حال انتهى وان هنا نافية وتظنون معلق عن العمل فالجملة بعده فى موضع نصب وقلما ذكر النحويون فى أدوات التعليق ان النافية و يظهر ان انتصاب قليلا على انه نعت لزمان محذوف أى الا زمنا قليلا كقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم و يجوز أن يكون نعتا لمصدر محذوف أى لبثا قليلا ودلالة الفعل على مصدره دلالة قوية ﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا وربك أعلم بمن فى السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا ﴾ قيل سبب نزولها ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه شتمه بعض الكفرة فسبه عمر وهم بقتله فكاد يثير فتنة فنزلت الآية وهى منسوخة بآية السيف وارتباطها بما قبلها انه لما تقدم ما نسب الكفار لله تعالى من الولد ونفورهم عن كتاب الله اذا سمعوه وايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبته الى انه مسحور وانكار البعث كان ذلك مدعاة لايذاء المؤمنين ومجلبة لبغض المؤمنين اياهم ومعاملتهم بما عاملوهم فأمر الله تعالى نبيه أن يوصى المؤمنين بالرفق بالكفار واللطف بهم فى القول وأن لا يعاملوهم بمثل أفعالهم وأقوالهم فعلى هذا يكون المعنى قل لعبادى المؤمنين يقولوا للمشركين الكلم التى هى أحسن * وقيل المعنى يقولوا أى يقول بعض المؤمنين لبعض الكلم التى هى أحسن أى يجل بعضهم بعضا و يعظمه ولا يصدر منه الا الكلام الطيب والقول الجميل فيكونوا مثل المشركين فى معاملة بعضهم بعضا بالتهاجى والسباب والحروب والنهب للأموال والسبى للنساء والذرارى * وقيل عبادى هنا المشركون اذ المقصود هنا الدعاء الى الاسلام نحو طوبوا الخطاب

الحسن ليكون ذلك سببا الى قبول الدين فكأنه قيل قل للذين أقروا انهم عبادلي يقولوا التي هي أحسن وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الولد واتخاذ الملائكة بنات فان ذلك من نزغ الشيطان ووسوسته وتحسينه * وقيل عبادي شامل للفريقين المؤمنين والكافرين على ما يأتي تفسير التي هي أحسن والذي يظهر ان لفظة عبادي مضافة اليه تعالى كثر استعمالها في المؤمنين في القرآن كقوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول فادخلي في عبادي عينا يشرب بها عباد الله وقل خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو أمر ومعمول القول محذوف تقديره قولوا التي هي أحسن وانجزم يقولوا على انه جواب للأمر الذي هو قل قاله الأخفش وهو صحيح المعنى على تقدير أن يكون عبادي يراد به المؤمنون لانهم لمسارعتهم لامتثال أمر الله تعالى بنفس ما يقول لهم ذلك قالوا التي هي أحسن وعن سيبويه انه انجزم على جواب لشرط محذوف أي ان يقل لهم يقولوا فيكون في قوله حذف معمول القول وحذف الشرط الذي يقولوا جوابه * وقال المبرد انجزم جوابا للأمر الذي هو معمول قل أي قولوا التي هي أحسن يقولوا * وقيل معمول قل مذكور لا محذوف وهو يقولوا على تقدير لام الأمر وهو مجزوم بها قاله الزجاج * وقيل يقولوا مبني وهو مضارع حل محل المبني الذي هو فعل الأمر فبني والمعنى قل لعبادي قولوا قاله المازني وهذه الاقوال جرت في قوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وترجيح ما ينبغي أن يرجح مذكور في علم النحو والتي هي أحسن قالت فرقة منهم ابن عباس هي قول لا اله الا الله * قال ابن عطية ويلزم على هذا أن يكون قوله لعبادي يريد به جميع الخلق لان جميعهم مدعو الى لا اله الا الله ويجيء قوله بعد ذلك ان الشيطان ينزغ بينهم غير مناسب للمعنى الا على تكبره بان يجعل بينهم بمعنى خلالهم وأثناءهم ويجعل النزغ بمعنى الوسوسة والاملال * وقال الحسن يرحمك الله يغفر الله لك وعنه أيضا الأمر بامتثال الاوامر واجتناب المناهي * وقيل القول للمؤمن يرحمك الله وللكافر هداك الله * وقال الجمهور وهي المحاورة الحسنى بحسب معنى معنى * وقال الزمخشري فسر التي هي أحسن بقوله ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أوان يشأ يعذبكم يعني يقول لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض بمعنى يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة * وقال أبو عبد الله الرازي ما ملخصه اذا أردتم الحجة على المخالف فاذكروها بالطريق الاحسن وهو أن لا يخلط بالسب كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن وخلط الحجة بالسب سبب للمقابلة بمثله وتنفير عن حصول المقصود من اظهار الحجة وتأثيرها ثم نبه على هذا الطريق بقوله ان الشيطان ينزغ بينهم جاء اللفريقين أي متى امتزجت الحجة بالايذاء كانت الفتنة انتهى * وقرأ طلحة ينزغ بكسر الزاي * قال أبو حاتم لعلها لغة والقراءة بالفتح * وقال صاحب اللوامح هي لغة * وقال الزمخشري هما لغتان نحو يعرشون ويعرشون انتهى ولو مثل بينطح وينطح كان أنسب وبين تعالى سبب النزغ وهي العداوة القائمة لأبيهم آدم قبلهم وقوله ثم لآتينهم من بين أيديهم الآية وغيرها من الآيات الدالة على تسلطه على الانسان وابتغاء الغوائل المهلكة له والخطاب بقوله ربكم ان كان للمؤمنين فالرحمة الانجاء من كفار مكة وأذاهم والتعذيب تسليطهم

عليهم وما أرسلناك عليهم أي على الكفار حافظا وكفيلا فاشتغل أنت بالدعوة وإنما هدايتهم الى الله * وقيل يرحمكم بالهداية الى التوفيق والاعمال الصالحة وان شاء عذبكم بالخذلان وان كان الخطاب للكفار فقال يقابل يرحمكم الله بالهداية الى الايمان و يعذبكم يميتكم على الكفر * وذكر أبو سليمان الدمشقي لما نزل القحط بالمشركين قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فقال الله ربكم أعلم بكم بالذي يؤمن من الذي لا يؤمن ان يشأ يرحمكم فيكشف القحط عنكم أو ان يشأ يعذبكم فيتركه عليكم * وقال ابن عطية هذه الآية تقوى ان الآية التي قبلها هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة وذلك ان قوله ربكم أعلم بكم مخاطبة لكفار مكة بدليل قوله وما أرسلناك عليهم وكيلا فكأنه أمر المؤمنين أن لا يخاشنوا الكفار في الدين ثم قال انه أعلم بهم ورجاهم وخوفهم ومعنى يرحمكم بالتوبة عليكم قاله ابن جريج وغيره انتهى وتقدم من قول الزمخشري ان قوله ربكم أعلم بكم هي من قول المؤمنين للكفار وأنه تفسير لقوله التي هي أحسن * وقال ابن الانباري أو دخلت هنا لسعة الأمرين عند الله ولا يرد عنهما فكانت ملحقة بأو المبيحة في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين يعنون قد وسعنا لك الأمر * وقال الكرماني أو للاضراب ولهذا كرران ولما ذكر تعالى انه أعلم بمن خاطبهم بقوله ربكم أعلم بكم انتقل من الخصوص الى العموم فقال مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم وربك أعلم بمن في السموات والأرض ليبين ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع من في السموات والارض بأحوالهم ومقاديرهم وما يستأهل كل واحد منهم وبمن متعلق بأعلم كما تعلق بكم قبله بأعلم ولا يدل تعلقه به على اختصاص أعلميته تعالى بما تعلق به كقولك زيد أعلم بالنحو لا يدل هذا على أنه ليس أعلم بغير النحو من العلوم * وقال أبو على الباء تتعلق بفعل تقديره علم بمن قال لأنه لو علقها بأعلم لاقتضى أنه ليس بأعلم بغير ذلك وهذا لا يلزم وأيضا فان علم لا يتعدى بالباء انما يتعدى لواحد بنفسه لا بواسطة حرف الجر أو لا يبين على ما تقرر في علم النحو ولما كان الكفار قد استبعدوا تنبئة البشر اذ فيه تفضيل الأنبياء على غيرهم أخبر تعالى بتفضيل الانبياء على بعض اشارة الى أنه لا يستبعد تفضيل الانبياء على غيرهم اذ وقع التفضيل في هذا الجنس المفضل على الناس والله تعالى أعلم بما خص كل واحد من المزايا فهو يفضل من شاء منهم على من شاء اذ هو الحكيم فلا يصدر شئ الا عن حكمته وفيه اشارة الى أنه لا يستنكر تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء وخص داود بالذكر هنا لأنه تعالى ذكر في الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وأن أمته خير الامم وقال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وأمته وكانت قريش ترجع الى اليهود كثيرا فيما يخبرون به مما في كتبهم فنبه على أن زبور داود تضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك اشارة رد على مكابري اليهود حيث قالوا لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة ونص تعالى هنا على ايتاء داود الزبور وان كان قد آتاه مع ذلك الملك اشارة الى أن التفضيل المحض هو بالعلم الذي آتاه والكتاب الذي أنزل عليه كما فضل محمد صلى الله عليه وسلم بما آتاه من العلم والقرآن الذي خصه به وتقدم تفسير وآتينا داود زبورا في أواخر النساء وذكر الخلاف في ضم الزاي وفتحها * وقال الزمخشري هنا (فان قلت) هلا عرف الزبور كما عرف في ولقد كتبنا في الزبور (قلت) يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله

﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ الآية قيل نزلت فى عبدة الشياطين وهم خزاعة اسلمت الشياطين و بقوا يعبدونهم فلا يستطيعون جواب لقوله ادعو وثم محذوف بعد الفاء تقديره فهم لا يستطيعون والمعنى لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد الى آخر و يبدلوه وفى قوله زعمتم ضمير محذوف عائد على الذين وهو المفعول الاول والثانى محذوف تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله والظاهر أن أولئك إشارة إلى المعبودين وهو مبتدأ والذين صفته و يدعون صلة للذين والواو للعابدين والضمير العائد على الذين محذوف تقديره يدعونهم آلهة و يبتغون خبر أولئك والوسيلة القرب الى الله ﴿أيهم أقرب﴾ أجاز الحوفى أن يكون بدلا من الواو فى يبتغون وتبعه الزمخشرى فعلى هذا يكون أيهم موصولا وأقرب خبر مبتدإ التقدير و يبتغى الذين هم أقرب إلى ربهم الوسيلة وأجاز أيضا أن يكون أيهم أقرب مبتدأ وخبرا على الاستفهام ومقدرا قبله الفعل المعلق وهو ينظرون وقال نحوه ابن عطية والجملة فى موضع نصب على اسقاط فى ان كان من نظر القلب والى ان كان من نظر البصر واضمار الفعل المعلق يحتاج الى سماع و يرجون رحمته معطوف (٥١) على يبتغون ﴿محذورا﴾ يحذره كل أحد ﴿وان من قرية﴾ إن نافية ومن زائدة فى المبتدإ تدل على استغراق الجنس والجملة بعد الا خبر المبتدإ وقيل المراد الخصوص والتقدير وان من قرية ظالمة والظاهر أن جميع القرى تهلك قبل يوم القيامة واهلاكها تخريبها وفناء أهلها أو معذبوها أى معذبو أهلها بالقتل وأنواع العذاب ﴿كان ذلك﴾ اشارة الى الاهلاك والتعذيب فى الكتاب أى فى سابق القضاء أو اللوح المحفوظ أى مكتوبا أسطارا ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ الآية عن ابن عباس أن أهل مكة سألوا أن تجعل لهم الصفا ذهبا وأن تنحى عنهم الجبال فيزرعون اقترحوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى ان شئت أن أفعل ذلك لهم فان تأخروا عاجلتهم بالعقوبة وان شئت استأنيت بهم عسى أن أجتبى منهم مؤمنين فقال بل تستأنى بهم يارب فنزلت واستعير المنع للترك أى ما تركنا ارسال الآيات المقترحة الا لتكذيب الاولين بها وليس تكذيب الاولين علة فى منع ارسال الآيات لقريش فالمعنى إلا اتباعهم طريقة تكذيب الاولين بها فتكذيب الاولين فاعل على حذف مضاف فاذا كذبوا بها كما كذب الاولون عاجلتهم بعذاب الاستئصال وقد اقتضت الحكمة أن لا استأصلهم ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت اليهم فأهلكوا واحدة وهى ناقة صالح لان آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم و واردهم وانتصب مبصرة على الحال وهى قراءة الجمهور وقرئ مبصرة بالرفع على اضمار مبتدإ أى هى مبصرة وأضاف الابصار اليها على سبيل المجاز لما كانت يبصرها الناس والتقدير آية مبصرة وقرئ مبصرة بفتح الصاد اسم مفعول يبصرها الناس و يشاهدونها ﴿إلا تخويفا﴾ أى انذارا بعذاب الدنيا والآخرة

عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لأنه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وإن من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا﴾ قال ابن مسعود نزلت فى عبدة الشياطين وهم خزاعة أسلمت الشياطين و بقوا يعبدونهم * وقال ابن عباس فى عزير والمسيح وأمه وعنه أيضا وعن ابن مسعود وابن زيد والحسن فى عبدة الملائكة وعن ابن عباس فى عبدة الشمس والقمر والكواكب وعزير والمسيح وأمه انتهى و يكون الذين زعمتم من دونه عاما غلب فيه من يعقل على ما لا يعقل والمعنى أدعوهم فلا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد الى واحد الى آخر أو يبدلوه * وقرأ الجمهور يدعون بياء الغيبة وابن مسعود وقتادة بتاء الخطاب و زيد بن على بياء الغيبة مبنيا للمفعول والمعنى يدعونهم آلهة أو يدعونهم لكشف ما حل بكم من الضر كما حذف من قوله قل ادعوا أى ادعوهم لكشف الضر وفى قوله زعمتم ضمير محذوف عائد على الذين وهو المفعول الأول والثانى محذوف تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله وأولئك مبتدأ والذين صفته والخبر يبتغون والوسيلة القرب الى الله تعالى والظاهر ان أولئك اشارة الى المعبودين والواو فى يدعون للعابدين والعائد على الذين منصوب محذوف أى يدعونهم * وقال ابن فورك الاشارة بقوله

بأولئك الى النبيين الذين تقدم ذكرهم والضمير المرفوع فى يدعون و يبتغون عائد عليهم والمعنى يدعون الناس الى دين الله والمعنى على هذا ان الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء لايعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة الا اليه فهم أحق بالاقتداء بهم فلا يعبدوا غير الله * وقرأ الجمهور الى ربهم بضمير الجمع الغائب * وقرأ ابن مسعود الى ربك بالكاف خطابا للرسول واختلفوا فى اعراب أيهم أقرب وتقديره * فقال الحوفى أيهم أقرب ابتداء وخبر والمعنى ينظرون ايهم أقرب فيتوسلون به ويجوز أن يكون أيهم أقرب بدلا من الواو فى يبتغون انتهى ففى الوجه الاول أضمر فعل التعليق وأيهم أقرب فى موضع نصب على اسقاط حرف الجر لأن نظر ان كان بمعنى الفكر تعدى بفى وان كانت بصرية تعدت بالى فالجملة المعلق عنها الفعل على كلا التقديرين تكون فى موضع نصب على اسقاط حرف الجر كقوله فلينظر أيها أزكى طعاما وفى اضمار الفعل المعلق نظر والوجه الثانى قاله الزمخشرى قال وتكون أى موصولة أى يبتغى من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب انتهى فعلى الوجه يكون أقرب خبر مبتدأ محذوف واحتمل أيهم أن يكون معربا وهو الوجه وأن يكون مبنيا الوجود مسوغ البناء * قال الزمخشرى أوضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح فيكون قد ضمن يبتغون معنى فعل قلبى وهو يحرصون حتى يصح التعليق وتكون الجملة الابتدائية فى موضع نصب على اسقاط حرف الجر لان حرص يتعدى بعلى كقوله ان تحرص على هداهم * وقال ابن عطية وأيهم ابتدأ وأقرب خبره والتقدير نظرهم وودكهم أيهم أقرب وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها أى يتبارون فى طلب القرب فجعل المحذوف نظرهم وودكهم وهذا مبتدأ فان جعلت أيهم أقرب فى موضع نصب بنظرهم المحذوف بقى المبتدأ الذى هو نظرهم بغير خبر محتاج الى اضمار الخبر وان جعلت أيهم أقرب هو الخبر فلا يصح لان نظرهم ليس هو أيهم أقرب وان جعلت التقدير نظرهم فى أيهم أقرب أى كائن أو حاصل فلا يصح ذلك لان كائنا وحاصلا ليس مما تعلق * وقال أبو البقاء أيهم مبتدأ وأقرب خبره وهو استفهام فى موضع نصب بيدعون و يجوز أن يكون أيهم بمعنى الذى وهو بدل من الضمير فى يدعون والتقدير الذى هو أقرب انتهى ففى الوجه الاول علق يدعون وهو ليس فعلا قلبيا وفى الثانى فصل بين الصلة ومعمولها بالجملة الحالية ولا يضر ذلك لانها معمولة للصلة و يرجون رحمته و يخافون عذابه كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا يحذره كل أحد وان من قرية ان نافية ومن زائدة فى المبتدا تدل على استغراق الجنس والجملة بعد الا خبر المبتدا * وقيل المراد الخصوص والتقدير وان من قرية ظالمة * وقال ابن عطية ومن لبيان الجنس انتهى والتى لبيان الجنس على قول من يثبت لها هذا المعنى هو أن يتقدم قبل ذلك مايفهم منه ابهام ما فتأتى من لبيان ما أريد بذلك الذى فيه ابهام ما كقوله مايفتح الله للناس من رحمة وهنا لم يتقدم شئ مبهم تكون من فيه بيانا له ولعل قوله لبيان الجنس من الناسخ و يكون هو قد قال لاستغراق الجنس ألا ترى انه قال بعد ذلك * وقيل المراد الخصوص انتهى والظاهر ان جميع القرى تهلك قبل يوم القيامة واهلاكها تخريبها وفناؤها و يتضمن تخريبها اهلاك أهلها بالاستئصال أو شيئا فشيئا أو تعذب والمعنى أهلها بالقتل وأنواع العذاب * وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة * وقال مقاتل وجدت فى كتب الضحاك ابن مزاحم فى تفسيرها أما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما

(الدر)

وان من قرية (ع) ومن لبيان الجنس (ح) التى لبيان الجنس على قول من يثبت لها هذا المعنى هو أن يتقدم قبل ذلك مايفهم منه ابهام مافيأتى من التى لبيان الجنس ما أريد بذلك الذى فيه ابهام ما كقوله مايفتح الله للناس من رحمة وهنا لم يتقدم شئ مبهم تكون من فيه بيانا له ولعل قوله لبيان الجنس من الناس و يكون هو قد قال لاستغراق الجنس ألا ترى انه قال بعد ذلك وقيل المراد الخصوص انتهى

خراسان فعندابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا ونحو ذلك عن وهب بن منبه فذكر فيه ان هلاك الاندلس وخرابها يكون بسنابك الخيل واختلاف الجيوش كان ذلك فى الكتاب مسطورا أى فى سابق القضاء أوفى اللوح المحفوظ أى مكتوبا بإسطار أو ما منعنا أن نرسل بالآيات عن ابن عباس ان أهل مكة سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحى عنهم الجبال فيزرعون اقترحوا ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم فأوحى الله اليه ان شئت أن أفعل ذلك لهم فان تأخروا عاجلتهم بالعقوبة وان شئت أستأنيت بهم عسى أن أجتبى منهم مؤمنين فقال بل تستأنى بهم يارب فنزلت واستعير المنع للترك أى ماتركنا ارسال الآيات المقترحة الالتكذيب الأولين بها وتكذيب الاولين ليس علة فى ارسال الآيات لقريش فالمعنى الااتباعهم طريقة تكذيب الاولين بها فتكذيب الاولين فاعل على حذف المضاف فاذا كذبوابها كما كذب الأولون عاجلتهم بعذاب الاستئصال وقد اقتضت الحكمة أن لااستأصلهم * وقال الزمخشرى فالمعنى وماصرفنا عن ارسال ماتقترحونه من الآيات الاأن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون فى غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت اليهم فأهلكوا واحدة وهى ناقة صالح لان آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم انتهى * وقرأ الجمهور ثمود بممنوع الصرف * وقال هارون أهل الكوفة ينونون ثمود فى كل وجه * وقال أبو حاتم لاتنون العامة والعلماء بالقرآن ثمود فى وجه من الوجوه وفى أربعة مواطن ألف مكتوبة ونحن نقرأها بغير ألف انتهى وانتصب مبصرة على الحال وهى قراءة الجمهور * وقرأ زيد بن على مبصرة بالرفع على اضمار مبتدا أى هى مبصرة وأضاف الابصار اليها على سبيل المجاز لما كانت يبصرها الناس والتقدير آية مبصرة * وقرأ قوم بفتح الصاد اسم مفعول أى يبصرها الناس ويشاهدونها * وقرأ قتادة بفتح الميم والصاد مفعلة من البصر أى محل ابصار كقوله * والكفر مخبثة لنفس المنعم * أجراها مجرى صفات الأمكنة نحو أرض مسبعة ومكان مضبة وقالوا الولد مبخلة مجبنة فظلموا بها أى بعقرها بعد قوله فذروها تأكل فى أرض الله الآية * وقيل المعنى انهم جحدوا كونها من عند الله * وقيل جعلوا التكذيب بها موضع التصديق وهو معنى القول قبله والظاهر ان الآيات الاخيرة غير الآيات الأولى لوحظ فى ذلك وصف الاقتراح وفى هذه وصف غير المقترحة وهى آيات معها امهال لامعاجلة كالكسوف والرعد والزلزلة * وقال الحسن والموت الذريع وفى حديث الكسوف فافزعوا الى الصلاة * قال ابن عطية وآيات الله المعتبر بها ثلاثة أقسام قسم عام فى كل شئ اذ حيث ماوضعت نظرك وجدت آية وهنا فكرة العلماء وقسم معتاد كالرعد والكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة فقط وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوة وانما يعتبر توهما لماسلف منه انتهى وهذا القسم الاخير قال فيه وقد انقضى بانقضاء النبوة وكثير من الناس يثبت هذا القسم لغير الانبياء ويسميه كرامة * وقال الزمخشرى ان أراد بالآيات المقترحة فالمعنى لانرسلها الاتخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرها فالمعنى ومانرسل مانرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الاتخويفا وانذارا بعذاب الآخرة * وقيل الآيات التى جعلها الله تخويفا لعباده سماوية كسوف الشمس وخسوف القمر والرعد والبرق والصواعق والرجوم ومايجرى مجرى ذلك وأرضية زلازل وخسف وسيول

(الدر)

(ع) وآيات الله المعتبر بها ثلاثة أقسام قسم عام فى كل شئ اذ حيث ماوضعت نظرك وجدت آية وهنا فكره العلماء وقسم معتاد كالرعد والكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة فقط وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوة وانما يعتبر توهما لماسلف منه (ح) قال فى هذا الأخير وقد انقضى بانقضاء النبوة وكثير من الناس يثبت هذا القسم لغير الأنبياء ويسميه كرامة

ونيران تظهر في بعض البلاد وغور ماء العيون وزيادتها على الحد حتى تغرق بعض الارضين ولا سماوية ولا أرضية الرياح العواصف وما يحدث عنها من قلع الاشجار وتدمير الديار وما تسوقه من السواقي والرياح السموم * واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا * لما طلبوا الرسول بالآيات المقترحة وأخبر الله بالمصلحة في عدم المجيء بها طعن الكفار فيه وقالوا لو كان رسولا حقا لأتى بالآيات المقترحة فبين الله انه ينصره ويؤيده وانه أحاط بالناس * فقيل بعلمه فلا يخرج شئ عن علمه * وقيل بقدرته فقدرته غالبة كل شئ * وقيل الاحاطة هنا الاهلاك كقوله وأحيط بثمره والظاهر أن الناس عام * وقيل أهل مكة بشره الله تعالى انه يغلبهم ويظهر عليهم وأحاط بمعنى يحيط عبر عن المستقبل بالماضي لانه واقع لا محالة والوقت الذي وقعت فيه الاحاطة بهم * قيل يوم بدر * وقال العسكري هذا خبر غيب قدمه قبل وقته ويجوز أن يكون ذلك في أمر الخندق ومجيء الاحزاب يطلبون ثارهم ببدر فصرفهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا * وقيل يوم بدر ويوم الفتح * وقيل الأشبه انه يوم الفتح فانه اليوم الذي أحاط أمر الله باهلاك أهل مكة فيه وأمكن منهم * وقال الطبري أحاط بالناس في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك فالآية اخبار له انه محفوظ من الكفرة آمن أن يقتل وينال بمكروه عظيم أي فلتبلغ رسالة ربك ولا تتهيب أحدا من المخلوقين * قال ابن عطية وهذا تأويل بين جار مع اللفظ وقد روى نحوه عن الحسن والسدي الا انه لا يناسب ما بعده مناسبة شديدة ويحتمل أن يجعل الكلام مناسبا لما بعده توطئة له * فأقول اختلف الناس في الرؤيا * فقال الجمهور هي رؤيا عين ويقظة وهي ما رأى في ليلة الاسراء من العجائب قال الكفار ان هذا لعجب نخب الى بيت المقدس شهرين اقبالا وادبارا ويقول محمد جاءه من ليلته وانصرف منه فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس أي في اضلالهم وهدايتهم وان كل واحد ميسر لما خلق له أي فلا تهتم أنت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم فقد قيل لك ان الله محيط بهم مالك لامرهم وهو جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر وسميت الرؤية في هذا التأويل رؤيا اذ هما مصدران من رأى * وقال النقاش جاء ذلك من اعتقاد من اعتقد انها منامية وان كانت الحقيقة غير ذلك انتهى وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم هو قصة الاسراء والمعراج عيانا آمن به الموفقون وكفر به المخذولون وسماه رؤيا لوقوعه في الليل وسرعة تقضيه كأنه منام وعن ابن عباس أيضا هو رؤياه انه يدخل مكة فعجل في سنة الحديبية ورد فافتتن الناس وهذا مناسب لصدر الآية فان الاحاطة بمكة أكثر ما كانت وعن سهل بن سعد هي رؤياه بني أمية ينزون على

﴿ وإذ قلنا لك ان ربك ﴾ الآية أحاط بالناس فقيل بعلمه فلا يخرج شئ عن علمه وبقدرته فقدرته غالبة كل شئ ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ﴾ قال الجمهور هي رؤيا عين ويقظة وهي ما رأى في ليلة الاسراء من العجائب قال الكفار ان هذا لعجب نخب الى بيت المقدس شهرين اقبالا وادبارا ويقول

محمد جاءه من ليلة وانصرف منه فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل في الرؤيا غير ذلك مما هو مذكور في البحر * قال ابن عطية قالت عائشة الرؤيا رؤيا منام وهذه الآية تقضي بفساده وذلك ان رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان لأحد أن ينكرها انتهى ليس كما قال ابن عطية فان رؤيا الانبياء حق ويخبر النبي بوقوع ذلك لا محالة فيصير اخباره بذلك فتنة لمن يريد الله به ذلك وأريناك صلة التي والعائد محذوف تقديره أريناكها والشجرة الملعونة في القرآن قيل هي أبو جهل وقيل شجرة الزقوم وقال أبو جهل وغيره هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنها تنبت الشجر والنار تأكل الشجر وما نعرف الزقوم إلا التمر بالزبد ثم أمر أبو جهل جارية له فأحضرت تمرا وزبدا وقال لأصحابه تزقموا فافتتن أيضا بهذه المقالة بعض الضعفاء والظاهر أن الشجرة الملعونة في القرآن هي التي تفرع منها ناس في الملة الاسلامية وهم ظالمون قد أحدثوا في الشريعة ما لا يجوز فيها ويدل عليه قوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وسئل الامام احمد عن شخص هل نلعنه فقال هل رأيتني ألعن أحدا ثم قال مالي لا ألعن من لعنه الله في كتابه وتلا ألا لعنة الله على الظالمين ﴿ فما يزيدهم ﴾ أي التخويف الا طغيانا كبيرا

منبره نز و القردة فاهتم لذلك وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتى مات فنزلت الآية مخبرة ان ذلك من ملكهم وصعودهم المنابر انما يجعلها الله فتنة للناس ويجئ قوله أحاط بالناس أى باقداره وان كان ماقدره الله فلا تهتم بما يكون بعدك من ذلك * وقال الحسن بن على فى خطبته فى شأن بيعته لمعاوية وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين * وقالت عائشة الرؤيا رؤيا منام * قال ابن عطية وهذه الآية تقضى بفساده وذلك ان رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان أحد لينكرها انتهى وليس كما قال ابن عطية فان رؤيا الأنبياء حق ويخبر النبى بوقوع ذلك لا محالة فيصير اخباره بذلك فتنة لمن يريد الله به ذلك * وقال صاحب التحرير سألت أبا العباس القرطبى عن هذه الآية فقال ذهب المفسرون فيها الى أمر غير ملائم فى سياق أول الآية والصحيح انها رؤية عين يقظة لما آتاه بدرا أراه جبريل عليه السلام مصارع القوم فأراها الناس وكانت فتنة لقريش فانهم لما سمعوا أخذوا فى الهزء والسخرية بالرسول صلى الله عليه وسلم * والشجرة الملعونة هنا هى أبو جهل انتهى * وقال الزمخشرى ولعل الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الأرض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون به استهزاء * وقيل رأى فى المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة انتهى والظاهر انه أريد بالشجرة حقيقتها * فقال ابن عباس هى الكشوث المذكورة فى قوله كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار وعنه أيضا هى الشجرة التى تلتوى على الشجرة فتفسدها قال والفتنة قولهم ما بال الحشائش تذكر فى القرآن * وقال الجمهور هى شجرة الزقوم لما نزل أمرها فى الصافات وغيرها قال أبو جهل وغيره هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تأكل الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم أمر أبو جهل جارية له فأحضرت تمرا وزبدا وقال لأصحابه تزقموا فافتتن أيضا بهذه المقالة بعض الضعفاء * قال الزمخشرى وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منها مناديل اذا اتسخت طرحت فى النار فيذهب الوسخ ويبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر باحماء النار فلا يضرها ثم أقرب من ذلك انه خلق فى كل شجرة نارا فلا تحرقها فما أنكروا أن يخلق فى النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما أريناك منه فى منامك بعد الوحى اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال ونخوفهم أى بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات انتهى وقوله بعد الوحى اليك هو قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قل للذين كفروا ستغلبون والظاهر اسناد اللعنة الى الشجرة واللعن الابعاد من الرحمة وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة * وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون * قال الزمخشرى وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحون * وقال ابن عباس الملعونة يريد آكلها ونقه الزمخشرى فقال لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن أصحابها على المجاز انتهى * وقيل لما شبه طلعها برؤس الشياطين والشيطان

(الدر)

(ع) وقالت عائشة الرؤيا رؤيا منام وهذه الآية تقضى بفساده وذلك ان رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان أحد لينكرها (ح) ليس كما قال (ع) فان رؤيا الأنبياء حق وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بوقوع ذلك لاصحابه فيصير اخباره بذلك فتنة لمن يريد الله به ذلك

﴿وإذ قلنا للملائكة﴾ الآية تقدم الكلام في مثل هذه الآية وانتصب طينا على أنه حال من الضمير المحذوف العائد على من تقديره لمن خلقته في حال طين وهي حال ماضية إذ لم يكن بعد أن صور آدم إنما كان طينا قبل ذلك فهي حال ماضية محكية * وأجاز بعضهم أن يكون منصوبا على إسقاط حرف الجر تقديره من طين كما صرح به في قوله وخلقته من طين والكاف في أرأيتك للخطاب وتقدم الكلام عليها في سورة الأنعام * وقال الحوفي في أرأيتك بمعنى عرفني وأخبرني وهذا منصوب بأرأيتك والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ لم كرمته عليّ وقد خلقتني من نار وخلقته من طين وحذف هذا لما في الكلام من الدليل عليه وقال نحوا منه الزمخشري * وقال ابن عطية والكاف في أرأيتك حرف خطاب ومبالغة في التنبيه لا موضع لها من الإعراب فهي زائدة ومعنى أرأيت أتأملت ونحوه كأن المخاطب بها ينبه المخاطب ليستجمع لما ينصه عليه بعد وقال سيبويه هي بمعنى اخبرني ومثل بقوله أرأيتك زيدا أبو من هو وقاله الزجاج ولم يمثل وقول سيبويه صحيح حيث يكون بعدها استفهام كمثاله وأما في هذه الآية فهي كما قلت وليست التي ذكر سيبويه انتهى * وما ذهب إليه الحوفي والزمخشري في أرأيتك هنا (٥٦) هو الصحيح فلذلك قدر الاستفهام وهو لم كرمته عليّ فقد انعقد من قوله هذا الذي كرمت عليّ لم كرمته عليّ جملة من مبتدأ وخبر وصار مثل زيدا أبو من هو دخلت عليه أرأيتك فعملت في الأول والجملة الاستفهامية في موضع الثاني والمستقر في أرأيت بمعنى أخبرني أن يدخل على جملة ابتدائية يكون الخبر استفهاما فإن صرح به فذلك واضح وإلا قدر وقد أشبعنا الكلام في ذلك في سورة الأنعام ومعنى ﴿لئن أخرتني﴾ أي أخرت مماتي وأبقيتني حيا واللام مؤذنة بقسم محذوف وقد صرح هو في مكان آخر بالمقسم به فقال فبعزتك وجواب القسم لأحتنكن تقول العرب احتنك الجراد الأرض أكل نباتها ولذلك فسره بعضهم بمعنى لأستأصلن واستثنى القليل لأنه علم أنه يكون في ذرية آدم صلى الله عليه وسلم من لا يتسلط عليه كما قال إلا عبادك منهم المخلصين والأمر بالذهاب ليس على حقيقته من نقيض المجيء والمعنى اذهب لشأنك الذي اخترته وعقبه بذكر ما جره سوء فعله من جزائه وجزاء أتباعه جهنم ولما تقدم اسم غائب وهو فمن تبعك وضمير خطاب غلب الخطاب فقال جزاؤكم والموفور المكمل ووفر متعد * كقوله

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ولازم تقول وفر المال يفر وفورا وانتصب جزاء على المصدر والعامل فيه جزاؤكم ﴿واستفزز﴾ معناه استخفف وهو معطوف على فاذهب وعطف عليه ما بعده من الأمر وكلها بمعنى التهديد كقوله اعملوا ما شئتم ومن في ﴿من استطعت﴾ موصولة مفعولة باستفزز ومفعول استطعت محذوف تقديره من استطعت أن تستفزه * والصوت هنا الدعاء إلى معصية الله وقرأ الحسن ﴿واجلب﴾ بوصل الألف وضم اللام من جلب ثلاثيا وأجلب من أجلب على قراءة الجمهور رباعيا والظاهر أن إبليس له

ملعون نسبت اللعنة إليها * وقال قوم الشجرة هنا مجاز عن واحد وهو أبو جهل * وقيل هو الشيطان * وقيل مجاز عن جماعة وهم اليهود الذين تظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنهم الله تعالى وفتنتهم أنهم كانوا ينتظرون بعثة الرسول عليه السلام فلما بعثه الله كفروا به وقالوا ليس هو الذي كنا ننتظره فثبطوا كثيرا من الناس بمقالتهم عن الإسلام * وقيل بنو أمية حتى إن من المفسرين من لا يعبر عنهم إلا بالشجرة الملعونة لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة وأخذ الأموال من غير حلها وتغيير قواعد الدين وتبديل الأحكام ولعنها في القرآن ألا لعنة الله على الظالمين إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة * وقرأ الجمهور والشجرة الملعونة عطفا على الرؤيا فهي مندرجة في الحصر أي وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس * وقرأ زيد بن علي برفع والشجرة الملعونة على الابتداء والخبر محذوف تقديره كذلك أي فتنة والضمير في ونخوفهم لكفار مكة * وقيل للملوك بني أمية بعد الخلافة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا والأول أصوب * وقرأ الأعمش ويخوفهم بياء الغيبة والجمهور بنون العظمة ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾

مناسبة هذه الآية لما قبلها من وجهين * أحدهما انه لما نازعوا الرسول عليه السلام في النبوّة واقترحوا عليه الآيات كان ذلك لكبرهم وحسدهم للرسول صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من النبوّة والدرجة الرفيعة فناسب ذكر قصة آدم عليه السلام وابليس حيث حمله الكبر والحسد على الامتناع من السجود * والثاني انه لما قال فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا بين ماسبب هذا الطغيان وهو قول ابليس لأحتنكن ذريته الا قليلا وانتصب طينا على الحال قاله الزجاج وتبعه الحوفي فقال من الهاء في خلقته المحذوفة والعامل خلقت والزمخشري فقال طينا اما من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أو من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا انتهى وهذا تفسير معنى * وقال أبو البقاء والعامل فيه خلقت يعني اذا كان حالا من العائد المحذوف وأجاز الحوفي أن يكون نصبا على حذف من التقدير من طين كما صرح به في قوله وخلقته من طين وأجاز الزجاج أيضا وتبعه ابن عطية أن يكون تمييزا ولا يظهر كونه تمييزا وقوله أأسجد استفهام انكار وتعجب و بين قوله أأسجد وماقبله كلام محذوف وكأن تقديره قال لم لم تسجد لآدم قال أأسجد و بين قوله أرأيتك وقال أأسجد جمل قد ذكرت حيث طولت قصته والكاف في أرأيتك للخطاب وتقدم الكلام عليها في سورة الانعام ولا يلحق كاف الخطاب هذه الا اذا كانت بمعنى أخبرني و بهذا المعنى قدرها الحوفي وتبعه الزمخشري وهو قول سيبويه فيها والزجاج * قال الحوفي وأرأيتك بمعنى عرفني وأخبرني وهذا منصوب بأرأيتك والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ لم كرمته عليّ وقد خلقتني من نار وخلقته من طين وحذف هذا لما في الكلام من الدليل عليه * وقال الزمخشري الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ أي فضلته لم كرمته عليّ وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن أخرتني * وقال ابن عطية والكاف في أرأيتك حرف خطاب ومبالغة في التنبيه لا موضع لها من الاعراب فهي زائدة ومعنى أرأيت أتأملت ونحوه كان المخاطب بها ينبه المخاطب ليستجمع لما ينصه عليه بعد * وقال سيبويه هي بمعنى أخبرني ومثل بقوله أرأيتك زيدا أبو من هو وقاله الزجاج ولم يمثل وقول سيبويه صحيح حيث يكون بعدها استفهام كمثاله وأما في هذه الآية فهي كما قلت وليست التي ذكر سيبويه رحمه الله انتهى وما ذهب اليه الحوفي والزمخشري في أرأيتك هنا هو الصحيح ولذلك قدر الاستفهام وهو لم كرمته علي فقد انعقد من قوله هذا الذي كرمته عليّ لم كرمته عليّ جملة من مبتدإ وخبر وصار مثل زيدا أبو من هو دخلت عليه أرأيتك فعملت في الاول والجملة الاستفهامية في موضع الثاني والمستقر في أرأيت بمعنى اخبرني أن تدخل على جملة ابتدائية يكون الخبر استفهاما فان صرح به فذلك واضح والا قدر وقد أشبعنا الكلام في الانعام وفي شرح التسهيل * وقال الفراء هنا للكاف محل من الاعراب وهو النصب أي أرأيت نفسك قال وهذا كما تقول اتدبرت آخر أمرك فاني صانع فيه كذا ثم ابتدأ هذا الذي كرمت عليّ انتهى والرد عليه مذكور في علم النحو ولو ذهب ذاهب الى أن هذا مفعول أول لقوله أرأيتك بمعنى اخبرني والثاني الجملة القسمية بعده لانعقادهما مبتدأ وخبرا قبل دخول أرأيتك لذهب مذهبا حسنا اذ لا يكون في الكلام اضمار وتلخص من هذا كله أن الكاف اما في موضع نصب وهذا مبتدأ واما حرف خطاب وهذا مفعول بأرأيت بمعنى محذوف وهو الجملة الاستفهامية

خيل ورجالة من الجن من جنسه قاله قتادة وقيل من الآدميين أضيفوا اليه لانخراطهم في طاعته وكونهم أعوانه على غيرهم قاله مجاهد * وقال الزمخشري فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام وارد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار وقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم انتهى وقرأ الجمهور ورجلك بفتح الراء وسكون الجيم وهو اسم جمع واحده راجل كركب وراكب وقرأ حفص بكسر الجيم * والمشاركة في الأموال ما أخذ من غير حقه وما وضع في غير حقه والمشاركة في الأولاد ما مجسوه وهودوه ونصروه وصبغوه غير صبغة الاسلام وأما وعده فالوعد الكاذب كوعدهم أن لا بعث * وانتصب غرورا وهو مصدر على أنه نعت لمصدر محذوف أي وعدا غرورا والاضافة اليه تعالى في ان عبادي اضافة تشريف والمعنى المختصين بكونهم عبادي لا يضافون الى غيري ومعنى وكيلا أي حافظا لعباده الذين ليس له عليهم سلطان من اغواء الشيطان

أومذكور وهو الجملة القسمية ومعنى لئن أخرتني أي أخرت مماتي وأبقيتني حيا * وقال ابن عباس لأحتنكن لأستولين عليهم وقاله الفراء * وقال ابن زيد لأضلنهم * وقال الطبري لأستأصلن وكفر إبليس بجهله صفة العدل من الله حين لحقته الأنفة والكبر وظهر ذلك من قوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي إذ نص على أنه لاينبغي أن يكرم بالسجود مني من أنا خير منه وأقسم ابليس على أنه يحتنك ذرية آدم وعلم ذلك امابسماعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به أو استدل على ذلك بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه ذو شهوة وعوارض كالغضب ونحوه ورأى خلقته مجوفة مختلفة الأجزاء وقال الحسن ظن ذلك لانه وسوس الى آدم فلم يجد له عزما فظن ذلك بذريته وهذا ليس بظاهر لان قول ذلك كان قبل وسوسته لآدم في أكل الشجرة واستثنى القليل لانه علم أنه يكون في ذرية آدم من لا يتسلط عليه كما قال لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين والامر بالذهاب ليس على حقيقته من نقيض المجيء ولكن المعنى اذهب لشأنك الذي اخترته وعقبه بذكر ما جرّه سوء فعله من جزائه وجزاء أتباعه جهنم ولما تقدم اسم غائب وضمير خطاب غلب الخطاب فقال جزاؤكم ويجوز أن يكون ضميرمن على سبيل الالتفات والموفور المكمل ووفر متعد كقوله

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ولازم تقول وفر المال يفر وفورا وانتصب جزاء على المصدر والعامل فيه جزاؤكم أو بجاوز مضمره أو على الحال الموطئة * وقيل تميز ولا يتعقل واستفزز معطوف على فاذهب وعطف عليه مابعده من الامر وكلها بمعنى التهديد كقوله اعملوا ماشئتم ومن في من استطعت موصولة مفعولة باستفزز * وقال أبو البقاء من استطعت من استفهام في موضع نصب باستطعت وهذا ليس بظاهر لان استفزز ومفعول استطعت محذوف تقديره من استطعت أن تستفزه والصوت هنا الدعاء الى معصية الله * وقال مجاهد الغناء والمزامير واللهو * وقال الضحاك صوت المزمار وذكر الغزنوي أن آدم أسكن ولد هابيل أعلى الجبل وولد قابيل أسفله وفيهم بنات حسان فزمر الشيطان فلم يتمالكوا أن انحدروا واقترنوا * وقيل الصوت هنا الوسوسة * وقرأ الحسن وأجلب عليهم بوصل الألف وضم اللام من جلب ثلاثيا والظاهر أن ابليس له خيل ورجالة من الجن جنسه قاله قتادة والخيل تطلق على الافراس حقيقة وعلى أصحابها مجازا وهم الفرسان ومنه ياخيل الله اركبي والباء في بخيلك قيل زائدة * وقيل من الآدميين أضيفوا اليه لانخراطهم في طاعته وكونهم أعوانهم على غيرهم قاله مجاهد * وقال ابن عطية وقوله بخيلك ورجلك * قيل هذا مجاز واستعارة بمعنى اسع سعيك وابلغ جهدك انتهى * وقال أبو علي ليس للشيطان خيل ولا رجل ولا هو مأمور انما هذا زجر واستخفاف به كما تقول لمن تهدده اذهب فاصنع ماشئت واستعن بماشئت * وقال الزمخشري (فان قلت) مامعنى استفزاز إبليس بصوته واجلابه بخيله ورجله (قلت) هو كلام وارد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم انتهى * وقرأ الجمهور ورجلك بفتح الراء وسكون الجيم وهو اسم جمع واحده راجل كركب وراكب وقرأ الحسن وأبو عمرو في رواية وحفص بكسر الجيم * قال صاحب اللوامح بمعنى الرجال * وقال ابن عطية هي صفة يقال فلان يمشي رجلا أي غير راكب ومنه قول الشاعر * رجلا الا بأصحاب * وقال

﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك﴾ الآية لما ذكر تعالى وصف المشركين في اعتقادهم آلهتهم وأنها تضر وتنفع وأتبع ذلك بقصة ابليس مع آدم وتمكينه من وسوسة ذريته وتسويله ذكر ما يدل من أفعاله على وحدانيته تعالى فانه هو النافع الضار المتصرف في خلقه بما يشاء فذكر احسانه اليهم بحرا وبرا وإزجاء الفلك (٥٩) سوقها من مكان الى مكان بالريح اللينة والمجاديف وابتغاء

الزمخشري وقرئ ورجلك على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما انتهى * وقرأ قتادة وعكرمة ورجالك * وقرئ ورجلك بضم الراء وتشديد الجيم والمشاركة في الاموال * قال الضحاك ما يذبحون لآلهتهم وقتادة البحيرة والسائبة * وقيل ما أصيب من مال وحرام * وقيل ما جعلوه من أموالهم لغير الله * وقيل ما صرف في الزنا والاولى ما أخذ من غير حقه وما وضع في غير حقه والمشاركة في الاولاد * قال ابن عباس تسميتهم عبد العزى وعبد اللات وعبد الشمس وعبد الحرث وعنه أيضا ترغيبهم في الاديان الباطلة كاليهودية والنصرانية * وعنه أيضا اقدامهم على قتل الاولاد قال الحسن وقتادة ما مجسوه وهودوه ونصروه وصبغوهم غير صبغة الاسلام * وقال مجاهد عدم التسمية عند الجماع فالجان ينطوي إذ ذاك على احليله فيجامع معه * وقيل ترغيبهم في القتال والقتل وحفظ الشعر المشتمل على الفحش والاولى انه كل تصرف في الولد يؤدي الى ارتكاب منكر وقبيح وأما وعده فهو الوعد الكاذب كوعدهم أن لا بعث وهذه مشاركة في النفوس * وقال الزمخشري وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل انتهى وهو جار على مذهب المعتزلة في أنه لا تغفر الذنوب بدون التوبة وبأنه لا شفاعة في الكبائر وبأنه لا يخرج من النار أبدا من دخلها من فاسق مؤمن وانتصب غرورا وهو مصدر على انه وصف لمصدر محذوف أي وعدا غرورا على الوجوه التي في رجل صوم ويحتمل أن يكون مفعولا من أجله أي وما يعدكم ويمنيكم ما لا يتم ولا يقع الا لأن يغركم والاضافة اليه تعالى في ان عبادي اضافة تشريف والمعنى المختصين بكونهم عبادي لا يضافون الى غيري كما قال في مقابلهم أولياؤهم الطاغوت وأولياء الشيطان * وقيل ثم صفة محذوفة أي ان عبادي الصالحين ونفي السلطان وهو الحجة والاقتدار على اغوائهم عن الايمان ويدل على لحظ الصفة قوله انما سلطانه على الذين يتولونه * وقال الجبائي عبادي عام في المكلفين ولذلك استثنى منه في أي من اتبعه في قوله الا من اتبعك من الغاوين واستدل بهذا على انه لا سبيل له ولا قدرة على تخليط العقل وانما قدرته على الوسوسة ولو كان له قدرة على ذلك لخبط العلماء ليكون ضرره أتم ومعنى وكيلا حافظا لعباده الذين ليس له عليهم سلطان من اغواء الشيطان أو وكيلا يكلون أمورهم اليه فهو حافظهم بتوكلهم عليه ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما * واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا * أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا * أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ لما ذكر تعالى وصف المشركين في اعتقادهم آلهتهم وانها تضر وتنفع وأتبع ذلك بقصة ابليس مع

الفضل طلب التجارة والحج فيه والغزو والضر في البحر الخوف من الغرق باضطرابه وعصف الريح ومعنى ضل ذهب عن أوهامكم من تدعونه إلها فيشفع أو ينفع وجاءت صفة كفور دلالة على المبالغة ثم لم يخاطبهم بذلك بل أسند ذلك الى الانسان لطفا بهم واحالة على الجنس اذ كل واحد لا يكاد يؤدي شكر نعم الله ولما كان الخسف تغييبا في التراب قال جانب وبكم حال أي يخسف جانب البر مصحوبا بكم والحاصب الحجارة ثم لا تجدوا عند حلول أحد هذين بكم من تكلون أموركم اليه وأم في أم أمنتم منقطعة فتتقدر ببل والهمزة أي بل أأمنتم والضمير في فيه عائد على البحر وانتصب تارة على الظرف أي وقتا غير الوقت الأول ﴿فيرسل عليكم قاصفا من الريح﴾ والقاصف الذي يكسر كل ما يلقى ويقال قصف الشجر يقصفه قصفا كسره * وقال أبو تمام

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولا يعبأن بالرتم

والباء في ﴿بما كفرتم﴾ سببية وما مصدرية أي بسبب كفركم السابق منكم والضمير في به عائد على المصدر الدال عليه فيغرقكم اذ هو أقرب مذكور وهو نتيجة الارسال * والتبيع قال ابن عباس النصير وقال الفراء طالب الثار

آدم وتمكينه من وسوسة ذريته وتسويله ذكر مايدل من أفعاله على وحدانيته وانه هو النافع الضار المتصرف فى خلقه بما يشاء فذكر احسانه اليهم بحرا وبرا وانه تعالى متمكن بقدرته مما يريده * وازجاء الفلك سوقها من مكان الى مكان بالريح اللينة والمجاديف وذلك من رحمته بعباده وابتغاء الفضل طلب التجارة أو الحج فيه أو الغزو * والضر فى البحر الخوف من الغرق باضطرابه وعصف الريح ومعنى ضل ذهب عن أوهامكم من تدعونه الهاً فيشفع أو ينفع أو ضل من تعبدونه الا الله وحده فتفردونه اذ ذاك بالالتجاء اليه والاعتقاد انه لا يكشف الضر الا هو ولا يرجون لكشف الضر غيره ثم ذكر حالهم اذ كشف عنهم من اعراضهم عنه وكفرانهم نعمة انجائهم من الغرق وجاءت صفة كفور دلالة على المبالغة ثم لم يخاطبهم بذلك بل أسند ذلك الى الانسان لطفا بهم واحالة على الجنس اذ كل أحد لا يكاد يؤدى شكر نعم الله * وقال الزجاج المراد بالانسان الكفار والظاهر ان الا اياه استثناء منقطع لانه لم يندرج فى قوله من تدعون اذ المعنى ضلت آلهتهم أى معبوداتهم وهم لا يعبدون الله * وقيل هو استثناء متصل وهذا على معنى ضل من يلجئون اليه وهم كانوا يلجئون فى بعض أمورهم الى معبوداتهم وفى هذه الحالة لا يلجئون الا الى الله والهمزة فى أفأمنتم للانكار * قال الزمخشرى والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم انتهى وتقدم لنا الكلام معه فى دعواه ان الفاء والواو فى مثل هذا التركيب للعطف على محذوف بين الهمزة وحرف العطف وان مذهب الجماعة أن لا محذوف هنالك وان الفاء والواو للعطف على ماقبلها وانه اعتنى بهمزة الاستفهام لكونها لها صدر الكلام فقدمت والنية التأخير وان التقدير فأمنتم وقد رجع الزمخشرى الى مذهب الجماعة والخطاب للسابق ذكرهم أى أفأمنتم أيها الناجون المعرضون عن صنع الله الذى نجاكم وانتصب جانب على المفعول به بنخسف كقوله فخسفنا به وبداره الارض والمعنى ان نغيره بكم فتهلكون بذلك * وقال الزمخشرى ان نقلبه وأنتم عليه * وقال الحوفى جانب البر منصوب على الظرف ولما كان الخسف تغييبا فى التراب قال جانب البر وبكم حال أى نخسف جانب البر مصحوبا بكم * وقيل الباء للسبب أى بسببكم ويكون المعنى جانب البر الذى أنتم فيه فيحصل بخسفه اهلاككم والا فلا يلزم من خسف جانب البر بسببهم اهلاكهم * قال قتادة الحاصب الحجارة * وقال السدى رام يرميكم بحجارة من سجيل والمعنى ان قدرته تعالى بالغة فان كان نجاكم من الغرق وكفرتم نعمته فلا تأمنوا إهلاكه إياكم وأنتم فى البر امابأمر يكون من تحتكم وهو تغوير الارض بكم أو من فوقكم بارسال حاصب عليكم وهذه الغاية فى تمكن القدرة ثم لا تجدوا عند حلول أحد هذين بكم من تكلون أموركم اليه فيتوكل فى صرف ذلك عنكم وأم فى أم أمنتم منقطعة تقدر ببل والهمزة أى بل أمنتم والضمير فى فيه عائد على البحر وانتصب تارة على الظرف أى وقتا غير الوقت الأول والباء فى بما كفرتم سببية وما مصدرية أى بسبب كفركم السابق منكم والوقت الاول الذى نجاكم فيه أو بسبب كفركم الذى هو دأبكم دائما والضمير فى به عائد على المصدر الدال عليه فنغرقكم اذ هو أقرب مذكور وهو نتيجة الارسال * وقيل عائد على الارسال * وقيل عليهما فيكون كاسم الاشارة والمعنى بما وقع من الارسال والاغراق * والتبيع قال ابن عباس النصير وقال الفراء طالب الثار * وقال أبو عبيدة المطالب * وقال الزجاج من يتبع بالانكار ما نزل بكم ونظيره قوله تعالى فسواها ولا يخاف عقباها وفى الحديث اذا اتبع أحدكم على ملئ فليتبع * وقال الشماخ

* كما لاذ الغريم من التبيع * ويقال فلان على فلان تبيع أى مسيطر بحقه مطالب به * وأنشد

(الدر)

(ش) والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم (ح) تقدم لنا الكلام معه فى دعواه أن الفاء والواو فى مثل هذا التركيب للعطف على محذوف بين الهمزة وحرف العطف فان مذهب الجماعة أن لا محذوف هنالك وان الفاء والواو للعطف على ماقبلها وانه اعتنى بهمزة الاستفهام لكونها لها صدر الكلام فقدمت والنية التأخير وأن التقدير فأمنتم وقد رجع سيبويه الى مذهب الجماعة

﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ الآية لما ذكر تعالى ما امتن به عليهم من ازجاء الفلك في البحر ومن تنجيتهم من الغرق ثم ذكر المنة بذكر تكريمهم ورزقهم وتفضيلهم وكرم تعدى بالتضعيف من كرم أي جعلناهم ذوي كرم بمعنى الشرف والمحاسن الجمة

ابن عطية

غدوا وغدت غزلانهم فكأنها * ضوامن غرم لدهن تبيع

أي مطالب بحقه * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو نخسف وأو نرسل وأن نعيدكم وفنرسل وفنغرقكم جميعها بالنون وباقي القراء بياء الغيبة ومجاهد وأبو جعفر فتغرقكم بتاء الخطاب مسندا الى الريح والحسن وأبو رجاء فيغرقكم بياء الغيبة وفتح الغين وشد الراء عداه بالتضعيف والمقري لأبي جعفر كذلك الا انه بتاء الخطاب وحميد بالنون واسكان الغين وادغام القاف في الكاف ورويت عن أبي عمرو وابن محيصن * وقرأ الجمهور من الريح بالافراد وأبو جعفر من الرياح جمعا ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ لما ذكر تعالى ما امتن به عليهم من ازجاء الفلك في البحر ومن تنجيتهم من الغرق ثم ذكر المنة بذكر تكريمهم ورزقهم وتفضيلهم أو لما هددهم بما هددمن الخسف والغرق وانهم كافر ونعمته ذكر ما أنعم به عليهم ليتذكروا فيشكروا نعمه ويقلعوا عن ما كانوا فيه من الكفر ويطيعوه تعالى وفي ذكر النعم وتعدادها هز لشكرها وكرم معدى بالتضعيف من كرم أي جعلناهم ذوي كرم بمعنى الشرف والمحاسن الجمة كما تقول ثوب كريم وفرس كريم أي جامع للمحاسن وليس من كرم المال وما جاء عن أهل التفسير من تكريمهم وتفضيلهم بأشياء ذكرها هو على سبيل التمثيل لا على الحصر في ذلك كما روي عن ابن عباس ان التفضيل بالعقل وعن الضحاك بالنطق * وعن عطاء بتعديل القامة وامتدادها وعن زيد بن أسلم بالمطاعم واللذات وعن يمان بحسن الصورة وعن محمد بن كعب بجعل محمد عليه الصلاة والسلام منهم * وعن ابن جرير بالتسليط على غيره من الخلق وتسخيره له * وقيل بالخط * وقيل باللحية للرجل والذؤابة للمرأة * وعن ابن عباس بأكله بيده وغيره بفمه * وقيل بتدبير المعاش والمعاد * وقيل بخلق الله آدم بيده * قال ابن عطية وقد ذكر ان من الحيوان ما يفضل بنوع ما ابن آدم كجري الفرس وسمعه وابصاره وقوة الفيل وشجاعة الأسد وكرم الديك قال وانما التكريم والتفضيل بالعقل الذي يملك به الحيوان كله وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل الى نعيمه انتهى وحملناهم في البر والبحر وهذا أيضا من تكريمهم * قال ابن عباس في البر على الخيل والبغال والحمير والابل وفي البحر على السفن * وقال غيره على أكباد رطبة وأعواد يابسة * والطيبات كما تقدم الحلال أو المستلذ ولا يتسع غيره من الحيوان في الرزق اتساعه لانه يكتسب المال ويلبس الثياب ويأكل المركب من الأطعمة بخلاف الحيوان فانه لا يكتسب ولا يلبس ولا يأكل غالبا إلا لحما نيأ وطعاما غير مركب والظاهر ان كثيرا باق على حقيقته فقالت طائفة فضلوا على الخلائق كلهم غير جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وأشباههم وهذا عن ابن عباس * وعنه ان الانسان ليس أفضل من الملك وهو اختيار الزجاج * وقال ابن عطية والحيوان والجن هو الكثير المفضول والملائكة هم الخارجون عن الكثير المفضول * وقالت فرقة الآية تقضي بفضل الملائكة على الانس من حيث هم

وحملناهم في البر والبحر * وقال ابن عباس في البر على الخيل والبغال والحمير والابل وفي البحر على السفن * والطيبات كما تقدم الحلال أو المستلذ * ومعنى على كثير أبهم في قوله على كثير ولم يعين الكثير الذي فضل بني آدم عليه ولما ذكر تعالى أنواعا من كرامات الانسان في الدنيا ذكر شيأ من أحوال الآخرة فقال ﴿يوم ندعو كل اناس بامامهم﴾ والعامل في يوم أذكر على أنه مفعول بامامهم والظاهر أنه الامام الذي يأتم به أمته من نبي أو كتاب أو شريعة ﴿فأولئك﴾ جاء جمعا على معنى من اذ قد حمل على اللفظ أولا فأفرد في قوله أوتي كتابه بيمينه والكتاب ما كتب له فيه من خير أو شر ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ أي لا ينقصون أدنى شئ وتقدم شرح الفتيل في سورة النساء والظاهر أن الاشارة بقوله في هذه الى الدنيا قاله ابن عباس وغيره أي من كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آيات الله وعبره والايمان بأنبيائه فهو في الآخرة أعمى اما أن يكون على حذف مضاف أي في شأن الآخرة واما أن يكون فهو يوم القيامة أعمى على معنى أنه حيران لا يتوجه له صواب ولا يلوح له نجح

المستثنون وقد قال تعالى ولا الملائكة المقربون وهذا غير لازم من الآية بل التفضيل بين الانس والجن لم تعن له الآية بل يحتمل ان الملائكة أفضل ويحتمل التساوي وانما يصح تفضيل الملائكة من مواضع أخر من الشرع انتهى * وقال الزمخشري على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة عليهم الصلاة والسلام وحسب بني آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شئ وكابروا حتى جسرتهم المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك ثم ذكر تشنيعا أقذع فيه يوقف عليه من كتابه * وقيل وفضلناهم على كثير بالغلبة والاستيلاء * وقيل بالثواب والجزاء يوم القيامة وعلى هذين القولين لم تتعرض الآية للتفضيل المختلف فيه بين الانس والملائكة * وقيل المراد بكثير مجازه وهو اطلاقه على الجميع والعرب تفعل ذلك وهذا القول لا ينبغي أن يقال هنا لانك لو جعلت جميعا كان بكثير فقلت على جميع ممن خلقنا لكان نائيا عن الفصاحة ولا يليق أن يحمل كلام الله تعالى الذي هو أفصح الكلام عليه ولأبي عبد الله الرازي كلام في تكريم ابن آدم وتفضيله مستمد من كلام الذين يسمونهم حكماء يوقف عليه في تفسيره اذ هو جار على غير طريقة العرب في كلامها ولما ذكر تعالى أنواعا من كرامات الانسان في الدنيا ذكر شيأ من أحوال الآخرة فقال يوم ندعو كل اناس بامامهم واختلفوا في العامل في يوم * فقيل العامل فيه ما دل عليه قوله متى هو * وقيل فتستجيبون * وقيل هو بدل من يوم يدعوكم وهذه أقوال في غاية الضعف ولولا انهم ذكروها لضربت عن ذكرها صفحا وهو في هذه الاقوال ظرف * وقال الحوفي وابن عطية انتصب على الظرف والعامل فيه اذكروا على تقدير اذكر لا يكون ظرفا بل هو مفعول به * وقال ابن عطية أيضا بعد قوله هو ظرف والعامل فيه اذكر أو فعل يدل عليه قوله ولا يظلمون وحكاه أبو البقاء وقدره ولا يظلمون يوم ندعو * وقال ابن عطية أيضا ويصح أن يعمل فيه وفضلناهم وذلك ان فضل البشر يوم القيامة على سائر الحيوان بين لانهم المنعمون المكلفون المحاسبون الذين لهم القدر الا أن هذا يرده ان الكفار يومئذ أخسر من كل حيوان اذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا * وقال ابن عطية أيضا ويصح أن يكون يوم منصوبا على البناء لما أضيف الى غير متمكن ويكون موضعه رفعا بالابتداء والخبر في التقسيم الذي أتى بعد في قوله فمن أوتي كتابه الى قوله ومن كان انتهى وقوله منصوبا على البناء كان ينبغي أن يقول مبنيا على الفتح وقوله لما أضيف الى غير متمكن ليس بجيد لان الذي ينقسم الى متمكن وغير متمكن هو الاسم لا الفعل وهذا أضيف الى فعل مضارع ومذهب البصريين انه اذا أضيف الى فعل مضارع معرب لا يجوز بناؤه وهذا الوجه الذي ذكره هو على رأي الكوفيين وأما قوله والخبر في التقسيم فالتقسيم عار من رابط لهذه الجملة التقسيمية بالمبتدأ الا ان قدر محذوفا فقد يمكن أي ممن أوتي كتابه فيه بيمينه وهو بعد ذلك التخريج تخريج متكلف * وقال بعض النحاة العامل فيه وفضلناهم على تقدير وفضلناهم بالثواب وهذا القول قريب من قول ابن عطية الذي ذكرناه عنه قبل وقال الزجاج هو ظرف لقوله ثم لا تجد * وقال الفراء هو معمول لقوله نعيدكم مضمرة أي نعيدكم يوم ندعو والأقرب من هذه الأقوال أن يكون منصوبا على المفعول به باذكر مضمرة * وقرأ الجمهور ندعو بنون العظمة ومجاهد يدعو بياء الغيبة أي يدعو الله والحسن فيما ذكر أبو عمرو الداني يدعى مبنيا للمفعول كل مرفوع به وفيما ذكر غيره يدعو بالواو وخرج على ابدال الالف واوا على لغة من

مفعول به (ع) ويصح أن يكون يوم منصوبا على البناء لما أضيف الى غير متمكن ويكون موضعه رفعا بالابتداء والخبر في التقسيم الذي أتى بعد في قوله فمن أوتي كتابه بيمينه الى قوله ومن كان (ح) قوله منصوبا على البناء كان ينبغي أن يقول مبنيا على الفتح وقوله لما أضيف الى غير متمكن ليس بجيد لان الذي ينقسم الى متمكن وغير متمكن هو الاسم لا الفعل وهذا أضيف الى فعل مضارع ومذهب البصريين انه اذا أضيف الى مضارع معرب لا يجوز بناؤه فهذا الوجه الذي ذكره هو على رأي الكوفيين وأما قوله والخبر في التقسيم فالتقسيم عار من رابط لهذه الجملة التقسيمية بالمبتدأ الا ان قدر محذوفا فقد يمكن أن يكون فمن أوتي كتابه بيمينه وهو بعد ذلك تخريج متكلف وقال بعض النحاة العامل فيه وفضلناهم على تقدير وفضلناهم بالثواب وقال الزجاج هو ظرف لقوله ثم لا تجد لك وقال أبو البقاء هو معمول لقوله نعيدكم مضمرة أي نعيدكم يوم ندعو والاقرب من هذه الاقوال أن يكون منصوبا على المفعول به باذكر مضمرة

يقول أفعو فى الوقف على أفعى واجراء الوصل مجرى الوقف وكل مرفوع به وعلى أن تكون الواو ضميرا مفعولا لم يسم فاعله وأصله يدعون فحذفت النون كما حذفت فى قوله

أبيت أسرى وتبيتى تدلكى * وجهك بالعنبر والمسك الزكى

أى تبيتين تدلكين وكل بدل من واو الضمير * واناس اسم جمع لا واحد له من لفظه والباء فى بامامهم الظاهر انها تتعلق بندعو أى باسم امامهم * وقيل هى باء الحال أى مصحوبين بامامهم * والامام هنا قال ابن عباس والحسن وأبو العالية والربيع كتابهم الذى فيه أعمالهم * وقال الضحاك وابن زيد كتابهم الذى نزل عليهم * وقال مجاهد وقتادة نبيهم * قال ابن عطية والامام يعم هذا كله لانه مما يؤتم به * وقال الزمخشرى امامهم من ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أهل دين كذا وكتاب كذا * وقيل بكتاب أعمالهم يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفى قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفسير ان الامام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وان الحكمة فى الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى وشرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا وليت شعرى أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته انتهى وايتاء الكتاب دليل على ما تقرر فى الشريعة من الصحف التى يؤتاها المؤمن والكافر وايتاؤه باليمين دليل على نجاة الطائع وخلاص الفاسق من النار ان دخلها وبشارته انه لا يخلد فيها فأولئك جاء جمعا على معنى من اذ قد حمل على اللفظ أولا فأفرد فى قوله أوتى كتابه بيمينه وقراءتهم كتبهم هو على سبيل التلذذ بالاطلاع على ما تضمنتها من البشارة والا فقد علموا من حيث ايتاؤهم اياها باليمين انهم من أهل السعادة ومن فرحهم بذلك يقول البارى لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه ولم يأت هنا قسيم من أوتى كتابه بيمينه وهو من يؤتى كتابه بشماله وان كان قد أتى فى غير هذه الآية بل جاء قسيمه قوله * ومن كان فى هذه أعمى وذلك من حيث المعنى مقابله لان من أوتى كتابه بيمينه هم أهل السعادة ومن كان فى هذه أعمى هم أهل الشقاوة ولا يظلمون فتيلا أى لا ينقصون أدنى شئ وتقدم شرح الفتيل فى سورة النساء والظاهر ان الاشارة بقوله فى هذه الى الدنيا وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد أى من كان فى هذه الدار أعمى عن النظر فى آيات الله وعبره والايمان بأنبيائه فهو فى الآخرة أعمى إما أن يكون على حذف مضاف أى فى شأن الآخرة واما أن يكون فهو يوم القيامة أعمى معنى انه خبران لا يتوجه له صواب ولا يلوح له نجح * وقال مجاهد هو أعمى فى الآخرة عن حججه * وقال ابن عباس أيضا ومن كان فى هذه النعم يشير الى نعم التكريم والتفضيل فهو فى الآخرة التى لم تر ولم تعاين أعمى * وقيل ومن كان فى الدنيا ضالا كافرا فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا لانه فى الدنيا تقبل توبته وفى الآخرة لا تقبل وفى الدنيا يهتدى الى التخلص من الآفات وفى الآخرة لا يهتدى الى ذلك البتة * وقيل فهو فى الآخرة أعمى عن طريق الجنة * وقيل أعمى البصر كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وقوله ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا * وقيل من كان فى الدنيا أعمى عن أبصار الحق والاعتبار فهو فى الآخرة أعمى عن الاعتذار * وقال ابن عطية والظاهر عندى ان الاشارة بهذه الى الدنيا أى من كان فى دنياه هذه وقت ادراكه وفهمه أعمى عن النظر فى آيات الله فهو فى يوم القيامة أشد حيرة وعمى لأنه قد باشر الخيبة ورأى مخائل العذاب وبهذا التأويل تكون معادلة التى قبلها من ذكر من يؤتى كتابه بيمينه واذا جعلنا قوله فى الآخرة بمعنى فى شأن الآخرة لم تطرد المعادلة بين الآيتين * وقال الزمخشرى

﴿وان كادوا ليفتنونك﴾ الضمير في وإن كادوا عائد على الكفار ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما عدد نعمه على بني آدم ثم ذكر حالهم في الآخرة من ايتاء الكتاب باليمين لأهل السعادة ومن عمل أهل الشقاوة أتبع ذلك بما هم به الاشقياء في الدنيا من المكر والخداع والتلبيس على سيد أهل السعادة المقطوع له بالعصمة ومعنى ليفتنونك ليخدعونك وذلك في ظنهم لأنهم قاربوا ذلك اذ هو معصوم صلى الله عليه وسلم أن يقاربوا فتنته عما أوحي اليه وتلك المقاربة في زعمهم سببها رجاؤهم أن يفتري على الله غير ما أوحي اليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من أن يضيف الى الله ما لم ينزل عليه وان هذه هي المخففة من الثقيلة وليها الجملة الفعلية وهي كادوا لانها من أفعال المقاربة وانما تدخل على مذهب البصريين من الأفعال على النواسخ التي للاثبات على ما تقرر في علم النحو واللام في ليفتنونك هي الفارقة بين ان هذه وان النافية واذا حرف جواب وجزاء ويقدر قسم هنا يكون لاتخذوك جوابا له والتقدير والله اذا أي ان افتتنت وافتريت لاتخذوك ولاتخذوك في معنى ليتخذونك ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ جواب لولا يقتضي اذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما قبله فمقاربة الركون لم يقع منه صلى الله عليه وسلم فضلا عن الركون والمانع من ذلك هو وجود تثبيت الله تعالى له وانتصب شيئا على المصدر وجواب لولا قوله لقد كدت ومثله * قول الشاعر

* لولا الامير ولولا فضل طاعته * لقد شربت دما أحلى من العسل

وأكثر ما يجيء باللام وحدها وبعدها الفعل الماضي المثبت كقوله لمسكم ﴿اذن لأذقناك﴾ عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين ﴿وان كادوا ليستفزونك﴾ روي انه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين والضمير في وان كادوا اليهود المدينة وناحيتها كحيي ابن أخطب وغيره وذلك أنهم ذهبوا الى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذه ليست بأرض الانبياء وانما أرض الانبياء الشام ولكنك تخاف الروم فان كنت نبيا فاخرج اليها فان الله سيحميك كما حمى غيرك من الانبياء فنزلت وأخبر تعالى أنه لو خرج لم يلبثوا بعده الا قليلا * وانتصب سنة على المصدر المؤكد أي سن الله ذلك سنة والمعنى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم بعد اخراجه ويستأصلهم ولا يقيمون بعده الا قليلا كقوله في قصة شعيب وقوله أخرجوا آل لوط وقوله وليكونن من المخرجين وقوله واذا لا يلبثون نظير قوله فاذا لا يؤتون الناس نقيرا

والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقوله أعمالكم وأما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للامالة انتهى وتعليله ترك امالة أعمى الثاني أخذه الزمخشري من أبي علي قال أبو علي لأن الامالة انما تحسن في الأواخر وأعمى ليس كذلك لان تقديره أعمى من كذا فليس يتم الا في قولنا من كذا فهو اذن ليس بآخر ويقوي هذا التأويل عطف وأضل سبيلا لأن الانسان في الدنيا يمكن أن يؤمن فينجو وهو في الآخرة لا يمكنه ذلك فهو أضل سبيلا وأشد حيرة وأقرب الى العذاب وأعمى هنا من عمى القلب لا من عمى البصر لأن ذلك يقع فيه التفاضل لا هذا ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ الضمير في وان كادوا * قيل لقريش * وقيل لثقيف وذكروا أسباب نزول مختلفة وفي بعضها ما لا يصح نسبته الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويوقف على ذلك في تفسير ابن عطية والزمخشري والتحرير وغير ذلك ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما عدد نعمه على بني آدم ثم ذكر حالهم في الآخرة من ايتاء الكتاب باليمين لأهل السعادة ومن عمى أهل الشقاوة اتبع ذلك بما هم به الاشقياء في الدنيا من المكر والخداع والتلبيس على سيد أهل السعادة المقطوع له بالعصمة ومعنى ليفتنونك ليخدعونك وذلك في ظنهم لأنهم قاربوا ذلك اذ هو معصوم عليه السلام أن يقاربوا فتنته عما أوحى الله اليه وتلك المقاربة في زعمهم سببها رجاؤهم أن يفتري على الله غير ما أوحى الله اليه من تبديل الوعد وعيدا أو الوعيد وعدا وما اقترحته

ثقيف من أن يضيف الى الله مالم ينزل عليه وأن هذه هي المخففة من الثقيلة وليتها الجملة الفعلية وهي كادوا لانها من أفعال المقاربة وانما تدخل على مذهب البصريين من الافعال على النواسخ التي للاثبات على ماتقرر في علم النحو واللام في ليفتنونك هي الفارقة بين ان هذه وان النافية واذا حرف جواب وجزاء ويقدر قسم هنا تكون لاتخذوك جوابا له والتقدير والله اذا أي ان افتتنت وافتريت لاتخذوك ولا تخذوك في معنى ليتخذونك كقوله ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا أي ليظلن لان اذا تقتضي الاستقبال لانها من حيث المعنى جزاء فيقدر موضعها بأداة الشرط * وقال الزمخشري واذا لاتخذوك أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي انتهى وهو تفسير معنى لاان لاتخذوك جواب لو محذوفة * قال الزمخشري ولولا ان ثبتناك ولو تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت أن تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذن لو قاربت تركن اليهم أدنى ركنة لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أي لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين (فان قلت) كيف حقيقة هذا الكلام (قلت) أصله لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان أصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات مايعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا ومانؤخره لما بعد الموت انتهى وجواب لولا يقتضي اذا كان مثبتا امتناعه لوجود ماقبله فمقاربة الركون لم تقع منه فضلا عن الركون والمانع من ذلك هو وجود تثبيت الله * وقرأ قتادة وابن أبي اسحاق وابن مصرف تركن بضم الكاف مضارع ركن بفتحها وانتصب شيأ على المصدر * وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك يريد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات على معنى أن مايستحقه من أذنب من عقوبتنا في الدنيا والآخرة كنا نضعفه وذهب ابن الانباري الى أن المعنى لقد كاد أن يخبر واعنك انك ركنت الى قولهم بسبب فعلهم اليه مجازا واتساعا كما تقول للرجل كدت تقتل نفسك أي كاد الناس يقتلونك بسبب مافعلت * وقال ابن عباس كان الرسول صلى الله عليه وسلم معصوما ولكن هذا تعريف للامة لئلا يركن أحد منهم الى المشركين في شئ من أحكام الله تعالى وشرائعه انتهى * واللام في لأذقناك جواب قسم محذوف قبل اذا أي والله ان حصل ركون ليكونن كذا والقول في لأذقناك كالقول في لاتخذوك من وقوع الماضي موقع المضارع الداخل عليه اللام والنون وممن نص على أن اللام في لاتخذوك ولاذقناك هي لام القسم الحوفي * وقال الزمخشري وفي ذكر الكيدودة وتعليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته انتهى ومن ذلك يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة الآية * قال الزمخشري وفيه أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله انتهى وروى أنه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لاتكلني الى نفسي طرفة عين قال حضرمي الضمير في وان كادوا ليهود المدينة وناحيتها كحيي بن أخطب وغيره

وذلك أنهم ذهبوا الى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذه الارض ليست بأرض الانبياء وانما أرض الانبياء الشام ولكنك تخاف الروم فان كنت نبيا فاخرج اليها فان الله يحميك كما حمى غيرك من الانبياء فنزلت وأخبر تعالى أنه لو خرج لم يلبثهم بعده الا قليلا * وحكى النقاش أنه خرج بسبب قولهم وعسكر بذى الحليفة وأقام ينتظر أصحابه فنزلت ورجع * قال ابن عطية وهذا ضعيف لم يقع فى سيرة ولا فى كتاب يعتمد عليه وذو الحليفة ليس فى طريق الشام من المدينة انتهى * وقالت فرقة الضمير لقريش قاله ابن عباس وقتادة واستفزازهم هو ماذهبوا اليه من اخراجه من مكة كما ذهبوا الى حصره فى الشعب ووقع استفزازهم هذا بعد نزول الآية وضيقوا عليه حتى خرج واتبعوه الى الغار ونفذ عليهم الوعيد فى أن لم يلبثوا خلفه الا قليلا يوم بدر * وقال الزجاج حاكيا ان استفزازهم ما أجمعوا عليه فى دار الندوة من قتله والارض على هذا الدنيا * وقال مجاهد ذهبت قريش الى هذا ولكنه لم يقع منها لانه لما أراد تعالى استبقاء قريش وأن لا يستأصلها اذن لرسوله فى الهجرة فخرج باذنه لا بقهر قريش واستبقيت قريش ليسلم منها ومن أعقابها من أسلم قال ولو أخرجته قريش لعذبوا وذهب مجاهد الى ان الضمير فى يلبثون لجميعهم * وقال الحسن ليستفزونك ليفتنونك عن رأيك * وقال ابن عيسى ليزعجونك ويستخفونك * وأنشد ...

... يطيع سفيه القوم اذ يستفزه * ويعصى حليما شيبته الهزاهز ...

والظاهر ان الآية تدل على مقاربة استفزازه لان يخرجوه فما وقع الاستفزاز ولا اخراجهم اياه المعلل به الاستفزاز ثم جاء فى القرآن وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أى أخراجك أهلها وفى الحديث ياليتنى كنت فيها جذعا اذ يخرجك قومك قال أو مخرجى هم الحديث فدل ذلك على انهم أخرجوه لكن الاخراج الذى هو علة للاستفزاز لم يقع فلا تعارض بين الآيتين والحديث * وقال أبو عبد الله الرازى ما خرج بسبب اخراجهم وانما خرج بأمر الله فزال التناقض انتهى ولا يلبثون جواب قسم محذوف أى والله ان استفزوك فخرجت لا يلبثون ولذلك لم تعمل اذا لانها توسطت بين قسم مقدر والفعل فلا يلبثون ليست منصبة عليه من جهة الاعراب ويحتمل أن تكون لا يلبثون خبرا لمبتدا محذوف يدل عليه المعنى تقديره وهم اذا لا يلبثون فوقعت اذا بين المبتدا وخبره فألغيت * وقرأ أبى واذا لا يلبثوا بحذف النون أعمل اذا فنصب بها على قول الجمهور وبأن مضمرة بعدها على قول بعضهم وكذا هى فى مصحف عبد الله محذوفة النون * قال الزمخشرى (فان قلت) ما وجه القراءتين (قلت) أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل فى خبر كاد واقع موقع الاسم * وأما قراءة أبى ففيها الجملة برأسها التى هى واذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك انتهى * وقرأ عطاء لا يلبثون بضم الياء وفتح اللام والباء مشددة * وقرأ يعقوب كذلك الا انه كسر الباء * وقرأ الاخوان وابن عامر وحفص خلافك وباقى السبعة خلفك والمعنى واحد * قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

وهذا كقوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله أى خلف رسول الله فى أحد التأويلات * وقرأ عطاء بن أبى رباح بعدك مكان خلفك والأحسن أن يجعل تفسيرا لخلفك لا قراءة لأنها لا تخالف سواد المصحف فأراد أن يبين ان خلفك هنا ليست ظرف مكان وانما تجوز فيها فاستعملت ظرف زمان بمعنى بعدك وهذه الظروف التى هى قبل وبعد ونحوهما اطرد اضافتها الى أسماء

الأعيان على تخفيف مضاف يدل عليه ما قبله فى تخلو خلفك أى خلفهما خراجك وجاء زيد قبيل عمرو
أى قبيل مجىء عمرو وضحك بكر بعد خالد أى بعد ضحك خالد وانتصب سنة على المصدر المؤكد أى سن ذلك
الله سنة والمعنى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم بعد إخراجه
ويستأصلهم ولا يقيمون بعده الا قليلا * وقال الفراء انتصب سنة على اسقاط الخافض لان المعنى
كسنة فنصب بعد حذف الكاف وعلى هذا لا يقف على قوله الا قليلا * وقال أبو البقاء سنة منصوب
على المصدر أى سننا بك سنة من تقدم من الأنبياء ويجوز أن يكون مفعولا به أى اتبع سنة من قد
أرسلنا كما قال تعالى فبهداهم اقتده انتهى وهذا معنى غير الاول والمفسرون على الأول وهو المناسب
لمعنى الآية قبلها ولن تجد لما أجريناه به العادة تحويلا منه الى غيره إذ كل حادث له وقت معين وصفة
معينة ونفى الوجدان هنا وفيما أشبهه معناه نفى الوجود * أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق
الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا * ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك
ربك مقاما محمودا * وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك
سلطانا نصيرا * وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا * وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا
مسه الشر كان يؤسا * قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا * ويسألونك
عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا * ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا * الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا * قل لئن اجتمعت الانس
والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا * ولقد صرفنا
للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا * وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا * أو تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى
فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا *
وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا * قل لو كان فى
الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا * قل كفى بالله شهيدا بينى
وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا * ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه
ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا * ذلك
جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا * أولم يروا
أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى
الظالمون الا كفورا * قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان
الانسان قتورا * لقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون
انى لأظنك ياموسى مسحورا * قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر
وانى لأظنك يافرعون مثبورا * فأراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من
بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا * وبالحق أنزلناه وبالحق
نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا * وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا
قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون

سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا * قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى * ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا * وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا * الدلوك الغروب قاله الفراء وابن قتيبة واستدل الفراء بقول الشاعر

هذا مقام قدمى رباح * غدوة حتى دلكت براح

أى حتى غابت الشمس وبراح اسم الشمس وأنشد ابن قتيبة لذى الرمة

مصابيح ليست باللواتى يقودها * نجوم ولا بالآفلات الدوالك

* وقيل الدلوك زوال الشمس نصف النهار * قيل واشتقاقه من الدلك لان الانسان تدلك عينه عند النظر اليها * وقيل الدلوك من وقت الزوال الى الغروب * الغسق سواد الليل وظلمته * قال الكسائى غسق الليل غسوقا والغسق الاسم بفتح السين * وقال النضر بن شميل غسق الليل دخول أوله * قال الشاعر

ان هذا الليل قد غسقا * واشتكيت الهم والارقا

وأصله من السيلان غسقت العين تغسق هملت بالماء والغاسق السائل وذلك ان الظلمة تنصب على العالم * قال الشاعر

ظلت تجود يداها وهى لاحية * حتى اذا جنح الاظلام والغسق

وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس ما الغسق قال الليل بظلمته ويقال غسقت العين امتلأت دما * وحكى الفراء غسق الليل واغتسق وظلم وأظلم ودجى وأدجى وغبش وأغبش أبو عبيدة الهاجد النائم والمصلى * وقال ابن الاعرابى هجد الرجل صلى من الليل وهجد نام بالليل * وقال الليث تهجد استيقظ للصلاة * وقال ابن برزخ هجدته أيقظته فعلى ما ذكروا يكون من الاضداد والمعروف فى كلام العرب ان الهاجد النائم وقد هجد هجودا نام * قال الشاعر

ألا زارت واهل منى هجود * وليت خيالنا منا يعود

* وقال آخر * ألا طرقتنا والرفاق هجود * وقال آخر * وبرك هجود قد أثارت مخافتى *
* زهقت نفسه تزهق زهوقا ذهبت وزهق الباطل زال واضمحل ولم يثبت * قال الشاعر

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها * اقدامه مزالة لم تزهق

* نأى بنوء نهض * الشاكلة الطريقة والمذهب الذى جبل عليه قاله الفراء وهو مأخوذ من الشكل يقال لست على شكلى ولا شاكلتى والشكل المثل والنظير والشكل بكسر الشين الهيئة يقال جارية حسنة الشكل * الينبوع مفعول من النبع وهو عين تفور بالماء * الكسف القطع واحدها كسفة تقول العرب كسفت الثوب ونحوه قطعته وما زعم الزجاج من ان كسف بمعنى غطى ليس بمعروف فى دواوين اللغة * الرقى والرقى الصعود يقال رقيت فى السلم أرقى * قال الشاعر

أنت الذى كلفتنى رقى الدرج * على الكلال والمشيب والعرج

* خبت النار تخبو سكن لهبها وخمدت سكن جمرها وضعف وهمدت طفئت جملة * قال الشاعر

أمن زينب ذى النار قبيل الصبح * ما تخبو اذا ما أخمدت ألقى عليها المندل الرطب

﴿ وقال آخر ﴾

وسطه كاليراع أو سرج المجدل * طورا يخبو وطورا ينير

* الثبور الهلاك يقال ثبر الله العدو ثبورا أهلكه * وقال ابن الزبعرى

اذ أجاري الشيطان في سنن الغي * ومن مال ميله مثبور

* اللفيف الجماعات من قبائل شتى مختلطة قد لف بعضها ببعض * وقال بعض اللغويين هو من أسماء الجموع لا واحد له من لفظه * وقال الطبري هو بمعنى المصدر كقول القائل لففته لفا ولفيفا * المكث التطاول في المدة يقال مكث ومكث أطال الاقامة * الذقن مجمع اللحيين * قال الشاعر

فخروا لأذقان الوجوه تنوشهم * سباع من الطير العوادي وتنتف

* خافت بالكلام أسره بحيث لا يكاد يسمعه المتكلم وضربه حتى خفت أي لا يسمع له حس ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ ومناسبة أقم

﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ الآية مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر كيدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يرومون به أمره تعالى أن يقبل على شأنه من عبادة ربه وأن لا يشغل قلبه بهم وكان قد تقدم القول في الالهيات والمعاد والنبوات فأردف ذلك بالامر بأشرف العبادات والطاعات بعد الايمان وهي الصلاة وتقدم الكلام في إقامة الصلاة والمواجه بالامر الرسول صلى الله عليه وسلم قال الواحدي اللام للسبب لانها إنما تجب بزوال الشمس فيجب على المصلي اقامتها لأجل دلوك الشمس وقال ابن عطية هذه الآية باجماع المفسرين إشارة الى الصلوات الخمس وقال ابن عباس وغيره دلوك الشمس زوالها والاشارة الى الظهر والعصر وغسق الليل إشارة الى المغرب والعشاء وقرآن الفجر أريد به صلاة الصبح فالآية على هذا تعم جميع الصلوات كلها وأعاد قرآن الفجر في قوله ان قرآن الفجر ولم يأت مضمرا فيكون انه على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر ومعنى مشهودا أي تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار كما جاء في الحديث انهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ولما أمره تعالى باقامة الصلاة للوقت المذكور ولم يدل أمره تعالى اياه على اختصاصه بذلك دون أمته ذكر ما اختصه به تعالى وأوجبه عليه من قيام الليل وهو في أمته تطوع فقال ومن الليل فتهجد به أي بالقرآن نافلة زيادة مخصوصا بها أنت وتهجد هنا تفعل بمعنى الازالة والترك لقولهم تأثم وتحنث ترك التأثم والتحنث (٦٩) ومنه تحنث بغار حراء أي ترك التحنث وشرح بلازمه وهو التعبد ومن للتبعيض وعسى مدلولها في المحبوبات في الترجي والاجود أن هذه الترجية والاطماع بمعنى الوجوب من الله تعالى وهو متعلق من حيث المعنى بقوله فتهجد وعسى هنا تامة وفاعلها أن يبعثك وربك فاعل بيبعثك * ومقاما الظاهر أنه معمول ليبعثك وهو منصوب على الظرف أي في مقام محمود ولا يجوز أن يكون ربك اسم عسى وأن يبعثك في موضع الخبر لانه يلزم من ذلك الفصل بين العامل الذي هو أن يبعثك وبين المعمول الذي هو مقاما بأجنبي وهو ربك الذي هو اسم عسى وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو الذي أشفع فيه لامتي ﴿وقل رب أدخلني﴾ الآية لما أمره تعالى باقامة الصلاة وبالتهجد ووعده ببعثه مقاما محمودا وذلك في الآخرة أمره أن يدعوه بما يشمل أموره الدنيوية والأخروية فقال وقل رب الآية والظاهر أنه عام في جميع أموره ومصادره دنيوية وأخروية والصدق لفظ يقتضي رفع المذام واستيعاب المدح كما تقول رجل صدق اذ هو مقابل رجل سوء * وسلطانا أي حجة بينة ونصيرا مبالغة في ناصر ﴿وقل جاء الحق﴾ الحق القرآن والباطل الشيطان وهذه الآية نزلت بمكة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه الاصنام وسقوطها لطعنه اياها بالمخصرة حسبما ذكر في السير ﴿وزهوقا﴾ صفة مبالغة في اضمحلاله وعدم ثبوته في وقت ما ومن في من القرآن لابتداء الغاية * وقال ابن عطية والزمخشري من في القرآن لبيان الجنس ووافقهما أبو البقاء وقد ذكرنا أن من التي لبيان الجنس لا تتقدم على المبهم الذي تبينه وانما تكون متأخرة عنه وشفاء كونه مزيلا للريب كاشفا عن غطاء القلب لفهم المعجزات والامور الدالة على الله المقررة لدينه فصار لعلات القلوب كالشفاء لعلات الاجسام وخسارا لظالمين وهم الذين يضعون الشيء في غير موضعه هو باعراضهم عنه وعدم تدبره بخلاف المؤمن فانه يزداد بالنظر فيه والتدبر في معانيه ايمانا

الصلاة لما قبلها انه تعالى لما ذكر كيدهم للرسول وما كانوا يرومون به أمره تعالى أن يقبل على شأنه من عبادة ربه وأن لا يشغل قلبه بهم وكان قد تقدم القول فى الالهيات والمعاد والنبوات فأردف ذلك بالأمر بأشرف العبادات والطاعات بعد الايمان وهى الصلاة وتقدم الكلام فى اقامة الصلاة والمواجه بالأمر الرسول عليه الصلاة والسلام واللام فى لدلوك قالوا بمعنى بعد أى بعد دلوك الشمس كما قالوا ذلك فى قول متمم بن نويرة يرثى أخاه مالكا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

أى بعد طول اجتماع ومنه كتبته لثلاث خلون من شهر كذا * وقال الواحدى اللام للسبب لانها انما تجب بزوال الشمس فيجب على المصلى اقامتها لأجل دلوك الشمس * قال ابن عطية أقم الصلاة الآية هذه باجماع من المفسرين اشارة الى الصلوات المفروضة * فقال ابن عمر وابن عباس وأبو بردة والحسن والجمهور دلوك الشمس زوالها والاشارة الى الظهر والعصر وغسق الليل اشارة الى المغرب والعشاء وقرآن الفجر أريد به صلاة الصبح فالآية على هذا تعم جميع الصلوات * وروى ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر * وروى جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس فقال اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس * وقال ابن مسعود وابن عباس وزيد بن أسلم دلوك الشمس غروبها والاشارة بذلك الى المغرب وغسق الليل ظلمته فالاشارة الى العتمة وقرآن الفجر صلاة الصبح ولم تقع اشارة على هذا التأويل الى الظهر والعصر انتهى وعن على انه الغروب وتتعلق اللام والى بأقم فتكون الى غاية للاقامة وأجاز أبو البقاء أن تكون حالا من الصلاة قال أى ممدودة ويعنى بقرآن الفجر صلاة الصبح وخصت بالقرآن وهو القراءة لانه عظمها اذ قراءتها طويلة مجهور بها وانتصب وقرآن الفجر عطفا على الصلاة * وقال الأخفش انتصب باضمار فعل تقديره وآثر قرآن الفجر أو عليك قرآن الفجر انتهى وسميت صلاة الصبح ببعض ما يقع فيها * وقال الزمخشرى سميت صلاة الفجر قرآنا وهى القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهى حجة على ابن أبى علية والأصم فى زعمهما ان القراءة ليست بركن انتهى * وقيل اذا فسرنا الدلوك بزوال الشمس كان الوقت مشتركا بين الظهر والعصر اذا غييت الاقامة بغسق الليل ويكون الغسق وقتا مشتركا بين المغرب والعشاء ويكون المذكور ثلاثة أوقات أول وقت الزوال وأول وقت المغرب وأول وقت الفجر انتهى والذى يدل عليه ظاهر اللفظ انه أمر باقامة الصلاة اما من أول الزوال الى الغسق وبقرآن الفجر واما من الغروب الى الغسق وبقرآن الفجر فيكون المأمور به الصلاة فى وقتين ولا تؤخذ أوقات الصلوات الخمس من هذا اللفظ بوجه * وقال أبو عبد الله الرازى فى قوله وقرآن الفجر دلالة على ان الصلاة لا تتم الا بالقراءة لان الأمر على الوجوب ولا قراءة فى ذلك الوقت واجبة الا فى الصلاة ومن قال معنى وقرآن الفجر صلاة الفجر غلط لانه صرف الكلام عن حقيقته الى المجاز بغير دليل ولان فى نسق التلاوة ومن الليل فتهجد به نافلة لك ويستحيل التهجد بصلاة الفجر ليلا والهاء فى به كناية عن قرآن الفجر المذكور قبله فثبت أن المراد حقيقة القرآن لامكان التهجد بالقرآن المقروء فى صلاة الفجر واستحالة التهجد فى الليل بصلاة الفجر وعلى انه لو صح أن يكون المراد ما ذكروا لكانت دلالته قائمة على وجوب القراءة فى الصلاة لانه لم تجعل القراءة عبارة عن الصلاة الا وهى من أركانها انتهى وفيه بعض تلخيص

(الدر)

(ح) الذى يدل عليه ظاهر اللفظ من قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس الآية انه عليه السلام أمر باقامة الصلاة اما من أول الزوال الى الغسق وبقرآن الفجر واما من الغروب الى الغسق وبقرآن الفجر فيكون المأمور به الصلاة فى وقتين ولا تؤخذ أوقات الصلوات الخمس من هذا اللفظ بوجه

والظاهر ندبية ايقاع صلاة الصبح فى أول الوقت لانه مأمور بايقاع قرآن الفجر فكان يقتضى الوجوب أول طلوع الفجر لكن الاجماع منع من ذلك فبقى الندب لوجود المطلوبية فاذا انتفى وجوبها بقى ندبها وأعاد قرآن الفجر فى قوله ان قرآن الفجر ولم يأت مضمرا فيكون انه على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر ومعنى مشهودا تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار كما جاء فى الحديث انهم يتعاقبون ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر وهذا قول الجمهور * وقيل يشهده الكثير من المصلين فى العادة * وقيل من حقه أن تشهده الجماعة الكثيرة * قال الزمخشرى ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة فى صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة انتهى ويعنى بقوله حثا أن يكون التقدير وعليك قرآن الفجر أو والزم * وقال محمد بن سهل بن عسكر مشهودا يشهده الله وملائكته وذكر حديث أبى الدرداء أنه تعالى ينزل فى آخر الليل ولأبى عبد الله الرازى كلام فى قوله مشهودا على عادته فى تفسير كتاب الله على ما لا تفهمه العرب والذى ينبغى بل لا يعدل عنه ما فسره به الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله فيه يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وقال فيه الترمذى حديث حسن صحيح ولما أمره تعالى باقامة الصلاة للوقت المذكور ولم يدل أمره تعالى اياه على اختصاصه بذلك دون أمته ذكر ما اختصه به تعالى وأوجبه عليه من قيام الليل وهو فى أمته تطوع * فقال ومن الليل فتهجد به أى بالقرآن فى الصلاة نافلة زيادة مخصوصا بها أنت وتهجد هنا تفعل بمعنى الازالة والترك كقولهم تأثم وتحنث ترك التأثم والتحنث ومنه تحنث بغار حراء أى بترك التحنث وشرح بلازمه وهو التعبد ومن للتبعيض * وقال الحوفى من متعلقة بفعل دل عليه معنى الكلام تقديره واسهر من الليل بالقرآن قال ويجوز أن يكون التقدير وقم بعد نومة من الليل * وقال ابن عطية ومن للتبعيض التقدير وقتا من الليل أى وقم وقتا من الليل * وقال الزمخشرى ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلاة انتهى فان كان تفسير معنى وعليك بعض الليل تفسير معنى فيقرب وان كان أراد صناعة النحو والاعراب فلا يصح لأن المغرى به لا يكون حرفا وتقدير من ببعض فيه مسامحة لأنه ليس بمرادفه البتة اذ لو كان مرادفه للزم أن يكون اسما ولا قائل بذلك ألا ترى اجماع النحويين على أن واو مع حرف وان قدرت بمع والظاهر أن الضمير فى به يعود على القرآن لتقدمه فى الذكر ولا تلاحظ الاضافة فيه والتقدير فتهجد بالقرآن فى الصلاة * وقال ابن عطية والضمير فى به عائد على وقت المقدر فى وقم وقتا من الليل انتهى فتكون الباء ظرفية أى فتهجد فيه وانتصب نافلة * قال الحوفى على المصدر أى نفلناك نافلة قال ويجوز أن ينتصب نافلة بتهجد اذا ذهبت بذلك الى معنى صل به نافلة أى صل نافلة لك * وقال أبو البقاء فيه وجهان أحدهما هو مصدر بمعنى تهجد أى تنفل نفلا ونافلة هنا مصدر كالعاقبة والثانى هو حال أى صلاة نافلة انتهى وهو حال من الضمير فى به ويكون عائدا على القرآن لا على وقت الذى قدره ابن عطية * وقال الأسود وعلقمة وعبد الرحمن بن الاسود والحجاج بن عمرو والتهجد بعد نومة * وقال الحسن ما كان بعد العشاء الآخرة * وقال ابن عباس نافلة زيادة لك فى الفرض وكان قيام الليل فرضا عليه * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون على جهة الندب فى التنفل والخطاب له والمراد هو وأمته كخطابه فى أقم الصلاة * وقال مجاهد والسدى انما هى نافلة له قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر عام الحديبية فانما كانت نوافله واستغفاره فضائل من العمل وقربا أشرف من

(الدر)

(ش) ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة فى صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة (ح) يعنى بقوله حثا أن يكون التقدير وعليك قرآن الفجر أو والزم

نوافل أمته لأن هذه أعني نوافل أمتــه اما أن يجبر بها فرائضهم واما أن يحط بها خطيئاتهــم وضعف الطبري قول مجاهــد واستحسنه أبو عبد الله الرازى * وقال مقاتل فله كرامة وعطاء لك * وقيل كانت فرضا ثم رخص فى تركها ومن حــديث زيد بن خالد الجهنى رمق صــلاته عليــه الصلاة والسلام ليلة فصلى بالوتر ثلاث عشرة ركعة * وعن عائشة أنه ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة وعسى مدلولها فى المحبوبات الترجي * فقيل هى على بابها فى الترجي تقــديره لتسكن على رجاء من أن يبعثك * وقيل هى بمعنى كى وينبغى أن يكون هذا تفسير معنى والأجود ان هذه الترجيــة والاطماع بمعنى الوجوب من الله تعالى وهو متعلق من حيث المعنى بقوله فتهجد وعسى هنا تامة وفاعلها أن يبعثك وربك فاعل بيبعثك ومقاما الظاهر انه معمول ليبعثك هو مصدر من غير لفظ الفعل لان يبعثك بمعنى يقيمك تقول أقيم من قبره وبعث من قبره * وقال ابن عطيــة منصوب على الظرف أى فى مقام محمود * وقيــل منصوب على الحال أى ذا مقام * وقيل هو مصــدر لفعل محذوف التقــدير فتقوم مقاما ولا يجوز أن تــكون عسى هنا ناقصة وتقــدم الخبر على الاسم فيكون ربك مرفوعا اسم عسى وأن يبعثك الخبر فى موضع نصب بها الا فى هــذا الاعراب الأخير وأما فى قبــله فلا يجوز لأن مقاما منصوب بيبعثك وربك مرفوع بعسى فيــلزم الفصل بأجنبى بين ما هو موصول وبين معموله وهو لا يجوز وفى تفســير المقام المحمود أقوال * أحدها انه فى أمر الشفاعة التى يتدافعها الأنبياء حتى تنتهى اليه صلى الله عليه وسلم والحديث فى الصحيح وهى عدة من الله تعالى له عليه الصلاة والسلام وفى هــذه الشفاعة يحمده أهل الجمع كلهم وفى دعائه المشهور وابعثه المقام المحمود الذى وعــدته واتفقوا على أن المراد منه الشفاعة * الثانى أنه فى أمر شفاعتــه لأمته فى اخراجه لمذنبهم من النار وهذه الشــفاعة لا تــكون الا بعد الحساب ودخول الجنــة ودخول النار وهذه لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء * وقد روى حديث هذه الشفاعة وفى آخره حتى لا يبقى فى النار الا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود * قال ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا * وعن أبى هريرة أنه عليه السلام قال المقام المحمود هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى فظاهر هذا الــكلام تخصيص شــفاعته لأمته وقد تأوله من حمــل ذلك على الشــفاعة العظمى التى يحمده بسببها الخلق كلهم على أن المراد لأمته وغيرهم أو يقال ان كل مقام منهما محمود * الثالث عن حذيفة يجمع الله الناس فى صعيد فلا تــكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا منجا ولا ملجأ الا اليك تباركــت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهــذا قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا * الرابع قال الزمخشرى معنى المقام المحمود المقام الذى يحمده القائم فيــه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق فى كل ما يجلب الحمد من أنواع الــكرامات انتهى وهذا قول حسن ولذلك نــكر مقاما محمودا فلم يتناول مقاما مخصوصا بل كل مقام محمود صدق عليه اطلاق اللفظ * الخامس ما قالت فرقة منها مجاهد وقد روى أيضا عن ابن عباس ان المقام المحمود هو أن يجلسه الله معه على العرش وذكر الطبرى فى ذلك حــديثا وذكر النقاش عن أبى داود السجــستانى أنه قال من أنكر هذا الحديث فهو عنــدنا متهم ما زال أهل العلم يحدثون بهذا * قال ابن عطية يعنى من أنــكر جوازه على تأويله * وقال أبو عمرو ومجاهد ان كان أحد الأئمة يتأول القرآن فان له قولين مهجورين عند أهل العلم أحدهما هذا والثانى فى تأويل الى ربها ناظرة قال تنتظر الثواب ليس من النظر وقــد يؤول قوله معــه على رفع محــله

وتشريفه على خلقه كقوله ان الذين عند ربك وقوله ابن لى عندك بيتا وان الله لمع المحسنين كل ذلك كناية عن المكانة لا عن المكان * وقال الواحدى هذا القول مروى عن ابن عباس وهو قول رذل موحش فظيع لا يصح مثله عن ابن عباس ونص الكتاب ينادى بفساده من وجوه * الأول ان البعث ضد الاجلاس بعثت التارك و بعث الله الميت أقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد * الثانى لو كان جالسا تعالى على العرش لكان محدودا متناهيا فكان يكون محدثا * الثالث انه قال مقاما ولم يقل مقعدا محمودا والمقام موضع القيام لا موضع القعود * الرابع ان الحمقى والجهال يقولون ان أهل الجنة يجلسون كلهم معه تعالى و يسألهم عن أحوالهم الدنيوية فلا مزية له باجلاسه معه * الخامس انه اذا قيل بعث السلطان فلانا لا يفهم منه أجلسه مع نفسه انتهى وفيه بعض تلخيص ولما أمره تعالى باقامة الصلاة والتهجد ووعده بعثه مقاما محمودا وذلك فى الآخرة أمره بأن يدعوه بما يشمل أموره الدنيوية والأخروية فقال وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق والظاهر انه عام فى جميع موارده ومصادره دنيوية وأخروية والصدق هنا لفظ يقتضى رفع المذام واستيعاب المدح كما تقول رجل صدق اذ هو مقابل رجل سوء * وقال ابن عباس والحسن وقتادة هو ادخال خاص وهو فى المدينة واخراج خاص وهو من مكة فيكون المقدم فى الذكر هو المؤخر فى الوقوع ومكان الواو هو الأهم فبدىء به * وقال مجاهد وأبو صالح ما معناه ادخاله فيما حمله من اعباء النبوة وأداء الشرع واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط * وقال الزمخشرى أدخلنى القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات وأخرجنى منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على ذكر البعث * وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين * وقال محمد بن المنكدر ادخاله الغار واخراجه منه سالما * وقيل الاخراج من المدينة والادخال مكة بالفتح * وقيل الادخال فى الصلاة والاخراج منها * وقيل الادخال فى الجنة والاخراج من مكة * وقيل الادخال فيما أمر به والاخراج مما نهاه عنه * وقيل أدخلنى فى بحار دلائل التوحيد والتنزيه وأخرجنى من الاشتغال بالدليل الى معرفة المدلول والتأمل فى آثار محدثاته الى الاستغراق فى معرفة الأحد الفرد * وقال أبو سهل حين رجع من تبوك وقد قال المنافقون ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى ادخال عز واخراج نصر الى مكة والاحسن فى هذه الأقوال أن تكون على سبيل التمثيل لا التعيين ويكون اللفظ كما ذكرناه يتناول جميع الموارد والمصادر * وقرأ الجمهور مدخل ومخرج بضم ميميهما وهو جار قياسا على افعل مصدر نحو أكرمته مكرما أى اكراما * وقرأ قتادة وأبو حيوة وحميد وابراهيم بن أبى عبلة بفتحهما * وقال صاحب اللوامح وهما مصدران من دخل وخرج لكنه جاء من معنى أدخلنى وأخرجنى المتقدمين دون لفظهما ومثلهما أنبتكم من الارض نباتا ويجوز أن يكونا اسم المكان وانتصابهما على الظرف وقال غيره منصوبان بمصدر بن على تقدير فعل أى أدخلنى فأدخل مدخل صدق وأخرجنى فأخرج مخرج صدق * والسلطان هنا قال الحسن التسليط على الكافرين بالسيف وعلى المنافقين باقامة الحدود * وقال قتادة ملكا عزيزا تنصرنى به على كل من ناوانى * وقال مجاهد حجة بينة * وقيل كتابا يحوى الحدود والاحكام * وقيل فتح مكة * وقيل فى كل عصر سلطانا ينصر دينك ونصيرا مبالغة فى ناصر * وقيل فعيل بمعنى مفعول أى منصورا وهذه الاقوال كلها محتملة لقوله سلطانا

﴿واذا أنعمنا على الانسان﴾ الآية لماذكر تعالى تنويع ما أنزل من القرآن شفاء للمؤمن وخسار الظالم عرض بما أنعم عليه به من شرائع الاسلام ومع ذلك أعرض عنه و بعد بجانبه اشمئزازاله وقرئ ء نأى من النأى وهو البعد وقرئ ء وناء نهض

ومعنى يؤسا قنوطا من أن ينعم الله عليه والظاهر أن المراد بالانسان هنا ليس واحدا بعينه بل المراد به الجنس ونسب تعالى الانعام لذاته والمسيس للشر و يؤس صفة مبالغة من يئس ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ كل اذا كان غير مضاف فتارة يراعى لفظه فيفرد الضمير العائد عليه كما فى قوله تعالى كل فى فلك يسبحون شاكلته أى على مذهبه الذى يشاكل حاله فى الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شوا كل وهى الطرق التى تشعبت منه ﴿و يسئلونك عن الروح﴾ فى الصحيح من حديث ابن مسعود أنه قال انى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب فمر بنا ناس من اليهود فقالوا سلوا عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه فيستفتيكم بما تكرهون فأتاه نفر منهم فقالوا يا أبا القاسم ما تقول فى الروح فسكت ثم ماج فامسكت بيدى على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه الوحى فنزل عليه و يسئلونك عن الروح الآية فعلى هذا يكون الضمير فى و يسئلونك

نصيرا و روى انه تعالى وعده ذلك وأنجزه له فى حياته وتممه بعد وفاته * قال قتادة والحق القرآن والباطل الشيطان * وقال ابن جريج الجهاد والباطل الشرك * وقيل الايمان والكفر * وقال مقاتل جاءت عبادة الله وذهبت عبادة الشيطان وهذه الآية نزلت بمكة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه الاصنام وسقوطها لطعنه اياها بمخصرة حسبما ذكر فى السير وزهوقا صفة مبالغة فى اضمحلاله وعدم ثبوته فى وقت ما ومن فى من القرآن لابتداء الغاية * وقيل للتبعيض قاله الحوفى وأنكر ذلك لاستلزامه ان بعضه لا شفاء فيه ورد هذا الانكار لان انزاله انما هو مبعض * وقيل لبيان الجنس قاله الزمخشرى وابن عطية وأبو البقاء وقد ذكرنا ان من التى لبيان الجنس لا تتقدم على المبهم الذى تبينه وانما تكون متأخرة عنه * وقرأ الجمهور وننزل بالنون ومجاهد بالياء خفيفة ورواها المروزى عن حفص * وقرأ زيد بن على شفاء ورحمة بنصبهما و يتخرج النصب على الحال وخبره هو قوله للمؤمنين والعامل فيه ما فى الجار والمجرور من الفعل ونظيره قراءة من قرأ والسموات مطويات بيمينه بنصب مطويات * وقول الشاعر

رهط ابن كوز محقبي أدراعهم * فيهم ورهط ربيعة بن حذار

وتقديم الحال على العامل فيه من الظرف أو المجرور لا يجوز الا عند الاخفش ومن منع جعله منصوبا على اضمار أعنى وشفاؤه كونه مزيلا للريب كاشفا عن غطاء القلب بفهم المعجزات والامور الدالة على الله المقررة لدينه فصار لعلات القلوب كالشفاء لعلات الاجسام * وقيل شفاء بالرقى والعوذ كما جاء فى حديث الذى رقى بالفاتحة من لسعة العقرب واختلفوا فى النشرة وهو أن يكتب شئ من أسماء الله تعالى أو من القرآن ثم يغسل بالماء ثم يمسح به المريض أو يسقاه فأجاز ذلك ابن المسيب ولم يره مجاهد وعن عائشة كانت تقرأ بالمعوذتين فى اناء ثم تأمر أن يصب على المريض * وقال أبو عبد الله المازنى النشرة أمر معروف عند أهل التعزيم سميت بذلك لانها تنشر عن صاحبها أى تحل ومنعها الحسن والنخعى * وروى أبو داود من حديث جابر ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال وقد سئل عن النشرة هى من عمل الشيطان ويحمل ذلك على ما اذا كانت خارجة عما فى كتاب الله وسنة الرسول والنشرة من جنس الطب فى غسالة شئ له فضل * وقال مالك لا بأس بتعليق الكتب التى فيها أسماء الله تعالى على أعناق المرضى على وجه التبرك بها اذا لم يرد معلقها بذلك مدافعة العين وهذا معناه قبل أن ينزل به شئ من العين أما بعد نزول البلاء فيجوز رجاء الفرج والبرء والمرض كالرقى المباحة التى وردت السنة بها من العين وغيرها * وقال ابن المسيب يجوز تعليق العوذة فى قصبة أو رقعة من كتاب الله و يضعه عند الجماع وعند الغائط ورخص الباقر فى العوذة تعلق على الصبيان وكان ابن سيرين لا يرى بأسا بالشئ من القرآن يعلقه الانسان وخسار الظالمين وهم الذين يضعون الشئ فى غير موضعه هو باعراضهم عنه وعدم تدبره بخلاف المؤمن فانه يزداد بالنظر فيه وتدبر معانيه إيمانا ﴿ واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى

(الدر) (ش ع) من فى قوله وننزل من القرآن لبيان الجنس (ح) وافقهما أبو البقاء وقد ذكرنا أن من التى لبيان الجنس لا تتقدم على المبهم الذى تبينه وانما تكون متأخرة عنه

وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا ﴾ لما ذكر تعالى تنويع ما أنزل من القرآن شفاء ورحمة للمؤمن وزيادة خسار للظالم عرض بما أنعم به وما حواه من لطائف الشرائع على الانسان ومع ذلك أعرض عنه وبعد بجانبه عنه اشمئزازا له وتكبرا عن قرب سماعه وتبديلا مكان شكر الانعام كفره *وقرأ الجمهور ونأى من النأى وهو البعد وقرأ ابن عامر وناء * وقيل هو مقلوب نأى فمعناه بعد * وقيل معناه نهض بجانبه * وقال الشاعر

حتى اذا ما التأمت مفاصله * وناء فى شق الشمال كاهله

أى نهض متوكئا على شماله ومعنى يؤسا قنوطا من أن ينعم الله عليه والظاهر أن المراد بالانسان هنا ليس واحدا بعينه بل المراد به الجنس كقوله ان الانسان لربه لكنود ان الانسان خلق هلوعا الآية وهو راجع لمعنى الكافر والاعراض يكون بالوجه والنأى بالجانب يكون بتولية العطف أو يراد بنأى الجانب الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين * والشاكلة قال ابن عباس ناحيته * وقال مجاهد طبيعته * وقال الضحاك حدته * وقال قتادة والحسن نيته * وقال ابن زيد دينه * وقال مقاتل خلقه وهذه أقوال متقاربة * وقال الزمخشرى على مذهب الذى يشاكل حاله فى الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهى الطرق التى تشعبت منه والدليل عليه قوله فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أى أشد مذهبا وطريقة * وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لم أر فى القرآن آية أرجى من هذه لا يشاكل بالعبد الا العصيان ولا يشاكل بالرب الا الغفران * وعن عمر رضى الله عنه لم أر آية أرجى من التى فيها غافر الذنب وقابل التوب قدم الغفران قبل قبول التوبة * وعن عثمان رضى الله عنه لم أر آية أرجى من نبئ عبادى انى أنا الغفور الرحيم * وعن على كرم الله وجهه ورضى عنه لم أر آية أرجى من يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قالوا ذلك حين تذاكروا القرآن * وعن القرطبى لم أر آية أرجى من الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية * وقال أبو عبد الله الرازى الأرواح والنفوس مختلفة بماهيتها فبعضها مشرقة صافية يظهر فيها من القرآن نور على نور وبعضها كدرة ظلمانية يظهر فيها من القرآن ضلال ونكال انتهى وثبت فى الصحيح من حديث ابن مسعود انه قال انى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب فمر بنا ناس من اليهود فقال سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون فأتاه نفر منهم فقالوا يا أبا القاسم ما تقول فى الروح فسكت ثم ماج فأمسكت بيدى على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه فأنزل عليه ويسألونك عن الروح الآية * وروى أن يهود قالوا لقريش سلوه عن الروح وعن فتية فقدوا فى أول الزمان وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها فان أجاب فى ذلك كله أو لم يجب فى شئ فهو كذاب وان أجاب فى بعض ذلك وسكت عن بعض فهو نبى وفى بعض طرق هذا ان فسر الثلاثة فهو كذاب وان سكت عن الروح فهو نبى فنزل فى شأن الفتية أم حسبت ان أصحاب الكهف ونزل فى شأن الذى بلغ الشرق والغرب ويسألونك عن ذى القرنين ونزل فى الروح ويسألونك عن الروح والظاهر من حديث ابن مسعود ان الآية مدنية ومن سؤال قريش انها مكية والروح على قول الجمهور هنا الروح التى فى الحيوان وهو اسم جنس وهو الظاهر * وقال قتادة هو جبريل عليه السلام قال وكان ابن عباس يكتمه * وقيل عيسى ابن

لليهود ويكون الخطاب لهم فى قوله وما أوتيتم الآية والروح على قول الجمهور هى الروح التى فى الحيوان وهو اسم جنس وهذا هو الظاهر ومعنى من أمر ربى أى فعل ربى كونها بأمره وفى ذلك دلالة على حدوثها والأمر بمعنى الفعل وارد قال تعالى وما أمر فرعون برشيد أى فعل فرعون والظاهر أنهم سألوه عن ماهيتها وحقيقتها وقيل عن كيفية مداخلتها الجسد الحيوانى وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له وكلاهما مشكل لا يعلمه الا الله * وقد رأيت كتابا يترجم بالنفخ والتسوية لبعض الفقهاء المتصوفة يذكر فيه أن الجواب فى قوله قل الروح من أمر ربى انما هو للعوام وأما الخواص فهم عنده يعرفون الروح وأجمع علماء الاسلام على أن الروح مخلوقة وذهب كفرة الفلاسفة وكثير ممن ينتمى الى الاسلام الى أنها قديمة واختلاف الناس فى الروح بلغ الى سبعين قولا وكذلك اختلفوا هل الروح النفس أم شئ غيرها ﴿ ولئن شئنا ﴾ اللام مؤذنة بقسم محذوف ولنذهبن جوابه ﴿ وكيلا ﴾ أى حافظا ﴿ الا رحمة من ربك ﴾ استثناء منقطع أى ولكن رحمة من ربك غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا

مريم عليه السلام وعن علي أنه ملك وذكر من وصفه ما الله أعلم به ولا يصح عن علي * وقيل الروح القرآن ويدل عليه الآية قبله والآية بعده * وقيل خلق عظيم روحاني أعظم من الملك * وقيل الروح جند من جنود الله لهم أيد وأرجل يأكلون الطعام ذكره العزيزي * وقال أبو صالح خلق كخلق آدم وليسوا ببني آدم لهم أيد وأرجل ولا ينزل ملك من السماء الا ومعه واحد منهم والصحيح من هذه الأقوال القول الأول والظاهر أنهم سألوا عن ماهيتها وحقيقتها وقيل عن كيفية مداخلتها الجسد الحيواني وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له وكلاهما مشكل لا يعلمه قبل الا الله * وقد رأيت كتابا يترجم بكتاب النفخة والتسوية لبعض الفقهاء المتصوفة يذكر فيها أن الجواب في قوله قل الروح من أمر ربي انما هو للعوام وأما الخواص فهم عنده يعرفون الروح وأجمع علماء الاسلام على أن الروح مخلوقة وذهب كفرة الفلاسفة وكثير ممن ينتمي الى الاسلام الى انها قديمة واختلاف الناس في الروح بلغ الى سبعين قولا وكذلك اختلفوا هل الروح النفس أم شيء غيرها ومعنى من أمر ربي أي فعل ربي كونها بأمره وفي ذلك دلالة على حدوثها والأمر بمعنى الفعل وارد قال تعالى وما أمر فرعون برشيد أي فعله ويحتمل أن يكون أمرا واحد الأمور وهو اسم جنس لها أي من جملة أمور الله التي استأثر بعلمها * وقيل من وحي ربي وكلامه ليس من كلام البشر ويتخرج على قول من قال ان الروح هنا القرآن * وقيل من علم ربي والظاهر أن الخطاب في وما أوتيتم هم الذين سألوا عن الروح وهم طائفة من اليهود * وقيل اليهود بجملتهم * وقيل الناس كلهم * قال ابن عطية وهذا هو الصحيح لان قوله قل الروح انما هو أمر بالقول لجميع العالم اذ جميع علومهم محصورة وعلمه تعالى لا يتناهى * وقرأ عبد الله بن مسعود والأعمش وما أوتوا بضمير الغيبة عائدا على السائلين ولما ذكر تعالى ما أنعم به من تنزيل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم شفاء ورحمة وقدرته على ذلك ذكر قدرته على انه لو شاء لذهب بما أوحى ولكنه تعالى لم يشأ ذلك والمعنى انا كما نحن قادرون على انزاله نحن قادرون على اذهابه * وقال أبو سهل هذا تهديد لغير الرسول صلى الله عليه وسلم باذهاب ما أوتوا ليصدهم عن سؤال ما لم يؤتوا كعلم الروح وعلم الساعة * وروى لا تقوم الساعة حتى يرتفع القرآن والحديث وفي حديث ابن مسعود يسرى به في ليلة فيذهب بما في المصاحف وبما في القلوب ثم قرأ عبد الله ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك * وقال صاحب التحرير ويحتمل عندي في تأويل الآية وجه غير ما ذكروه وهو انه صلى الله عليه وسلم لما أبطأ عليه الوحي لما سئل عن الروح شق ذلك عليه وبلغ منه الغاية فأنزل الله تعالى تهذيبا له هذه الآية ويكون التقدير أيعز عليك تأخر الوحي فانا لو شئنا ذهبنا بما أوحينا اليك جميعه فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وطاب قلبه ولزم الأدب انتهى والباء في لنذهبن بالذي للتعدية كالهمزة وتقدم الكلام على ذلك في قوله لذهب بسمعهم في أوائل سورة البقرة * والكفيل هنا قيل من يحفظ ما أوحينا اليك * وقيل كفيلا باعادته الى الصدور * وقيل كفيلا يضمن لك أن يؤتيك ما أخذ منك * وقال الزمخشري والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف ولم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بهذا الذهاب من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا أن يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته يتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تتركه غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة في تنزيله وتحفيظه انتهى وعلى الاستثناء المنقطع خرجه ابن الانباري وابن عطية * قال ابن الانباري

«قل لئن اجتمعت الانس والجن» الآية لما ذكر تعالى انعامه على نبيه بالنبوة وبانزال وحيه عليه وباهر قدرته ذكر ما منحه تعالى من الدليل على نبوته الباقي ببقاء الدهر وهو القرآن الذي عجز العالم عن الاتيان بمثله وانه من أكبر النعم عليه والفضل الذي أبقى له ذكرا الى آخر الدهر واذا كان فصحاء اللسان الذي نزل وبلغاتهم عجزوا عن الاتيان بسورة واحدة مثله فلان تكونوا أنتم أعجز عن أن تأتوا بمثل جميعه ولو تعاون الثقلان عليه لا يأتون بمثله ولما كانت الجن تفعل أفعالا مستغربة كما حكى الله عنهم في قصة سليمان عليه السلام أدرجوا مع الانس في التعجيز ليكون ذلك أبلغ في التعجيز ولا يأتون جواب القسم المحذوف واللام الموطئة في لئن وهي الداخلة على الشرط كقوله تعالى لئن أخرجوا الآية «ولقد صرفنا» تقدم نظيره والظاهر أن المراد بالمثل هو القول الغريب السائر في الآفاق والقرآن مثل من الامثال التي ضربها الله * قال الزمخشري ويجوز أن تكون مؤكدة زائدة التقدير ولقد صرفنا كل مثل انتهى يعني فيكون مفعول صرفنا كل مثل وهذا التخريج هو على مذهب الكوفيين والاخفش لا على مذهب جمهور البصريين والظاهر أن مفعول صرفنا محذوف تقديره البينات والعبر ومن لابتداء الغاية وروى أن صناديد قريش اجتمعوا وسير والنبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء اليهم جرت بينهم محاورات في ترك دينهم وطلب منهم أن يوحدوا ويعبدوا الله فارغبوه بالمال والرئاسة فأبى وقال لست أطلب ذلك فاقترحوا عليه الآيات الست التي ذكرها الله هنا ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما تحداهم بأن يأتوا بمثل القرآن فتبين عجزهم عن ذلك واعجازه وانضمت اليه معجزات أخر وبينات واضحة فلزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح آيات فعل الحائر المبهوت المحجوج فقالوا ما حكاه الله عنهم ومعنى من الارض أي أرض مكة «ينبوعا» مشتق من النبع ووزنه يفعول كيعفور «فتفجر الانهار» التي أصلها الينبوع ثم اقترحوا ثانيا جنة من نخيل وعنب وكان الغالب على بلادهم ذلك «خلالها» أي وسط الجنة وقولهم كما زعمت اشارة الى قوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء «قبيلا» معاينة والزخرف الزينة ويطلق على الذهب «أو ترقى» أي تصعد في السماء على حذف مضاف أي الى معارج والظاهر أن السماء هنا هي المظلة وما اكتفوا بالتعنية بالرقي في السماء حتى غيوا ذلك بأن ينزل عليهم كتابا يقرؤنه ولما تضمن اقتراحهم ماهو مستحيل في حق الله وهو أن يأتي بالله والملائكة قبيلا أمره تعالى بالتسبيح والتنزيه عما لا يليق به ومن أن يقترح عليه ماذكرتم فقال «قل سبحان ربي هل كنت» أي ما كنت الا بشرا رسولا من الله اليكم لا مقترحا عليه ماذكرتم من الآيات

لكن رحمة من ربك تمنع من أن تسلب القرآن وقال في زاد المسير المعنى لكن الله يرحمك فأثبت ذلك في قلبك * وقال ابن عطية لكن رحمة من ربك تمسك ذلك عليك وتخريج الزمخشري الأول جعله استثناء متصلا جعل رحمته تعالى مندرجة تحت قوله تعالى وكيلا «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا» لما ذكر تعالى انعامه على نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة وبانزال وحيه عليه وباهر قدرته بأنه تعالى لو شاء لذهب بالقرآن ذكر ما منحه تعالى من الدليل على نبوته الباقي ببقاء الدهر وهو القرآن الذي عجز العالم عن الاتيان بمثله وأنه من أكبر النعم عليه والفضل الذي أبقى له ذكرا الى آخر الدهر ورفع له قدرا به في الدنيا والآخرة واذا كان فصحاء اللسان الذي نزل به وبلغاؤهم عجزوا عن الاتيان بسورة واحدة مثله فلأن يكونوا أعجز عن أن يأتوا بمثل جميعه ولو تعاون الثقلان عليه لا يأتون بمثله ولو كان الجن تفعل أفعالا مستغربة كما حكى الله عنهم في قصة سليمان عليه السلام أدرجوا مع الانس في التعجيز ليكون ذلك أبلغ في العجز ويحتمل أن تكون الملائكة مندرجين تحت لفظ الجن لانه قد يطلق عليهم هذا الاسم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وان كان الاكثر استعماله في غير الملائكة من الأشكال الجنية المستترين عن أبصار الانس ويحتمل أن يكون ذكر الجن هنا لأنه عليه السلام بعث الى الانس والجن فوقع التعجيز للثقلين معا لذلك * وروى أن جماعة من

قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئتنا بآية غريبة غير هذا القرآن فانا نحن نقدر على المجيء بمثل هذا فنزلت ولا يأتون جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة في لئن وهي الداخلة على الشرط كقوله لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم فالجواب في نحو هذا للقسم المحذوف لا للشرط ولذلك جاء مرفوعا * فأما قول الأعشى

لئن منيت بنا عن غب معركة * لا تلفنا عن دماء القوم ننتفل

فاللام في لئن زائدة وليست موطئة لقسم قبلها فلذلك جزم في قوله لا تلفنا وقد احتج بهذا ونحوه الفراء في زعمه أنه اذا اجتمع القسم والشرط وتقدم القسم ولم يسبقهما ذو خبر أنه يجوز أن يكون الجواب للقسم وهو الاكثر وللشرط ومذهب البصريين يحتم الجواب للقسم خاصة وذكر ابن عطية هنا فصلا حسنا في ذكر الاعجاز نقلناه بقصته * قال وفهمت العرب بخلوص فهمها في ميز الكلام ودربتها به مالا نفهمه نحن ولا كل من خالطته حضارة ففهموا العجز عنه ضرورة وشاهده وعامه الناس بعدهم استدلالا ونظرا ولكل حصل علم قطعي لكن ليس في مرتبة واحدة وهذا كما علمت الصحابة شرع النبي صلى الله عليه وسلم وأعماله ومشاهدة علم ضرورة وعلمنا نحن المتواتر من ذلك بنقل التواتر فحصل للجميع القطع لكن في مرتبتين وفهم اعجاز القرآن أرباب الفصاحة الذين لهم غرائب في ميز الكلام ألا ترى الى فهم الفرزدق شعر جرير وذي الرمة في قول الفرزدق * علام تلفتين وأنت تحتي * وفي قول جرير * تلفت انها تحت ابن قين * وألا ترى قول الأعرابي عز فحكم فقطع وألا ترى الى الاستدلال الآخر على البعث بقوله حتى زرتم المقابر فقال ان الزيارة تقتضي الانصراف ومنه علم بشار بقول أبي عمرو بن العلاء في شعر الاعشى

* وأنكرتني وما كان الذي نكرت * ومنه قول الاعرابي للاصمعي

* من أحوج الكريم أن يقسم * فهم مع هذه الأفهام أقروا بالعجز ولجأ النجاد منهم الى السيف ورضي بالقتل والسباء وكشف الحرم وهو كان يجد المندوحة عن ذلك بالمعارضة انتهى ما اقتصرنا عليه من كلامه وكان قد قدم قبل ذلك قوله والعجز في معارضة القرآن انما وقع في النظم وعلة ذلك الاحاطة التي لا يتصف بها الا الله عز وجل والبشر مقصر ضرورة بالجهل والنسيان والغفلة وأنواع النقص فاذا نظم كلمة خفي عنه العلل التي ذكرنا * وقال الزمخشري ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن تكون جوابا للشرط * كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لأن الشرط وقع ماضيا انتهى يعني بالشرط قوله وهو صدر البيت * وان أتاه خليل يوم مسألة * فأتاه فعل ماض دخلت عليه أداة الشرط تخلصه للاستقبال وأفهم كلام الزمخشري أن يقول وان كان مرفوعا هو جواب الشرط الذي هو وان أتاه وهذا الذي ذهب اليه هو مخالف لمذهب سيبويه ولمذهب الكوفيين والمبرد لأن مذهب سيبويه في مثل هذا التركيب وهو أن يكون فعل الشرط ماضيا وبعده مضارع مرفوع ان ذلك المضارع هو على نية التقديم وجواب الشرط محذوف ومذهب الكوفيين والمبرد انه هو الجواب لكنه على حذف الفاء ومذهب ثالث وهو انه هو جواب الشرط وهو الذي قال به الزمخشري والكلام على هذه المذاهب مذكور في علم النحو * وقال الزمخشري والعجب من المذاهب ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وانما يكون المعجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه والمحال الذي لا مجال للقدرة فيه ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف

(الدر)

(ش) لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله يقول *لا غائب مالي ولا حرم* لأن الشرط وقع ماضيا (ح) يعني بالشرط قوله وهو صدر البيت *وان أتاه خليل يوم مسئلة* فأتاه فعل ماض دخلت عليه أداة الشرط تخلصه للاستقبال وافهم كلام (ش) أن يقول وان كان مرفوعا هو جواب الشرط الذي هو وان أتاه وهذا الذي ذهب اليه هو مخالف لمذهب سيبويه رحمه الله ولمذهب الكوفيين والمبرد لان مذهب سيبويه في مثل هذا التركيب وهو أن يكون فعل الشرط ماضيا وبعده مضارع مرفوع ان ذلك المضارع هو على نية التقديم وجواب الشرط محذوف ومذهب الكوفيين والمبرد أنه هو الجواب لكنه على حذف الفاء ومذهب ثالث وهو انه جواب الشرط وهو الذي قال به (ش) والكلام على هذه المسئلة والمذاهب مذكور في علم النحو

الله بالعجز لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال الا أن يكابر وافيه ولو لاهو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق انتهى وتكرر لفظ مثل فى قوله لا يأتون بمثله على سبيل التأكيد والتوضيح وأن المراد منهم أن يأتوا بمثله اذ قد يراد بمثل الشئ فى موضع الشئ نفسه فبين بتكرار بمثله ولم يكن التركيب لا يأتون به رفعا لهذا الاحتمال وأن المطلوب منهم أن يأتوا بالمثل لا أن يأتوا بالقرآن ولما ذكر تعالى عجز الانس والجن عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن نبه على فضله تعالى بما ردده فيه وضرب من الامثال والعبر التى تدل على توحيده تعالى ومع كثرة ماردد من الامثلة وأسبغ من النعم لم يكونوا الا كافرين به و بنعمه * وقرأ الجمهور صرفنا بتشديد الراء والحسن بتخفيفها والظاهران مفعول صرفنا محذوف تقديره البينات والعبر ومن لابتداء الغاية * وقال ابن عطية و يجوز أن تكون مؤكدة زائدة التقدير ولقد صرفنا كل مثل انتهى يعنى فيكون مفعول صرفنا كل مثل وهذا التخريج هو على مذهب الكوفيين والأخفش لا على مذهب جمهور البصريين والظاهران المراد بالمثل هو القول الغريب السائر فى الآفاق والقرآن ملآن من الأمثال التى ضربها الله تعالى * وقال الزمخشرى من كل مثل من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه * وقال أبو عبد الله الرازى من كل مثل اشارة الى التحدى به بالجهات المختلفة كالتحدى بكل القرآن كالذى هنا وبسورة مثله و بكلام من سورة كقوله فليأتوا بحديث مثله ومع ظهور عجزهم أبوا الا كفورا انتهى ملخصا * وقيل من كل مثل من الترغيب والترهيب وأنباء الأولين والآخرين وذكر الجنة والنار وأكثر الناس * قيل من كان فى عهد الرسول من المشركين وأهل الكتاب * وقيل أهل مكة وهو الظاهر بدليل ماأتى بعده من قوله وقالوا لن نؤمن لك وتقدم القول فى دخول الا بعد أبى فى سورة براءة و روى فى مقالتهم هذه أخبار مطولة هى فى كتب الحديث والسير ملخصها ان صناديد قريش اجتمعوا وسير والنبى صلى الله عليه وسلم فلما جاء اليهم جرت بينهم محاورات فى ترك دينهم وطلبه منهم أن يوحدوا و يعبدوا الله فأرغبوه بالمال والرئاسة والملك فأبى فقال لست أطلب ذلك فاقترحوا عليه الست الآيات التى ذكرها الله هنا ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فتبين عجزهم عن ذلك واعجازه وانضمت اليه معجزات أخر و بينات واضحة فلزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح آيات فعل الحائر المبهوت المحجوج فقالوا ماحكاه الله عنهم * وقرأ الكوفيون تفجر من فجر مخففا وباقى السبعة من فجر مشددا والتضعيف للمبالغة لا للتعدية والأعمش وعبد الله بن مسلم بن يسار من أفجر رباعيا وهى لغة فى فجر الارض هنا أرض مكة وهى الارض التى فيها تصرف العالمين ومعاشهم روى عنهم انهم قالوا له أزل جبال مكة وفجر لنا ينبوعا حتى يسهل علينا الحرث والزرع وأحى لنا قصيا فانه كان صدوقا يخبرنا عن صدقك اقترحوا لهم أولا هذه الآية ثم اقترحوا أخرى له عليه السلام أن تكون له جنة من نخيل وعنب وهما كانا الغالب على بلادهم ومن أعظم مايقتنون ومعنى خلالها أى وسط تلك الجنة وأثناءها فتسقى ذلك النخل وتلك الكروم وانتصب خلالها على الظرف * وقرأ الجمهور تسقط بتاء الخطاب مضارع أسقط السماء نصبا ومجاهد بياء الغيبة مضارع سقط السماء رفعا وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى كسفا بسكون السين و باقى السبعة بفتحها وقولهم كما زعمت اشارة الى قوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء * وقيل كما زعمت ان ربك ان شاء فعل * وقيل هو مافى هذه السورة من قوله أفأمنتم أن نخسف بكم جانب البر أو نرسل عليكم حاصبا * قال أبو على قبيلا معاينة كقوله لولا أنزل

(الدر)

(ع) و يجوز أن تكون مؤكدة زائدة التقدير ولقد صرفنا كل مثل (ح) يعنى فيكون مفعول صرفنا كل مثل وهذا التخريج هو على مذهب الكوفيين والاخفش لا على مذهب جمهور البصريين والظاهر أن مفعول صرفنا محذوف تقديره البينات والعبر ومن لابتداء الغاية

﴿ومامنع الناس ان يؤمنوا﴾ الآية الظاهر أن قوله ومامنع الناس اخبار من الله تعالى عن السبب الضعيف الذى منعهم من الايمان اذ ظهر لهم المعجز وهو استبعاد أن يبعث الله رسولا الى الخلق واحدا منهم ولم يكن ملكا وأن يؤمنوا فى موضع نصب وأن قالوا فى موضع رفع واذ ظرف العامل فيه منع والناس كفار قريش القائلون تلك المقالات السابقة والهدى القرآن ومن جاء به وليس المراد مجرد القول بل قولهم الناشئ عن اعتقادهم والهمزة فى أبعث للانكار ورسولا ظاهره أنه نعت * وقوله ﴿ قل لو كان ﴾ الآية يمشون يتصرفون فيها بالمشى وليس لهم صعود الى السماء فيسمعون من أهلها و يعلمون ما يجب علمه بل هم مقيمون فى الارض يلزمهم ما يلزم المكلفين من عبادات مخصوصة وأحكام لا يدرك تفصيلها بالعقل ﴿ لنزلنا عليهم ﴾ من جنسهم من يعلمهم ذلك و يلقيه اليهم ولما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الايمان وتحدى على صدق نبوته بالمعجز الموافق لدعواه أمره تعالى أن يعلمهم بأنه تعالى هو الشهيد بينه و بينهم على تبليغه وما قام به من أعباء الرسالة وعدم قبولهم وكفرهم وما اقترحوا عليه من الآيات على سبيل العناد وأردف ذلك بما فيه تهديد وهو قوله انه كان بعباده خبيرا بخفيات أسرارهم بصيرا مطلعا على ما يظهر من أفعالهم وأقوالهم ﴿ ومن يهد الله ﴾ اخبار من الله وليس مندرجا تحت قل لقوله ونحشرهم ومن مفعول يهدى فهو ضمير يعود على معنى من لا على لفظها والمهتدى مطاوع لهدى يقول هداه فاهتدى كما تقول عصمته فاعتصم ومن مفعول بيضلل لهم ضمير يعود على معنى من لا على لفظها والظاهر أن قول عميا و بكما وصما هو حقيقة وذلك عند قيامهم من قبورهم لم يرد الله اليهم

علينا الملائكة أو نرى ربنا وقال غيره قبيلا كفيلا من تقبله بكذا اذا كفله والقبيل والزعيم والكفيل بمعنى واحد * وقال الزمخشرى قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا لصحته والمعنى أو تأتى بالله قبيلا والملائكة قبيلا * كقوله

كنت منه و والدى بريا * وانى وقيار بها لغريب

أى مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة * وقرأ الاعرج قبلا من المقابلة * وقرأ الجمهور من زخرف وعبد الله من ذهب ولا تحمل على انها قراءة لمخالفة السواد وانما هى تفسير * وقال مجاهد كنا لا ندرى ما الزخرف حتى رأيت فى قراءة عبد الله من ذهب * وقال الزجاج الزخرف الزينة وتقدم شرح الزخرف وفى السماء على حذف مضاف أى فى معارج السماء والظاهر ان السماء هنا هى المظلة * وقيل المراد الى مكان عال وكل ما علا وارتفع يسمى سماء * وقال الشاعر

وقد يسمى سماء كل مرتفع * وانما الفضل حيث الشمس والقمر

* قيل وقائل هذه هو ابن أبى أمية قال لن نؤمن حتى تضع على السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك ان الأمر كما تقول و يحتمل أن يكون مجموع أولئك الصناديد قالوا ذلك وغيوا إيمانهم بحصول واحد من هذه المقترحات و يحتمل أن يكون كل واحد اقترح واحدا منها ونسب ذلك للجميع لرضاهم به أو تكون أوفيها للتفصيل أى قال كل واحد منهم مقالة مخصوصة منها وما اكتفوا بالتغيية بالرقى فى السماء حتى غيوا ذلك بأن ينزل عليهم كتابا يقرؤنه ولما تضمن اقتراحهم ما هو مستحيل فى حق الله تعالى وهو أن يأتى بالله والملائكة قبيلا أمره تعالى بالتسبيح والتنزيه عما لا يليق به ومن أن يقترح عليه ماذكرتم فقال سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا أى ما كنت الا بشرا رسولا أى من الله اليكم لا مقترحا عليه ماذكرتم من الآيات * وقال الزمخشرى وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين أنكروا الآية الباقية التى هى القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هى أعظم لم يكن انتهى وشق القمر أعظم من شق الارض ونبع الماء من بين أصابعه أعظم من نبع الماء من الحجر * وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربى على الخبر تعجب عليه الصلاة والسلام من اقتراحاتهم عليه ونزه ربه عما جوزوا عليه من الاتيان والانتقال وذلك فى حق الله مستحيل هل كنت الا بشرا مثلهم رسولا والرسل لا تأتى الا بما يظهره الله عليهم من الآيات وليس أمرها اليهم انما ذلك الى الله ﴿ ومامنع الناس أن يؤمنوا اذجاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بينى و بينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن

تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا ﴾ الظاهر ان قوله ومامنع الناس اخبار من الله تعالى عن السبب الضعيف الذي منعهم من الايمان اذ ظهر لهم المعجز وهو استبعاد أن يبعث الله رسولا الى الخلق واحدا منهم ولم يكن ملكا وبعد أن ظهر المعجز فيجب الاقرار والاعتراف برسالته فقولهم لابد أن يكون من الملائكة تحكم فاسد ويظهر من كلام ابن عطية ان قوله ومامنع الناس هو من قول الرسول صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية على معنى التوبيخ والتلهف من النبي عليه الصلاة والسلام كأنه يقول متعجبا منهم ماشاء الله كان مامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا هذه العلة النزرة والاستبعاد الذي لايستند الى حجة وبعثة البشر رسلا غير بدع ولا غريب فيها يقع الافهام والتمكن من النظر كما لو كان في الارض ملائكة يسكنونها مطمئنين لكان الرسول اليهم من الملائكة ليقع الافهام وأما البشر فلو بعث اليهم ملك لنفرت طبائعهم من رؤيته ولم تحتمله أبصارهم ولا تجلدت له قلوبهم وانما الله أجرى أحوالهم على معتادها انتهى وان يؤمنوا في موضع نصب وان قالوا في موضع رفع واذ ظرف العامل فيه منع والناس كفار قريش القائلون تلك المقالات السابقة والهدى هو القرآن ومن جاء به وليس المراد مجرد القول بل قولهم الناشئ عن اعتقاد والهمزة في أبعث للانكار ورسولا ظاهره انه نعت ويجوز أن يكون رسولا مفعول بعث وبشرا حال متقدمة عليه أي أبعث الله رسولا في حال كونه بشرا وكذلك يجوز في قوله ملكا رسولا أي لنزلنا عليهم من السماء رسولا في حال كونه ملكا وقوله يمشون يتصرفون فيها بالمشي وليس لهم صعود الى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلمون مايجب علمه بل هم مقيمون في الارض يلزمهم مايلزم المكلفين من عبادات مخصوصة وأحكام لايدرك تفصيلها بالعقل لنزلنا عليهم من جنسهم من يعلمهم ذلك ويلقيه اليهم ولما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الايمان وتحدى على صدق نبوته بالمعجز الموافق لدعواه أمره تعالى أن يعلمهم بأنه تعالى هو الشهيد بينه وبينهم على تبليغه وماقام به من اعباء الرسالة وعدم قبولهم وكفرهم وما اقترحوا عليه من الآيات على سبيل العناد وأردف ذلك بما فيه تهديد وهو قوله انه كان بعباده خبيرا بخفيات أسرارهم بصيرا مطلقا على مايظهر من أفعالهم وأقوالهم والظاهر ان قوله ومن يهد الله اخبار من الله تعالى وليس مندرجا تحت قل لقوله ونحشرهم ويحتمل أن يكون مندرجا في المجيء ومن بالواو ويكون ونحشرهم اخبارا من الله تعالى وعلى القول الأول يكون التفاتا اذ خرج من الغيبة للتكلم ولما تقدم دعوة الرسول الى الايمان وتحدى بالمعجز الذي آتاه الله ولجوا في كفرهم وعنادهم ولم يجد فيهم ماجاء به من الهدى أخبر بأن ذلك كله راجع الى مشيئته تعالى وانه هو الهادي وهو المفضل فسلاه تعالى بذلك وأخبر تعالى على سبيل التهديد لهم والوعيد الصدق بحالهم وقت حشرهم يوم القيامة * وقال الزمخشري ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتدي لأنه لايلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم أولياء أنصارا انتهى وهو على طريقة الاعتزال ومن مفعول بيهد وبيضلل وحمل على اللفظ في قوله فهو المهتدي فأفرد ملاحظة لسبيل الهدى وهي واحدة فناسب التوحيد التوحيد وحمل على المعنى في قوله فلن تجد لهم أولياء لا على اللفظ ملاحظة

أبصارهم وسمعهم ونطقهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله عنهم كما تقدم الكلام عليه في أوائل البقرة ﴿وخبت﴾ معناه سكن لهبها ﴿سعيرا﴾ ايقادا ذلك اشارة الى ذلك الحشر والعذاب ﴿وقالوا أئذا كنا﴾ تقدم الكلام عليه في أثناء السورة والرؤية رؤية القلب وهي العلم ومعنى مثلهم من الانس وعطف قوله وجعل لهم على قوله أولم يروا لأنه استفهام تضمن التقرير والمعنى قد علموا بدليل العقل كيت وكيت ﴿وجعل لهم﴾ أي للعالمين ذلك ﴿أجلا لاريب فيه﴾ وهو الموت ﴿فأبى الظالمون﴾ وهم الواضعون الشيء غير موضعه على سبيل الاعتداء ﴿الا كفورا﴾ أي جحودا لما أتى به الصادق صلى الله عليه وسلم من توحيد الله وافراده بالعبادة وبعثهم يوم القيامة الى الجزاء

لسبيل الضلال فانها متشعبة متعددة فناسب التشعيب والتعديد الجمع وهذا من المواضع التي جاء فيها الحمل على المعنى ابتداء من غير أن يتقدم الحمل على اللفظ وهي قليلة في القرآن والظاهر أن قوله على وجوههم حقيقة كما قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم وفي هذا حديث قيل يارسول الله كيف يمشي الكافر على وجهه قال أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجلين قادرا أن يمشيه في الآخرة على وجهه قال قتادة بلى وعزة ربنا * وقيل على وجوههم مجاز يقال للمنصرف عن أمر خائبا مهموما انصرف على وجهه ويقال للبعير كأنما يمشي على وجهه * وقيل هو مجاز عن سحبهم على وجوههم على سرعة من قول العرب قدم القوم على وجوههم اذا أسرعوا والظاهر ان قوله عميا وبكما وصما هو حقيقة وذلك عند قيامهم من قبورهم ثم يرد الله اليهم أبصارهم وسمعهم ونطقهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله عنهم * وقيل هي استعارات اما لانهم من الحيرة والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات واما من حيث لا يرون مايسرهم ولا يسمعونه ولا ينطقون بحجة * وقال الزمخشري كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن سماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون مايقر أعينهم ولا يسمعون مايلذ أسماعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى انتهى وهذا قول ابن عباس والحسن قالا المعنى عميا عما يسرهم بكما عن التكلم بحجة صما عما ينفعهم * وقيل عميا عن النظر الى ماجعل الله لأوليائه بكما عن مخاطبة الله صما عما مدح الله به أولياءه وانتصب عميا ومابعده على الحال والعامل فيها نحشرهم * وقيل يحصل لهم ذلك حقيقة عند قوله قال اخسؤا فيها ولا تكلمون فعلى هذا تكون حالا مقدرة لان ذلك لم يكن مقارنا لهم وقت الحشر * كلما خبت قال ابن عباس كلما فرغت من احراقهم فيسكن اللهيب القائم عليهم قدر مايعادون ثم يثور فتلك زيادة السعير فالزيادة في حيزهم وأما جهنم فعلى حالها من الشدة لا يصيبها فتور فعلى هذا يكون خبت مجازا عن سكون لهبها مقدار ماتكون اعادتهم كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم ولانه أدخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم والاشارة بذلك الى ماتقدم من حشرهم على تلك الحال وصيرورتهم الى جهنم والعذاب فيها والآيات ثم القرآن والحجج التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم ونص على انكار البعث اذهو طعن في القدرة الالهية وهذا مع اعترافهم بانه تعالى منشئ العالم ومخترعه ثم انهم ينكرون الاعادة فصار ذلك تعجيزا لقدرته وتقدم الكلام على قوله وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا في هذه السورة فأغنى عن اعادته ولما أنكروا البعث نبههم تعالى على عظيم قدرته وباهر حكمته فقال أولم يروا وهو استفهام انكار وتوبيخ لهم على ما كانوا يستبعدونه من الاعادة واحتجاج عليهم بانهم قد رأوا قدرة الله على خلق هذه الاجرام العظيمة التي بعض ماتحويه البشر فكيف يقرون بخلق هذا المخلوق العظيم ثم ينكرون اعادة بعض مما حله وذلك مما لا يحيله العقل بل هو مما يجوزه ثم أخبر الصادق بوقوعه فوجب قبوله والرؤية هنا رؤية القلب وهي العلم ومعنى مثلهم من الانس لانهم ليسوا أشد خلقا منهن كما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء واذا كان قادرا على انشاء أمثالهم من الانس من العدم الصرف فهو قادر على أن يعيدهم كما قال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وعطف قوله وجعل لهم على قوله أولم يروا لانه استفهام تضمن التقرير

«قل لو أنتم تملكون خزائن» الآية * مناسبتها أن المشركين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وطلبوا اجراء الانهار والعيون فى بلدهم لتكثر أقواتهم وتتسع عليهم فبين تعالى أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم قل لو أنتم تملكون فاعل بفعل محذوف يفسره مابعده تقديره تملكون فحذف تملك وانفصل الضمير الذى هو الواو فصار أنتم * كقوله و إن هو لم يحمل على النفس ضيمها * فهو فاعل وكان تقديره وان لم يحمل ففيه ضمير مستكن فلما حذف الفعل وانفصل الضمير فصار هو وخرج ذلك أبو الحسن على بن فضال المجاشعى على اضمار كان وقال أبو الحسن بن الصائغ حذف كان فانفصل اسمها والتقدير قل لو كنتم وقال البصريون يصرحون بامتناع لو زيد قام لأكرمته على الفصيح ويجيزونه شاذا كقولهم * لو ذات سوار لطمتنى * وهو عندهم على فعل مضمر وجواب لو لأمسكتم وخشية مفعول من أجله وقتورا مبالغة فى التقتير ولما حكى الله تعالى عن قريش ماحكى من تعنتهم فى اقتراحهم وعنادهم للرسول صلى الله عليه وسلم سلاه الله تعالى بما جرى لموسى مع فرعون ومع قومه من قولهم أرنا الله جهرة الآية و «تسع آيات» تقدم الكلام عليه فى الاعراف والعامل فى اذ محذوف تقديره «فاسئل» عن حديث أو قصة «بنى اسرائيل اذ جاءهم» وقال الزمخشرى أذكر أو يخبرونك انتهى واذ ظرف للماضى لا يصح اعمال واحد منهما فيه وقرأ الجمهور لقد علمت بفتح التاء على خطاب موسى لفرعون وتبكيته فى قوله عنه انه مسحور أى قد علمت أن ماجئت به ليس من باب السحر ولا انى خدعت فى عقلى بل علمت أنه ما أنزلها الا الله وما أحسن ماجاء به من اسناد انزالها الى لفظ رب السموات والارض اذ هو لما سأله فرعون فى أول محاورته فقال له ومارب العالمين قال له رب السموات والارض ينبهه على نقصه وأنه لا تصرف له فى الوجود فدعواه الربوبية دعوى استحالة فبكته وأعلمه أنه يعلم آيات الله ومن أنزلها ولكنه مكابر معاند كقوله تعالى وجحدوا بها الآية وخاطبه بذلك على سبيل التوبيخ أى أنت بحال من يعلم هذا وهو فى الوضوح بحيث تعلمها وليس خطابه على جهة اخباره عن علمه وقرئ لقد علمت بتاء المتكلم وهو ضمير موسى صلى الله عليه وسلم وما أنزل جملة فى موضع نصب علق عنها علمت ومعنى بصائر دلالات على وحدانية الله تعالى وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والاشارة بهؤلاء الى الآيات التسع وانتصب بصائر على الحال والعامل فيه محذوف تقديره أنزلها بصائر وقابل موسى صلى الله عليه وسلم بظن فرعون وشتان ما بين الظنين ظن فرعون باطل وظن موسى صدق * وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوع على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أى ما منعك وصرفك واستفزازه إياهم هو استخفافه لموسى ولقومه بأن يقلعهم من أرض مصر بقتل أو جلاء فحاق به مكره وأغرقه الله وقبطه والضمير فى بعده عائد على فرعون أى من بعد إغراقه والارض المأمور بسكناها أرض الشام ووعد الآخرة قيام الساعة وانتصب «لفيفا» على الحال أى منضما بعضكم الى بعض

والمعنى قد علموا بدليل العقل كيت وكيت وجعل لهم أى للعالمين ذلك أجلا لا ريب فيه وهو الموت أو القيامة وليس هذا الجعل واحدا فى الاستفهام المتضمن التقرير أو ان كان الأجل القيامة لانهم منكروها واذا كان الأجل الموت فهو اسم جنس واقع موقع آجال فأبى الظالمون وهم الواضعون الشئ غير موضعه على سبيل الاعتداء الا كفورا جحودا لما أتى به الصادق من توحيد الله وافراده بالعبادة وبعثهم يوم القيامة للجزاء « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وانى لأظنك يافرعون مثبورا فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا » مناسبة قوله قل لو أنتم تملكون خزائن الآية أن المشركين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فطلبوا اجراء الأنهار والعيون فى بلدهم لتكثر أقواتهم وتتسع عليهم فبين تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم ولما قدموا على ايصال النفع لأحد وعلى هذا فلا فائدة فى اسعافهم بما طلبوا هذا ما قيل فى ارتباط هذه الآية وقاله العسكرى والذى يظهر لى ان المناسب هو انه عليه السلام قد منحه الله ما لم يمنحه لأحد من النبوة والرسالة الى الانس والجن فهو أحرص الناس على ايصال الخير وانقاذهم من الضلال يثابر على ذلك و يخاطر بنفسه فى دعائهم الى الله و يعرض ذلك على القبائل وأحياء العرب سمحا بذلك لا يطلب منهم أجرا وهؤلاء أقرباؤه لا يكاد يجيب منهم أحد الا

الواحد بعد الواحد قد لجوا في عناده وبغضائه فلا يصل منهم اليه الا الأذى فنبه تعالى بهذه الآية على سماحته عليه السلام وبذله ما آتاه الله وعلى امتناع هؤلاء أن يصل منهم شئ من الخير اليه فقال لو ملكوا التصرف في خزائن رحمة الله التي هي وسعت كل شئ كانوا أبخل من كل أحد بما أوتوه من ذلك بحيث لا يصل منهم لأحد شئ من النفع اذ طبيعتهم الاقتار وهو الامساك عن التوسع في النفقة هذا مع ما أوتوه من الخزائن فهذه الآية جاءت مبينة تبين ما بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام من حرصه على نفعهم وعدم ايصال شئ من الخير منهم اليه والمستقر أي لو التي هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره أن يليها الفعل اما ماضيا واما مضارعا كقوله لو نشاء لجعلناه حطاما أو منفيا بلم أو ان وهنا في قوله قل لو أنتم تملكون وليها الاسم فاختلفوا في تخريجه فذهب الحوفي والزمخشري وابن عطية وأبو البقاء وغيرهم الى انه مرفوع بفعل محذوف يفسره الفعل بعده ولما حذف ذلك الفعل وهو تملك انفصل الضمير وهو الفاعل بتملك كقوله * وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * التقدير وان لم يحمل فحذف لم يحمل وانفصل الضمير المستكن في يحمل فصار هو وهنا انفصل الضمير المتصل البارز وهو الواو فصار أنتم وهذا التخريج بناء على ان لو يليها الفعل ظاهرا ومضمرا في فصيح الكلام وهذا ليس بمذهب البصريين * قال الاستاذ أبو الحسن بن عصفور لا تلي لو الا الفعل ظاهرا ولا يليها مضمرا الا في ضرورة أو نادر كلام مثل ما جاء في المثل من قولهم * لو ذات سوار لطمتني * وقال شيخنا الاستاذ أبو الحسن بن الصائغ البصريون يصرحون بامتناع لو زيد قام لأكرمته على الفصيح ويجيزونه شاذا كقولهم * لو ذات سوار لطمتني * وهو عندهم على فعل مضمر كقوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره فهو من باب الاشتغال انتهى وخرج ذلك أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي على اضمار كان والتقدير قل لو كنتم أنتم تملكون فظاهر هذا التخريج انه حذف كنتم برمته وبقي أنتم توكيدا لذلك الضمير المحذوف مع الفعل وذهب شيخنا الأستاذ أبو الحسن الصائغ الى حذف كان فانفصل اسمها الذي كان متصلا بها والتقدير قل لو كنتم تملكون فلما حذف الفعل انفصل المرفوع وهذا التخريج أحسن لأن حذف كان بعد لو معهود في لسان العرب والرحمة هنا الرزق وسائر نعمه على خلقه والكلام على اذا لأمسكتم تقدم نظيره في قوله إذا لأذقناك وخشية مفعول من أجله والظاهر ان الانفاق على مشهور مدلوله فيكون على حذف مضاف أي خشية عاقبة الانفاق وهو النفاد * وقال أبو عبيدة أنفق وأملق وأعدم وأصرم بمعنى واحد فيكون المعنى خشية الافتقار * والقتور الممسك البخيل والانسان هنا للجنس ولما حكى الله تعالى عن قريش ما حكى من تعنتهم في اقتراحهم وعنادهم للرسول صلى الله عليه وسلم سلاه تعالى بما جرى لموسى مع فرعون ومع قومه من قولهم أرنا الله جهرة اذ قالت قريش

المستقر أي لو التي هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ان يليها الفعل اما ماضيا واما مضارعا كقوله لو نشاء لجعلناه حطاما أو منفيا بلم أو ان وهنا في قوله قل لو أنتم تملكون وليها الاسم فاختلفوا في تخريجه فذهب الحوفي و (ش و ع) وأبو البقاء وغيرهم الى أنه مرفوع بفعل محذوف يفسره الفعل بعده ولما حذف ذلك الفعل وهو تملك انفصل الضمير وهو الفاعل بتملك كقوله * وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * التقدير وان لم يحمل فحذف لم يحمل وانفصل الضمير المستكن في يحمل فصار هو وهنا انفصل الضمير المتصل البارز وهو الواو فصار أنتم وهذا التخريج بناء على أن لو يليها الفعل ظاهرا ومضمرا في فصيح الكلام وهذا ليس بمذهب البصريين قال الاستاذ أبو الحسن بن عصفور لا تلي لو الا الفعل ظاهرا ولا يليها مضمرا الا في ضرورة أو في نادر كلام مثل ما جاء في المثل من قولهم لو ذات سوار لطمتني وقال شيخنا الاستاذ أبو الحسن بن الصائغ البصريون يصرحون بامتناع لو زيد قام لأكرمته على الفصيح ويجيزونه شاذا كقولهم لو ذات سوار لطمتني وهو عندهم على فعل مضمر كقوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره فهو من باب الاشتغال انتهى وخرج ذلك أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي على اضمار كان والتقدير قل لو كنتم أنتم تملكون وظاهر هذا التخريج انه حذف كنتم برمته وبقي أنتم توكيدا لذلك الضمير المحذوف مع الفعل وذهب شيخنا الاستاذ أبو الحسن بن الصائغ الى حذف كان فانفصل اسمها الذي كان متصلا بها والتقدير قل لو كنتم تملكون فلما حذف الفعل انفصل المرفوع وهذا التخريج أحسن لان حذف كان بعد لو معهود في لسان العرب

أو تأتي بالله وقالت أو نرى ربنا وسكن قلبه ونبه على أن عاقبتهم للدمار والهلاك كما جرى لفرعون اذ أهلكه الله ومن معه * وتسع آيات قال ابن عباس وجماعة من الصحابة هي اليد البيضاء والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم هذه سبع باتفاق وأما الثنتان فعن ابن عباس لسانه كان به عقدة فحلها الله والبحر الذي فلق له * وعنه أيضا البحر والجبل الذي نتق عليهم * وعنه أيضا السنون ونقص من الثمرات وقاله مجاهد والشعبي وعكرمة وقتادة * وقال الحسن السنون ونقص الثمرات آية واحدة وعن الحسن ووهب البحر والموت أرسل عليهم وعن ابن جبير الحجر والبحر وعن محمد بن كعب البحر والسنون * وقيل تسع آيات هي من الكتاب وذلك ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تقل انه نبي فانه لو سمع كلامك صارت له أربعة أعين فأتياه وسألاه عن تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء الى سلطان ليقتله ولا تسحر وا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة يهود ان لا تعتدوا في السبت قال فقبلا يده وقالا نشهد انك نبي فقال ما منعكما أن تسلما قالا ان داود دعا الله أن لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان أسلمنا تقتلنا اليهود * قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح * وقرأ الجمهور فسل بني اسرائيل وبنو اسرائيل معاصروه وفسل معمول لقول محذوف أي فقلنا سل والظاهر انه خطاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم أمره أن يسألهم عما أعلمه به من غيب القصة ثم قال اذ جاءهم يريد آباءهم وأدخلهم في الضمير اذ هم منهم * وقال الزمخشري سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم أو سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش * وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن الآيات لتزداد يقينا وطمأنينة قلب لأن الدلالة اذا تظافرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي انتهى وهذا القول هو الأول وهو ما أعلمه به من غيب القصة ولما كان متعلق السؤال محذوفا احتمل هذه التقديرات والظاهر ان الأمر بالسؤال لبني اسرائيل هو حقيقة * وقال ابن عطية ما معناه يحتمل أن يكون السؤال عبارة عن تطلب اخبارهم والنظر في أحوالهم وما في كتبهم نحو قوله وسل من أرسلنا من قبلك من رسلنا جعل النظر والتطلب معبرا عنه بالسؤال ولذلك قال الحسن سؤالك اياهم نظرك في القرآن والظاهر ان اذ معمولة لآتينا أي آتينا حين جاء أتاهم * وقال الزمخشري (فان قلت) بم تعلق اذ جاءهم (قلت) أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف أي فقلنا له سلهم حين جاءهم وأما على الآخر فبآتينا أو باضمار اذكر أو يخبرونك انتهى ولا يتأتى تعلقه باذكر ولا يخبرونك لأنه ظرف ماض وقراءة فسأل مروية عن ابن عباس قال ابن عباس كلام محذوف وتقديره فسأل موسى فرعون بني اسرائيل أي طلبهم لينجيهم من العذاب انتهى وعلى قراءة فسل يكون التقدير فقلنا له سل بني اسرائيل أي سل فرعون اطلاق بني اسرائيل * وقال أبو عبد الله الرازي فسل بني اسرائيل اعتراض في الكلام والتقدير ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات اذ جاء بني اسرائيل فسلهم وليس المطلوب من سؤال بني اسرائيل أن يستفيد هذا العلم منهم بل المقصود أن يظهر لعامة اليهود صدق ما ذكره الرسول عليه السلام فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد انتهى وعلى قراءة فسأل ماضيا وقدره فسأل فرعون بني اسرائيل يكون المفعول الأول لسأل محذوفا والثاني هو بني اسرائيل وجاز أن يكون من الاعمال لأنه توارد على فرعون سأل وفقال

(الدر)

(ش) فان قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت أما على الاول فبالقول المحذوف أي فقلنا لهم سلهم حين جاءهم وأما على الآخر فبآتينا أو باضمار اذكر أو يخبرونك (ح) لا يتأتى تعلقه باذكر ولا يخبرونك لانه ظرف ماض

فأعمل الثاني على ماهو أرجح والظاهر ان قوله مسحورا اسم مفعول أى قد سحرت بكلامك هذا
مختل وما يأتى به غير مستقيم وهذا خطاب بنقيض * وقال الفراء والطبرى مفعول بمعنى فاعل أى
ساحر افهذه العجائب التى يأتى بها من أمر السحر وقالوا مفعول بمعنى فاعل مشؤوم وميمون وانما
هو شائم ويامن * وقرأ الجمهور لقد علمت بفتح التاء على خطاب موسى لفرعون وتبكيته فى قوله
عنه انه مسحور أى لقد علمت ان ماجئت به ليس من باب السحر ولا أنى خدعت فى عقلى بل علمت
انه ما أنزلها الا الله وما أحسن ما جاء به من اسناد انزالها الى لفظ رب السموات والارض اذ هو لما
سأله فرعون فى أول محاورته فقال له وما رب العالمين قال رب السموات والارض ينبهه على نقصه
وأنه لا تصرف له فى الوجود فدعواه الربوبية دعوى استحالة فبكته وأعلمه أنه يعلم آيات الله ومن
أنزلها ولكنه مكابر معاند كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وخاطبه بذلك على
سبيل التوبيخ أى أنت بحال من يعلم هذا وهى من الوضوح بحيث تعلمها وليس خطابه على جهة
اخباره عن علمه * وقرأ على بن أبى طالب وزيد بن على والكسائى علمت بضم التاء أخبر موسى
عن نفسه أنه ليس بمسحور كما وصفه فرعون بل هو يعلم أن ما أنزل هؤلاء الآيات الا الله * وروى عن
على أنه قال ما علم عدو الله قط وانما علم موسى وهذا القول عن على لا يصح لأنه رواه كلثوم المرادى
وهو مجهول وكيف يصح هذا القول وقراءة الجماعة بالفتح على خطاب فرعون وما أنزل جملة فى
موضع نصب علق عنها علمت ومعنى بصائر دلالات على وحدانية الله وصدق رسوله والاشارة بهؤلاء
الى الآيات التسع وانتصب بصائر على الحال فى قول ابن عطية والحوفى وأبى البقاء وقالا حال من هؤلاء
وهذا لا يصح الا على مذهب الكسائى والأخفش لأنهما يجيزان ما ضرب هندا هذا الا زيد ضاحكة
ومذهب الجمهور أنه لا يجوز فان ورد ما ظاهره ذلك أول على اضمار فعل يدل عليه ما قبله التقدير
ضربها ضاحكة وكذلك يقدرون هنا أنزلها بصائر وعند هؤلاء لا يعمل ما قبل الا فيما بعدها الا أن يكون
مستثنى منه أو تابعا له وقابل موسى ظنه بظن فرعون فقال وانى لأظنك يا فرعون مثبورا وشتان
ما بين الظنين ظن فرعون ظن باطل وظن موسى ظن صدق ولذلك آل أمر فرعون الى الهلاك كان
أولا موسى عليه السلام يتوقع من فرعون أذى كما قال اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى فأمر
أن يقول له قولا لينا فلما قال له الله لا تخف وثق بحماية الله فصال على فرعون صولة المحمى وقابله من
الكلام بما لم يكن ليقابله به قبل ذلك ومثبور مهلك فى قول الحسن ومجاهد وملعون فى قول ابن
عباس وناقص العقل فيما روى ميمون بن مهران ومسحور فى قول الضحاك قال رد عليه مثل ما قال
له فرعون مع اختلاف اللفظ وعن الفراء مثبور مصروف عن الخير مطبوع على قلبك من
قولهم ما ثبرك عن هذا أى ما منعك وصرفك * وقرأ أبى وان أخالك يا فرعون لمثبورا وهى
ان الخفيفة واللام الفارقة واستفزازه اياهم هو استخفافه لموسى ولقومه بان يقلعهم من أرض
مصر بقتل أو جلاء فحاق به مكره وأغرقه الله وقبطه أراد أن تخلو أرض مصر منهم فأخلاها الله منه
ومن قومه والضمير فى من بعده عائد على فرعون أى من بعد اغراقه والأرض المأمور بسكناها
أرض الشام والظاهر أن يكون الأمر بذلك حقيقة على لسان موسى عليه السلام ووعد الآخرة
قيام الساعة ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه
على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أولا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى

﴿ وبالحق أنزلناه ﴾ الآية هو مردود على قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن وهكذا طريقة كلام العرب
وأسلوبها تأخذ فى شئ وتستطرد منه الى شئ آخر ثم الى آخر ثم تعود الى ما ذكرته أولا وانتصب ﴿ مبشرا ونذيرا ﴾ على الحال أى مبشرا لهم بالجنة ومنذرا من النار وانتصب ﴿ وقرآنا ﴾ على اضمار فعل يفسره فرقناه أى وفرقنا قرآنا فرقناه فهو من باب الاشتغال وحسن النصب ورجحه على الرفع كونه عطف على جملة فعلية وهى قوله وما أرسلناك ولابد من تقدير صفة لقوله وقرآنا حتى يصح كونه كان يجوز فيه الابتداء لانه نكرة لا مسوغ لها فى الظاهر للابتداء بها والتقدير وقرآنا أى قرآنا عظيما جليلا ﴿ على مكث ﴾ أى تطاول فى المدة شيأ بعد شئ ﴿ قل آمنوا به أولا تؤمنوا ﴾ يتضمن الاعراض عنهم والاحتقار لهم وعدم الاكتراث بهم فان خيرا منهم العلماء الذين قرؤا الكتاب وعلموا الشرائع آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبى الموعود به فى كتبهم فاذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لوعده ولبشارته ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم
وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد فى قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا فالظاهر أن الضمير فى قوله اذا تتلى عليهم عائد على

عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ وبالحق أنزلناه هو مردود على قوله لئن اجتمعت الانس والجن الآية وهكذا طريقة كلام العرب واسلوبها تأخذ في شئ وتستطرد منه الى شئ آخر ثم الى آخر ثم تعود الى ماذكرته أولا وأبعد من ذهب الى أن الضمير في أنزلناه عائد على موسى عليه السلام وجعل منزلا كما قال وأنزلنا الحديد أو عائد على الآيات التسع وذكر على المعنى أو عائد على الوعد المذكور قبله * وقال أبو سليمان الدمشقي وبالحق أنزلناه أي بالتوحيد وبالحق نزل أي بالوعد والوعيد والأمر والنهي * وقال الزهراوي بالواجب الذي هو المصلحة والسداد للناس وبالحق نزل أي بالحق في أوامره ونواهيه وأخباره * وقال الزمخشري وما أنزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير وما أنزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين انتهى وقد يكون وبالحق نزل توكيدا من حيث المعنى لما كان يقال أنزلته فنزل وأنزلته فلم ينزل اذا عرض له مانع من نزوله جاء وبالحق نزل مزيلا لهذا الاحتمال ومؤكدا حقيقة وبالحق أنزلناه والى معنى التأكيد نحا الطبري وانتصب مبشرا ونذيرا على الحال أي مبشرا لهم بالجنة ومنذرا من النار ليس لك شئ من اكراههم على الدين * وقرأ الجمهور فرقناه بتخفيف الراء أي بينا حلاله وحرامه قاله ابن عباس وعن الحسن فرقنا فيه بين الحق والباطل * وقال الفراء أحكمناه وفصلناه كقوله فيها يفرق كل أمر حكيم * وقرأ أبي وعبد الله وعلي وابن عباس وأبو رجاء وقتادة والشعبي وحميد وعمرو بن قائد وزيد بن علي وعمرو بن ذر وعكرمة والحسن بخلاف عنه بشد الراء أي أنزلناه نجما بعد نجم وفصلناه في النجوم * وقال بعض من اختار ذلك لم ينزل في يوم ولا يومين ولا شهر ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين * قال ابن عباس كان بين أوله وآخره عشرون سنة هكذا قال الزمخشري عن ابن عباس * وحكى عن ابن عباس في ثلاث وعشرين سنة * وقيل في خمس وعشرين وهذا الاختلاف مبني على الاختلاف في سنه عليه السلام وعن الحسن نزل في ثمانية عشر سنة * قال ابن عطية وهذا قول مختل لا يصح عن الحسن * وقيل معنا فرقناه بالتشديد فرقنا آياته بين أمر ونهي وحكم وأحكام ومواعظ وأمثال وقصص وأخبار مغيبات أتت وتأتي وانتصب قرآنا على اضمار فعل يفسره فرقناه أي وفرقنا قرآنا فرقناه فهو من باب الاشتغال وحسن النصب ورجحه على الرفع كونه عطفا على جملة فعلية وهي قوله وما أرسلناك ولا بد من تقدير صفة لقوله وقرآنا حتى يصح كونه كان يجوز فيه الابتداء لانه نكرة لا مسوغ لها في الظاهر للابتداء بها والتقدير وقرآنا أي قرآن أي عظيما جليلا وعلى انه منصوب باضمار فعل يفسره الظاهر بعده خرجه الحوفي والزمخشري * وقال ابن عطية هو مذهب سيبويه * وقال الفراء هو منصوب بأرسلناك أي ما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا كما تقول رحمة لان القرآن رحمة وهذا اعراب متكلف وأكثر تكلفا منه قول ابن عطية ويصح أن يكون معطوفا على الكاف في أرسلناك من حيث كان ارسال هذا وانزال هذا المعنى واحد * وقرأ أبي وعبد الله فرقناه عليك بزيادة عليك ولتقرأه متعلق بفرقناه والظاهر تعلق على مكث بقوله لتقرأه ولا يبالي بكون الفعل يتعلق به حرفا جر من جنس واحد لانه اختلف معنى الحرفين الاول في موضع المفعول به والثاني في موضع الحال أي متمهلا مترسلا * قال ابن عباس ومجاهد وابن جريج على مكث على ترسل في التلاوة * وقيل على

القرآن والخرور السقوط بسرعة وانتصب سجدا على الحال ﴿سبحان ربنا﴾ نزهوا الله عما نسبه إليه كفار قريش وغيرهم وان هنا المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى إن ما وعد به من ارسال محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه قد فعله وأنجزه وتكرر الخرور لاختلاف حالتي السجود والبكاء وجاء التعبير عن الحالة الاولى بالاسم وعن الثانية بالفعل لان الفعل مشعر بالتجدد وذلك ان البكاء ناشئ عن التفكر فهم دائما في فكرة وتذكر فناسب ذكر الفعل اذ هو مشعر بالتجدد ولما كانت حالة السجود ليست تتجدد في كل وقت عبر فيها بالاسم ويزيدهم أي ما تلي عليهم خشوعا أي تواضعا

مكث أي تطاول في المدة شيأ بعد شيء * وقال الحوفي على مكث بدل من على الناس وهذا لا يصح لان قوله على مكث هو من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القارىء أو صفات المقروء في المعنى وليس من صفات الناس فيكون بدلا منهم * وقيل يتعلق على مكث بقوله فرقناه ويقال مكث بضم الميم وفتحها وكسرها * وقال ابن عطية وأجمع القراء على ضم الميم من مكث * وقال الحوفي والمكث بالضم والفتح لغتان وقد قرىء بهما وفيه لغة أخرى كسر الميم ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث من الأقوال والافعال قل آمنوا به أولا تؤمنوا يتضمن الاعراض عنهم والاحتقار لهم والازدراء بهم وعدم الاكتراث بهم وبايمانهم وبامتناعهم منه وانهم لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وأفضل هم العلماء الذين قرؤا الكتاب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لوعده ولانجازه ماوعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا وان الذين أوتوا العلم من قبله يجوز أن يكون تعليلا لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وأن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كأنه قيل قل عن ايمان الجاهلية بايمان العلماء انتهى من كلام الزمخشري وفيه بعض تلخيص * وقال غيره قل آمنوا الآية تحقير للكفار وفي ضمنه ضرب من التوعد والمعنى انكم لستم بحجة فسواء علينا أآمنتم أم كفرتم وانما ضرر ذلك على أنفسكم وانما الحجة أهل العلم انتهى والظاهر أن الضمير في قل آمنوا به عائد على القرآن والذين أوتوا العلم هم مؤمنو أهل الكتاب * وقيل ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل ومن جرى مجراهما فانهما كانا ممن أوتي العلم واطلعا على التوراة والانجيل ووجدا فيهما صفته عليه الصلاة والسلام * وقيل هم جماعة من أهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذكروا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه وقرىء عليهم منه شيء فخشعوا وسجدوا لله وقالوا هذا وقت نبوة المذكور في التوراة وهذه صفته ووعد الله به واقع لامحالة وجنحوا الى الاسلام هذا الجنوح فنزلت هذه الآية فيهم * وقيل المراد بالذين أوتوا العلم من قبله هو محمد صلى الله عليه وسلم والظاهر ان الضمير في من قبله عائد على القرآن كما عاد عليه في قوله به ويدل عليه ماقبله ومابعده * وقيل الضمير ان في به وفي من قبله عائدان على الرسول عليه الصلاة والسلام واستأنف ذكر القرآن في قوله اذا يتلى عليهم والظاهر في قوله اذا يتلى عليهم ان الضمير في يتلى عائد على القرآن * وقيل هو عائد على التوراة ومافيها من تصديق القرآن ومعرفة النبي عليه الصلاة والسلام والخر وهو السقوط بسرعة ومنه فخر عليهم السقف وانتصب سجدا على الحال والسجود وهو وضع الجبهة على الارض هو غاية الخرور ونهاية الخضوع وأول مايلقى الارض حالة السجود الذقن أو عبر عن الوجوه بالأذقان كما يعبر عن كل شيء ببعض مايلاقيه * وقال الشاعر

فخروا لأذقان الوجوه تنوشهم * سباع من الطير العوادي وتنتف

* وقيل أريد حقيقة الأذقان لأن ذلك غاية التواضع وكان سجودهم كذلك * وقال ابن عباس المعنى للوجوه * وقال الزمخشري (فان قلت) حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه قال * فخر صريعا لليدين وللفم * (قلت) معناه جعل ذقنه

﴿قل ادعوا الله﴾ الآية قال ابن عباس تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم فقال المشركون كان محمد يدعو إلها واحدا فهو الآن يدعو إلهين اثنين الله والرحمن ما الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة فنزلت والله والرحمن اسمان لذات واحدة وأيا شرطية وما زائدة وتدعو فعل الشرط حذفت منه النون وفله جواب الشرط والمعنى أي الاسمين وهو لفظ الله والرحمن فله لكون الاسمين لذات واحدة الاسماء الحسنى والصلاة هنا الدعاء قاله ابن عباس ومعلوم أن الجهر والمخافتة معتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأركان وكان صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فيسب المشركون ويلغون فأمر بان يخفض من صوته حتى لا يسمع المشركون

وأن لا يخافت حتى يسمعه من وراءه من المؤمنين ﴿وابتغ بين ذلك﴾ أي بين الجهر والمخافتة ﴿سبيلا﴾ وسطا وتقدم الكلام على بين ذلك في البقرة ولما ذكر تعالى انه واحد وان تعددت أسماؤه أمره تعالى أن يحمده على ما أنعم به عليه مما آتاه من شرف الرسالة والاصطفاء ووصف نفسه انه لم يتخذ ولدا فيعتقد تكثره بالنوع وكان ذلك ردا على اليهود والنصارى والعرب الذين عبدوا الملائكة واعتقدوا انهم بنات الله ونفى أولا الولد خصوصا ثم نفى الشريك في ملكه وهو أعم من أن ينسب اليه ولد فيشركه في ملكه أو غيره ولما نفى الولد والشريك نفى الولي وهو الناصر وهو أعم من أن يكون ولدا أو شريكا أو غير ذلك ولما كان اتخاذ الولد قد يكون للانتصار وللاعتزاز به والاحتماء من الذل وقد يكون التفضل والرحمة لمن والى من عباده الصالحين كان النفي لمن ينتصر به من أجل المذلة اذ كان مورد الولاية يحتمل هذين الوجهين فنفى الجهة التي يكون لأجل النقص بخلاف الولد والشريك فانهما نفيا على الاطلاق ﴿وكبره تكبيرا﴾ التكبير أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والاجلال وأكد بالمصدر تحقيقا له وابلاغا في معناه وابتدئت هذه السورة بتنزيه الله سبحانه واختتمت به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية

ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص انتهى * وقيل اللام بمعنى على وسبحان ربنا نزهوا الله عما نسبته اليه كفار قريش وغيرهم من انه لا يرسل البشر رسلا وانه لا يعيدهم للجزاء وان هنا المخففة من الثقيلة المعنى ان ما وعد به من ارسال محمد عليه الصلاة والسلام وانزال القرآن عليه قد فعله وأنجزه ونكر الخرور لاختلاف حالي السجود والبكاء وجاء التعبير عن الحالة الاولى بالاسم وعن الحالة الثانية بالفعل لان الفعل مشعر بالتجدد وذلك أن البكاء ناشئ عن التفكر فهم دائما في فكرة وتذكر فناسب ذكر الفعل اذ هو مشعر بالتجدد ولما كانت حالة السجود ليست تتجدد في كل وقت عبر فيها بالاسم * ويزيدهم أي ما تلي عليهم خشوعا أي تواضعا * وقال عبد الأعلى التيمي من أوتي من العلم ما لا يبكيه خليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه لانه تعالى نعت العلماء فقال ان الذين أوتوا العلم الآية * وقال ابن عطية ويتوجه في هذه الآية معنى آخر وهو أن يكون قوله قل آمنوا به أو لا تؤمنوا مخلصا للوعيد دون التحقير المعنى فسترون ما تجازون به ثم ضرب لهم المثل على جهة التقريع بمن تقدم من أهل الكتاب أي ان الناس لم يكونوا كما أنتم في الكفر بل كان الذين أوتوا التوراة والانجيل والزبور والكتب المنزلة في الجملة اذا يتلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا انتهى وقد تقدمت الاشارة الى طرف من هذا ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ﴾ قال ابن عباس تهجد الرسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم فقال المشركون كان محمد يدعو إلها واحدا فهو الآن يدعو إلهين اثنين الله والرحمن ما الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فنزلت قاله في التحرير ونقل ابن عطية نحوا منه عن مكحول * وقال عن ابن عباس سمعه المشركون يدعو يا الله يا رحمن فقالوا كان يدعو إلها واحدا وهو يدعو إلهين فنزلت وقال ميمون بن مهران كان عليه السلام يكتب باسمك اللهم حتى نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها فقال مشركو العرب هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن فنزلت * وقال الضحاك قال أهل الكتاب للرسول صلى الله عليه وسلم انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت لما لجوا في انكار القرآن أن يكون الله نزله على رسوله عليه السلام وعجزوا عن معارضته وكان عليه

الصلاة والسلام قد جاءهم بتوحيد الله والرفض لآلهتهم عدلوا الى رميه عليه الصلاة والسلام بأن ما نهاهم عنه رجع هو اليه فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ادعوا الله الآية والظاهر من أسباب النزول ان الدعاء هنا قوله يارحمن يارحيم أو يا الله يارحمن فهو من الدعاء بمعنى النداء والمعنى ان دعوتم الله فهو اسمه وان دعوتم الرحمن فهو صفته * قال الزمخشري والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم تترك أحدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا انتهى ودعوت هذه من الأفعال التي تتعدى الى اثنين ثانيهما بحرف جر تقول دعوت والدى بزيد ثم تتسع فتحذف الباء * وقال الشاعر في دعا هذه

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان

وهي أفعال تتعدى الى واحد بنفسها والى الآخر بحرف الجر يحفظ ويقتصر فيها على السماع وعلى ما قال الزمخشري يكون الثاني لقوله ادعوا لفظ الجلالة ولفظ الرحمن وهو الذي دخل عليه الباء ثم حذف وكأن التقدير ادعوا معبودكم بالله أو ادعوه بالرحمن ولهذا قال الزمخشري المراد بهما اسم المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا الله أو ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا اما هذا واما هذا انتهى وكذا قال ابن عطية هما اسمان لمسمى واحد فان دعوتموه بالله فهو ذاك وان دعوتموه بالرحمن فهو ذاك وأي هنا شرطية * والتنوين قيل عوض من المضاف وما زائدة مؤكدة * وقيل ما شرط ودخل شرط على شرط * وقرأ طلحة بن مصرف أيا من تدعوا فاحتمل أن تكون من زائدة على مذهب الكسائي اذ قد ادعى زيادتها في قوله * ياشاة من قنص لمن حلت له *
واحتمل أن يكون جمع بين أداتي شرط على وجه الشذوذ كما جمع بين حرفي جر نحو قول الشاعر * فأصبحن لا يسألنني عن بما به * وذلك لاختلاف اللفظ والضمير في فله عائد على مسمى الاسمين وهو واحد أي فلمسماهما الأسماء الحسنى وتقدم الكلام على قوله الأسماء الحسنى في الأعراف وقوله فله هو جواب الشرط * قيل ومن وقف على أيا جعل معناه أي اللفظين دعوتموه به جاز ثم استأنف فقال ما تدعوه فله الاسماء الحسنى وهذا لا يصح لان ما لا تطلق على آحاد أولي العلم ولان الشرط يقتضي عموما ولا يصح هنا والصلاة هنا الدعاء قاله ابن عباس وعائشة وجماعة * وعن ابن عباس أيضا هي قراءة القرآن في الصلاة فهو على حذف مضاف أي بقراءة الصلاة ولا يلبس تقدير هذا المضاف لأنه معلوم ان الجهر والمخافتة معتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان عليه الصلاة والسلام يرفع صوته بقراءته فيسب المشركون ويلغون فأمر بأن يخفض من صوته حتى لا يسمع المشركين وأن لا يخافت حتى يسمعه من وراءه من المؤمنين * وابتغ بين ذلك أي بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وتقدم الكلام على بين ذلك في قوله عوان بين ذلك * وقال ابن عباس أيضا والحسن لا تحسن علانيتها وتسيء سريتها * وعن عائشة الصلاة يراد بها هنا التشهد * وقال ابن سيرين كان الاعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت الآية في ذلك وكان أبو بكر يسر قراءته وعمر يجهر بها * فقيل لهما في ذلك فقال أبو بكر انما أناجي ربي وهو يعلم حاجتي * وقال عمر أنا أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فاما نزلت قيل لأبي بكر ارفع أنت قليلا * وقيل لعمر اخفض أنت قليلا وعن ابن عباس أيضا المعنى ولا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل * وقال ابن زيد معنى الآية على ما يفعله أهل الانجيل

والتوراة من رفع الصوت أحيانا فيرفع الناس معه ويخفض أحيانا فيسكت الناس خلفه انتهى كما
يفعل أهل زماننا من رفع الصوت بالتلحين وطرائق النغم المتخذة للغناء ولما ذكر تعالى أنه واحد وان
تعددت أسماؤه أمر تعالى أن يحمده على ما أنعم به عليه مما آتاه من شرف الرسالة والاصطفاء ووصف
نفسه بأنه لم يتخذ ولدا فيعتقد فيه تكثر بالنوع وكان ذلك ردا على اليهود والنصارى والعرب الذين
عبدوا الأصنام وجعلوها شركاء لله والعرب الذين عبدوا الملائكة واعتقدوا أنهم بنات الله ونفى
أولا الولد خصوصا ثم نفى الشريك فى ملكه وهو أعم من أن ينسب اليه ولد فيشركه أو غيره ولما
نفى الولد ونفى الشريك نفى الولى وهو الناصر وهو أعم من أن يكون ولدا أو شريكا أو غير شريك
ولما كان اتخاذ الولى قد يكون للانتصار والاعتزاز به والاحتماء من الذل وقد يكون للتفضل والرحمة
لمن والى من صالحى عباده كان النفى لمن ينتصر به من أجل المذلة اذ كان مورد الولاية يحتمل هذين
الوجهين فنفى الجهة التى لأجل النقص بخلاف الولد والشريك فانهما نفيا على الاطلاق وجاء
الوصف الأول بقوله الذى لم يتخذ ولدا والمعنى أنه تعالى لم يسم ولم يعد أحدا ولدا ولم ينفه بجهة التوالد
لاستحالة ذلك فى بدائه العقول فلا يتعرض لنفيه بالمنقول ولذلك جاء ما اتخذ الله من ولد لم يتخذ
صاحبة ولا ولدا * وقال مجاهد فى قوله ولم يكن له ولى من الذل المعنى لم يحالف أحدا ولا ابتغى نصر
أحد * وقال الزمخشرى ولى من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من
أجل المذلة به ليدفعها بموالاته انتهى * وقيل ولم يكن له ولى من اليهود والنصارى لأنهم أذل الناس
فيكون من الذل صفة لولى انتهى أى ولى من أهل الذل فعلى هذا وما تقدم يكون من فى معنى المفعول
به أو للسبب أو للتبعيض * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك
والذل بكلمة التحميد (قلت) لأن من هذا وصفه هو الذى يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذى يستحق
جنس الحمد والذى تقرر ان النفى تسلط من حيث المعنى على القيد أى لاذل يوجد فى حقه فيكون
له ولى ينتصر به منه فالذل والولى الذى يكون اتخاذه بسببه منتفيان * وكبره تكبيرا التكبير أبلغ
لفظة للعرب فى معنى التعظيم والاجلال وأكد بالمصدر تحقيقا له وابلاغا فى معناه وابتدئت هذه
السورة بتنزيه الله تعالى واختتمت به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بنى
عبد المطلب علمه هذه الآية وقل الحمد لله الى آخرها والله أعلم

﴿ سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ
الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا فلعلك باخع
نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم
أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من
آياتنا عجبا إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا
فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا
نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا

فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا إنهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا * بخع يبخع بخعا وبخوعا أهلك من شدة الوجد وأصله الجهد قاله الأخفش والفراء وفي حديث عائشة ذكرت عمر فقالت بخع الارض أي جهدها حتى أخذ ما فيها من أموال الملوك * وقال الكسائي بخع الأرض بالزراعة جعلها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة * وقال الليث بخع الرجل نفسه قتلها من شدة وجده وأنشد قول الفرزدق

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه * لشيء نحته عن يديه المقادير

أي نحته بشد الحاء مخفف * قال أبو عبيدة كان ذو الرمة ينشد الوجد بالرفع * وقال الأصمعي انما هو الوجد بالفتح انتهى فيكون نصبه على أنه مفعول من أجله * جرزت الأرض بقحط أو جراد أو نحوه ذهب نباتها وبقيت لا شيء فيها وأرضون أجراز ويقال سنة جرز وسنون أجراز لا مطر فيها وجرز الأرض الجراد أكل ما فيها وامرأة جروز أي أكول * قال الشاعر

ان العجوز خبة جروزا * تأكل كل ليلة قفيزا

* الكهف النقب المتسع في الجبل فان لم يك واسعا فهو غار * وقال ابن الانبارى * حكى

اللغويون أنه بمنزلة الغار في الجبل * الرقيم فعيل من رقم اما بمعنى مفعول و إما بمعنى فاعل و يأتي ان شاء الله الاختلاف في المراد به عن المفسرين * فأما قول أمية بن أبي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم في الكهف همد

فعنى به كلبهم * أحصى الشئ حفظه وضبطه * الشطط الجور وتعدى الحد والغلو * وقال الفراء اشتط في الشؤم جاوز القدر وشط المنزل بعد شطوطا وشط الرجل واشط جار وشطت الجارية شطاطا وشطاطة طالت * تزور تروغ وتميل * وقال الاخفش تزور تنقبض انتهى والزور الميل والازور المائل بعينه الى ناحية ويكون في غير العين * قال ابن أبي ربيعة

* وجبني خيفة القوم أزوره * وقال عنترة

فازور من وقع القنا بلبانه * وشكا الى بعبرة وتحمحم

* وقال بشر بن أبي حازم *

تؤم بها الحداة مياه نخل * وفيها عن أبانين ازورار

ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق * قرض الشئ قطعه تقول العرب قرضت موضع كذا أي قطعته * وقال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن أجواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس

* وقال الكوفيون قرضت موضع كذا حاذيته وحكوا عن العرب قرضته قبلا ودبرا * الفجوة المتسع من الفجاء وهو تباعد ما بين الفخذين رجل أفجأ وامرأة فجواء وجمع الفجوة فجاء * اليقظ المتنبه وجمعه ايقاظ كعضد وأعضاد و يقاظ كرجل ورجال ورجل يقظان وامرأة يقظى * الرقاد معروف وسمي به علما * الوصيد الفناء * وقيل العتبة * وقيل الباب * قال الشاعر

بأرض فضاء لايسد وصيدها * على ومعروفي بها غير منكر

* الورق الفضة مضروبة وغير مضروبة * السرادق قال أبو منصور الجواليقي هو فارسي معرب وأصله سرادار وهو الدهليز * قال الفرزدق

تمنيتهم حتى اذا ما لقيتهم * تركت لهم قبل الضراب السرادقا

و بيت مسردق أي ذو سرادق * المهل ما أذيب من جواهر الأرض * وقيل دردي الزيت * شوى اللحم أنضجه من غير مرق * السوار ما جعل في الذراع من ذهب أو فضة أو نحاس أو رصاص و يجمع على أسورة في القلة كحمار وأحمرة وعلى حمر في الكثرة كحمار وحمر الا أنه تسكن عينه الا في الشعر فتحرك وأساور جمع أسورة * وقال أبو عبيدة جمع أسوار و يقال لكل ما في الذراع من الحلى وعنه وعن قطرب هو على حذف الزيادة وأصله أساوير * وأنشد ابن الانبارى

والله لولا صبية صغار * كأنما وجوههم أقمار

تضمهم من العتيك دار * أخاف أن يصيبهم اقتار

أو لاطم ليس له أسوار * لما رآني ملك جبار

ببابه ما وضح النهار

* السندس رقيق الديباج والاستبرق ما غلظ منه والاستبرق رومي عرب وأصله استبره أبدلوا الهاء قافا قاله ابن قتيبة * وقيل مسمى بالفعل وهو استبرق من البريق فقطعت بهمزة وصله * وقيل الاستبرق اسم الحرير * وقال المرقش

﴿سورة الكهف﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الحمد لله الذى أنزل﴾ الآية هذه السورة مكية وقيل فيها آيات مدنية وسبب نزولها ان قريشا بعثت النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط الى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته فانهم أهل الكتاب الاول وعندهم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألاهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان من أمرهم فانه كان لهم أمر عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأوه وسلوه عن الروح فأقبل النضر وعقبة الى مكة فسألاه فقال غدا أخبركم ولم يقل ان شاء الله فاستمسك الوحى عنه خمسة عشر يوما فارجف به كفار قريش وقالوا ان محمدا تركه رئيه الذى كان يأتيه من الجن وقال بعضهم قد عجز عن اكاذيبه فشق ذلك عليه فلما انقضى ذلك جاءه الوحى بجواب الاسئلة وغيرها ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما قال وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ذكر المؤمنين أنه يزيدهم خشوعا وأنه تعالى أمر بالحمد له وأنه لم يتخذ ولدا وأمره تعالى بحمده على انزال هذا الكتاب السالم من العوج القيم على كل الكتب المنذر من اتخذ ولدا المبشر المؤمنين بالأجر الحسن ثم استطرد الى حديث كفار قريش والتفت من الخطاب فى قوله وكبره تكبيرا الى الغيبة فى قوله على عبده لما فى عبده من الاضافة المقتضية تشريفه ولم يجئ التركيب أنزل عليك والكتاب القرآن * قال الزمخشرى ولم يجعل له معطوفة على أنزل فهى داخلة فى الصلة ورتب على هذا أن الاحسن فى انتصاب قيما أن ينتصب بفعل مضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لما يلزم من ذلك وهو الفصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة وقدره جعله قيما وقال ابن عطية قيما نصب على الحال من الكتاب فهو بمعنى التقديم (٩٤) مؤخر فى اللفظ أى أنزل الكتاب قيما واعترض بين الحال وذى الحال قوله ولم يجعل له عوجا اما اذا قلنا بان الجملة المنفية اعتراض فهو جائز ويفصل بجمل الاعتراض بين الحال وصاحبها والصحيح أنهما حالان من الكتاب الاولى جملة والثانية مفردة وكثير من أصحابنا على منع ذلك وفى ذلك أعاريب أخر ذكرت فى البحر والعوج فى المعانى كالعوج فى الاشخاص ونكر عوجا ليعم جميع أنواعه لانها نكرة فى سياق النفى والمعنى أنه فى غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف فى معانيه ولا حوشية ولا عى فى تراكيبه ومبانيه وقيما بصالح العباد وشرائع دينهم وأمور معائشهم ومعادهم ولذلك جاء بعده لينذر وليبشر فيجوز أن يتعلقا بقوله قيما ويجوز أن يتعلقا بأنزل والبأس الشديد عذاب الآخرة ويحتمل أن يندرج فيه ما يلحقهم من عذاب الدنيا من لدنه تقدم الكلام فى أول هود والاجر الحسن الجنة ولما كنى عن الجنة بقوله أجرا حسنا قال ماكثين فيه أى مقيمين فجعله ظرفا لاقامتهم ولما كان المكث لا يقتضى التأبيد قال أبدا وهو ظرف دال على زمن متناه وانتصب ماكثين على الحال وذو الحال هو الضمير فى لهم والذين نسبوا الولد الى الله تعالى بعض اليهود فى عزير وبعض النصارى فى المسيح وبعض العرب فى الملائكة والضمير فى به الظاهر أنه عائد على الولد الذى ادعوه ﴿ما لهم به من علم﴾ أى ما لهم بقولهم هذا من علم فالجملة فى موضع الحال أى قالوا جاهلين من غير فكر ولا روية ولا نظر فيما يجوز ويمتنع * وقرأ الجمهور ﴿كلمة﴾ بالنصب فالظاهر انتصابها على التمييز وفاعل كبرت مضمر يعود على المقالة المفهومة من قوله قالوا اتخذ الله ولدا وفى ذلك معنى التعجب أى ما أكبرها كلمة والجملة بعدها صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يشوش به الشيطان فى القلوب ويحدث به النفس لا يمكن أن يتفوه به بل يصرف عنه الكفر فكيف بمثل هذا المنكر وسميت كلمة كما يسمون القصيدة كلمة وان نافية أى ما يقولون وكذبا نعت لمصدر محذوف أى قولا كذبا ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ لعل للترجى فى المحبوب وللاشفاق فى المحذور * وباخع قال الفراء بخع يبخع بخعا وبخوعا أهلك من شدة الوجد وأصله الجهد والظاهر أنها هنا للاشفاق أشفق أن يبخع الرسول نفسه عليهم

تراهن يلبسن المشاعر مرة * واستبرق الديباج طورا الباسها

* وقال ابن بحر الاستبرق المنسوج بالذهب * الاريكة السرير فى حجلة فان كان وحده فلا يسمى أريكة * وقال الزجاج الأرائك الفرش فى الحجال ﴿الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا

لكونهم لم يؤمنوا وقوله على آثارهم استعارة فصيحة من حيث لهم ادبار وتباعد عن الايمان وإعراض عن الشرع وكأنهم من فرط ادبارهم قد بعدوا في ادبارهم يحزن عليهم ومعنى على آثارهم من بعدهم أي بعد يأسك من ايمانهم أو بعد موتهم على الكفر ويقال مات فلان على أثر فلان أي بعده والاشارة بهذا الحديث الى القرآن قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها وأسفا مفعول من أجله وأصله حزنا وارتباطا قوله ﴿انا جعلنا ما على

الارض زينة لها﴾ بما قبلها هو على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه تعالى أخبر أنه خلق ما على الارض من الزينة للابتلاء والاختبار أي الناس أحسن عملا وليسوا على نمط واحد في الاستقامة واتباع الرسل لا بد أن يكون فيهم من هو أحسن عملا ومن هو أسوأ عملا فلا تغتم ولا تحزن على من قضيت عليه بانه يكون أسوأ عملا ومع كونهم يكفرون بي لا أقطع عنهم مواد هذه النعم التي خلقتها وجعلنا هنا بمعنى خلقنا والظاهر أن ما يراد بها غير العاقل وأنه يراد به العموم فيما لا يعقل وزينة كل شئ بحسبه ﴿وانتصب زينة على الحال أو المفعول من أجله ان كان جعلنا بمعنى خلقنا وأوجدنا وان كان بمعنى صيرنا فانتصب على انه مفعول ثان وأيهم يحتمل أن تكون الضمة فيها اعرابا فتكون أيهم مبتدأ وأحسن خبره والجملة في موضع المفعول لنبلوهم ويكون قد علق ببيلوهم اجراء لها مجرى العلم لان الابتداء والاختبار سبب العلم ويحتمل أن تكون الضمة فيها على مذهب سيبويه لوجود شرط جواز البناء في أي وهو كونها مضافة قد حذف صدر صلتها فأحسن خبر مبتدإ محذوف تقديره هو أحسن ويكون أيهم موصولا في موضع نصب بدلا من الضمير في لنبلوهم والمفضل عليه محذوف تقديره ممن ليس أحسن عملا ﴿وانا لجاعلون﴾ أي مصيرون ما عليها مما كان زينة لها أو ما عليها مما هو أعم من الزينة وغيره ﴿صعيدا﴾ ترابا جرزا لا نبات فيه وهذا إشارة الى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما

﴿انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا﴾

هي مكية كلها الا في قول وعن ابن عباس وقتادة الا قوله واصبر نفسك الآية فمدنية ﴿ وقال مقاتل الا من أولها الى جرزا ومن قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآيتين فمدني ﴿ وسبب نزولها أن قريشا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته فانهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألاهم فقالت سلوه فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان بناؤه وسلوه عن الروح فأقبل النضر وعقبة الى مكة فسألوه فقال غدا أخبركم ولم يقل ان شاء الله فاستمسك الوحي خمسة عشر يوما فأرجف كفار قريش وقالوا ان محمدا قد تركه رئيه الذي كان يأتيه من الجن وقال بعضهم قد عجز عن أكاذيبه فشق ذلك عليه فلما انقضى الأمد جاءه الوحي بجواب الأسئلة وغيرها ﴿ وروي في هذا السبب ان اليهود قالت ان أجابكم عن الثلاثة فليس بنبي وان أجاب عن اثنتين وأمسك عن الأخرى فهو نبي فأنزل الله سورة أهل الكهف وأنزل بعد ذلك ويسألونك عن الروح ﴿ ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها انه لما قال وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وذكر المؤمنين به أهل العلم وأنه يزيدهم خشوعا وأنه تعالى أمر بالحمد له وأنه لم يتخذ ولدا أمره تعالى بحمده على انزال هذا الكتاب السالم من العوج القيم على كل الكتب المنذر من اتخذ ولدا المبشر المؤمنين بالأجر الحسن ثم استطرد الى حديث كفار قريش والتفت من الخطاب في قوله وكبره تكبيرا الى الغيبة في قوله على عبده لما في عبده من الاضافة المقتضية تشريفه ولم يجيء التركيب أنزل عليك ﴿ والكتاب القرآن والعوج في المعاني كالعوج في الاشخاص ونكر عوجا ليعم جميع أنواعه لأنها نكرة في سياق النفي والمعنى انه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه لا حوشية ولا عي في تراكيبه ومبانيه ﴿ وقيما تأكيد لاثبات الاستقامة اذ كان مدلوله مستقيما وهو قول ابن عباس والضحاك ﴿ وقيل قيما بمصالح العباد وشرائع دينهم وأمور معاشهم ومعادهم ﴿ وقيل قيما على سائر الكتب بتصديقها ﴿ واختلفوا في هذه الجملة المنفية فزعم الزمخشري أنها معطوفة على أنزل فهي داخلة في الصلة ورتب على هذا ان الأحسن في انتصاب قيما أن ينتصب بفعل مضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لما يلزم من ذلك وهو الفصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وقدره جعله قيما ﴿ وقال ابن عطية قيما نصب على الحال من

الكتاب فهو بمعنى التقديم مؤخر فى اللفظ أى أنزل الكتاب قيما واعترض بين الحال وذى الحال
قوله ولم يجعل له عوجا ذكره الطبرى عن ابن عباس ويجوز أن يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره
أنزله أو جعله قيما * أما اذا قلنا بأن الجملة المنفية اعتراض فهو جائز ويفصل بجمل للاعتراض بين
الحال وصاحبها * وقال العسكرى فى الآية تقديم وتأخير كأنه قال احمدوا الله على انزال القرآن قيما
لا عوج فيه ومن عادة البلغاء أن يقدموا الأهم * وقال أبو عبد الله الرازى ولم يجعل له عوجا يدل على
كونه مكملا فى ذاته وقوله قيما يدل على كونه مكملا لغيره فثبت بالبرهان العقلى ان الترتيب الصحيح
هو الذى ذكره الله وان ماذكروه من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب اليه * وقال
الكرمانى اذا جعلته حالا وهو الأظهر فليس فيه تقديم ولا تأخير والصحيح انهما حالان من الكتاب
الأولى جملة والثانية مفرد انتهى وهذا على مذهب من يجوز وقوع حالين من ذى حال واحد بغير
عطف وكثير من أصحابنا على منع ذلك انتهى واختاره الأصبهانى وقال هما حالان متواليان والتقدير
غير جاعل له عوجا قيما * وقال صاحب حل العقد يمكن أن يكون قوله قيما بدلا من قوله ولم يجعل له
عوجا أى جعله مستقيما قيما انتهى ويكون بدل مفرد من جملة كما قالوا فى عرفت زيدا أبو من انه
بدل جملة من مفرد وفيه خلاف * وقيل قيما حال من الهاء المجرورة فى ولم يجعل له مؤكدة * وقيل
منتقلة والظاهر ان الضمير فى له عائد على الكتاب وعليه التخاريج الاعرابية السابقة وزعم قوم ان
الضمير فى له عائد على عبده والتقدير على عبده وجعله قيما وحفص يسكت على قوله عوجا سكتة
خفيفة ثم يقول قيما وفى بعض مصاحف الصحابة ولم يجعل له عوجا لكن جعله قيما ويحمل ذلك على
تفسير المعنى لا انها قراءة * وأنذر يتعدى لمفعولين قال انا أنذرناكم عذابا قريبا وحذف هنا المفعول
الأول وصرح بالمنذر به لأنه هو الغرض المسوق اليه فاقتصر عليه ثم صرح بالمنذر فى قوله حين
كرر الانذار فقال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا فحذف المنذر أولا لدلالة الثانى عليه وحذف
المنذر به لدلالة الاول عليه وهذا من بديع الحذف وجليل الفصاحة ولما لم يكرر البشارة أتى بالمبشر
والمبشر به والظاهر ان لينذر متعلقة بأنزل * وقال الحوفى تتعلق بقيما ومفعول لينذر المحذوف
قدره ابن عطية لينذر العالم وأبو البقاء لينذر العباد أو لينذركم والزمخشرى قدره خاصا قال وأصله
لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا
وبآسة انتهى وكأنه راعى فى تعيين المحذوف مقابله وهو ويبشر المؤمنين الذين والبأس الشديد
عذاب الآخرة ويحتمل أن يندرج فيه ما يلحقهم من عذاب الدنيا ومعنى من لدنه صادر من عنده
* وقرأ أبو بكر بسكون الدال واشمامها الضم وكسر النون وتقدم الكلام عليها فى أول هود
* وقرىء ويبشر بالرفع والجمهور بالنصب عطفا على لينذر والأجر الحسن الجنة ولما كنى عن الجنة
بقوله أجرا حسنا قال ماكثين فيه أى مقيمين فيه فجعله ظرفا لاقامتهم ولما كان المكث لا يقتضى
التأبيد قال أبدا وهو ظرف دال على زمن غير متناه وانتصب ماكثين على الحال وذو الحال هو
الضمير فى لهم والذين نسبوا الولد الى الله تعالى بعض اليهود فى عزير وبعض النصارى فى المسيح
وبعض العرب فى الملائكة والضمير فى به الظاهر انه عائد على الولد الذى ادعوه * قال المهدوى
فتكون الجملة صفة للولد * قال ابن عطية وهذا معترض لانه لا يصفه الا القائل وهم ليس قصدهم أن
يصفوه والصواب عندى انه نفى مؤتنف أخبر الله تعالى به بجهلهم فى ذلك ولا موضع للجملة من
الاعراب ويحتمل أن يعود على الله تعالى وهذا التأويل أذم لهم وأقضى فى الجهل التام عليهم وهو

قول الطبرى انتهى * قيل والمعنى مالهم بالله من علم فينزهوه عما لا يجوز عليه ويحتمل أن يعود على القول المفهوم من قالوا أى مالهم بقولهم هذا من علم فالجملة فى موضع الحال أى قالوا جاهلين من غير فكر ولا روية ولا نظر فى ما يجوز و يمتنع * وقيل يعود على الاتخاذ المفهوم من اتخذ أى مالهم بحكمة الاتخاذ من علم اذ لا يتخذه الا من هو عاجز مقهور يحتاج الى معين يشد به عضده وهذا مستحيل على الله * قال الزمخشرى اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم (قلت) معناه مالهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشئ اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه فى نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به انتهى * ولا لآبائهم معطوف على لهم وهم من تقدم من أسلافهم الذين ذهبوا الى هذه المقالة السخيفة بل من قال ذلك انما قاله عن جهل وتقليد وذكر الآباء لان تلك المقالة قد أخذوها عنهم وتلقفوها منهم * وقرأ الجمهور كلمة بالنصب والظاهر انتصابها على التمييز وفاعل كبرت مضمر يعود على المقالة المفهومة من قوله قالوا اتخذ الله ولدا وفى ذلك معنى التعجب أى ما أكبرها كلمة والجملة بعدها صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوس به الشيطان فى القلوب و يحدث به النفس لا يمكن أن يتفوه به بل يصرف عنه الفكر فكيف بمثل هذا المنكر وسميت كلمة كما يسمون القصيدة كلمة * وقال ابن عطية وهذه المقالة هى قائمة فى النفس معنى واحدا فيحسن أن تسمى كلمة وقال أيضا وقرأ الجمهور بنصب الكلمة كما تقول نعم رجلا زيد وفسر بالكلمة ووصفها بالخروج من أفواههم فقال بعضهم نصبها على التفسير على حد نصب قوله تعالى وساءت مرتفقا * وقالت فرقة نصبها على الحال أى كبرت فريتهم ونحو هذا انتهى فعلى قوله كما تقول نعم رجلا زيد يكون المخصوص بالذم محذوفا لانه جعل تخرج صفة لكلمة والتقدير كبرت كلمة خارجة من أفواههم تلك المقالة التى فاهوا بها وهى مقالتهم اتخذ الله ولدا والضمير فى كبرت ليس عائدا على ما قبله بل هو مضمر يفسره ما بعده وهو التمييز على مذهب البصريين و يجوز أن يكون المخصوص بالذم محذوفا وتخرج صفة له أى كبرت كلمة كلمة تخرج من أفواههم * وقال أبو عبيدة نصب على التعجب أى أكبر بها كلمة أى من كلمة * وقرئ كبرت بسكون الباء وهى فى لغة تميم * وقرأ الحسن وابن يعمر وابن محيصن والقواس عن ابن كثير بالرفع على الفاعلية والنصب أبلغ فى المعنى وأقوى وان نافية أى ما يقولون وكذبا نعت لمصدر محذوف أى قولا كذبا * فلعلك باخع لعل للترجى فى المحبوب وللاشفاق فى المحذور * وقال العسكرى فيها هاهنا هى موضوعة موضع النهى يعنى ان المعنى لا تبخع نفسك * وقيل وضعت موضع الاستفهام تقديره هل أنت باخع نفسك * وقال ابن عطية تقرير وتوقيف بمعنى الانكار عليه أى لا تكن كذلك * وقال الزمخشرى شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقته أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم و يبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم انتهى وتكون لعل للاستفهام قول كوفى والذى يظهر انها للاشفاق أشفق أن يبخع الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه لكونهم لم يؤمنوا وقوله على آثارهم استعارة فصيحة من حيث لهم ادبار وتباعد عن الايمان واعراض عن الشرع فكأنهم من فرط ادبارهم قد بعدوا فهو فى ادبارهم يحزن عليهم ومعنى على آثارهم من بعدهم أى بعد يأسك من ايمانهم أو بعد موتهم على الكفر و يقال مات فلان على أثر فلان أى بعده وقرئ باخع نفسك بالاضافة * وقرأ الجمهور باخع بالتنوين نفسك بالنصب * قال الزمخشرى على الاصل

(الدر)

* سورة الكهف *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(ح) وقرأ الجمهور باخع نفسك بالنصب (ش) على الاصل (ح) يعنى ان اسم الفاعل اذا استوفى شروط العمل فالاصل أن يعمل وقد أشار الى ذلك سيبويه فى كتابه وقال الكسائى العمل والاضافة سواء وقد ذهبنا الى أن الاضافة أحسن من العمل بما قررناه فى علم النحو

يعني ان اسم الفاعل اذا استوفى شروط العمل فالأصل أن يعمل وقد أشار الى ذلك سيبويه في كتابه * وقال الكسائي العمل والاضافة سواء وقد ذهبنا الى أن الاضافة أحسن من العمل بما قررناه في ماوضعنا في علم النحو * وقرىء ان لم يؤمنوا بكسر الميم وفتحها فمن كسر * فقال الزمخشري هو يعني اسم الفاعل للاستقبال ومن فتح فللمضي يعني حالة الاضافة أي لان لم يؤمنوا والاشارة بهذا الحديث الى القرآن قال تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها *وأسفا قال مجاهد جزعا * وقال قتادة غضبا وعنه أيضا حزنا * وقال السدي ندما وتحسرا * وقال الزجاج الأسف المبالغة في الحزن والغضب * وقال منذر بن سعيد الأسف هنا الحزن لانه على من لا يملك ولا هو تحت يد الآسف ولو كان الأسف من مقتدر على من هو في قبضته وملكه كان غضبا كقوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم أي أغضبونا * قال ابن عطية واذا تأملت هذا في كلام العرب اطرد انتهى وانتصاب أسفا على أنه مفعول من أجله أو على انه مصدر في موضع الحال وارتباط قوله انا جعلنا الآية بما قبلها هو على سبيل التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم لانه تعالى أخبر انه خلق ما على الأرض من الزينة للابتلاء والاختبار أي الناس أحسن عملا فليسوا على نمط واحد في الاستقامة واتباع الرسل بل لابد أن يكون فيهم من هو أحسن عملا ومن هو أسوأ عملا فلا تغتم وتحزن على من فضلت عليه بانه يكون أسوأ عملا ومع كونهم يكفرون بي لا أقطع عنهم مواد هذه النعم التي خلقتها وجعلنا هنا بمعنى خلقنا والظاهر أن ما يراد بها غير العاقل وانه يراد به العموم فيما لا يعقل *وزينة كل شيء بحسبه * وقيل لا يدخل في ذلك ما كان فيه ايذاء من حيوان وحجر ونبات لانه لا زينة فيه ومن قال بالعموم قال فيه زينة من جهة خلقه وصنعته واحكامه * وقيل المراد بما هنا خصوص ما لا يعقل *فقيل الاشجار والانهار *وقيل النبات لما فيه من الاختلاف والازهار *وقيل الحيوان المختلف الاشكال والمنافع والافعال * وقيل الذهب والفضة والنحاس والرصاص والياقوت والزبرجد والجوهر والمرجان وما يجري مجرى ذلك من نفائس الاحجار * وقال الزمخشري ما على الارض يعني ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها *وقالت فرقة أراد النعيم والملابس والثمار والخضرة والمياه *وقيل ما هنا لمن يعقل فعن مجاهد هو الرجال وقاله ابن جبير عن ابن عباس وروى عكرمة أن الزينة الخلفاء والعلماء والامراء وانتصب زينة على الحال أو على المفعول من أجله ان كان جعلنا بمعنى خلقنا وأوجدنا وان كانت بمعنى صيرنا فانتصب على انه مفعول ثان واللام من لنبلوهم تتعلق بجعلنا والابتلاء الاختبار وهو متأول بالنسبة الى الله تعالى والضمير في لنبلوهم ان كانت ما لمن يعقل فهو عائد عليها على المعنى وأن لا يعود على ما يفهم من سياق الكلام وهو سكان الارض المكلفون وأيهم يحتمل أن يكون الضمير فيها اعرابا فيكون أيهم مبتدأ وأحسن خبره والجملة في موضع المفعول لنبلوهم ويكون قد علق لنبلوهم اجراء لها مجرى العلم لان الابتلاء والاختبار سبب للعلم كما علقوا اسأل وانظر البصرية لانهما سببان للعلم والى ان الجملة استفهامية مبتدأ وخبر ذهب الحوفي ويحتمل أن تكون الضمة فيها بناء على مذهب سيبويه لوجود شرط جواز البناء في أي وهو كونها مضافة قد حذف صدر صلتها فأحسن خبر مبتدأ محذوف فتقديره هو أحسن ويكون أيهم في موضع نصب بدلا من الضمير في لنبلوهم والمفضل عليه محذوف تقديره ممن ليس أحسن عملا *وقال الثوري أحسنهم عملا أزهدهم فيها *وقال أبو عاصم العسقلاني اترك لها *وقال الزمخشري حسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها *وقال أبو بكر غالب بن عطية أحسن العمل

﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف﴾ الآية أم هنا هي المنقطعة فتقدر ببل والهمزة قيل للاضراب عن الكلام الاول والمعنى الانتقال من كلام الى آخر لا بمعنى الابطال والهمزة للاستفهام وزعم بعض النحويين ان أم هنا بمعنى الهمزة فقط والظاهر في أم حسبت انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد لم ينهه عن التعجب وانما أراد كل آياتنا كذلك وأهل الكهف هم الفتية الذين ذكرهم الله بعد ذلك والكهف هو الغار الذي في الجبل يستتر فيه ﴿والرقيم﴾ قيل هو اسم الكلب الذي كان معهم وقيل اسم قصر وقيل هذا الكهف هو في الروم وقيل في الشام * وبالاندلس في جهة غرناطة بقرب قرية تسمى لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة وأكثرهم قد انجرد لحمه وبعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شأنهم ويزعم ناس أنهم أصحاب الكهف * قال ابن عطية دخلت اليهم ورأيتهم منذ أربع وخمسمائة وهم بهذه الحالة وعليهم مسجد وقريب منهم بناء رومي يسمى الرقيم كانه قصر مخلق وبقي بعض جدرانه وهو في فلاة من الارض خربة وباعلى غرناطة مما يلي القبلة آثار قديمة يقال لها مدينة دقيوس وجدنا في آثارها غرائب من قبور ونحوها وانما سهل ذكر هذا مع بعده لأنه عجب يخلد ذكره ما شاء الله انتهى قال والذي فسح الله في مدته وحين كنا بالأندلس كان الناس يزورون هذا الكهف (٩٩) ويذكرون أنهم يغلطون في عددهم اذا عدوهم وان معهم كلبا ورحل الناس الى لوشة لزيارتهم وأما ما ذكر من مدينة دقيوس التي بقبلي غرناطة فقد مررت عليها مرارا لا تحصى وشاهدت فيها حجارة كبارا ويترجح كون أهل الكهف بالاندلس لكثرة دين النصارى بها حتى انها هي بلاد مملكتهم العظمى ولان الاخبار بما هو في أقصى مكان عن أرض الحجاز أبعد أن لا يعرفه أحد الا بوحي من الله تعالى والعامل في اذ قيل اذكر وقيل عجبا ومعنى أوى جعلوه مأوى لهم ومكان اعتصام ثم دعوا الله تعالى أن يؤتيهم رحمة من عنده وهي الرزق ولفظ الفتية يشعر بأنهم كانوا شبانا وكذلك روي أنهم كانوا شبانا من أبناء الاشراف والعظماء مطوقين مسورين بالذهب ذوي ذوائب وهم من الروم اتبعوا دين عيسى وأصحابنا الاندلسيون تكثر في ألفاظهم تسمية نصارى الاندلس بالروم وقل من ينطق بلفظ النصارى * وقال بعض أدبائهم يخاطب ملك الاندلس الآن ابن الاحمر

حميت حمى الاسلام في أرض غربة * وقد نشبت للروم فيها المخالب

ومفعول ضربنا محذوف تقديره حجابا من أن يسمعوا وهو كناية عن النوم وانتصب سنين على الظرف والعامل فيه فضربنا وعددا مصدر وصف به والظاهر منه الدلالة على الكثرة لانه لا يحتاج الى أن يعد الا ما كثر لا ما قل * قال الزمخشري ويحتمل أن يريد القلة لان الكثير عنده قليل كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار انتهى هذا تحريف في التشبيه لان لفظ الآية كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار فهذا تشبيه لسرعة انقضاء ما عاشوا في الدنيا اذا رأوا العذاب كما قال الشاعر

كأن الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى * ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا

﴿ثم بعثناهم﴾ أي أيقظناهم من نومهم وليعلم أي ليظهر لهم ما علمناه من أمرهم أي الحزبين قال ابن عباس هم الملوك الذين تداولوا ملك المدينة حزب وأهل الكهف حزب وقيل غير ذلك * قال الزمخشري وقرئ ليعلم وهو معلق عنه لان ارتفاعه بالابتداء

أخذ بحق مع الايمان وأداء الفرائض واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه * وقال الكلبي أحسن طاعة * وقال القاسم بن محمد ما عليها من الانبياء والعلماء ليبلو المرسل اليهم والمقلدين للعلماء أيهم أحسن قبولا واجابة * وقال سهل أحسن توكلا علينا فيها * وقيل أصفى قلبا وأحسن سمتا * وقال ابن اسحاق أيهم أتبع لأمري وأعمل بطاعتي وانا لجاعلون أي مصيرون ما عليها مما كان زينة لها أو ما عليها مما هو أعم من الزينة وغيره صعيدا ترابا جرزا لا نبات فيه وهذا اشارة الى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عن ما تضمنته أيدي المترفين من زينتها إذ مآل ذلك كله الى الفناء والمحاق * وقال الزمخشري ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك انتهى * قيل والصعيد ما تصاعد على وجه الارض * وقال مجاهد الارض التي لا نبات بها * وقال السدي الاملس المستوي * وقيل الطريق * وفي الحديث إياكم والقعود على الصعدات ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما

باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما أنه مفعول يعلم انتهى لا يجوز ماذكره على مذهب البصريين لان الجملة اذذاك تكون فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله وهو قائم مقام الفاعل وكما أن تلك الجملة وغيرها من الجمل لا تقوم مقام الفاعل فكذلك لا يقوم ما ناب عنه وللكوفيين مذهبان أحدهما أنه يجوز الاسناد الى الجملة مطلقا والثانى أنه لا يجوز الا اذا كان الفعل مما يصح تعليقه وأى الحزبين مبتدأ وأحصى خبره وهو أفعل التفضيل والمتعلق به وأمدا مفعول أحصى غلط ابن عطية فاورد فيما بنى من الرباعى ما أعطاه للمال وآتاه للخير وهى أسود من القار وماؤه أبيض من اللبن وفهو لما سواها أضيع قال وهذه كلها أفعل من الرباعى انتهى وأسود وأبيض ليس بناؤهما من الرباعى وفى بناء أفعل التعجب وأفعل التفضيل ثلاثة مذاهب يبنى مطلقا وهو ظاهر كلام سيبويه وقد جاء منه ألفاظ لا يبنى منه مطلقا وما ورد حمل على الشذوذ والتفصيل بين أن يكون الهمزة للنقل فلا يجوز أو لغير النقل كأشكل الامر وأظلم الليل فيجوز أن يقول ما أشكل هذه المسئلة وما أظلم هذا الليل وهذا اختيار ابن عصفور من أصحابنا ودلائل هذه المذاهب مذكورة فى كتب النحو وقال الزمخشرى فان قلت فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك أن بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ فى غير القرآن ممتنع فكيف به فيه ولان أمدا لا يخلو إما أن ينتصب بأفعل فافعل لا يعمل واما أن ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت أنى أنصبه باضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر فى قوله * وأضرب منا بالسيوف القوانسا * على يضرب القوانس فقد أبعدت التناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره انتهى أما دعواه الشذوذ فهو مذهب أبى على وقد ذكرنا أن ظاهر مذهب سيبويه جواز بنائه من أفعل مطلقا وأنه مذهب أبى اسحق وأن التفصيل اختيار ابن عصفور وقول غيره والهمزة فى أحصى ليست للنقل وأما قوله فافعل لا يعمل ليس بصحيح لانه يعمل فى التمييز وأمدا تمييز وهكذا أعرب من زعم أن أحصى أفعل التفضيل كما تقول زيد أقطع الناس سيفا ولم يعرب به مفعولا به وأما قوله واما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى أى لا يكون سديدا فقد ذهب الطبرى الى أن نصب أمدا بلبثوا قال ابن عطية وهذا غير متوجه انتهى وقد يتجه ذلك أن الامد هو الغاية ويكون عبارة عن المدة كقوله ما ننسخ من آية ما يفتح الله للناس من رحمة ولما سقط الحرف وصل اليه الفعل وأما قوله فان زعمت الى آخره فنقول لا يحتاج الى هذا الزعم لان لقائل ذلك أن يسلك مذهب الكوفيين فى أن أفعل التفضيل ينتصب المفعول به فالقوانس عندهم منصوب بأضرب نصب المفعول به وأما تأويله بضرب القوانس فقول البصريين وكذلك ذهب بعض النحويين الى أن قوله أعلم من يضل من منصوب بأعلم نصب المفعول به ولو كثر وجود * وأضرب منا بالسيوف القوانسا * لكنا نقيسه ويكون معناه صحيحا لان أفعل التفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك التضمن ألا ترى أن المعنى يزيد ضربنا بالسيوف على ضرب غيرنا ﴿نحن نقص﴾ بدأ بقصتهم أولا مختصرة ثم ذكرها مفصلة مطولة ﴿نبأهم بالحق﴾ أى على وجه الصدق وجاء بلفظ نحن نقص موازنا لقوله لنعلم ثم قال ﴿آمنوا بربهم﴾ ففيه اضافة الرب وهو السيد والناظر فى مصلحة عبيده ولم يأت التركيب آمنوا بنا للاشعار بتلك الرتبة وهى أنهم مربوبون له مملوكون ثم قال وزدناهم ولم يأت التركيب وزادهم لما فى لفظة نا من العظمة والجلالة وزيادته تعالى لهم هدى هو تيسيرهم للعمل الصالح والانقطاع اليه ومباعدة الناس والزهد فى الدنيا وهذه زيادة على الايمان الذى حصل لهم ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أى ثبتناها وقويناها على الصبر على هجرة الوطن والنعيم والفرار بالدين الى غار فى مكان قفر لا انيس فيه ولا ماء ولا طعام والربط مقابله الانحلال ومنه فلان رابط الجاش اذا كانت نفسه لا تتفرق عند الفزع والخوف واللام فى لقد لام تأكيد واذا حرف جواب وجزاء أى لقد قلنا ان دعونا من دونه إلها قولا شططا اى ذا شطط وهو التعدى والجور فشططا نعت لمصدر محذوف

لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا ﴾

أم هنا هى المنقطعة فتتقدر ببل والهمزة * قيل للاضراب عن الكلام الاول بمعنى الانتقال من كلام الى آخر لا بمعنى الابطال والهمزة للاستفهام * وزعم بعض النحويين ان أم هنا بمعنى الهمزة فقط والظاهر فى أم حسبت انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم * فقال مجاهد لم ينهه عن التعجب

وانما أراد كل آياتنا كذلك * وقال قتادة لا يتعجب منها فالعجائب فى خلق السموات والارض أكثر * وقال ابن عباس سألوك عن ذلك ليجعلوا جوابك علامة لصدقك وكذبك وسائر آيات القرآن أبلغ وأعجب وأدل على صدقك * وقال الطبرى تقرير له عليه السلام على حسبانه ان أصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى انكار ذلك عليه أن لا يعظم ذلك بحسب ماعظمه عليك السائلون من الكفرة فان سائر آيات الله أعظم من قصتهم قال وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن اسحق * وقال الزهراوى يحتمل معنى آخر وهو أن يكون استفهاما له هل علم ان أصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى اثبات انهم عجب ويكون فائدة تقريره جمع نفسه للأمر لان جوابه أن يقول لم أحسب ولا علمته فيقال له وصفهم عند ذلك والتجوز فى هذا التأويل هو فى لفظة حسبت انتهى وقال غيره معناه أعلمت أى لم تعلمه حتى أعلمتك * وقال الزمخشرى ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التى لا حصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال أم حسبت يعنى ان ذلك من قصة أهل الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة انتهى * وقيل أى أم علمت أى فاعلم انهم كانوا عجبا كما تقول أعلمت ان فلانا فعل كذا أى قد فعل فاعلمه * وقيل الخطاب للسامع والمراد المشركون أى قل لهم أم حسبتم الآية والظن قد يقام مقام العلم فكذلك حسبت بمعنى علمت والكهف تقدم تفسيره فى المفردات * وعن أنس الكهف الجبل * قال القاضى وهذا غير مشهور فى اللغة * وقال مجاهد تفريج بين الجبلين والظاهر ان أصحاب الكهف والرقيم هم الفتية المذكورون هنا * وعن ابن المسيب انهم قوم كان حالهم كأصحاب الكهف * فقال الضحاك الرقيم بلدة بالروم فيها غار فيه أحد وعشرون نفسا أموات كلهم نيام على هيئة أصحاب الكهف * وقيل هم أصحاب الغار ففى الحديث عن النعمان بن بشير انه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر أصابتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل فانطبقت على باب الكهف وذكر الحديث وهو حديث المستأجر والعفيف وبار والديه وفيما أورده فيه زيادة ألفاظ على ما فى الصحيح ومن قال انهم طائفتان قال أخبر الله عن أصحاب الكهف ولم يخبر عن أصحاب الرقيم بشئ ومن قال بأنهم طائفة واحدة اختلفوا فى شرح الرقيم فعن ابن عباس انه لا يدرى ما الرقيم أكتاب أم بنيان وعنه انه كتاب كان عندهم فيه الشرع الذى تمسكوا به من دين المسيح عليه السلام * وقيل من دين قبل عيسى وعن ابن عباس ووهب انه اسم قريتهم * وقيل لوح من ذهب تحت الجدار اقامه الخضر عليه السلام * وقيل كتب فيه أسماؤهم وقصتهم وسبب خروجهم * وقيل لوح من رصاص كتب فيه شأن الفتية ووضع فى تابوت من نحاس فى فم الكهف * وقيل صخرة كتب فيها أسماؤهم وجعلت فى سور المدينة * وقيل اسم كلبهم وتقدم بيت أمية قاله أنس والشعبى وابن جبير وعن الحسن الجبل الذى به الكهف وعن عكرمة اسم الدواة بالرومية * وقيل اسم للوادى الذى فيه الكهف * وقيل رقم الناس حديثهم نقرا فى الجبل * وعجبا نصب على أنه صفة لمحذوف دل عليه ما قبله وتقديره آية عجبا وصفت بالمصدر أو على تقدير ذات عجب وأما أسماء فتية أهل الكهف فاعجمية لا تنضبط بشكل ولا نقط والسند فى معرفتها ضعيف والرواة مختلفون فى قصصهم وكيف كان اجتماعهم وخروجهم ولم يات فى الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا فى القرآن الا ماقص تعالى علينا من قصصهم ومن أراد تطلب ذلك فى كتب التفسير * وروى ان اسم الملك الكافر الذى خرجوا فى أيامه عن ملته اسمه دقيانوس * وروى انهم كانوا فى

الروم * وقيل في الشام وان بالشام كهفا فيه موتى و يزعم مجاوروه انهم أصحاب الكهف وعليهم مسجد و بناء يسمى الرقيم ومعهم كلب رمة * و بالاندلس في جهة غرناطة بقرب قرية تسمى لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة وأكثرهم قد انجرد لحمه و بعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شأنهم و يزعم ناس انهم أصحاب الكهف * قال ابن عطية دخلت اليهم فرأيتهم منذ أربع وخمسمائة وهم بهذه الحالة وعليهم مسجد وقريب منهم بناء رومي يسمى الرقيم كأنه قصر مخلق قد بقي بعض جدرانه وهو في فلاة من الارض خربة و باعلى حضرة غرناطة مما يلي القبلة آثار مدينة قديمة يقال لها مدينة دقيوس وجدنا في آثارها غرائب من قبور ونحوها وانما استسهلت ذكر هذا مع بعده لانه عجب يتخلد ذكره ماشاء الله عز وجل انتهى وحين كنا بالاندلس كان الناس يزورون هذا الكهف و يذكرون انهم يغلطون في عدتهم اذا عدوهم وان معهم كلبا و يرحل الناس الى لوشة لزيارتهم وأما ما ذكرت من مدينة دقيوس التي بقبلي غرناطة فقد مررت عليها مرارا لا تحصى وشاهدت فيها حجارة كبارا و يترجح كون أهل الكهف بالاندلس لكثرة دين النصارى بها حتى انها هي بلاد مملكتهم العظمى ولان الاخبار بما هو في أقصى مكان من أرض الحجاز أغرب وأبعد ان يعرفه أحد الا بوحي من الله تعالى والعامل في اذ * قيل أذكر مضمرة * وقيل عجبا ومعنى أوى جعلوه مأوى لهم ومكان اعتصام ثم دعوا الله تعالى ان يؤتيهم رحمة من عنده وفسرها المفسرون بالرزق * وقال الزمخشري هي المغفرة والرزق والامن من الاعداء والفتية جمع فتى جمع تكسير جمع قلة وكذلك كانوا قليلين وعند ابن السراج انه اسم جمع لا جمع تكسير ولفظ الفتية يشعر بانهم كانوا شبابا وكذا روي انهم كانوا شبابا من أبناء الاشراف والعظماء مطوقين مسورين بالذهب ذوي ذوائب وهم من الروم اتبعوا دين عيسى عليه السلام *وقيل كانوا قبل عيسى وأصحابنا الأندلسيون تكثر في ألفاظهم تسمية نصارى الأندلس بالروم في نثرهم ونظمهم ومخاطبة عامتهم فيقولون غزونا الروم جاءنا الروم وقل من ينطق بلفظ النصارى ولما دعوا بايتاء الرحمة وهي تتضمن الرزق وغيره دعوا الله بأن يهيء لهم من أمرهم الذي صاروا اليه من مفارقة دين أهليهم وتوحيد الله رشدا وهي الاهتداء والديمومة عليه * وقال الزمخشري واجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا * وقرأ أبو جعفر وشيبة والزهري وهيّ ويهيّ بياءين من غير همز يعني انه أبدل الهمزة الساكنة ياء وفي كتاب ابن خالويه الأعشى عن أبي بكر عن عاصم وهيّ لنا ويهيّ لكم لا يهمز انتهى فاحتمل أن يكون أبدل الهمزة ياء واحتمل أن يكون حذفها فالاول ابدال قياسي والثاني مختلف فيه ينقاس حذف الحرف المبدل من الهمزة في الامر أو المضارع اذا كان مجزوما * وقرأ أبو رجاء رشدا بضم الراء واسكان الشين * وقرأ الجمهور رشدا بفتحهما * قال ابن عطية وهي أرجح لشبهها بفواصل الآيات قبل و بعد وهذا الدعاء منهم كان في أمر دنياهم وألفاظه تقتضي ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها و ينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فانها كافية و يحتمل ذكر الرحمة أن يراد بها أمر الآخرة انتهى فضربنا على آذانهم استعارة بديعة للانامة المستثقلة التي لا يكاد يسمع معها وعبر بالضرب ليدل على قوة المباشرة واللصوق واللزوم ومنه ضربت عليهم الذلة وضرب الجزية وضرب البعث * وقال الفرزدق

ضربت عليك العنكبوت بنسجها * وقضى عليك به الكتاب المنزل

﴿ وقال الاسود بن يعفر ﴾

ومن الحوادث لا أبا لك انني * ضربت على الارض بالاسداد

﴿ وقال آخر ﴾

ان المروءة والسماحة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

استعير للزوم هذه الاوصاف لهذا الممدوح وذكر الجارحة التي هي الاذان اذ هي يكون منها السمع لانه لا يستحكم نوم الا مع تعطل السمع * وفي الحديث ذلك رجل بال الشيطان في أذنه أي استثقل نومه جدا حتى لا يقوم بالليل ومفعول ضربنا محذوف أي حجابا من ان يسمع كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة وانتصب سنين على الظرف والعامل فيه فضربنا وعددا مصدر وصف به أو منتصب بفعل مضمر أي بعد عددا أو بمعنى اسم المفعول كالقبض والنفض ووصف به سنين أي سنين معدودة والظاهر في قوله عددا الدلالة على الكثرة لانه لا يحتاج أن يعد الا ما كثر لا ماقل * وقال الزمخشري ويحتمل أن يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار انتهى وهذا تحريف في التشبيه لان لفظ الآية كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار فهذا تشبيه لسرعة انقضاء ماعاشوا في الدنيا اذا رأوا العذاب كما قال الشاعر

كأن الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى * ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا

ثم بعثناهم أي أيقظناهم من نومهم والبعث التحريك عن سكون اما في الشخص واما عن الامر المبعوث فيه وان كان المبعوث فيه متحركا ولنعلم أي لنظهر لهم ماعلمناه من أمرهم وتقدم الكلام في نظير هذا في قوله لنعلم من يتبع الرسول * وفي التحرير وقرأ الجمهور لنعلم بالنون وقرأ الزهري بالياء وفي كتاب ابن خالويه ليعلم أي الحزبين حكاه الاخفش * وفي الكشاف وقرئ ليعلم وهو معلق عنه لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول يعلم انتهى فاما قراءة لنعلم فيظهر ان ذلك التفات خرج من ضمير المتكلم الى ضمير الغيبة فيكون معناها ومعنى لنعلم بالنون سواء وأما ليعلم فيظهر ان المفعول الاول محذوف لدلالة المعنى عليه والتقدير ليعلم الله الناس أي الحزبين والجملة من الابتداء والخبر في موضع مفعولي يعلم الثاني والثالث وليعلم معلق وأما مافي الكشاف فلا يجوز ماذكر على مذهب البصريين لان الجملة اذ ذاك تكون في موضع المفعول الذي لا يسمى فاعله وهو قائم مقام الفاعل فكما ان تلك الجملة وغيرها من الجمل لا تقوم مقام الفاعل فكذلك لا يقوم مقام ماناب عنه وللكوفيين مذهبان أحدهما انه يجوز الاسناد الى الجملة اللفظية مطلقا والثاني انه لا يجوز الا ان كان مما يصح تعليقه والظاهر ان الحزبين هما منهم لقوله تعالى وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم الآية وكأن الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم علموا ان لبثهم تطاول ويدل على ذلك انه تعالى بدأ بقصتهم ولا مختصرة من قوله أم حسبت الى قوله أمدا ثم قصها تعالى مطولة مسهبة من قوله نحن نقص الى قوله قل الله أعلم بما لبثوا * وقال ابن عطية والظاهر من الآية ان الحزب الواحد هم الفتية أي ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين انتهى * وقالت فرقة هما حزبان كافران اختلفا في مدة أهل الكهف * قال السدي من اليهود والنصارى الذين علموا قريشا السؤال عن أهل الكهف وعن الخضر وعن الروح وكانوا قد اختلفوا في مدة اقامة أهل الكهف في الكهف * وقال مجاهد قوم أهل الكهف كان منهم مؤمنون وكافرون

ويحتمل أن يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار (ح) هذا تحريف في التشبيه لان لفظ الآية كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار فهذا التشبيه لسرعة انقضاء ماعاشوا في الدنيا اذا رأوا العذاب كما قال.

كأن الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى
ولم يكن صعلوكا اذا ماتمولا

(ش) وقرئ ليعلم وهو معلق عنه لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كأنه مفعول نعلم (ح) لا يجوز ماذكر على مذهب البصريين لان الجملة اذ ذاك تكون في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله وهو قائم مقام الفاعل فكما أن تلك الجملة وغيرها من الجمل لا يقوم مقام الفاعل فكذلك لا يقوم مقام ماناب عنه وللكوفيين مذهبان أحدهما انه لا يجوز الاسناد الى الجملة اللفظية مطلقا والثاني انه لا يجوز الا ان كان الفعل مما يصح تعليقه

(الدر) (ح) غلط ع فاورد فيما بني من الرباعي ما أعطاه للمال وآتاه للخير وهي أسود من القار وماؤه أبيض من اللبن وفهو لما سواها أضيع قال وهذه كلها أفعل من الرباعي انتهى وأسود وأبيض ليس بناؤهما من الرباعي وفي بناء أفعل للتعجب وللتفضيل ثلاثة مذاهب يبنى منه مطلقا وهو ظاهر كلام سيبويه وقد جاءت منه ألفاظ ولا يبنى منه مطلقا وما ورد حمل على الشذوذ والتفصيل بين أن تكون الهمزة للنقل فلا يجوز أو لغير النقل كأشكل الامر واظلم الليل فيجوز يقول ما أشكل هذه المسئلة وما أظلم هذا الليل وهو اختيار ابن عصفور من أصحابنا ودلائل هذه المذاهب مذكورة في كتب النحو (ش) فان قلت فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل (قلت) ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياسي ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على (١٠٤) الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان أمدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فأفعل لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت ان نصبه باضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا * على تضرب القوانس فقد أبعدت التناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره (ح) أما دعواه الشذوذ فهو مذهب أبي علي وقد ذكرنا أن ظاهر مذهب سيبويه جواز بنائه من أفعل مطلقا وانه مذهب أبي اسحق وان التفصيل اختيار ابن عصفور وقول غيره والهمزة في أحصى ليست للنقل وأما قوله وأفعل لا يعمل فليس بصحيح لانه يعمل في التمييز وأمدا تمييز وهكذا أعرب به من زعم ان أحصى أفعل للتفضيل كما تقول زيد أقطع الناس سيفا وزيد أقطع للهام سيفا ولم يعرب به مفعولا به واما قوله واما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى أي لا يكون سديدا فقد ذهب الطبري الى أن نصب أمدا بلبثوا قال (ع) وهذا غير متجه انتهى وقد يتجه وذلك أن الأمد هو الغاية ويكون عبارة عن المدة من حيث ان للمدة غاية هي أمد المدة على الحقيقة واما بمعنى الذي وأمدا منتصب على اسقاط الحرف وتقديره لما لبثوا من أمد أي من مدة ويصير من أمد تفسيرا لما انبهم في لفظ ما كقوله ما ننسخ من آية ما يفتح الله للناس من رحمة ولما سقط الحرف وصل اليه الفعل وأما قوله فان زعمت الى آخره فيقول لا يحتاج الى هذا الزعم لانه لقائل ذلك أن يسلك مذهبا كوفيا ان أفعل التفضيل ينصب المفعول به فالقوانس عندهم منصوب باضرب نصب المفعول به وانما تأوله يضرب القوانس قول البصريين ولذلك ذهب بعض النحويين الى أن قوله أعلم من يضل من منصوب بأعلم نصب المفعول به ولو كثر وجود مثل وأضرب

واختلفوا في مدة اقامتهم * وقيل حزبان من المؤمنين في زمن أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم قاله الفراء * وقال ابن عباس الملوك الذين تداولوا ملك المدينة حزب وأهل الكهف حزب * وقال ابن بحر الحزبان الله والخلق كقوله أأنتم أعلم أم الله وهذه كلها أقوال مضطربة * وقال ابن قتادة لم يكن للفريقين علم بلبثهم لا المؤمن ولا الكافر بدليل قوله الله أعلم بما لبثوا * وقال مقاتل كما بعثوا زال الشك وعرفت حقيقة اللبث وأحصى جوز الحوفي وأبو البقاء أن يكون فعلا ماضيا وما مصدرية وأمدا مفعول به وأن يكون أفعل تفضيل وأمدا تمييز واختار الزجاج والتبريزي أن يكون أفعل للتفضيل واختار الفارسي والزمخشري وابن عطية أن تكون فعلا ماضيا ورجحوا هذا بأن أحصى اذا كان للمبالغة كان بناء من غير الثلاثي وعندهم ان ما أعطاه وما أولاه للمعروف وأعدى من الجرب شاذ لا يقاس ويقول أبو اسحق انه قد كثر من الرباعي فيجوز وخلط ابن عطية فأورد فيما بني من الرباعي ما أعطاه للمال وآتاه للخير وهي أسود من القار وماؤه أبيض من اللبن وفهو لما سواها أضيع قال وهذه كلها أفعل من الرباعي انتهى وأسود وأبيض ليس بناؤهما من الرباعي وفي بناء أفعل للتعجب وللتفضيل ثلاثة مذاهب يبنى منه مطلقا وهو ظاهر كلام سيبويه وقد جاءت منه ألفاظ ولا يبنى منه مطلقا وما ورد حمل على الشذوذ والتفصيل بين أن تكون الهمزة للنقل فلا يجوز أو لغير النقل كأشكل الأمر وأظلم الليل فيجوز أن تقول ما أشكل هذه المسئلة وما أظلم هذا الليل وهذا اختيار ابن عصفور من أصحابنا ودلائل هذه المذاهب مذكورة في كتب النحو واذا قلنا بأن أحصى اسم للتفضيل جاز أن يكون أي الحزبين موصولا مبنيا على مذهب سيبويه لوجود شرط جواز البناء فيه وهو كون أي مضافة حذف صدر صلتها والتقدير ليعلم الفريق الذي هو أحصى لما لبثوا أمدا من الذين لم يحصوا واذا كان فعلا ماضيا امتنع ذلك لانه اذ ذاك لم يحذف صدر صلتها لوقوع الفعل صلة بنفسه على تقدير جعل أي موصولة فلا يجوز بناؤها لانه فات تمام شرطها وهو أن يكون حذف صدر صلتها وقال (فان قلت) فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل (قلت) ليس

بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان أمدا لا يخلو اما أن ينصب بافعل فافعل لا يعمل واما أن ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت انى أنصبه باضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله * واضرب منا بالسيوف القوانسا * على يضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره انتهى أما دعواه الشذوذ فهو مذهب أبي علي وقد ذكرنا ان ظاهر مذهب سيبويه جواز بنائه من أفعل مطلقا وانه مذهب أبي اسحق وأن التفصيل اختيار ابن عصفور وقول غيره والهمزة في أحصى ليست للنقل وأما قوله فافعل لا يعمل ليس بصحيح فانه يعمل في التمييز وأمدا تمييز وهكذا أعرب به من زعم ان أحصى أفعل للتفضيل كما تقول زيدا أقطع الناس سيفا وزيد أقطع للهام سيفا ولم يعرب به مفعولا به وأما قوله واما أن ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى أي لا يكون سديدا فقد ذهب الطبري الى نصب أمدا بلبثوا * قال ابن عطية وهذا غير متجه انتهى وقد يتجه ذلك ان الأمد هو الغاية ويكون عبارة عن المدة من حيث ان للمدة غاية في أمد المدة على الحقيقة وما بمعنى الذي وأمدا منتصب على اسقاط الحرف وتقديره لما لبثوا من أمد أي مدة ويصير من أمد تفسيرا لما انبهم في لفظ ما لبثوا كقوله ما ننسخ من آية ما يفتح الله للناس من رحمة ولما سقط الحرف وصل اليه الفعل وأما قوله فان زعمت الى آخره فيقول لا يحتاج الى هذا الزعم لانه لقائل ذلك أن يسلك مذهب الكوفيين في ان أفعل التفضيل ينتصب المفعول به فالقوانس عندهم منصوب بأضرب نصب المفعول به وانما تأويله بضرب القوانس قول البصريين ولذلك ذهب بعض النحويين الى أن قوله أعلم من يضل من منصوب بأعلم نصب المفعول به ولو كثر وجود مثل واضرب منا بالسيوف القوانسا لكنا نقيسه ويكون معناه صحيحا لان أفعل التفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك التضمين ألا ترى أن المعنى يزيد ضربنا بالسيوف القوانسا على ضرب غيرنا ولما ذكر قوله ليعلم مشعرا باختلاف في أمرهم عقب بانه تعالى هو الذي يقص شيأ فشيأ على رسوله صلى الله عليه وسلم خبرهم بالحق أي على وجه الصدق وجاء لفظ نحن نقص موازيا لقوله لنعلم ثم قال آمنوا بربهم ففيه اضافة الرب وهو السيد والناظر في مصلحة عبيده ولم يأت التركيب آمنوا بنا للاشعار بتلك الرتبة وهي انهم مربوبون له مملوكون ثم قال وزدناهم هدى ولم يأت التركيب وزادهم لما في لفظة نا من العظمة والجلال وزيادته تعالى لهم هدى هو تيسيرهم للعمل الصالح والانقطاع اليه ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادة في الايمان الذي حصل لهم وفي التحرير زدناهم ثمرات هدى أو يقينا قولان وما حصلت به الزيادة امتثال المأمور وترك المنهي أو انطاق الكلاب لهم بانه هو على ماهم عليه من الايمان أو ازال ملك عليهم بالتبشير والتثبيت واخبارهم بظهور نبي من العرب يكون الدين به كله لله فآمنوا به قبل بعثه أقوال ملخصة من التحرير * وربطنا على قلوبهم ثبتناها وقويناها على الصبر على هجرة الوطن والنعيم والفرار بالدين الى غار في مكان قفر لا أنيس به ولا ماء ولا طعام ولما كان الفزع وخوف النفس يشبه بالتناسب الانحلال حسن في شدة النفس وقوة التصميم أن تشبه الربط ومنه فلان رابط الجأش اذا كانت نفسه لا تتفرق عند الفزع والحرب وقال تعالى ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها والعامل في أن ربطنا أي ربطنا حين قاموا ويحتمل القيام أن يكون مقامهم بين يدي الملك الكافر دقيانوس فانه مقام محتاج الى الربط على القلب

(الدر)

منا بالسيوف القوانسا لكنه يقيسه ويكون معناه صحيحا لان أفعل للتفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك التضمين ألا ترى أن المعنى يزيد ضربنا بالسيوف على ضرب غيرنا

حيث صلبوا عليه وخلعوا دينه ورفضوا فى ذات الله هيبته ويحتمل أن يكون عبارة عن انبعاثهم بالعزم الى الهروب الى الله ومنابذة الناس كما يقال قام فلان الى كذا اذا اعتزم عليه بغاية الجد * وقال الكرمانى قاموا على أرجلهم * وقيل قاموا يدعون الناس سرًا * وقال عطاء قاموا عند قيامهم من النوم قالوا وقيل قاموا على ايمانهم * وقال صاحب الغنيان إذ قاموا بين يدى الملك فتحركت هرة * وقيل فأرة ففزع دقيانوس فنظر بعضهم الى بعض فلم يتمالكوا ان قالوا ربنا رب السموات والارض وكان قومهم عباد أصنام وما أحسن ما وحدوا الله بان ربهم هو موجد السموات والارض المتصرّف فيها على مايشاء ثم أكدوا هذا التوحيد بالبراءة من إله غيره بلفظ النفى المستغرق تأبيد الزمان على قول واللام فى لقد لام توكيد واذا حرف جواب وجزاء أى لقد قلنا لن ندعو من دونه إلها قولا شططا أى ذا شطط وهو التعدى والجور فشططا نعت لمصدر محذوف اما على الحذف كما قدرناه واما على الوصف به على جهة المبالغة * وقيل مفعول به بقلنا * وقال قتادة شططا كذبا * وقال أبو زيد خطأ ﴿ هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ﴾ ولما وحدوا الله تعالى ورفضوا مادونه من الآلهة أخذوا فى ذم قومهم وسوء فعلهم وانهم لا حجة لهم فى عبادة غير الله ثم عظموا جرم من افترى على الله كذبا وهذه المقالة يحتمل ان قالوها فى مقامهم بين يدى الملك تقبيحا لما هو وقومهم عليه وذلك أبلغ فى التبرى من عبادة الأصنام وأفت فى عضد الملك إذ اجترؤا عليه بذم ماهو عليه ويحتمل ان قالوا ذلك عند قيامهم للأمر الذى عزموا عليه وهؤلاء مبتدأ * وقومنا قال الحوفى خبر واتخذوا فى موضع الحال * وقال الزمخشرى وتبعه أبو البقاء قومنا عطف بيان واتخذوا فى موضع الخبر والضمير فى من دونه عائد على الله ولولا تحضيض صحبه الانكار اذ يستحيل وقوع سلطان بين على ذلك فلا يمكن فيه التحضيض الصرف لحضوهم على ذلك على سبيل التعجيز لهم ومعنى عليهم على اتخاذهم آلهة واتخذوا هنا يحتمل أن يكون بمعنى عملوا لانها أصنام هم نحتوها وأن تكون بمعنى صيروا وفى ماذكروه دليل على أن الدين لا يؤخذ الا بالحجة والدعوى اذا لم يكن عليها دليل فاسدة وهى ظلم وافتراء على الله وكذب بنسبة شركاء لله وإذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال يشمل مفارقة أوطان قومهم ومعتقداتهم فهو اعتزال جسمانى وقلبى وما معطوف على المفعول فى اعتزلتموهم أى واعتزلتم معبودهم والا الله استثناء متصل ان كان قومهم يعبدون الله مع آلهتهم لاندراج لفظ الجلالة فى قوله وما يعبدون الا الله * وذكر أبو نعيم الحافظ عن عطاء الخراسانى انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه آلهة فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم يعتزلوا عبادة الله * وقال هذا أيضا الفرّاء ومنقطع ان كانوا لا يعرفون الله ولا يعبدونه لعدم اندراجه فى معبوداتهم وفى مصحف عبد الله وما يعبدون من دوننا انتهى ومافى مصحف عبد الله فماذكر هارون انما أريد به تفسير المعنى وان هؤلاء الفتية اعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله وليس ذلك قرآنا لمخالفتها السواد المصحف ولان المستفيض عن عبد الله بل هو متواتر ما ثبت فى السواد وهو وما يعبدون الا الله * وقيل وما يعبدون الا الله كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله تعالى فعلى هذا ما نافية والا استثناء مفرغ له العامل فأووا الى الكهف أى اجعلوه مأوى لكم تقيمون فيه وتأوون اليه وقوله ينشر فيه ما كانوا عليه من التوكل حيث أووا الى كهف ورتبوا على مأواهم

﴿ هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة ﴾ ولما وحدوا الله ورفضوا مادونه من الآلهة أخذوا فى ذم قومهم وسوء فعلهم وانهم لا حجة لهم فى عبادة غير الله ثم عظموا جرم من افترى على الله كذبا والضمير فى من دونه عائد على الله ولولا حرف تحضيض بمعنى هلا صحبه الانكار والسلطان الحجة والبرهان ﴿ وإذ اعتزلتموهم ﴾ خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال يشمل مفارقة أوطان قومهم ومعتقداتهم فهو اعتزال جسمانى وقلبى وما معطوف على المفعول فى اعتزلتموهم أى واعتزلتم معبوداتهم والا الله استثناء متصل ان كان قومهم يعبدون الله مع آلهتهم لاندراج لفظ الجلالة فى قوله وما يعبدون أو منقطع ان كانوا لا يعرفون الله ولا يعبدونه لعدم اندراجهم فى معبوداتهم ﴿ ينشر لكم ﴾ المعنى أنه يبسط عليكم رحمته ﴿ ويهيئ لكم ﴾ ما ترتفقون به فى أمر عيشكم

اليه نشر رحمة الله عليهم وتهيئة رفقه تعالى بهم لان من أخرجه من ظلمة الكفر الى نور الايمان لايضيعه والمعنى انه تعالى سيبسط علينا رحمته ويهيئ لنا ما نرتفق به في أمر عيشنا * قال ابن عباس ويهيئ لكم يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتيكم باليسر والرفق واللطف * وقال ابن الانباري المعنى ويهيئ لكم بدلا من أمركم الصعب مرفقا * قال الشاعر

فليت لنا من ماء زمزم شربة * مبردة باتت على طهيان

أي بدلا من ماء زمزم * وقال الزمخشري إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم وإما أن يخبرهم به نبي في عصرهم وإما أن يكون بعضهم نبيا * وقرأ أبو جعفر والأعرج وشيبة وحميد وابن سعدان ونافع وابن عامر وأبو بكر في رواية الأعشى والبرجمي والجعفي عنه وأبو عمرو في رواية هارون بفتح الميم وكسر الفاء * وقرأ ابن أبي اسحاق وطلحة والأعمش وباقي السبعة بكسر الميم وفتح الفاء رفقا لأن جميعا في الأمر الذي يرتفق به وفي الجارحة حكاه الزجاج وثعلب * ونقل مكي عن الفراء أنه قال لا أعرف في الأمر وفي اليد وفي كل شئ الا كسر الميم وأنكر الكسائي أن يكون المرفق من الجارحة الا بفتح الميم وكسر الفاء وخالفه أبو حاتم وقال المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد * وقال أبو زيد هو مصدر كالرفق جاء على مفعل * وقيل هما لغتان فيما يرتفق به واما من اليد فبكسر الميم وفتح الفاء لاغير وعن الفراء أهل الحجاز يقولون مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء فيما ارتفقت به ويكسرون مرفق الانسان والعرب قد يكسرون الميم منهما جميعا انتهى وأجاز معاذ فتح الميم والفاء * ﴿وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا﴾ * هنا جمل محذوفة دل عليها ما تقدم والتقدير فأووا الى الكهف فألقى الله عليهم النوم واستجاب دعاءهم وأرفقهم في الكهف بأشياء * وقرأ الحرميان وأبو عمرو تزاور بادغام تاء تتزاور في الزاي * وقرأ الكوفيون والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وابن مناذر وخلف وأبو عبيد وابن سعدان ومحمد بن عيسى الأصبهاني وأحمد بن جبير الأنطاكي بتخفيف الزاي اذا حذفوا التاء * وقرأ ابن أبي اسحاق وابن عامر وقتادة وحميد ويعقوب عن العمري تزور على وزن تحمر * وقرأ الجحدري وأبو رجاء وأيوب السختياني وابن أبي عبلة

﴿وترى الشمس اذا طلعت﴾ الآية هنا جمل محذوفة دل عليها ما تقدم والتقدير فأووا الى الكهف فألقى الله تعالى عليهم النوم واستجاب دعاءهم وأرفقهم في الكهف بأشياء وقرئ تزاور بادغام تاء تزاور في الزاء وقرئ تزور على وزن تحمر وقرئ تزاور بحذف التاء على وزن تفاعل وبادغام التاء في الزاي والمعنى تزوغ وتميل وذات اليمين جهة يمين الكهف وحقيقته المسامتة باليمين يعني يمين الداخل الى الكهف أو يمين الفتية وتقرضهم أي لا تقربهم من معنى القطيعة وهم في فجوة أي متسع من الكهف ﴿ذلك من آيات الله﴾ هذه الصفة مع الشمس يقتضي أنه كان لهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدبور وهم في زاوية وقال عبدالله ابن مسلم كان باب الكهف ينظر الى بنات نعش وعلى هذا كان أعلا الكهف مستورا من المطر ﴿وتحسبهم أيقاظا﴾ جمع يقظ بمعنى منتبه من النوم ﴿وهم رقود﴾ جملة حالية وقيل كانت أعينهم مفتحة فيحسبهم الرائي أنهم منتبهون والظاهر أن قوله ونقلبهم خبر مستأنف وقيل انما وقع الحسبان من جهة تقلبهم ولاسيما اذا كان من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين وذات منصوب على الظرف وأصلها صفة للجهة كأنه قال جهة ذات اليمين والظاهر أن قوله وكلبهم أريد به الحيوان المعروف الذي تبعهم والوصيد باب الكهف * قال الزمخشري باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لايعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا أضيف اضافة حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية انتهى وقوله ان اسم الفاعل لايعمل اذا كان في معنى المضي ليس اجماعا بل ذهب الكسائي وهشام ومن أصحابنا أبو جعفر بن مضاء الى أنه يجوز أن يعمل وحجج الفريقين مذكورة في علم النحو والخطاب في لو اطلعت لمن هو في قوله وترى الشمس وتحسبهم ايقاظا ومعنى لوليت أي أعرضت بوجهك عنهم ولوليتهم كشحك وانتصب فرارا على المصدر اما لفررت محذوفة واما لوليت لانه بمعنى لفررت واما مفعولا من أجله وانتصاب رعبا على أنه مفعول ثان

وجابر وورد عن أيوب تزوار على وزن تحمار * وقرأ ابن مسعود وأبو المتوكل تزوئر بهمزة قبل الراء على قولهم ادهأم واشعأل بالهمز فرارا من التقاء الساكنين والمعنى تزوغ وتميل وذات اليمين جهة يمين الكهف وحقيقته الجهة المسماة باليمين يعني يمين الداخل الى الكهف أو يمين الفتية وتقرضهم لاتقربهم من معنى القطيعة وهم في فجوة أي متسع من الكهف * وقرأ الجمهور تقرضهم بالتاء * وقرأت فرقة بالياء أي يقرضهم الكهف * قال ابن عباس المعنى أنهم كانوا لاتصيبهم الشمس ألبتة * وقالت فرقة انها كانت الشمس بالعشي تنالهم بما في مسها صلاح لأجسامهم وهذه الصفة مع الشمس تقتضي أنه كان لهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدبور وهم في زاوية * وقال عبد الله بن مسلم كان باب الكهف ينظر الى بنات نعش وعلى هذا كان أعلى الكهف مستورا من المطر * قال ابن عطية كان كهفهم مستقبل بنات نعش لاتدخله الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب اختار الله لهم مضجعا متسعا في مقناة لاتدخل عليهم الشمس فتؤذيهم وتدفع عنهم كربة الغار وغمومه * وقال الزمخشري المعنى انهم في ظل نهارهم كله لاتصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم انتهى وهو بسط قول الزجاج * قال الزجاج فعل الشمس آية من آيات الله دون أن يكون باب الكهف الى جهة توجب ذلك * وقال أبو على معنى تقرضهم تعطيهم من ضوئها شيأ ثم تزول سريعا كالقرض يسترد والمعنى عنده ان الشمس تميل بالغدوة وتصيبه بالعشي اصابة خفيفة انتهى ولو كان من القرض الذي يعطى ثم يسترد لكان الفعل رباعيا فكان يكون تقرضهم بالتاء مضمومة لكنه من القطع وانما التقدير تقرض لهم أي تقطع لهم من ضوئها شيأ * قيل ولو كانت الشمس لاتصيب مكانهم أصلا لكان يفسد هواؤه ويتعفن مافيه فيهلكوا والمعنى أنه تعالى دبر أمرهم فأسكنهم مسكنا لا يكثر سقوط الشمس فيه فيحمى ولاتغيب عنه غيبوبة دائمة فيعفن والاشارة بذلك الى ماصنعه تعالى بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولاتصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة ومن قال انه كان مستقبل بنات نعش بحيث كان له حاجب من الشمس كان الاشارة الى أن حديثهم من آيات الله وهو هدايتهم الى توحيده واخراجهم من بين عبدة الأوثان وايواؤهم الى ذلك الكهف وحمايتهم من عدوهم والقاء الهيبة عليهم وصرف الشمس عنهم تبيناوشمالا لئلا تفسد أجسامهم وانامتهم هذه المدة الطويلة وصونهم من البلى وثيابهم من التخرق ويدل على أنه اشارة الى الهداية قوله من يهد الله فهو المهتد وهو لفظ عام يدخل فيه ماسبق نسبتهم وهم أهل الكهف ومن يضلل عام أيضا مثل دقيانوس الكافر وأصحابه والخطاب في وتحسبهم وفي وترى الشمس لمن قدر له أنه يطلع عليهم * قيل كانوا مفتحة أعينهم وهم نيام فيحسبهم الناظر منتبهين * قال أبو محمد بن عطية ويحتمل أن يحسب الرائي ذلك لشدة الحفظ الذي كان عليهم وقلة التغيير وذلك أن الغالب على النوام أن يكون لهم استرخاء وهيآت تقتضي النوم فيحسبه الرائي يقظان وان كان مسدود العينين ولو صح فتح أعينهم بسند يقطع العذر كان أبين في أن يحسب عليهم التيقظ والظاهر أن قوله وتحسبهم أيقاظا اخبار مستأنف وليس على تقدير * وقيل في الكلام حذف تقديره لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظا والظاهر أن قوله ونقلبهم خبر مستأنف * وقيل انما وقع الحسبان من جهة تقلبهم ولاسيما اذا كان من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين وفي قراءة الجمهور ونقلبهم بالنون مزيد اعتناء الله بهم حيث أسند التقليب اليه تعالى وأنه هو

الفاعل ذلك وحكى الزمخشري أنه قرئ ويقلبهم بالياء مشددا أي يقلبهم الله * وقرأ الحسن فيما حكى الاهوازي في الاقناع ويقلبهم بياء مفتوحة ساكنة القاف مخففة اللام * وقرأ الحسن فيما حكى ابن جني وتقلبهم مصدر تقلب منصوبا وقال هذا نصب بفعل مقدر كأنه قال وترى أو تشاهد تقلبهم وعنه أيضا أنه قرأ كذلك الا أنه ضم الياء فهو مصدر مرتفع بالابتداء قاله أبو حاتم وذكر هذه القراءة ابن خالويه عن اليماني وذكر ان عكرمة قرأ وتقلبهم بالتاء باثنتين من فوق مضارع قلب مخففا * قيل والفائدة في تقليبهم في الجهتين لئلا تبلي الأرض ثيابهم وتأكل لحومهم فيعتقدوا أنهم ماتوا وهذا فيه بعد فان الله الذي قدر على أن يبقيهم أحياء تلك المدة الطويلة هو قادر على حفظ أجسامهم وثيابهم وعن ابن عباس لو مستهم الشمس لأحرقتهم ولولا التقليب لأكلتهم الارض انتهى وذات بمعنى صاحبة أي جهة ذات اليمين ونقل المفسرون الخلاف في أوقات تقليبهم وفي عدد التقليبات عن ابن عباس وأبي هريرة وقتادة ومجاهد وابن عياض بأقوال متعارضة متناقضة ضربنا عن نقلها صفحا وكذلك لم نتعرض لاسم كلبهم ولا لكونه كلب زرع أو غيره لأن مثل العدد والوصف والتسمية لا يدرك بالعقل وانما يدرك بالسمع والسمع لا يكون في مثل هذا الا عن الأنبياء أو الكتب الالهية ويستحيل ورود هذا الاختلاف عنها والظاهر أن قوله وكلبهم أريد به الحيوان المعروف وأبعد من ذهب الى أنه أسد وأبعد من ذلك قول من ذهب الى أنه رجل طباخ لهم تبعهم أو أحدهم قعد عند الباب طليعة لهم * وحكى أبو عمر والزاهد غلام ثعلب أنه قرئ وكالئهم اسم فاعل من كلأ اذا حفظ فينبغي أن يحمل على أنه الكاب لحفظه للانسان * قيل ويحتمل أن يراد بالكالئ الرجل على ما روى اذ بسط الذراعين واللصوق بالارض مع رفع الوجه للتطلع هي هيئة الريئة المستخفي بنفسه * وقرأ أبو جعفر الصادق وكالبهم بالباء بواحدة أي صاحب كلبهم كما تقول لابن وتامر أي صاحب لبن وتمر * وقال الزمخشري باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا أضيف حقيقة معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية انتهى وقوله لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي ليس اجماعا بل ذهب الكسائي وهشام ومن أصحابنا أبو جعفر بن مضاء الى أنه يجوز أن يعمل وحجج الفريقين مذكورة في علم النحو * والوصيد قال ابن عباس الباب وعنه أيضا وعن مجاهد وابن جبير الفناء * وعن قتادة الصعيد والتراب * وقيل العتبة * وعن ابن جبير أيضا التراب * والخطاب في لو اطلعت لمن هوله في قوله وترى الشمس وتحسبهم أيقاظا * وقرأ ابن وثاب والاعمش لو اطلعت بضم الواو وصلا * وقرأ الجمهور بكسرها وقد ذكر ضمها عن شيبة وأبي جعفر ونافع وتملية الرعب لما ألقى الله عليهم من الهيبة والجلال فمن رام الاطلاع عليهم أدركته تلك الهيبة ومعنى لوليت منهم أعرضت بوجهك عنهم وأوليتهم كشحك وانتصب فرارا على المصدر اما الفررت محذوفة واما لوليت لانه بمعنى لفررت واما مفعولا من أجله وانتصب رعبا على أنه مفعول ثان وأبعد من ذهب الى أنه تمييز منقول من المفعول كقوله وفجرنا الارض عيونا على مذهب من أجاز نقل التمييز من المفعول لانك لو سلطت عليه الفعل ما تعدى اليه تعدي المفعول به بخلاف وفجرنا الارض عيونا وقيل سبب الرعب طول شعورهم وأظفارهم وصفرة وجوههم وتغيير أطمارهم * وقيل لاظلام المكان وايحاشه وليس هذان القولان بشئ لانهم لو كانوا بتلك الصفة أنكروا أحوالهم ولم يقولوا لبثنا يوما أو بعض يوم ولان الذي بعث الى المدينة لم ينكر الا العالم والبناء لا حاله في نفسه ولانهم بحالة حسنة بحيث

(الدر)

(ش) باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل الا اذا كان في معنى المضي واضافته اذا أضيف حقيقة معرفة كغلام زيد الا ان نويت حكاية الحال الماضية انتهى (ح) وقوله لان اسم الفاعل لا يعمل الا اذا كان في معنى المضي ليس اجماعا بل ذهب الكسائي وهشام ومن أصحابنا أبو جعفر بن مضاء الى أنه يجوز أن يعمل وحجج الفريقين مذكورة في علم النحو

﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا﴾ الآية الكاف للتشبيه والاشارة بذلك قيل للمصدر المفهوم من فضربنا على آذانهم أى مثل جعلنا انامتهم هذه المدة الطويلة جعلنا بعثهم آية واللام فى ليتساءلوا للصيرورة والمآل لا للتعليل والقائل فى قوله كم لبثتم قيل كبيرهم وقيل صاحب نفقتهم وكم سؤال عن العدد والمعنى كم يوما أقمتم

نائمين والظاهر صدور الشك من المسؤلين وقيل أو للتفصيل ﴿قال بعضهم لبثنا يوما وقال بعضهم بعض يوم والسائل أحس فى خاطره طول نومهم ولذلك سأل قيل ناموا أول النهار واستيقظوا آخر النهار وجوابهم هذا مبنى على غلبة الظن والقول بالظن الغالب لا يعد كذبا ولما عرض لهم الشك فى الاخبار ردوا علم لبثهم الى الله تعالى ولما انتبهوا من نومهم أخذهم ما يأخذ من نام طويلا من الحاجة الى الطعام واتصل فابعثوا بحديث التساؤل كأنهم قالوا خذوا فيما يهمكم ودعوا علم ذلك الى الله تعالى والمبعوث قيل هو تمليخا وكانوا قد استصحبوا حين خرجوا دراهم لنفقتهم وكانت حاضرة عندهم فلهذا أشاروا اليها بقولهم هذه والمدينة هى مدينتهم التى خرجوا منها ﴿وليتلطف﴾ فى اختفائه وتحيله مدخلا ومخرجا ﴿ولا يشعرن﴾ أى لا يفعل ما يؤذى من

لا يفرق الرائى بينهم وبين الأيقاظ وهم فى فجوة تخترقه الرياح والمكان الذى بهذه الصورة لا يكون موحشا ✽ وقرأ ابن عباس والحرميان وأبو حيوة وابن أبى عبلة بتشديد اللام والهمزة ✽ وقرأ باقى السبعة بتخفيف اللام والهمزة ✽ وقرأ أبو جعفر وشيبة بتشديد اللام وابدال الياء من الهمزة ✽ وقرأ الزهرى بتخفيف اللام والابدال وتقدم الخلاف فى رعبا فى آل عمران ✽ وقرأ هنا بضم العين أبو جعفر وعيسى ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا﴾ الكاف للتشبيه والاشارة بذلك ✽ قيل الى المصدر المفهوم من فضربنا على آذانهم أى مثل جعلنا انامتهم هذه المدة الطويلة آية جعلنا بعثهم آية قاله الزجاج وحسنه الزمخشرى ✽ فقال وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الامانة والبعث جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به انتهى وناسب هذا التشبيه قوله تعالى حين أو ردقصتهم أولا مختصرة فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ثم بعثناهم ✽ وقال ابن عطية الاشارة بذلك الى الامر الذى ذكره الله فى جهتهم والعبرة التى فعلها فيهم واللام فى ليتساءلوا لام الصيرورة لان بعثهم لم يكن لنفس تساؤلهم انتهى والقائل ✽ قيل كبيرهم مكسلمينا ✽ وقيل صاحب نفقتهم تمليخا وكم سؤال عن العدد والمعنى كم يوما أقمتم نائمين والظاهر صدور الشك من المسؤلين ✽ وقيل أو للتفصيل ✽ قال بعضهم لبثنا يوما ✽ وقال بعضهم بعض يوم والسائل أحس فى خاطره طول نومهم ولذلك سأل ✽ قيل ناموا أول النهار واستيقظوا آخر النهار وجوابهم هذا مبنى على غلبة الظن والقول بالظن الغالب لا يعد كذبا ولما عرض لهم الشك فى الاخبار ردوا علم لبثهم الى الله تعالى ✽ وقال الزمخشرى قالوا ربكم أعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله تعالى أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالادلة أو بالهام من الله أن المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله انتهى ولما انتبهوا من نومهم أخذهم ما يأخذ من نام طويلا من الحاجة الى الطعام واتصل فابعثوا بحديث التساؤل كأنهم قالوا خذوا فيما يهمكم ودعوا علم ذلك الى الله ✽ والمبعوث قيل هو تمليخا وكانوا قد استصحبوا حين خرجوا فارين دراهم لنفقتهم وكانت حاضرة عندهم فلهذا أشاروا اليها بقولهم هذه ✽ وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر والحسن والأعمش واليزيدى ويعقوب فى رواية وخلف وأبو عبيد وابن سعدان بورقكم باسكان الراء ✽ وقرأ باقى السبعة وزيد بن على بكسرها ✽ وقرأ أبو رجاء بكسر الواو واسكان الراء وادغام القاف فى الكاف وكذا اسماعيل عن ابن محيصن وعن ابن محيصن أيضا

غير قصد منه الى الشعور فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والجملة فى موضع نصب بفلينظر معلق عنها الفعل فأيها استفهام مبتدأ وأزكى خبره ويجوز أن يكون أيها موصولا مبنيا مفعولا بينظر على مذهب سيبويه وأزكى خبر مبتدأ محذوف وطعاما تمييز وأزكى قال يمان بن رياب أرخص والضمير فى انهم عائد على ما دل عليه المعنى من كفار تلك المدينة والظهور هنا الاطلاع والعلم بمكانهم والظاهر أنه الرجم بالحجارة أو يعيدوكم فى ملتهم يدخلوكم فيها مكرهين ولا يلزم من العود الى الشئ التلبس به ﴿وان تفلحوا﴾ ان دخلتم فى دينهم

كذلك الا أنه كسر الراء ليصح الادغام * وقال الزمخشري * وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء
وادغام القاف في الكاف انتهى وهو مخالف لما نقل الناس عنه * وحكى الزجاج قراءة بكسر الواو
وسكون الراء دون ادغام * وقرأ علي بن أبي طالب بوارقكم على وزن فاعل جعله اسم جمع كباقر
وجامل * والمدينة هي مدينتهم التي خرجوا منها وقيل وتسمى الآن طرسوس وكان اسمها عند
خروجهم أفسوس * فلينظر يجوز أن يكون من نظر العين ويجوز أن يكون من نظر القلب
والجملة في موضع نصب بفلينظر معلق عنها الفعل * وأيها استفهام مبتدأ وأزكى خبره ويجوز أن
يكون أيها موصولا مبنيا مفعولا لينظر على مذهب سيبويه وأزكى خبر مبتدأ محذوف * وأزكى
قال ابن عباس وعطاء أحل ذبيحة وأطهر لان عامة بلدتهم كانوا كفارا يذبحون للطواغيت
* وقال ابن جبير أحل طعاما * قال الضحاك وكان أكثر أموالهم غصوبا * وقال مجاهد قالوا له لاتبتع
طعاما فيه ظلم * وقال عكرمة أكثر * وقال قتادة أجود * وقال ابن السائب ومقاتل أطيب * وقال
يمان بن رياب أرخص * وقيل أكثر بركة وريعا * وقيل هو الارز * وقيل التمر * وقيل الزبيب
* وقيل في الكلام حذف أي أي أهلها أزكى طعاما فيكون ضمير المؤنث عائدا على المدينة واذا لم
يكن حذف فيكون عائدا على مايفهم من سياق الكلام كأنه قيل أي المآكل وفي قوله فابعثوا
أحدكم بورقكم دليل على أن حمل النفقة ومايصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله دون
المتوكلين على الانفاقات وعلى مافي أوعية الناس * وقال بعض العلماء مالهذا السفر يعني سفر الحج
الاشيآن شد الهميان والتوكل على الرحمن * وليتلطف في اختفائه وتحيله مدخلا ومخرجا * وقال
الزمخشري وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لايغبن أو في أمر التخفي حتى
لايعرف انتهى والوجه الثاني هو الظاهر * وقرأ الحسن وليتلطف بكسر لام الامر وعن قتيبة الميال
وليتلطف بضم الياء مبنيا للمفعول ولايشعرن أي لايفعل مايؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا
سمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه * وقرأ أبو صالح ويزيد بن القعقاع وقتيبة ولايشعرن بكم أحد
ببناء الفعل للفاعل ورفع أحد والضمير في أنهم عائد على مادل عليه المعنى من كفار تلك المدينة
* قيل ويجوز أن يعود على أحد لان لفظه للعموم فيجوز أن يجمع الضمير كقوله فما منكم من
أحد عنه حاجزين فحاجزين ضمير جمع عائد على أحد * وقال الزمخشري الضمير في انهم راجع
الى الاهل المقدر في أيها والظهور هنا الاطلاع عليهم والعلم بمكانهم * وقيل العلو والغلبة * وقرأ زيد
ابن علي يظهروا بضم الياء مبنيا للمفعول والظاهر الرجم بالحجارة وكان الملك عازما على قتلهم لو
ظفر بهم والرجم كان عادة فيما سلف لمن خالف من الناس اذهي أشفى ولهم فيها مشاركة * وقال حجاج
معناه بالقول يريد السب وقاله ابن جبير أو يعيدوكم يدخلوكم فيها مكرهين ولايلزم من العود الى
الشئ التلبس به قبل اذيطلق ويراد به الصيرورة ولن تفلحوا ان دخلتم في دينهم واذا حرف جزاء
وجواب وقد تقدم الكلام عليها وكثيرا مايتضح تقدير شرط وجزاء ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم
ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا

﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ الآية قبل هذا الكلام جمل محذوفة التقدير فبعثوا أحدهم ونظر أيها أزكى طعاما وتلطف ولم
يشعر بهم أحدا فاطلع الله تعالى أهل المدينة على حالهم وقصة ذهابه الى المدينة وماجرى له مع أهلها وحمله الى الملك
وادعائهم عليه أنه أصاب كنزا من كنوز الأقدمين وحمل الملك ومن ذهب اليهم مذكور في التفاسير وأعثرنا عليهم أي واطلعنا عليهم وتقدم الكلام في أعثرنا في قوله فان عثر ومفعول أعثرنا محذوف تقديره أعثرناهم عليهم والضمير في ليعلموا عائد على مفعول أعثرنا ووعد الله هو البعث لان حالهم في نومهم وانتباههم بعد المدة المتطاولة كحال من يموت ثم يبعث و﴿لا ريب فيها﴾ أي لاشك ولا ارتياب في قيامها والمجازاة فيها وكان الذين أعثروا على أهل الكهف قد دخلتهم فتنة في أمر الحشر وبعث الاجساد من القبور فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا يحشر الارواح فشق ذلك على ملكهم وبقي حيران لايدري كيف يبين أمره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع الى الله تعالى في حجة وبيان فأعثر الله على أهل الكهف فلما بعثهم الله وتبين للناس
أمرهم سر الملك بذلك ورجع من كان في شك من بعث الاجساد الى اليقين والى هذا وقعت الاشارة بقوله اذ يتنازعون بينهم
أمرهم واذ معمولة لأعثرنا أو ليعلموا والظاهر أن سيقولون عائد على من تقدم ذكرهم وهم المتنازعون في حديثهم قبل
ظهورهم عليهم فأخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من اختلاف قومهم في عددهم وانتصب رجما على أنه مصدر لفعل

مضمر أى يرجمون بذلك وثلاثة خبر مبتدأ محذوف والجملة بعده صفة أى هم ثلاثة أشخاص ﴿ رابعهم كلبهم ﴾ اسم فاعل أضيف الى الضمير والمعنى أنه ربعهم أى جعلهم أربعة وصيرهم الى هذا العدد والكلام فى قوله خمسة وسادسهم كالكلام فيما تقدم والواو فى وثامنهم للعطف على الجملة السابقة أى يقولون هم سبعة وثامنهم كلبهم ثم أخبر والاخبارا ثانيا أن ثامنهم كلبهم فيهما جملتان * وقال الزمخشرى فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين قلت هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما يدخل على الواقعة حالا عن المعرفة فى نحو قولك جاءنى رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفى يده سيف ومنه قوله جل وعلا وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهى الواو التى أذنت بالذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوا عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم انتهى وكون الواو تدخل على الجملة الواقعة صفة دالة على لصوق الصفة بالموصوف وعلى ثبوت اتصاله بها شئ لا يعرفه النحويون بل قرروا أنه لا تعطف الصفة التى ليست بجملة على صفة أخرى الا اذا اختلفت المعانى حتى يكون العطف دالا على المغايرة فأما اذا لم يختلف فلا يجوز العطف هذا فى الاسماء المفردة وأما الجمل التى تقع صفة فهى أبعد من أن يجوز ذلك فيها ولما أخبر تعالى عن مقالتهم واضطرابهم فى عددهم أمره أن يقول ربى أعلم بعدتهم أى لا يخبر بعددهم الا من يعلمهم حقيقة وهو الله ما يعلمهم الا قليل والمثبت فى حق الله تعالى الأعلمية وفى حق القليل العالمية فلا تعارض ثم نهاه عن الجدال فيهم أى فى عدتهم والمراء وسمى مراجعته لهم مراء على سبيل المقابلة لمماراة أهل الكتاب له فى ذلك وقيده بقوله ظاهرا أى غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى اليك فحسب من غير تجهيل ولا تعنيف كما قال تعالى وجادلهم بالتى هى أحسن ثم نهاه أن يسأل أحدا من أهل الكتاب عن قصتهم لا سؤال متعنت لانه خلاف ما أمرت به من الجدال بالتى هى أحسن ولا سؤال مسترشد لانه تعالى قد أرشدك بأن أوحى اليك قصتهم ثم نهاه أن يخبر بأنه يفعل فى الزمن المستقبل شيئا الا ويقرن بمشيئته تعالى وتقدم فى سبب النزول كونه لم يقل ذلك مقرونا بالمشيئة والا أن يشاء الله استثناء لا يمكن حمله على ظاهره لانه يكون داخلا تحت القول فيكون من المقول ولا ينهاه الله أن يقول انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله لانه كلام صحيح فى نفسه لا يمكن ان ينهى عنه فاحتيج فى تأويل هذا الظاهر الى تقدير والظاهر أمره تعالى بذكر الله اذا عرض له النسيان والاشارة بقوله لأقرب من هذا أى الشئ المنسى أى اذكر ربك عند نسيانه بأن تقول عسى أن يهدينى ربى الى شئ آخر بدل هذا المنسى أقرب منه رشدا وأدنى خيرا

ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لاقرب من هذا رشدا ﴾ قبل هذا الكلام جمل محذوفة التقدير فبعثوا أحدهم ونظر أيها أزكى طعاما وتلطف ولم يشعر بهم أحدا فاطلع الله أهل المدينة على حالهم وقصة ذهابه الى المدينة وما جرى له مع أهلها وحمله الى الملك وادعائهم عليه انه أصاب كثيرا من كنوز الاقدمين وحمل الملك ومن ذهب معه اليهم مذكور فى التفاسير ذلك باطول مما جرى والله أعلم بتفاصيل ذلك ويقال عثرت على الامر اذا اطلعت عليه وأعثرنى غيرى اذا أطلعنى عليه وتقدم الكلام على هذه المادة فى قوله فان عثر على انهما استحقا اثما ومفعول أعثرنا محذوف تقديره أعثرنا عليهم أهل مدينتهم والكاف فى وكذلك للتشبيه والتقدير وكما أنمناهم بعثناهم لما فى ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم والضمير فى ليعلموا عائد على مفعول أعثرنا واليه ذهب الطبرى ووعد الله هو البعث لان حالتهم فى نومهم وانتباهتهم بعد المدة المتطاولة كحال من يموت ثم يبعث ولا ريب فيها أى لا شك ولا ارتياب فى قيامها والمجازاة فيها وكان الذين أعثروا على أهل الكهف قد دخلتهم فتنة فى أمر الحشر وبعث الاجساد من القبور فشك فى ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا تحشر الارواح فشق على ملكهم وبقى حيران لا يدرى كيف يبين أمره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع الى الله فى حجة وبيان فاعثر الله على أهل الكهف فلما بعثهم الله تعالى وتبين الناس أمرهم سر الملك ورجع من كان شك فى أمر بعث الاجساد الى اليقين والى هذا وقعت الاشارة بقوله اذ يتنازعون بينهم أمرهم واذ معمولة لاعثرنا

أوليعلموا * وقيل يحتمل أن يعود الضمير في وليعلموا على أصحاب الكهف أي جعل الله أمرهم آية لهم دالة على بعث الاجساد من القبور وقوله اذ يتنازعون على هذا القول ابتداء خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم والتنازع اذ ذاك في أمر البناء والمسجد لا في أمر القيامة * وقيل التنازع انما هو في أن اطلعوا عليهم * فقال بعض هم أموات * وقال بعض هم أحياء * وروى ان الملك وأهل المدينة انطلقوا مع تمليخا الى الكهف وأبصروهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم وألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف والظاهر ان قوله ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين داخل تحت القول أي أمروا بالبناء وأخبروا بمضمون هذه الجملة كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم * وقيل يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى رد القول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والذين غلبوا * قال قتادة هم الولاة * روى ان طائفة ذهبت الى أن يطمس الكهف عليهم ويتركوا فيه مغيبين وقالت الطائفة الغالبة لنتخذن عليهم مسجدا فاتخذوه * وروى ان التي دعت الى البنيان كانت كافرة أرادت بناء بيعة أو مصنع لكفرهم فمانعهم المؤمنون وبنوا عليهم مسجدا * وقرأ الحسن وعيسى الثقفي غلبوا بضم الغين وكسر اللام والمعنى ان الطائفة التي أرادت المسجد كانت تريد أن لا يبنى عليهم شئ ولا يعرض لموضعهم * وروى ان طائفة أخرى مؤمنة أرادت أن لا يطمس الكهف فلما غلبت الاولى على أن يكون بنيان ولابد قالت يكون مسجدا فكان * وعن ابن عمر ان الله عمى على الناس أمرهم وحجبهم عنه فذلك دعاء الى بناء البنيان ليكون معالما لهم والظاهر ان الضمير في سيقولون عائد على من تقدم ذكرهم وهم المتنازعون في حديثهم قبل ظهورهم عليهم فأخبر تعالى نبيه بما كان من اختلاف قومهم في عددهم وكون الضمير عائدا على ما قلناه ذكره الماوردى * وقيل يعود على نصارى نجران تناظروا مع الرسول صلى الله عليه وسلم في عددهم * فقالت الملكانية الجملة الاولى واليعقوبية الجملة الثانية والنسطورية الجملة الثالثة وهذا يروى عن ابن عباس وفي الكشاف ان السيد قال الجملة الاولى وكان يعقوبيا والعاقب قال الثانية وكان نسطوريا والمسلمون قالوا الثالثة وأصابوا وعرفوا ذلك باخبار الرسول عن جبريل عليهما الصلاة والسلام فتكون الضمائر في سيقولون ويقولون عائدا بعضها على نصارى نجران وبعضها على المؤمنين وعن علي هم سبعة نفر أسماؤهم تمليخا ومكشلبينا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطميرا انتهى * وقال ابن عطية الضمير في قوله سيقولون يراد به أهل التوراة من معاصري محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم اختلفوا في عدد أهل الكهف هذا الاختلاف المنصوص انتهى * قيل وجاء بسين الاستقبال لأنه كأنه في الكلام طي وادماج والتقدير فاذا أجبتهم عن سؤالهم وقصصت عليهم قصة أهل الكهف فسلهم عن عددهم فانهم اذا سألتهم سيقولون * وقرأ ابن محيصن ثلاث بادغام الثاء في التاء وحسن ذلك لقرب مخرجهما وكونهما مهموسين لان الساكن الذي قبل الثاء من حروف اللين فحسن ذلك ويقولون لم يأت بالسين فيه

(ش) فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وجل وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهي الواو التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم (ح) كون الواو تدخل على الجملة الواقعة صفة دالة على لصوق الصفة بالموصوف وعلى ثبوت اتصاله بها شئ لايعرفه النحويون بل قرروا انه لاتعطف الصفة التي ليست بجملة على صفة أخرى الا اذا اختلفت المعاني حتى يكون العطف دالا على المغايرة وأما اذا لم يختلف فلا يجوز العطف في هذه الاسماء المفردة وأما الجمل التي تقع صفة فهي أبعد من أن يجوز ذلك فيها وقد ردوا على من ذهب الى قول سيبويه وأما ماجاء لمعنى وليس باسم ولافعل هو على أن وليس باسم ولا فعل صفة لقوله لمعنى وان الواو دخلت في الجملة بان ذلك ليس من كلام العرب مررت برجل ويأكل على تقدير الصفة وأما قوله تعالى الاولها كتاب معلوم فالجملة حالية ويكفي رد القول (ش) انا لانعلم أحدا من علماء النحو ذهب الى ذلك

ولا فيما بعده لانه معطوف على المستقبل فدخل في الاستقبال أولانه أريد به معنى الاستقبال الذي هو صالح له * وقرأ شبل بن عباد عن ابن كثير بفتح ميم خمسة وهي لغة كعشرة * وقرأ ابن محيصن بكسر الخاء والميم و بادغام التاء في السين وعنه أيضا ادغام التنوين في السين بغير غنة رجما بالغيب رميا بالشئ المغيب عنهم أوظنا استعير من الرجم كأن الانسان يرمي الموضع المجهول عنده بظنه المرة بعد المرة يرجم به عسى أن يصيب ومنه الترجمان وترجمة الكتاب * وقول زهير

وما الحرب الا ماعلمتم وذقتم * وماهو عنها بالحديث المرجم

أي المظنون وأتت هذه عقب ماتقدم ليدل على ان قائل تلك المقالتين لم يقولوا ذلك عن علم وانما قالوا ذلك على سبيل التخمين والحدس وجاءت المقالة الثالثة خالية عن هذا القيد مشعرة انها هي المقالة الصادقة كما تقدم ذكر ذلك عن علي وعن رسول الله عن جبريل عليهما الصلاة والسلام وانتصب رجما على انه مصدر لفعل مضمر أي يرجمون بذلك أو لتضمين سيقولون و يقولون معنى يرجمون أولكونه مفعولا من أجله أي قالوا ذلك لرميهم بالخبر الخفي أولظنهم ذلك أي الحامل لهم على هذا القول هو الرجم بالغيب وثلاثة خبر مبتدا محذوف والجملة بعده صفة أي هم ثلاثة أشخاص وانما قدرنا أشخاصا لان رابعهم اسم فاعل أضيف الى الضمير والمعنى انه ربعهم أي جعلهم أربعة وصيرهم الى هذا العدد فلو قدر ثلاثة رجال استحال أن يصير ثلاثة رجال أربعة لاختلاف الجنسين والواو في وثامنهم للعطف على الجملة السابقة أي يقولون هم سبعة وثامنهم كلبهم فأخبروا أولا بسبعة رجال جزما ثم أخبروا اخبارا ثانيا ان ثامنهم كلبهم بخلاف القولين السابقين فان كلا منهما جملة واحدة وصف المحدث عنه بصفة ولم يعطف الجملة عليه وذكر عن أبي بكر بن عياش وابن خالويه انها واو الثمانية وان قريشا اذا تحدثت تقول ستة سبعة وثمانية تسعة فتدخل الواو في الثمانية وكونهما جملتين معطوف احداهما على الاخرى مؤذن بالتثبيت في الاخبار بخلاف ماتقدم فانهم أخبروا بشئ موصوف بشئ لم يتأخر عن الاخبار ولذلك جاء فيه رجما بالغيب ولم يجئ في هاتين الجملتين بشئ يقدح فيهما * وقرئ وثامنهم كالبهم أي صاحب كلبهم وزعم بعضهم انهم ثمانية رجال واستدل بهذه القراءة وأول قوله وكلبهم على حذف مضاف أي وصاحب كلبهم وذهب بعض المفسرين الى ان قوله وثامنهم ليس داخلا تحت قولهم بل لقولهم هو قوله و يقولون سبعة ثم أخبر تعالى بهذا على سبيل الاستئناف واذا كان استئنافا من الله دل ذلك على انهم ثمانية بالكلب وأما رابعهم كلبهم وسادسهم كلبهم فهو من جملة المحكي من قولهم لان كلا من الجملتين صفة والى ان العدة ثمانية بالكلب ذهب الاكثرون من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير * وقال الزمخشري (فان قلت) فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولتين (قلت) هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهي الواو التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم انتهى وكون الواو تدخل على الجملة

الواقعة صفة دالة على لصوق الصفة بالموصوف وعلى ثبوت اتصاله بها شئ لا يعرفه النحويون بل قرروا انه لا تعطف الصفة التي ليست بجملة على صفة أخرى الا اذا اختلفت المعاني حتى يكون العطف دالا على المغايرة وأما اذا لم يختلف فلا يجوز العطف هذا في الأسماء المفردة وأما الجمل التي تقع صفة فهي أبعد من أن يجوز ذلك فيها وقد ردوا على من ذهب الى أن قول سيبويه وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل هو على ان وليس باسم ولا فعل صفة لقوله لمعنى وان الواو دخلت في الجملة بان ذلك ليس من كلام العرب مررت برجل ويأ كل على تقدير الصفة وأما قوله تعالى الا ولها فالجملة حالية ويكفي ردا لقول الزمخشري انا لا نعلم أحدا من علماء النحو ذهب الى ذلك ولما أخبر تعالى عن مقالتهم واضطرابهم في عددهم أمره تعالى أن يقول قل ربي أعلم بعدتهم أي لا يخبر بعددهم إلا من يعلمهم حقيقة وهو الله تعالى ما يعلمهم الا قليل والمثبت في حق الله تعالى هو الأعلمية وفي حق القليل العالمية فلا تعارض * قيل من الملائكة * وقيل من العلماء وعلم القليل لا يكون الا باعلام الله * وقال ابن عباس أنا من القليل ثم نهاه تعالى عن الجدال فيهم أي في عدتهم والمراء وسمى مراجعته لهم مراء على سبيل المقابلة لمماراة أهل الكتاب له في ذلك وقيده بقوله ظاهرا أي غير متعمق فيه وهو ان نقص عليهم ما أوحي اليك فحسب من غير تجهيل ولا تعنيف كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن * وقال ابن زيد مراء ظاهرا هو قولك لهم ليس كما تعلمون * وحكى الماوردي الا بحجة ظاهرة * وقال ابن الانباري الا جدال متيقن عالم بحقيقة الخبر والله تعالى ألقى اليك ما لا يشوبه باطل * وقال ابن بحر ظاهرا يشهده الناس * وقال التبريزي ظاهرا ذاهبا بحجة الخصم وأنشد

* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * أي ذاهب ثم نهاه أن يسأل أحدا من أهل الكتاب عن قصتهم لا سؤال متعنت لانه خلاف ما أمرت به من الجدال بالتي هي أحسن ولا سؤال مسترشد لانه تعالى قد أرشدك بان أوحى اليك قصتهم ثم نهاه أن يخبر بانه يفعل في الزمن المستقبل شيأ الا ويقرن ذلك بمشيئة الله تعالى وتقدم في سبب النزول انه عليه السلام حين سأله قريش عن أهل الكهف والخضر والروح قال غدا أخبركم ولم يقل ان شاء الله فتأخر عنه الوحي مدة * قيل خمسة عشر يوما * وقيل أربعين والا أن يشاء الله استثناء لا يمكن حمله على ظاهره لانه يكون داخلا تحت القول فيكون من المقول ولا ينهاه الله أن يقول اني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله لانه كلام صحيح في نفسه لا يمكن أن ينهى عنه فاحتيج في تأويل هذا الظاهر الى تقدير * فقال ابن عطية في الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الايجاز تقديره الا أن تقول إلا أن يشاء الله أو إلا أن تقول ان شاء الله فالمعنى الا أن تذكر مشيئة الله فليس إلا أن يشاء الله من القول الذي نهى عنه * وقال الزمخشري الا أن يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مالا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين * أحدهما ولا تقولن ذلك القول الا أن يشاء الله أن تقوله بان ذلك فيه * والثاني ولا تقولنه الا بأن يشاء الله أي إلا بمشيئته وهو في موضع الحال أي الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون الا أن يشاء الله في معنى كلمة ثانية كأنه قيل ولا تقولنه أبدا ونحوه وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا لان عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن انتهى * قال ابن عطية وقالت فرقة هو استثناء من قوله ولا تقولن وحكاه الطبري ورد عليه وهو من الفساد من حيث كان الواجب أن لا يحكى انتهى وتقدم تخريج الزمخشري ذلك على أن

﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة ﴾ الظاهر أن هذا اخبار من الله تعالى بمدة لبثهم نياما في الكهف الى أن أطلع الله عليهم ولما تحرر
هذا العدد باخبار الله تعالى أمر نبيه أن يقول قل الله أعلم بما لبثوا الخبر هذا هو الحق والصدق الذي

يكون متعلقا بالنهي وتكلم المفسرون في هذه الآية في الاستثناء في اليمين وليست الآية في الايمان والظاهر أمره تعالى بذكر الله اذا عرض له نسيان ومتعلق النسيان غير متعلق الذكر * فقيل التقدير واذكر ربك اذا تركت بعض ما أمرك به * وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل قتادة ذلك على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها * وقيل واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها * وقيل واذكر مشيئة ربك اذا فرط منك نسيان لذلك أي اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها فتداركها بالذكر قاله ابن جبير قال ولو بعد يوم أو شهر أو سنة * وقال ابن الانباري بعد تقضي النسيان كما تقول اذكر لعبد الله اذا صلى صاحبك أي اذا قضى الصلاة والاشارة بقوله لأقرب من هذا الى الشئ المنسي أي اذكر ربك عند نسيانه بان تقول عسى أن يهديني ربي لشئ آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشدا وأدنى خيرا أو منفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها * وقال الزمخشري وهذا اشارة الى نبأ أهل الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل انتهى وهذا تقدمه اليه الزجاج قال المعنى عسى أن ييسر الله من الأدلة على نبوتي أقرب من دليل أصحاب الكهف * وقال ابن الانباري عسى أن يعرفني جواب مسائلكم قبل الوقت الذي حددته لكم ويعجل لي من جهته الرشاد * وقال محمد الكوفي المفسر هي بألفاظها مما أمر أن يقولها كل من لم يستثن وانها كفارة لنسيان الاستثناء ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا ﴾ الظاهر ان قوله ولبثوا الآية اخبار من الله تعالى بمدة لبثهم نياما في الكهف الى أن أطلع الله عليهم * قال مجاهد وهو بيان لمجمل قوله تعالى فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ولما تحرر هذا العدد باخبار من الله تعالى أمر نبيه أن يقول قل الله أعلم بما لبثوا فخبره هذا هو الحق والصدق الذي لا يدخله ريب لانه عالم غيب السموات والأرض والظاهر ان قوله بما لبثوا اشارة الى المدة السابق ذكرها * وقال بعضهم بما لبثوا اشارة الى المدة التي بعد الاطلاع عليهم الى مدة الرسول صلى الله عليه وسلم * وقيل لما قال وازدادوا تسعا كانت التسعة منبهمة هي الساعات والأيام والشهور والأعوام واختلفت بنو اسرائيل بحسب ذلك فأمره تعالى برد العلم اليه يعني في التسع وهذا بعيد لانه اذا سبق عدد مفسر وعطف عليه ما لم يفسر حمل تفسيره على السابق * وحكى النقاش انها ثلاثمائة شمسية ولما كان الخطاب للعرب زيدت التسع اذ حساب العرب هو بالقمر لاتفاق الحسابين * وقال قتادة ومطر الوراق ولبثوا إخبار من بني اسرائيل واحتجوا بما في مصحف عبد الله وقالوا لبثوا وعلى غير قراءة عبد الله يكون معطوفا على المحكي بقوله سيقولون ثم أمر الله نبيه أن يرد العلم اليه بما لبثوا

لا يدخله ريب لانه عالم غيب السموات والارض والظاهر أن قوله بما لبثوا اشارة الى المدة السابق ذكرها وحكى النقاش أنها ثلاثمائة سنة شمسية ولما كان الخطاب للعرب زيدت التسع اذ حساب العرب هو بالقمر لاتفاق الحسابين والضمير في له عائد على الله تعالى وهل هو في موضع رفع أو نصب وهل أسمع وأبصر أمران حقيقة أم أمران لفظا معناهما انشاء التعجب في ذلك خلاف مقرر في النحو وتقدم الكلام على كيفية نسبة التعجب الى الله في قوله فما أصبرهم على النار والضمير في قوله مالهم لأهل السموات والارض من ولي متول لأمورهم ولا يشرك في قضائه أحدا منهم ولما أنزل عليه ما أنزل من قصة أهل الكهف أمره بأن يقص ويتلو على معاصريه ما أوحى الله تعالى اليه من كتابه في قصة أهل الكهف وفي غيرهم وأن ما أوحاه اليه لا مبدل له ولا مبدل

عام ولكلماته عام أيضا والتخصيص اما في لا مبدل أي لا مبدل له سواه ألا ترى الى قوله واذا بدلنا آية مكان آية واما في كلماته أي لكلماته المتضمنة الخبر لان ما تضمن غير الخبر وقع النسخ في بعضه وفي أمره تعالى أن يتلو ما أوحى اليه واخباره أنه لا مبدل لكلماته اشارة الى تبديل المتنازعين في أهل الكهف وتحريف اخبارهم والملتحد أي الملتجأ الذي تميل اليه وتعدل له

ردّا عليهم وتفنيدا لمقالتهم * قيل هو من قول المتنازعين في أمرهم وهو الصحيح على مقتضى سياق الآية ويؤيده قل الله أعلم بما لبثوا جعل ذلك من الغيوب التي هو تعالى مختص بها * وقرأ الجمهور مائة بالتنوين * قال ابن عطية على البدل أو عطف البيان * وقيل على التفسير والتمييز * وقال الزمخشري عطف بيان لثلاثمائة * وحكى أبو البقاء ان قوما أجازوا أن يكون بدلا من مائة لان مائة في معنى مئات فأما عطف البيان فلا يجوز على مذهب البصريين وأما نصبه على التمييز فالمحفوظ من لسان العرب المشهور ان مائة لا يفسر الا بمفرد مجرور وان قوله اذا عاش الفتى مائتين عاما من الضرورات ولا سيما وقد انضاف الى ذلك كون سنين جمعا * وقرأ حمزة والكسائي وطلحة ويحيي والاعمش والحسن وابن أبي ليلى وخلف وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن جبير الأنطاكي مائة بغير تنوين مضافا الى سنين أوقع الجمع موقع المفرد وأنحى أبو حاتم على هذه القراءة ولا يجوز له ذلك * وقال أبو علي هذه تضاف في المشهور الى المفرد وقد تضاف الى الجمع * وقرأ أبي سنة وكذا في مصحف عبد الله * وقرأ الضحاك سنون بالواو على اضمار هي سنون * وقرأ الحسن وأبو عمرو في رواية اللؤلؤي عنه تسعا بفتح التاء كما قالوا عشر ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيهما من أحوال أهلها وجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر والضمير في به عائد على الله تعالى وهل هو في موضع رفع أو نصب وهل أسمع وأبصر أمران حقيقة أم أمران لفظا معناهما انشاء التعجب في ذلك خلاف مقرر في النحو * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون المعنى أبصر بدين الله وأسمع أي بصر بهدى الله وسمع فترجع الهاء اما على الهدى واما على الله ذكره ابن الانباري * وقرأ عيسى أسمع به وأبصر على الخبر فعلا ماضيا لا على التعجب أي أبصر عباده بمعرفته وأسمعهم والهاء كناية عن الله تعالى والضمير في قوله مالهم قال الزمخشري لأهل السموات والارض من ولي متول لامورهم ولا يشرك في قضائه أحدا منهم * وقيل يحتمل أن يعود على أصحاب الكهف أي هذه قدرته وحده ولم يوالهم غيره يتلطف بهم ولا أشرك معه أحدا في هذا الحكم ويحتمل أن يعود على معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار ومشاقيه وتكون الآية اعتراضا بتهديد قاله ابن عطية * وقيل يحتمل أن يعود على مؤمني أهل السموات والارض أي لن يتخذ من دونه وليا * وقيل يعود على المختلفين في مدة لبثهم أي ليس لهم من دون الله من يتولى تدبيرهم فكيف يكونون أعلم منه أو كيف يعلمون من غير اعلامه اياهم * وقرأ الجمهور ولا يشرك بالياء على النفي * وقرأ مجاهد بالياء والجزم * قال يعقوب لا أعرف وجهه * وقرأ ابن عامر والحسن وأبو رجاء وقتادة والجحدري وأبو حيوة وزيد وحميد ابن الوزير عن يعقوب والجعفي واللؤلؤي عن أبي بكر ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي ولما أنزل عليه ما أنزل من قصة أهل الكهف أمره بأن يقص ويتلو على معاصريه ما أوحي اليه تعالى من كتابه في قصة أهل الكهف وفي غيرهم وأن ما أوحاه اليه لا مبدل له ولا مبدل عام ولكلماته عام أيضا فالتخصيص اما في لا مبدل أي لا مبدل له سواه ألا ترى الى قوله واذا بدلنا آية مكان آية واما في كلماته أي لكلماته المتضمنة الخبر لان ما تضمن غير الخبر وقع النسخ في بعضه وفي أمره تعالى أن يتلو ما أوحي اليه واخباره أنه لا مبدل لكلماته اشارة الى تبديل المتنازعين في أهل الكهف وتحريف

﴿ واصبر نفسك ﴾ الآية قال كفار قريش لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك يعنون عمارا وصهيبا وسلمان وابن مسعود وبلالا ونحوهم من الفقراء وقالوا ان ريح جبابهم يؤذينا فنزلت واصبر نفسك أي احبسها وثبتها * قال أبو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

﴿ بالغداة والعشي ﴾ اشارة الى الصلوات الخمس وتقدم الكلام على قوله بالغداة والعشي قراءة واعرابا في الانعام ﴿ ولا تعد ﴾ أي لا تصرف عيناك النظر عنهم الى أبناء الدنيا وعدا متعد تقول عدا فلان طوره وجاء القوم عدا زيدا فلذلك قدرنا المفعول محذوفا ليبقى الفعل على أصله من التعدية * وقال الزمخشري انما عدى لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك ولا تعد عيناك عنهم * قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذا ألا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أي ولا تضموها اليها آكلين لها انتهى وما ذكره من التضمين لا ينقاس عند البصريين وانما يذهب اليه عند الضرورة أما اذا أمكن اجراء اللفظ على مدلوله الوضعي كان أولى * قال

الزمخشري تريد زينة الحياة الدنيا في موضع الحال انتهى وصاحب الحال ان قدر عيناك فكان يكون التركيب تريدان وان قدر الكاف فمجيء الحال من المجرور بالاضافة مثل هذا فيه اشكال لاختلاف العامل في الحال وذي الحال وقد أجاز ذلك بعضهم اذا كان المضاف جزأ أو كالجزء وحسن ذلك هنا أن المقصود نهيه صلى الله عليه وسلم عن الاعراض عنهم والميل الى غيرهم وانما جيء بقوله عيناك والمقصود هو لانهما بهما يكون المراعاة للشخص والتلفت اليه والمعنى ولا تعد أنت عنهم النظر الى غيرهم والظاهر أن المراد بمن أغفلنا كفار قريش ﴿ واتبع هواه ﴾ في طلب الشهوات ﴿ وكان أمره فرطا ﴾ أي ضائعا والحق يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا الحق ويجوز أن يكون الحق مبتدأ ومن ربكم الخبر والظاهر أن الفاعل بشاء عائد على من * قال ابن عطية الضمير في شاء عائد على الله وكأنه لما كان الايمان والكفر تابعين لمشيئة الله جاء بصفة الامر حتى كأنه حتم وقوعه مأمور به مطلوب منه ولما تقدم الايمان والكفر أعقب بما أعد لهما فذكر ما أعد للكافرين تلو قوله فليكفر وأتى بعد ذلك بما أعد للمؤمنين والسرادق حائط من نار محيط ﴿ وان يستغيثوا ﴾ يطلبوا الغوث مما حل بهم من النار وشدة احراقها واشتداد عطشهم ﴿ يغاثوا بماء ﴾ هذا على سبيل المقابلة والا فليست اغاثة ﴿ كالمهل ﴾ * قال ابن عباس ماء غليظ مثل دردي الزيت و ﴿ يشوي الوجوه ﴾ في موضع الصفة لما أو في موضع الحال منه لانه قد وصف فحسن مجيء الحال منه وانما اختص الوجوه لكونها عند شربهم يقرب حرها من وجوههم وقيل عبر بالوجوه عن جميع أبدانهم والمعنى أنه ينضج به جميع جلودهم ﴿ بئس الشراب ﴾ المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس الشراب هو أي الماء الذي يغاثون به والضمير في ساءت عائد على النار * والمرتفق قال ابن عباس المنزل

أخبارهم والمتعدا الملتجأ الذي تميل اليه وتعدل ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾ قال كفار قريش لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك يعنون عمارا وصهيبا وسلمان وابن مسعود وبلالا ونحوهم من الفقراء وقالوا ان ريح جبابهم تؤذينا فنزلت واصبر نفسك الآية وعن سلمان أن قائل ذلك عيينة بن حصن والاقرع وذووهم من المؤلفة فنزلت فالآية على هذا مدنية والاول أصح لان السورة مكية وفعل المؤلفة فعل قريش فرد بالآية عليهم واصبر نفسك أي احبسها وثبتها * قال أبو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

وفي الحديث النهي عن صبر الحيوان أي حبسه للرمي ومع تقتضي الصحبة والموافقة والامر بالصبر هنا يظهر منه كبير اعتناء بهؤلاء الذين أمر أن يصبر نفسه معهم وهي أبلغ من التي في الانعام ولا تطرد الذين يدعون الآية * وقال ابن عمر ومجاهد وابراهيم بالغداة والعشي اشارة الى الصلوات الخمس * وقال قتادة الى صلاة الفجر وصلاة العصر وقد يقال ان ذلك يراد به العموم أي يدعون ربهم

(الدر) (ش) وانما عدى بعن لتضمن معنى عدا معنى نبا وعلا فى قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت أى غرض فى هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو ولا تعد عيناك عنهم قلت الغرض منه اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ الاترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزين الى غيرهم ونحوه قوله ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أى ولا تضموها اليها آكلين لها (ح) ماذكره من التضمين لا ينقاس عند البصريين وانما يذهب اليه عند الضرورة أما اذا أمكن اجراء اللفظ على مدلوله الوضعى فانه يكون أولى (ش) وقرأ الحسن ولا تعد من أعدى وعنه أيضا وعن عيسى والاعمش ولا تعد قال (ش) نقلا بالهمز و بنقل الحشو ومنه قوله:

فعد عما ترى اذلا ارتجاع له * لان معناه فعد همك عما ترى

(ح) وكذا قال صاحب اللوامح قال وهذا مما عديته بالتضعيف كما كان فى الاولى بالهمزة وماذهبا اليه ليس بجيد بل الهمزة والتكثير فى هذه الكلمة ليسا للتعدية وانما ذلك لموافقة افعل وفعل للفعل المجرد وانما قلنا ذلك لانه اذا كان مجردا متعدوقد أقر بذلك (ش) فانه قال يقال عداه اذا جاوزه ثم قال وانما عدى بعن للتضمين والمستعمل فى التضمين هو مجاز ولا يتسعون فيه اذا ضمنوه فيعدونه بالهمزة أو التضعيف ولو عدى بهما وهو متعد لتعدى الى اثنين وهو فى هذه القراءة ناصب مفعولا واحدا فدل على أنه ليس متعديا بهما (ش) تريد زينة الحياة الدنيا فى موضع الحال (ح) وصاحب الحال ان قدر عيناك فكان يكون التركيب تريدان زينة وان قدر الكاف فجىء الحال من المجرور بالاضافة مثل هذا فيها اشكال لاختلاف العامل فى الحال وذى الحال وقد أجاز ذلك بعضهم اذا كان المضاف جزءا أو كالجزء وحسن ذلك هنا أن المقصود نهيه هو عليه السلام عن الاعراض عنهم والميل الى غيرهم وانما جئ بقوله عيناك والمقصود هو لانهما بهما تكون المراعاة للشخص والتلفت له والمعنى ولا تعد أنت عنهم النظر الى غيرهم

دائما ويكون مثل ضرب زيد الظهر والبطن يريد جميع بدنه لا خصوص المدلول بالوضع وتقدم الكلام على قوله بالغداة والعشى قراءة واعرابا فى الانعام ولا تعد أى لا تصرف عيناك النظر عنهم الى أبناء الدنيا وعدا متعد تقول عدا فلان طوره وجاء القوم عدا زيدا فلذلك قدرنا المفعول محذوفا ليبقى الفعل على أصله من التعدية * وقال الزمخشرى وانما عدى بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا فى قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به (فان قلت) أى غرض فى هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو ولا تعد عيناك عنهم (قلت) الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزين الى غيرهم ونحو قوله ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أى ولا تضموها اليها آكلين لها انتهى وماذكره من التضمين لا ينقاس عند البصريين وانما يذهب اليه عند الضرورة واما اذا أمكن اجراء اللفظ على مدلوله الوضعى فانه يكون أولى * وقرأ الحسن ولا تعد من أعدى وعنه أيضا وعن عيسى والاعمش ولا تعد * قال الزمخشرى نقلا بالهمزة و بنقل الحشو ومنه قوله * فعد عما ترى اذلا ارتجاع له * لان معناه فعد همك عما ترى انتهى وكذا قال صاحب اللوامح * قال وهذا مما عديته بالتضعيف كما كان فى الاولى بالهمز وماذهبا اليه ليس بجيد بل الهمزة والتكثير فى هذه الكلمة ليسا للتعدية وانما ذلك لموافقة أفعل وفعل للفعل المجرد وانما قلنا ذلك لانه اذا كان مجردا متعد وقد أقر بذلك الزمخشرى فانه قال يقال عداه اذا جاوزه ثم قال وانما عدى بعن للتضمين والمستعمل فى التضمين هو مجاز ولا يتسعون فيه اذا ضمنوه فيعدونه بالهمزة أو التضعيف ولو عدى بهما وهو متعد لتعدى الى اثنين وهو فى هذه القراءة ناصب مفعولا واحدا فدل على أنه ليس معدى بهما * وقال الزمخشرى تريد زينة الحياة الدنيا فى موضع الحال انتهى * وقال صاحب الحال ان قدر عيناك فكان يكون التركيب تريدان وان قدر الكاف فجىء الحال من المجرور بالاضافة مثل هذا فيها اشكال لاختلاف العامل فى الحال وذى الحال وقد أجاز ذلك بعضهم اذا كان المضاف جزءا أو كالجزء وحسن ذلك هنا أن المقصود نهيه عليه الصلاة والسلام عن الاعراض عنهم والميل الى غيرهم وانما جىء بقوله عيناك والمقصود هو لانهما بهما تكون المراعاة للشخص والتلفت له والمعنى ولا تعد أنت عنهم النظر الى غيرهم * وقال الزمخشرى من أغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلا عنه كقولك أجبنته وأفحمته وأبخلته اذا وجدته كذلك أو من أغفل ابله اذا تركها بغير سمة أى لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان وقد أبطل الله توهم المجبرة

بقوله واتبع هواه انتهى وهذا على مذهب المعتزلة والتأويل الآخر تأويل الرمانى وكان معتزليا قال
لم نسمه بما نسم به قلوب المؤمنين بما نبين به فلاحهم كما قال كتب فى قلوبهم الايمان من قولهم بعير غفل
لم يكن عليه سمة وكتاب غفل لم يكن عليه اعجام وأما أهل السنة فيقولون ان الله تعالى أغفله حقيقة
وهو خالق الضلال فيه والغفلة * وقال المفضل أخليناه عن الذكر وهو القرآن * وقال ابن جريج
شغلنا قلبه بالكفر وغلبة الشقاء والظاهر أن المراد بمن أغفلنا كفار قريش * وقيل عيينة
والأقرع والأول أولى لان الآية مكية * وقرأ عمرو بن فائد وموسى الاسوارى وعمرو بن عبيد أغفلنا
بفتح اللام قلبه بضم الباء أسند الأفعال الى القلب * قال ابن جنى من ظننا غافلين عنه * وقال
الزمخشرى حسبنا قلبه غافلين من أغفلته اذا وجدته غافلا انتهى واتبع هواه فى طلب الشهوات
وكان أمره فرطا * قال قتادة ومجاهد ضياعا * وقال مقاتل بن حيان سرفا * وقال الفراء متروكا
* وقال الأخفش مجاوزا للحد * قيل وهو قول عتبة ان أسلمنا أسلم الناس * وقال ابن بحر الفرط
العاجل السريع كما قال وكان الانسان عجولا * وقيل ندما * وقيل باطلا * وقال ابن زيد مخالفا
للحق * وقال ابن عطية الفرط يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتضييع أى أمره الذى يجب
أن يلزم و يحتمل أن يكون بمعنى الافراط والاسراف أى أمره وهواه الذى هو بسبيله انتهى والحق
يجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف فقدره ابن عطية هذا الحق أى هذا القرآن أو هذا الاعراض
عنكم وترك الطاعة لكم وصبر النفس مع المؤمنين * وقال الزمخشرى الحق خبر مبتدإ محذوف
والمعنى جاء الحق و زاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لأنفسكم ماشئتم من الأخذ فى طريق النجاة أو
فى طريق الهلاك وجيء بلفظ الأمر والتخيير لانه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير
مأمور بان يتخير ماشاء من النجدين انتهى وهو على طريق المعتزلة و يجوز أن يكون مبتدا وخبره
من ربكم * قال الضحاك هو التوحيد * وقال مقاتل هو القرآن * وقال مكى أى الهدى
والتوفيق والخذلان من عند الله يهدى من يشاء فيوفقه فيؤمن و يضل من يشاء فيخذله فيكفر ليس
الى من ذلك شئ * وقال الكرمانى أى الاسلام والقرآن وهذا الذى لفظه لفظ الأمر معناه
التهديد والوعيد ولذلك عقبه بقوله انا أعتدنا للظالمين قال معناه ابن عباس * وقال السدى هو
منسوخ بقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله وهذا قول ضعيف والظاهر ان الفاعل بشاء عائد على
من * وعن ابن عباس من شاء الله له بالايمان آمن ومن لا فلا انتهى * وحكى ابن عطية عن فرقة
ان الضمير فى شاء عائد على الله تعالى وكأنه لما كان الايمان والكفر تابعين لمشيئة الله جاء بصيغة
الأمر حتى كأنه تحتم وقوعه مأمور به مطلوب منه * وقرأ أبو السمال قعنب وقل الحق بفتح اللام
حيث وقع * قال أبو حاتم وذلك ردىء فى العربية انتهى وعنه أيضا ضم اللام حيث وقع كأنه اتباع
لحركة القاف * وقرأ أيضا الحق بالنصب * قال صاحب اللوامح هو على صفة المصدر المقدر لان
الفعل يدل على مصدره وان لم يذكر فينصبه معرفة كنصبه اياه نكرة وتقديره وقل القول الحق
وتعلق من بمضمر على ذلك مثل هو ارجاء والله أعلم * وقرأ الحسن وعيسى الثقفى بكسر لامى الأمر
ولما تقدم الايمان والكفر أعقب بما أعد لهما فذكر ما أعد للكافرين يلى قوله فليكفر وأتى بعد
ذلك بما أعد للمؤمنين ولما كان الكلام مع الكفار وفى سياق ما طلبوا من الرسول صلى الله عليه
وسلم كانت البداءة بما أعد لهم أهم وآكد وهما طريقان للعرب هذه الطريق والأخرى انه يجعل
الأول فى التقسيم للأول فى الذكر والثانى للثانى والسرادق * قال ابن عباس حائط من نار محيط

بهم * وحكى أقضى القضاة الماوردي انه البحر المحيط بالدنيا * وحكى الكلبي انه عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار * وقيل دخان وان يستغيثوا يطلبوا الغوث مما حل بهم من النار وشدة احراقها واشتداد عطشهم يغاثوا على سبيل المقابلة والافليست اغاثة * وروى في الحديث انه عكر الزيت اذا قرب منه سقطت فروة وجهه فيه * وقال ابن عباس ماء غليظ مثل دردي الزيت * وعن مجاهد انه القيح والدم الأسود * وعن ابن جبير كل شئ ذائب قد انتهى حره وذكر ابن الانباري انه الصديد * وعن الحسن انه الرماد الذي ينفط اذا خرج من التنور * وقيل ضرب من القطران ويشوي في موضع الصفة لماء أو في موضع الحال منه لانه قد وصف فحسن مجيء الحال منه وانما اختص الوجوه لكونها عند شربهم يقرب حرها من وجوههم * وقيل عبر بالوجوه عن جميع أبدانهم والمعنى انه ينضج به جميع جلودهم كقوله كلما نضجت جلودهم والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس الشراب هو أي الماء الذي يغاثون به والضمير في ساءت عائد على النار والمرتفق * قال ابن عباس المنزل * وقال عطاء المقر * وقال القتبي المجلس * وقال مجاهد المجتمع وأنكر الطبري أن يعرف لقول مجاهد معنى وليس كذلك كان مجاهدا ذهب الى معنى الرفاقة ومنه الرفقة * وقال أبو عبيدة المتكأ * وقال الزجاج المتكأ على المرفق وأخذه الزمخشري فقال متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء * وقال ابن الانباري ساءت مطلبا للرفق لان من طلب رفقا من جهنم عدمه * وقال ابن عطية قريبا من قول ابن الانباري * قال والأظهر عندي أن يكون المرتفق بمعنى الشئ الذي يطلب رفقه باتكاء وغيره * وقال أبو عبدالله الرازي والمعنى بئس الرفقاء هؤلاء وبئس موضع الترافق النار ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا﴾ لما ذكر تعالى حال أهل الكفر وما أعدلهم في النار ذكر حال أهل الايمان وما أعدلهم في الجنة وخبر ان يحتمل أن تكون الجملة من قوله أولئك لهم وقوله انا لا نضيع الجملة اعتراض * قال ابن عطية ونحو هذا من الاعتراض قول الشاعر

ان الخليفة ان الله ألبسه * سربال ملك به ترجى الخواتيم

انتهى ولا يتعين في قوله ان الله ألبسه أن يكون اعتراضا هي اسم ان وخبرها الذي هو ترجى الخواتيم يجوز أن يكون ان الله ألبسه هو الخبر ويحتمل أن يكون الخبر قوله انا لا نضيع أجر والعائد محذوف تقديره من أحسن عملا منهم أو هو قوله من أحسن عملا على مذهب الأخفش في ربطه الجملة بالاسم اذا كان هو المبتدأ في المعنى لان من أحسن عملا هم الذين آمنوا وعملوا

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الآية خبر إن قوله أولئك والجملة من قوله إنا لا نضيع ويكون العائد محذوفا تقديره من أحسن عملا منهم ويجوز أن يكون مبتدأ خبره ما بعده ويكون توضيحا لقوله تعالى انا لا نضيع أجر ولما ذكر مكان أهل الكفر وهو النار ذكر مكان أهل الايمان وهي جنات عدن ولما ذكر هنالك ما يغاثون به وهو الماء كالمهل ذكر هنالك ما خص به أهل الجنة من كون الانهار تجري من تحتهم ذكر ما أنعم به عليهم من التحلية واللباس اللذين هما زينة ظاهرة وبدأ بالتحلية لانها أفخر من اللباس ومن الأولى يجوز أن تكون للابتداء والثانية للتبيين وقرأ أبان عن عاصم أسورة جمع سوار وقرأ الجمهور أساور جمع اسورة وهي جمع الجمع * قال الزمخشري وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وبناء التحلية للمفعول الذي لم يسم فاعله اشعارا بانهم يكرمون بذلك ولا يتعاطون ذلك بأنفسهم * قال الشاعر

*غرائر في كن وصون ونعمة
تحلين ياقوتا وشذرا مفقرا*

واسند الفعل اليهم لأن الانسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا لو كان بادي العورة ووصف الثياب بالخضرة لأنها أحسن الألوان والنفس تنبسط لها أكثر من غيرها وقد روى في ذلك أثر أنها تزيد في ضوء البصر وخص الاتكاء لأنها هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم والأرائك جمع أريكة وهي السرير والمخصوص بالمدح محذوف أي نعم الثواب ماوعدوا به والضمير في وحسنت عائد على الجنات ومرتفقا تمييز وهو محول من الفاعل

الصالحات فكأنه قال انا لا نضيع أجرهم ويحتمل أن تكون الجملتان خبرين لان على مذهب من يقتضي المبتدا خبرين فصاعدا من غير شرط أن يكونا أو يكن في معنى خبر واحد واذا كان خبران قوله انا لا نضيع كان قوله أولئك استئناف اخبار موضح لما انبهم في قوله انا لا نضيع من مبهم الجزاء * وقرأ عيسى الثقفي لا نضيع من ضيع عداه بالتضعيف والجمهور من أضاع عدوه بالهمزة ولما ذكر مكان أهل الكفر وهو النار * ذكر مكان أهل الايمان وهي جنات عدن ولما ذكر هناك ما يغاثون به وهو الماء كالمهل ذكر هنا ما خص به أهل الجنة من كون الانهار تجري من تحتهم ثم ذكر ما أنعم عليهم من التحلية واللباس اللذين هما زينة ظاهرة * وقال سعيد بن جبير يحلى كل واحد ثلاثة أساور سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ ويواقيت * وقال الزمخشري ومن الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير أساور لابهام أمرها في الحسن انتهى ويحتمل أن تكون من في قوله من ذهب للتبعيض لا للتبيين * وقرأ أبان عن عاصم من اسورة من غير ألف وبزيادة هاء وهو جمع سوار * وقرأ أيضا أبان عن عاصم وابن أبي حماد عن أبي بكر ويلبسون بكسر الباء * وقرأ ابن محيصن واستبرق بوصل الالف وفتح القاف حيث وقع جعله فعلا ماضيا على وزن استفعل من البريق ويكون استفعل فيه موافقا للمجرد الذي هو برق كما تقول قر واستقر بفتح القاف ذكره الاهوازي في الاقناع عن ابن محيصن * قال ابن محيصن وحده واستبرق بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يصرفه انتهى فظاهره انه ليس فعلا ماضيا بل هو اسم ممنوع الصرف * وقال ابن خالويه جعله استفعل من البريق ابن محيصن فظاهره انه فعل ماض وخالفهما صاحب اللوامح * قال ابن محيصن واستبرق بوصل الهمزة في جميع القرآن فيجوز انه حذف الهمزة تخفيفا على غير قياس ويجوز انه جعله عربية من برق يبرق بريقا وذلك اذا تلألأ الثوب لجدته ونضارته فيكون وزنه استفعل من ذلك فلما تسمى به عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة ومعاملة المتمكنة من الأسماء في الصرف والتنوين وأكثر التفاسير على انه عربية وليس بمستعرب دخل في كلامهم فأعربوه انتهى ويمكن أن يكون القولان روايتين عنه فتح القاف وصرفه التنوين وذكر أبو الفتح بن جني قراءة فتح القاف وقال هذا سهو أو كالسهو انتهى وانما قال ذلك لانه جعله اسما ومنعه من الصرف لا يجوز لانه غير علم وقد أمكن جعله فعلا ماضيا فلا تكون هذه القراءة سهوا * قال الزمخشري وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وقدمت التحلية على اللباس لان الحلي في النفس أعظم والى القلب أحب وفي القيمة أغلى وفي العين أحلى وبناء فعله للمفعول الذي لم يسم فاعله اشعارا بأنهم يكرمون بذلك ولا يتعاطون ذلك بأنفسهم كما قال الشاعر

غرائر في كن وصون ونعمة * تحلين ياقوتا وشذرا مفقرا

وأسند اللباس اليهم لان الانسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا لو كان بادي العورة ووصف الثياب بالخضرة لأنها أحسن الالوان والنفس تنبسط لها أكثر من غيرها وقد روى في ذلك أثرا أنها تزيد في ضوء البصر وقال بعض الادباء

أربعة مذهبة لكل هم وحزن * الماء والخضرة والبستان والوجه الحسن

وخص الاتكاء لانها هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم * وقرأ ابن محيصن على الارائك بنقل الهمزة الى لام التعريف وادغام لام على فيها فتحذف ألف على لتوهم سكون لام التعريف والنطق

﴿واضرب لهم﴾ الآية قيل نزلت في أخوين من بني مخزوم الاسود بن عبد الاسود بن عبد ياليل وكان كافرا وابى سلمة عبد الله ابن الاسود وكان مؤمنا وقيل غير ذلك والضمير في لهم عائد على المتجبرين الطالبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد ضعفاء المؤمنين فالرجل الكافر بازاء المتجبرين والمؤمن بازاء ضعفاء المؤمنين وظهر بضرب المثل الربط بين هذه الآية والتي قبلها إذ كان من أشرك انما افتخر بماله وأنصاره وهذا قد يزول فيصير الغني فقيرا وانما المفاخرة بطاعة الله تعالى * واضرب لهم مثلا الآية قصة رجلين وجعلنا تفسير للمثل فلا موضع له من الاعراب وأبهم في قوله جعلنا لأحدهما وتبين أنه الكافر الشاك في البعث وأبهم تعالى مكان الجنتين اذ لا يتعلق بتعيينه كبير فائدة وذكر ابراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجائب البلاد أن بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين وكانتا لأخوين فباع أحدهما نصيبه من الآخر وأنفقه في طاعة الله حتى عيره الآخر وجرت بينهما هذه المحاورة قال فغرقهما الله في ليلة واياها عنى بهذه الآية * قال ابن عطية وتأمل هذه الهيئة التي ذكرها الله فان المرء لا يكاد يتخيل أجل منها في مكاسب الناس جنتا عنب أحاط بهما نخل وبينهما فسحة هي مزدرع لجميع الحبوب والماء المعين يسقي جميع ذلك من النهر ﴿وحففناهما﴾ حففه طاف به من جوانبه قال

يحفه جانبا نيق ويتبعه * مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد *

وحففته به جعلته مطيفا

﴿كلتا الجنتين﴾ أي كل واحدة منهما فلذلك أفرد في قوله آتت أكلها وقد راعى معنى التثنية في قوله وفجرنا خلالهما أي فثنى الضمير وهو ضمير الجنتين * وقال الشاعر

كلاهما حين جد الجري بينهما * قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي

فثنى في أقلعا وأفرد في رابي ﴿ولم تظلم منه شيأ﴾ أي لم ينقص منه وقرئ ثمر وثمر ويظهر من قوله فقال لصاحبه أنه ليس أخاه ﴿وهو يحاوره﴾ جملة حالية والظاهر أن ذا الحال هو القائل أي يفتخر عليه بكثرة ماله وعزة نفسه ومالا ونفرا تمييزان بعد أفعل التفضيل * وقال الزمخشري فان قلت لم أفرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما انتهى ولا يتصور ما قاله لان قوله ودخل جنته

به علم ائك ومثله قول الشاعر

فما أصبحت على الارض نفس برية * ولا غيرها الا سليمان بالها

يريد على الارض والمخصوص بالمدح محذوف أي نعم الثواب ما وعدوا به والضمير في حسنت عائد على الجنات ﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا * وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا * ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا * قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا * لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحد * ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا﴾ * حفه طاف به من جوانبه * قال الشاعر

يحفه جانبا نيق ويتبعه * مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد

وحففته به جعلته مطيفا به وحف به القوم صاروا في حفته وهي جوانبه * كلتا اسم مفرد اللفظ عند البصريين مثنى المعنى ومثنى لفظا ومعنى عند البغداديين وتاؤه عند البصريين غير الجرمي بدل من واو فاصله كلوى والالف فيه للتأنيث وزائدة عند الجرمي والالف منقلبة عن أصلها ووزنها عنده فعيل * المحاورة مراجعة الكلام من حار اذا رجع * البيدودة الهلاك ويقال منه باد يبيد بيودا وبيدودة * قال الشاعر

فلئن باد أهله * لبما كان يوهل

النطفة القليل من الماء يقال ما في القربة من الماء نطفة المعنى ليس فيها قليل ولا كثير وسمي المني نطفة لانه ينطف أي يقطر قطرة بعد قطرة وفي الحديث جاء ورأسه ينطف ماء أي يقطر * الحسبان في اللغة الحساب ويأتي أقوال أهل التفسير فيه * الزلق مالا يثبت فيه القدم من الارض ﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره

أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا ﴾ قيل نزلت في أخوين من بنى مخزوم الأسود بن عبد الاسود بن عبد ياليل وكان كافرا وأبى سلمة عبد الله بن الاسود كان مؤمنا * وقيل أخوان من بنى اسرائيل فرطوس وهو الكافر * وقيل اسمه قطفير و يهوذا وهو المؤمن فى قول ابن عباس * وقال مقاتل اسمه تمليخا وهو المذكور فى الصافات فى قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين وعن ابن عباس انهما ابنا ملك من بنى اسرائيل أنفق أحدهما ماله فى سبيل الله وكفر الآخر واشتغل بزينة الدنيا وتنمية ماله * وعن مكى انهما رجلان من بنى اسرائيل اشتركا فى مال كافر ستة آلاف فاقتسماها * وروى انهما كانا حدادين كسبا مالا * وروى انهما ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر أرضا بألف وبنى دارا بألف وتزوج امرأة بألف واشترى خدما ومتاعا بألف واشترى المؤمن أرضا فى الجنة بألف فتصدق به وجعل ألفا صداقا للحور فتصدق به واشترى الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله والضمير فى لهم عائد على المتجبرين الطالبين من الرسول صلى الله عليه وسلم طرد الضعفاء المؤمنين فالرجل الكافر بازاء المتجبرين والرجل المؤمن بازاء ضعفاء المؤمنين وظهر بضرب هذا المثل الربط بين هذه الآية والتى قبلها اذ كان من أشرك انما افتخر بماله وأنصاره وهذا قد يزول فيصير الغنى فقيرا وانما المفاخرة بطاعة الله والتقدير واضرب لهم مثلا قصة رجلين وجعلنا تفسير للمثل فلا موضع له من الاعراب ويجوز أن يكون موضعه نصبا نعتا لرجلين وأبهم فى قوله جعلنا لاحدهما وتبين انه هو الكافر الشاك فى البعث وأبهم تعالى مكان الجنتين اذ لا يتعلق بتعيينه كبير فائدة وذكر ابراهيم بن القاسم الكاتب فى كتابه فى عجائب البلاد ان بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين وكانتا لأخوين فباع أحدهما نصيبه من الآخر وأنفقه فى طاعة الله حتى عيره الآخر وجرت بينهما هذه المحاورة قال فغرقها الله فى ليلة واياهما عنى بهذه الآية * قال ابن عطية وتأمل هذه الهيئة التى ذكر الله فان المرء لا يكاد يتخيل أجل منهما فى مكاسب الناس جنتا عنب أحاط بهما نخل بينهما فسحة هى مزدرع لجميع الحبوب والماء المعين يسقى جميع ذلك من النهر * وقال الزمخشرى جنتين من أعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة انتهى * وقرأ الجمهور كلتا الجنتين وفى مصحف عبد الله كلا الجنتين أتى بصيغة التذكير لأن تأنيث الجنتين مجازى ثم قرأ آتت فأنث لأنه ضمير مؤنث فصار نظير قولهم طلع الشمس وأشرقت * وقال الفراء فى قراءة ابن مسعود كل الجنتين آتى أكله انتهى فأعاد الضمير على كل * وقال الزمخشرى جعلها أرضا جامعة للأقوات والفواكه ووصف العمارة بأنهما متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجارى فيها والاكل الثمر * وقرأ الجمهور وفجرنا بتشديد الجيم * وقال الفراء انما شدد وفجرنا وهو نهر واحد لأن النهر يمتد فكان التفجر فيه كله أعلم الله تعالى ان شربهما كان من نهر واحد وهو أغزر الشرب * وقرأ الاعمش وسلام ويعقوب وعيسى بن عمر بتخفيف الجيم

يدخلهما معا فى وقت واحد والمعنى ودخل جنته يرى صاحبه ماهى عليه من البهجة والنضارة والحسن وهو ظالم لنفسه جملة حالية أى وهو كافر بنعمة ربه مغتر بما ملكه شاك فى نفاد ما خوله وفى البعث الذى حاوره فيه صاحبه والظاهر أن الاشارة بقوله هذه الى الجنة التى دخلها وعنى بالأبد أبد حياته وذلك لطول أمله وتمادى غفلته وحسن قيامه عليها بما أوتى من المال والخدم فهى باقية مدة حياته على حالها من الحسن والنضارة والحسن يقتضى أن أحوال الدنيا بأسرها غير باقية ﴿أن تبيد هذه﴾ أى تهلك هذه اشارة الى الجنة التى دخلها ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ هذا شك فى قيام الساعة وهو كفر ثم أقسم على أنه ان رد الى ربه على سبيل قياس الأخرى على الدنيا وكما يزعم صاحبه ليجدن فى الآخرة خيرا من جنته تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما أولاه الجنتين فى الدنيا الا استحقاقه وأن معه هذا الاستحقاق أين توجه كقوله ان لى عنده للحسنى ومعنى منقلبا مرجعا وعاقبة أى منقلب الآخرة لبقائها خير من منقلب الدنيا لزوالها وانتصب منقلبا على التمييز

وكذا قرأ الأعمش في سورة القمر والتشديد في سورة القمر أظهر لقوله عيونا وقوله هنا نهرا وانتصب خلالهما على الظرف أي وسطهما كان النهر يجري من داخل الجنتين * وقرأ الجمهور نهرا بفتح الهاء * وقرأ أبو السمال والفياض بن غزوان وطلحة بن سليمان بسكون الهاء * وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن عامر وحمزة والكسائي وابن كثير ونافع وجماعة قراء المدينة ثمر وبثمر بضم الثاء والميم جمع ثمار * وقرأ الأعمش وأبو رجاء وأبو عمرو باسكان الميم فيهما تخفيفا أو جمع ثمرة كبدنة وبدن * وقرأ أبو جعفر والحسن وجابر بن زيد والحجاج وعاصم وأبو حاتم ويعقوب عن رويس عنه بفتح الثاء والميم فيهما * وقرأ رويس عن يعقوب ثمر بضمهما وبثمره بفتحهما فمن قرأ بالضم * قال ابن عباس وقتادة الثمر جميع المال من الذهب والحيوان وغير ذلك * وقال النابغة

مهلا فداء لك الأقوام كلهم * وما أثمروا من مال ومن ولد

* وقال مجاهد يراد بها الذهب والفضة خاصة * وقال ابن زيد هي الأصول فيها الثمر * وقال أبو عمرو ابن العلاء الثمر المال فعلى هذا المعنى انه كانت له الى الجنتين أموال كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان متمكنا من عمارة الجنتين وأما من قرأ بالفتح فلا اشكال انه يعني به حمل الشجر * وقرأ أبو رجاء في رواية ثمر بفتح الثاء وسكون الميم وفي مصحف أبي وآتيناه ثمرا كثيرا وينبغي أن يجعل تفسيرا ويظهر من قوله فقال لصاحبه أنه ليس أخاه وهو يحاوره جملة حالية والظاهر ان ذا الحال هو القائل أي يراجعه الكلام في انكاره البعث وفي اشراكه بالله * وقيل هي حال من صاحبه أي المسلم كان يحاوره بالوعظ والدعاء الى الله والى الايمان بالبعث والظاهر كون أفعل للتفضيل وأن صاحبه كان له مال ونفر ولم يكن سبروتا كما ذكر أهل التاريخ وأنه جاء يستعطيه ويدل على ذلك كونه قابله بقوله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا وهذا على عادة الكفار في الافتخار بكثرة المال وعزة العشيرة والتكبر والاغترار بما نالوه من حطام الدنيا ومقالته تلك لصاحبه بازاء مقالة عيينة والاقرع للرسول صلى الله عليه وسلم نحن سادات العرب وأهل الوبر والمدر فنح عنا سلمان وقرناءه وعنى بالنفر أنصاره وحشمه * وقيل أولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث واستدل على أنه لم يكن أخاه بقوله وأعز نفرا اذ لو كان أخاه لكان نفره وعشيرته نفر أخيه وعشيرته وعلى التفسيرين السابقين لا يرد هذا أما من فسر النفر بالعشيرة التي هي مشتركة بينهما فيرد وأفرد الجنة في قوله ودخل جنته من حيث الوجود كذلك لانه لا يدخلهما معا في وقت واحد * وقال الزمخشري (فان قلت) لم أفرد الجنة بعد التثنية (قلت) معناه ودخل ماهو جنته ماله جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما انتهى ولا يتصور ما قال لان قوله ودخل جنته اخبار من الله تعالى بدخول ذلك الكافر جنته فلا بد ان قصد في الاخبار أنه دخل احدى جنتيه اذ لا يمكن أن يدخلهما معا في وقت واحد والمعنى ودخل جنته يري صاحبه ماهي عليه من البهجة والنضارة والحسن وهو ظالم لنفسه جملة حالية أي وهو كافر بنعمة ربه مغتر بما ملكه شاك في نفاد ما خوله وفي البعث الذي حاوره فيه صاحبه والظاهر ان الاشارة بقوله هذه الى الجنة التي دخلها وعنى بالابد أبد حياته وذلك لطول أمله وتمادي غفلته وحسن قيامه عليها بما أوتي من المال والخدم فهي باقية مدة حياته على حالها من الحسن والنضارة والحس يقتضي ان أحوال الدنيا بأسرها غير باقية أو يكون قائلا بقدم العالم وأن ما حوته هذه الجنتان فنيت أشخاص أثمارها فتخلفها أشخاص أخر وكذا دائما ويبعد قول من قال يحتمل أن يشير بهذه الى الهيئة

(الدر)

(ش) فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ماهو جنته ماله جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما (ح) لا يتصور ما قاله لأن قوله ودخل جنته اخبار من الله تعالى بدخول ذلك الكافر جنته فلا بد أن قصد في الاخبار أنه دخل احدى جنتيه اذ لا يمكن أن يدخلهما معا في وقت واحد

﴿قال له صاحبه وهو يحاوره﴾ الآية وهو يحاوره حال من الفاعل وهو صاحبه وأكفرت استفهام انكار وتوبيخ حيث أشركت مع الله غيره ثم نبهه على أصل نشأته وايجاده بعد العدم وأن ذلك دليل على جواز البعث من القبور ثم تحتم ذلك باخبار الصادقين وهم الرسل عليهم السلام * وقوله خلقك من تراب اما أن يراد خلق أصلك من تراب وهو آدم صلى الله عليه وسلم وخلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له وأن يراد ان ماء الرجل يتولد من أغذية راجعة الى التراب فنبهه أولا على ما تولد منه ماء ابيه ثم ثانية على النطفة التي هي ماء أبيه وانتصب رجلا على الحال والعامل فيه سوّاك ولما لم يكن الاستفهام استفهام اعلام وانما هو استفهام انكار وتوبيخ فهو في الحقيقة تقرير على كفره واخبار عنه به لأن معناه قد كفرت بالذي خلقك استدرك هو مخبرا عن حال نفسه فقال ﴿لكنا هو الله ربي﴾ اقرارا بتوحيد الله تعالى وأنه لا يشرك به وقرئ لكن بتشديد النون بغير ألف في الوصل وبالف في الوقف وأصله ولكن أنا ونقل حركة الهمزة الى نون لكن وحذف الهمزة فالتقى مثلان فأدغم أحدهما في الآخر وأما في الوقف فانه أثبت ألف أنا وهو المشهور في الوقف على أنا ومثال اثباتها في الوصل أنا سيف العشيرة فاعرفوني * حميدا قد تذربت السنانا كان الأصل لكن أنا وحصل الادغام وقال الزمخشري

ونحوه يعني ونحو ادغام نون لكن في نون أنا بعد حذف الهمزة قول القائل

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب
وتقلينني ولكن اياك لا أقلي

أي لكن أنا لا أقليك انتهى لا يتعين ما قاله في البيت لجواز أن يكون التقدير لكنني فحذف اسم لكن وذكروا أن حذفه فصيح اذا دل عليه الكلام وأنشدوا على ذلك قول الشاعر

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي
ولكن زنجي عظيم المشافر

في رواية من روى زنجي بالرفع أي ولكنك زنجي فأنا مبتدأ وهو ضمير الشأن مبتدأ ثان والله مبتدأ ثالث وربي خبره والثالث وخبره خبر عن الثاني والثاني وخبره خبر عن أنا والعائد عليه هو الياء في ربي وصار التركيب نظير هند هو زيد ضربها وفي قوله ﴿ولا أشرك بربي أحدا﴾ تعريض باشراك صاحبه وانه مخالفه في ذلك وقد صرح بذلك في صاحبه في قوله ياليتني لم أشرك بربي أحدا ولولا تحضيضية بمعنى هلا ففصل بينها وبين فعل التحضيض باذ وهو ظرف لما مضى والعامل فيه قلت وما في ما شاء شرطية منصوبة بشاء والجواب محذوف تقديره أي شئ شاء الله كان ويجوز أن تكون ما موصولة مبتدأة والخبر محذوف تقديره الذي شاء الله كان ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر الذي شاء الله ثم نصحه بالتبري من القوة فيما يحاوله ويعانيه وأن يجعل القوة لله ثم أردف تلك النصيحة بترجيه من الله تعالى وتوقعه ان يقلب ما به وما بصاحبه من الفقر والغنى فقال ﴿ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا﴾ أي اني أتوقع من صنع الله واحسانه أن يمنحني جنة خيرا من جنتك لايماني به ويزيل عنك نعمتك لكفرك به ويخرب بستانك وقرئ أقل بالنصب مفعولا ثانيا لترني وهي علمية لا بصرية لوقوع أنا فصلا ويجوز أن يكون توكيدا للضمير المنصوب في ترني ويجوز أن تكون بصرية وأنا توكيد للضمير المنصوب في ترني فيكون أقل حالا

من السموات والارض وأنواع المخلوقات ودل كلامه على أن المحاورة التي كانت بينهما هي في فناء هذا العالم الذي هذه الجنة جزء منه وفي البعث الاخروي ان صاحبه كان تقرر له هذان الامران وهو يشك فيهما ثم أقسم على أنه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وقياس الاخرى على الدنيا وكما زعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين في الدنيا الا لاستحقاقه وأن معه هذا الاستحقاق أين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى وأما ما حكى الله تعالى عما قاله العاص بن وائل لأوتين مالا وولدا فليس على حد مقالة هذا لصاحبه لان العاصي قصد الاستخفاف وهو مصمم على التكذيب وهذا قال ما معناه ان كان ثم رجوع فسيكون حالي كذا وكذا * وقرأ ابن الزبير وزيد بن علي وأبو بحرية وأبو جعفر وشيبة وابن محيصن وحميد وابن مناذر ونافع وابن كثير وابن عامر منهما على التثنية وعود الضمير على الجنتين وكذا في مصاحف مكة والمدينة والشام * وقرأ الكوفيون وأبو عمرو منها على التوحيد وعود الضمير على الجنة المدخولة وكذا في مصاحف الكوفة والبصرة ومعنى منقلبا مرجعا وعاقبة أي منقلب الآخرة لبقائها خير من منقلب الدنيا لزوالها وانتصب منقلبا على التمييز المنقول من المبتدإ ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا

وقرئ أقل بالرفع على أن يكون أنا مبتدأ وأقل خبره والجملة في موضع مفعول ترني الثاني ان كانت علمية وفي موضع الحال ان كانت بصرية ويدل عليه وولدا على أن قول لصاحبه وأعز نفرا عنى به الأولاد ان قابل كثرة المال بالقلة وعزة النفر بقلة الأولاد والحسبان قال ابن عطية العذاب وقيل غير ذلك وهذا الترجي ان كان ذلك أن يؤتيه في الدنيا فهو أنكى للكافر وآلم اذ يرى حاله من الغنى قد انتقلت الى صاحبه وان كان ذلك أن يؤتيه في الآخرة فهو أشرف وأذهب مع الخير والصلاح ﴿فتصبح صعيدا﴾ أي أرضا بيضاء لا نبات فيها لا من كرم ولا نخل ولا زرع قد اصطلم جميع ما فيها فبقيت يبابا قفرا يزلق عليها لاملاسها والزلق الذي لا يثبت عليه قدم ذهبت غراسه ونباته وسلب المنافع حتى منفعة المشي فيه فهو وحل لا ينبت ولا يثبت فيه قدم فترجى المؤمن بجنة هذا الكافر آفة علوية من السماء أو آفة سفلية من الارض وهو غور مائها فيتلف كل ما فيها

من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا ﴿

وهو يحاوره حال من الفاعل وهو صاحبه المؤمن * وقرأ أبي وهو يخاصمه وهي قراءة تفسير لا قراءة رواية لمخالفته سواد المصحف ولان الذي روي بالتواتر هو يحاوره لا يخاصمه وأكفرت استفهام انكار وتوبيخ حيث أشرك مع الله غيره * وقرأ ثابت البناني ويلك أكفرت وهو تفسير معنى التوبيخ والانكار لا قراءة ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نبهه على أصل نشأته وايجاده بعد العدم وان ذلك دليل على جواز البعث من القبور ثم تحتم ذلك باخبار الصادقين وهم الرسل عليهم السلام وقوله خلقك من تراب اما أن يراد خلق أصلك من تراب وهو آدم عليه السلام وخلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له أو أريد ان ماء الرجل يتولد من أغذية راجعة الى التراب فنبهه أولا على ما تولد منه ماء أبيه ثم ثانيه على النطفة التي هي ماء أبيه وأما ما نقل من ان ملكا وكل بالنطفة يلقي فيها قليلا من تراب قبل دخولها في الرحم فيحتاج الى صحة نقل ثم نبهه على تسويته رجلا وهو خلقه معتدلا صحيح الأعضاء ويقال للغلام اذا تم شبابه قد استوى * وقيل ذكره بنعمة الله عليه في كونه رجلا ولم يخلقه أنثى نبهه بهذه التنقلات على كمال قدرته وانه لا يعجزه شيء * قال الزمخشري سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لأنعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا انتهى وانتصب رجلا على الحال * وقال الحوفي رجلا نصب بسوى أي جعلك رجلا فظاهره انه عدى سوى الى اثنين ولما لم يكن الاستفهام استفهام استعلام وانما هو استفهام انكار وتوبيخ فهو في الحقيقة تقرير على كفره واخبار عنه به لان معناه قد كفرت بالذي استدرك هو مخبرا عن نفسه فقال لكنا هو الله ربي اقرار بتوحيد الله وأنه لا يشرك به غيره * وقرأ الكوفيون وأبو عمرو وابن كثير ونافع في رواية ورش وقالون لكن بتشديد النون بغير ألف في الوصل وبألف في الوقف وأصله ولكن أنا نقل حركة الهمزة الى نون لكن وحذف الهمزة فالتقى

من الشجر والزرع وغورا مصدر خبر عن اسم أصبح على سبيل المبالغة وأو تصبح معطوف على قوله ويرسل والضمير في له عائد على الماء أي لن تقدر على طلبه لكونه ليس مقدورا على رد ما غوره الله تعالى وبلغ الله المؤمن ما ترجاه من هلاك ما بيد صاحبه الكافر وابادته على خلاف ما ظن في قوله ما أظن أن تبيد هذه أبدا فاخبر الله تعالى أنه أحيط بثمره وهو عبارة عن الاهلاك وأصله الاحاطة و ﴿يقلب كفيه﴾ ظاهره أنه يقلب كفيه ظهرا لبطن ندما ولما كان هذا الفعل كناية عن الندم عداه تعدية فعل الندم فقال ﴿على ما أنفق فيها﴾ كأنه قال لأصبح نادما على ذهاب ما أنفق في عمارة تلك الجنة ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ تقدم الكلام عليه في أواخر البقرة وتمنيه انتفاء اشراكه الظاهر انه صدر منه ذلك في حالة الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة وفي قوله ترني دليل على إيمانه ولما افتخر بكثرة ماله وعز نفره أخبر تعالى أنه لم يكن له فئة أي جماعة تنصره ولا كان هو منتصرا بنفسه وجمع الضمير في ينصرونه على المعنى كما أفرده على اللفظ في قوله تقاتل والحقيقة في هنالك أن يكون ظرف مكان للبعد وتقدم في الكلام ما يدل على الدار الآخرة فالظاهر أنه أشير به لدار الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله تعالى لمن الملك اليوم والولاية مبتدأ وهنالك الخبر وقرئ الولاية بكسر الواو وفتحها وقرئ الحق بكسر القاف صفة لله وقرئ الحق بالرفع صفة للولاية هو خير مبتدأ وخبر ﴿وثوابا﴾ تمييز ولما كان هنالك اشارة الى الدار الآخرة ناسب ذكر الخيرية الثواب فيها ﴿وعقبى﴾ بمعنى العاقبة

مثلان فأدغم أحدهما فى الآخر * وقيل حذف الهمزة من أنا على غير قياس فالتقت نون لكن وهى ساكنة مع نون أنا فأدغمت فيها وأما فى الوقف فانه أثبت ألف أنا وهو المشهور فى الوقف على أنا وأما فى الوصل فالمشهور حذفها وقد أبدلها ألفا فى الوقف أبو عمرو فى رواية فوقف لكنه ذكره ابن خالويه * وقال ابن عطية وروى هارون عن أبى عمرو لكنه هو الله ربى بضمير لحق لكن * وقرأ ابن عامر ونافع فى رواية المسيلى وزيد بن على والحسن والزهرى وأبو بحرية ويعقوب فى رواية وأبو عمرو فى رواية وكردم وورش فى رواية وأبو جعفر باثبات الالف وقفا ووصلا أما فى الوقف فظاهر وأما فى الوصل فبنو تميم يثبتونها فيه فى الكلام وغيرهم فى الاضطرار فجاء على لغة بنى تميم وعن أبى جعفر حذف الالف وصلا ووقفا وذلك من رواية الهاشمى ودل اثباتها فى الوصل أيضا على ان أصل ذلك لكن أنا * وقال الزمخشرى وحسن ذلك يعنى اثبات الالف فى الوصل وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة انتهى ويدل على ذلك أيضا قراءة فرقة لكننا بحذف الهمزة وتخفيف النونين * وقال أيضا الزمخشرى ونحوه يعنى ونحو ادغام نون لكن فى نون أنا بعد حذف الهمزة * قول القائل

وترميننى بالطرف أى أنت مذنب * وتقليننى لكن اياك لا أقلى

أى لكن أنا لا أقليك انتهى ولا يتعين ماقاله فى البيت لجواز أن يكون التقدير لكننى فحذف اسم لكن وذكروا ان حذفه فصيح اذا دل عليه الكلام وأنشدوا على ذلك قول الشاعر

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتى * ولكن زنجى عظيم المشافر

أى ولكنك زنجى وأجاز أبو على أن تكون لكن لحقتها نون الجماعة التى فى خرجنا وضربنا ووقع الادغام لاجتماع المثلين ثم وحد فى ربى على المعنى ولو اتبع اللفظ لقال ربنا انتهى وهو تأويل بعيد * وقال ابن عطية ويتوجه فى لكنا أن تكون المشهورة من أخوات ان المعنى لكن قولى هو الله ربى الا انى لاأعرف من يقرأ بها وصلا ووقفا انتهى وذكر أبو القاسم يوسف بن على بن جبارة الهذلى فى كتاب الكامل فى القرآ ن من تأليفه مانصه بحذفها فى الحالين يعنى الالف فى الحالين يعنى الوصل والوقف حمصى وابن عتبة وقتيبة غير الثقفى ويونس عن أبى عمرو ويعنى بحمصى ابن أبى عبلة وأبا حيوة وأبا بحرية * وقرأ أبى والحسن لكن أنا هو الله على الانفصال وفكه من الادغام وتحقيق الهمز وحكاها ابن عطية عن ابن مسعود * وقرأ عيسى الثقفى لكن هو الله بغير أنا وحكاها ابن خالويه عن ابن مسعود وحكاها الاهوازى عن الحسن فأما من أثبت هو فانه ضمير الامر والشأن وثم قول محذوف أى لكن أنا أقول هو الله ربى ويجوز أن يعود على الذى خلقك من تراب أى أنا أقول هو أى خالقك الله ربى وربى نعت أو عطف بيان أو بدل ويجوز أن لا يقدر أقول محذوفة فيكون أنا مبتدا وهو ضمير الشأن مبتدا ثان والله مبتدا ثالث وربى خبره والثالث وخبره خبر عن الثانى والثانى وخبره خبر عن أنا والعائد عليه هو الياء فى ربى وصار التركيب نظير هند هو زيد ضاربها وعلى رواية هارون يجوز أن يكون هو توكيدا الضمير النصب فى لكنه العائد على الذى خلقك ويجوز أن يكون فصلا لوقوعه بين معرفين ولا يجوز أن يكون ضمير شأن لانه لاعائد على اسم لكن من الجملة الواقعة خبرا وفى قوله ولا أشرك بربى أحدا تعريض باشراك صاحبه وانه مخالفه فى ذلك وقد صرح بذلك صاحبه فى قوله ياليتنى لم أشرك بربى أحدا * وقيل أراد بذلك انه لايرى الغنى والفقر الا منه تعالى يفقر من يشاء ويغنى من يشاء * وقيل لاأعجز قدرته على

(الدر)

(ش) ونحوه يعنى ونحو ادغام نون لكن فى نون أنا بعد حذف الهمزة قول القائل

*وترميننى بالطرف أى أنت مذنب
وتقليننى لكن اياك لا أقلى*

أى لكن انا لا أقليك (ح) لا يتعين ماقاله فى البيت لجواز أن يكون التقدير لكننى فحذف اسم لكن وذكروا ان حذفه فصيح اذا دل عليه الكلام وانشدوا على ذلك قول الشاعر

*فلو كنت ضبيا عرفت قرابتى
ولكن زنجى عظيم المشافر*

فى رواية من روى زنجى بالرفع أى ولكنك زنجى

الاعادة فاسوى بينه و بين غيره فيكون اشرا كا كما فعلت أنت ولما وبخ المؤمن الكافر أورد له ما ينصحه تحضه على ان كان يقول اذا دخل جنته ماشاء الله لاقوة الا بالله أي الاشياء مقذوفة بمشيئة الله ان شاء أفقر وان شاء أغنى وان شاء نصر وان شاء خذل و يحتمل أن تكون شرطية منصوبة بشاء والجواب محذوف أي أي شئ شاء الله كان و يحتمل أن تكون موصولة بمعنى الذى مرفوعة على الابتداء أي الذى شاءه الله كائن أو على الخبر أي الامر ماشاء الله ولولا تحضيضية وفصل بين الفعل و بينها بالظرف وهو معمول لقوله قلت ثم نصحه بالتبرىء من القوة فيما يحاوله و يعانيه وأن يجعل القوة لله تعالى وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى هريرة ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة قال بلى يارسول الله قال لاقوة الا بالله اذا قالها العبد قال الله عز وجل أسلم عبدى واستسلم ونحوه من حديث أبى موسى وفيه الا بالله العلى العظيم ثم أردف تلك النصيحة بترجية من الله وتوقعه أن يقلب ما به وما بصاحبه من الفقر والغنى * فقال ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا أي انى أتوقع من صنع الله تعالى واحسانه أن يمنحنى جنة خيرا من جنتك لايمانى به و يزيل عنك نعمته لكفرك به و يخرب بستانك * وقرأ الجمهور أقل بالنصب مفعولا ثانيا لترنى وهى علمية لا بصرية لوقوع أنا فصلا و يجوز أن يكون توكيدا للضمير المنصوب فى ترنى و يجوز أن تكون بصرية وأنا توكيد للضمير فى ترنى المنصوب فيكون أقل حالا * وقرأ عيسى بن عمر أقل بالرفع على أن تكون أنا مبتدأ وأقل خبره والجملة فى موضع مفعول ترنى الثانى ان كانت علمية وفى موضع الحال ان كانت بصرية و يدل قوله وولدا على أن قول صاحبه وأعز نفرا عنى به الأولاد ان قابل كثرة المال بالقلة وعزة النفر بقلة الولد والحسبان قال ابن عباس وقتادة العذاب * وقال الضحاك البرد * وقال الكلبى النار * وقال ابن زيد القضاء * وقال الأخفش سهام ترمى فى مجرى فقلما تخطىء * وقيل النبل * وقيل الصواعق * وقيل آفة مجتاحة * وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وهذا الترجى ان كان ذلك أن يؤتيه فى الدنيا فهى أنكى للكافر وآلم اذ يرى حاله من الغنى قد انتقلت الى صاحبه وان كان ذلك أن يؤتيه فى الآخرة فهو أشرف واذهب مع الخير والصلاح فتصبح صعيدا أي أرضا بيضاء لانبات فيها لامن كرم ولا نخل ولا زرع قد اصطلم جميع ذلك فبقيت يبابا قفرا يزلق عليها لاملاسها والزلق الذى لاتثبت فيه قدم ذهب غراسه و بناؤه وسلب المنافع حتى منفعة المشى فيه فهو وحل لاينبت ولايثبت فيه قدم * وقال الحسن الزلق الطريق الذى لانبات فيه * وقيل الخراب * وقال مجاهد رملا هائلا * وقيل الزلق الأرض السبخة وترجى المؤمن لجنة هذا الكافر آفة علوية من السماء أو آفة سفلية من الارض وهو غور مائها فيتلف كل ما فيها من الشجر والزرع وغور مصدر خبر عن اسم أصبح على سبيل المبالغة وأو يصبح معطوف على قوله و يرسل لأن غؤور الماء لايتسبب على الآفة السماوية الا أن عنى بالحسبان القضاء الالهى فحينئذ يتسبب عنه اصباح الجنة صعيدا زلقا أو اصباح مائها غورا * وقرأ الجمهور غورا بفتح الغين * وقرأ البرجمى غورا بضم الغين * وقرأت فرقة بضم الغين وهمز الواو يعنون و بواو بعد الهمزة فيكون غؤورا كما جاء فى مصدر غارت عينه غؤورا والضمير فى له عائد على الماء أي لن يقدر على طلبه لكونه ليس مقدورا على رده ماغوره الله تعالى * وحكى الماوردى ان معناه لن تستطيع طلب غيره بدلا منه و بلغ الله المؤمن ماترجاه من هلاك ما بيد صاحبه الكافر وابادته على خلاف ماظن فى قوله ماأظن أن تبيد هذه أبدا فأخبر تعالى أنه أحيط بثمره وهو عبارة

عن الاهلاك وأصله من أحاط به العدو وهو استدارته به من جوانبه ومتى أحاط به ملكه واستولى عليه ثم استعملت فى كل اهلاك ومنه الا أن يحاط بكم * وقال ابن عطية الاحاطة كناية عن عموم العذاب والفساد انتهى والظاهر أن الاحاطة كانت ليلا لقوله فأصبح على أنه يحتمل أن يكون معنى فأصبح فصار فلا يدل على تقييد الخبر بالصباح وتقليب كفيه ظاهره أنه يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو أنه يبدى باطن كفه ثم يعوج كفه حتى يبدو ظهرها وهى فعلة النادم المتحسر على شئ قد فاته المتأسف على فقدانه كما يكنى بقبض الكف والسقوط فى اليد * وقيل يصفق بيده على الاخرى ويقلب كفيه ظهرا البطن * وقيل يضع باطن احداهما على ظهر الاخرى ولما كان هذا الفعل كناية عن الندم عداه تعدية فعل الندم فقال على ما أنفق فيها كأنه قال فأصبح نادما على ذهاب ما أنفق فى عمارة تلك الجنة وهى خاوية على عروشها تقدم الكلام على هذه الجملة فى أواخر البقرة وتمنيه انتفاء الشرك الظاهر أنه صدر منه ذلك فى حالة الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة وفى ذلك زجر للكفرة من قريش وغيرهم لئلا يجىء لهم حال يؤمنون فيها بعد نقم تحل بهم قيل أرسل الله عليها نارا فأكلتها فتذكر موعظة أخيه وعلم انه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا * وقال بعض المفسرين هى حكاية عن قول الكافر هذه المقالة فى الآخرة ولما افتخر بكثرة ماله وعزة نفره أخبر تعالى أنه لم تكن له فئة أى جماعة تنصره ولا كان هو منتصرا بنفسه وجمع الضمير فى ينصرونه على المعنى كما أفرده على اللفظ فى قوله فئة تقاتل فى سبيل الله واحتمل النفى أن يكون منسحبا على القيد فقط أى له فئة لكنه لا يقدر على نصره وأن يكون منسحبا على القيد والمراد انتفاؤه لانتفاء ما هو وصف له أى لا فئة فلا نصر وما كان منتصرا بقوة عن انتقام الله * وقرأ الاخوان ومجاهد وابن وثاب والأعمش وطلحة وأيوب وخلف وأبو عبيد وابن سعدان وابن عيسى الاصبهانى وابن جرير ولم يكن بالياء لأن تأنيث الفئة مجاز * وقرأ باقى السبعة والحسن وأبو جعفر وشيبة بالتاء * وقرأ ابن أبى عبلة فئة تنصره على اللفظ والحقيقة فى هنالك أن يكون ظرف مكان للبعد فالظاهر انه أشير به لدار الآخرة أى فى تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم * قيل لما نفى عنه الفئة الناصرة فى الدنيا نفى عنه أن ينتصر فى الآخرة فقال وما كان منتصرا هنالك أى فى الدار الآخرة فيكون هنالك معمولا لقوله منتصرا * وقال الزجاج أى وما كان منتصرا فى تلك الحال والولاية لله على هذا مبتدأ وخبر * وقيل هنالك الولاية لله مبتدأ وخبر والوقف على قوله منتصرا * وقرأ الاخوان والاعمش وابن وثاب وشيبة وابن غزوان عن طلحة وخلف وابن سعدان وابن عيسى الاصبهانى وابن جرير الولاية بكسر الواو وهى بمعنى الرئاسة والرعاية * وقرأ باقى السبعة بفتحها بمعنى الموالاة والصلة * وحكى عن أبى عمرو والأصمعى ان كسر الواو هنا لحن لأن فعالة انما تجىء فيما كان صنعة أو معنى متقلدا وليس هنالك تولى أمور * وقال الزمخشرى الولاية بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أى فى ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو فى مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعنى ان قوله ياليتنى لم أشرك بربى أحدا كلمة ألجئ اليها فقالها فزعا من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها او يجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفى صدورهم من أعدائهم يعنى أنه نصر فيما فعل

بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه انتهى * وقرأ النحويان وحميد والاعمش وابن أبي ليلى وابن مناذر واليزيدي وابن عيسى الأصبهاني الحق برفع القاف صفة للولاية * وقرأ باقي السبعة بخفضها وصفا لله تعالى * وقرأ أبي هنالك الولاية الحق لله برفع الحق صفة للولاية وتقديمها على قوله لله * وقرأ أبو حيوة وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وابن أبي عبلة وأبو السمال ويعقوب عن عصمة عن أبي عمرو لله الحق بنصب القاف * قال الزمخشري على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد رحمة الله عليه ورضوانه من أفصح الناس وأنصحهم انتهى وكان قد قال الزمخشري وقرأ عمرو بن عبيد رحمه الله انتهى فترحم عليه وترضى عنه اذ هو من أوائل أكابر شيوخه المعتزلة وكان على غاية من الزهد والعبادة وله أخبار في ذلك الا أن أهل السنة يطعنون عليه وعلى أتباعه وفي ذلك يقول أبو عمرو الداني في أرجوزته التي سماها المنبهة

وابن عبيد شيخ الاعتزال * وشارع البدعة والضلال

* وقرأ الحسن والاعمش وعاصم وحمزة عقبا بسكون القاف والتنوين وعن عاصم عقبى بألف التأنيث المقصورة على وزن رجعى والجمهور بضم القاف والتنوين والثلاث بمعنى العاقبة

﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ﴾

* الهشيم اليابس قاله الفراء واحده هشيمة * وقال الزجاج وابن قتيبة كل شيء كان رطبا ويبس ومنه كهشيم المحتظر وهشيم الثريد وأصل الهشيم المتفتت من يابس العشب * ذرى واذرى لغتان فرق قاله أبو عبيدة * وقال ابن كيسان تذروه تجيء به وتذهب * وقال الأخفش ترفعه * غادر ترك من الغدر ومنه ترك الوفاء ومنه الغدير وهو ما تركه السيل * الصف الشخص بازاء الآخر

﴿ واضرب لهم مثل الحياة ﴾ الآية لما بين تعالى فى المثل الأول حال الكافر والمؤمن وما آل اليه ما افتخر به الكافر من الهلاك بين فى هذا المثل حال الحياة الدنيا واضمحلالها ومصير ما فيها من النعيم والترفه الى الهلاك وكما تقدم الكلام على تفسير نظير هذه الجملة فى يونس والهشيم اليابس قاله الفراء واحده هشيمة وقال الشاعر

ولكن البلاد اذا اقشعرت * وصوح نبتها رعى الهشيم

ذرى وأذرى لغتان فرق قاله أبو عبيدة ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ قال الجمهور هى الكلمات المأثور فضلها وهى سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿ وخير أملا ﴾ أى رجاء ولما ذكر تعالى ما يؤول اليه حال الدنيا من النفاد أعقب ذلك بأوائل أحوال يوم القيامة فقال ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ والمعنى أنه ينفك نظام هذا العالم الدنيوى ويؤتى بالعالم الأخروى وانتصب يوم على اضمار اذكر وقرئ تسير مبنيا للمفعول ونسير بنون العظمة مبنيا للفاعل ﴿ وترى الأرض ﴾ وقرئ وترى مبنيا للمفعول ﴿ بارزة ﴾ حال أى منكشفة ظاهرة لذهاب الجبال والظراب والشجر والعمارة أو على حذف مضاف تقديره وترى أهل الارض بارزين من بطنها ﴿ وحشرناهم ﴾ أى أقمناهم من قبورهم وجمعناهم لعرصة القيامة وقال الزمخشرى فان قلت لم جىء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا بذلك الأهوال والعظائم وكأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك انتهى والأولى أن يكون الواو واو الحال لا واو العطف والمعنى وقد حشرناهم أى أوقع التسيير فى حالة حشرهم وقيل وحشرناهم وعرضوا ووضع الكتاب مما وضع فيه الماضى موضع المستقبل لتحقق وقوعه ولم نغادر أى لم نترك وانتصب صفا على الحال وهو مفرد تنزل منزلة الجمع أى صفوفا وفى الحديث الصحيح يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد صفوفا يسمعهم الداعى وينفذهم البصر الحديث الصحيح بطوله ﴿ لقد جئتمونا ﴾ معمول لقول محذوف تقديره وقلنا وكما خلقناكم نعت لمصدر محذوف أى مجيئا مثل مجىء خلقكم أى حفاة عراة غرلا كما فى الحديث وخالين من المال والولد وان هنا مخففة من الثقيلة وفصل بينها وبين الفعل بحرف النفى وهو لن كما فصل فى قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع وبل للاضراب بمعنى الانتقال من خبر الى خبر ليس بمعنى الابطال والمعنى أن لن نجعل لاعادتكم وحشركم موعدا أى مكان وعد أو زمان وعد لانجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء عليهم السلام من البعث والنشور والخطاب من لقد جئتمونا للكفار المنكرين البعث على سبيل تقريعهم وتوبيخهم ﴿ ووضع الكتاب ﴾ الكتاب اسم جنس أى كتب أعمال الخلق واشفاقهم خوفهم من كشف أعمالهم السيئة وفضيحتهم وما يترتب على ذلك من العذاب السرمدى

الى نهايتهم وقوفا أو جلوسا أو على غير هاتين الحالتين طولا أو تحليقا يقال منه صف يصف والجمع صفوف * العضد العضو من الانسان وغيره معروف وفيه لغتان فتح العين وضم الضاد واسكانها وفتحها وضم العين والضاد واسكان الضاد ويستعمل فى العون والنصير * قال الزجاج والاعتضاد التقوى وطلب المعونة يقال اعتضدت بفلان استعنت به * الموبق المهلك يقال وبق يوبق وبقا ووبق يبق وبوقا اذا هلك فهو وابق وأوبقته ذنوبه أهلكته * أدحض الحق أزهقه قاله ثعلب وأصله من ادحاض القدم وهو ازلاقها قال الشاعر

وردت ونجى اليشكرى حذاره * وحاد كما حاد البعير عن الدحض

﴿ وقال آخر ﴾

أبا منذر رمت الوفاء وهبته * وحدت كما حاد البعير المدحض

والدحض الطين الذى يزهق فيه * الموئل قال الفراء المنجى يقال وألت نفس فلان نجت * وقال الأعشى

وقد أخالس رب البيت غفلته * وقد يحاذر منى ثم ما يئل

أى ما ينجو * وقال ابن قتيبة الملجأ يقال وأل فلان الى كذا لجأ يئل وألا ووؤولا ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب

فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا * لما بين تعالى فى المثل الأول حال الكافر والمؤمن وما آل اليه ماافتخر به الكافر من الهلاك بين فى هذا المثل حال الحياة الدنيا واضمحلالها ومصيرمافيهامن النعيم والترفه الى الهلاك وكماء قدره ابن عطية خبرمبتدا محذوف أى هى أى الحياة الدنيا كماء * وقال الحوفى الكاف متعلقة بمعنى المصدر أى ضربا كماء أنزلناه وأقول ان كماء فى موضع المفعول الثانى لقوله واضرب أى وصير لهم مثل الحياة الدنيا أى صفتها شبه ماء وتقدم الكلام على تفسير نظير هذه الجمل فى قوله انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والأنعام فى يونس فأصبح أى صار ولا يراد تقييد الخبر بالصباح فهو كقوله

أصبحت لاأحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

* وقيل هى دالة على التقييد بالصباح لان الآفات السماوية أكثر ماتطرق ليلا فهى كقوله فأصبح يقلب كفيه * وقرأ ابن مسعود تذريه من أذرى رباعيا * وقرأ زيد بن على والحسن والنخعى والأعمش وطلحة وابن أبى ليلى وابن محيصن وخلف وابن عيسى وابن جرير الريح على الافراد * والجمهور تذروه الرياح ولماذكر تعالى قدرته الباهرة فى صيرورة ما كان فى غاية النضرة والبهجة الى حالة التفتت والتلاشى الى أن فرقته الرياح ولعبت به ذاهبة وجائية أخبر تعالى عن اقتداره على كل شئ من الانشاء والافناء وغيرهما مما تتعلق به قدرته تعالى ولما حقر تعالى حال الدنيا بماضرب من ذلك المثل ذكر ان ماافتخر به عيينة وأضرابه من المال والبنين انما ذلك زينة هذه الحياة الدنيا المحقرة وان مصير ذلك انما هو الى النفاد فينبغى أن لا يكترث به وأخبر تعالى بزينة المال والبنين على تقدير حذف مضاف أى مقر زينة أو وضع المال والبنين منزلة المعنى والكثرة فأخبر عن ذلك بقوله زينة ولماذكر ماآل مافى الحياة الدنيا الى الفناء اندرج فيه هذا الجزئى من كون المال والبنين زينة وأنتج ان زينة الحياة الدنيا فان اذ ذاك فرد من أفراد مافى الحياة الدنيا وترتيب هذا الانتاج أن يقال المال والبنون زينة الحياة الدنيا وكل ما كان زينة الحياة الدنيا فهو سريع الانقضاء فالمال والبنون سريع الانقضاء ومن بديهة العقل أن ما كان كذلك يقبح بالعاقل أن يفتخر به أو يفرح بسببه وهذا برهان على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الأموال والأولاد * والباقيات الصالحات قال الجمهور هى الكلمات المأثور فضلها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم * وقال ابن عباس وابن جبير وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل هى الصلوات الخمس * وعن ابن عباس انه كل عمل صالح من قول أوفعل يبقى للآخرة ورجحه الطبرى وقول الجمهور مروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من طريق أبى هريرة وغيره * وعن قتادة كل ماأريد به وجه الله * وعن الحسن وابن عطاء انها النيات الصالحة فان بها تتقبل الاعمال وترفع ومعنى خير عند ربك ثوابا انها دائمة باقية وخيرات الدنيا منقرضة فانية والدائم الباقى خير من المنقرض المنقضى * وخير أملا أى وخير رجاء لان صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ونصيبه فى الآخرة دون ذى المال والبنين العارى من الباقيات الصالحات فانه لا يرجو ثوابا ولماذكر تعالى مايؤول اليه حال الدنيا من النفاد أعقب ذلك بأوائل أحوال يوم القيامة فقال ويوم تسير الجبال كقوله يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا * وقال

﴿ياويلتنا﴾ نادوا هلكتهم التى هلكوا خاصة من بين الهلكات فقالوا ياويلتنا والمراد من بحضرتهم كانهم قالوا ايامن بحضرتنا انظروا هلكتنا وكذا ماجاء من نداء مالايعقل ما استفهامية مبتدأ ولهذا فى موضع الخبر تقديره أى شئ لهذا الكتاب ولا يغادر جملة حالية ﴿صغيرة﴾ أى مثل القبلة ﴿ولا كبيرة﴾ مثل الزنا وقدمت الصغيرة اهتماما بها واذا أحصيت الصغيرة فالكبيرة أحرى ﴿الا أحصاها﴾ ضبطها وحفظها ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا﴾ فى الصحف عتيدا ﴿ولايظلم ربك أحدا﴾ فيكتب عليه مالم يعمل أو يزيد فى عقابه

وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب * وقال فقـل ينسفها ربي نسفا فيـذرها قاعا صفصفا * وقال واذا الجبال سيرت والمعنى انه ينفك نظام هـذا العالم الدنيوي ويؤتى بالعالم الأخروي وانتصب ويوم على اضمار اذكر أو بالفعـل المضمر عنـد قوله لقد جئتمونا أي قلنا يوم كذا لقـد * وقرأ نافع وحمزة والكسائي والأعرج وشيبة وعاصم وابن مصرف وأبو عبـد الرحمن نسير بنون العظمة الجبال بالنصب وابن عامر وابن كثير وأبو عمرو والحسن وشبل وقتادة وعيسى والزهري وحميـد وطلحة واليزيدي والزبيري عن رجاله عن يعقوب بضم التاء وفتح الياء المشـددة مبنيا للمفعول الجبال بالرفع وعن الحسن كذلك الا انه بضم الياء باثنتـين من تحتها وابن محيصن ومحبوب عن أبي عمـر وتسير من سارت الجبال * وقـرأ أبي سيرت الجبال وترى الارض بارزة أي منكشفة ظاهـرة لذهاب الجبال والظـراب والشجر والعمارة أو ترى أهـل الارض بارزين من بطنها * وقرأ عيسى وترى الارض مبنيا للمفـعول وحشرناهم أي أقمناهم من قبورهم وجمعناهم لعرصة القيامة * وقال الزمخشري (فان قلت) لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد تسير وترى (قلت) للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كأنه قيـل وحشرناهم قبـل ذلك انتهى والأولى أن تـكون الواو واو الحال لا واو العطف والمعـنى وقد حشرناهم أي يوقع التسيير في حالة حشرهم * وقيل وحشرناهم وعرضوا ووضع الـكتاب مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه * وقرأ الجمهور نغادر بنون العظمة وقتادة تغادر على الاسناد الى القـدرة أو الارض وأبان بن يزيد عن عاصم كذلك أو بفتح الدال مبنيا للمفـعول واحد بالرفع وعصمة كذلك والضحاك نغدر بضم النون واسكان الغين وكسر الدال وانتصب صـفا على الحال وهو مفرد تنزل منزلة الجمع أي صفوفا وفي الحديث الصحيح يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا يسمعهم الداعي وينفذهم البصر الحديث بطوله وفي حديث آخر أهل الجنة يوم القيامة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا أو انتصب على المصدر الموضوع موضع الحال أي مـصطفين * وقيل المعنى صفا صفا فحذف صفا وهو مراد وهذا التكرار منبئ عن استيفاء الصفوف الى آخرها شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا لقد جئتمونا معمول لقول محذوف أي وقلنا وكما خلقنا كم نعت لمصدر محذوف أي مجيئا مثل مجيء خلقكم أي حفاة عراة غرلا كما جاء في الحديث وخالين من المال والولد وان هنا مخففة من الثقيلة وفصل بينها وبين الفعل بحرف النفي وهو لن كما فصل في قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع وبل للاضراب بمعنى الانتقال من خبر الى خبر ليس بمعنى الابطال والمعنى أن لن نجمع لاعادتكم وحشركم موعـدا أي مكان وعد أو زمان وعد لانجاز ما وعدتم على ألسنة الانبياء من البعث والنشور والخطاب في لقد جئتمونا للكفار المنكرين البعث على سبيل تقريعهـم وتوبيخهم * ووضع الـكتاب وقرأ زيد بن علي ووضع مبنيا للفاعـل الـكتاب بالنصب والـكتاب اسم جنس أي كتب أعمال الخلق ويجوز أن تـكون الصحائف كلها جعلت كتابا واحدا ووضعته الملائكة لمحاسبة الخلق واشفاقهم خوفهم من كشف أعمالهم السيئة وفضحهم وما يترتب على ذلك من العـذاب السرمدي ونادوا هلكتهم التي هلكوا خاصـة من بين الهلـكات فقالوا ياويلتنا والمراد من بحضرتهـم كأنهم قالوا يا من بحضرتنا انظروا هلكتنا وكذا ما جاء من نداء ما لا يعـقل كقوله يا أسفى على يوسف يا حسرتى على ما فرطت ياويلنا من بعثنا من مرقدنا وقول الشاعر

(الدر)

(ش) فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد تسير ويرى * قلت للدلالة على ان حشرهم قبـل التسـيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (ح) الاولى أن تـكون الواو واو الحـال لا واو العطف والمعنى حشرناهم أي يوقع التسيير في حالة حشرهم وقيل حشرناهم وعرضوا ووضع الـكتاب مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه

﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا ﴾ الآية ارتباطها بالتي قبلها هو أنه لما ذكر يوم القيامة والحشر وذكر خوف المجرمين مما سطر في ذلك الكتاب وكان ابليس هو الذي حمل المجرمين على معاصيهم واتخاذ شركاء مع الله ناسب ذكر ابليس والنهي عن اتخاذ ذريته أولياء من دون الله تبعيدا عن المعاصي وعن امتثال ما يوسوس به وتقدم الكلام في استثناء ابليس أهو استثناء متصل أو منقطع وهل هو من الملائكة أم ليس منهم في أوائل البقرة والظاهر أن معنى ففسق فخرج عما أمره به ربه من السجود والهمزة في أتتخذونه للتوبيخ والانكار والتعجب أي أبعد ما ظهر منه الفسق والعصيان أتتخذونه وذريته أولياء من دوني مع ثبوت عداوته لكم تتخذونه ولياوهو لكم عدو جملة حالية

وعدو مفرد أريد به الجمع المقابل به الجمع وهو أولياء والمخصوص بالذم محذوف أي بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته وقال للظالمين لانهم اعتاضوا من الحق بالباطل وجعلوا مكان ولايتهم الله ولايتهم ابليس وذريته وهذا نفس الظلم لانه وضع الشيء في غير موضعه ﴿ ما أشهدتهم ﴾ الذي يظهر أن المعنى اخبار من الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم وخطاب منه تعالى في انتفاء كينونته متخذ عضدا من المضلين بل هو منذ كان ووجد صلى الله عليه وسلم في غاية التبري منهم والبعد عنهم ليعلم أمته أنه لم يزل محفوظا من أول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مال اليه صلى الله عليه وسلم وقرأ علي بن أبي طالب متخذا المضلين أعمل اسم الفاعل ﴿ ويوم يقول نادوا شركائي ﴾ ليس المعنى أنه تعالى أخبر أنهم شركاؤه ولكن ذلك على زعمكم والاضافة تكون بأدنى ملابسة ومفعولا زعمتم محذوفان لدلالة المعنى عليهما اذ التقدير زعمتوهم شركائي والنداء بمعنى الاستغاثة أي استغيثوا بشركائكم والمراد نادوهم لدفع العذاب عنكم أو للشفاعة لكم والظاهر أن الضمير في بينهم عائد على الداعين والمدعوين وهم المشركون والشركاء ﴿ موبقا ﴾ الموبق المهلك يقال وبق يوبق ووبق يبق وبوقا اذا هلك فهو وابق وأوبقته ذنوبه أهلكته ﴿ ورأى المجرمون النار ﴾ هي رؤية عين أي عاينوها والظن هنا قيل على موضوعه من كونه ترجيح أحد الجائزين وكونهم لم يجزموا بدخولها رجاء وطمعا في رحمة الله ومعنى مصرفا أي معدلا ومراغا

يا عجبا لهذه الفليقة * فيا عجبا من رحلها المتحمل

انما راد به تنبيه من يعقل بالتعجب مما حل بالمنادي ولا يغادر جملة في موضع الحال * وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة * وعن ابن جبير القبلة والزنا وعن غيره السهو والعمد * وعن الفضيل ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر وقدمت الصغيرة اهتماما بها واذا أحصيت فالكبيرة أحرى الأحصاها ضبطها وحفظها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك أحدا فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه الذي يستحقه أو يعذبه بغير جرم * قال الزمخشري كما يزعم من ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين انتهى ولا يقال ان ذلك ظلم منه تعالى لأنه تعالى لكل مملوكون له فله أن يتصرف في مملوكيه بما يشاء لا يسأل عما يفعل والصحيح في أطفال المشركين انهم يكونون في الجنة خدما لأهلها نص عليه في البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ﴾ ذكروا في ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بمجالسة الفقراء وكان أولئك المتكبرون قد أنفوا عن مجالستهم وذكروا للرسول صلى الله عليه وسلم طردهم عنه وذلك لما جبلوا عليه من التكبر والتكثر بالأموال والأولاد وشرف الاصل والنسب وكان أولئك الفقراء بخلافهم في ذلك ناسب ذكر قصة ابليس بجامع ما اشتركا فيه من التكبر والافتخار بالاصل الذي خلق منه وهذا الذي ذكروه في الارتباط هو ظاهر بالنسبة للآيات السابقة قبل ضرب المثلين واما انه واضح بالنسبة لما بعد المثلين فلا والذي يظهر في ارتباط هذه الآية بالآية التي قبلها هو انه لما ذكر يوم القيامة والحشر وذكر خوف المشركين مما سطر في ذلك الكتاب وكان ابليس هو الذي حمل المجرمين على معاصيهم واتخاذ شركاء مع الله ناسب ذكر ابليس والنهي عن اتخاذ ذريته أولياء من دون الله تبعيدا عن المعاصي وعن امتثال ما يوسوس به وتقدم

الكلام فى استثناء ابليس أهو استثناء متصل أم منقطع وهل هو من الملائكة أم ليس منهم فى أوائل سورة البقرة فأغنى عن اعادته والظاهر من هذه الآية انه ليس من الملائكة وانما هو من الجن * قال قتادة الجن حى من الملائكة خلقوا من نار السموم * وقال شهر بن حوشب هو من الجن الذين ظفرت بهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء * وقال الحسن وغيره هو أول الجن وبداءتهم كآدم فى الانس * وقالت فرقة كان ابليس وقبيله جنا لكن الشياطين اليوم من ذريته فهو كنوح فى الانس * وقال الزمخشرى كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كأن قائلا قال ماله لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن أمر ربه والفاء للتسبيب أيضا جعل كونه من الجن سببا فى فسقه يعنى انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لان الملائكة معصومون ألبتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة فى عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس انتهى والظاهر ان معنى ففسق عن أمر ربه فخرج عما أمره ربه به من السجود * قال رؤبة

يهوين فى نجد وغورا غائرا * فواسقا عن قصدها جوائرا

* وقيل ففسق صار فاسقا كافرا بسبب أمر ربه الذى هو قوله اسجدوا لآدم حيث لم يمتثله * قيل ويحتمل أن يكون المعنى ففسق بأمر ربه أى بمشيئته وقضائه لان المشيئة يطلق عليها أمر كما تقول فعلت ذلك عن أمرك أى بحسب مرادك والهمزة فى أفتتخذونه للتوبيخ والانكار والتعجب أى أبعد ما ظهر منه من الفسق والعصيان تتخذونه وذريته أولياء من دونى مع ثبوت عداوته لكم تتخذونه وليا * وقرأ عبيد الله بن زياد على المنبر وهو يخطب أفتتخذونه وذريته بفتح الذال والظاهر أن لابليس ذرية وقال بذلك قوم منهم قتادة والشعبى وابن زيد والضحاك والاعمش * قال قتادة ينكح وينسل كما ينسل بنو آدم * وقال الشعبى لا يكون ذرية الا من زوجة * وقال ابن زيد ان الله قال لابليس انى لا أخلق لآدم ذرية الا ذرأت لك مثلها فليس يولد لولد آدم ولد الا ولد معه شيطان يقرن به * وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم ألك شيطان قال نعم الا ان الله تعالى أعاننى عليه فأسلم وسمى الضحاك وغيره من ذرية ابليس جماعة الله أعلم بصحة ذلك وكذلك ذكروا كيفيات فى وطئه وانساله الله أعلم بذلك وذهب قوم الى انه ليس لابليس ولد وانما الشياطين هم الذين يعينونه على بلوغ مقاصده والمخصوص بالذم محذوف أى بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته وقال للظالمين لانهم اعتاضوا من الحق بالباطل وجعلوا مكان ولايتهم ابليس وذريته وهذا نفس الظلم لانه وضع الشئ فى غير موضعه * وقرأ الجمهور ما أشهدتهم بتاء المتكلم * وقرأ أبو جعفر وشيبة والسختيانى وعون العقيلى وابن مقسم ما أشهدناهم بنون العظمة والظاهر عود ضمير المفعول فى أشهدتهم على ابليس وذريته أى لم أشاورهم فى خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم بل خلقتهم على ما أردت ولهذا قال وما كنت متخذ المضلين عضدا * وقال الزمخشرى يعنى انكم اتخذتم شركاء لى فى العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء فى الالهية فنفى مشاركتهم فى الالهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض لأعتضد بهم فى خلقها ولا خلق أنفسهم أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم وما كنت متخذهم أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم

بالاضلال فاذا لم يكونوا لي عضدا في الخلق فالكم تتخذونهم شركاء في العبادة انتهى * وقيل يعود على الملائكة والمعنى انه ما أشهدهم ذلك ولا استعان بهم في خلقها بل خلقهم ليطيعوني و يعبدوني فكيف يعبدونهم * وقيل يعود على الكفار * وقيل على جميع الخلق * وقال ابن عطية الضمير في أشهدتهم عائد على الكفار وعلى الناس بالجملة فتتضمن الآية الرد على طوائف من المنجمين وأهل الطبائع والمتحكمين والأطباء وسواهم من كل من يتخرص في هذه الأشياء وقاله عبد الحق الصقلي وتأول هذا التأويل في هذه الآية وانها رادة على هذه الطوائف وذكر هذا بعض الأصوليين انتهى * وقرأ أبو جعفر والجحدري والحسن وشيبة وما كنت بفتح التاء خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم * قال الزمخشري والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم انتهى والذي أقوله أن المعنى اخبار من الله عن نبيه وخطاب منه تعالى له في انتفاء كينونته متخذ عضد من المضلين بل هو منذ كان و وجد عليه السلام في غاية التبري منهم والبعد عنهم لتعلم أمته أنه لم يزل محفوظا من أول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مال اليه صلى الله عليه وسلم * وقرأ علي بن أبي طالب متخذا المضلين أعمل اسم الفاعل * وقرأ عيسى عضدا بسكون الضاد خفف فعلا كما قالوا رجل وسبع في رجل وسبع وهي لغة عن تميم وعنه أيضا بفتحتين * وقرأ شيبة وأبو عمرو في رواية هارون وخارجة والخفاف عضدا بضمتين وعن الحسن عضدا بفتحتين وعنه أيضا بضمتين * وقرأ الضحاك عضدا بكسر العين وفتح الضاد * وقرأ الجمهور و يوم يقول بالياء أي الله * وقرأ الاعمش وطلحة ويحيى وابن أبي ليلى وحمزة وابن مقسم نقول بنون العظمة أي للذين أشركوا به في الدنيا نادوا شركائي وليس المعنى انه تعالى أخبر انهم شركاؤه ولكن ذلك على زعمكم والاضافة تكون بأدنى ملابسة ومفعولا زعمتم محذوفان لدلالة المعنى عليهما اذ التقدير زعمتموهم شركائي والنداء بمعنى الاستغاثة أي استغيثوا بشركائكم والمراد نادوهم لدفع العذاب عنكم أو للشفاعة لكم والظاهر ان الضمير في بينهم عائد على الداعين والمدعوين وهم المشركون والشركاء * وقيل يعود على أهل الهدى وأهل الضلالة والظاهر وقوع الدعاء حقيقة وانتفاء الاجابة * وقيل يحتمل أن يكون استعارة كأن فكرة الكافر ونظره في أن تلك الجمادات لا تغني شيئا ولا تنفع هي بمنزلة الدعاء وترك الاجابة * وقرأ الجمهور شركائي ممدودا مضافا للياء وابن كثير وأهل مكة مقصورا مضافا لها أيضا والظاهر انتصاب بينهم على الظرف * وقال الفراء البين هنا الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة فعلى هذا يكون مفعولا أول لجعلنا وعلى الظرف يكون في موضع المفعول الثاني * وقال ابن عباس وقتادة والضحاك الموبق المهلك * وقال الزجاج جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم * وقال عبد الله بن عمر وأنس ومجاهد واد في جهنم يجري بدم وصديد * وقال الحسن عداوة * وقال الربيع بن أنس انه المجلس * وقال أبو عبيدة الموعد و رأى المجرمون النار هي رؤية عين أي عاينوها والظن هنا * قيل على موضوعه من كونه ترجيح أحد الجانبين وكونهم لم يجزموا بدخولها رجاء وطمعا في رحمة الله * وقيل معنى فظنوا أيقنوا قاله أكثر الناس ومعنى مواقعوها مخالطوها واقعون فيها كقوله وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم * وقال ابن عطية أطلق الناس ان الظن هنا بمعنى التيقن ولو قال بدل ظنوا أيقنوا لكان الكلام متسقا على مبالغة فيه ولكن العبارة بالظن لا تجيء أبدا في موضع يقين تام قد ناله الحس بل أعظم درجاته أن يجيء في موضع علم متحقق لكنه لم يقع ذلك المظنون والا فقد يقع

﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ الآية تقدم تفسير نظير صدر هذه الآية وهنا شيء مفرد معناه الجمع أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدال ان فصلتها واحدة بعد واحدة جدلا خصومة ومماراة يعني أن جدال الانسان أكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين وانتصب جدلا على التمييز قيل والانسان هنا النضر بن الحرث وقيل ابن الزبعري وقيل أمية بن خلف وكان جداله في البعث حتى أتى بعظم قد رم فقال أيقدر الله على اعادة هذا وكثيرا ما يذكر الانسان في معرض الذم وقد تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله وكان الانسان أكثر شيء جدلا حين عاتب عليا كرم الله وجهه على النوم عن صلاة الليل وقال له علي انما نفسي بيد الله تعالى فاستعمل الانسان على العموم وفي قوله وما منع الناس الآية تأسف عليهم وتنبيه على فساد حالهم لأن هذا المنع لم يكن منهم بقصد أن يمتنعوا ليجيئهم العذاب وانما امتنعوا هم مع اعتقاد أنهم مصيبون لكن الامر في نفسه يسوقهم الى هذا وكان حالهم يقتضي التأسف عليهم والناس يراد به كفار عصر الرسول صلى الله عليه وسلم الذين تولوا دفع الشريعة وتكذيبها ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا﴾ الا ما سبق في علمنا وقضائنا أن

يجري عليهم سنة الأولين من عذاب الاستئصال من المسخ والصيحة والخسف والغرق وعذاب الظلة ونحو ذلك وأراد بالاولين من أهلك من الأمم السابقة وأن يؤمنوا في موضع نصب على اسقاط حرف الجر أي من الايمان وفاعل منع قوله أن يأتيهم وهو على حذف مضاف تقديره الا انتظار أن يأتيهم وقرأ قبلا بضم القاف والباء فاحتمل أن يكون بمعنى قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقد قرئ به وحكاها أبو عبيدة أنهما بمعنى واحد في المقابلة وأن يكون جمع قبيل أن يجيئهم العذاب أنواعا ﴿وما نرسل المرسلين الا مبشرين﴾ أي بالنعيم المقيم لمن آمن ﴿ومنذرين﴾ اي بالعذاب الأليم لمن كفر ﴿ليدحضوا به﴾ ليزيلوا ﴿واتخذوا آياتي﴾ يجمع آيات القرآن وعلامات الرسول قولا وفعلا ﴿وما أنذروا﴾ من عذاب الآخرة واحتملت ما أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف تقديره وما أنذروه وأن تكون مصدرية أي وأنذرهم فلا يحتاج الى عائد ﴿هزوا﴾ أي سخرية واستخفافا كقولهم أساطير الأولين لو شئنا لقلنا مثل هذا وتقدم تفسير نظير قوله ﴿انا جعلنا على قلوبهم﴾ الآية ثم أخبر تعالى ان هؤلاء لا يهتدون أبدا وهذا من العام والمراد به الخصوص وهو من طبع الله على قلبه وقضى عليه بالموافاة على الكفر اذ قد اهتدى كثير من الكفار وآمنوا وحمل أولا على لفظ من في قوله ذكر بآيات ربه فأعرض عنها فأفرد ثم على المعنى في قوله انا جعلنا على قلوبهم فجمع وفي وان تدعهم وتقييده بالأبدية مبالغة في انتفاء هدايتهم والغفور صفة مبالغة وذو الرحمة أي الموصوف بالرحمة ثم ذكر دليل رحمته وهو كونه تعالى لا يؤاخذهم عاجلا بل يمهلهم مع افراطهم في الكفر وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والموعد أجل الموت وأشار تعالى بقوله ﴿وتلك القرى﴾ الى القرى المجاورة أهل مكة كقرى ثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا بما جرى عليهم وليحذروا ما حل بهم كما حل بتلك القرى وتلك مبتدأ والقرى صفة أو عطف بيان والخبر

ويحس لا يكاد يوجد في كلام العرب العبارة عنه بالظن وتأمل هذه الآية وتأمل قول دريد
* فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج * انتهى وفي مصحف عبد الله ملاقوها مكان مواقعوها وقرأه كذلك الاعمش وابن غزوان عن طلحة والأولى جعله تفسيرا لمخالفة سواد المصحف وعن علقمة أنه قرأ ملافوها بالفاء مشددة من لففت وفي الحديث ان الكافر ليرى جهنم ويظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة ومعنى مصرفا معدلا ومراغا * ومنه قول أبي كبير الهذلي

أزهير هل عن شيبة من مصرف * أم لا خلود لباذل متكلف

وأجاز أبو معاذ مصرفا بفتح الراء وهي قراءة زيد بن علي جعله مصدرا كالمضرب لأن مضارعه يصرف على يفعل كيصرف ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾ تقدم تفسير نظير صدر هذه الآية وشيء هنا مفرد معناه الجمع أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدال ان فصلتها واحدا بعد واحد * جدلا خصومة ومماراة يعني ان جدل الانسان أكثر من جدل

كل شئ ونحوه فاذا هو خصيم مبين وانتصب جدلا على التمييز * قيل الانسان هنا النضر بن الحرث * وقيل ابن الزبعرى * وقيل أبي بن خلف وكان جداله في البعث حين أتى بعظم قد رمّ فقال أيقدر الله على اعادة هذا قاله ابن السائب * قيل كل من يعقل من ملك وجن يجادل والانسان أكثر هذه الأشياء جدلا انتهى وكثيرا ما يذكر الانسان في معرض الذم وقد تلا الرسول صلى الله عليه وسلم قوله وكان الانسان أكثر شئ جدلا حين عاتب عليا كرم الله وجهه على النوم عن صلاة الليل فقال له علي انما نفسي بيد الله فاستعمل الانسان على العموم وفي قوله ومامنع الناس الآية تأسف عليهم وتنبيه على فساد حالهم لأن هذا المنع لم يكن بقصد منهم أن يمتنعوا ليجيئهم العذاب وانما امتنعوا مع اعتقادهم أنهم مصيبون لكن الامر في نفسه يسوقهم الى هذا فكان حالهم يقتضي التأسف عليهم والناس يراد به كفار عصر الرسول صلى الله عليه وسلم الذين تولوا دفع الشريعة وتكذيبها قاله ابن عطية * وقال الزمخشري ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلهما مضاف محذوف تقديره ومامنع الناس الايمان الا انتظار أن تأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك أو انتظار أن يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة انتهى وهو مسترق من قول الزجاج * قال الزجاج تقديره مامنعهم من الايمان الا طلب أن تأتيهم سنة الاولين * وقال الواحدي المعنى مامنعهم الا أني قد قدرت عليهم العذاب وهذه الآية فيمن قتل ببدر وأحد من المشركين وهذا القول نحو من قول من قال التقدير ومامنع الناس أن يؤمنوا الا ماسبق في علمنا وقضائنا أن يجري عليهم سنة الاولين من عذاب الاستئصال من المسخ والصيحة والخسف والغرق وعذاب الظلة ونحو ذلك وأراد بالاولين من أهلك من الأمم السالفة * وقال صاحب الغنيان الا ارادة أو انتظار أن تأتيهم سنتنا في الاولين ومن قدر المضاف هنا أو الطلب فانما ذلك لاعتقادهم عدم صدق الانبياء فيما وعدوا به من العذاب كما قال حكاية عن بعضهم ان كان هذا هو الحق من عندك * وقيل ماهنا استفهامية لانافية والتقدير وأي شئ منع الناس أن يؤمنوا والهدى الرسول أو القرآن قولان * وقرأ الحسن والاعرج والاعمش وابن أبي ليلى وخلف وأيوب وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير والكوفيون بضم القاف والباء فاحتمل أن يكون بمعنى قبلا لان أباعبيدة حكاهما بمعنى واحد في المقابلة وأن يكون جمع قبيل أي يجيئهم العذاب أنواعا وألوانا * وقرأ باقي السبعة ومجاهد وعيسى بن عمر قبلا بكسر القاف وفتح الباء ومعناه عيانا * وقرأ أبو رجاء والحسن أيضا بضم القاف وسكون الباء وهو تخفيف قبل على لغة تميم وذكر ابن قتيبة أنه قرئ بفتحتين وحكاه الزمخشري وقال مستقبلا * وقرأ أبي بن كعب وابن غزوان عن طلحة قبيلا بفتح القاف وباء مكسورة بعدها ياء على وزن فعيل ومانرسل المرسلين الا مبشرين أي بالنعيم المقيم لمن آمن ومنذرين أي بالعذاب الاليم لمن كفر لا ليجادلوا ولا ليتمنى عليهم الاقتراحات ليدحضوا ليزيلوا واتخذوا آياتي يجمع آيات القرآن وعلامات الرسول قولا وفعلا وما أنذروا من عذاب الآخرة واحتملت ما أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي وما أنذروه وأن تكون مصدرية أي وانذارهم فلا تحتاج الى عائد على الاصح هزوا أي سخرية واستخفافا كقولهم أساطير الاولين لو نشاء لقلنا مثل هذا وجدالهم للرسل صلى الله عليهم وسلم قولهم ما أنتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك والآيات المضاف الى الرب هو القرآن ولذلك عاد الضمير مفردا في قوله أن يفقهوه واعراضه عنها كونه لايتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ماقدمت يداه من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في أن المحسن والمسيء يجزيان بما عملا وتقدم تفسير نظير

أهلكناهم ويجوز أن يكون القرى الخبر وأهلكناهم جملة حالية كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية ويجوز أن يكون تلك منصوبا باضمار فعل يفسره مابعده أي وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم وتلك القرى على اضمار مضاف أي وأصحاب تلك القرى ولذلك عاد الضمير على ذلك المضمر في قوله أهلكناهم وقوله لما ظلموا اشعار بعلة الاهلاك وهي الظلم وبهذا استدل الاستاذ أبو الحسن بن عصفور على حرفية لما وانها ليست بمعنى حين لان الظرف لادلالة فيه على العلة وفي قوله لما ظلموا تحذير من الظلم اذ نتيجته الاهلاك وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما وهو الموعد واحتمل الموعد أن يكون مصدرا أو زمانا

قوله انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا ثم أخبر تعالى ان هؤلاء لايهتدون أبدا وهذا من العام والمراد به الخصوص وهو من طبع الله على قلبه وقضى عليه بالموافاة على الكفر اذ قد اهتدى كثير من الكفرة وآمنوا ويحتمل أن يكون ذلك حكما على الجميع أى وان تدعهم أى الى الهدى جميعا فلن يهتدوا جميعا أبدا وحمل أولا على لفظ من فأفرد ثم على المعنى فى قوله انا جعلنا على قلوبهم فجمع وجعلوا دعوة الرسول الى الهدى وهى التى تكون سببا لوجود الاهتداء سببا لانتفاء هدايتهم وهذا الشرط كأنه جواب للرسول عن تقدير قوله مالى لا أدعوهم الى الهدى حرصا منه عليه الصلاة والسلام على حصول ايمانهم فقيل وان تدعهم وتقييده بالابدية مبالغة فى انتفاء هدايتهم والغفور صفة مبالغة وذو الرحمة أى الموصوف بالرحمة ثم ذكر دليل رحمته وهو كونه تعالى لايؤاخذهم عاجلا بل يمهلهم مع افراطهم فى الكفر وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والموعد أجل الموت أو عذاب الآخرة أو يوم بدر أو يوم أحد وأيام النصر أو العذاب امافى الدنيا وامافى الآخرة أقوال * والموئل قال مجاهد المحرز * وقال الضحاك المخلص والضمير فى من دونه عائد على الموعد * وقرأ الزهرى مولا بتشديد الواو من غير همز ولاياء * وقرأ أبو جعفر عن الحلوانى عنه مولا بكسر الواو خفيفة من غير همز ولاياء * وقرأ الجمهور بسكون الواو وهمزة بعدها مكسورة وأشار تعالى بقوله وتلك القرى الى القرى المجاورة أهل مكة والعرب كقرى ثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبر واعما جرى عليهم وليحذروا ما يحل بهم كما حل بتلك القرى وتلك مبتدأ والقرى صفة أو عطف بيان والخبر أهلكناهم ويجوز أن تكون القرى الخبر وأهلكناهم جملة حالية كقوله فتلك بيوتهم خاوية ويجوز أن تكون تلك منصوبا باضمار فعل يفسره مابعده أى وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم وتلك القرى على اضمار مضاف أى وأصحاب تلك القرى ولذلك عاد الضمير على ذلك المضمر فى قوله أهلكناهم وقوله لما ظلموا اشعار بعلة الاهلاك وهى الظلم وبهذا استدل الاستاذ أبو الحسن بن عصفور على حرفية لما وانها ليست بمعنى حين لان الظرف لادلالة فيه على العلية وفى قوله لما ظلموا تحذير من الظلم اذ نتيجته الاهلاك وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما وهو الموعد واحتمل أن تكون مصدرا أو زمانا * وقرأ الجمهور بضم الميم وفتح اللام واحتمل أن يكون مصدرا مضافا الى المفعول وأن يكون زمانا * وقرأ حفص وهارون عن أبى بكر بفتحتين وهو زمان الهلاك * وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام مصدر هلك يهلك وهو مضاف للفاعل * وقيل هلك يكون لازما ومتعديا فعلى تعديته يكون مضافا للمفعول وأنشد أبو على فى ذلك

* ومهمه هالك من تعرجا * ولا يتعين ماقاله أبو على فى هذا البيت بل قد ذهب بعض النحويين الى ان هالك فيه لازم وانه من باب الصفة المشبهة أصله هالك من تعرجا فمن فاعل ثم أضمر فى هالك ضمير مهمه وانتصب من على التشبيه بالمفعول ثم أضافه من نصب وقد اختلف فى الموصول هل يكون من باب الصفة المشبهة والصحيح جواز ذلك وقد ثبت فى أشعار العرب * قال الشاعر وهو عمر بن أبى ربيعة

أسيلات أبدان دقاق خصورها * وثيرات ما التفت عليها الملاحف

﴿ وقال آخر ﴾

فعجتها قبل الأخيار منزلة * والطيبى كل ما التاثت به الازر

﴿ واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا

﴿واذقال موسى لفتاه﴾ الآية فى الحديث الثابت الصحيح وفى التواريخ أن موسى بن عمران موسى بنى اسرائيل المرسل هو وأخوه هرون الى فرعون وفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب والفتى الشاب وسبب هذه القصة أن موسى عليه السلام جلس يوما فى مجلس لبنى اسرائيل وخطب فابلغ فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك قال لا فاوحى الله تعالى اليه أن يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ البحرين وعتب الله عليه حيث لم يرد العلم الى الله تعالى فاوحى اليه بل أعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين وهو الخضر فى أيام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذى القرنين الأكبر وبقى الى أيام موسى عليه السلام ومعنى ﴿لا أبرح﴾ لا أزال وهى من أخوات كان تحتاج الى اسم وخبر واسمها الضمير المستكن فى أبرح العائد على موسى والخبر محذوف لفهم المعنى يدل عليه التغيية بحتى التقدير لا أبرح سائرا حتى أبلغ ونص أصحابنا على أن خبر كان وأخواتها لا يجوز حذفه وان دل الدليل على حذفه الا ماجاء فى الشعر من قوله

لهفى عليك للهفة من خائف ... يبغى جوارك حين ليس مجير

أى حين ليس فى الدنيا مجير والذى أراه أنه يجوز حذفه اذا دل الدليل على حذفه كهذا الموضع قال الزمخشرى فان قلت لا أبرح ان كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على لاقامة على السفر وان كان بمعنى أزال فلا بد من خبر قلت هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلانها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعى ماهى غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا يبرح مسيرى حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن الضمير الغائب الى ضمير المتكلم وهو وجه لطيف انتهى هو أوجهان خلطهما الزمخشرى أما الاول فجعل الفعل مسندا الى المتكلم لفظا وحمل الخبر محذوفا كما ودره ابن عطية وحتى أبلغ فيه متعلقة بالخبر المحذوف وعادله والوجه الثانى حمل لا أبرح [illegible] المتكلم [illegible]

حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا ❊ فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ❊ قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا ❊ قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا ❊ فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ❊ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ❊ قال انك لن تستطيع معى صبرا ❊ وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ❊ قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا ❊ قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا ❊ فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا ❊ قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا ❊ قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا ❊ فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا ❊ قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا ❊ قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا ❊ فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا ❊ قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ❊ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ ❊ برح زال مضارع يزول ومضارع يزال فتكون من أخوات كان الناقصة ❊ الحقب السنون واحدها حقبة ❊ قال الشاعر

فان تنأ عنها حقبة لا تلاقها ❊ فانك مما أحدثت بالمجرب

❊ وقال الفراء الحقب سنة ويأتى قول أهل التفسير فيه ❊ السرب المسلك فى جوف الأرض ❊ النصب التعب والمشقة ❊ الصخرة معروفة وهى حجر كبير ❊ السفينة معروفة وتجمع على سفن وعلى سفائن وتحذف التاء فيقال سفينة وسفين وهو مما بينه وبين مفرده تاء التأنيث وهو كثير فى المخلوق نادر فى المصنوع نحو عمامة وعمام ❊ وقال الشاعر

متى تأته تأت لج بحر ❊ تقاذف فى غواربه السفين

❊ الامر البشع من الأمور كالداهية والاد ونحوه ❊ الجدار معروف ويجمع على جدر وجدران ❊ انقض سقط ومن أبيات معايات الاعراب

مرّ كما انقضّ على كوكب ❊ عفريت جن فى الدجى الأجدل

عاب الرجل ذكر وصفا فيه يذم به وعاب السفينة أحدث فيها ما تنقص به ﴿واذقال موسى لفتاه لا أبرح

حيث المعنى الى ذلك المقدر المحذوف وجعل خبر لا أبرح هو حتى أبلغ فهو عمدة اذ أصله خبر المبتدأ لأنه خبر أبرح قال الزمخشري ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لا أبرح المكان انتهى ومجمع البحرين قال مجاهد وقتادة هو مجمع بحر فارس و بحر الروم قال ابن عطية هو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال الى جنوب فى أرض فارس من وراء اذربيجان فالركن الذى لاجتماع البحرين مما يلى بر الشام هو مجمع البحرين على هذا القول وقالت فرقة منهم محمد بن كعب القرظى هو عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من دبور الى صبا والقرية التى أبت أن تضيفهما هى الجزيرة الخضراء وقال ابن عباس الحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون وقيل سنة بلغة قريش والظاهر أن قوله أو أمضى معطوف على أبلغ فغيا باحد الامرين اما ببلوغه المجمع واما بمضيه حقبا وقيل هى تغيية لقوله لا أبرح كقولك لا أفارقك أو تقضينى حقى فالمعنى لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين الى أن أمضى زمانا اتيقن معه فوات مجمع البحرين ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ ثم جملة محذوفة والتقدير فسارا فلما بلغا أى موسى وفتاه مجمع بينهما أى بين البحرين نسيا حوتهما (وكان) من أمر الحوت وقصته أن موسى عليه السلام حين أوحى الله تعالى اليه ان لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لى به قال تأخذ معك حوتا فتجعله فى مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا فجعله فى مكتله ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع ابن نون حتى أتيا الصخرة وضعا رؤسهما وناما واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه وسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا وأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق والسرب المسلك فى جوف الارض ﴿فلما جاوزا﴾ أى مجمع البحرين وهو الموعد قيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر وألقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه والنصب التعب وقوله ﴿من سفرنا هذا﴾

حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما

إشارة الى مسيرهما وراء الصخرة * وقال الزمخشرى ﴿أرأيت﴾ بمعنى أخبرنى فان قلت ماوجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من أرأيت واذ أوينا وفانى نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع مارأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهانى إذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت فحذف ذلك انتهى وكون أرأيت بمعنى اخبرنى ذكره سيبويه وقد أمعنا الكلام فى ذلك فى سورة الانعام و يجوز أن يكون أرأيت هنا بمعنى أعلمت أى أعلمت ماجرى فلا يكون بمعنى أخبرنى و إذ معمولة لارأيت هذه وفى نسبة النسيان الى نفسه دليل على حسن أدبه وتلطفه فى فقد الحوت وأن أذكره يتقدر بالمصدر تقديره ذكرى إياه وهو بدل اشتمال من ضمير الغيبة فى أنسانيه وفصل بين المبدل منه والبدل بقوله الا الشيطان وهو فاعل أنسانيه والظاهر أن الضمير فى واتخذ سبيله فى البحر عجبا عائد على الحوت كما عاد فى قوله واتخذ سبيله فى البحر سربا وهو من كلام يوشع وانما كان عجبا لخروجه من المكتل وحياته بعد كونه مشويا أو مأكولا بعض منه وامساك جرية الماء عليه والاشارة بقوله ذلك أى أمر الحوت وفقده واتخاذه سبيلا فى البحر لانه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء ذلك العبد الصالح وذلك مبتدأ وما موصولة خبر عن المبتدأ ونبغى صلة ما والعائد عليها محذوف تقديره نبغيه فارتدا أى رجعا على ادراجهما من حيث جا آقصصا أى يقصان الأثر قصصا فانتصب على المصدرية باضمار يقصان أو تكون فى موضع الحال أى مقتصين فينتصب بقوله فارتدا فوجدا أى موسى والفتى عبدا من عبادنا هذه اضافة تشريف واختصاص وجداه عند الصخرة التى فقدا الحوت عندها وهو مسجى فى ثوبه مستلقيا على الأرض فقال السلام عليك فرفع رأسه وقال أنى بأرضك السلام ثم قال له من أنت قال موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم قال له ألم يكن لك فى بنى اسرائيل مايشغلك عن السفر الى هنا قال بلى ولكن أحببت لقاءك وأن أتعلم منك قال له انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله تعالى لا أعلمه أنا قيل واسم الخضر بليا بن ملكان وفى قول الخضر لموسى من أنت وقد أعلمه الله بواطن الاشياء وماآلها دليل على

كذب هؤلاء المنتمين للتصوف المدعين علم الغيب والكشف عن أحوال الناس أعاذنا الله من ذلك ولدن تقدم الكلام عليها في أوائل آل عمران قال موسى في الكلام محذوف تقديره فلما التقيا وتراجعا الكلام وهو الذي ورد في الحديث الصحيح * قال له موسى هل اتبعك وفي هذا دليل على التواضع للعالم وفي هذه القصة دليل على الحث على الرحلة في طلب العلم وعلى حسن التلطف والاستنزال والأدب في طلب العلم بقوله هل أتبعك وفيه المسافرة مع العالم لاقتباس فوائده والمعنى هل يخف عليك ويتفق لك وانتصب رشدا على أنه مفعول ثان لقوله تعلمني أو على أنه مصدر في موضع الحال وذو الحال الضمير في اتبعك وقرئ رُشدا ورشدا * قال انك لن تستطيع معي صبرا * نفى الخضر استطاعته الصبر معه على سبيل التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم * وكيف تصبر * أي ان صبرك على ما لا خبرة لك به مستبعد * وفيه ابداء عذر له حيث لا يمكنه (١٤٣) الصبر لما يرى من منافاة ما هو عليه وانتصب خبرا على

قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا * موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران عليه السلام ولم يذكر الله في كتابه موسى غيره ومن ذهب الى انه غيره وهو موسى بن ميشا بن يوسف أو موسى بن افرائيم بن يوسف فقول لا يصح بل الثابت في الحديث الصحيح وفي التواريخ أنه موسى بن عمران نبي بني اسرائيل والمرسل هو وأخوه هارون الى فرعون وفتاه هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم الصلاة والسلام والفتى الشاب ولما كان الخدم أكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى على جهة حسن الادب وندبت الشريعة الى ذلك في الحديث لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي وقال لفتاه لانه كان يخدمه ويتبعه * وقيل كان يأخذ منه العلم ويقال ان يوشع كان ابن أخت موسى عليه السلام وسبب هذه القصة أن موسى عليه السلام جلس يوما في مجلس لبني اسرائيل وخطب فأبلغ فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك قال لا فأوحى الله اليه أن يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فاذا افتقد الحوت فانه هنالك ففعل موسى ذلك وقال لفتاه على جهة امضاء العزيمة لا أبرح أسير أي لا أزال * قال ابن عطية وانما قال هذه المقالة وهو سائر * ومن هذا قول الفرزدق

فما برحوا حتى تهادت نساؤهم * ببطحاء ذي قار عياب اللطائم

انتهى وهذا الذي ذكره فيه حذف خبر لا أبرح وهي من أخوات كان ونص أصحابنا على أن حذف خبر كان وأخواتها لا يجوز وان دل الدليل على حذفه الا ما جاء في الشعر من قوله

لهفي عليك للهفة من خائف * يبغي جوارك حين ليس مجير

أي حين ليس في الدنيا * وقال الزمخشري (فان قلت) لا أبرح ان كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر (قلت) هو بمعنى لا أزال وقد

التمييز أي بما لم يحط به خبرك فهو منقول من الفاعل أو على أنه مصدر على غير المصدر لان معنى بما لم تحط به لم تخبره * قال ستجدني ان شاء الله صابرا * وعده بوجدانه صابرا وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى علما منه بشدة الأمر وصعوبته اذ لا يصبر الا على ما ينافي ما هو عليه اذا رآه * ولا أعصي * يحتمل أن يكون معطوفا على صابرا أي صابرا وغير عاص فيكون في موضع نصب عطفا على الاسم اذا كان في معناه كقوله تعالى صافات ويقبضن أي وقابضات ويجوز أن يكون معطوفا على ستجدني فلا محل له من الاعراب ولا يكون مقيدا بالمشيئة لفظا

(الدر) (ع) وانما قال هذه المقالة وهو سائر ومن هذا قول الفرزدق فما برحوا حتى تهادت نساؤهم * ببطحاء ذي قار عياب اللطائم (ح) هذا الذي ذكره فيه حذف خبر لا أبرح وهي من أخوات كان ونص أصحابنا على أن حذف خبر كان وأخواتها لا يجوز وان دل الدليل على حذفه الا ما جاء في الشعر من قوله لهفي عليك للهفة من خائف * يبغي جوارك حين ليس مجير أي حين ليس في الدنيا مجير (ش) فان قلت لا أبرح ان كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن ضمير

حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلانها كانت حال سفر وأما الكلام
فلان قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ماهي غاية له فلابد أن يكون
المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على ان حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف
اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن ضمير الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه
لطيف انتهى وهما وجهان خلطهما الزمخشري أما الاول فجعل الفعل مسندا الى المتكلم لفظا
وتقديرا وجعل الخبر محذوفا كما قدره ابن عطية وحتى أبلغ فضلة متعلقة بالخبر المحذوف وغاية له
والوجه الثاني جعل لا أبرح مسندا من حيث اللفظ الى المتكلم ومن حيث المعنى الى ذلك
المقدر المحذوف وجعله لا أبرح هو حتى أبلغ فهو عمدة اذ أصله خبر للمبتدا لانه خبر أبرح * وقال
الزمخشري أيضا ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه
ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لا أبرح المكان انتهى يعني ان برح يكون بمعنى فارق فيتعدى اذ ذاك
الى مفعول ويحتاج هذا الى صحة نقل وذكر الطبري عن ابن عباس قال لما ظهر موسى
وقومه على مصر أنزل قومه بمصر فلما استقرت الحال خطب يوما فذكر بآلاء الله وأيامه عند بني
اسرائيل ثم ذكر ما هو عليه من أنه لا يعلم أحدا أعلم منه * قال ابن عطية وما يرى قط أن موسى عليه
السلام أنزل قومه بمصر الا في هذا الكلام وما أراه يصح بل المتظاهر أن موسى مات بفحص التيه
قبل فتح ديار الجبارين وهذا المروي عن ابن عباس ذكره الزمخشري فقال روى أنه لما ظهر موسى
على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم
خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال انا
فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فأوحى الله اليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو
الخضر كان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى أيام
موسى وذكر أيضا في أسئلة موسى أنه قال ان كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم
منك الخضر انتهى وهذا مخالف لما ثبت في الصحيح من أنه قيل له هل أحد أعلم منك قال لا * ومجمع
البحرين قال مجاهد وقتادة هو مجتمع بحر فارس وبحر الروم * قال ابن عطية وهو ذراع يخرج
من البحر المحيط من شمال الى جنوب في أرض فارس من وراء اذربيجان فالركن الذي لاجتماع
البحرين مما يلي بر الشام هو مجمع البحرين على هذا القول * وقالت فرقة منهم محمد بن كعب
القرظي هو عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من دبور الى صبا وعن أبي
بأفريقية * وقيل هو بحر الأندلس والقرية التي أبت أن تضيفهما هي الجزيرة الخضراء * وقيل
مجمع البحرين بحر ملح وبحر عذب فيكون الخضر على هذا عند موقع نهر عظيم في البحر * وقالت
فرقة البحران كناية عن موسى والخضر لأنهما بحرا علم وهذا شبيه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية
والاحاديث تدل على أنهما بحرا ماء * وقال الزمخشري من بدع التفاسير أن البحرين موسى
والخضر لأنهما كانا بحرين في العلم انتهى * وقيل بحر القلزم * وقيل بحر الازرق * وقرأ
الضحاك وعبد الله بن مسلم بن يسار مجمع بكسر الميم الثانية والنضر عن ابن مسلم في كلا الحرفين وهو
شاذ وقياسه من يفعل فتح الميم كقراءة الجمهور والظاهر أن مجمع البحرين هو اسم مكان جمع البحرين
* وقيل مصدر * قال ابن عباس الحقب الدهر * وقال عبد الله بن عمرو وأبو هريرة ثمانون سنة
* وقال الحسن سبعون * وقيل سنة بلغة قريش ذكره الفراء * وقيل وقت غير محدود قاله أبو

(الدر)

الغائب الى لفظ المتكلم
وهو وجه لطيف انتهى (ح)
هما وجهان خلطهما (ش)
أما الاول فجعل الفعل
مسندا الى المتكلم لفظا
وجعل الخبر محذوفا كما
قدره (ع) وحتى أبلغ فضلة
متعلقة بالخبر المحذوف
وغاية له والوجه الثاني
جعل لا أبرح مسندا من
حيث اللفظ الى المتكلم
ومن حيث المعنى الى ذلك
المقدر المحذوف وجعل خبر
أبرح هو حتى ابلغ فهو
عمدة اذ اصله خبر للمبتدا
لانه خبر أبرح (ش) ويجوز
أن يكون المعنى لا أبرح
ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير
والطلب ولا اتركه فلا
افارقه حتى ابلغ كما تقول
لا أبرح المكان (ح)
يعني ان برح تكون بمعنى
فارق فتتعدى اذ ذاك الى
مفعول ويحتاج هذا الى
صحة نقل

عبيدة والظاهر أن قوله أو أمضي معطوف على أبلغ فغيا بأحد الأمرين اما ببلوغه المجمع واما بمضيه حقبا * وقيل هي تغيية لقوله لا أبرح كقولك لأفارقك أو تقضيني حقي فالمعنى لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين الى أن أمضي زمانا أتيقن معه فوات مجمع البحرين * وقرأ الضحاك حقبا باسكان القاف والجمهور بضمها * فلما بلغا مجمع بينهما ثم جملة محذوفة التقدير فسارا فلما بلغا أي موسى وفتاه مجمع بينهما أي بين البحرين نسيا حوتهما وكان من أمر الحوت وقصته أن موسى عليه السلام حين أوحى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فنام موسى واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق * قيل وكان الحوت مالحا * وقيل مشويا * وقيل طريا * وقيل جمع يوشع الحوت والخبز في مكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت * وروى أنهما أكلا منها * وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء والظاهر نسبة النسيان الى موسى وفتاه * وقيل كان النسيان من أحدهما وهو فتى موسى نسي أن يعلم موسى أمر الحوت اذ كان نائما وقد أحس يوشع بخروجه من المكتل الى البحر ورآه قد اتخذ السرب فأشفق أن يوقظ موسى وقال أؤخر الى أن يستيقظ ثم نسي أن يعلمه حتى ارتحلا وجاوزا وقد يسند الشئ الى الجماعة وان كان الذي فعله واحد منهم * وقيل هو على حذف مضاف أي نسي أحدهما * وقال الزمخشري أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة * وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يأمره فيه بشئ انتهى وشبه بالسرب مسلك الحوت في الماء حين لم ينطبق الماء بعده بل بقي كالطاق هذا الذي ورد في الحديث وقال الجمهور بقي موضع سلوكه فارغا * وقال قتادة ماء جامدا وعن ابن عباس حجرا صلدا * وقال ابن زيد انما اتخذ سبيله سربا في البر حتى وصل الى البحر ثم عام على العادة كأنه يعني بقوله سربا تصرفا وجولانا من قولهم فحل سارب أي مهمل يرعى حيث شاء ومنه قوله تعالى وسارب بالنهار أي متصرف * وقال قوم اتخذ سربا في التراب من المكتل وصادف في طريقه حجرا فنقبه والظاهر ان السرب كان في الماء ولا يفسر الا بما ورد في الحديث الصحيح ان الماء صار عليه كالطاق وهو معجزة لموسى عليه السلام أو الخضر ان قلنا انه نبي والا تكن كرامة * وقيل عاد موضع سلوك الحوت حجرا طريقا وان موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى أفضى به ذلك الى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر فلما جاوزا أي مجمع البحرين * وقال الزمخشري الموعد وهو الصخرة * قيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر وألقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة * وقرأ الجمهور نصبا بفتحتين وعبد الله بن عبيد بن عمير بضمتين * قال صاحب اللوامح وهي احدى اللغات الاربع التي فيها * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين بينتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها * وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه

السلام الحوت (قلت) قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضرى بمشاهدة أمثاله عند موسى من العجائب واستأنس باخوانه فأعان الالف على قلة الاهتمام انتهى * قال أبو بكر غالب بن عطية والدانى عبد الحق المفسر سمعت أبا الفضل الجوهرى يقول فى وعظه مشى موسى الى المناجاة فبقى أربعين يوما لم يحتج الى طعام ولما مشى الى بشر لحقه الجوع فى بعض يوم * وقال الزمخشرى أرأيت بمعنى أخبرنى (فان قلت) فما وجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من أرأيت واذ أوينا وفانى نسيت الحوت لا متعلق له (قلت) لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهانى اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت فحذف ذلك انتهى وكون أرأيتك بمعنى أخبرنى ذكره سيبويه وقد أمعنا الكلام فى ذلك فى سورة الانعام وفى شرحنا لكتاب التسهيل وأما ما يختص بأرأيت فى هذا الموضع فقال أبو الحسن الاخفش ان العرب أخرجتها عن معناها بالكلية فقالوا أرأيتك وأريتك بحذف الهمزة اذا كانت بمعنى أخبرنى واذا كانت بمعنى أبصرت لم تحذف همزتها قال وشذت أيضا فألزمتها الخطاب على هذا المعنى ولا تقول فيها أبدا أرانى زيد عمر اما صنع وتقول هذا على معنى أعلم وشذت أيضا فأخرجتها عن موضعها بالكلية بدليل دخول الفاء ألا ترى قوله أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت فما دخلت الفاء الا وقد أخرجت لمعنى اما أو تنبه والمعنى اما اذ أوينا الى الصخرة فالامر كذا وقد أخرجتها أيضا الى معنى أخبرنى كما قدمنا واذا كانت بمعنى أخبرنى فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه وتلزم الجملة التى بعدها الاستفهام وقد يخرج لمعنى اما ويكون أبدا بعدها الشرط وظرف الزمان فقوله فانى نسيت الحوت معناه اما اذ أوينا فانى نسيت الحوت أو تنبه اذ أوينا وليست الفاء الا جوابا لارأيت لان اذ لا يصح أن يجازى بها الا مقرونة بما بلا خلاف انتهى كلام الاخفش وفيه ان أرأيت اذا كانت بمعنى أخبرنى فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه وتلزم الجملة التى بعدها الاستفهام وهذان مفقودان فى تقدير الزمخشرى أرأيت هنا بمعنى أخبرنى ومعنى نسيت الحوت نسيت ذكر ما جرى فيه لك وفى قوله وما أنسانيه الا الشيطان حسن أدب بسبب النسيان الى المتسبب فيه بوسوسته وأن أذكره بدل اشتمال من الضمير العائد على الحوت والظاهر ان الضمير فى واتخذ سبيله فى البحر عجبا عائد على الحوت كما عاد فى قوله واتخذ سبيله فى البحر سربا وهو من كلام يوشع * وقيل الضمير عائد على موسى أى اتخذ موسى ومعنى عجبا أى تعجب من ذلك أو اتخاذا عجبا وهو ان أثره بقى الى حيث سار وقدره الزمخشرى سبيله عجبا وهو كونه شبيه السرب قال أو قال عجبا فى آخر كلامه تعجبا من حاله فى رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه * وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذلك انتهى * وقال ابن عطية واتخذ سبيله فى البحر عجبا يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى أى اتخذ الحوت سبيلا عجبا للناس ويحتمل أن يكون قوله واتخذ سبيله فى البحر تمام الخبر ثم استأنف التعجب فقال من قبل نفسه عجبا لهذا الأمر وموضع العجب أن يكون حوت قد مات وأكل شقه ثم حيى بعد ذلك * قال أبو شجاع فى كتاب الطبرى رأيته أتيت به فاذا هو شق حوت وعين واحدة وشق آخر ليس فيه شئ قال ابن عطية وأنا رأيته والشق الذى فيه شئ عليه قشرة رقيقة ليست تحتها شوكة ويحتمل أن يكون واتخذ سبيله الآية اخبارا من الله تعالى وذلك على وجهين إما أن

يخبر عن موسى انه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجبا أي تعجب منه واما أن يخبر عن الحوت انه اتخذ سبيله عجبا للناس انتهى * وقرأ حفص وما أنسانيه بضم الهاء وفي الفتح عليه الله وذلك في الوصل وأمال الكسائي فتحة السين وفي مصحف عبدالله وقراءته أن أذكره الا الشيطان * وقرأ أبو حيوة واتخاذ سبيله عطف على المصدر على ضمير المفعول في أذكره والاشارة بقوله ذلك الى أمر الحوت وفقده واتخاذه سبيلا في البحر لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء ذلك العبد الصالح وما موصولة والعائد محذوف أي نبغيه * وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ونافع وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لرسم المصحف وأثبتها في الحالين ابن كثير * فارتدا رجعا على ادراجهما من حيث جاآ * قصصا أي يقصان الأثر قصصا فانتصب على المصدر بإضمار يقصان أو يكون في موضع الحال أي مقتصين فينتصب بقوله فارتدا فوجدا أي موسى والفتى عبدا من عبادنا هذه اضافة تشريف واختصاص وجداه عند الصخرة التي فقد الحوت عندها وهو مسجى في ثوب مستلقيا على الأرض فقال السلام عليك فرفع رأسه وقال أنى بأرضك السلام ثم قال له من أنت قال أنا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال له ألم يكن لك في بني اسرائيل ما يشغلك عن السفر الى هنا قال بلى ولكن أحببت لقاءك وان أتعلم منك قال له اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه أنا والجمهور على أنه الخضر وخالف من لا يعتد بخلافه فزعم انه عالم آخر * وقيل اليسع * وقيل الياس * وقيل خضرون ابن قابيل بن آدم عليه السلام * قيل واسم الخضر بليا بن ملكان والجمهور على أن الخضر نبي وكان علمه معرفة بواطن قد أوحيت اليه وعلم موسى الأحكام والفتيا بالظاهر وروى انه وجد قاعدا على ثبج البحر * وفي الحديث سمي خضرا لانه جلس على فروة بالية فاهتزت تحته خضراء * وقيل كان اذا صلى اخضر ماحوله * وقيل جلس على فروة بيضاء وهي الأرض المرتفعة * وقيل الصلبة واهتزت تحته خضراء * وقيل كانت أمه رومية وأبوه فارسي * وقيل كان ابن ملك من الملوك أراد أبوه أن يستخلفه من بعده فلم يقبل منه ولحق بجزائر البحر فطلبه أبوه فلم يقدر عليه والجمهور على انه مات * وقال شرف الدين أبو عبدالله محمد بن أبي الفضل المرسي أما خضر موسى بن عمران فليس بحي لانه لو كان حيا للزمه المجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به واتباعه * وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان موسى وعيسى حيين لم يسعهما الا اتباعي انتهى هكذا أورد الحديث ومذهب المسلمين ان عيسى حي وانه ينزل من السماء ولعل الحديث لو كان موسى حيا لم يسعه الا اتباعي والرحمة التي آتاه الله اياها هي الوحي والنبوة * وقيل الرزق وعلمناه من لدنا علما أي من عندنا أي مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب * وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو من لدنا بتخفيف النون وهي لغة في لدن وهي الاصل * قيل وقد أولع كثير ممن ينتمي الى الصلاح بادعاء هذا العلم ويسمونه العلم اللدني وانه يلقى في روع الصالح منهم شيء من ذلك حتى يخبر بان من كان من أصحابه هو من أهل الجنة على سبيل القطع وأن بعضهم يرى الخضر * وكان قاضي القضاة أبو الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد يخبر عن شيخ له انه رأى الخضر وحدثه فقيل له من أعلمه انه الخضر ومن أين عرف ذلك فسكت وبعضهم يزعم أن الخضرية رتبة يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر وسمعنا

(ح) قال أبو عبدالله محمد بن أبي الفضل المرسي أما خضر موسى بن عمران فليس بحي لانه لو كان حيا للزمه المجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به واتباعه وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كان موسى وعيسى حيين لم يسعهما الا اتباعي انتهى هكذا أورد هذا الحديث ومذهب المسلمين أن عيسى حي وانه ينزل من السماء ونقل الحديث لو كان موسى حيا لم يسعه الا اتباعي (ح) قد اولع كثير ممن ينتمي الى الصلاح بادعاء هذا العلم يعني علم الاخبار عن الغيوب ويسمونه العلم اللدني وانه يلقى في روع الصالح منهم شيء من ذلك حتى يخبر بأن من كان من أصحابه هو من أهل الجنة على سبيل القطع وان بعضهم يرى الخضر وكان قاضي الجماعة أبو الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد يخبر عن شيخ له انه رأى الخضر وحدثه فقيل له من أعلمه انه الخضر ومن أين عرف ذلك فسكت وبعضهم يزعم أن الخضرية رتبة يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر وسمعنا الحديث عن شيخ يقال له عبد الواحد العباسي الحنبلي وكان أصحابه الحنابلة يعتقدون فيه أنه يجتمع بالخضر

﴿ فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة ﴾ الآية فانطلقا أى موسى والخضر وكان معهما يوشع ولم يضم اليه لأنه فى حكم التبع وقيل كان موسى قد صرفه ورده الى بنى اسرائيل والألف واللام فى السفينة لتعريف الجنس اذ لم يتقدم عهد فى سفينة مخصوصة وقد روى فى كيفية ركوبهما السفينة وخرقها وسدها أقوال والمعتمد ما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما قالا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى صلى الله عليه وسلم قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها الى قوله عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الأولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فقال له الخضر ما علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر واللام فى لتغرق أهلها قيل لام العاقبة وقيل لام العلة وقرئ ليغرق بفتح التاء والراء وسكون الغين أهلها بالرفع وقرئ بتاء الخطاب ثم ذكره الخضر بما سبق له من نفى استطاعته الصبر لما يرى فـ ﴿ قال لا تؤاخذنى بما نسيت ﴾ والظاهر حمل النسيان على وضعه وقد قال صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا والمعنى أنه نسى العهد الذى كان بينهما من عدم سؤاله حتى يكون هو المخبر له أولا ﴿ لقد جئت شيأ امرا ﴾ أى شنيعا من الأمور كالداهية

الحديث عن شيخ يقال له عبد الواحد العباسى الحنبلى وكان أصحابه الحنابلة يعتقدون فيه انه يجتمع بالخضر قال له موسى فى الكلام محذوف تقديره فلما التقيا وتراجعا الكلام وهو الذى ورد فى الحديث الصحيح قال له موسى هل أتبعك وفى هذا دليل على التواضع للعالم وفى هذه القصة دليل على الحث على الرحلة فى طلب العلم وعلى حسن التلطف والاستنزال والأدب فى طلب العلم بقوله هل أتبعك وفيه المسافرة مع العالم لاقتباس فوائده والمعنى هل يخف عليك ويتفق لك وانتصب رشدا على انه مفعول ثان لقوله تعلمنى أو على انه مصدر فى موضع الحال وذو الحال الضمير فى أتبعك * وقال الزمخشرى علما ذا رشد أرشد به فى دينى قال (فان قلت) أما دلت حاجته الى التعلم من آخر فى عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبى يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وامامهم المرجوع اليه فى أبواب الدين (قلت) لا غضاضة بالنبى فى أخذ العلم من نبى قبله وانما يغض منه أن يأخذ ممن دونه * وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله انتهى * وقرأ الحسن والزهرى وأبو بحرية وابن محيصن وابن مناذر ويعقوب وأبو عبيد واليزيدى رشدا بفتحتين وهى قراءة أبى عمرو من السبعة * وقرأ باقى السبعة بضم الراء واسكان الشين ونفى الخضر استطاعة الصبر معه على سبيل التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى أمورا هى فى ظاهرها ينكرها الرجل الصالح فكيف النبى فلا يتمالك أن يشمئز لذلك ويبادر بالانكار وكيف تصبر أى ان صبرك على ما لا خبرة لك به مستبعد وفيه ابداء عذر له حيث لا يمكنه الصبر لما يرى من منافاة ما هو عليه من شريعته وانتصب خبرا على التمييز أى مما لم يحط به خبرك فهو منقول من الفاعل أو على انه مصدر على غير الصدر لان معنى بما لم تحط به لم تخبره * وقرأ الحسن وابن هرمز خبرا بضم الباء قال ستجدنى ان شاء الله صابرا وعده بوجدانه صابرا وقرن ذلك بمشيئة الله علما منه بشدة الأمر وصعوبته اذ لا يصبر الا على ما ينافى ما هو عليه اذا رآه ولا أعصى يحتمل أن يكون معطوفا على صابرا أى صابرا وغير عاص فيكون فى موضع نصب عطف الفعل على الاسم اذا كان فى معناه كقوله صافات ويقبضن أى وقابضات ويجوز أن يكون معطوفا على ستجدنى فلا محل له من الاعراب ولا يكون مقيدا بالمشيئة لفظا * وقال القشيرى وعد موسى من نفسه بشيئين بالصبر وقرنه بالاستثناء بالمشيئة فصبر حين وجد على يدى الخضر فيما كان منه من الفعل وبأن لا يعصيه فأطلق ولم يقرنه بالاستثناء فعصاه حيث قال له فلا تسألنى فكان يسأله فما قرن بالاستثناء لم يخالف فيه وما أطلقه وقع فيه الخلف انتهى وهذا منه على تقدير أن يكون ولا أعصى معطوفا على ستجدنى فلم يندرج تحت المشيئة قال فان اتبعتنى أى اذا رأيت منى شيأ خفى عليك وجه صحته فأنكرت فى نفسك فلا تفاتحنى بالسؤال حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم المتبوع * وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألنى وعن أبى جعفر بفتح السين واللام من غير همز مشددة النون وباقى السبعة بالهمز وسكون اللام وتخفيف النون * قال أبو على كلهم بياء فى الحالين انتهى * وعن ابن عامر فى حذف الياء خلاف غريب ﴿ فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ إمرا

والادّي ونحوه ﴿فانطلقا﴾ في الكلام حذف تقديره فخرجا من السفينة ولم يقع غرق باهلها فانطلقا فبينما هما يمشيان على ساحل البحر اذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الصبيان وفي بعض الروايات فمر بغلمان يلعبون فعمد الخضر الى غلام حسن الهيئة وضئ الوجه فاقتلع رأسه وقيل غير ذلك من كيفيات القتل وحكى القرطبي عن صاحب العرس والعرائس أن موسى لما قال للخضر أقتلت نفسا زكية غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه واذا في عظم كتفه مكتوب كافر لايؤمن بالله أبدا ومعنى زاكية طاهرة من الذنوب ووصفها بهذا الوصف لأنه لم يرها أذنبت ومعنى نكرا أنكر من الأول لأن الخرق يمكن سده والقتل لاسبيل الى تدارك الحياة معه وفي قوله لك زجر واغلاظ ليس في الأول لأن مواقعة التساؤل ثابتة بعد التقدم الى ترك السؤال واستعذار (١٤٩) موسى صلى الله عليه وسلم بالنسيان أقطع وأقطع في المخالفات لما كان أخذ على نفسه من الصبر وانتفاء العصيان ﴿قال ان سألتك عن شئ بعدها﴾ أي بعد هذه القصة أو بعد هذه المسئلة ﴿فلاتصاحبني﴾ أي فاوقع الفراق بيني وبينك ومعنى قد بلغت أي قد أعذرت الي و بلغت الى العذر وفي البخاري قال يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر حتى يقص علينا من أمرهما والقرية التي أتيا أهلها قيل الجزيرة الخضراء وقيل غير ذلك وفي الحديث انهما كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله وتكرر لفظ أهل على سبيل التوكيد وقد يظهر له فائدة غير التوكيد وهو أنهما حين أتيا أهل القرية لم يأتيا جميع أهل القرية انما أتيا بعضهم فلما قال استطعما احتمل أنهما لم يستطعما الا ذلك البعض الذي أتياه فجيء بلفظ أهلها لتعم جميعهم وأنهم تتبعوهم واحدا واحدا بالاستطعام ولو كان التركيب استطعماهم لكان عائدا على البعض المأتي واسناده الارادة الى الجدار من المجاز البليغ والاستعارة البارعة وكثيرا ما يوجد في كلام العرب اسناد أشياء تكون من أفعال العقلاء الى مالايعقل من الحيوان والجماد والمعنى لو كان الجماد أو الحيوان الذي لايعقل مكان العاقل لكان صادرا منه ذلك الفعل فاقامه قال ابن عباس دفعه بيده فاستقام وهذا أليق بحال الأنبياء عليهم السلام ﴿قال لو شئت﴾ ظاهره أنه اعتراض اذ كان في غاية الاحتياج الى الطعام فناسب أخذ الأجر على مافعله من اقامة الجدار ولذلك قال هذا فراق بيني و بينك اذ قد تقدم قوله ان سألتك عن شئ وقوله لو شئت يتضمن معنى السؤال وقرئ لاتخذت واتخذت والماضي تخذ يتخذ كتبع يتبع والتاء أصلية ﴿سأنبئك﴾ أي سأخبرك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا أي بما آل اليه الأمر فيما كان ظاهره أن لايكون

قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لاتؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلاتصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني و بينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ﴿فانطلقا أي موسى والخضر وكان معهم يوشع ولم يضمر لانه في حكم التبع ﴿ وقيل كان موسى قد صرفه ورده الى بني اسرائيل والألف واللام في السفينة لتعريف الجنس اذ لم يتقدم عهد في سفينة مخصوصة وروى في كيفية ركوبهما السفينة وخرقها وسدها أقوال والمعتمد مارواه البخاري ومسلم في صحيحيهما قالا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها الى قوله عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الأول من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فقال له الخضر ماعلمي وعلمك من علم الله الا مثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر واللام في لتغرق أهلها ﴿ قيل لام العاقبة ﴿ وقيل لام العلة ﴿ وقرأ زيد بن علي والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وحمزة والكسائي وخلف وأبو عبيد وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني ليغرق بفتح الياء والراء وسكون الغين أهلها بالرفع ﴿ وقرأ باقي السبعة بضم تاء الخطاب واسكان الغين وكسر الراء ونصب لام أهلها ﴿ وقرأ الحسن وأبو رجاء كذلك الا أنهما فتحا الغين وشددا الراء ثم ذكره الخضر بما سبق له من نفي استطاعته الصبر لما يرى فقال لاتؤاخذني بما نسيت

والظاهر حمل النسيان على وضعه وقد قال عليه السلام كانت الأولى من موسى نسيانا والمعنى انه نسي العهد الذى كان بينهما من عدم سؤاله حتى يكون هو المخبر له أولا وهذا قول الجمهور * وعن أبيّ ابن كعب انه ما نسي ولكن قوله هذا من معاريض الكلام * قال الزمخشرى أراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أخرج الكلام فى معرض النهى عن المؤاخذة بالنسيان توهمه أنه نسي ليبسط عذره فى الانكار وهو من معاريض الكلام التى ينفى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم عليه السلام هذه أختى وانى سقيم أو أراد بالنسيان الترك أى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك أول مرة انتهى وقد بين ابن عطية كلام أبيّ بكلام طويل يوقف عليه فى كتابه ولا يعتمد الا قول الرسول كانت الأولى من موسى نسيانا ولا ترهقنى لا تغشنى وتكلفنى من أمرى وهو اتباعك عسرا أى شيأ صعبا بل سهل علىّ فى متابعتك بترك المناقشة * وقرأ أبو جعفر عسرا بضم السين حيث وقع فانطلقا فى الكلام حذف تقديره فخرجا من السفينة ولم يقع غرق بأهلها فانطلقا فبينماهما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الصبيان وفى بعض الروايات فر بغلمان يلعبون فعمد الخضر الى غلام حسن الهيئة وضيء الوجه فاقتلع رأسه * وقيل رضه بحجر * وقيل ذبحه * وقيل فتل عنقه * وقيل ضرب برأسه الحائط * قيل وكان هذا الغلام لم يبلغ الحلم ولهذا قال أقتلت نفسا زاكية * وقيل كان الغلام بالغا شابا والعرب تبقى على الشاب اسم الغلام * ومنه قول ليلى الاخيلية فى الحجاج

شفاها من الداء الذى قد أصابها * غلام اذا هز القناة سقاها

﴿ وقال آخر ﴾ تلق ذباب السيف عنى فاننى * غلام اذا هوجيت لست بشاعر

* وقيل أصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وذلك انما يكون فى الشباب الذين قد بلغوا الحلم ويتناول الصبى الصغير تجوزا تسمية للشئ باسم ما يؤول اليه (واختلف فى اسم هذا الغلام واسم أبيه واسم أمه) ولم يرد شئ من ذلك فى الحديث وفى الخبر ان هذا الغلام كان يفسد ويقسم لأبويه أنه ما فعل فيقسمان على قسمه ويحميانه ممن يطلبه * وحكى القرطبى عن صاحب العرس والعرائس ان موسى عليه السلام لما قال للخضر أقتلت نفسا زاكية غضب الخضر واقتلع كتف الصبى الايسر وقشر اللحم عنه واذا فى عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا * وقال الزمخشرى (فان قلت) لم قيل خرقها بغير فاء وفقتله بالفاء (قلت) جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت (فان قلت) فلم خولف بينهما (قلت) لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام انتهى ومعنى زاكية طاهرة من الذنوب ووصفها بهذا الوصف لانه لم يرها أذنبت قيل أولانها صغيرة لم تبلغ الحنث وقوله بغير نفس يرده ويدل على كبر الغلام والا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس * وقرأ ابن عباس والاعرج وأبو جعفر وشيبة وابن محيصن وحميد والزهرى ونافع واليزيدى وابن مسلم وزيد وابن بكير عن يعقوب والتمار عن رويس عنه وأبو عبيد وابن جبير الانطاكى وابن كثير وأبو عمرو زاكية بالالف * وقرأ زيد بن على والحسن والجحدرى وابن عامر والكوفيون زكية بغير ألف وبتشديد الياء وهى أبلغ من زاكية لان فعيلا المحول من فاعل يدل على المبالغة * وقرأ الجمهور نكرا باسكان الكاف * وقرأ نافع وأبو بكر وابن ذكوان وأبو جعفر وشيبة وطلحة ويعقوب وأبو حاتم برفع الكاف حيث كان منصوبا * والنكر قيل أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة * وقيل

معناه شيأ أنكر من الاول لان الخرق يمكن سده والقتل لاسبيل الى تدارك الحياة معه وفى قوله لك زجر واغلاظ ليس فى الاول لان موقعه التساؤل بأنه بعد التقدم الى ترك السؤال واستعذار موسى بالنسيان أفظع وأفظع فى المخالفة لما كان أخذ على نفسه من الصبر وانتفاء العصيان قال ان سألتك عن شئ بعدها أى بعد هذه القصة أو بعد هذه المسألة فلا تصاحبنى أى فأوقع الفراق بينى و بينك * وقرأ الجهور فلا تصاحبنى من باب المفاعلة * وقرأ عيسى و يعقوب فلا تصحبنى مضارع صحب وعيسى أيضا بضم التاء وكسر الحاء مضارع أصحب ورواها سهل عن أبى عمرو أى فلا تصحبنى علمك وقدره بعضهم فلا تصحبنى اياك و بعضهم نفسك * وقرأ الأعرج بفتح التاء والباء وشد النون ومعنى قد بلغت من لدنى عذرا أى قد اعتذرت الى و بلغت الى العذر * وقرأ الجهور من لدنى بادغام نون لدن فى نون الوقاية التى اتصلت بياء المتكلم * وقرأ نافع وعاصم بتخفيف النون وهى نون لدن اتصلت بياء المتكلم وهو القياس لأن أصل الأسماء اذا أضيفت الى ياء المتكلم لم تلحق نون الوقاية نحو غلامى وفرسى وأشم شعبة الضم فى الدال وروى عن عاصم سكون الدال * قال ابن مجاهد وهو غلط وكأنه يعنى من جهة الرواية وأما من حيث اللغة فليست بغلط لأن من لغاتها لد بفتح اللام وسكون الدال * وقرأ عيسى عذرا بضم الذال ورويت عن أبى عمرو وعن أبى عذرى بكسر الراء مضافا الى ياء المتكلم وفى البخارى قال يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر حتى يقص علينا من أمرهما وأسند الطبرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لأحد بدأ بنفسه فقال رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لرأى العجب ولكنه قال فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا والقرية التى أتيا أهلها انطاكية أو الابلة أو بجزيرة الأندلس وهى الجزيرة الخضراء أو برقة أو أبو حوران بناحية أذربيجان أو ناصرة من أرض الروم أو قرية بأرمينية أقوال مضطربة بحسب اختلافهم فى أى ناحية من الارض كانت قصة والله أعلم بحقيقة ذلك وفى الحديث انهما كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله تعالى وتكرر لفظ أهل على سبيل التوكيد وقد يظهر له فائدة عن التوكيد وهو انهما حين أتيا أهل القرية لم يأتيا جميع أهل القرية انما أتيا بعضهم فلما قال استطعما احتمل أنهما لم يستطعما الا ذلك البعض الذى أتياه فجىء بلفظ أهلها ليعم جميعهم وأنهم يتبعونهم واحدا واحدا بالاستطعام ولو كان التركيب استطعماهم لكان عائدا على البعض المأتى * وقرأ الجهور يضيفوهما بالتشديد من ضيف * وقرأ ابن الزبير والحسن وأبو رجاء وأبو رزين وابن محيصن وعاصم فى رواية المفضل وأبان بكسر الضاد واسكان الياء من أضاف كما تقول ميل وأمال واسناد الارادة الى الجدار من المجاز البليغ والاستعارة البارعة وكثيرا ما يوجد فى كلام العرب اسناد أشياء تكون من أفعال العقلاء الى ما لا يعقل من الحيوان والى الجماد أو الحيوان الذى لا يعقل مكان العاقل لكان صادرا منه ذلك الفعل وقد أكثر الزمخشرى وغيره من ايراد الشواهد على ذلك ومن له أدنى مطالعة لكلام العرب لا يحتاج الى شاهد فى ذلك * قال الزمخشرى ولقد بلغنى ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده أصح وأفصح وعنده ان ما كان أبعد من المجاز أدخل فى الاعجاز انتهى وما ذكره أهل أصول الفقه عن أبى بكر محمد بن داود الاصبهانى من أنه ينكر المجاز فى القرآن لعله لا يصح عنه وكيف يكون ذلك وهو أحد الأدباء الشعراء الفحول المجيدين فى النظم والنثر

(الدر)

(ح) ما ذكره اهل أصول الفقه عن أبى بكر محمد بن داود الاصبهانى من أنه ينكر المجاز فى القرآن لعله لا يصح عنه وكيف يكون ذلك وهو أحد الأدباء الشعراء الفحول المجيدين فى النظم والنثر

* وقرأ الجمهور ينقض أي يسقط من انقضاض الطائر ووزنه انفعل نحو انجر * قال صاحب اللوامح من القضة وهي الحصى الصغار ومنه طعام قضض اذا كان فيه حصى فعلى هذا يريد أن ينقض أي يتفتت فيصير حصاة انتهى * وقيل وزنه افعل من النقض كاحمر * وقرأ أبي ينقض بضم الياء وفتح القاف والضاد مبنيا للمفعول من نقضته وهي مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حرف عبد الله وقراءة الاعمش يريد لينقض كذلك الا أنه منصوب بأن المقدرة بعد اللام * وقرأ علي وعكرمة وأبو شيخ خيوان بن خالد الهنائي وخليد بن سعد ويحيي بن يعمر ينقاص بالصاد غير معجمة مع الالف ووزنه ينفعل اللازم من قاص يقيص اذا كسرته تقول قصيته فانقاص * قال ابن خالويه وتقول العرب انقاصت السن اذا انشقت طولا * قال ذو الرمة منقاص ومنكثب * وقيل اذا تصدعت كيف كان * ومنه قول أبي ذؤيب

فراق كقص السن فالصبر انه * لكل اناس عثرة وجبور

* وقرأ الزهري ينقاض بألف وضاد معجمة وهو من قولهم قضته معجمة فانقاض أي هدمته فانهدم * قال أبو علي والمشهور عن الزهري بصاد غير معجمة فأقامه الظاهر انه لم يهدمه وبناه كما ذهب اليه بعضهم من أنه هدمه وقعد يبنيه ووقع هذا في مصحف عبد الله وأيد بقوله لتخذت عليه أجرا لان بناءه بعد هدمه يستحق عليه أجرا * وقال ابن جبير مسحه بيده وأقامه فقام * وقيل أقامه بعمود عمده به * وقال مقاتل سواه بالشيد أي لبسه به وهو الجيار * وعن ابن عباس دفعه بيده فاستقام وهذا أليق بحال الأنبياء * قال الزمخشري كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا وطلبت على عملك جعلا حتى تنتعش به وتستدفع الضرورة انتهى * قال ابن عطية وقوله لو شئت لاتخذت عليه أجرا وان لم يكن سؤالا ففي ضمنه الانكار لفعله والقول بتصويب أخذ الأجر وفي ذلك تخطئة ترك الأجر انتهى * وقرأ عبد الله والحسن وقتادة وابن بحرية ولتخذت بتاء مفتوحة وخاء مكسورة يقال تخذ واتخذ نحو تبع واتبع افتعل من تخذ وأدغم التاء في التاء * قال الشاعر

وقد تخذت رجلي الى جنب غرزها * نسيفا كأفحوص القطاة المطرق

والتاء أصل عند البصريين وليس من الأخذ وزعم بعضهم ان الاتخاذ افتعال من الأخذ وأنهم ظنوا التاء أصلية فقالوا في الثلاثي تخذ كما قالوا تقي من اتقى والظاهر ان هذا اشارة الى قوله لو شئت أي هذا الاعراض سبب الفراق بيني وبينك على حسب ما سبق من ميعاده أنه قال ان سألتك وهذه الجملة وان لم تكن سؤالا فانها تتضمنه اذ المعنى ألم تكن تتخذ عليه أجرا لاحتياجنا اليه * وقال الزمخشري قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني فأشار اليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الأخ انتهى وفيما قاله نظر * وقرأ ابن أبي عبلة فراق بيني بالتنوين والجمهور على الاضافة * والبين قال ابن عطية الصلاح الذي يكون بين المصطحبين ونحوهما وذلك مستعار فيه من الظرفية ومستعمل استعمال الأسماء وتكريره بيني وبينك وعدوله عن بيننا لمعنى التأكيد سأنبئك أي سأخبرك بتأويل ما رأيت من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار أي بما آل اليه الامر فيما كان ظاهره أن لا يكون * وقرأ ابن وثاب سأنبيك باخلاص الياء من غير

﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾ الآية واللام فى لمساكين ظاهره أنها للاختصاص وأنهم كانوا مالكين لها ﴿فأردت أن أعيبها﴾ فيه اسناد ارادة العيب اليه ﴿وراءهم ملك﴾ وراء من الاضداد بمعنى خلف وبمعنى أمام وفسر هنا وراءهم بمعنى امامهم ملك ذكر أن اسمه هدد بن بدد وكان كافرا وقرأ أبى وعبد الله ﴿كل سفينة﴾ صالحة ويحمل ذلك على التفسير لا على أنه قرآن وانتصب غصبا على أنه مفعول من أجله ولما ظهر له أن السفينة قد عيبت باخراج بعض ألواحها وخوف أهلها من الغرق لم يتعرض هذا الملك الى أخذها ﴿وأما الغلام﴾ فالألف واللام فيه للعهد إذ قد تقدم مجيئه نكرة وهو لقيا غلاما فهو نظير كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ﴿وكان أبواه مؤمنين﴾ يراد بأبويه أبوه وأمه ثنى تغليبا من باب القمرين فى الشمس والقمر وهى تثنية لاتقاس ﴿فخشينا﴾ أى خفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه وانما خشى الخضر منه ذلك لأن الله عز وعلا أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها فى حياته والزكاة هنا الطهارة والنقاء من الذنوب وما ينطوى عليه من شرف الخلق والسكينة والرحم والرحمة العطف مصدران كالكثر والكثرة وأفعل هنا ليس للتفضيل لان ذلك الغلام الكافر لازكاة فيه ولا رحمة والظاهر أن قوله ﴿وأقرب رحما﴾ أى برحم والديه * وقال ابن جريج وبرحمانه * وقال رؤبة بن العجاج

يامنزل الرحم على ادريسا ومنزل اللعن على ابليسا

وقيل الرحم من الرحمة والقرابة ووصف الغلامين باليتم يدل أنهما كانا صغيرين وفى الحديث لايتم بعد البلوغ واسمهما أصرم وصريم واسم ابيهما كاشح واسم أمهما دهنا والظاهر أن أباهما هو الاقرب اليهما الذى ولدهما دنية وفى الحديث ان الله تعالى يحفظ الرجل الصالح فى ذريته وانتصب رحمة على المفعول له والظاهر فى الكنز أنه مال مدفون جسيم ذهب وفضة وفى قوله ﴿فاراد ربك﴾ اسناد الارادة الى الله المتضمنة من إرادة الخير بخلاف ماتقدم من قوله فأردت أن اعيبها ﴿وما فعلته عن أمرى﴾ الضمير فى فعلته عائد على ماتقدم من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار عن أمرى يدل على أن ذلك كان بأمر الله وقد استدل بهذا على أن الخضر كان نبيا * ونستطيع مضارع استطاع بهمزة الوصل وقال ابن السكيت يقال مااستطيع وما اسطيع وما استيع وما استيع أربع لغات والمحذوف فى يسطيع تاء الافتعال إذ الإصل هى الطاء فاء الكلمة والالف المنقلبة عن الواو وهى عين الكلمة آخر الام الكلمة والاصول الطوع والله أعلم

همز وعن ابن عباس كان قول موسى فى السفينة وفى الغلام لله وكان قوله فى الجدار لنفسه لطلب شئ من الدنيا فكان سبب الفراق * وقال أرباب المعانى هذه الامثلة التى وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى واعجاله وذلك انه لما أنكر خرق السفينة نودى ياموسى أين كان تدبيرك هذا وأنت فى التابوت مطروحا فى اليم فلما أنكر قتل الغلام قيل له أين انكارك هذا من وكز القبطى وقضائك عليه فلما أنكر اقامة الجدار نودى أين هذا من رفعك الحجر لبنات شعيب دون أجرة سأنبئك فى معانى هذا معك ولا أفارقك حتى أوضح لك مااستبهم عليك ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا﴾ روى ان موسى عليه السلام لما عزم الخضر على مفارقته أخذ بثيابه وقال لا أفارقك حتى تخبرنى بم أباح لك فعل مافعلت فلما التمس ذلك منه أخذ فى البيان والتفصيل فقال أما السفينة فبدأ بقصة ماوقع له أولا * قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر * وقيل كانوا أجراء فنسبت اليهم للاختصاص * وقرأ الجمهور مساكين بتخفيف السين جمع مسكين * وقرأ على كرم الله وجهه بتشديد السين جمع مساك جمع تصحيح * فقيل المعنى ملاحين والمساك الذى يمسك رجل السفينة وكل منهم يصلح لذلك * وقيل المساكون دبغة المسوك وهى الجلود واحدها مسك والقراءة الاولى تدل على ان السفينة كانت لقوم ضعفاء ينبغى أن يشفق عليهم واحتج بهذه الآية على ان المسكين هو الذى له بلغة من العيش كالسفينة لهؤلاء وانه

أصلح حالا من الفقير وقوله فأردت فيه اسناد ارادة العيب اليه وفى قوله فأراد ربك أن يبلغا لما فى ذكر العيب مافيه فلم يسنده الى الله ولما فى ذلك من فعل الخير أسنده الى الله تعالى * قال الزمخشرى (فان قلت) قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه (قلت) النية به التأخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظنى مقيم * وقيل فى قراءة أبى وعبدالله كل سفينة صالحة انتهى ومعنى أن أعيبها بخرقها * وقرأ الجمهور وراءهم وهو لفظ يطلق على الخلف وعلى الامام ومعناه هنا أمامهم وكذا قرأ ابن عباس وابن جبير وكون وراءهم بمعنى امامهم قول قتادة وأبى عبيد وابن السكيت والزجاج ولا خلاف عند أهل اللغة ان وراء يجوز بمعنى قدام وجاء فى التنزيل والشعر قال تعالى من ورائه جهنم وقال ومن ورائه عذاب غليظ وقال ومن ورائهم برزخ * وقال لبيد

أليس ورائى ان تراخت منيتى * لزوم العصا يحنى عليها الاصابع

﴿ وقال سوار بن المضرب السعدى ﴾

أيرجو بنو مروان سمعى وطاعتى * وقومى تميم والفلاة ورائيا

﴿ وقال آخر ﴾

أليس ورائى ان أدب على العصا * فتأمن أعداء وتسأمنى أهلى

* وقال ابن عطية وقوله وراءهم عندى هو على بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجئ يراعى بها الزمن والذى يأتى بعد هو الوراء وهو ماخلف وذلك بخلاف مايظهر بادى الرأى وتأمل هذه الالفاظ فى مواضعها حيث وردت تجدها تطرد فهذه الآية معناها ان هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتى بعده فى الزمن غصب هذا الملك ومن قرأ أمامهم أراد فى المكان أى انهم كانوا يسيرون الى بلده وقوله تعالى فى التوراة والانجيل انها بين يدى القرآن مطرد على ماقلناه فى الزمن وقوله من ورائهم جهنم مطرد كما قلنا من مراعاة الزمن وقول النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة أمامك يريد فى المكان والا فكونهم فى ذلك الوقت كان امام الصلاة فى الزمن وتأمل هذه المقالة فانها مربحة من شغب هذه الالفاظ ووقع لقتادة فى كتب الطبرى وكان وراءهم ملك * قال قتادة امامهم ألا ترى انه يقول من ورائهم جهنم وهى من بين أيديهم وهذا القول غير مستقيم وهذه هى العجمة التى كان الحسن بن أبى الحسن يضج منها قاله الزجاج ويجوز ان كان رجوعهم فى طريقهم على الغاصب فكان وراءهم حقيقة انتهى وهو كلام فيه تكثير وكأنه ينظر الى ماقاله الفراء * قال الفراء لا يجوز أن يقال للرجل بين يديك هو وراءك انما يجوز ذلك فى المواقيت من الليالى والايام والدهر تقول وراءك برد شديد وبين يديك برد شديد جاز الوجهان لان البرد اذا لحقك صار من ورائك وكأنك اذا بلغته صار بين يديك قال انما جاز هذا فى اللغة لان مابين يديك وماقدامك اذا توارى عنك فقد صار وراءك * وقال أبو على انما جاز استعمال وراء بمعنى امام على الاتساع لانها جهة مقابلة لجهة فكانت كل واحدة من الجهتين وراء الاخرى اذا لم يرد معنى المواجهة ويجوز ذلك فى الاجرام التى لا وجه لها مثل حجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر وأكثر أهل اللغة على ان وراء من الاضداد انتهى * قيل واسم هذا الملك هدد بن بدد وكان كافرا * وقيل الجلندى ملك غسان وقوله فكان أبواه مؤمنين فى هذا حذف وهو ان المعنى وكان كافرا وكذا وجد فى مصحف أبى * وقرأ ابن عباس وأما الغلام فكان كافرا

وكان أبواه مؤمنين ونص في الحديث على انه كان كافرا مطبوعا على الكفر ويراد بأبويه أبوه وأمه ثنى تغليبا من باب القمرين في القمر والشمس وهي تثنية لا تنقاس * وقرأ أبو سعيد الخدري والجحدري فكان أبواه مؤمنان تخرجه الزمخشري وابن عطية وأبو الفضل الرازي على ان في كان ضمير الشأن والجملة في موضع خبر لكان وأجاز أبو الفضل الرازي على ان في كان ضمير الشأن والجملة في موضع خبر لكان وأجاز أبو الفضل الرازي أن يكون مؤمنان على لغة بني الحرث ابن كعب فيكون منصوبا وأجاز أيضا أن يكون في كان ضمير الغلام والجملة خبر كان فخشينا أي خفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وعلا أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي نخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك قاله الزمخشري وفي قوله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته مذهب المعتزلة في قولهم بالاجلين والظاهر اسناد فعل الخشية في خشينا الى ضمير الخضر وأصحابه الصالحين الذين أهمهم الامر وتكلموا * وقيل هو في جهة الله وعنه عبر الخضر وهو الذي قال فيه الزمخشري ويجوز أن يكون الى آخر كلامه * قال الطبري ومعناه وقال معناه فكرهنا * قال ابن عطية والأظهر عندي في توجيه هذا التأويل وان كان اللفظ يدافعه انها استعارة أي على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للوالدين * وقرأ ابن مسعود فخاف ربك وهذا بين الاستعارة في القرآن في جهة الله تعالى من لعل وعسى فان جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية انما هو بحسبكم أيها المخاطبون ويرهقهما معناه يجشمهما ويكلفهما بشدة والمعنى أن يلقيهما حبه في اتباعه * وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر وشيبة وحميد والأعمش وابن جرير أن يبدلهما بالتشديد هنا وفي التحريم والقلم * وقرأ باقي السبعة والحسن وابن محيصن بالتخفيف والزكاة هنا الطهارة والنقاء من الذنوب وما ينطوي عليه من شرف الخلق والسكينة والرحم والرحمة العطف مصدران كالكثر والكثرة وافعل هنا ليست للتفضيل لان ذلك الغلام لا زكاة فيه ولا رحمة والظاهر ان قوله وأقرب رحما أي رحمة والديه وقال ابن جريج برحمانه * وقال رؤبة بن العجاج

يا منزل الرحم على ادريسا * ومنزل اللعن على ابليسا

* وقرأ ابن عامر وأبو جعفر في رواية ويعقوب وأبو حاتم رحما بضم الحاء * وقرأ ابن عباس رحما بفتح الراء وكسر الحاء * وقيل الرحم من الرحم والقرابة أي أوصل للرحم * قيل ولدت غلاما مسلما * وقيل جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الأمم * وقيل ولدت سبعين نبيا روى ذلك عن ابن عباس * قال ابن عطية وهذا بعيد ولا تعرف كثرة الأنبياء الا في بني اسرائيل ولم تكن هذه المرأة منهم انتهى ووصف الغلامين باليتم يدل على انهما كانا صغيرين وفي الحديث لا يتم بعد بلوغ أي كانا يتيمين على معنى الشفقة عليهما * قيل واسمهما أصرم وصريم واسم أبيهما كاشح واسم أمهما دهنا والظاهر في الكنز انه مال مدفون جسيم ذهب وفضة قاله عكرمة وقتادة * وقال ابن عباس وابن جبير كان علما في مصحف مدفونة * وقيل لوح من ذهب فيه كلمات حكمة وذكر وقد

صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا * الضمير في ويسألونك عائد على قريش أو على اليهود والمشهور ان السائلين قريش حين دستها اليهود على سؤاله عن الروح والرجل الطواف وفتية ذهبوا في الدهر ليقع امتحانه بذلك وذو القرنين هو الاسكندر اليوناني ذكره ابن اسحق * وقال وهب هو رومي وهل هو نبي أو عبد صالح ليس بنبي قولان * وقيل كان ملكا من الملائكة وهذا غريب * قيل ملك الدنيا مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران نمروذ وبخت نصر وكان بعد نمروذ * وعن علي كان عبدا صالحا ليس بملك ولا نبي ضرب على قرنه الأيمن فمات في طاعة الله ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين * وقيل طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها * وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان * وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس * وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس * وقيل كان لتاجه قرنان * وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين * قال الزمخشري ويجوز أن يسمى بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره انتهى * وقيل غير ذلك في تسميته ذا القرنين والمشهور انه الاسكندر * وقال أبو الريحان البيروني المنجم صاحب كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية هو أبو بكر بن سمي بن عمير بن افريقس الحميري بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها وهو الذي افتخر به أحد الشعراء من حمير حيث قال

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما * ملكا علا في الارض غير مبعد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي * أسباب ملك من كريم سيد

* قال أبو الريحان ويشبه أن يكون هذا القول أقرب لان الاذواء كانوا من اليمن وهم الذين لا تخلو أسماؤهم من ذي كذي المنار وذي نواس انتهى والشعر الذي أنشده نسب أيضا الى تبع الحميري وهو * قد كان ذو القرنين جدي مسلما * وعن علي وابن عباس أن اسمه عبد الله بن الضحاك * وعن محمد بن علي بن الحسين عياش * وعن أبي خيثمة هو الصعب بن جابر بن القلمس * وقيل مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث * وعن علي هو من القرن الاول من ولد يافث بن نوح * وعن الحسن كان بعد ثمود وكان عمره ألف سنة وستمائة * وعن وهب كان في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم والخطاب في عليكم للسائلين اما اليهود واما قريش على الخلاف الذي سبق في السائلين وقوله ذكرا يحتمل أن يريد قرآنا وأن يريد حديثا وخبرا والتمكين الذي له في الارض كونه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها * قال بعض المفسرين والدليل على انه الاسكندر ان القرآن دل على أن الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه الى أقصى المغرب والى أقصى المشرق والى أقصى الشمال بدليل أن يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون في أقصى الشمال وهذا الذي بلغه ملك هذا الرجل هو نهاية المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لاشك انه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب أن يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر وأن لا يكون مختفيا والملك الذي اسمه في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد ليس الا الاسكندر وذلك انه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد ان كان مع طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس

جزاء الله في الآخرة وهو الحسنى أي الجنة لان طمع المؤمن في الآخرة ورجاءه هو الذي حمله على أن من آمن لأجل جزائه في الآخرة وهو عظيم بالنسبة للاحسان في الدنيا ثم اتبع ذلك باحسانه له في الدنيا بقوله ﴿وسنقول له من أمرنا يسرا﴾ أي لا نقول له ما يتكافه مما هو شاق عليه أي قولا ذا يسر وسهولة كما قال قولا ميسورا ولما ذكر ما أعد الله له من الحسنى جزاء لم يناسب أن يذكر جزاءه بالفعل بل اقتصر على القول أدبا مع الله وان كان يعلم أنه يحسن اليه قولا وفعلا ﴿ثم أتبع سببا﴾ أي طريقا الى مقصده الذي يسر له والقوم هنا الزنج * والستر هنا البنيان وقيل غير ذلك والمعنى أنهم لا شئ لهم يسترهم من حر الشمس وقال مجاهد السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع الأرض وقال بعض الرجاز بالزنج حر غير الاجساد حتى كسا جلودها السوادا

وذبح في مذبحه ثم عطف الى أرمينية ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم نحو دارا بن دارا وهزمه مرات الى أن قتله صاحب حربه واستولى الاسكندر على ممالك الفرس وقصد الهند والصين وغزا الأمم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها * وورد في الحديث ان الذين ملكوا الارض أربعة مؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين وقد تقدم ذكر ذلك وثبت في علم التواريخ ان الذي هذا شأنه ما كان الا الاسكندر فوجب القطع أن المراد بذي القرنين هو الاسكندر بن فيلفوس اليوناني * وقيل تمكينه في الارض بالنبوة واجراء المعجزات * وقيل تمكينه بان سخر له السحاب وحمله عليها وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء * وقيل بكثرة أعوانه وجنوده والهيبة والوقار وقذف الرعب في أعدائه وتسهيل السير عليه وتعريفه فجاج الارض واستيلائه على برها وبحرها * وآتيناه من كل شئ أي يحتاج اليه في الوصول الى أغراضه سببا أي طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا وأصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى المقصود * وقال الحسن بلاغا الى حيث أراد * وقرأ زيد بن علي والزهري والاعمش وطلحة وابن أبي ليلى والكوفيون وابن عامر فاتبع ثلاثتها بالتخفيف * وقرأ باقي السبعة بالتشديد والظاهر انهما بمعنى واحد * وعن يونس بن حبيب وأبي زيد انه بقطع الهمزة عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب وبوصلها انما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات * وقرأ عبد الله وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن العاصي وابن عمر وعبد الله بن عمرو ومعاوية والحسن وزيد بن علي وابن عامر وحمزة والكسائي حامية بالياء أي حارة * وقرأ ابن عباس وباقي السبعة وشيبة وحميد وابن أبي ليلى ويعقوب وأبو حاتم وابن جبير الانطاكي حمئة بهمزة مفتوحة والزهري يلينها يقال حمئت البئر تحمأ حمأ فهي حمئة وحمأتها نزعت حمأتها وأحمأتها أبقيت فيها الحمأة ولا تنافي بين الحامية والحمئة اذ تكون العين جامعة للوصفين * وقال أبو حاتم وقد تمكن أن تكون حامية مهموزة بمعنى ذات حمأة فتكون القراءتان بمعنى واحد يعني انه سهلت الهمزة بابدالها ياء لكسرة ما قبلها وفي التوراة تغرب في ماء وطين * وقال تبع

فرأى مغيب الشمس عند مآبها * في عين ذي خلب وثأط حرمد

أي في عين ماء ذي طين وحمأ أسود وفي حديث أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى الشمس عند غروبها فقال أتدري أين تغرب يا أباذر فقلت لا فقال انها تغرب في عين حامية وهذا الحديث وظاهر النص دليل على أن قوله في عين متعلق بقوله تغرب لا ما قاله بعض المتعسفين ان قوله في عين حمئة انما المراد ان ذا القرنين كان فيها أي هي آخر الأرض ومعنى تغرب في عين أي فيما ترى العين لأن ذلك حقيقة كما نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض ويجوز أن تكون هذه العين من البحر ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها وزعم بعض البغداديين ان في بمعنى عند أي تغرب عند عين * ووجد عندها قوما أي عند تلك العين * قال ابن السائب مؤمنين وكافرين * وقال غيره كفرة لباسهم جلود السباع وطعامهم ما أحرقته الشمس من الدواب وما لفظته العين من الحوت اذا غربت * وقال وهب انطلق يؤم المغرب الى أن انتهى الى باسك فوجد جمعا لا يحصيهم الا الله فضرب حولهم ثلاثة عساكر حتى جمعهم في مكان واحد ثم دخل عليهم في النور ودعاهم الى عبادة الله فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه * وقال أبو زيد السهيلي هم أهل جابرس

و يقال لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم الذين آمنوا بصالح عليه السلام وظاهر قوله قلنا انه أوحى الله اليه على لسان ملك * وقيل كلمه كفاحا من غير رسول كما كلم موسى عليه السلام وعلى هذين القولين يكون نبيا و يبعد ماقاله بعض المتأولين انه الهام والقاء فى روعه لأن مثل هذا التخيير لا يكون الا بوحى اذ التكاليف وازهاق النفوس لا تتحقق بالالهام الا بالاعلام * وقال على بن عيسى المعنى قلنا يا محمد قالوا ياذا القرنين ثم حذف القول الاول لأن ذا القرنين لم يصح انه نبى فيخاطبه الله وعلى هذا يكون الضمير الذى فى قالوا المحذوفة يعود على جنده وعسكره الذين كانوا معه وقوله إما أن تعذب بالقتل على الكفر و إما أن تتخذ فيهم حسنا أى بالحمل على الايمان والهدى إما أن تكفر فتعذب و إما أن تؤمن فتحسن فعبر فى التخيير بالمسبب عن السبب * قال الطبرى اتخاذ الحسن هو اسرهم مع كفرهم يعنى انه خير مع كفرهم بين قتلهم و بين اسرهم وتفصيل ذى القرنين أما من ظلم وأما من آمن يدفع هذا القول ولما خيره تعالى بين تعذيبهم ودعائهم الى الاسلام اختار الدعوة والاجتهاد فى استئالتهم * فقال أما من دعوته فأبى الا البقاء على الظلم وهو الكفر هنا بلا خلاف فذلك هو المعذب فى الدارين وأما من آمن وعمل مايقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وأتى بحرف التنفيس فى فسوف نعذبه لما يتخلل بين اظهاره كفره و بين تعذيبه من دعائه الى الايمان وتأبيه عنه فهو لا يعاجلهم بالقتل على ظلمهم بل يدعوهم و يذكرهم فان رجعوا والا فالقتل وقوله ثم يرد الى ربه أى يوم القيامة وأتى بنون العظمة فى نعذبه على عادة الملوك فى قولهم نحن فعلنا وقوله الى ربه فيه اشعار بان التخيير لذى القرنين ليس من الله تعالى اذ لو كان كذلك لكان التركيب ثم يرد اليك فتعذبه ولا يبعد أن يكون التخيير من الله و يكون قد أعلم ذو القرنين بذلك اتباعه ثم فصل مخاطبا لاتباعه لا لربه تعالى وما أحسن مجىء هذه الجمل لماذكر مايستحقه من ظلم بدأ بما هو أقرب لهم ومحسوس عندهم وهو قوله فسوف نعذبه ثم أخبر بما يلحقه آخرا يوم القيامة وهو تعذيب الله اياه العذاب النكر ولان الترتيب الواقع هو كذا ولماذكر مايستحقه من آمن وعمل صالحا ذكر جزاء الله فى الآخرة وهو الحسنى أى الجنة لأن طمع المؤمن فى الآخرة ورجاءه هو الذى حمله على ان آمن لأجل جزائه فى الآخرة وهو عظيم بالنسبة للاحسان فى الدنيا ثم أتبع ذلك باحسانه له فى الدنيا بقوله وسنقول له من أمرنا يسرا أى لانقول له مايتكلفه مما هو شاق عليه أى قولا ذا يسر وسهولة كما قال قولا ميسورا ولماذكر ما أعد الله له من الحسنى جزاء لم يناسب أن يذكر جزاءه بالفعل بل اقتصر على القول أدبا مع الله تعالى وان كان يعلم أنه يحسن اليه فعلا وقولا * وقرأ حمزة والكسائى وحفص وأبو بحرية والاعمش وطلحة وابن مناذر و يعقوب وأبو عبيد وابن سعدان وابن عيسى الاصبهانى وابن جبير الانطاكى ومحمد بن جرير فله جزاء بالنصب والتنوين وانتصب جزاء على أنه مصدر فى موضع الحال أى مجازى كقولك فى الدار قائما زيد * وقال أبو على قال أبو الحسن هذا لا تكاد العرب تتكلم به مقدما الا فى الشعر * وقيل انتصب على المصدر أى يجزى جزاء * وقال الفراء منصوب على التفسير والمراد بالحسنى على قراءة النصب الجنة * وقرأ باقى السبعة جزاء الحسنى برفع جزاء مضافا الى الحسنى * قال أبو على جزاء الخلال الحسنة التى أتاها وعملها أو يراد بالحسنى الحسنة والجنة هى الجزاء وأضاف كما قال دار الآخرة وجزاء مبتدأ وله خبره * وقرأ عبد الله بن أبى اسحاق فله جزاء مرفوع وهو مبتدأ وخبر والحسنى بدل من جزاء * وقرأ ابن عباس ومسروق جزاء نصب بغير تنوين الحسنى بالاضافة و يخرج على حذف المبتدإ لدلالة

المعنى عليه أى فله الجزاء جزاء الحسنى وخرجه المهدوى على حذف التنوين لالتقاء الساكنين * وقرأ أبو جعفر يسرا بضم السين حيث وقع * ثم أتبع سببا أى طريقا الى مقصده الذى يسرله * وقرأ الحسن وعيسى وابن محيصن مطلع بفتح اللام وروبت عن ابن كثير وأهل مكة وهو القياس * وقرأ الجمهور بكسرها وهو سماع فى أحرف معدودة وقياس كسره أن يكون المضارع تطلع بكسر اللام وكان الكسائى يقول هذه لغة ماتت فى كثير من لغات العرب يعنى ذهب من يقول من العرب تطلع بكسر اللام وبقى مطلع بكسرها فى اسم المكان والزمان على ذلك القياس والقوم هنا الزنج * وقال قتادة هم الهنود وما وراءهم * والستر البنيان أو الثياب أو الشجر والجبال أقوال والمعنى انهم لا شئ لهم يسترهم من حر الشمس * وقيل تنفذ الشمس سقوفهم وثيابهم فتصل الى أجسامهم * فقيل اذا طلعت نزلوا الماء حتى ينكسر حرها قاله الحسن وقتادة وابن جريج * وقيل يدخلون اسرابا * وقال مجاهد السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض * قال ابن عطية والظاهر من اللفظ انها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم وفعلها بقدرة الله فيهم ونيلها منهم ولو كانت لهم اسراب لكان سترا كثيفا انتهى * وقال بعض الرجاز

بالزنج حرّ غير الأجسادا * حتى كسى جلودها سوادا

وذلك انما هو من قوة حر الشمس عندهم واستقرارها * كذلك الاشارة الى البلوغ أى كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها * وقيل أتبع سببا كما أتبع سببا * وقيل كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم كذلك وجد هؤلاء عند مطلع الشمس وحكم فيهم * وقيل كذلك أمرهم كما قصصنا عليكم * وقيل تطلع طلوعها مثل غروبها * وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك أى مثل أولئك الذين وجدهم فى مغرب الشمس كفرة مثلهم وحكمه فيهم مثل حكمه فيهم فى التعذيب لمن بقى على الكفر والاحسان لمن آمن * وقال الزمخشرى كذلك أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لأمره * وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف * وقال ابن عطية كذلك معناه فعل معهم كفعله مع الاولين أهل المغرب وأخبر بقوله كذلك ثم أخبر تعالى عن احاطته بجميع مالدى ذى القرنين وما تصرف فيه من أفعاله ويحتمل أن يكون كذلك استئناف قول ولا يكون راجعا على الطائفة الاولى فتأمله والاول أصوب انتهى واذا كان مستأنفا لا تعلق له بما قبله فيحتاج الى تقدير يتم به كلاما ﴿ ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل

﴿ ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين ﴾ الآية قال وهب السدان جبلان منيفان فى السماء من ورائهما وامامهما البلدان وهما بمنقطع أرض بلاد الترك مما يلى بلاد أرمينية واذربيجان وهما الينان أملسان يلزق عليهما كل شئ وسمى الجبلان سدين لان كل واحد منهما قد سد فجاج الأرض وكانت بينهما فجوة يدخل منها يأجوج ومأجوج والضمير فى قالوا عائد على هؤلاء القوم شكوا ما يلقون من يأجوج ومأجوج اذ رجوا عنده ما ينفعهم لكونه بتلك الأرض ودوخ الملوك وبلغ اليهم وهم لم يبلغ أرضهم ملك قبله * ويأجوج ومأجوج قبيلتان من بنى آدم وقيل هما من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم وقال السدى والضحاك الترك شرذمة منهم خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد عليهم فبقيت من هذا الجانب وقال قتادة والسدى بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك وقد اختلف فى عددهم وصفاتهم ولم يصح فى ذلك شئ من هذا وهما ممنوعا الصرف فمن زعم أنهما أعجميان فللعلمية والعجمة ومن زعم أنهما عربيان فللتأنيث والعلمية لانهما اسما قبيلة وقرئ يأجوج ومأجوج بهمزة وبغير همزة ﴿ مفسدون فى الأرض ﴾ لم يبين جهة الفساد وفيها أقوال ذكرت فى البحر ﴿ فهل نجعل لك خرجا ﴾ هذا استدعاء منهم قبول ما يبذلونه مما يعينه على ما طلبوا على جهة حسن الأدب اذ سألوه ذلك كقول موسى عليه السلام للخضر هل أتبعك على أن تعلمنى وقرئ خرجا وخرجا والخراج والخرج بمعنى واحد كالنوال والنول والمعنى جعلا نخرجه من أموالنا وكل ما يخرج من ضريبة وجزية وغلة فهو خراج وخرج وقرئ بفتح السين فى السدين وسدا وبضمها

﴿قال ما مكني فيه ربي خير﴾ أي ما بسط الله لي من القدرة والملك خير من خرجكم ﴿فأعينوني بقوة﴾ بما أتقوى به من فعلة وصناع يحسنون العمل والبناء وبالآلات وقرئ مكني ومكنني بالادغام وباظهار النونين وما مبتدأ موصول بمعنى الذي وما بعده صلته والعائد الضمير الذي في فيه وخير خبر و﴿ردما﴾ حاجزا حصينا موثقا وقرئ ﴿قال آتوني وائتوني﴾ من أتى وآتى والمعنى أحضروا زبر الحديد وثم محذوف تقديره فأتوه بما طلب ﴿حتى اذا ساوى بين الصدفين﴾ قرئ بضم الصاد والدال وبفتحهما وبضم الصاد واسكان الدال والصدفان جانبا الجبل اذا تحاذيا لتصادفهما لتلاقيهما وحكى في الكيفية أن ذا القرنين قاس ما بين الصدفين وحفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل حشوه الصخر وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى يسد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صار كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل طول ما بين السدين مائة فرسخ وعرضه خمسون فرسخا وفي الحديث أن رجلا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رآه فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته ﴿حتى اذا جعله نارا﴾ في الكلام حذف تقديره فنفخوا حتى جعلوه نارا والفاعل بجعل هو الضمير المفهوم من قوله انفخوا التقدير هو أي النفخ نارا ﴿قال آتوني﴾ فيه القراءتان اللتان في آتوني المتقدمة أي جيئوني ﴿قطرا﴾ منصوب بأفرغ على اعمال الثاني اذ تنازعه ائتوني وأفرغ وحذف الضمير من الأول ولو كان أعمل الأول لكان التركيب ائتوني أفرغه عليه قطرا فكنت تضمر في الثاني على الفصيح والقطر النحاس ﴿فما اسطاعوا﴾ بحذف التاء تخفيفا لقربها من الطاء وقرأ حمزة وطلحة بادغامها في الطاء وهو ادغام على غير حده اذ لا يصح الادغام

الا أن يكون قبل الادغام متحرك أو حرف مد ولين ﴿أن يظهروه﴾ أن يعلوا عليه وفي الكلام حذف تقديره فما أكمل بناء السد واستوى واستحكم ﴿قال هذا رحمة من ربي﴾ ودكا منونة مصدر دككته والظاهر

بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ﴾

أن جعله بمعنى صيره فدكا مفعول ثان قال ابن عطية ويحتمل أن يكون جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال انتهى هذا بعيد جدا لان السد اذ ذاك موجود مخلوق ولا تخلق المخلوق لكنه ينتقل من بعض هيئاته الى هيئة أخرى ﴿وتركنا﴾ هذا الضمير لله والاظهر أن الضمير في بعضهم يعود على الخلق أي يوم اذ جاء وعد الله وهو يوم القيامة ويقويه قوله تعالى ونفخ في الصور ويظهر أن ذلك هو يوم القيامة ولذلك ما جاء بعده من الجمع وعرض جهنم وتقدم الكلام على النفخ في الصور في سورة الأنعام وجمعا مصدر مؤكد ﴿وعرضنا﴾ أي أبرزنا جهنم يومئذ أي يوم اذ جمعناهم ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء﴾ صفة ذم استعار الغطاء لاعينهم والمراد أنهم لا يبصرون آياتي التي ينظر اليها فيعتبر بها ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ مبالغة في انتفاء السمع اذ نفيت الاستطاعة وهم ان كانوا يسمعون جعلوا كمن نفيت قدرته على السمع لما لم ينتفعوا بسمعهم ﴿أفحسب الذين كفروا﴾ الآية هم من عبد من الملائكة وعزير وعيسى واتخذوهم أولياء من دون الله وهم بعض العرب واليهود والنصارى وهو استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ والمعنى أنهم ليس لهم من ولاية هؤلاء الذين تولوهم شئ ولا يجدون عندهم منتفعا وحسب يتعدى لمفعولين سدت أن مع معموليها مسدهما وقرأ علي بن أبي طالب وجماعة أفحسب باسكان السين وضم الباء مضافا الى الذين أي أفكافيهم ومحسبهم ومنتهى غرضهم والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله فارتفع حسب على الابتداء والخبر أن يتخذوا وقال الزمخشري أو على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك أقائم الزيدان وهي قراءة محكمة جيدة انتهى والذي يظهر أن هذا الاعراب لا يجوز لأن حسبا ليس باسم فاعل فيعمل ولا يلزم من تفسير شئ بشئ أن تجري عليه جميع أحكامه وقد ذكر (سيبويه) أشياء من الصفات التي تجري مجرى الاسماء وان الوجه فيها الرفع

سببا أي طريقا أو مسيرا موصلا الى الشمال فان السدين هنالك * قال وهب السدان جبلان منيفان في السماء من ورائهما ومن أمامهما البلدان وهما بمنقطع أرض الترك مما يلي أرمينية وأذربيجان * وذكر الهروي انهما جبلان من وراء بلاد الترك * وقيل هما جبلان من جهة الشمال لينان أملسان يزلق عليهما كل شئ وسمي الجبلان سدين لان كل واحد منهما سد فجاج الارض وكانت بينهما فجوة كان يدخل منها يأجوج ومأجوج * وقرأ مجاهد وعكرمة والنخعي وحفص وابن كثير وأبو عمرو بين السدين بفتح السين * وقرأ باقي السبعة بضمها * قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد * وقال الخليل وسيبويه بالضم الاسم وبالفتح المصدر * وقال عكرمة وأبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة ما كان من خلق الله لم يشارك فيه أحد فهو بالضم وما كان من صنع البشر فبالفتح وقال ابن أبي اسحق ما رأت عيناك فبالضم وما لا يرى فبالفتح وانتصب بين على انه مفعول به ببلغ كما ارتفع في لقد تقطع بينكم وانجر بالاضافة في هذا فراق بيني و بينك و بين من الظروف المتصرفة ما لم تركب مع أخرى مثلها نحو قولهم همزة بين بين من دونهما من دون السدين وقوما يعني من البشر * وقال الزمخشري هم الترك انتهى وأبعد من ذهب الى انهم جان * قال الزمخشري وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق ونفي مقاربة فقههم قولا وتضمن نفي فقههم * وقال الزمخشري لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة كأنه فهم من نفي يكاد انه يقع منهم الفهم بعد عسر وهو قول لبعضهم ان نفيها اثبات واثباتها نفي وليس بالمختار * وقرأ الأعمش وابن أبي ليلى وخلف وابن عيسى الاصبهاني وحمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف أي يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة والضمير في قالوا عائد على هؤلاء القوم شكوا ما يلقون من يأجوج ومأجوج اذ رجوا عنده ما ينفعهم لكونه ملك الارض ودوخ الملوك و بلغ اليهم وهم لم يبلغ أرضهم ملك قبله و يأجوج ومأجوج من ولد آدم قبيلتان * وقيل هما من ولد يافث بن نوح * وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم * وقال السدي والضحاك الترك شرذمة منهم خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت في هذا الجانب * وقال قتادة والسدي بني السد على أحد وعشرين قبيلة و بقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك وقد اختلف في عددهم وصفاتهم ولم يصح في ذلك شئ وهما ممنوعا الصرف فمن زعم انهما أعجميان فللعجمة والعلمية ومن زعم انهما عربيان فللتأنيث والعلمية لانهما اسما قبيلتين * وقال الاخفش ان جعلنا ألفهما أصلية فيأجوج يفعول ومأجوج مفعول كأنه من أجيج النار ومن لم يهمزهما جعلها زائدة فياجوج من يججت وماجوج من مججت * وقال قطرب في غير الهمز ماجوج فاعول من المج و ياجوج فاعول من يج * وقال أبو الحسن علي بن عبد الصمد السخاوي أحد شيوخنا الظاهر انه عربي وأصله الهمز وترك الهمز على التخفيف وهو اما من الاجة وهو الاختلاف كما قال تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض أو من الأج وهو سرعة العدو قال تعالى وهم من كل حدب ينسلون وقال الشاعر * يؤج كما أج الظليم المنفر * أو من الاجة وهو شدة الحر أو من أج الماء يئج أجوجا اذا كان ملحا مرا انتهى * وقرأ عاصم والأعمش و يعقوب في رواية بالهمز وفي يأجوج ومأجوج وكذا في الانبياء وهي لغة بني أسد ذكره الفراء * قيل ولا وجه له الا اللغة الغريبة المحكية عن العجاج انه كان يهمز العالم والخاتم * وقرأ باقي السبعة بألف غير مهموزة وهي لغة كل العرب غير بني أسد * وقرأ العجاج ورؤبة ابنه آجوج بهمزة بدل الياء وقرأهم

ثم قال وذلك مررت برجل خير منه أبوه ومررت برجل سواء عليه الخير والشر ومررت برجل أب له صاحبه ومررت برجل حسبك من رجل هو ومررت برجل ايما رجل هو انتهى ولا يبعد أن يرفع به الظاهر فقد أجازوا في مررت برجل أبي عشرة أبوه ارتفاع أبوه بأبي عشرة لانه في المعنى والد عشرة * إنا أعتدنا * أي أعددنا ويسرنا والنزل موضع النزول والنزل أيضا ما يقدم للضيف ويهيأ له وللقادم من الطعام والنزول هنا يحتمل التفسيرين

(الدر)

(ش) لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة (ح) كأنه فهم من نفي يكاد أنه يقع منهم الفهم بعد عسر وهو قول لبعضهم ان نفيها اثبات واثباتها نفي وليس بالمختار

الظاهر تحقق الافساد منهم لا توقعه لأنها شكت من ضرر نالها * وقال سعيد بن عبد العزيز افسادهم أكل بنى آدم * وقيل هو الظلم والقتل ووجوه الافساد المعلوم من البشر * وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وروى انه لا يموت أحد منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح فهل نجعل لك خرجا استدعاء منهم قبول ما يبذلونه مما يعينه على ما طلبوا على جهة حسن الادب اذ سألوه ذلك كقول موسى للخضر هل أتبعك على أن تعلمنى * وقرأ الحسن والأعمش وطلحة وخلف وابن سعدان وابن عيسى الأصبهانى وابن جبير الانطاكى ومن السبعة حمزة والكسائى خراجا بألف هنا وفى حرفى قد أفلح وسكن ابن عامر الراء فيها * وقرأ باقى السبعة خرجا فيهما بسكون الراء فخراج بالألف والخرج والخراج بمعنى واحد كالنول والنوال والمعنى جعلا نخرجه من أموالنا وكل ما يستخرج من ضريبة وجزية وغلة فهو خراج وخرج * وقيل الخرج المصدر أطلق على الخراج والخراج الاسم لما يخرج * وقال ابن الاعرابى الخرج على الرؤس يقال أدّ خرج رأسك والخراج على الارض * وقال ثعلب الخرج أخص والخراج أعم * وقيل الخرج المال يخرج مرة والخراج المجبى المتكرر عرضوا عليه أن يجمعوا له أموالا يقيم بها أمر السد * وقال ابن عباس خراجا أجرا * وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر سدا بضم السين وابن محيصن وحميد والزهرى والأعمش وطلحة ويعقوب فى رواية وابن عيسى الاصبهانى وابن جرير وباقى السبعة بفتحها قال ما مكنى فيه ربى خير أى ما بسط الله لى من القدرة والملك خير من خرجكم فأعينونى بقوة أى بما أتقوى به من فعلة وصناع يحسنون العمل والبناء قاله مقاتل وبالآلات قاله الكلبى ردما حاجزا حصينا موثقا * وقرأ ابن كثير وحميد ما مكننى بنونين متحركتين وباقى السبعة بادغام نون مكن فى نون الوقاية ثم فسر الاعانة بالقوة فقال آتونى زبر الحديد أى اعطونى * قال ابن عطية انما هو استدعاء مناولة لا استدعاء عطية وهبة لأنه قد ارتبط من قوله انه لا يأخذ منهم الخراج فلم يبق الا استدعاء المناولة انتهى * وقرأ الجمهور آتونى * وقرأ أبو بكر عن عاصم ائتونى أى جيئونى وانتصب زبر بايتونى على اسقاط حرف الجر أى جيئونى بزبر الحديد * وقرأ الجمهور زبر بفتح الباء والحسن بضمها وفى الكلام حذف تقديره فأتوه وأوقاتوه بها فأمر برص بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى * وقرأ الجمهور ساوى وقتادة سوّى وابن أبى أمية عن أبى بكر عن عاصم سووى مبنيا للمفعول * وحكى فى الكيفية ان ذا القرنين قاس ما بين الصدفين من حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل حشوه الصخر وطينه النحاس مذابا ثم يصب عليه والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا * وقيل طول ما بين السدين مائة فرسخ وعرضه خمسون * وفى الحديث أن رجلا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فقال كيف رأيته فقال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والزهرى ومجاهد والحسن الصدفين بضم الصاد والدال وأبو بكر وابن محيصن وأبو رجاء وأبو عبد الرحمن كذلك الا انه سكن الدال وباقى السبعة وأبو جعفر وشيبة وحميد وطلحة وابن أبى ليلى وجماعة عن يعقوب وخلف فى اختياره وأبو عبيد وابن سعدان بفتحهما وابن جندب بالفتح واسكان الدال ورويت عن قتادة * وقرأ الماجشون بالفتح وضم الدال * وقرأ قتادة وأبان

عن عاصم بضم الصاد وفتح الدال حتى اذا جعله نارا فى الكلام حذف تقديره فنفخوا حتى * وقرأ الجمهور قال آتونى أى اعطونى * وقرأ الأعمش وطلحة وحمزة وأبو بكر بخلاف عنه قال ائتونى أى جيئونى وقطرا منصوب بأفرغ على اعمال الثانى ومفعول آتونى محذوف لدلالة الثانى عليه فما اسطاعوا أى يأجوج ومأجوج أن يظهروه أى يصلوا عليه لبعده وارتفاعه واملاسه ولا أن ينقبوه لصلابته وثخانته فلا سبيل الى مجاوزته الى غيرهم من الأمم الا بأحد هذين اما ارتقاء واما نقب وقد سلب قدرتهم على ذلك * وقرأ الجمهور فما اسطاعوا بحذف التاء تخفيفا لقربها من الطاء * وقرأ حمزة وطلحة بادغامها فى الطاء وهو ادغام على غير حده * وقال أبو على هى غير جائزة * وقرأ الاعشى عن أبى بكر فما اصطاعوا بالابدال من السين صادا لأجل الطاء * وقرأ الاعمش فما استطاعوا بالتاء من غير حذف قال هذا رحمة من ربى أى قال ذو القرنين والاشارة بهذا * قال ابن عطية الى الردم والقوة عليه والانتفاع به * وقال الزمخشرى اشارة الى السد أى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الاقدار والتمكين من تسويته * قيل وفى الكلام حذف وتقديره فلما أكمل بناء السد واستوى واستحكم قال هذا رحمة من ربى * وقرأ ابن أبى عبلة هذه رحمة من ربى بتأنيث اسم الاشارة * والوعد يحتمل أن يراد به يوم القيامة وأن يراد به وقت خروج يأجوج ومأجوج * وقال الزمخشرى فاذا دنا مجىء يوم القيامة وشارف أن يأتى جعل السد دكا أى مدكوكا منبسطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك انتهى * وقرأ الكوفيون دكاء بالمد ممنوع الصرف وباقى السبعة دكا منونة مصدر دككته والظاهر ان جعله بمعنى صيره فدكا مفعول ثان * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال انتهى وهذا بعيد جدا لان السد إذ ذاك موجود مخلوق ولا يخلق المخلوق لكنه ينتقل من بعض هيآته الى هيئة أخرى ووعد بمعنى موعود لا مصدر والمعنى فاذا جاء موعود ربى لا يريد المصدر لان المصدر قد سبق وتركنا هذا الضمير لله تعالى والاظهر ان الضمير فى بعضهم عائد على يأجوج ومأجوج والجملة المحذوفة بعد اذ المعوض منها التنوين مقدرة باذ جاء الوعد وهو خروجهم وانتشارهم فى الارض أو مقدرة باذ حجز السد بينهم وبين القوم الذين كانوا يفسدون عندهم وهم متعجبون من السد فماج بعضهم فى بعض * وقيل الضمير فى بعضهم يعود على الخلق أى يوم إذ جاء وعد الله وهو يوم القيامة ويقويه قوله ونفخ فى الصور فيظهر ان ذلك هو يوم القيامة وكذلك ما جاء بعده من الجمع وعرض جهنم وتقدم الكلام على النفخ فى الصور فى سورة الانعام وجمعا مصدر كوعدو عرضنا أى أبرزنا جهنم يومئذ أى يوم إذ جمعناهم * وقيل اللام بمعنى على كقوله * فخر صريعا لليدين وللفم * وأبعد من ذهب الى انه مقلوب والتقدير وعرضنا الكافرين على جهنم عرضا وتخصيصه بالكافرين بشارة للمؤمنين والذين كانت أعينهم صفة ذم فى غطاء استعار الغطاء لأعينهم والمراد انهم لا يبصرون آياتى التى ينظر اليها فيعتبر بها ويذكر بالتعظيم وهذا على حذف مضاف أى عن آيات ذكرى * وقيل عن ذكرى عن القرآن وتأمل معانيه ويكون المراد بالاعين هنا البصائر لا الجوارح لان الجوارح لا نسبة بينها وبين الذكر وكانوا لا يستطيعون سمعا مبالغة فى انتفاء السمع اذ نفيت الاستطاعة وهم وان كانوا صما لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وكان هؤلاء أصمت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع أفحسب الذين كفروا هم من عبد الملائكة وعزيرا والمسيح واتخذوهم أولياء من دون الله وهم بعض العرب واليهود والنصارى وهو استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ والمعنى

(الدر)

جعله دكا (ح) الظاهر ان جعله بمعنى صيره فدكا مفعول ثان (ع) ويحتمل أن يكون جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال (ح) هذا بعيد جدا لان السد اذ ذاك موجود مخلوق ولا يخلق المخلوق لكنه ينتقل من بعض هيآته الى هيئة أخرى

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ﴾ الآية أي قل يا محمد للكافرين هل ننبئكم فاذا طلبوا ذلك فقل لهم أولئك الذين كفروا والاخسرين أعمالا كل من دان بدين غير دين الاسلام راءى بعمله أو أقام على بدعة والاخسر من أتعب نفسه فأدى به تعبه الى النار وانتصب أعمالا على التمييز وجمع لأن أعمالهم في الضلال مختلفة وليسوا مشتركين في عمل واحد والذين يصح رفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم

الذين وكأنه جواب عن سؤال ويجوز نصبه على الذم وجره على الوصف أو على البدل ﴿ ضل سعيهم ﴾ أي هلك وبطل وذهب ويحسبون ويحسنون من تجنيس التصحيف وهو أن يكون النقط والشكل فرقا بين الكلمتين ومنه * قول أبي عبادة

ولم يكن المغتر بالله اذ سرى * ليعجز والمعتز بالله طالبه

﴿ ذلك جزاؤهم ﴾ مبتدأ وخبر وجهنم بدل وذلك اشارة الى ترك اقامة الوزن

(الدر)

(ش) أو على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك أقائم الزيدان وهي قراءة محكمة جيدة انتهى (ح) الذي يظهر ان هذا الاعراب لا يجوز لان حسبا ليس باسم فاعل فيعمل ولا يلزم من تفسير شئ بشئ أن تجري عليه جميع أحكامه وقد ذكر سيبويه به أشياء من الصفات التي تجري مجرى الأسماء وان الوجه فيها الرفع ثم قال وذلك مررت برجل خير منه أبوه ومررت برجل سواء عليه الخير والشر ومررت برجل أب له صاحبه ومررت برجل حسبك من رجل ومررت برجل أيما رجل هو انتهى ولا يبعد أن يرفع به الظاهر فقد أجازوا في مررت برجل أبي عشرة أبوه ارتفاع أبوه بأبي عشرة لانه في معنى والد عشرة

أنهم ليس لهم من ولاية هؤلاء الذين تولوهم شئ ولا يجدون عندهم منتفعا ويظهر ان في الكلام حذفا والتقدير أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء فيجدي ذلك وينتفعون بذلك الاتخاذ * وقيل العباد هنا الشياطين * روي عن ابن عباس * وقال مقاتل الاصنام لانها خلقه وملكه والاظهر تفسير العباد بتأولنا لاضافتهم اليه والا كثر أن تكون الاضافة في مثل هذا اللفظ اضافة تشريف وحسب هنا بمعنى ظن وبه قرأ عبد الله أفظن * وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي بن الحسين ويحيى بن يعمر ومجاهد وعكرمة وقتادة ونعيم بن ميسرة والضحاك وابن أبي ليلى وابن كثير ويعقوب بخلاف عنهما وابن محيصن وأبو حيوة والشافعي ومسعود بن صالح أفحسب باسكان السين وضم الباء مضافا الى الذين أي أفكافيهم وحسبهم ومنتهى غرضهم والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا * وقال أبو الفضل الرازي قال سهل يعني أبا حاتم معناه أفحسبهم وحظهم الا أن أفحسب أبلغ في الذم لانه جعله غاية مرادهم انتهى وارتفع حسب على الابتداء والخبر أن يتخذوا * وقال الزمخشري أو على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك أقائم الزيدان وهي قراءة محكمة جيدة انتهى والذي يظهر ان هذا الاعراب لا يجوز لان حسبا ليس باسم فاعل فيعمل ولا يلزم من تفسير شئ بشئ أن تجري عليه جميع أحكامه وقد ذكر سيبويه أشياء من الصفات التي تجري مجرى الاسماء وان الوجه فيها الرفع * ثم قال وذلك مررت برجل خير منه أبوه ومررت برجل سواء عليه الخير والشر ومررت برجل أب له صاحبه ومررت برجل حسبك من رجل ومررت برجل أيما رجل هو انتهى ولا يبعد أن يرفع به الظاهر فقد أجازوا في مررت برجل أبي عشرة أبوه ارتفاع أبوه بأبي عشرة لانه في معنى والد عشرة * نزلا أعتدنا أي أعددنا ويسرنا والنزل موضع النزول والنزل أيضا ما يقدم للضيف ويهيأ له وللقادم من الطعام والنزل هنا يحتمل التفسيرين وكونه موضع النزول قاله الزجاج هنا وما هيء من الطعام النزيل قول القتبي * وقيل جمع نازل ونصبه على الحال نحو شارف وشرف فان كان ما تقدم للضيف وللقادم فيكون كقوله فبشرهم بعذاب أليم * وكقول الشاعر

* تحية بينهم ضرب وجيع *

* وقرأ أبو حيوة وأبو عمرو بخلاف عنه نزلا بسكون الزاي ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ﴾ أي قل يا محمد للكافرين هل نخبركم الآية فاذا طلبوا ذلك فقل لهم أولئك الذين كفروا والأخسرون أعمالا عن علي هم الرهبان كقوله عاملة ناصبة * وعن مجاهد هم أهل الكتاب * وقيل هم الصابئون وسأل ابن الكوا عليا عنهم فقال منهم أهل حروراء وينبغي حمل هذه الأقوال على

﴿ان الذين آمنوا﴾ الآية لما ذكر ما أعد للكافرين ذكر ما أعد للؤمنين وفي الصحيح جنات الفردوس أربع ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وفي حديث عبادة الفردوس أعلاها يعني أعلا الجنة ويقال كرم مفردس أي معرش ولذلك سميت الروضة التي دون اليمامة فردوسا لاجتماع نخلها وتعرشها على أرضها و﴿نزلا﴾ يحتمل من التأويل ما يحتمل نزلا المتقدم ومعنى حولا تحولا (١٦٧) الى غيرها قال ابن عيسى هو مصدر كالعوج والصغر ﴿قل لو كان البحر مدادا﴾ أي ماء البحر مدادا وهو ما يمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماء مداد الارض ﴿لكلمات ربي﴾ أي معدا لكتب كلمات ربي وهو علمه وحكمته وكتب بذلك المداد ﴿لنفد البحر﴾ أي فني ماؤه الذي هو المداد قبل أن تنفد الكلمات لأن كلماته تعالى لا يمكن نفادها لأنها لا تتناهى والبحر ينفد لانه متناه ضرورة وجواب لو الاولى لنفد وجواب الثانية محذوف تقديره لم تنفد الكلمات وفي قوله ﴿ولو جئنا﴾ التفات من ضمير الغائب الى ضمير المتكلم والضمير في بمثله عائد على البحر ومددا تمييز لجواز دخول من عليه كما قال الشاعر

فان الهوى يكفيكه مثله صبرا *

والمدد هو الممدود به فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض وفي قوله ﴿انما أنا بشر مثلكم﴾ اعلام بالبشرية والمماثلة في ذلك لا ادعى أني ملك يوحى الى أي عمدتي ومستندي الى وحي ربي ونبه على الوحدانية لأنهم كانوا كفارا بعبادة الاصنام ثم حض على عمل ما ينجيه ويرجو بمعنى يطمع في لقاء ربه على تقدير محذوف أي حسن لقاء ربه ﴿ولا يشرك﴾ نهى عن الاشراك بعبادة الله وقال ابن جبير لا يرائي في عمله فلا يبتغي الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره قيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال

التمثيل على الحصر اذ الاخسرون أعمالا هم كل من دان بدين غير الاسلام أو راءى بعمله أو أقام على بدعة تؤول به الى الكفر والاخسر من أتعب نفسه فأدى تعبه به الى النار وانتصب أعمالا على التمييز وجمع لان أعمالهم في الضلال مختلفة وليسوا مشتركين في عمل واحد والذين يصح رفعه على أنه خبر مبتدإ محذوف أي هم الذين وكأنه جواب عن سؤال ويجوز نصبه على الذم وخبر ه على الوصف أو البدل ضل سعيهم أي هلك وبطل وذهب ويحسبون ويحسنون من تجنيس التصحيف وهو أن يكون النقط فرقا بين الكلمتين * ومنه قول أبي عبادة البحتري

ولم يكن المغتر بالله اذ سرى * ليعجز والمعتز بالله طالبه

ومن غريب هذا النوع من التجنيس * قول الشاعر

سقيتني ربي وغنيتني * بحت بحبي حين بن الخرد

صحف بقوله سقيتني ربي وغنيتني بحب يحيي بن الجرد * وقرأ ابن عباس وأبو السمال فحبطت بفتح الباء والجمهور بكسرها * وقرأ الجمهور فلا نقيم بالنون وزنا بالنصب ومجاهد وعبيد بن عمير فلا يقيم بالياء لتقدم قوله بآيات ربهم وعن عبيد أيضا يقوم بفتح الياء كأنه جعل قام متعديا * وعن مجاهد وابن محيصن ويعقوب بخلاف عنهم فلا يقوم مضارع قام وزن مرفوع به واحتمل قوله فلا نقيم الاية انهم لا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار واحتمل أن يريد المجاز كأنه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ وفي الحديث يؤتى بالأكول الشروب الطويل فلا يزن جناح بعوضة ثم قرأ فلا نقيم الآية وفي الحديث أيضا يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ ذلك جزاؤهم مبتدأ وخبر وجهنم بدل وذلك اشارة الى ترك اقامة الوزن ويجوز أن يشار بذلك وان كان مفردا الى الجمع فيكون بمعنى أولئك ويكون جزاؤهم جهنم مبتدأ وخبرا * وقال أبو البقاء ذلك أي الأمر ذلك وما بعده مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبره والجملة خبر الاول والعائد محذوف أي جزاؤه انتهى ويحتاج هذا التوجيه الى نظر قال ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ أو جزاؤهم بدل أو عطف بيان وجهنم الخبر ويجوز أن يكون جهنم بدلا من جزاء أو خبر لابتداء محذوف أي هو جهنم وبما كفروا خبر ذلك ولا يجوز أن تتعلق الباء بجزاؤهم للفصل بينهما واتخذوا يجوز أن يكون معطوفا على كفروا وأن يكون مستأنفا انتهى والآيات هي المعجزات الظاهرة على أيدي الأنبياء والصحف الالهية المنزلة عليهم ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك

بعبادة ربه أحدا * لما ذكر تعالى ما أعد للكافرين ذكر ما أعد للمؤمنين وفي الصحيح جنات الفردوس أربع ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما * وفي حديث عبادة الفردوس أعلاها يعني أعلا الجنة * قال قتادة وربوتها ومنها تفجر أنهار الجنة * وقال أبو هريرة جبل تتفجر منه أنهار الجنة * وفي حديث أبي أمامة الفردوس سرة الجنة * وقال مجاهد الفردوس البستان بالرومية * وقال كعب والضحاك جنات الفردوس الاعناب * وقال عبيد الله بن الحرث بن كعب انه جنات الكروم والاعناب خاصة من الثمار * وقال المبرد الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف والأغلب عليه العنب * وحكى الزجاج أنه الأودية التي تنبت ضروبا من النبت وهل هو عربي أو أعجمي قولان واذا قلنا أعجمي فهل هو فارسي أورومي أو سرياني أقوال * وقال حسان

وان ثواب الله كل موحد * جنان من الفردوس فيها يخلد

* قيل ولم يسمع بالفردوس في كلام العرب الا في هذا البيت بيت حسان وهذا لا يصح فقد قال أمية بن أبي الصلت

كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة * فيها الفراديس ثم الفوم والبصل

الفراديس جمع فردوس والظاهر ان معنى جنات الفردوس بساتين حول الفردوس ولذلك أضاف الجنات اليه ويقال كرم مفردس أي معرش وكذلك سميت الروضة التي دون اليمامة فردوسا لاجتماع نخلها وتعريشها على أرضها وفي دمشق باب الفراديس يخرج منه الى البساتين ونزلا يحتمل من التأويل ما احتمل قوله نزلا المتقدم ومعنى حولا أي محولا الى غيرها * قال ابن عيسى هو مصدر كالعوج والصغر * قال الزمخشري يقال حال عن مكانه حولا كقوله * عادني حبها عودا * يعني لامزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم الى أجمع لأغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لأن الانسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح الطرف الى أرفع منه ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود انتهى * وقال ابن عطية والحول بمعنى التحول * قال مجاهد متحولا * وقال الشاعر

لكل دولة أجل * ثم يتاح لها حول

وكأنه اسم جمع وكان واحده حوالة وفي هذا نظر * وقال الزجاج عن قوم هي بمعنى الحيلة في التنقل وهذا ضعيف متكلف قل لو كان البحر * قيل سبب نزولها ان اليهود قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم كيف تزعم انك نبي الأمم كلها ومبعوث اليها وانك أعطيت ما يحتاجه الناس من العلم وأنت مقصر قد سئلت عن الروح فلم تجب فيه فنزلت معلمة باتساع معلومات الله وأنها غير متناهية وان الوقوف دونها ليس ببدع ولا نكر فعبر عن هذا بتمثيل ما يستكثرونه وهو قوله قل لو كان البحر * وقيل قال حيي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل لو كان البحر أي ماء البحر مدادا وهو ما يمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض لكلمات ربي أي معد الكتب كلمات ربي وهو علمه وحكمته وكتب بذلك المداد لنفد البحر أي فني ماؤه الذي هو المداد قبل أن تنفد الكلمات لان كلماته تعالى لا يمكن نفادها لانها لا تتناهى والبحر ينفد لانه متناه ضرورة وليس ببدع أن أجهل شيأ من معلوماته وانما أنا بشر مثلكم لم أعلم الا ما أوحى الي به وأعلمت * وقرأ الجمهور مدادا لكلمات ربي * وقرأ عبد الله وابن عباس والاعمش

الله لا يقبل ما شورك
وقرىء تشرك بالتاء
طابا للسامع والتفاتا
من ضمير الغائب الى
ضمير المخاطب وهو المأمور
عمل الصالح ثم عاد الى
التفات من الخطاب الى
غيبة في قوله ربه ولم يأت
ركيب بربك إيذانا بان
ضميرين لمدلول واحد
ومن قوله فمن كان
جو لقاء ربه

و مجاهد والاعرج والحسن والمنقرى عن أبى عمرو مددا لكلمات ربى * وقرأ الجمهور تنفد بالتاء من فوق * وقرأ حمزة والكسائى وعمرو بن عبيد والاعمش وطلحة وابن أبى ليلى بالياء * وقرأ السلمى أن تنفد بالتشديد على تفعل على المضى وجاء كذلك عن عاصم وأبى عمرو فهو مطاوع من نفد مشددا نحو كسرته فتكسر وفى قراءة الجماعة مطاوع لأنفد وجواب لو محذوف لدلالة المعنى عليه تقديره لنفد * وقرأ الجمهور بمثله مددا بفتح الميم والدال بغير ألف والاعرج بكسر الميم وانتصب مددا على التمييز عن مثل كقوله * فان الهوى يكفيكه مثله صبرا * وقرأ ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والأعمش بخلاف والتيمى وابن محيصن وحميد والحسن فى رواية وأبو عمرو فى رواية وحفص فى رواية بمثله مدادا بألف بين الدالين وكسر الميم * قال أبو الفضل الرازى ويجوز أن يكون نصبه على المصدر بمعنى ولو أمددناه بمثله امدادا ثم ناب المدد مناب الامداد مثل انبتكم نباتا وفى قوله بشر مثلكم اعلام بالبشرية والمماثلة فى ذلك لا أدعى انى ملك يوحى الى أى على انما هو مستند الى وحى ربى ونبه على الوحدانية لانهم كانوا كفارا بعبادة الاصنام ثم حض على مافيه النجاة ويرجو بمعنى يطمع ولقاء ربه على تقدير محذوف أى حسن لقاء ربه * وقيل يرجو أى يخاف سوء لقاء ربه أى لقاء جزاء ربه وحمل الرجاء على بابه أجود لبسط النفس الى احسان الله تعالى ونهى عن الاشراك بعبادة الله تعالى * وقال ابن جبير لا يرائى فى عمله فلا يبتغى الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره * قيل نزلت فى جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه * وروى انه قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا قصد أن يقتدى به * وقال معاوية بن أبى سفيان هذه آخر آية نزلت من القرآن * وقرأ الجمهور ولا يشرك بياء الغائب كالأمر فى قوله فليعمل * وقرأ أبو عمرو فى رواية الجعفى عنه ولا تشرك بالتاء خطابا للسامع والتفاتا من ضمير الغائب الى ضمير المخاطب وهو المأمور بالعمل الصالح ثم عاد الى الالتفات من الخطاب الى الغيبة فى قوله بربه ولم يأت التركيب بربك ايذانا بأن الضمير بن لمدلول واحد وهو من فى قوله فمن كان يرجو

﴿ سورة مريم ثمان وتسعون آية مكية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * اذ نادى ربه نداء خفيا * قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا * وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا * يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا * يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا * قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا * قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا * فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا * يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا * وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا * وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا * وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا * واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا * فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا *

﴿ سورة مريم عليها السلام ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ كهيعص ﴾ الآية هذه السورة مكية كالسورة التى قبلها وقال مقاتل الا آية السجدة فهى مدنية نزلت بعد مهاجرة المؤمنين الى الحبشة * ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى ضمن السورة التى قبلها اقصاصا عجبا كقصة أهل الكهف وقصة الرجلين وقصة موسى مع الخضر وقصة ذى القرنين وهذه السورة تضمنت قصصا عجبا من ولادة يحيى بين شيخ فان وعجوز عاقر وولادة عيسى من غير أب فلما اجتمعا فى هذا الشئ المغرب ناسب ذكر هذه الآية بعد تلك وتقدم الكلام فى أول البقرة على الحروف المقطعة التى فى فواتح السور بما يوقف عليه هنالك وذكر خبر مبتدأ محذوف أى هذا المتلو من القرآن ذكر وقرئ ذكر فعلا ماضيا رحمة بالنصب وقرئ ذكر فعل أمر من التذكير رحمة بالنصب وعبده نصب بالرحم أى ذكر أن رحمة ربك عبده وذكر فى السبعة كما تقدم * ورحمة مصدر لا يراد بها أنها واحدة من الرحمات لأنه اذ ذاك لا ينصب المفعول لا يجوز أن تقول أعجبنى ضربه زيد عمرا لأنه اذ ذاك محدود بالوحدة فلا يعمل و ﴿ زكريا ﴾ بدل أو عطف بيان واذ ظرف العامل فيه ذكر أو رحمة ووصف النداء بالخفى لئلا يخالطه رياء وقيل غير ذلك ﴿ قال رب انى وهن العظم منى ﴾ هذه كيفية دعائه وتفسير ندائه ومعناه ضعف وأسند الوهن الى العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فاذا وهن تداعى وسقطت قوته وقرئ وهن بفتح الهاء وكسرها ﴿ واشتعل الرأس شيبا ﴾ شبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانتشاره فى الشعر وفشوه فيه ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم

قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا * قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا * فحملته فانتبذت به مكانا قصيا * فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا * فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا * وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا * فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا * فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ﴾ اشتعال النار تفرقها فى التهابها فصارت شعلا * وقيل شعاع النار * الشيب معروف شاب شعره ابيض بعدما كان بلون غيره * المخاض اشتداد وجع الولادة والطلق * الجذع ما بين الارض التى فيها الشجرة منها وبين متشعب الأغصان ويقال للغصن أيضا جذع وجمعه أجذاع فى القلة وجذوع فى الكثرة * السرى المرتفع القدر يقال سرو يسرو ويجمع على سراة بفتح السين وسرواء وهما شاذان فيه وقياسه أفعلاء والسرى النهر الصغير لان الماء يسرى فيه ولامه ياء كما أن لام ذلك واو * وقال لبيد

فتوسطا عرض السرى فصدعا * مسجورة متجاورا قلامها

أى جدولا * الهز التحريك * الرطب معروف واحده رطبة وجمع شاذا على أرطاب كربع وأرباع وهو ما قطع قبل أن يشتد وييبس * الجنى ما طاب وصلح للاجتناء * وقال أبو عمرو بن العلاء لم يجف ولم ييبس * وقيل الجنى ما ارطب من البسر * وقال الفراء الجنى والمجنى واحد وعنه الجنى المقطوع * قرة العين مأخوذ من القر يقال دمع الفرح بارد المس ودمع الحزن سخن المس * وقال أبو تمام

فأما عيون العاشقين فأسخنت * وأما عيون الشامتين فقرت

وقريش تقول قررت به عينا وقررت بالمكان أقر وأهل نجد قررت به عينا بالكسر * الفرى العظيم من الامر يستعمل فى الخير وفى الشر ومنه فى وصف عمر فلم أر عبقريا يفرى فريه والفرى القطع وفى المثل جاء يفرى الفرى أى يعمل عظيما من العمل قولا أو فعلا * وقال الزمخشرى الفرى البديع وهو من فرى الجلد * الاشارة معروفة تكون باليد والعين والثوب والرأس والفم وأشار ألفه منقلبة عن ياء يقال تشايرنا الهلال للمفاعلة * وقال كثير

فقلت وفى الأحشاء داء مخامر * ألا حبذا يا عز ذاك التشاير

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا

المخاطب أنه رأسه والى هذا انظر ابن دريد فقال   واشتعل المبيض فى مسوده * مثل اشتعال النار فى جزل الغضا

﴿ولم أكن﴾ يعنى فيما مضى أى ما كنت ﴿بدعائك رب شقيا﴾ بل كنت سعيدا موفقا اذ كنت تجيب دعائى فأسعد بذلك فعلى هذا الكاف مفعول وقيل المعنى بدعائك لى الى الايمان شقيا بل كنت ممن أطاعك وعبدك مخلصا فالكاف على هذا فاعل والاظهر الاول وروى أن حاتما الطائى أتاه طالب حاجة فقال أنا الذى أحسنت اليك وقت كذا فقال مرحبا بالذى توسل بنا الينا وقضى حاجته ﴿وانى خفت الموالى من ورائى﴾ الموالى بنو العم والقرابة الذين يلون بالنسب * وقال الشاعر   مهلا بنى عمنا مهلا موالينا * لاتنبشوا بيننا ما كان مدفونا * والأظهر اللائق بزكريا من حيث هو معصوم أنه لايطلب الولد لأجل مايخلفه من حطام الدنيا وكذلك قول من قال انما خاف أن تنقطع النبوة من ولده وترجع الى عصبته لأن ذلك انما هو لله يضعها الله حيث شاء ولايعترض على الله فيمن يشاؤه ويصطفيه من عباده وقرئ ﴿يرثنى ويرث﴾ بجزمهما جوابا للامر وهو هب وبرفعهما على الصفة لقوله وليا والظاهر أن الارث يكون فى العلم والدين والظاهر أن يعقوب هو ابن اسحق بن ابراهيم ﴿ورضيا﴾ يعنى مرضى ﴿يازكريا﴾ أى قيل له باثر الدعاء والمنادى والمبشر لزكريا هم الملائكة بوحى من الله تعالى قال تعالى فنادته الملائكة الآية والغلام الولد الذكر وقد يقال على الانثى غلامة والظاهر أن يحيى ليس عربيا لانه لم يكن عادتهم أن يسموا بألفاظ العربية فيكون منعه الصرف للعلمية والعجمة ﴿من قبل سميا﴾ أى من قبل ولادته من تسمى باسمه بل هو منفرد بتسمية يحيى وأنى بمعنى كيف وتقدم الكلام عليها فى قوله قال رب أنى يكون لى غلام فى آل عمران والعتى المبالغة فى الكبر ويبس العود يقال عتا العود وعسا ايبس وجسا ﴿قال كذلك﴾ أى الأمر كذلك تصديق له ثم ابتدأ ﴿قال﴾ ربك   فالكاف رفع أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم

ولم أكن بدعائك رب شقيا * وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا * يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا * يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا

يفسره قوله ﴿هو على هين﴾ وهو ضمير معناه ايجاده على هين ﴿وقد خلقتك من قبل﴾ أى من قبل ولادة يحيى يشير الى عظيم قدرته ﴿تك شيأ﴾ أى فى حيز العدم والمعدوم لايسمى شيأ ﴿قال﴾ أى زكريا ﴿رب اجعل لى آية﴾ أى علامة أعلم بها وقوع مابشرت به وطلب ذلك ليزداد يقينه كما قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبى لا لتوقف منه فى صدق ماوعد به ولا لتوهم أن ذلك من عند غير الله لعصمة الانبياء عن مثل ذلك قال آيتك روى ابن زيد أنه لما حملت زوجته بيحيى أصبح لايستطيع أن يكلم أحدا ومع ذلك يقرأ التوراة ويذكر الله فاذا أراد مقاولة أحد لم يطقه و ﴿سويا﴾ حال من ضمير ألا تكلم أى فى حال صحتك ليس بك خرس ولا علة وعن ابن عباس سويا عائد على الليالى أى كاملات مستويات فيكون صفة لثلاث وذكر الليالى هنا والأيام فى آل عمران على أن المنع من الكلام استمر ثلاثة أيام بلياليهن وقرئ ألا تكلم بالرفع جعلها أن المخففة من الثقيلة التقدير أنه لا يكلم وقرئ بالنصب على أنها الناصبة للمضارع ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ أى وهو بتلك الصفة من كونه لايستطيع أن يكلم الناس ومحرابه موضع مصلاه والمحراب تقدم الكلام عليه فى آل عمران ﴿فأوحى اليهم﴾ أى أشار اليهم ويشهد له قوله إلا رمزا ﴿يايحيى خذ الكتاب بقوة﴾ فى الكلام حذف والتقدير فلما ولد يحيى وكبر وبلغ السن الذى يؤمر فيه قال الله تعالى له على لسان ملك يايحيى خذ الكتاب ويدل عليه قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا والكتاب التوراة قال ابن عطية هو التوراة بلا خلاف لانه ولد قبل عيسى ولم يكن الانجيل موجودا انتهى ليس كما قال بل قيل انه كتاب خص به كما خص كثير من الأنبياء بمثل ذلك وقيل الكتاب هنا اسم جنس أى كل كتاب الله تعالى وقيل الكتاب صحف ابراهيم والحكم النبوة وصبيا أى شابا لم يبلغ سن الكهولة وعن ابن عباس فى حديث مرفوع ابن سبع سنين ﴿وحنانا﴾ معطوف على الحكم والحنان الرحمة قاله ابن عباس * قال أبو عبيدة   تحنن على هداك المليك * فان لكل مقام مقالا
قال وأكثر ما يستعمل مثنى كما قال الشاعر   أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا* هذه السورة مكية كالسورة التي قبلها* وقال مقاتل الا آية السجدة فهي مدنية نزلت بعد مهاجرة المؤمنين الى الحبشة * ومناسبتها لما قبلها انه تعالى ضمن السورة قبلها قصصا عجبا كقصة أهل الكهف وقصة موسى مع الخضر وقصة ذي القرنين وهذه السورة تضمنت قصصا عجبا من ولادة يحيى بين شيخ فان وعجوز عاقر وولادة عيسى من غير أب فلما اجتمعا في هذا الشيء المستغرب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك وتقدم الكلام في أول البقرة على هذه الحروف المقطعة التي في فواتح السور بما يوقف عليه هنالك وذكر خبر مبتدا محذوف أي هذا المتلو من هذا القرآن ذكر * وقيل ذكر خبر لقوله كهيعص وهو مبتدا ذكره الفراء * قيل وفيه بعد لان الخبر هو المبتدا في المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة ولا في ذكر الرحمة معناها * وقيل ذكر مبتدا والخبر محذوف تقديره فيما يتلى ذكر * وقرأ الجمهور كاف باسكان الفاء * وروى عن الحسن ضمها وأمال نافع هاء وياء بين اللفظين وأظهر دال صاد عند ذال ذكر وقرأ الحسن بضم الهاء وعنه أيضا ضم الياء وكسر الهاء وعن عاصم ضم الياء وعنه كسرهما وعن حمزة فتح الهاء وكسر الياء * قال أبو عمرو الداني معنى الضم في الهاء والياء اشباع التفخيم وليس بالضم الخالص الذي يوجب القلب * وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقري الرازي في كتاب اللوامح في شواذ القراآت خارجة عن الحسن كاف بضم الكاف ونصر بن عاصم عنه بضم الهاء وهارون بن موسى العتكي عن اسماعيل عنه بالضم وهذه الثلاث مترجم عليها بالضم وليس مضمومات الحال في الحقيقة لانهن لو كن كذلك لوجب قلب ما بعدهن من الألفات واوات بل نحيت هذه الألفات نحو الواو على لغة أهل الحجاز وهي التي تسمى ألف التفخيم بضد الألف الممالة فأشبهت الفتحات التي تولدت منهن الضمات وهذه الترجمة كما ترجموا عن الفتحة الممالة المقربة من الكسرة بكسرة لتقريب الألف بعدها من الياء انتهى * وقرأ أبو جعفر بتقطيع هذه الحروف وتخليص بعضها من بعض فرقا بينها وبين ما ائتلف من الحروف فيصير أجزاء الكلم فاقتضين اسكان آخرهن وأظهر الأكثرون دال صاد عند ذال ذكر وأدغمها أبو عمرو * وقرأ حفص عن عاصم وفرقة باظهار النون من عين والجمهور على اخفائها * وقرأ الحسن وابن يعمر ذكر فعلا ماضيا رحمة بالنصب وحكاه أبو الفتح وذكره الزمخشري عن الحسن أي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وذكر الداني عن ابن يعمر ذكر فعل أمر من التذكير رحمة بالنصب وعبده نصب بالرحمة أي ذكر ان رحمة ربك عبده * وذكر صاحب اللوامح ان ذكر بالتشديد ماضيا عن الحسن باختلاف وهو صحيح عن ابن يعمر ومعناه ان المتلو أي القرآن ذكر برحمة ربك فلما نزع الباء انتصب ويجوز أن يكون معناه ان القرآن ذكر الناس تذكيرا ان رحم الله عبده فيكون المصدر عاملا في عبده زكريا لانه ذكرهم بما نسوه من رحمة الله فتجدد عليهم بالقرآن ونزوله على النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون ذكر على المضي مسندا الى الله سبحانه * وقرأ الكلبي ذكر على المضي خفيفا من الذكر رحمة ربك بنصب التاء عبده بالرفع باسناد الفعل اليه * وقال ابن خالويه ذكر رحمة ربك عبده يحيى بن يعمر وذكر على الأمر عنه أيضا انتهى واذ ظرف العامل فيه قال الحوفي ذكر وقال أبو البقاء واذ ظرف لرحمة أو لذكر انتهى ووصف نداء بالخفي * قال ابن جريج لئلا يخالطه رياء * مقاتل لئلا يعاب بطلب الولد في الكبر * قتادة لان السر والعلانية

﴿وزكاة﴾ أي طهارة *﴿وكان تقيا﴾* قال قتادة لم يهم قط بكبيرة ولا صغيرة ولا هم بامرأة *﴿وبرا بوالديه﴾* أي كثير البر والاكرام والتبجيل *﴿ولم يكن جبارا﴾* أي متكبرا عصيا أي كثير العصيان *﴿وسلام عليه﴾* أي أمان عليه والأظهر أنها التحية المتعارفة وانما الشرف في أن سلم الله عليه وحياه في المواطن التي الانسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر الى الله تعالى

عنده تعالى سواء * وقيل أسره من مواليه الذين خافهم * وقيل لانه أمر دنياوي فأخفاه لانه ان أجيب فذاك بغيته والافلا يعرف ذلك أحد * وقيل لانه كان في جوف الليل * وقيل لاخلاصه فيه فلا يعلمه الا الله * وقيل لضعف صوته بسبب كبره كما قيل الشيخ صوته خفات وسمعه تارات * وقيل لان الاخفاء سنة الانبياء والجهر به يعد من الاعتداء وفي التنزيل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين * وفي الحديث انكم لا تدعون أصم ولا غائبا * قال رب اني وهن العظم مني هذه كيفية دعائه وتفسير ندائه * وقرأ الجمهور وهن بفتح الهاء * وقرأ الاعمش بكسرها * وقرئ بضمها لغات ثلاث ومعناه ضعف وأسند الوهن الى العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فاذا وهن تداعى ما وراءه وتساقطت قوته ولانه أشد ما فيه وأصلبه فاذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحد العظم لانه يدل على الجنس وقصد الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها * وقال قتادة اشتكى سقوط الاضراس * قال الكرماني وكان له سبعون سنة * وقيل خمس وسبعون * وقيل خمس وثمانون * وقيل ستون * وقيل خمس وستون وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكرياء فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة قاله الزمخشري والى هذا نظر ابن دريد * فقال

واشتعل المبيض في مسوده * مثل اشتعال النار في جزل الغضا

وبعضهم أعرب شيبا مصدرا قال لان معنى واشتعل الرأس شاب فهو مصدر من المعنى * وقيل هو مصدر في موضع نصب على الحال واشتعال الرأس استعارة المحسوس للمحسوس اذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع بينهما الانبساط والانتشار ولم أكن نفي فيما مضى أي ما كنت بدعائك رب شقيا بل كنت سعيدا موفقا اذ كنت تجيب دعائي فاسعد بذلك فعلى هذا الكاف مفعول * وقيل المعنى بدعائك الى الايمان شقيا بل كنت ممن أطاعك وعبدك مخلصا فالكاف على هذا فاعل والاظهر الاول شكرا لله تعالى بما سلف اليه من انعامه عليه أي قد أحسنت الي فيما سلف وسعدت بدعائي اياك فالانعام يقتضي أن تجيبني آخرا كما أجبتني أولا * وروي ان حاتما الطائي أتاه طالب حاجة فقال أنا أحسنت اليك وقت كذا فقال حاتم مرحبا بالذي توسل بنا الينا وقضى حاجته * واني خفت الموالي من ورائي الموالي بنو العم والقرابة الذين يلون بالنسب * قال الشاعر

مهلا بني عمنا مهلا موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

﴿ وقال لبيد ﴾

ومولى قد دفعت الضيم عنه * وقد أمسى بمنزلة المضيم

* وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح الموالي هنا الكلالة خاف أن يرثوا ماله وان يرثه الكلالة * وروى قتادة والحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخي زكريا ما كان عليه ممن يرث ماله * وقالت فرقة انما كان مواليه مهملين الدين فخاف بموته أن يضيع الدين فطلب وليا يقوم بالدين بعده وهذا لا يصح عنه اذ قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة والظاهر اللائق بزكرياء عليه السلام من حيث هو معصوم انه لا يطلب الولد لاجل ما يخلفه من

حطام الدنيا وكذلك قول من قال انما خاف أن تنقطع النبوة من ولده و يرجع الى عصبته لان تلك نما يضعها الله حيث شاء ولا يعترض على الله فيمن شاءه واصطفاه من عباده * قال الزمخشرى كان مواليه وهم عصبته اخوته و بنو عمه شرار بنى اسرائيل فخافهم على الدين أن يغيروه وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به فى احياء الدين * وقرأ الجمهور خفت من الخوف * وقرأ عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس وسعيد بن العاصى وابن يعمر وابن جبير وعلى بن الحسين وولده محمد وزيد وشبيل بن عزرة والوليد بن مسلم لابى عامر خفت بفتح الخاء والفاء مشددة وكسر تاء التأنيث الموالى بسكون الياء والمعنى انقطع موالىّ وماتوا فانما أطلب وليا يقوم بالدين * وقرأ الزهرى خفت من الخوف الموالى بسكون التاء على قراءة خفت من الخوف يكون من ورائى أى بعد موتى وعلى قراءة خفت يحتمل أن يتعلق من ورائى بخفت وهو الظاهر فالمعنى أنهم خفوا قدامه أى درجوا فلم يبق منهم من له تقوّ واعتضاد وأن يتعلق بالموالى أى قبلوا وعجزوا عن اقامة الدين وورائى بمعنى خلفى ومن بعدى فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى برزقه وروى عن ابن كثير من وراى مقصورا كعصاى وتقدم شرح العاقر فى آل عمران وقوله من لدنك تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده أو أراد اختراعا منك بلا سبب لأنى وامرأتى لا نصلح للولادة والظاهر انه طلب من الله تعالى أن يهبه وليا ولم يصرح بأن يكون ولدا لبعد ذلك عنده لكبره وكون امرأته عاقرا * وقيل انما سأل الولد * وقرأ الجمهور يرثنى ويرث برفع الفعلين صفة للولى فان كان طلب الولد فوصفه بأن تكون الاجابة فى حياته حتى يرثه لئلا تكون الاجابة فى الولد لكن يحرمه فلا يحصل ما قصده * وقرأ النحويان والزهرى والأعمش وطلحة واليزيدى وابن عيسى الاصبهانى وابن محيصن وقتادة بجزمهما على جواب الامر * وقرأ على وابن عباس والحسن وابن يعمر والجحدرى وقتادة وأبو حرب بن أبى الاسود وجعفر بن محمد وأبو نهيك يرثنى بالرفع والياء وارث جعلوه فعلا مضارعا من ورث * قال صاحب اللوامح وفيه تقديم فمعناه فهب لى من لدنك وليا من آل يعقوب يرثنى ان مت قبله أى نبوّتى وأرثه ان مات قبلى أى ماله وهذا معنى قول الحسن * وقرأ على وابن عباس والجحدرى يرثنى وارث من آل يعقوب * قال أبو الفتح هذا هو التجريد التقدير يرثنى منه وارث * وقال الزمخشرى وارث أى يرثنى به وارث ويسمى التجريد فى علم البيان والمراد بالارث ارث العلم لأن الانبياء لا تورث المال * وقيل يرثنى الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان * وقيل من للتبعيض لا للتعدية لأن آل يعقوب ليسوا كلهم أنبياء ولا علماء * وقرأ مجاهد أو يرث من آل يعقوب على التصغير وأصله وويرث فأبدلت الواو همزة على اللزوم لاجتماع الواوين وهو تصغير وارث أى غليم صغير وعن الجحدرى وارث بكسر الواو يعنى به الامالة المحضة لا الكسر الخالص والظاهر ان يعقوب هو ابن اسحاق بن ابراهيم * وقيل هو يعقوب بن ماثان أخو زكرياء * وقيل يعقوب هذا وعمران أبو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود ومرضيا بمعنى مرضى يا زكريا أى قيل له باثر الدعاء * وقيل رزقه بعد أربعين سنة من دعائه * وقيل بعد ستين والمنادى والمبشر زكرياء هم الملائكة بوحى من الله تعالى قال تعالى فنادته الملائكة الآية والغلام الولد الذكر وقد يقال للأنثى غلامة كما قال * تهان لها الغلامة والغلام * والظاهر أن يحيى ليس عربيا لانه لم تكن عادتهم أن يسموا بألفاظ العربية فيكون منعه الصرف للعلمية والعجمة وان كان عربيا فيكون

مسمى بالفعل كيعمر و يعيش وقد سموا بيموت وهو يموت بن المزرع ابن أخت الجاحظ وعلى أنه عربى * فقيل سمى بذلك لانه يحيي بالحكمة والعفة * وقيل يحيي بهدايته وارشاده خلق كثير * وقيل لانه يستشهد والشهداء أحياء * وقيل لانه يعمر زمانا طويلا * وقيل لانه حيي بين شيخ كبير وأم عاقر * وقيل لانه حيي به عقر أمه وكانت لا تلد * وقال ابن عباس وقتادة والسدي وابن أسلم لم نسم قبله أحدا يحيي * قال الزمخشري وهذا شاهد على أن الاسامي الشنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنحى في التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النفر حتى قال القائل في مدح قوم

شنع الاسامي مسبلي ازر * حمر تمس الارض بالهدب

* وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه أنا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت انتهى * وقيل للصلت بن عطاء كيف تقدمت عند البرامكة وعندهم من هو آدب منك فقال كنت غريب الدار غريب الاسم خفيف الجرم شحيحا بالاشلاء فذكر مما قدمه كونه غريب الاسم اذ كان اسمه الصلت * وقال مجاهد وغيره سميا أي مثلا ونظيرا وكأنه من المساماة والسمو * قال ابن عطية وهذا فيه بعد لانه لا يفضل على ابراهيم وموسى * وقال ابن عباس أيضا لم تلد العواقر مثله * قال الزمخشري وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه * وقيل لم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وأنه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصورا انتهى * وأنى بمعنى كيف وتقدم الكلام عليها في قوله قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر في آل عمران والعتي المبالغة في الكبر و يبس العود * وقرأ أبو بحرية وابن أبي ليلى والاعمش وحمزة والكسائي عتيا بكسر العين وباقي السبعة بالضم وعبد الله بفتح العين وصاد صليا جعلهما مصدرين كالعجيج والرحيل وفي الضم هما كذلك الا أنهما على فعول * وعن عبد الله ومجاهد عسيا بضم العين والسين مكسورة وحكاها الداني عن ابن عباس وحكاها الزمخشري عن أبي ومجاهد يقال عتا العود وعسا يبس وجسا * قال كذلك أي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك فالكاف رفع أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * وقرأ الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول أي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون ووجه آخر وهو أن يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين أي قال هو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى أنه قال ذلك ووعده وقوله الحق قاله الزمخشري * وقال ابن عطية وقوله قال كذلك قيل ان المعنى قال له الملك كذلك فليكن الوجود كما قيل لك قال ربك خلق الغلام علي هين أي غير بدع وكما خلقتك قبل وأخرجتك من عدم الى وجود كذلك أفعل الآن * وقال الطبري معنى قوله كذلك أي الامران اللذان ذكرت من المرأة العاقر والكبر هو كذلك ولكن قال ربك والمعنى عندي قال الملك كذلك أي على هذه الحال قال ربك هو علي هين انتهى * وقرأ الحسن هو علي هين بكسر الياء * وقد أنشدوا قول النابغة

علي لعمرو نعمة بعد نعمة * لوالده ليست بذات عقارب

بكسر ياء المتكلم وكسرها شبيه بقراءة حمزة وما أنتم بمصرخي بكسر الياء * وقرأ الجمهور وقد خلقتك بتاء المتكلم * وقرأ الاعمش وطلحة وابن وثاب وحمزة والكسائي خلقناك بنون العظمة ولم تك شيأ أي شيأ موجودا * وقال الزمخشري شيأ لان المعدوم ليس بشيء أو شيأ يعتد به كقولهم

عجبت من لاشئ اذار أى غيرشئ ظنه رجلا * قال أى زكر يارب اجعل لى آية أى علامة أعلم بها وقوع مابشرت به وطلب ذلك ليزداد يقينا كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى لالتوقف منه على صدق ماوعد به ولا لتوهم ان ذلك من عند غيرالله لعصمة الانبياء عن مثل ذلك * وقال الزجاج وقعت البشارة مطلقة فلم يعرف الوقت فطلب الآية ليعرف وقت الوقوع قال آيتك روى عن ابن زيد انه لما حملت زوجته بيحيى أصبح لايستطيع أن يكلم أحدا وهو مع ذلك يقرأ التوراة ويذكر الله فاذا أراد مناداة أحد لم يطقه وسويا حال من ضمير أى لاتكلم فى حال صحتك ليس بك خرس ولا علة قاله الجمهور وعن ابن عباس سويا عائد على الليالى أى كاملات مستويات فتكون صفة لثلاث ودل ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران على ان المنع من الكلام استمر له ثلاثة أيام بلياليهن * وقرأ ابن أبى عبلة وزيد بن على أن لاتكلم برفع الميم جعلها ان المخففة من الثقيلة التقدير انه لا يكلم * وقرأ الجمهور بنصبها جعلوا ان الناصبة للمضارع فخرج على قومه من المحراب أى وهو بتلك الصفة من كونه لايستطيع أن يكلم الناس ومحرابه موضع مصلاه والمحراب تقدم الكلام عليه فى آل عمران فأوحى اليهم أى أشار * قال قتادة وابن منبه والكلبى والقرطبى أوحى اليهم أشار وذكره الزمخشرى عن مجاهد قال ويشهد له الا رمزا * وعن ابن عباس كتب لهم على الارض * وقال ابن عطية * وقال مجاهد بل كتب لهم فى التراب وكلا الوجهين وحى انتهى * وقال عكرمة كتب فى ورقة والوحى فى كلام العرب الكتابة * ومنه قول ذى الرمة

سوى الاربع الدهم اللواتى كأنها * بقية وحى فى بطون الصحائف

﴿ وقال عنترة ﴾

كوحى صحائف من عهد كسرى * فأهداها لأعجم طمطمى

﴿ وقال جرير ﴾

كأن أخا اليهود يخط وحيا * بكاف فى منازلها ولام

والجمهور على ان المعنى ان سبحوا صلوا * وقيل أمرهم بذكر الله والتسبيح * قال المفسرون كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة اشارة * وقال صاحب التحرير والتحبير وعندى فى هذا معنى لطيف وهو انه انما خص بالتسبيح بالذكر لان العادة جارية ان كل من رأى أمرا عجب منه أو رأى فيه بديع صنعة أو غريب حكمة يقول سبحان الله سبحان الخالق فلما رأى حصول الولد من شيخ وعاقر عجب من ذلك فسبح وأمر بالتسبيح انتهى * وقال الزمخشرى وابن عطية وان مفسرة * وقال الحوفى أن سبحوا أن نصب بأوحى * وقال أبو البقاء يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون بمعنى أى انتهى * وقرأ طلحة أن سبحوه بهاء الضمير عائدة على الله تعالى * وروى ابن غزوان عن طلحة أن سبحن بنون مشددة من غير واو ألحق فعل الأمر نون التوكيد الشديدة يايحيى خذ الكتاب بقوة فى الكلام حذف والتقدير فلما ولد يحيى وكبر وبلغ السن الذى يؤمر فيه قال الله له على لسان الملك وأبعد التبريزى فى قوله ان المنادى له أبوه حين ترعرع ونشأ والصحيح ما سبق لقوله وآتيناه الحكم صبيا والكتاب هو التوراة * قال ابن عطية بلا خلاف لانه ولد قبل عيسى ولم يكن الانجيل موجودا انتهى وليس كما قال بل قيل له كتاب خص به كما خص كثير من الانبياء بمثل ذلك * وقيل الكتاب هنا اسم جنس أى اتل كتب الله * وقيل الكتاب صحف ابراهيم * وقال الحسن وعلمه التوراة والانجيل وأرسله الى بنى اسرائيل وكان يصوم ويصلى فى حال طفوليته ويدعو الى الله

(الدر)

﴿ سورة مريم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يايحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ (ع) هو التوراة بلاخلاف لانه ولد قبل عيسى ولم يكن الانجيل موجودا (ح) ليس كما قال بل قيل له كتاب خص به كما خص كثير من الانبياء عليهم السلام بمثل ذلك وقيل الكتاب هنا اسم جنس أى اتل كتب الله وقيل الكتاب صحف ابراهيم

﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ الآية لما تقدم قصة زكريا مع ما فيها من الغرابة أعقب بما هو أغرب منها وهو وجود ولد من غير ذكر واذ ظرف لما مضى لا يعمل فيه اذكر لانه مستقبل بل التقدير واذكر ما جرى لمريم وقت كذا ﴿انتبذت﴾ افتعل من نبذ ومعناه ارتمت وتنحت وانفردت وانتصب مكانا على الظرف أي في مكان ووصف بشرقي لانه كان مما يلي بيت المقدس ﴿حجابا﴾ أي حائطا أولشئ يسترها والظاهر أن الروح هو

جبريل صلى الله عليه وسلم وانتصب بشرا على أنه حال و وصفه بقوله سويا أي كامل الصورة حسن الأعضاء وضيء الوجه وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على السماع لكلامه ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وجواب ان في قوله ان كنت محذوف تقديره ان كنت تقيا فاذهب عني ﴿قال﴾ أي جبريل صلى الله عليه وسلم ﴿انما أنا رسول ربك﴾ الناظر في مصلحتك والمالك لأمرك وهو الذي استعاذت به وقوله لها ذلك تطمين لها واني لست ممن يظن به ريبة أرسلني اليك ﴿ليهب لك غلاما﴾ وقرئ ليهب بالياء وفيه ضمير يعود على الله تعالى

وقرئ بالهمز أسند الهبة الى نفسه على سبيل المجاز اذ الواهب هو الله تعجبت مريم وعلمت بما ألقي في روعها أنه من عند الله وتقدم الكلام على سؤالها عن الكيفية في آل عمران في قصتها وفي قولها ولم أك بغيا تخصيص بعد تعميم لأن مسيس البشر يكون بسفاح أو بنكاح والبغي المجاهرة المشتهرة في الزنا وزنه فعول اجتمعت ياء و واو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وكسر ما قبل الياء لتصح الياء ﴿قال كذلك﴾ الكلام عليه كالكلام السابق في قصة زكريا ﴿ولنجعله﴾ يحتمل أن يكون معطوفا على تعليل محذوف تقديره لنبين به

بقوة بجد واستظهار وعمل بما فيه والحكم النبوة أو حكم الكتاب أو الحكمة أو العلم بالأحكام أو اللب وهو العقل أو آداب الخدمة أو الفراسة الصادقة أقوال صبيا أي شابا لم يبلغ سن الكهولة * وقيل ابن سنتين * وقيل ابن ثلاث * وعن ابن عباس في حديث مرفوع ابن سبع سنين وحنانا معطوف على الحكم والحنان الرحمة قاله ابن عباس في رواية والحسن وعكرمة وقتادة والضحاك وأبو عبيدة والفراء وأنشد أبو عبيدة

تحنن على هداك المليك * فان لكل مقام مقالا

قال وأكثر ما تستعمل مثنى كما قال * حنانيك بعض الشر أهون من بعض * وقال ابن الانباري المعنى وجعلناه حنانا لأهل زمانه * وقال مجاهد وتعطفا من ربه عليه * وعن ابن جبير لينا * وعن عكرمة وابن زيد محبة وعن عطاء تعظيما وقوله وزكاة عن الضحاك وقتادة عملا صالحا * وعن ابن السائب صدقة تصدق بها على أبويه * وعن الزجاج تطهيرا * وعن ابن الانباري زيادة في الخير * وقيل ثناء كما يزكى الشهود وكان تقيا * قال قتادة لم يهم قط بكبيرة ولا صغيرة ولا هم بامرأة * وقال ابن عباس جعله متقيا له لا يعدل به غيره * وقال مجاهد كان طعامه العشب المباح وكان للدمع في خديه مجار بائنة و برا بوالديه أي كثير البر والاكرام والتبجيل * وقرأ الحسن وأبو جعفر في رواية وأبو نهيك وأبو مجلز و برا في الموضعين بكسر الباء أي وذا بر * ولم يكن جبارا أي متكبرا * عصيا أي عاصيا كثير العصيان وأصله عصوي فعول للمبالغة ويحتمل أن يكون فعيلا وهي من صيغ المبالغة * وسلام عليه * قال الطبري أي أمان * قال ابن عطية والأظهر انها التحية المتعارفة وانما الشرف في أن سلم الله عليه وحياه في المواطن التي الانسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر الى الله وذكر الطبري عن الحسن ان عيسى و يحيي عليهما السلام التقيا وهما ابنا الخالة فقال يحيي لعيسى ادع لي فأنت خير مني فقال له عيسى بل أنت ادع لي فأنت خير مني سلم الله عليك وأنا سلمت على نفسي * وقال أبو عبد الله الرازي يوم ولد أي أمان عليه من أن يناله الشيطان و يوم يموت أي أمان من عذاب القبر و يوم يبعث حيا من عذاب الله يوم القيامة وفي قوله و يوم يبعث حيا تنبيه على كونه من الشهداء لقوله بل أحياء عند ربهم يرزقون وهذا السلام يحتمل أن يكون من الله وأن يكون من الملائكة انتهى والأظهر أنه من الله لأنه في سياق وآتيناه الحكم ﴿ واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس

قدر تناول نجعله أو محذوف متأخر أي فعلنا ذلك والضمير في ولنجعله عائد على الغلام وكذلك في قوله وكان أي وجوده أمرا
مفروغا منه وكونه رحمة من الله أي طريق هدى لعالم كثير فينالون الرحمة بذلك ﴿ فحملته ﴾ أي في بطنها وذكروا أقوالا
كثيرة مضطربة في مدة الحمل ﴿ مكانا قصيا ﴾ أي مكانا بعيدا ﴿ فأجاءها المخاض ﴾ أي ساقها المخاض وهو الطلق بالألم الذي يلحقها
لانزعاج الولد في بطنها للخروج فأجاءها أي جاء بها تعدى جاء تارة بالباء وتارة بالهمز قال الزمخشري الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى
معنى الالجاء ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه كما تقول بلغنيه وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم تستعمل في الاعطاء ولم تقل آتيت
المكان وآتانيه فلان انتهى أما قوله وقول غيره ان الاستعمال غيره الى معنى الالجاء فيحتاج الى نقل الأئمة المستقرئين ذلك عن
لسان العرب والاجاءة تدل على المطلق فيصلح لما هو بمعنى الالجاء ولما هو بمعنى الاختيار كما لو قلت أقمت زيدا فانه قد
يكون مختارا لذلك وقد تكون قد قسرته على القيام وأما قوله ألا تراك الى آخره فمن رأى أن التعدية بالهمزة قياس أجاز
ذلك ولو لم يسمع ومن لا يراه قياسا فقد سمع ذلك في جاء حيث قالوا أجاء فيجيز ذلك وأما تنظيره ذلك بآتى فهو تنظير غير
صحيح لأنه بناه على أن الهمزة فيه للتعدية وأن أصله أتى وليس كذلك بل آتى مما بنى على أفعل فليس منقولا من أتى بمعنى جاء اذ لو كان
منقولا من أتى المتعدية لواحد لكان ذلك الواحد هو المفعول الثاني والفاعل هو الأول اذا عديت بالهمزة تقول آتى المال زيدا
وآتى زيد عمرا المال فيختلف التركيب بالتعدية لان زيدا عند النحويين هو المفعول الأول والمال هو المفعول الثاني وعلى ماذكره
الزمخشري يكون العكس فدل ذلك على أنه ليس على ما قاله وأيضا فآتى مرادف لاعطى فهو مخالف من حيث الدلالة في المعنى
وقوله ولم يقل أتيت المكان وآتانيه هذا غير مسلم بل يقال أتيت المكان كما تقول جئت المكان وقال الشاعر

أتوا ناري فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا صباحا

ومن رأى النقل بالهمزة قياسا قال آتانيه * والمستفيض
المشهور أن ميلاد عيسى كان ببيت لحم وانها لما هربت وخافت عليه أسرعت به وجاءت به الى

ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة

بيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت له وصارت كالمهد وهي الآن تزار بحرم بيت المقدس ثم
بعد أيام توجهت به الى بحر الاردن فعمدته فيه وهو الذي يتخذه النصارى ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون أن المياه في
ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون في ذلك اليوم في كل ماء ﴿ إلى جذع النخلة ﴾ استندت إلى الجذع إذ لم يكن وراءها
امرأة تشددها كعادة النساء عند الوضع ذكروا في هذا الجذع أقوالا مضطربة والظاهر أنها نخلة عادتها أن تثمر وترطب
فلما اشتد بها الأمر هناك واحتضنت الجذع لشدة الوجع وولدت عيسى عليه السلام قالت عند ولادتها لما رأته من الآلام
والتغرب وانكار قومها وصعوبة الحال من غير ما وجه ﴿ يا ليتني مت قبل هذا ﴾ وتمنت مريم الموت من جهة الدين اذ خافت أن
يظن بها السوء في دينها * والنسي الشيء الحقير الذي من شأنه أن ينسى فلا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر وخرقة الطمث ونسي
فعل بمعنى مفعول كالطحن بمعنى مطحون ورعي بمعنى مرعي وأكد ذلك بقوله منسيا لاختلاف صورتي التركيب والظاهر أن
المنادي هو عيسى عليه السلام أي فولدته فأنطقه الله * وناداها أي حالة الوضع وقيل جبريل عليه السلام وكان في بقعة من الأرض
أخفض من البقعة التي كانت عليها قيل وكان يقبل الولد كالقابلة وقرئ من تحتها فقيل عيسى وقيل جبريل فمن موصولة
فعلى هذا يكون المنادي عيسى صلى الله عليه وسلم وأن حرف تفسير و ﴿ لا تحزني ﴾ نهي * سريا السري الرجل العظيم من الرجال له
شأن عظيم والسري في اللغة الجدول وفي قوله ربك تأنيس لها اذ هو مالكها والناظر في اصلاحها ثم أمرها بهز الجذع اليابس
لترى آية أخرى في احياء موات الجذع * قال ابن عباس كان الجذع نخرا يابسا فلما هزته اذا السعف قد طلع ثم نظرت الى الطلع
يخرج من بين السعف ثم اخضر فصار بلحا ثم احمر فصار زهوا ثم رطبا كل ذلك في طرفة عين فجعل الرطب يقع بين يديها
لا يتسرح منها شيء والى حرف جر في قوله هزي ضمير الفاعل وهو الياء وقد تعدى الفعل الى ضمير الجر ونظيره قوله تعالى واضمم
اليك جناحك وقوله تعالى أمسك عليك زوجك وفي النحو ان الفعل اذا رفع ضميرا متصلا أو مستكنا لا يتعدى الى
ضمير النصب ولا الى ضمير الجر فلا تقول ضربتك ولا تضربيني ولا زيد ضربه يعني ضرب نفسه بل المعروف أنه

يؤتى بدل الضمير المنصوب بالنفس فتقول ضربت نفسك وضربت نفسي وزيد ضرب نفسه الا في باب ظن وفقد وعدم فيجوز ذلك فتقول ظننتك قائما وظننتني قائما وفي هزي اليك جاء فصيحا تعدى ذلك الى ضمير الجر والباء زائدة في قوله بجذع لأن هز متعد بنفسه تقول هززت الغصن وقرئ ﴿تساقط﴾ بتشديد السين وأصله تتساقط فأدغمت التاء في السين وقرئ تساقط بحذف التاء وقرئ تساقط مضارع ساقطت تساقط فعلى هذه القراءة يكون رطبا مفعولا به وعلى القراءتين قبل ذلك يكون رطبا تمييزا منقولا من الفاعل اذ الأصل تساقط أو تساقط رطبه وفي قوله وهزي دليل على السبب لتحصيل الرزق ﴿فكلي واشربي﴾ لما كانت العادة تقديم الأكل على الشرب تقدم في الآية ولمجاورة قوله تساقط عليك رطبا جنيا * ولما كان المحزون قديأ كل ويشرب قال ﴿وقري عينا﴾ أي لا تحزني ثم ألق اليها (١٧٩) ما تقول ان رأت أحدا ﴿فاما ترين﴾ إن شرطية وما زائدة وأصل ترين ترأيين نقلت حركة الهمزة الى الراء وحذفت الهمزة وحذفت نون الرفع لدخول الجازم الذي هو ان ثم أدخلت النون الشديدة فانحذفت تاء الضمير فبقيت ترين والياء المكسورة هي لام الفعل ﴿فقولي﴾ جواب الشرط والجملة بعده معمول لقولي في موضع نصب وفي قولها ﴿اني نذرت للرحمن﴾ لطيفة وهو قولها للرحمن أي الذي رحمني أولا وآخرا وفي هذه الحال وغيرها ولا تناقض لان المعنى ﴿فلن أكلم اليوم انسيا﴾ بعد قولي هذا وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليها المعنى أي فاما ترين من البشر أحدا وسألك أو حاورك الكلام فقولي * وصوما قال السدي وابن زيد كانت سنة الصيام عندهم الامساك عن الأكل والكلام

تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر قصة زكريا وطلبه الولد واجابة الله اياه فولد له من شيخ فان وعجوز له عاقر وكان ذلك مما يتعجب منه أردفه بما هو أعظم في الغرابة والعجب وهو وجود ولد من غير ذكر فدل ذلك على عظم قدرة الله وحكمته وأيضا فقص عليهم ما سألوه من قصة أهل الكهف وأتبع ذلك بقصة الخضر وموسى ثم قص عليهم ما سألوه أيضا وهو قصة ذي القرنين فذكر في هذه السورة قصصا لم يسألوا عنها وفيها غرابة ثم أتبع ذلك بقصة ابراهيم وموسى وهارون موجزة ثم بقصة اسماعيل وادريس ليستقر في أذهانهم انه أطلع نبيه على ما سألوه وعلى ما لم يسألوه وان الرسول عليه الصلاة والسلام وحيه في ذلك واحد يدل على صدقه وصحة رسالته من أمي لم يقرأ الكتب ولا رحل ولا خالط من له علم ولا عني بجمع سير * والكتاب القرآن * ومريم هي ابنة عمران أم عيسى واذ قيل ظرف زمان منصوب باذكر ولا يمكن ذلك مع بقائه على الظرفية لان الاستقبال لا يقع في الماضي * وقال الزمخشري اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الأحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيها انتهى ونصب اذ باذكر على جهة البدلية يقتضي التصرف في اذ وهي من الظروف التي لم يتصرف فيها الا باضافة ظرف زمان اليها فالأولى ان يجعل ثم معطوف محذوف دل المعنى عليه وهو يكون العامل في اذ وتبقى على ظرفيتها وعدم تصرفها وهو أن تقدر مريم وما جرى لها إذ انتبذت واستبعد أبو البقاء قول الزمخشري قال لان الزمان اذا لم يكن حالا عن الجثة ولا خبرا عنها ولا وصفا لها لم يكن بدلا منها انتهى واستبعاده ليس بشيء لعدم الملازمة * قال وقيل التقدير خبر مريم فاذ منصوب بخبر * وقيل حال من هذا المضاف المحذوف * وقيل اذ بمعنى أن المصدرية كقولك أكرمك اذ لم تكرمني أي ان لم تكرمني * قال أبو البقاء فعلى هذا يصح بدل الاشتمال أي واذكر مريم انتباذها انتهى وانتبذت افتعل من نبذ ومعناه ارتمت وتنحت وانفردت * قال السدي انتبذت لتطهر من حيضها وقال غيره لتعبد الله وكانت وقفا على سدانة المتعبد وخدمته والعبادة فتنحت من الناس كذلك وانتصب مكانا على الظرف أي في مكان ووصف بشرقي

(الدر) (ش) اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القضية العجيبة فيه (ح) نصب اذ باذكر على جهة البدلية يقتضي التصرف في اذ وهي من الظروف التي لم يتصرف فيها الا باضافة ظرف زمان اليها فالاولى أن يجعل ثم معطوف محذوف دل عليه المعنى وهو يكون العامل في اذ وتبقى على ظرفيتها وعدم تصرفها وهو أن يقدر مريم وما جرى لها اذ انتبذت واستبعد أبو البقاء قول (ش) قال لان الزمان اذا لم يكن حالا عن الجثة ولا خبرا عنها ولا وصفا لها لم يكن بدلا منها انتهى واستبعاده ليس بشيء لعدم الملازمة

لانه كان مما يلي بيت المقدس أو من دارها وسبب كونه في الشرق انهم كانوا يعظمون جهة الشرق من حيث تطلع الشمس * وعن ابن عباس اتخذت النصارى الشرق قبلة لميلاد عيسى عليه السلام * وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أي شئ يسترها وكان موضعها المسجد فبيناهي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوى الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيأ أو حسن الصورة مستوى الخلق * وقال قتادة شرقيا شاسعا بعيدا انتهى والحجاب الذي اتخذته لتستتر به عن الناس لعبادة ربها * قال السدي كان من جدران * وقيل من ثياب * وعن ابن عباس جعلت الجبل بينها وبين الناس حجابا وظاهر الارسال من الله اليها ومحاورة الملك تدل على أنها نبية * وقيل لم تتنبأ وانما كلمها مثال بشر ورؤيتها للملك كما رئي جبريل عليه السلام في صفة دحية وفي سؤاله عن الايمان والاسلام والظاهر أن الروح جبريل لان الدين يحيا به وبوحيه أو سماه روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك أنت روحي * وقيل عيسى كما قال وروح منه وعلى هذا يكون قوله فتمثل أي الملك * وقرأ أبو حيوة وسهل روحنا بفتح الراء لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فأما ان كان من المقربين فروح وريحان أو لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح أي مقربنا وذا روحنا * وذكر النقاش انه قرئ روحنا بتشديد النون اسم ملك من الملائكة وانتصب بشرا سويا على الحال لقوله وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا * قيل وانما تمثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت به من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها * وقيل كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فأتاها الملك * وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وتعليقها الاستعاذة على شرط تقواه لانه لا تنفع الاستعاذة ولا تجدي الا عند من يتقي الله أي ان كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك وجواب الشرط محذوف أي فاني أعوذ * وقال الزجاج فستتعظ بتعويذي بالله منك * وقيل فاخرج عني * وقيل فلا تتعرض لي وقول من قال تقي اسم رجل صالح أو رجل فاسد ليس بسديد * وقيل ان نافية أي ما كنت تقيا أي بدخولك علي ونظرك الي ولياذها بالله وعياذها به وقت التمثيل دليل على انه أول ما تمثل لها استعاذت من غير جرى كلام بينهما * قال أي جبريل عليه السلام انما أنا رسول ربك الناظر في مصلحتك والمالك لأمرك وهو الذي استعذت به وقوله لها ذلك تطمين لها واني لست ممن تظن به ريبة أرسلني اليك ليهب * وقرأ شيبة وأبو الحسن وأبو بحرية والزهري وابن مناذر ويعقوب واليزيدي ومن السبعة نافع وأبو عمرو ليهب أي ليهب ربك * وقرأ الجمهور وباقي السبعة لأهب بهمزة المتكلم وأسند الهبة اليه لما كان الاعلام بها من قبله * وقال الزمخشري لأهب لك لأكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الروع وفي بعض المصاحف أمرني أن أهب لك ويحتمل أن يكون محكيا بقول محذوف أي قال لأهب والغلام اسم الصبي أول ما يولد الى أن يخرج الى سن الكهولة وفسرت الزكاة هنا بالصلاح وبالنبوة وتعجبت مريم وعلمت بما ألقي في روعها انه من عند الله وتقدم

الكلام على سؤالها عن الكيفية في آل عمران في قصتها وفي قولها ولم أك بغيا تخصيص بعد تعميم لان مسيس البشر يكون بنكاح و بسفاح * وقال الزمخشري جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه لقوله من قبل أن تمسوهن أولمستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن راعى فيه الكنايات والآداب انتهى والبغي المجاهرة المشتهرة في الزنا و زنه فعول عند المبرد اجتمعت واو و ياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وكسر ماقبلها لأجل الياء كما كسرت في عصي ودلي * قيل ولو كان فعيلا لحقتها هاء التأنيث فيقال بغية * وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر انهى * قيل ولما كان هذا اللفظ خاصا بالمؤنث لم يحتج الى علامة التأنيث فصار كحائض وطالق وانما يقال للرجل باغ * وقيل بغي فعيل بمعنى مفعول كعين كحيل أي مبغية بطلبها أمثالها قال كذلك قال ربك هو علي هين الكلام عليه كالكلام السابق في قصة زكريا ولنجعله يحتمل أن يكون معطوفا على تعليل محذوف تقديره لنبين به قدرتنا ولنجعله أو محذوف متأخر أي فعلنا ذلك والضمير في ولنجعله عائد على الغلام وكذلك في قوله وكان أي وكان وجوده أمرا مفروغا منه وكونه رحمة من الله أي طريق هدى لعالم كثير فينالون الرحمة بذلك * وذكروا أن جبريل عليه السلام نفخ في جيب درعها أو فيه وفي كمها وقال أي دخل الروح المنفوخ من فيها والظاهر ان المسند اليه النفخ هو الله تعالى لقوله فنفخنا و يحتمل ماقالوا فحملته أي في بطنها والمعنى فحملت به * قيل وكانت بنت أربع عشرة سنة * وقيل بنت خمس عشرة سنة قاله وهب ومجاهد * وقيل بنت ثلاث عشرة سنة * وقيل بنت اثنتي عشرة سنة * وقيل عشر سنين * قيل بعد ان حاضت حيضتين * وحكى محمد بن الهيصم انها لم تكن حاضت بعد * وقيل لم تحض قط مريم وهي مطهرة من الحيض فلما أحست وخافت ملامة الناس أن يظن بها الشر فارتمت به الى مكان قصي حياء وفرارا * روي انها فرت الى بلاد مصر أو نحوها قاله وهب * وقيل الى موضع يعرف ببيت لحم بينه و بين ايليا أربعة أميال * وقيل بعيدا من أهلها وراء الجبل * وقيل أقصى الدار * وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك هرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها حملته في ساعة واحدة فكما حملته نبذته عن ابن * وقيل كانت مدة الحمل ثلاث ساعات * وقيل حمل في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة * وقيل ستة أشهر * وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر * وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وهذه أقوال مضطربة متناقضة كان ينبغي أن يضرب عنها صفحا الا أن المفسرين ذكروها في كتبهم وسودوا بها الورق والباء في به للحال أي مصحوبة به أي اعتزلت وهو في بطنها كما قال الشاعر * تدوس بنا الجماجم والتريبا * أي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها * ومعنى فأجاءها أي جاء بها تارة تعدى جاء بالباء وتارة بالهمزة

(ح) وأجاءها أي جاء بها تارة تعدى جاء بالباء وتارة بالهمزة (ش) الان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء ألا ترى انك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم تقل آتيت المكان وآتانيه فلان (ح) أما قوله وقول غيره ان الاستعمال غيره الى معنى الالجاء فيحتاج الى نقل أئمة اللغة المستقرئين ذلك عن لسان العرب والاجاءة تدل على المطلق فتصلح لما هو بمعنى الالجاء ولما هو بمعنى الاختيار كما لو قلت أقمت زيدا فانه قد يكون مختارا لذلك وقد يكون قد قسرته على القيام وأما قوله الا ترى انك لا تقول الى آخره فمن رأى أن التعدية بالهمزة قياس أجاز ذلك ولو لم يسمع ومن لا يراه قياسا فقد سمع ذلك في جاء حيث قالوا أجاء فيجيز ذلك وأما تنظيره ذلك بآتى فهو تنظير غير صحيح لانه بناه على أن الهمزة فيه للتعدية وان أصله أتى وليس كذلك بل آتى مما بني على افعل وليس منقولا من أتى بمعنى جاء اذ لو كان منقولا من أتى المتعدية لواحد لكان ذلك الواحد هو المفعول الثاني والفاعل هو الاول اذا عديت الهمزة تقول أتى المال زيدا وآتى عمرو زيدا المال فيختلف التركيب بالتعدية لان زيدا عند النحويين هو المفعول الاول والمال هو المفعول الثاني وعلى ماذكره (ش) كان يكون العكس فدل على انه ليس ما قاله وأيضا فآتى مرادف لاعطى فهو مخالف من حيث الدلالة في المعنى وقوله ولم تقل آتيت المكان وآتانيه هذا غير مسلم بل يقال آتيت المكان كما تقول جئت المكان وقال الشاعر

* قال الزمخشري الا أن استعماله قد يغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل آتيت المكان وآتانيه فلان انتهى أما قوله وقول غيره ان الاستعمال غيره الى معنى الالجاء فيحتاج الى نقل أئمة اللغة المستقرئين ذلك عن لسان العرب والإجاءة تدل على المطلق فتصلح لما هو بمعنى الالجاء ولما هو بمعنى الاختيار كما لو قلت أقمت زيدا فانه قد يكون مختارا لذلك وقد يكون قد قسرته على القيام وأما قوله الا تراك لا تقول الى آخره فمن رأى ان التعدية بالهمزة قياس أجاز ذلك ولو لم يسمع ومن لا يراه قياسا فقد سمع ذلك في جاء حيث قالوا أجاء فيجيز ذلك وأما تنظيره ذلك بآتى فهو تنظير غير صحيح لأنه بناه على أن الهمزة فيه للتعدية وان أصله أتى وليس كذلك بل آتى مما بنى على أفعل وليس منقولا من أتى بمعنى جاء اذ لو كان منقولا من أتى المتعدية لواحد لكان ذلك الواحد هو المفعول الثاني والفاعل هو الأول اذا عديته بالهمزة تقول أتى المال زيدا وآتى عمرو زيدا المال فيختلف التركيب بالتعدية لأن زيدا عند النحويين هو المفعول الاول والمال هو المفعول الثاني وعلى ماذكره الزمخشري كان يكون العكس فدل على أنه ليس على ما قاله وأيضا فآتى مرادف لأعطى فهو مخالف من حيث الدلالة في المعنى وقوله ولم تقل أتيت المكان وآتانيه هذا غير مسلم بل يقال أتيت المكان كما تقول جئت المكان * وقال الشاعر

أتوا ناري فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

ومن رأى النقل بالهمزة قياسا قال أتانيه * وقرأ الجمهور فأجاءها أي ساقها * وقال الشاعر

وجار سار معتمدا اليكم * أجاءته المخافة والرجاء

وأمال فتحة الجيم الأعمش وطلحة * وقرأ حماد بن سلمة عن عاصم * قال ابن عطية وشبيل بن عزرة فاجأها من المفاجأة * وقال صاحب اللوامح شبيل بن عزرة فاجأها * فقيل هو من المفاجأة بوزن فاعلها فبدلت همزتها بألف تخفيفا على غير قياس ويحتمل أن تكون همزة بين بين غير مقلوبة * وروى عن مجاهد كقراءة حماد عن عاصم * وقرأ ابن كثير في رواية المخاض بكسر الميم يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وتمخض الولد في بطنها والى تتعلق بفأجاءها ومن قرأ فاجأها من المفاجأة فتتعلق بمحذوف أي مستندة أي في حال استنادها الى النخلة والمستفيض المشهور ان ميلاد عيسى عليه السلام كان بيت لحم وأنها لما هربت وخافت عليه أسرعت به وجاءت به الى بيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد وهي الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد أيام توجهت به الى بحر الاردن فعمدته فيه وهو اليوم الذي يتخذه النصارى ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون ان المياه في ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون في كل ماء ومن زعم انها ولدته بمصر قال بكورة اهناس * قيل ونخلة مريم قائمة الى اليوم والظاهر ان النخلة كانت موجودة قبل مجيء مريم اليها * وقيل ان الله أنبت لها نخلة تعلقت بها * وروى أنها بلغت الى موضع كان فيه جذع نخلة يابس بال أصله مدود لا رأس له ولا ثمر ولا خضرة وأل إما للتعريف الجنس أو الداخلة على الأسماء الغالبة كأن تلك الصحراء كان بها جذع نخلة معروف فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره وأرشدها تعالى الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولظهور تلك الآيات منها فتستقر نفسها وتقر عينها فاشتد بها الأمر هنالك واحتضنت

(الدر)

أتوا ناري فقلت منون أنتم
فقالوا الجن قلت عموا صباحا
ومن رأى النقل بالهمزة قياسا قال آتانيه

الجذع لشدة الوجع و ولدت عيسى عليه السلام فقالت عند ولادتها لما رأته من الآلام والتغرب وانكار قومها وصعوبة الحال من غير ما وجه ياليتنى مت قبل هذا وتمنت مريم الموت من جهة الدين اذ خافت أن يظن بها الشر فى دينها وتعير فيغبنها ذلك وهذا مباح وعلى هذا الحد تمنى عمر بن الخطاب وجماعة من الصالحين وأما النهى عن ذلك فانما هو لضر نزل بالبدن وتقدم الخلاف من القراء فى كسر الميم من مت وضمها فى آل عمران والنسى الشئ الحقير الذى من شأنه أن ينسى فلا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر وخرقة الطمث * وقرأ الجمهور بكسر النون وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح وهو ما من شأنه أن يذبح * وقرأ ابن وثاب وطلحة والأعمش وابن أبى ليلى وحمزة وحفص بفتح النون * وقرأ محمد بن كعب القرظى نسأ بكسر النون والهمز مكان الياء وهى قراءة نوف الاعرابى * وقرأ بكر بن حبيب السهمى ومحمد بن كعب أيضا نسأ بفتح النون والهمز وهو مصدر من نسأت اللبن اذا صببت عليه ماء فاستهلك اللبن فيه لقلته فكأنها تمنت أن تكون مثل ذلك اللبن الذى لا يرى ولا يتميز من الماء * وقال ابن عطية * وقرأ بكر بن حبيب نسا بفتح النون والسين من غير همز بناه على فعل كالقبض والنفض * قال الفراء نسى ونسى لغتان كالوتر والوتر والفتح أحب الىّ * وقال أبو على الفارسى الكسر أعلى اللغتين * وقال ابن الانبارى من كسر فهو اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض ومنه فتح فمصدر نائب عن اسم كما يقال رجل دنف ودنف والمكسور هو الوصف الصحيح والمفتوح مصدر يسد مسد الوصف ويمكن أن يكونا لمعنى كالرطل والرطل والاشارة بقوله هذا الى الحمل * وقيل قبل هذا اليوم أو قبل هذا الأمر الذى جرى * وقرأ الاعمش وأبو جعفر فى رواية منسيا بكسر الميم اتباعا لحركة السين كما قالوا امنتن باتباع حركة الميم لحركة التاء * وقيل تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها اذا بهتوها وهى عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قربت من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والا كرام لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام أو لحزنها على الناس أن يأثم الناس بسببها * وروى أنها سمعت نداء أخرج يا من يعبد من دون الله فحزنت وقالت ياليتنى مت * وقال وهب أنساها كرب الولادة وما سمعت من الناس بشارة الملائكة بعيسى * وقرأ زر وعلقمة فخاطبها مكان فناداها وينبغى أن يكون تفسير الاقراءة لانها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه والمنادى الظاهر أنه عيسى أى فولدته فأنطقه الله وناداها أى حالة الوضع * وقيل جبريل وكان فى بقعة من الارض أخفض من البقعة التى كانت عليها وقاله الحسن وأقسم على ذلك * قيل وكان يقبل الولد كالقابلة * وقرأ ابن عباس فناداها ملك من تحتها * وقرأ البراء بن عازب وابن عباس والحسن وزيد بن على والضحاك وعمرو بن ميمون ونافع وحمزة والكسائى وحفص من حرف جر * وقرأ الابنان والأبوان وعاصم وزر ومجاهد والجحدرى والحسن وابن عباس فى رواية عنهما من بفتح الميم بمعنى الذى وتحتها ظرف منصوب صلة لمن وهو عيسى أى ناداها المولود وقاله أبى والحسن وابن جبير ومجاهد وان حرف تفسير أى لا تحزنى والسرى فى قول الجمهور الجدول * وقال الحسن وابن زيد وقتادة عظيما من الرجال له شأن * وروى ان الحسن فسر الآية فقال أجل لقد جعله الله سريا كريما فقال حميد بن عبد الرحمن يا أبا سعيد انما يعنى بالسرى الجدول * فقال الحسن لهذه وأشباهها أحب قربك ولكن غلبنا الأمراء ثم أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى فى احياء موات الجذع

* وقالت فرقة بل كانت النخلة مطعمة رطبا * وقال السدى كان الجذع مقطوعا وأجرى تحته النهر لجنبه والظاهر ان المكلم هو عيسى وان الجذع كان يابسا وعلى هذا ظهرت لها آيات تسكن اليها وحزنها لم يكن لفقد الطعام والشراب حتى تتسلى بالا كل والشرب ولكن لما ظهر فى ذلك من خرق العادة حتى يتبين لقومها انّ ولادتها من غير فحل ليس ببدع من شأنها * قال ابن عباس كان جذعا نخرا فلما هزت اذا السعف قد طلع ثم نظرت الى الطلع يخرج من بين السعف ثم اخضر فصار بلحا ثم احمر فصار زهوا ثم رطبا كل ذلك فى طرفة عين فجعل الرطب يقع من بين يديها لا يتسرح منه شئ والى حرف بلا خلاف و يتعلق بقوله وهزى وهذا جاء على خلاف ما تقرر فى علم النحو من ان الفعل لا يتعدى الى الضمير المتصل وقد رفع الضمير المتصل وليس من باب ظن ولا فقد ولا علم وهما لمدلول واحد لا يقال ضربتك ولا زيد ضربه أى ضرب نفسه ولا ضربنى انما يؤتى فى مثل هذه التراكيب بالنفس فتقول ضربت نفسك وزيد ضرب نفسه وضربت نفسى والضمير المجرور عندهم كالضمير المنصوب فلا تقول هززت اليك ولا زيد هز اليه ولا هززت الى ولهذا زعموا فى قول الشاعر

دع عنك نهبا صيح فى حجراته * ولكن حديثا ما حديث الرواحل

﴿ وفى قول الآخر ﴾

وهوّن عليك فان الأمو * ر بكف الاله مقاديرها

ان عن وعلى ليسا حرفين وانما هما اسمان ظرفان وهذا ليس ببعيد لان عن وعلى قد ثبت كونهما اسمين فى قوله * من عن يمين الحبيا نظرة قبل * وفى قوله

* غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها * وبعض النحويين زعم ان على لا تكون حرفا البتة وانها اسم فى كل موا ردها ونسب الى سيبويه ولا يمكن أن يدعى أن الى تكون اسما لاجماع النحاة على حرفيتها كما قلنا ونظير قوله تعالى وهزى اليك قوله تعالى واضمم اليك جناحك وعلى تقرير تلك القاعدة ينبغى تأويل هذين وتأويله على أن يكون قوله اليك ليس متعلقا بهزى ولا باضمم وانما ذلك على سبيل البيان والتقدير أعنى اليك فهو متعلق بمحذوف كما قالوا فى قوله انى لكما لمن الناصحين وما أشبهه على بعض التأويلات والباء فى بجذع زائدة للتأكيد كقوله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة * قال أبو على كما يقال ألقى بيده أى ألقى يده * وكقوله * سود المحاجر لا يقرأن بالسور * أى لا يقرأن السور * وأنشد الطبرى

فؤاد يمان ينبت السدر صدره * وأسفله بالمرخ والسهان

* وقال الزمخشرى أو على معنى افعلى الهز به * كقوله * يخرج فى عراقيبها نصلى * قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة قاله محمد بن كعب * وقيل ما للنفساء خير من الرطب * وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب * وقرأ الجمهور تساقط بفتح التاء والسين وشدها بعد ألف وفتح القاف * وقرأ الأعمش وطلحة وابن وثاب ومسروق وحمزة كذلك الا انهم خففوا السين * وقرأ حفص تساقط مضارع ساقطت * وقرأ أبو السمال تتساقط بتاءين * وقرأ البراء بن عازب والأعمش فى رواية يساقط بالياء من تحت مضارع اساقط * وقرأ أبو حيوة ومسروق تسقط بالتاء من فوق مضمومة وكسر القاف * وعن

أبي حيوة كذلك الا أنه بالياء من تحت وعنه تسقط بالتاء من فوق مفتوحة وضم القاف وعنه كذلك الا أنه بالياء من تحت وقال بعضهم في قراءة أبي حيوة هذه انه قرأ رطبا جنيا بالرفع على الفاعلية وأما النصب فان قرأ بفعل متعد نصبه على المفعول أو بفعل لازم فنصبه على التمييز ومن قرأ بالياء من تحت فالفعل مسند الى الجذع ومن قرأ بالتاء فسند الى النخلة ويجوز أن يكون مسندا الى الجذع على حد يلتقطه بعض السيارة في قراءة من قرأ يلتقطه بالتاء من فوق وأجاز المبرد في قوله رطبا أن يكون منصوبا بقوله وهزي أي وهزي اليك بجذع النخلة رطبا تساقط عليك فعلى هذا الذي أجازه تكون المسئلة من باب الاعمال فيكون قد حذف معمول تساقط فمن قرأه بالياء من تحت فظاهر ومن قرأ بالتاء من فوق فان كان الفعل متعديا جاز أن يكون من باب الاعمال وان كان لازما فلا لاختلاف متعلق هزي اذ ذاك والفعل اللازم * وقرأ طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم اتباعا لحركة النون والرزق فان كان مفروغا منه فقد وكل ابن آدم الى سعي مافيه ولذلك أمرت مريم بهز الجذع وعلى هذا جاءت الشريعة وليس ذلك بمناف للتوكل * وعن ابن زيد قال عيسى لها لا تحزني فقالت كيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج ولا مملوكة أي شئ عذري عند الناس ياليتني مت قبل هذا الآية فقال لها عيسى أنا أكفيك الكلام فكلي واشربي وقري عينا * قال الزمخشري أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احداهما الأكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا أي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك انتهى ولما كانت العادة تقديم الأكل على الشرب تقدم في الآية ولمجاورة قوله تساقط عليك رطبا جنيا ولما كان المحزون قد يأكل ويشرب قال وقري عينا أي لا تحزني ثم ألقى اليها ماتقول ان رأت أحدا * وقرئ وقري بكسر القاف وهي لغة نجدية وتقدم ذكرها * وقرأ أبو عمرو في ماروى عنه ابن رومي ترئن بالابدال من الياء همزة وروى عنه لترؤن بالهمز أيضا بدل الواو * قال ابن خالويه وهو عند أكثر النحويين لحن * وقال الزمخشري وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال انتهى * وقرأ طلحة وأبو جعفر وشيبة ترين بسكون الياء وفتح النون خفيفة * قال ابن جني وهي شاذة يعني لأنه لم يؤثر الجازم فيحذف النون * كما قال الأفوه الأودي

أما ترى رأسي أزرى به * مأس زمان ذي انتكاس مؤوس

والآمر لها بالأكل والشرب وذلك القول الظاهر انه ولدها * وقيل جبريل على الخلاف الذي سبق والظاهر انه أبيح لها أن تقول ما أمرت بقوله وهو قول الجمهور * وقالت فرقة معنى فقولي أي بالاشارة لا بالكلام والا فكان التناقض ينافي قولها انتهى ولا تناقض لان المعنى فلن أكلم اليوم انسيا بعد قولي هذا وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليه المعنى أي فامارين من البشر أحدا وسألك أو حاورك الكلام فقولي * وقرأ زيد بن علي صياما وفسر صوما بالامساك عن الكلام وفي مصحف عبد الله صمتا * وعن أنس بن مالك مثله * وقال السدي وابن زيد كانت سنة الصيام عندهم الامساك عن الأكل والكلام انتهى والصمت منهي عنه ولا يصح نذره وفي الحديث مره فليتكلم وقد أمر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق وأمرت بنذر الصوم لان عيسى بما يظهر الله عليه يكفيها أمر الاحتجاج ومجادلة السفهاء وقوله انسيا لأنها كانت تكلم الملائكة

﴿فأتت به قومها﴾ الآية تحمله جملة حالية أى حاملة له * والفرى العظيم الشنيع ﴿ياأخت هرون﴾ * الآية الظاهر أنه أخوها
الأقرب وكانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم نعوا عليها ماجاءت به وأن أبويها كانا صالحين فكيف صدر منك هذه
الفعلة القبيحة وفي هذا دليل على أن الفروع غالبا تكون زاكية اذا زكت الأصول وينكر عليها اذا جاءت بضد ذلك ﴿ما كان
أبوك امرأ سوء﴾ لما اتهموها بما اتهموها نفوا عن أبويها السوء ونفوا عن أمها البغاء وهو الزنا وروى انها لما دخلت به على قومها وهم
أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها ﴿فأشارت اليه﴾ ألف أشارت
منقلبة عن ياء وقال يزيد بن حاتم المهلبي هي منقلبة عن واو من الشورى ونازعه أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل
ابن ثوبان الرعيني قاضي افريقية وتحاكما الى قتيبة الميال وكان يزيد قد جلبه من الكوفة الى المغرب فقال له ابن غانم كيف تبني من
الاشارة تفاعلنا فقال تشايرنا فقال له يزيد ما الدليل على هذا فقال قول كثير وقلت وفي الاحشاء داء مخامر

الاحبذا يا عز ذاك التشاير
وقوله تعالى فاشارت اليه أى هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا وروى انهم لما أشارت الى الطفل قالوا استخفافها بنا أشد علينا من زناها ثم قالوا لها على جهة الانكار والتهكم بها ﴿كيف نكلم﴾ أى ﴿من كان في المهد﴾ يربى لا يكلم وانما أشارت اليه لما تقدم لها من وعده أنه يجيبهم عنها ويغنيها عن الكلام وقيل بوحي من الله اليها

وكان قيل انها تامة وقيل زائدة وينتصب ﴿صبيا﴾ على الحال في هذين القولين والظاهر أنها ناقصة فتكون بمعنى
صار أو تبقى على مدلولها من اقتران مدلول الجملة بالزمان الماضي ولا يدل ذلك على الانقطاع كما لم يدل في قوله وكان الله غفورا
رحيما ﴿قال اني عبد الله﴾ أنطقه الله أولا بقوله اني عبد الله ردا للوهم الذي ذهبت اليه النصارى وفي قوله عبد الله والجمل التي بعده
تنبيه على براءة أمه مما اتهمت به لأنه تعالى لم يخص بولد موصوف بالنبوة والخلال الحميدة الا مبرأة مصطفاة * والكتاب الانجيل
أو التوراة او مجموعهما ﴿وجعلني نبيا﴾ أنه تعالى نبأه حال طفوليته أكمل الله تعالى عقله واستنبأه طفلا وقيل ان ذلك سبق
في قضائه وسابق حكمته ﴿وجعلني مباركا﴾ أى نفاعا ﴿أينما كنت﴾ شرط وجزاؤه محذوف تقديره جعلني مباركا وحذف
لدلالة ماتقدم عليه * وما في أينما زائدة وفي مادمت مصدرية ظرفية أى مدة دوام حياتي والظاهر حمل الصلاة والزكاة على ماشرع
في شرعهم في البدن والمال * والجبار المتعاظم وكان صلى الله عليه وسلم في غاية التواضع يأكل الشجر ويلبس الشعر
ويجلس على التراب وينام حيث جنه الليل لا مسكن له وكان يقول سلوني فاني لين القلب صغير في نفسي والالف واللام
في والسلام للجنس

دون الانس * ﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا ياأخت هارون ما كان
أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال
اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة
مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم
أبعث حيا﴾ فأتت به قيل اتيانها كان من ذاتها * قيل طهرت من النفاس بعد أربعين يوما وكان
الله تعالى قد أراها آيات واضحات وكلمها عيسى ابنها وحنت الى الوطن وعلمت ان عيسى سيكفيها
من يكلمها فعادت الى قومها * وقيل أرسلوا اليها لتحضري الينا بولدك وكان الشيطان قد أخبر
قومها بولادتها وفي الكلام حذف أى فلما رأوها وابنها قالوا * قال مجاهد والسدي الفرى العظيم
الشنيع * وقرأ أبو حيوة فيما نقل ابن عطية فريا بسكون الراء وفيما نقل ابن خالويه فرئا بالهمز
وهارون شقيقها أو أخوها من أمها وكان من أمثل بني اسرائيل أو هارون أخو موسى اذ كانت من
نسله أو رجل صالح من بني اسرائيل شبهت به أو رجل من النساء وشبهوها به أقوال والأولى انه
أخوها الأقرب * وفي حديث المغيرة حين خصمه نصارى نجران في قوله تعالى ياأخت هارون
والمدة بينهما طويلة جدا فقال له الرسول ألا أخبرتهم انهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم
وأنكروا عليها ماجاءت به وان أبويها كانا صالحين فكيف صدرت منك هذه الفعلة القبيحة وفي
هذا دليل على أن الفروع غالبا تكون زاكية اذا زكت الأصول وينكر عليها اذا جاءت بضد ذلك
* وقرأ عمر بن لجا التيمي الشاعر الذي كان يهاجي جريرا ما كان أبوك امرأ سوء لجعل الخبر

المعرفة والاسم النكرة وحسن ذلك قليلا كونها فيها مسوغ جواز الابتداء وهو الاضافة ولما اتهموها بما اتهموها نفوا عن أبويها السوء لمناسبة الولادة ولم ينصوا على اثبات الصلاح وان كان نفي السوء يوجب الصلاح ونفي البغاء يوجب العفة لأنهما بالنسبة اليهما نقيضان * روي انها لما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك * وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فأشارت اليه أي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه * وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا * وروي انهم لما أشاروا الى الطفل قالوا استخفافها بنا أشد علينا من زناها ثم قالوا لها على جهة الانكار والتهكم بها أي ان من كان في المهد يربى لا يكلم وانما أشارت اليه لما تقدم لها من وعده انه يجيبهم عنها ويغنيها عن الكلام * وقيل بوحي من الله اليها * وكان قال أبو عبيدة زائدة * وقيل تامة وينتصب صبيا على الحال في هذين القولين والظاهر انها ناقصة فتكون بمعنى صار أو تبقى على مدلولها من اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي ولا يدل ذلك على الانقطاع كما لم يدل في قوله وكان الله غفورا رحيما وفي قوله ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة والمعنى كان وهو الآن على ما كان ولذلك عبر بعض أصحابنا عن كان هذه بانها ترادف لم يزل وما رد به ابن الانباري كونها زائدة من ان الزائدة لا خبر لها وهذه قد نصبت صبيا خبرا لها ليس بشيء لانه اذ ذاك ينتصب على الحال والعامل فيها الاستقرار * وقال الزمخشري كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر أن يكون نكلم حكاية حال ماضية أي كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا في المهد صبيا فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انتهى والظاهر ان من مفعول بنكلم * ونقل عن الفراء والزجاج ان من شرطية وكان في معنى يكن وجواب الشرط محذوف تقديره فكيف نكلم وهو قول بعيد جدا * وعن قتادة ان المهد حجر أمه * وقيل سريره * وقيل المكان الذي يستقر عليه * وروي انه قام متكئا على يساره وأشار اليهم بسبابته اليمنى وأنطقه الله تعالى أولا بقوله اني عبد الله آتاني الكتاب ردا للوهم الذي ذهبت اليه النصارى وفي قوله عبد الله والجمل التي بعده تنبيه على براءة أمه مما اتهمت به لانه تعالى لا يخص بولد موصوف بالنبوة والخلال الحميدة الامرأة مصطفاة والكتاب الانجيل أو التوراة أو مجموعهما أقوال وظاهر قوله وجعلني نبيا انه تعالى نبأه حال طفوليته أكمل الله عقله واستنبأه طفلا * وقيل ان ذلك سبق في قضائه وسابق حكمه ويحتمل أن يجعل الآتي لتحققه كأنه قد وجد وجعلني مباركا * قال مجاهد نفاعا * وقال سفيان معلم خير * وقيل آمرا بمعروف ناهيا عن منكر * وعن الضحاك قضاء للحوائج وأينما كنت شرط وجزاؤه محذوف تقديره جعلني مباركا وحذف لدلالة ما تقدم عليه ولا يجوز أن يكون معمولا لجعلني السابق لان أين لا يكون الا استفهاما أو شرطا لا جائز أن يكون هنا استفهاما فتعينت الشرطية واسم الشرط لا ينصبه فعل قبله انما هو معمول للفعل الذي يليه والظاهر حمل الصلاة والزكاة على ما شرع في البدن والمال * وقيل الزكاة زكاة الرؤس في الفطر * وقيل الصلاة الدعاء والزكاة التطهر وما في مادمت مصدرية ظرفية * وقال ابن عطية * وقرأ دمت بضم الدال عاصم وجماعة * وقرأ دمت بكسر الدال أهل المدينة وابن كثير وأبو عمرو انتهى والذي في كتب القراآت أن القراء السبعة قرؤا دمت حيا بضم الدال وقد طالعنا جملة من الشواذ فلم نجدها الا في شواذ السبعة ولا في شواذ غيرهم على انها لغة تقول دمت تدام كما قالوا مت تمات وسبق انه قرئ وبرا بكسر الباء فاما على حذف مضاف أي وذا بر واما على المبالغة جعل

(الدر)

(ع) وقرأ دمت بضم الدال عاصم وجماعة وقرأ دمت بكسر الدال أهل المدينة وابن كثير وأبو عمرو (ح) الذي في كتب القراآت أن القراء السبعة قرؤا مادمت حيا بضم الدال وقد طالعنا جملة من الشواذ فلم نجدها في شواذ السبعة ولا في شواذ غيرهم على انها لغة تقول دمت تدام كما قالوا مت تمات انتهى قال جامعه حكاها ابن غلبون في كتاب تصرف الخاصة في القراآت الشاذة عن يحيى بن وثاب وطلحة ونص على انها بكسر الدال فاعلمه

﴿ذلك عيسى بن مريم﴾ الآية الاشارة بذلك الى المولود الذى ولدته مريم المتصف بتلك الأوصاف الجيلة وذلك مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم صفة لعيسى أو خبر بعد خبر أو بدل والمقصود ثبوت بنوته من مريم خاصة من غير أب وليس بابن الله كما تزعم النصارى ولا لغير رشدة كما تزعم اليهود وانتصاب قول على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة أى هذا الاخبار عن عيسى بن مريم ثابت صدق ليس منسوبا لغيرها أى أنها ولدته من غير مس بشر كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل أى أقول الحق وأقول قول الحق فيكون الحق هنا الصدق وقرىء قول برفع اللام وارتفاعه على أنه خبر مبتدإ محذوف أى هو أى نسبته الى أمه خاصة فقط الحق قال الزمخشرى وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل انتهى هذا الذى ذكره لا يكون الا على المجاز فى قول وهو أن يراد به كلمة الله لان اللفظ لا يكون الذات وقرىء يمترون بياء الغيبة وبتاء الخطاب وامترى افتعل امامن المرية وهى الشك أو من المراء وهو المجادلة والملاحاة وكلاهما مقول هنا قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وهو الله ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ من زائدة فى سياق النفى والنفى لم يتسلط على كان واذا انتفى الكون انتفى متعلقه وهو الاتخاذ فكان حرف النفى باشر يتخذ ومن ولد فى موضع المفعول والنفى هنا دل على التنزيه ولذلك أعقب هذا النفى بقوله سبحانه أى تنزه عن الولد اذ هو مما لا يتأتى ولا يتصور فى المعقول ولا يتعلق به القدرة لاستحالته اذ هو تعالى متى تعلقت ارادته بايجاد شئ أوجده فهو منزه عن التوالد وقال بعض شعراء العرب

ألا رب مولود وليس له أب
وذى ولد لم يلده أبوان

عنى بالاول عيسى وبالثانى آدم وتقدم الكلام على الجملة من قوله اذا قضى أمرا وقرىء وإن بكسر الهمزة وقرىء بفتحها التقدير وكان الله ربى وربكم فاعبدوه والاشارة بقوله هذا أى القول بالتوحيد ونفى الولد والصاحبة والصراط هو الطريق المستقيم الذى يفضى بقائله ومعتقده الى النجاة ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم﴾ هذا اخبار من الله تعالى لرسوله بتفرق بنى اسرائيل فرقا ومعنى من بينهم أن الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين لم يقع الاختلاف بسببه من غيرهم * والاحزاب قال الكلبى اليهود والنصارى وقال قتادة ان بنى اسرائيل جمعوا أربعة من أحبارهم فقال أحدهم عيسى هو الله نزل الى الارض وأحيا من أحيا وأمات من أمات فكذبه الثلاثة واتبعه اليعقوبية ثم قال أحد الثلاثة عيسى هو ابن الله فكذبه الاثنان واتبعه النسطورية وقال أحد الاثنين عيسى أحد ثلاثة الله اله ومريم إله وعيسى إله فكذبه الرابع واتبعه الاسرائيلية وقال الرابع عيسى عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فاتبعه فريق من بنى اسرائيل ثم اقتتل الاربعة فغلب المؤمنون وقتلوا وظهر اليعقوبية على الجميع والاربعة يعقوب ونسطور وملكا واسرائيل ومشهد مفعل من الشهود وهو الحضور أو من الشهادة ويكون مصدرا أو مكانا أو زمانا من الشهود يجوز أن يكون المعنى من شهود هول

ذاته من فرط بره ويجوز أن يضمر فعل فى معنى أوصانى وهو كافنى لان أوصانى بالصلاة وكلفنيها واحد ومن قرأ وبرا بفتح الباء * فقال الحوفى وأبو البقاء انه معطوف على مباركا وفيه بعد للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالجملة التى هى أوصانى ومتعلقها والأولى اضمار فعل أى وجعلنى برا * وحكى الزهراوى وأبو البقاء انه قرىء وبر بكسر الباء والراء عطفا على بالصلاة والزكاة وقوله بوالدتى بيان محل البر وانه لا والد له وبهذا القول برأها قومها والجبار كما تقدم المتعاظم وكان فى غاية التواضع يأكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على التراب حيث جنه الليل لا مسكن له وكان يقول سلونى فانى لين القلب صغير فى نفسى والألف واللام فى والسلام للجنس * قال الزمخشرى هذا التعريف تعريض بلعنة متهمى مريم وأعدائهما من اليهود وحقيقته ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام على خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره والسلام على من اتبع الهدى يعنى ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض * وقيل أل لتعريف المنكر فى قصة يحيى فى قوله وسلام نحو كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول أى وذلك السلام الموجه الى يحيى فى المواطن الثلاثة موجه الى وسبق القول فى تخصيص هذه المواطن * وقرأ زيد بن على يوم ولدت أى يوم ولدتنى جعله ماضيا الحقته تاء التأنيث ورجح وسلام على والسلام لكونه من الله وهذا من قول عيسى عليه السلام * وقيل سلام عيسى أرجح لانه تعالى أقامه فى ذلك مقام نفسه فسلم نائبا عن الله ﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم

الحساب والجزاء في يوم القيامة وأن يكون من مكان الشهود فيه وهو الموقف وأن يكون من وقت الشهود ومن الشهادة ويجوز أن يكون المعنى من شهادة ذلك اليوم وأن يشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وأن يكون من مكان الشهادة أو أن يكون من وقت الشهادة واليوم العظيم على هذه الاحتمالات هو يوم القيامة ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ صيغة تعجب وحذف من الثاني بهم لدلالة الاول عليه وتقديره ما أسمعهم وما أبصرهم وتقدم الكلام في التعجب من الله تعالى وفي قوله فما أصبرهم على النار ﴿يوم يأتوننا﴾ هو يوم القيامة ﴿لكن الظالمون﴾ عموم يندرج فيه هؤلاء الاحزاب الكفار وغيرهم من الظالمين واليوم أي في دار الدنيا ويوم الحسرة اسم جنس لأن بعده حسرات كثيرة في مواطن عدة منها يوم الموت ومنها أخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك و﴿قضى الأمر﴾ أي أمر يوم القيامة ﴿وهم في غفلة﴾ جملة حالية والعامل فيها قوله وانذرهم لعلهم ينتفعون بالانذار ويفكرون في يوم الحسرة ﴿انا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ هو عبارة عن فناء المخلوقات وبقاء الخالق وكأنها وارثة

عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون ﴾ الاشارة بذلك الى المولود الذي ولدته مريم المتصف بتلك الأوصاف الجميلة وذلك مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم صفة لعيسى أو خبر بعد خبر أو بدل والمقصود ثبوت بنوته من مريم خاصة من غير أب فليس بابن له كما يزعم النصارى ولا لغير رشدة كما يزعم اليهود * وقرأ زيد بن علي وابن عامر وعاصم وحمزة وابن أبي اسحاق والحسن ويعقوب قول الحق بنصب اللام وانتصابه على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي هذه الاخبار عن عيسى أنه ابن مريم ثابت صدق ليس منسوبا لغيرها أي انها ولدته من غير مس بشر كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل أي أقول الحق وأقول قول الحق فيكون الحق هنا الصدق وهو من اضافة الموصوف الى صفته أي القول الحق كما قال وعد الصدق أي الوعد الصدق وان عنى به الله تعالى كان القول مرادا به الكلمة كما قالوا كلمة الله كان انتصابه على المدح وعلى هذا تكون الذي صفة للقول وعلى الوجه الأول تكون الذي صفة للحق * وقرأ الجمهور قول برفع اللام * وقرأ ابن مسعود والأعمش قال بألف ورفع اللام * وقرأ الحسن قول بضم القاف ورفع اللام وهي مصادر كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو أي نسبته الى أمه فقط قول الحق فتتفق اذ ذاك قراءة النصب وقراءة الرفع في المعنى * وقال الزمخشري وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل انتهى وهذا الذي ذكر لا يكون الا على المجاز في قول وهو أن يراد به كلمة الله لأن اللفظ لا يكون الذات * وقرأ طلحة والاعمش في رواية زائدة قال بألف جعله فعلا ماضيا الحق برفع القاف على الفاعلية والمعنى قال الحق وهو الله ذلك الناطق الموصوف بتلك الاوصاف هو عيسى ابن مريم والذي على هذا خبر مبتدأ محذوف أي هو الذي * وقرأ علي كرم الله وجهه والسلمي وداود بن أبي هند ونافع في رواية والكسائي في رواية تمترون بتاء الخطاب والجمهور بياء الغيبة وامترى افتعل امامن المرية وهي الشك وامامن المراء وهو المجادلة والملاحاة وكلاهما مقول هنا قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وهو الله ما كان لله أن يتخذ من ولد هذا تكذيب للنصارى في دعواهم انه ابن الله واذا استحالت البنوة فاستحالة الالهية مستقلة أو بالتثليث أبلغ في الاستحالة وهذا التركيب معناه الانتفاء فتارة يدل من جهة المعنى على الزجر ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله وتارة على التعجيز ما كان لكم أن تنبتوا شجرها وتارة على التنزيه كهذه الآية ولذلك أعقب هذا النفي بقوله سبحانه أي تنزه عن الولد اذ هو مما لا يتأتى ولا يتصور في المعقول ولا تتعلق به القدرة لاستحالته اذ هو تعالى متى تعلقت ارادته بايجاد شيء أوجده فهو منزه عن التوالد وتقدم الكلام على الجملة من قوله اذا قضى أمرا * وقرأ الجمهور وإن الله بكسر الهمزة على الاستئناف * وقرأ أبي بالكسر دون واو * وقرأ الحرميان وأبو عمرو وان بالواو وفتح الهمزة وخرجه ابن عطية على أن يكون معطوفا على

(ش) وارتفاعه أي قول الحق على انه خبر بعد خبر أو بدل انتهى (ح) هذا الذي ذكره لا يكون الا على المجاز في قول وهو أن يراد به كلمة الله لان اللفظ لا يكون الذات

قوله هذا قول الحق وأن الله ربى كذلك وخرجه الزمخشرى على أن معناه ولأنه ربى وربكم فاعبدوه كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا انتهى وهذا قول الخليل وسيبويه وفى حرف أبى أيضا و بأن الله بالواو و باء الجر أى بسبب ذلك فاعبدوه وأجاز الفراء فى وان أن يكون فى موضع خفض معطوفا على والزكاة أى وأوصانى بالصلاة والزكاة و بأن الله ربى وربكم انتهى وهذا فى غاية البعد للفصل الكثير وأجاز الكسائى أن يكون فى موضع رفع بمعنى الامر ان الله ربى وربكم * وحكى أبو عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء أن يكون المعنى وقضى ان الله ربى وربكم فهى معطوفة على قوله أمرا من قوله اذا قضى أمرا والمعنى اذا قضى أمرا وقضى ان الله انتهى وهذا تخبيط فى الاعراب لأنه اذا كان معطوفا على أمرا كان فى حيز الشرط وكونه تعالى ربنا لا يتقيد بالشرط وهذا يبعد أن يكون قاله أبو عمرو بن العلاء فانه من الجلالة فى علم النحو بالمكان الذى قل أن يوازنه أحد مع كونه عربيا ولعل ذلك من فهم أبى عبيدة فانه يضعف فى النحو والخطاب فى قول وربكم قيل لمعاصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى أمر الله تعالى أن يقول لهم ذلك عيسى ابن مريم أى قل لهم يا محمد هذا الكلام * وقيل الخطاب للذين خاطبهم عيسى بقوله انى عبد الله الآية وان الله معطوف على الكتاب وقد قال وهب عهد عيسى اليهم ان الله ربى وربكم ومن كسر الهمزة عطف على قوله انى عبد الله فيكون محكيا بقال وعلى هذا القول يكون قوله ذلك عيسى ابن مريم الى وان الله جمل اعتراض أخبر الله تعالى بها رسوله عليه السلام والاشارة بقوله هذا أى القول بالتوحيد ونفى الولد والصاحبة هو الطريق المستقيم الذى يفضى بقائله ومعتقده الى النجاة فاختلف الاحزاب من بينهم هذا اخبار من الله للرسول بتفرق بنى اسرائيل فرقا ومعنى من بينهم ان الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين لم يقع الاختلاف بسبب غيرهم * والاحزاب قال الكلبى اليهود والنصارى * وقال الحسن الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس انتهى فالضمير فى بينهم على هذا ليس عائدا على الاحزاب * وقيل الاحزاب هنا المسلمون واليهود والنصارى * وقيل هم النصارى فقط * وعن قتادة ان بنى اسرائيل جمعوا أربعة من أحبارهم *فقال أحدهم عيسى هو الله نزل الى الارض وأحيا من أحيا وأمات من أمات فكذبه الثلاثة واتبعته اليعقوبية ثم قال أحد الثلاثة عيسى ابن الله فكذبه الاثنان واتبعته النسطورية وقال أحد الاثنين عيسى أحد ثلاثة الله اله ومريم اله وعيسى اله فكذبه الرابع واتبعته الاسرائيلية * وقال الرابع عيسى عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فاتبعته فرقة من بنى اسرائيل ثم اقتتل الأربعة فغلب المؤمنون وظهرت اليعقوبية على الجميع فروى ان فى ذلك نزلت ان الذين يكفرون بآيات الله آية آل عمران والاربعة يعقوب ونسطور وملكا واسرائيل و بين هنا أصله ظرف استعمل اسما بدخول من عليه * وقيل من زائدة *وقيل البين هنا البعد أى اختلفوا فيه لبعدهم عن الحق ومشهد مفعل من الشهود وهو الحضور أومن الشهادة و يكون مصدرا أو مكانا أو زمانا فمن الشهود يجوز أن يكون المعنى من شهود هول الحساب والجزاء فى يوم القيامة وأن يكون من مكان الشهود فيه وهو الموقف وأن يكون من وقت الشهود ومن الشهادة يجوز أن يكون المعنى من شهادة ذلك اليوم وأن تشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وأن يكون من مكان الشهادة وأن يكون من وقت الشهادة واليوم العظيم على هذه الاحتمالات يوم القيامة * وعن قتادة هو يوم قتل المؤمنين حين اختلف

﴿واذكر في الكتاب ابراهيم﴾ الآية واذكر خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أتل عليهم نبأ ابراهيم وذاكره ومورده في التنزيل هو الله تعالى *ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى واختلاف الاحزاب فيهما وعبادتهما من دون الله وكانا من قبيل من قامت بهما الحياة ذكر الفريق الضال الذي عبد الجماد والفريقان وان اشتركا في الضلال فالفريق العابد الجماد أضل ثم ذكر قصة ابراهيم عليه السلام مع أبيه تذكيرا للعرب بما كان أبوهم عليه من توحيد الله وتبيين أنهم سلكوا غير طريقه وفيه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به وأن ذلك متلقى بالوحي والصديق من أبنية المبالغة وهو مبني من الثلاثي للمبالغة أي كثير الصدق والصدق عرفه في اللسان ويقابله الكذب وقد يستعمل في الافعال والخلق وفيما لا يعقل *قال الزمخشري هذه الجملة يعني قوله انه كان صديقا نبيا وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعني ابراهيم واذ قال نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لمقام الصديقين والانبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات انتهى التخريج الاول يقتضي تصرف اذ وقد تقدم لنا أنها لا تتصرف والتخريج الثاني مبني على أن كان الناقصة واخواتها تعمل في الظروف وهي مسئلة خلاف والتخريج الثالث لا يصح لأن العمل لا تنسب الا الى لفظ واحد اما أن ينسب الى مركب من مجموع لفظين فلا ولا جائز أن يكون اذ معمولا لصديقا لأنه قد نعت الا على رأي الكوفيين ويحتمل أن يكون معمولا لنبيا أي منبأ في وقت قوله لأبيه ما قال وأن التنبئة كانت في ذلك الوقت وهو بعيد وتقدم الكلام على يا أبت في سورة يوسف واستفهم ابراهيم عن السبب الحامل لابيه على عبادة الاصنام وهو منتف عنه السمع والبصر والاغناء عنه شيأ تنبيها على شنعة الرأي وقبحه وفساده في عبادة من انتفت عنه هذه الاوصاف ورتب ابراهيم عليه السلام الكلام مع أبيه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع

الاحزاب وقيل ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه يوم اختلافهم وتقدم الكلام على التعجب الوارد من الله في قوله تعالى فما أصبرهم على النار وأنه لا يوصف بالتعجب *قال الحسن وقتادة لئن كانوا صما وبكما عن الحق فما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة ولكنهم يسمعون ويبصرون حيث لا ينفعهم السمع ولا البصر * وعن ابن عباس انهم أسمع شئ وأبصره * وقال علي بن عيسى هو وعيد وتهديد أي سوف يسمعون ما يخلع قلوبهم ويبصرون ما يسود وجوههم *وعن أبي العالية انه أمر حقيقة للرسول أي أسمع الناس اليوم وأبصرهم بهم وبحديثهم ماذا يصنع بهم من العذاب اذا أتوا محشورين مغلولين لكن الظالمون عموم يندرج فيه هؤلاء الأحزاب الكفار وغيرهم من الظالمين واليوم أي في دار الدنيا *وقال الزمخشري أوقع الظاهر أعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع انتهى وأنذرهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والضمير لجميع الناس * وقيل يعود على الظالمين ويوم الحسرة يوم ذبح الموت وفيه حديث * وعن ابن زيد يوم القيامة *وقيل حين يصدر الفريقان الى الجنة والنار وعن ابن مسعود حين يرى الكفار مقاعدهم التي فاتتهم من الجنة لو كانوا مؤمنين * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون يوم الحسرة اسم جنس لأن هذه حسرات كثيرة في مواطن عدة ومنها يوم الموت ومنها وقت أخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك انتهى واذ بدل من يوم الحسرة* قال السدي وابن جريج قضي الأمر ذبح الموت * وقال مقاتل قضي العذاب * وقال ابن الانباري المعنى اذ قضي الامر الذي فيه هلاككم * وقال القفال يكون ذلك اذا برزت جهنم ورمت بالشرر *وعن ابن جريج أيضا اذا فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار * وقيل اذا قال اخسؤا فيها ولا تكلمون * وقيل اذا يقال امتازوا اليوم أيها المجرمون * وقيل اذ قضي سد باب التوبة وذلك حين تطلع الشمس من مغربها * وهم في غفلة * قال الزمخشري متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وأنذرهم اعتراض وهو متعلق بأنذرهم أي وأنذرهم على هذا الحال غافلين غير مؤمنين * وقال ابن عطية وهم في غفلة يريد في الدنيا الآن وهم لا يؤمنون كذلك انتهى وعلى هذا يكون حالا والعامل فيه وأنذرهم والمعنى انهم مشتغلون بأمور دنياهم معرضون عما يراد منهم والظاهر أن يكون المراد بقوله وقضي الأمر أمر يوم القيامة انا نحن نرث الارض ومن عليها تجوز وعبارة عن فناء المخلوقات وبقاء الخالق فكأنها وراثة * وقرأ الجمهور يرجعون بالياء من تحت مبنيا للمفعول والاعرج بالتاء من فوق * وقرأ السلمي وابن أبي اسحاق وعيسى بالياء من تحت مبنيا للفاعل وحكى عنهم انه بالتاء ﴿واذكر في الكتاب ابراهيم﴾

أستعمال المجاملة والتلطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا فى ذلك نصيحة ربه عز وجل ولما سأله عن العلة فى عبادة الصنم ولا يمكن أن يجد جوابا انتقل معه الى اخباره بانه قد جاءه من العلم مالم يأته ولم يصف أباه بالجهل اذ يغنى عنه السؤال السابق وقال من العلم على سبيل التبعيض أى شئ من العلم ليس معك وهذه المحاورة تدل على أن ذلك كان بعد ما نبئ اذ فى لفظ جاءنى تجدد العلم والذى جاءه الوحى الذى يأتى به الملك أو العلم بامور الآخرة وثوابها وعقابها وتوحيد الله وافراده بالعبادة والالوهية فاتبعنى على توحيد الله بالعبادة وارفض الاصنام ﴿ أهدك صراطا سويا ﴾ وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان ﴾ انتقل من أمره باتباعه الى نهيه عن عبادة الشيطان وعبادته كونه يطيعه فى عبادة الاصنام ثم نفره عن عبادة الشيطان بانه كان عصيا للرحمن حيث استعصى حين أمره بالسجود لآدم صلى الله عليه وسلم فأبى فهو عدوك ولابيك آدم من قبل وكان لفظ الرحمن هنا تنبيها على سعة رحمته وأن من هذا وصفه هو الذى ينبغى أن يعبد ولا يعصى واعلاما بشقاوة الشيطان حيث عصى من هذه صفته وارتكب من ذلك ماطرده عن هذه الرحمة ﴿ يا أبت انى أخاف أن يمسك ﴾ الآية الاولى حمل أخاف على موضوعه الأصلى لأنه لم يكن آيسا من ايمانه بل كان راجيا له وخائفا أن لا يؤمن وأن يتمادى على الكفر فيمسه العذاب وخوفه ابراهيم سوء العاقبة وتادب معه اذ لم يصرح بلحوق العذاب به بل أخرج ذلك مخرج الخائف وأتى بلفظ هو ألطف من المعاقبة ونكر العذاب ورتب على مس العذاب بقوله إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ماهو أكبر منه وهو ولاية الشيطان ﴿ قال أراغب أنت عن آلهتى ﴾ قال أى أبوه استفهم استفهام انكار والرغبة عن الشئ تركه عمدا وآلهته أصنامه وأغلظ له فى الانكار وناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيابنى * قال الزمخشرى وقدم الخبر على المبتدأ فى قوله أراغب أنت عن آلهتى لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ماينبغى أن يرغب عنها أحد

انه كان صديقا نبيا اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يا أبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء

وفى هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه انتهى والمختار فى اعراب أراغب أنت أن يكون راغب مبتدأ لانه قد اعتمد على أداة الاستفهام وأنت فاعل سدت مسد الخبر ويترجح هذا الاعراب على ماأعرب به الزمخشرى من كون أراغب خبر وأنت مبتدأ بوجهين أحدهما أن لا يكون فيه تقديم ولا تأخير إذ رتبة الخبر أن يتأخر عن المبتدأ والثانى أن لا يكون فصل بين العامل الذى هو أراغب وبين معموله الذى هو عن آلهتى بما ليس بمعمول للعامل لأن الخبر ليس هو عاملا فى المبتدأ بخلاف كون أنت فاعلا فانه معمول لراغب فلم يفصل بين أراغب وبين عن آلهتى بأجنبى انما فصل بمعمول له ولما أنكر عليه رغبته عن آلهته توعده مقسما على انفاذ ماتوعده به إن لم ينته ومتعلق تنته محذوف واحتمل أن يكون عن مخاطبتى بما خاطبتنى به ودعوتنى إليه وأن تكون لئن لم تنته عن الرغبة عن آلهتى ﴿ لأرجمنك ﴾ جواب لقسم محذوف وظاهره الرجم بالحجارة * قال الزمخشرى فان قلت علام عطف واهجرنى قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أى فاحذرنى واهجرنى لأن لأرجمنك تهديد وتقريع انتهى وانما احتاج الى حذف ليناسب بين جملتى العطف والمعطوف عليه وليس ذلك بلازم عند سيبويه بل يجوز عطف الجملة الخبرية على الجملة الانشائية فقوله واهجرنى معطوف على قوله لئن لم تنته لارجمنك وكلاهما معمول للقول وانتصب مليا على الظرف أى دهرا طويلا ومنه الملوان وهما الليل والنهار ﴿ قال سلام عليك ﴾ قرأ أبو البرهثم سلاما بالنصب ورفع سلام على الابتداء ونصبه على المصدر أى سلمت سلاما دعاء له بالسلامة على سبيل الاستمالة ثم وعده بالاستغفار وذلك يكون بشرط حصول ما يمكن معه الاستغفار وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة ﴿ انه كان بى حفيا ﴾ أى معتنيا بى متعلق به ولما كان فى قوله لأرجمنك فظاظة وقساوة قلب قابله بالدعاء له بالسلامة والأمن ووعده بالاستغفار قضاء لحق الابوة ولما أمره بهجره الزمان الطويل أخبره بانه يمتثل أمره ويعتزله وقومه ومعبوداتهم فهاجر الى الشام وقيل الى حران وكانوا بأرض كوثا ولسان الصدق الثناء الحسن الباقى عليهم آخر الأبد قاله ابن عباس

ربى شقيا فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق و يعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾ واذكر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد اتل عليهم نبأ ابراهيم وذاكره ومورده فى التنزيل بل هو الله تعالى ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى واختلاف الاحزاب فيهما وعبادتهما من دون الله وكانا من قبيل من قامت بهما الحياة ذكر الفريق الضال الذى عبد جمادا والفريقان وان اشتركا فى الضلال والفريق العابد الجماد أضل ثم ذكر قصة ابراهيم مع أبيه عليه السلام تذكيرا للعرب بما كان ابراهيم عليه من توحيد الله وتبيين انهم سالكو غير طريقه وفيه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به وان ذلك متلقى بالوحى والصديق من أبنية المبالغة وهو مبنى من الثلاثى للمبالغة أى كثير الصدق والصدق عرفه فى اللسان و يقابله الكذب وقد يستعمل فى الأفعال والخلق وفيما لا يعقل يقال صدقنى الطعام كذا وكذا قفيزا وعود صدق للصلب الجيد فوصف ابراهيم بالصدق على العموم فى أقواله وأفعاله والصديقية مراتب ألا ترى الى وصف المؤمنين بها فى قوله من النبيين والصديقين ومن غريب النقل ماذهب اليه بعض النحويين من ان فعيلا اذا كان من متعد جاز أن يعمل فتقول هذا شريب مسكر كما أعملوا عند البصريين فعولا وفعالا ومفعالا * وقال الزمخشرى والمراد فرط صدقه وكثرة ماصدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة فى هذا التصديق للكتب والرسل أى كان مصدقا لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبيا فى نفسه لقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين وكان بليغا فى الصدق لان ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق الله بآياته ومعجزاته حرى أن يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه و بدله أعنى ابراهيم واذ قال نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك و يجوز أن تتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أى كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات انتهى * فالتخريج الأول يقتضى تصرف اذ وقد تقدم لنا أنها لا تتصرف والتخريج الثانى مبنى على ان كان الناقصة وأخواتها تعمل فى الظروف وهى مسألة خلاف * والتخريج الثالث لايصح لان العمل لا ينسب الا الى لفظ واحد أما أن ينسب الى مركب من مجموع لفظين فلا وجائز أن يكون معمولا لصديقا لانه نعت الا على رأى الكوفيين و يحتمل أن يكون معمولا لنبيا أى منبأ فى وقت قوله لأبيه ماقال وان التنبئة كانت فى ذلك الوقت وهو بعيد * وقرأ أبو البرهسم انه كان صادقا وفى قوله ياأبت تلطف واستدعاء بالنسب * وقرأ ابن عامر والاعرج وأبو جعفر يا أبت بفتح التاء وقد لحن هارون هذه القراءة وتقدم الكلام على يا أبت فى سورة يوسف عليه السلام وفى مصحف عبد الله وا أبت بواو بدل ياء واستفهم ابراهيم عليه السلام عن السبب الحامل لابيه على عبادة الصنم وهو منتف عنه السمع والبصر والاغناء عنه شيئا تنبيها على شنعة الرأى وقبحه وفساده فى عبادة من انتفت عنه هذه الاوصاف * وخطب الزمخشرى فقال انظر حين أراد أن ينصح أباه و يعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذى عصى فيه أمر العقل وانسلخ عن قضية التمييز كيف رتب الكلام معه فى أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا فى ذلك نصيحة ربه جل وعلا حدث أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار كلمتى سبقت لمن حسن خلقه أظله تحت عرشى وأسكنه حظيرة

(الدر)

(ش) وهذه الجملة يعنى قوله انه كان صديقا نبيا وقعت اعتراضا بين المبدل منه و بدله أعنى ابراهيم واذ قال نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أى كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حتى خاطب أباه تلك المخاطبات (ح) التخريج الاول يقتضى تصرف اذ وقد تقدم لنا أنها لا تتصرف والتخريج الثانى مبنى على ان كان الناقصة واخواتها تعمل فى الظروف وهى مسئلة خلاف والتخريج الثالث لايصح لان العمل لا ينسب الا الى لفظ واحد امان ينسب الى مركب من مجموع لفظين فلا ولا جائز أن يكون اذ معمولا لصديقا لانه قد نعت الا على رأى كوفى و يحتمل أن يكون معمولا لنبيا أى منبئا فى وقت قوله لأبيه ماقال وان التنبئة كانت فى ذلك الوقت وهو بعيد

القدس وأدنيه من جواري وسرد الزمخشري بعد هذا كلاما كثيرا من نوع الخطابة تركناه * وما لا يسمع الظاهر انها موصولة وجوزوا أن تكون نكرة موصوفة ومعمول يسمع ويبصر منسي ولا ينوى أي ما ليس به استماع ولا ابصار لان المقصود نفي هاتين الصفتين دون تقييد بمتعلق وشيئا اما مصدر أو مفعول به ولما سأله عن العلة في عبادة الصنم ولا يمكن أن يجد جوابا انتقل معه الى اخباره بأنه قد جاءه من العلم ما لم يأته ولم يصف أباه بالجهل اذ يغني عنه السؤال السابق وقال من العلم على سبيل التبعيض أي شيء من العلم ليس معك وهذه المحاورة تدل على أن ذلك كان بعد ما نبئ اذ في لفظ جاءني تجدد العلم والذي جاءه الوحي الذي أتى به الملك أو العلم بأمور الآخرة وثوابها وعقابها أو توحيد الله وافراده بالالوهية والعبادة أقوال ثلاثة فاتبعني على توحيد الله بالعبادة وارفض الاصنام أهدك صراطا مستقيما وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة وانتقل من أمره باتباعه الى نهيه عن عبادة الشيطان وعبادته كونه يطيعه في عبادة الاصنام ثم نفره عن عبادة الشيطان بانه كان عصيا للرحمن حيث استعصى حين أمره بالسجود لآدم فأبى فهو عدو لك ولأبيك آدم من قبل وكان لفظ الرحمن هنا تنبيها على سعة رحمته وان من هذا وصفه هو الذي ينبغي أن يعبد ولا يعصى واعلاما بشقاوة الشيطان حيث عصى من هذه صفته وارتكب من ذلك ما طرده من هذه الرحمة وان كان مختارا لنفسه عصيان ربه لا يختار لذريته من عصى لأجله الا ما اختار لنفسه من عصيانهم * يا أبت اني أخاف قال الفراء والطبري أخاف أعلم كما قال فخشينا أن يرهقهما أي تيقنا والأولى حمل أخاف على موضوعه الأصلي لانه لم يكن آيسا من ايمانه بل كان راجيا له وخائفا أن لا يؤمن وأن يتمادى على الكفر فيمسه العذاب وخوفه ابراهيم سوء العاقبة وتأدب معه اذ لم يصرح بلحوق العذاب به بل أخرج ذلك مخرج الخائف وأتى بلفظ المس الذي هو ألطف من المعاقبة ونكر العذاب ورتب على مس العذاب ما هو أكبر منه وهو ولاية الشيطان كما قال في مقابل ذلك ورضوان من الله أكبر أي من النعيم السابق ذكره وصدر كل نصيحة بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا * وقيل الولاية هنا كونه مقرونا معه في الآخرة وان تباغضا وتبرأ بعضهما من بعض * وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير اني أخاف أن تكون وليا في الدنيا للشيطان فيمسك في الآخرة عذاب من الرحمن وقوله أن يمسك عذاب من الرحمن لا يعين أن العذاب يكون في الآخرة بل يحتمل أن يحمل العذاب على الخذلان من الله فيصير مواليا للشيطان ويحتمل أن يكون مس العذاب في الدنيا بان يبتلى على كفره بعذاب في الدنيا فيكون ذلك العذاب سببا لتماديه على الكفر وصيرورته الى ولاية الشيطان الى أن يوافي على الكفر كما قال وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وهذه المناصحات تدل على شدة تعلق قلبه بمعالجة أبيه والطماعية في هدايته قضاء لحق الابوة وارشادا الى الهدى لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم قال أي أبوه أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم استفهم استفهام انكار والرغبة عن الشيء تركه عمدا وآلهته أصنامه وأغلظ له في هذا الانكار وناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني * قال الزمخشري وقدم الخبر على المبتدا في قوله أراغب أنت عن آلهتي لانه كان أهم عنده وهو عنده أعني وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه انتهى والمختار في اعراب أراغب أنت أن يكون راغب مبتدا لانه قد اعتمد على أداة الاستفهام وأنت فاعل سد مسد الخبر ويترجح هذا

(ش) وقدم الخبر على المبتدأ في قوله أراغب أنت عن آلهتي لانه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج به لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه انتهى (ح) المختار في أراغب أنت أن يكون راغب مبتدأ لانه قد اعتمد على أداة الاستفهام وأنت فاعل سد مسد الخبر ويترجح هذا الاعراب على ما أعرب به (ش) من كون أراغب خبرا وأنت مبتدأ بوجهين أحدهما انه لا يكون فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الخبر أن يتأخر عن المبتدأ والثاني أن لا يكون فصل بين العامل الذي هو أراغب وبين معموله الذي هو عن آلهتي بما ليس بمعمول للعامل لان الخبر ليس هو عاملا في المبتدأ بخلاف كون أنت فاعلا فانه معمول لراغب فلم يفصل بين أراغب وبين عن آلهتي باجنبي انما فصل بمعمول له

الاعراب على ما أعرب به الزمخشري من كون أراغب خبرا وأنت مبتدا بوجهين * أحدهما انه لا يكون فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الخبر أن يتأخر عن المتبدا والثاني أن لا يكون فصل بين العامل الذي هو أراغب و بين معموله الذي هو عن آلهتي بما ليس بمعمول للعامل لان الخبر ليس هو عاملا في المبتدا بخلاف كون أنت فاعلا فانه معمول أراغب فلم يفصل بين أراغب و بين عن آلهتي بأجنبي انما فصل بمعمول له ولما أنكر عليه رغبته عن آلهته توعده مقسما على انفاذ ما توعده به ان لم ينته ومتعلق تنته محذوف واحتمل أن يكون عن مخاطبتي بما خاطبتني به ودعوتني اليه وأن يكون لئن لم تنته عن الرغبة عن آلهتي لأرجمنك جواب القسم المحذوف قبل لئن * قال الحسن بالحجارة * وقيل لأقتلنك * وقال السدي والضحاك وابن جريج لأشتمنك * قال الزمخشري (فان قلت) علام عطف واهجرني (قلت) على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لان لأرجمنك تهديد وتقريع انتهى وانما احتاج الى حذف ليناسب بين جملتي العطف والمعطوف عليه وليس ذلك بلازم عند سيبويه بل يجوز عطف الجملة الخبرية على الجملة الانشائية فقوله واهجرني معطوف على قوله لئن لم تنته لأرجمنك وكلاهما معمول للقول وانتصب مليا على الظرف أي دهرا طويلا قاله الجمهور والحسن ومجاهد وغيرهما ومنه الملوان وهما الليل والنهار والملاوة بتثليث حركة الميم الدهر الطويل من قولهم أمليت لفلان في الامر اذا أطلت له * وقال الشاعر

فعسنا بها من الشباب ملاوة * فالحج آيات الرسول المحبب

* وقال سيبويه سير عليه مليّ من الدهر أي زمان طويل * وقال ابن عباس وغيره مليا معناه سالما سويّا فهو حال من فاعل واهجرني * قال ابن عطية وتلخيص هذا أن يكون بمعنى قوله مستغنيا بحالك غنيا عني مليا بالاكتفاء * وقال السدي معناه أبدا * ومنه قول مهلهل

فتصدعت صم الجبال لموته * وبكت عليه المرملات مليا

* وقال ابن جبير دهرا وأصل الحرف المكث يقال تمليت حينا * وقال الزمخشري أو مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به انتهى قال سلام عليك * قرأ أبو البرهسم سلاما بالنصب * قال الجمهور هذا بمعنى المسالمة لا بمعنى التحية أي أمنة مني لك وهؤلاء لا يرون ابتداء الكافر بالسلام * وقال النقاش حليم خاطب سفيها كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * وقيل هي تحية مفارق وجوز قائل هذا تحية الكافر وان يبدأ بالسلام المشروع وهو مذهب سفيان بن عيينة مستدلا بقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم الآية وبقوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الآية * وقال ابراهيم لأبيه سلام عليك وما استدل به متأول ومذهبهم محجوج بما ثبت في صحيح مسلم لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام ورفع سلام على الابتداء ونصبه على المصدر أي سامت سلاما دعاءله بالسلامة على سبيل الاستمالة ثم وعده بالاستغفار وذلك يكون بشرط حصول ما يمكن معه الاستغفار وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة وهذا كما يرد الأمر والنهي على الكافر ولا يصح الامتثال الا بشرط الايمان ومعنى سأستغفر لك أدعو الله في هدايتك فيغفر لك بالايمان ولا يتأول على ابراهيم عليه السلام انه لم يعلم ان الله لا يغفر لكافر * قال ابن عطية ويجوز أن يكون ابراهيم عليه السلام أول نبي أوحي اليه ان الله لا يغفر لكافر لان هذه الطريقة انما طريقها السمع وكانت هذه المقالة منه لأبيه قبل أن يوحى اليه وذلك انه انما تبين له في أبيه انه عدو لله بأحد وجهين اما بموته على الكفر كما روي واما أن

(الدر)

(ش) فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لأن لأرجمنك تهديد وتقريع (ح) وانما احتاج الى حذف ليناسب بين جملتي المعطوف والمعطوف عليه وليس ذلك بلازم عند سيبويه بل يجوز وعنده عطف الجملة الخبرية على الجملة الانشائية فقوله واهجرني معطوف على قوله لئن لم تنته لأرجمنك وكلاهما معمول للقول

يوحى اليه الختم عليه * وقال الزمخشري ولقائل أن يقول الذي يمنع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجب فيه وقول من قال انما استغفر له لانه وعده أن يؤمن مستدلا بقوله الاعن موعدة وعدها إياه فجعل الواعد آزر والموعود ابراهيم عليه السلام ليس بجيد لاعتقابه في هذه الآية الوعد بالاستغفار بعد ذلك القول الجافي من قوله لئن لم تنته الآية فكيف يكون وعده بالايمان ولان الواعد هو ابراهيم ويدل عليه قراءة حماد الراوية وعدها إياه والحفي المكرم المحتفل الكثير البر والألطاف وتقدم شرحه لغة في قوله كأنك حفي عنها * وقال ابن عباس رحيما * وقال الكلبي حليما * وقال القتبي بارا * وقال السدي حفيك من يهمه أمرك ولما كان في قوله لأرجمنك فظاظة وقساوة قلب قابله بالدعاء له بالسلام والامن ووعده بالاستغفار قضاء لحق الأبوة وان كان قد صدر منه اغلاظ ولما أمره بهجره الزمان الطويل أخبره بأنه يمتثل أمره ويعتزله وقومه ومعبوداتهم فهاجر الى الشام قيل أوالى حران وكانوا بأرض كوثا وفي هجرته هذه تزوج سارة ولقي الجبار الذي أخدم سارة هاجر والأظهر ان قوله وأدعو ربي معناه وأعبد ربي كما جاء في الحديث الدعاء العبادة لقوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء رب هب لي حكما الى آخره وعرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس وفي عسى ترج في ضمنه خوف شديد ولما فارق الكفار وأرضهم أبدله منهم أولادا أنبياء والأرض المقدسة فكان فيها ويتردد الى مكة فولد له اسحاق وابنه يعقوب تسلية له وشدا لعضده واسحاق أصغر من اسماعيل ولما حملت هاجر باسماعيل غارت سارة ثم حملت باسحاق وقوله من رحمتنا * قال الحسن هي النبوة * وقال الكلبي المال والولد والأحسن أن يكون الخير الديني والدنيوي من العلم والمنزلة والشرف في الدنيا والنعيم في الآخرة * ولسان الصدق الثناء الحسن الباقي عليهم آخر الابد قاله ابن عباس وعبر باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية واللسان في كلام العرب الرسالة الرائعة كانت في خير أو شر * قال الشاعر * اني أتتني لسان لاأسر بها * وقال آخر * ندمت على لسان كان مني * ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته * واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى عظمه أهل الاديان كلهم وادعوه وقال تعالى ملة أبيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه ﴿ واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الامن تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان

وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا * جثا قعد على ركبتيه وهي قعدة الخائف الذليل يجثو ويجثي جثوا وجثاية * حتم الأمر أوجبه * الندي والنادي المجلس الذي يجتمع فيه لحادثة أو مشورة * وقيل مجلس أهل الندى وهو الكرم * وقيل المجلس فيه الجماعة * قال حاتم

فدعيت في أولى الندي * ولم ينظر الي بأعين خزر

* الري مصدر رويت من الماء واسم مفعول أي مروي قاله أبو علي * الزي محاسن مجموعة من الزي وهو الجمع * كلا حرف ردع وزجر عند الخليل وسيبويه والأخفش والمبرد وعامة البصريين وذهب الكسائي ونصر بن يوسف وابن واصل وابن الانباري الى انها بمعنى حقا وذهب النضر ابن شميل الى أنها حرف تصديق بمعنى نعم وقد تستعمل مع القسم وذهب عبد الله بن محمد الباهلي الى أن كلا رد لما قبلها فيجوز الوقف عليها وما بعدها استئناف وتكون أيضا صلة للكلام بمنزلة إي والكلام على هذه المذاهب مذكور في النحو * الضد العون يقال من أضداد كم أي أعوانكم وكان العون سمي ضدا لأنه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه * الأز والهز والاستفزاز أخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج ومنه أزيز المرجل وهو غليانه وحركته * وفد يفد وفدا ووفودا ووفادة قدم على سبيل التكرمة * الأد والاد بفتح الهمزة وكسرها العجب * وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وأدني الأمر وآدني أثقلني وعظم علي أدا * الهد قال الجوهري هدا البناء هد

(الدر)

(ح) كلا حرف ردع وزجر عند الخليل وسيبويه والاخفش والمبرد وعامة البصريين وذهب الكسائي ونصر بن يوسف وابن واصل وابن الانباري الى أنها بمعنى حقا وذهب النضر بن شميل الى انها حرف تصديق بمعنى نعم وقد تستعمل مع القسم وذهب عبد الله بن محمد الباهلي الى أن كلا رد لما قبلها فيجوز الوقف عليها وما بعدها استئناف وتكون أيضا صلة للكلام بمنزلة اي والكلام على هذه الاقوال مذكور في علم النحو

﴿واذكر في الكتاب موسى﴾ الآية وقرئ مخلصا بفتح اللام أي أخلصه الله للعبادة والنبوة وقرئ بكسر اللام أي أخلص العبادة عن الشرك والرياء وحسن مجيء قوله نبيا بعد قوله رسولا كونه فاصلة واطلاق رسول على الملائكة ولا يقال لهم في العرف أنبياء ونداؤه اياه وتكليمه تعالى اياه * والطور الجبل المشهور بالشام والظاهر أن الأيمن صفة للجانب لقوله في آية أخرى جانب الطور الأيمن بنصب الأيمن نعتا لجانب الطور والأيمن مشتق من اليمن وهي البركة ﴿وقربناه نجيا﴾ هو تقريب مكانة وتشريف لا مكان ونجيا فعيلا من المناجاة وهو حال من المفعول في قربناه والمناجاة المسارة ومن في من رحمتنا للسبب أي من أجل رحمتنا له أو للتبعيض وأخاه مفعول بوهبنا وهرون بدل أو عطف بيان * قال الزمخشري وأخاه على هذا الوجه بمعنى كون من في من رحمتنا للتبعيض بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا انتهى والذي يظهر ما قلناه ولا ترادف من بعضا فتبدل منها واسمعيل هو ابن ابراهيم عليهما السلام وصدق وعده أنه كان منه مواعيد لله وللناس فوفى بالجميع ولذلك خص بصدق الوعد * ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة﴾ أي كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من سائر الناس كقوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين

و﴿مرضيا﴾ مفعول من رضي ويقال مرضو بادغام واو مفعول في اللام التي هي واو يقال مرضي لانه اجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون وقلبت ياء فأدغمت الياء في الياء مرضيا وحسن مجيء مرضي دون مرضو كونه فاصلة ﴿وادريس﴾ جد أبي نوح وهو أخنوخ وهو أول من نظر في النجوم والحساب وجعله الله من معجزاته وأول من خط بالقلم وخاط الثياب ولبس المخيط وكانوا قبل يلبسون الجلود وأول مرسل بعد آدم وأول من اتخذ المكاييل والموازين والاسلحة فقاتل بني قابيل وامتنع من الصرف للعلمية والعجمة * والمكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وحديث أبي هريرة وأنس أنه في السماء الرابعة * ﴿أولئك﴾ مبتدأ والذين خبره وهو اشارة الى من تقدم ذكره في هذه السورة من الأنبياء ومن في من النبيين للبيان لأن جميع الأنبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم صلى الله عليه وسلم لقربه منه لأنه جد أبي نوح وابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ولد سام بن نوح ﴿ومن ذرية ابراهيم﴾ اسحق ويعقوب واسمعيل واسرائيل معطوف على ابراهيم وزكريا ويحيي وموسى وهرون من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى عليه السلام لأن مريم من ذريته ﴿وممن هدينا﴾ يحتمل العطف على من الأولى والثانية ﴿واذا تتلى﴾ كلام مستأنف ويجوز أن يكون الذين صفة لأولئك والجملة الشرطية خبر وانتقل في هذه الجمل من الاسم الظاهر الى ضمير المتكلم في قوله حملنا وما بعده ثم الى الاسم الظاهر في قوله آيات الرحمن وهذا من التفنن في البلاغة والفصاحة وانتصب سجدا على الحال المقدرة لأنهم حالة الخرور ما كانوا سجدا والبكي جمع باك كشاهد ﴿وبكيا﴾ أصله بكويا اجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت وكسر ما قبلها * قال ابن عطية وبكيا بكسر الباء وهو مصدر لا يحتمل غير ذلك انتهى ليس قوله هذا بسديد لأن اتباع حركة الباء لحركة الكاف لا يعين المصدرية ألا تراهم قرؤا جثيا بكسر الجيم جمع جاث وقالوا عصى فاتبعوا وسمع في جمعه بكاة كرام ورماة قال الشاعر

ولا تراهم وان جلت مصيبتهم * مع البكاة على من مات يبكونا

كسره * وقال المبرد هو سقوط بصوت شديد والهدة صوت وقع الحائط ونحوه يقال هد يهد بالكسر هديدا * وقال الليث الهد الهدم الشديد * الركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون * وقيل الصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فم * قال الشاعر

فتوجست ركز الأنيس فراعها * عن ظهر غيب والأنيس سقامها

﴿واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾ * قرأ الكوفيون مخلصا بفتح اللام وهي قراءة أبي رزين ويحيي وقتادة أي أخلصه الله للعبادة والنبوة كما قال تعالى انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وقرأ باقي السبعة والجمهور بكسر اللام أي أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله *

ونداؤه اياه هو تكليمه تعالى اياه * والطور الجبل المشهور بالشام والظاهر ان الأيمن صفة للجانب لقوله فى آية أخرى جانب الطور الأيمن بنصب الأيمن نعتا لجانب الطور والجبل نفسه لايمنة له ولا يسرة ولكن كان على يمين موسى بحسب وقوفه فيه وان كان من اليمين احتمل أن يكون صفة للجانب وهو الراجح ليوافق ذلك فى الآيتين واحتمل أن يكون صفة للطور اذ معناه الأسعد المبارك * قال ابن القشيرى فى الكلام حذف وتقديره وناديناه حين أقبل من مدين ورأى النار من الشجرة وهو يريد من يهديه الى طريق مصر من جانب الطور أى من ناحية الجبل * وقربناه نجيا قال الجمهور تقريب التشريف والكلام واليوم * وقال ابن عباس أدنى موسى من الملكوت ورفعت له الحجب حتى سمع صريف الأقلام وقاله أبو العالية وميسرة * وقال سعيد أردفه جبريل عليه السلام * قال الزمخشرى شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك انتهى ونجى فعيل من المناجاة بمعنى مناج كالجليس وهو المنفرد بالمناجاة وهى المسارة بالقول * وقال قتادة معنى نجاه صدقه ومن فى من رحمتنا للسبب أى من أجل رحمتنا له أو للتبعيض أى بعض رحمتنا * قال الزمخشرى وأخاه على هذا الوجه بدل وهارون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا انتهى والذى يظهر ان أخاه مفعول بقوله ووهبنا ولا ترادف من بعضا فتبدل منها وكان هارون أسن من موسى طلب من الله أن يشد أزره بنبوته ومعونته فأجابه واسماعيل هو ابن ابراهيم أبو العرب يمنيها ومضريها وهو قول الجمهور * وقيل انه اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فشجوا جلدة رأسه فخيره الله فيما شاء من عذابهم فاستعفاه ورضى بثوابه وفوض أمرهم اليه فى عفوه وعقوبته وصدق وعده أنه كانت منه مواعيد لله وللناس فوفى بالجميع فلذلك خص بصدق الوعد * قال ابن جريج لم يعد ربه موعدة الا أنجزها فمن مواعيده الصبر وتسليم نفسه للذبح ووعد رجلا أن يقيم له بمكان فغاب عنه مدة * قيل سنة * وقيل اثنى عشر يوما فجاءه فقال برحت من مكانك فقال لا والله ما كنت لأخالف موعدى وكان يأمر أهله * قال الحسن قومه وأمته وفى مصحف عبد الله وكان يأمر قومه * وقال الزمخشرى كان يبدأ بأهله فى الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم أولى من سائر الناس وأنذر عشيرتك الاقربين وأمر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم نارا أى ترى انهم أحق فتصدق عليهم بالاحسان الدينى أولى * وقيل أهله أمته كلهم من القرابة وغيرهم لان أمم النبيين فى عداد أهاليهم وفيه ان حق الصالح أن لا يألوا نصحا للأجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط فى ذلك انتهى * وقال أيضا ذكر اسماعيل عليه السلام بصدق الوعد وان كان موجودا فى غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب نحو الحليم الاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله * وقرأ الجمهور مرضيا وهو اسم مفعول أى مرضو وفاعل بقلب واوه ياء لانها طرف بعد واو ساكنة والساكن ليس بحاجز حصين فكأنها وليت حركة واو بنيت من ذوات الواو مفعلا لصار مفعلا لان الواو لاتكون طرفا وقبلها متحرك فى الاسماء المتمكنة غير المتقيدة بالاضافة ألا ترى انهم حين سموا بيغزو الغازى من الضمير قالوا يغز حين صار اسما وهذا الاعلال أرجح من التصحيح ولانه اعتل فى رضى وفى رضيان تثنية رضى * وقرأ ابن أبى عبلة مرضوا مصححا * وقالت العرب أرض مسنية ومسنوة وهى التى تسقى بالسوانى وادريس هو جد أبى نوح وهو أخنوخ وهو أول من نظر فى النجوم والحساب وجعله الله من معجزاته وأول من خط بالقلم وخاط الثياب ولبس المخيط وكانوا قبل يلبسون الجلود وأول مرسل بعد آدم

(الدر)

(ش) وأخاه على هذا الوجه يعنى كون من فى من رحمتنا للتبعيض بدل وهارون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا انتهى (ح) الذى يظهر ان أخاه مفعول بقوله ووهبنا ولا ترادف من بعضا فتبدل منها

المنظور ولبس المشهور والغي كل شر والرشاد كل خير وقال عبد الله بن عمرو وغيره الغي واد في جهنم ﴿الا من تاب﴾ استثناء متصل والضمير في تاب مفرد عائد على لفظ من ثم حمل على المعنى فجمع في قوله فأولئك وقرئ يدخلون مبنيا للفاعل والمفعول وانتصب جنات عدن على أنه بدل من قوله الجنة وقرئ بالرفع على إضمار مبتدإ محذوف تقديره تلك جنات عدن والعدن الاقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به وقال الزمخشري عدن علم لأن المضاف اليها وهو جنات وصف بالتي وهي معرفة فلولم تكن جنات مضافة الى معرفة لم توصف بالمعرفة انتهى ولا يتعين ذلك اذ يجوز أن تكون التي خبر مبتدإ محذوف أو منصوبا باضمار أعني أو أمدح أو بدلا من جنات ويبعد أن يكون صفة لقوله الجنة للفصل بالبدل الذي هو جنات والحكم أنه اذا اجتمع النعت

وأول من اتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فقاتل بني قابيل * وقال ابن مسعود هو الياس بعث الى قومه بأن يقولوا لا اله الا الله و يعملوا ما شاؤا فأبوا وأهلكوا وادريس اسم أعجمي منع من الصرف للعلمية والعجمة ولا جائز أن يكون افعيلا من الدرس كما قال بعضهم لانه كان يجب صرفه اذ ليس فيه الا سبب واحد وهو العلمية * قال الزمخشري و يجوز أن يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك أي من معنى الدرس فحسبه القائل مشتقا من الدرس * والمكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة انتهى وقاله جماعة وهو رفع النبوة والتشريف والمنزلة في السماء كسائر الانبياء * وقيل بل رفع الى السماء * قال ابن عباس كان ذلك بأمر الله كما رفع عيسى كان له خليل من الملائكة فحمله على جناحه وصعد به حتى بلغ السماء الرابعة فلقي هنالك ملك الموت فقال له انه قيل لي اهبط الى السماء الرابعة فاقبض فيها روح ادريس واني لاعجب كيف يكون هذا فقال له الملك الصاعد هذا ادريس معي فقبض روحه وروي ان هذا كله كان في السماء السادسة قاله ابن عباس وكذلك هي رتبته في حديث الاسراء في بعض الروايات من حديث أبي هريرة وأنس يقتضي انه في السماء الرابعة * وعن الحسن الى الجنة لا شئ أعلى من الجنة * وقال قتادة يعبد الله مع الملائكة في السماء السابعة وتارة يرفع في الجنة حيث شاء * وقال مقاتل هو ميت في السماء أولئك اشارة الى من تقدم ذكره في هذه السورة من الانبياء ومن في من النبيين للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد أبي نوح وابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم اسحاق واسماعيل و يعقوب واسرائيل معطوف على ابراهيم وزكريا و يحيي وموسى وهارون من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته * وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى أو الثانية والظاهر ان الذين خبر لاولئك * واذا تتلى كلام مستأنف و يجوز أن يكون الذين صفة لاولئك والجملة الشرطية خبر * وقرأ الجمهور تتلى بتاء التأنيث * وقرأ عبد الله وأبو جعفر وشيبة وشبل بن عباد وأبو حيوة وعبد الله بن أحمد العجلي عن حمزة وقتيبة في رواية وورش في رواية النحاس وابن ذكوان في رواية التغلبي بالياء وانتصب سجدا على الحال المقدرة قاله الزجاج لانه حال خروره لا يكون ساجدا والبكي جمع باك كشاهد وشهود ولا يحفظ فيه جمعه المقيس وهو فعلة كرام ورماة والقياس يقتضيه * وقرأ الجمهور بكيا بضم الباء وعبد الله و يحيي والاعمش وحمزة والكسائي بكسرها اتباعا لحركة الكاف كعصي ودلي والذي يظهر انه جمع لمناسبة الجمع قبله * قيل و يجوز أن يكون مصدر البكا بمعنى بكاء وأصله بكو وكجلس جلوسا * وقال ابن عطية وبكيا بكسر الباء وهو مصدر لا يحتمل غير ذلك انتهى وقوله ليس بسديد لان اتباع حركة الكاف لا تعين المصدرية ألا تراهم قرؤا جثيا بكسر الجيم جمع جاث وقالوا عصي فاتبعوا ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده

(الدر) (ع) وبكيا بكسر الباء وهو مصدر لا يحتمل غير ذلك انتهى كلامه (ح) ليس قوله هذا بسديد لان اتباع حركة الباء لحركة الكاف لا يعين المصدرية ألا تراهم قرؤا جثيا بكسر الجيم جمع جاث وقالوا عصي فاتبعوا

والبدل قدم النعت وجيء بعده بالبدل ودعوى الزمخشري ان عدنا علم بمعنى العدن يحتاج الى توقيف وسماع من العرب وكذا دعوى العلمية الشخصية فيه وقال الزمخشري أيضا ولولا ذلك أى كونه علما لأرض الجنة لما ساغ الابدال لأن النكرة لاتبدل من المعرفة الاموصوفة ولما ساغ وصفها بالتي انتهى أما قوله ولولا ذلك الى قوله موصوفة فليس مذهب البصريين لان مذهبهم جواز إبدال النكرة من المعرفة وان لم تكن موصوفة وانما ذلك شيء قاله البغداديون وهم محجوجون بالسماع على مابيناه فى كتبنا فى النحو فلازمته فاسدة وبالغيب حال أى وعدها وهى غائبة عنهم أى وهم غائبون عنها لايشهدونها ومأتيا مفعول من أتى واحتمل وعده أن يكون مصدرا وأن يكون اسم مفعول أى موعوده ﴿الاسلاما﴾ استثناء منقطع لأن سلام الملائكة ليس من جنس اللغو ومعنى بكرة وعشيا جميع الاوقات وكنى بالطرفين عن ذلك ألا ترى الى قوله تعالى أكلها دائم وظلها ﴿نورث من عبادنا﴾ التوريث استعارة أى يبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث والاتقياء يلقون ربهم قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهى الجنة ﴿ومانتنزل الابامر ربك﴾ أبطأ جبريل عليه السلام مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء قال ياجبريل قد اشتقت اليك أفلا تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت الآية ﴿له مابين أيدينا وماخلفنا﴾ القصد بذلك الاشعار بعزة الله تعالى للملائكة وأن قليل تصرفهم

وكثيره انما هو بامره وانتقالهم من مكان الى مكان انما هو بحكمته اذ الامكنة له وهم ملكه ﴿وما كان ربك نسيا﴾ فعيل للمبالغة فى ناس كرحيم مبالغة فى راحم والمعنى أنه تعالى لا يهمل أمرك وارتفع رب السموات على البدل من قوله ربك أو على تقدير خبر مبتدإ محذوف تقديره هو رب وعدى فاصطبر باللام على سبيل التضمين أى اثبت بالصبر لعبادته لأن العبادة تورد شدائد فاثبت لها وأصله التعدية بعلى كقوله تعالى واصطبر عليها والسمى من يوافق فى الاسم تقول هذا سميك أى اسمه مثل اسمك فالمعنى

بالغيب انه كان وعده مأتيا ﴿لايسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل إلا بأمر ربك له مابين أيدينا وماخلفنا ومابين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والأرض ومابينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا﴾ نزل نخلف فى اليهود عن ابن عباس ومقاتل وفيهم وفى النصارى عن السدى وفى قوم من أمة الرسول يأتون عند ذهاب صالحيها يتبارزون بالزنا ينزو فى الأزقة بعضهم على بعض عن مجاهد وقتادة وعطاء ومحمد بن كعب القرظى * وعن وهب هم شراب القهوة وتقدم الكلام على خلف فى الأعراف واضاعة الصلاة تأخيرها عن وقتها قاله ابن مسعود والنخعى والقاسم بن مخيمرة ومجاهد وابراهيم وعمر بن عبد العزيز * وقال القرظى واختاره الزجاج اضاعتها الاخلال بشروطها * وقيل اقامتها فى غير الجماعات * وقيل عدم اعتقاد وجوبها * وقيل تعطيل المساجد والاشتغال بالصنائع والأسباب والشهوات عام فى كل مشتهى يشغل عن الصلاة وذكر الله * وعن على من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور * وقرأ عبد الله والحسن وأبو رزين العقيلى والضحاك وابن مقسم الصلوات جمعا والغى عند العرب كل شر والرشاد كل خير * قال الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لايعدم على الغى لائما

* وقال الزجاج هو على حذف مضاف أى جزاء غى كقوله يلق أثاما أى مجازاة آثام * وقال ابن زيد الغى الخسران والحصول فى الورطات * وقال عبد الله بن عمرو وابن مسعود وكعب غى واد فى جهنم * وقال ابن زيد ضلال * وقال الزمخشرى أو غيا عن طريق الجنة * وحكى الكرمانى آبار فى جهنم يسيل اليها الصديد والقيح * وقيل هلاك * وقيل شر * وقرىء فيما حكى الأخفش يلقون بضم الياء وفتح اللام وشد القاف * الا من تاب استثناء ظاهره الاتصال * وقال الزجاج منقطع وآمن هذا يدل على ان تلك الاضاعة اضاعة كفر * وقرأ الحسن يدخلون مبنيا للفاعل وكذا كل مافى القرآن من يدخلون * وقرأ كذلك هنا الزهرى وحميد وشيبة والأعمش وابن أبى ليلى وابن مناذر وابن سعدان * وقرأ ابن غزوان عن طلحة سيدخلون بسين الاستقبال مبنيا للفاعل * وقرأ الجمهور جنات نصبا جمعا بدلا من الجنة ولايظلمون شيأ اعتراض أو حال * وقرأ الحسن وأبو حيوة وعيسى بن عمر والأعمش وأحمد بن موسى عن أبى عمرو جنات رفعا جمعا أى تلك جنات * وقال الزمخشرى الرفع على الابتداء انتهى يعنى والخبر التى * وقرأ الحسن بن حى وعلى بن صالح جنة عدن نصبا مفردا ورويت عن الأعمش وهى كذلك فى مصحف عبد الله * وقرأ اليمانى

والحسن واسحق الأزرق عن حمزة جنة رفعا مفردا وعدن ان كان علما شخصيا كان التي نعتا لما أضيف الى عدن وان كان المعنى اقامة كان التي بدلا * وقال الزمخشري عدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وأمس في من لم يصرفه اعلاما لمعانى الفينة والسحر والأمس فجرى العدن كذلك أو هو علم لأرض الجنة لكونه مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي انتهى وما ذكره متعقب أما دعواه ان عدنا علم لمعنى العدن فيحتاج الى توقيف وسماع من العرب وكذا دعوى العلمية الشخصية فيه وأما قوله ولولا ذلك الى قوله موصوفة فليس مذهب البصريين لان مذهبهم جواز ابدال النكرة من المعرفة وان لم تكن موصوفة وانما ذلك شئ قاله البغداديون وهم محجوجون بالسماع على ما بيناه في كتبنا في النحو فلازمته فاسدة وأما قوله ولما ساغ وصفها بالتي فلا يتعين كون التي صفة وقد ذكرنا انه يجوز اعرابه بدلا و بالغيب حال أي وعدها وهي غائبة عنهم أو وهم غائبون عنها لا يشاهدونها ويحتمل أن تكون الباء للسبب أي بتصديق الغيب والايمان به * وقال أبو مسلم المراد الذين يكونون عبادا بالغيب أي الذين يعبدونه في السر والظاهر ان وعده مصدر * فقيل مأتيا بمعنى آتيا * وقيل هو على موضوعه من انه اسم المفعول * وقال الزمخشري مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك أتى اليه احسانا أي كان وعده مفعولا منجزا والقول الثاني وهو قوله والوجه مأخوذ من قول ابن جريج قال وعده هنا موعوده وهو الجنة ومأتيا يأتيه أولياؤه انتهى * إلا سلاما استثناء منقطع وهو قول الملائكة سلام عليكم بما صبرتم * وقيل يسلم الله عليهم عند دخولها ومعنى بكرة وعشيا يأتيهم طعامهم مرتين في مقدار اليوم والليلة من الزمن * وقال مجاهد لا بكرة ولا عشي ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا وقد ذكر نحوه قتادة أن تكون مخاطبة بما تعرف العرب في رفاهة العيش * وقال الحسن خوطبوا على ما كانت العرب تعلم من أفضل العيش وذلك ان كثيرا من العرب انما كان يجد الطعام المرة في اليوم وكان عيش أكثرهم من شجر البرية ومن الحيوان * وقال الزمخشري اللغو فضول الكلام ومالا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآية أي ان كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أو لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع أو لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا مافيه من فائدة الكلام * وقال أيضا ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء * وقيل أراد دوام الرزق ودروره كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا ولا يقصد الوقتين المعلومين انتهى * وقرأ الجمهور نورث مضارع أورث والأعمش نورثها بابراز الضمير العائد على الموصول والحسن والاعرج وقتادة ورويس وحميد وابن أبي عبلة وأبو حيوة ومحبوب عن أبي عمرو بفتح الواو وتشديد الراء والتوريث استعارة أي تبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث والاتقياء

أنه لم يتسم بلفظ الله شئ قط وكان المشركون يسمون أصنامهم كاللات والعزى إله وأما لفظة الله فلم يطلقوه على شئ من أصنامهم

(الدر)

(ش) عدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعان الفينه والسحر والامس فجرى العدن كذلك أو هو علم لأرض الجنة لكونه مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي (ح) ماذكره متعقب أما دعواه ان عدنا علم لمعنى العدن فيحتاج الى توقيف وسماع من العرب وكذا دعوى العلمية الشخصية فيه وأما قوله ولولا ذلك الى قوله موصوفة فليس مذهب البصريين لأن مذهبهم جواز ابدال النكرة من المعرفة وان لم تكن موصوفة وانما ذلك شئ قاله البغداديون وهم محجوجون بالسماع على ما بيناه في كتبنا في النحو فلازمته فاسدة وأما قوله ولما ساغ وصفها بالتي فلا يتعين كون التي صفة فقد ذكرنا أنه يجوز اعرابه بدلا

يلقون ربهم قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى * وقيل أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو أطاعوا وما نتنزل الا بأمر ربك ابطأ جبريل عن الرسول مرة فلما جاء قال يا جبريل قد اشتقت اليك أفلا تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت * وقال مجاهد والضحاك سببها ان جبريل عليه السلام تأخر في السؤالات المتقدمة في سورة الكهف وهي كالتي في الضحى وتنزل تفعل وهي للمطاوعة وهي أحد معاني تفعل تقول نزلته فتنزل فتكون لمواصلة العمل في مهلة وقد تكون لا يلحظ فيه ذلك اذا كان بمعنى المجرد كقولهم تعدى الشيء وعداه ولا يكون مطاوعا فيكون تنزل في معنى نزل * كما قال الشاعر

فلست لانسي ولكن لملاك * تنزل من جو السماء يصوب

* وقال الزمخشري التنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي البيت لأنه مطاوع نزّل ونزّل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الأحايين وقتا غب وقت انتهى * وقال ابن عطية وهذه الواو التي في قوله وما نتنزل هي عاطفة جملة كلام على أخرى واصلة بين القولين وان لم يكن معناهما واحدا * وحكى النقاش عن قوم ان قوله وما نتنزل متصل بقوله انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا وهذا قول ضعيف انتهى والذي يظهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر قصة زكريا ومريم وذكر ابراهيم وموسى واسماعيل وادريس ثم ذكر أنهم أنعم تعالى عليهم وقال ومن ذرية ابراهيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذرية ابراهيم وذكر تعالى أنه خلف بعد هؤلاء خلف وهم اليهود والنصارى أصحاب الكتب لأن غيرهم لا يقال فيهم أضاعوا الصلاة انما يقال ذلك فيمن كانت له شريعة فرض عليهم فيها الصلاة بوحي من الله تعالى وكان اليهود هم سبب سؤال قريش للنبي صلى الله عليه وسلم تلك المسائل الثلاث وأبطأ الوحي عنه ففرحت بذلك قريش واليهود وكان ذلك من اتباع شهواتهم هذا وهم عالمون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما نتنزل تنبيها على قصة قريش واليهود وان أصل تلك القصة انما حدثت من أولئك الخلف الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وختم القصص أولئك المنعم عليهم لمخاطبة أشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم واستعذارا من جبريل عليه السلام للرسول بأن ذلك الابطاء لم يكن منه اذ لا يتنزل الا بأمر الله تعالى ولما كان ابطاء الوحي سببه قصة السؤال وكونه صلى الله عليه وسلم لم يقرن أن يجيبهم بالمشيئة وكان السؤال متسببا عن اتباع اليهود شهواتهم وخفيات خبثهم اكتفى بذكر النتيجة المتأخرة عن ذكر ما آثرته شهواتهم الدنيوية وخبثهم * قال أبو العالية ما بين الأيدي الدنيا بأسرها الى النفخة الأولى وما خلف ذلك الآخرة من وقت البعث وما بين ذلك ما بين النفختين * قال ابن عطية وقول أبي العالية انما يتصور في بني آدم وهذه المقالة هي للملائكة فتأمله * وقال ابن جريج ما بين الأيدي هو ما مر من الزمان قبل الايجاد وما خلف هو ما بعد موتهم الى استمرار الآخرة وما بين ذلك هو مدة الحياة وفي كتاب التحرير والتحبير ما بين أيدينا الآخرة وما خلفنا الدنيا رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال ابن جبير وقتادة ومقاتل وسفيان * وقال مجاهد عكسه * وقال الأخفش ما بين أيدينا قبل أن نخلق وما خلفنا بعد الفناء وما بين ذلك ما بين الدنيا والآخرة * وقال مجاهد وعكرمة وأبو العالية ما بين النفختين * وقال الأخفش حين كوننا * وقال صاحب الغنيان ما بين أيدينا نزول الملائكة من السماء وما خلفنا من الارض وما بين ذلك ما بين السماء والأرض * وقال ابن

القشيري مثل قول ابن جريج ثم قال حصر الأزمنة الثلاثة وهي ان كلها لله هو منشئها ومدبر أمرها على ماشاء من تقديم انزال وتأخيره انتهى وفيه بعض تلخيص وتصرف * وقال ابن عطية انما القصد الاشعار بملك الله تعالى للملائكة وان قليل تصرفهم وكثيره انما هو بأمره وانتقالهم من مكان الى مكان انما هو بحكمته اذ الامكنة له وهم له فلو ذهب بالآية الى أن المراد بما بين الأيدي وما خلف الأمكنة التي فيها تصرفهم والمراد بما بين ذلك هم أنفسهم ومقاماتهم لكان وجها كأنه قال نحن مقيدون بالقدرة لاننتقل ولاننتزل الا بأمر ربك انتهى وماقاله فيما ابن عطية له الى آخره ذهب الى نحوه الزمخشري قال له ماقدامنا وماخلفنا من الجهات والأماكن ومانحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بأمر المليك ومشيئته والمعنى أنه محيط بكل شئ لاتخفى عليه خافية فكيف نقدم على فعل نحدثه الاصادرا عما توجبه حكمته و يأمرنا و يأذن لنا فيه انتهى * وقال البغوي له علم مابين أيدينا * وقال أبو مسلم وابن بحر ومانتنزل الآية ليس من كلام الملائكة وانما هو من كلام أهل الجنة بعضهم لبعض اذا دخلوها وهي متصلة بالآية الأولى الى قوله ومابين ذلك أي مانتنزل الجنة الابأمر ربك له مابين أيدينا أي في الجنة مستقبلا وماخلفنا مما كان في الدنيا ومابينهما أي مابين الوقتين * وحكى الزمخشري هذا القول فقال وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أي ومانتنزل الجنة الابإذن من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال تعالى تقريرا لهم وما كان ربك نسيا لأعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السموات والأرض ومابينهما انتهى * وقال القاضي هذا مخالف للظاهر من وجوه * أحدها أن ظاهر التنزيل نزول الملائكة الى الرسول عليه الصلاة والسلام ولقوله بأمر ربك فظاهر الأمر بحال التكليف أليق * وثانيها خطاب من جماعة لواحد وذلك لايليق بمخاطبة بعضهم لبعض في الجنة * وثالثها ان مافي مساقه وما كان ربك نسيا رب السموات والارض ومابينهما لايليق بحال التكليف ولا يوصف به الرسول انتهى * وقرأ الجمهور ومانتنزل بالنون عني جبريل نفسه والملائكة * وقرأ الاعرج بالياء على أنه خبر من الله * قيل والضمير في يتنزل عائد على جبريل عليه السلام * قال ابن عطية و يرده له مابين أيدينا لانه لايطرد معه وانما يتجه أن يكون خبرا عن جبريل ان القرآن لايتنزل الا بأمر الله في الاوقات التي يقدرها وكذا قال الزمخشري على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي انتهى و يحمل ذلك القول على اضمار أي ومايتنزل جبريل الا بأمر ربك قائلا له مابين أيدينا أي يقول ذلك على سبيل الاستعذار في البطء عنك بأن ربك متصرف فينا ليس لنا أن نتصرف الا بمشيئته واخبار أنه تعالى ليس بناسيك وان تأخر عنك الوحي وارتفع رب السموات على البدل أو على خبر مبتدإ محذوف * وقرأ الجمهور هل تعلم باظهار اللام عند التاء * وقرأ الاخوان وهشام وعلي بن نصر وهارون كلاهما عن أبي عمرو والحسن والاعمش وعيسى وابن محيصن بالادغام فيهما * قال أبو عبيدة هما لغتان وعلى الادغام أنشدوا بيت مزاحم العقيلي

فدر ذا ولكن هل تعين متيما * على ضوء برق آخر الليل ناصب

وعدى فاصطبر باللام على سبيل التضمين أي اثبت بالصبر لعبادته لان العبادة تورد شدائد فاثبت لها وأصله التعدية بعلى كقوله تعالى واصطبر عليها والسمي من توافق في الاسم تقول هذا سميك أي

﴿ويقول الانسان﴾ الآية سبب النزول أي رجلا من قريش قيل هو أبي بن خلف جاء بعظم رفات فنفخ فيه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيبعث هذا وسخر وكذب واسناد هذه المقالة للجنس باعتبار من بعضهم وقرىء أئذا على الاستفهام واذا على الخبر والناصب لاذا فعل محذوف تقديره أئذا مت أبعث ولا يمكن أن يعمل فيه لسوف أخرج لان لام الابتداء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها قال الزمخشري فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف انتهى ما ذكره من أن اللام تعطي معنى الحال منازع فيه فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط السؤال وأما قوله كما أخلصت الهمزة الى آخره فليس ذلك الا على مذهب من يزعم أن الأصل فيه الاله وأما من يزعم أن أصله لاه فلا تكون الهمزة فيه للتعويض اذ لم يحذف منه شيء ولو قلنا ان أصله اله وحذف فاء الكلمة لم يتعين أن الهمزة فيه في النداء للتعويض اذ لو كانت للعوض من المحذوف لثبتت دائما في النداء وغيره ولما جاز حذفها في النداء قالوا يا الله بحذفها وقد نصوا على أن قطع همزة الوصل في النداء شاذ أولا يذكر الانسان كرر لفظ الانسان تشنيعا عليه في انكاره البعث وتذكيرا له بايجاده قبل ذلك وانشائه من العدم الصرف * قال الزمخشري الواو عطفت لا يذكر على يقول وسقطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف انتهى * هذا رجوع منه الى مذهب الجماعة من أن حرف العطف اذا تقدمته الهمزة فانما عطف ما بعدها على ما قبلها وقدمت الهمزة لان لها صدر الكلام وكان مذهبه أن يقدر بين الهمزة والحرف ما يصلح أن يعطف عليه ما بعد الواو فتقر الهمزة على حالها وليست مقدمة من تأخير وقد رددنا عليه هذه المقالة و﴿من قبل﴾ أي من قبل بعثه وانكاره البعث ﴿ولم يك شيأ﴾ إشارة الى العدم الصرف وانتفاء الشيئية عنه يدل على أن المعدوم لا يسمى شيأ ولما أقام الحجة على حقيقة البعث أقسم على ذلك باسمه تعالى مضافا الى رسوله صلى الله عليه وسلم تشريفا له وتفخيما للقدر وقد تكرر هذا القسم في القرآن تعظيما لحقه ورفعا منه و﴿لنحشرنهم﴾ جواب القسم والضمير المنصوب الظاهر أنه عائد على منكري البعث قوله ويقول الانسان يريد بالانسان الجنس المنكر للبعث وقيل الضمير عام في جميع المحشورين والشياطين معطوف على الضمير المنصوب ﴿ثم لنحضرنهم﴾ ان كان الضمير عاما أحضروا ليروا النار فيفرح المؤمن بنجاته وحول منصوب على الظرف وجثيا قاعدين على الركب ﴿ثم لننزعن﴾ أي لنخرجن كقوله تعالى ونزع يده وقيل لنرمين من نزع القوس وهو الرمي بالسهم والشيعة الجماعة المرتبطة بمذهب والضمير في أيهم عائد على المحشورين المحضرين وأيهم مبني عند سيبويه وهو مفعول بلننزعن ويدل على أنه مفعول قراءة من قرأ أيهم بالنصب وأشد خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أشد وليونس والخليل مذهب في أيهم وأيها استفهام مرفوع بالابتداء ذكر ذلك في النحو * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا انتهى فيكون أيهم موصولا خبر مبتدأ محذوف وهذا تكلف ادعاء اضمار لا ضرورة تدعو اليه وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين وعتيا تمييز وأصله المصدر يقال عتا يعتو عتوا وعتيا

اسمه مثل اسمك فالمعنى انه لم يسم بلفظ الله شيء قط وكان المشركون يسمون أصنامهم آلهة والعزى اله وأما لفظ الله فلم يطلقوه على شيء من أصنامهم * وعن ابن عباس لا يسمى أحد الرحمن غيره * وقيل يحتمل أن يعود ذلك على قوله رب السموات والارض وما بينهما أي هل تعلم من يسمى أو يوصف بهذا الوصف أي ليس أحد من الأمم يسمى شيأ بهذا الاسم سوى الله * وقال مجاهد وابن جبير وقتادة سميا مثلا وشبيها وروى ذلك عن ابن عباس أيضا * قال ابن عطية وكان السمي بمعنى المسامي المضاهي فهو من السمو وهذا قول حسن ولا يحسن في ذكر يحيى انتهى يعني لم نجعل له من قبل سميا * وقال غيره يقال فلان سمي فلان اذا شاركه في اللفظ وسميه اذا كان مماثلا له في صفاته الجميلة ومناقبه * ومنه قول الشاعر

فأنت سمي للزبير ولست للزبير سميا اذ غدا ماله مثل

* وقال الزجاج هل تعلم أحدا يستحق أن يقال له خالق وقادر الا هو * وقال الضحاك ولدا ردا على من يقول ولد الله ﴿ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من

﴿ ثم لنحن أعلم ﴾ أي نحن في ذلك النزع لا نضع شيئا غير موضعه و بها أي بجهنم و ﴿ صليا ﴾ تمييز وهو في الأصل مصدر ﴿ وا[ن]
منكم الا واردها ﴾ إن نافية بمعنى ما وثم محذوف تقديره وان منكم أحد الا واردها خبر لمبتدأ محذوف ومعنى واردها أي معروض
عليها ولا يقتضى الورود الدخول * قال ابن عطية وان منكم الا واردها قسم والواو يقتضيه و يفسره قول النبي صلى الله عل[يه]
وسلم من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار الا تحلة القسم انتهى ذهل عن قول النحويين انه لا يستغني عن القسم بالجواب لدلا[لة]
المعنى إلا اذا كان الجواب باللام أو بان والجواب جاء هنا على زعمه بان النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا عليه وقو[له]
الواو يقتضيه يدل على أنها عنده واو القسم ولا يذهب نحوي الى أن مثل هذه الواو واو القسم لانه يلزم من ذلك حذف
المجرور وابقاء الجار ولا يجوز ذلك الا ان وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه كما أولوا في قولهم نع[م]
السير على بئس العير أي على عير بئس العير * وقول الشاعر   والله ما زيد بنام صاحبه * أي برجل نام صاحبه
وهذه الآية ليست من هذا الضرب اذ لم يحذف المقسم به وقامت صفته مقامه ﴿ كان على ربك ﴾

كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وان منكم الا واردها كان
على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال
الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم
أحسن أثاثا ورئيا ﴾ قيل سبب النزول ان رجلا من قريش قيل هو أبي بن خلف جاء بعظم رفات
فنفخ فيه وقال للرسول أيبعث هذا وكذب وسخر واسناد هذه المقالة للجنس بما صدر من بعضه[م]
* كقول الفرزدق

فسيف بني عبس وقد ضربوا به * نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

أسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي أو للجنس
الكافر المنكر للبعث أو المعنى أبي بن خلف أو العاصي بن وائل أو أبو جهل أو الوليد بن المغير[ة]
أقوال * وقرأ الجمهور أئذا بهمزة الاستفهام * وقرأت فرقة منهم ابن ذكوان بخلاف عنه اذ[ا]
بدون همزة الاستفهام * وقرأ الجمهور لسوف باللام * وقرأ طلحة بن مصرف سأخرج بغير لا[م]
وسين الاستقبال عوض سوف فعلى قراءته تكون اذا معمولا لقوله سأخرج لان حرف التنفيس
لا يمنع من عمل ما بعده من الفعل فيما قبله على ان فيه خلافا شاذا وصاحبه محجوج بالسماع * قا[ل]
الشاعر   فلما رأته آمناها هان وجدها * وقالت أبونا هكذا سوف يفعل
فهكذا منصوب بيفعل وهو بحرف الاستقبال * وحكى الزمخشري ان طلحة بن مصرف قر[أ]
لسأخرج وأما على قراءة الجمهور وما نقله الزمخشري من قراءة طلحة فاللام لام الابتداء فلا يعمل

اسم كان ضمير عائد على المصدر المفهوم من قوله واردها أي كان الورود ومفعول اتقوا محذوف أي الشرك والشرك هنا ظلم الكفر ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ نزلت في النضر بن الحرث وأصحابه كان فقراء الصحابة في خشونة عيش ورثاثة سربال والمشركون يدهنون رؤسهم و يرجلون شعورهم ويلبسون الحرير وفاخر الملابس فقالوا للمؤمنين أي الفريقين * خير مقاما أي منزلا
وسكنا * وأحسن نديا أي مجلسا ولما أقام الحجة على منكري البعث واتبعه بما يكون يوم القيامة أخبر عنهم أنهم عارضوا تل[ك]
الحجة الدامغة بحسن شارتهم في الدنيا وذلك عندهم يدل على كرامتهم عند الله ثم ذكر كثرة من أهلك من القرون ممن كا[ن]
أحسن حالا منهم في الدنيا تنبيها على أنه تعالى يهلكهم و يستأصل شأفتهم وكم خبرية مفعول بأهلكنا أي كثيرا أهلكنا و ﴿ م[ن]
قرن ﴾ تمييز * قال الزمخشري وهم أحسن في محل النصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نص[ب]
أحسن على الوصفية انتهى تابعه أبو البقاء على ذلك ونص أصحابنا على أن كم الخبرية والاستفهامية لا توصف ولا يوصف [بها]
فعلى هذا يكون أحسن في موضع الصفة لقرن وجمع لأن القرن هو مشتمل على افراد كثيرة فروعى معناه ولو أفر[د]
الضمير على اللفظ لكان عربيا فصيحا كلفظ جميع قال تعالى فاذا هم جميع لدينا محضرون وقال نحن جميع منتصر فوص[ف]
بالجمع و بالمفرد وقرئ ﴿ ورئيا ﴾ بهمزة ساكنة وزنه فعل بمعنى مفعول كالطحن بمعنى المطحون فمعناه مرئيا وقرئ و[ريا]
بابدال الهمزة ياء وادغام الياء في الياء بعدها وهو بمعنى المهموز وقرئ وزيا بالزاي بعدها ياء مشددة وهي البزة الحس[نة]
والاثاث الآلات المجتمعة المستحسنة

(ش) فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال * قلت لم يجامعها الا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا ألله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف (ح) ماذكره من أن اللام تعطي معنى الحال مخالف فيه فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط

السؤال وأما قوله كما أخلصت الهمزة الى آخره

بعدها فيما قبلها فيقدر العامل محذوفا من معنى لسوف أخرج تقديره اذا مامت أبعث * وقال الزمخشري (فان قلت) لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال (قلت) لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف انتهى وما ذكر من ان اللام تعطي معنى الحال مخالف فيه فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط السؤال وأما قوله كما أخلصت الهمزة الى آخره فليس ذلك الا على مذهب من يزعم ان الأصل فيه اله وأما من يزعم ان أصله لاه فلا تكون الهمزة فيه للتعويض اذ لم يحذف منه شئ ولو قلنا ان أصله اله وحذفت فاء الكلمة لم يتعين ان الهمزة فيه في النداء للتعويض اذ لو كانت للعوض من المحذوف لثبتت دائما في النداء وغيره ولما جاز حذفها في النداء قالوا يا الله بحذفها وقد نصوا على ان قطع همزة الوصل في النداء شاذ * وقال ابن عطية واللام في قوله لسوف مجلوبة على الحكاية لكلام تقدم بهذا المعنى كأن قائلا قال للكافر اذا مت يافلان لسوف تخرج حيا فقرر الكلام على الكلام على جهة الاستبعاد وكرر اللام حكاية للقول الاول انتهى ولا يحتاج الى هذا التقدير ولا ان هذا حكاية لقول تقدم بل هذا من الكافر استفهام فيه معنى الجحد والانكار ومن قرأ اذا ما فإن تكون حذفت الهمزة لدلالة المعنى عليه واما أن يكون اخبارا على سبيل الهزء والسخرية بمن يقول ذلك اذ لم يرد به مطابقة اللفظ للمعنى * وقرأ الجمهور أخرج مبنيا للمفعول * وقرأ الحسن وأبو حيوة مبنيا للفاعل * وقال الزمخشري وايلاء الظرف حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت اليه * وقرأ أبو بحرية والحسن وشيبة وابن أبي ليلى وابن مناذر وأبو حاتم ومن السبعة عاصم وابن عامر ونافع أولا يذكر خفيفا مضارع ذكر * وقرأ باقي السبعة بفتح الذال والكاف وتشديدهما أصله يتذكر أدغم التاء في الذال * وقرأ أبي يتذكر على الأصل * قال الزمخشري الواو عاطفة لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف انتهى وهذا رجوع منه الى مذهب الجماعة من ان حرف العطف اذا تقدمته الهمزة فانما عطف ما بعدها على ما قبلها وقدمت الهمزة لأن لها صدر الكلام وكان مذهبه أن يقدر بين الهمزة والحرف ما يصلح أن يعطف عليه ما بعد الواو فيقر الهمزة على حالها وليست مقدمة من تأخير وقد رددنا عليه هذه المقالة * انا خلقناه من قبل أي أنشأناه واخترعناه من العدم الصرف الى الوجود فكيف ينكر النشأة الثانية وهذه الحجة في غاية الاختصار والالزام للخصم ويسمى هذا النوع الاحتجاج النظري وبعضهم يسميه المذهب الكلامي وقد تكرر هذا الاحتجاج في القرآن ولم يك شيئا اشارة الى العدم الصرف وانتفاء الشيئية عنه يدل على ان المعدوم لا يسمى شيئا * وقال أبو علي الفارسي ولم يك شيئا موجود أوهي نزغة اعتزالية والمحذوف المضاف اليه قبل في التقدير قدره بعضهم من قبل بعثه

فليس ذلك الا على مذهب من يزعم ان الأصل فيه الاه وأما من يزعم أن أصله لاه فلا تكون الهمزة فيه للتعويض اذ لم يحذف منه شئ ولو قلنا ان أصله الاه وحذفت فاء الكلمة لم يتعين ان الهمزة فيه في النداء للتعويض اذ لو كانت للعوض من المحذوف لثبتت دائما في النداء وغيره ولما جاز حذفها في النداء قالوا يا الله بحذفها وقد نصوا على أن قطع همزة الوصل في النداء شاذ

(ع) واللام في قوله لسوف مجلوبة على الحكاية لكلام تقدم بهذا المعنى كأن قائلا قال للكافر اذا مت يافلان لسوف تخرج حيا فنزل الكلام على الكلام على جهة الاستبعاد وكرر اللام حكاية للقول الأول (ح) لا يحتاج الى هذا التقدير ولا ان هذا حكاية لكلام لقول تقدم بل هذا من الكافر استفهام فيه معنى الجحد والانكار (ش) الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف (ح) هذا رجوع منه الى مذهب الجماعة من أن حرف العطف اذا تقدمته الهمزة فانما عطف ما بعدها على ما قبلها وقدمت الهمزة لأن لها صدر الكلام وكان مذهبه أن يقدر بين الهمزة والحرف ما يصلح أن يعطف عليه ما بعد الواو فتقر الهمزة على حالها وليست مقدمة من تأخير وقد رددنا عليه هذه المقالة

وقدره الزمخشري من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه انتهى * ولما أقام تعالى الحجة الدامغة على حقية البعث أقسم على ذلك باسمه مضافا الى رسوله تشريفا له وتفخيما وقد تكرر هذا القسم في القرآن تعظيما لحقه ورفعا منه كما رفع من شأن السماء والارض بقوله فورب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين للعطف أو بمعنى مع يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وهذا اذا كان الضمير في لنحشرنهم للكفرة وهو قول ابن عطية وما جاء بعد ذلك فهو من الاخبار عنهم وبدأ به الزمخشري والظاهر انه عام للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم ولم يفرق بين المؤمنين والكافرين كما فرق في الجزاء وأحضروا جميعا وأوردوا النار ليعاين المؤمنون الاهوال التي نجوا منها فيسروا بذلك ويشمتوا بأعدائهم الكفار واذا كان الضمير عاما فالمعنى انهم يجاثون عند موافاة شاطئ جهنم كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التوافق للحساب قبل الوصول الى الثواب والعقاب وقال تعالى في حالة الموقف وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها وجثيا حال مقدرة * وعن ابن عباس قعودا وعنه جماعات جماعات جمع جثوة وهو المجموع من التراب والحجارة * وقال مجاهد والحسن والزجاج على الركب * وقال السدي قياما على الركب لضيق المكان بهم * وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا وعتيا وصليا بكسر الجيم والعين والصاد والجمهور بضمها ثم لننزعن أي لنخرجن كقوله ونزع يده * وقيل لنرمين من نزع القوس وهو الرمي بالسهم والشيعة الجماعة المرتبطة بمذهب * قال أبو الاحوص يبدأ بالأكابر فالأكابر جرما * وقال الزمخشري يمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب فقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم والضمير في أيهم عائد على المحشورين المحضرين * وقرأ الجمهور أيهم بالرفع وهي حركة بناء على مذهب سيبويه فأيهم مفعول بننزعن وهي موصولة وأشد خبر مبتدا محذوف والجملة صلة لأيهم وحركة اعراب على مذهب الخليل ويونس على اختلاف في التخريج وأيهم أشد مبتدأ وخبر محكي على مذهب الخليل أي الذين يقال فيهم أيهم أشد وفي موضع نصب فيعلق عنه لننزعن على مذهب يونس والترجيح بين هذه المذاهب مذكور في علم النحو * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل انهم أشد عتيا انتهى فتكون أيهم موصولة خبر مبتدا محذوف وهذا تكلف وادعاء اضمار لاضرورة تدعو اليه وجعل ما ظاهره انه جملة واحدة جملتين وقرن الخليل تخريجه بقول الشاعر ولقد أبيت من الفتاة بمنزل * فأبيت لا حرج ولا محروم

أي فأبيت يقال في لا حرج ولا محروم ورجح الزجاج قول الخليل وذكر عنه النحاس أنه غلط سيبويه في هذه المسئلة * قال سيبويه ويلزم على هذا أن يجوز اضرب السارق الخبيث الذي يقال له قيل وليس بلازم من حيث هذه أسماء مفردة والآية جملة وتسلط الفعل على المفرد أعظم منه على الجملة ومذهب الكسائي ان معنى لننزعن لننادين فعومل معاملته فلم تعمل في أي انتهى ونقل هذا عن الفراء * قال المهدوي ونادى تعلق اذا كان بعده جملة نصب فتعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ * وقال المبرد أيهم متعلق بشيعة فلذلك ارتفع والمعنى من الذين تشايعوا أيهم أشد كأنهم يتبادرون الى هذا ويلزم أن يقدر مفعولا لننزعن محذوفا وقدر أيضا في هذا المذهب من الذين تشايعوا أيهم أي من الذين تعاونوا فنظروا أيهم أشد * قال النحاس وهذا قول حسن * وقد حكى الكسائي

(الدر)

(ش) ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم أشد عتيا (ح) فيكون ايهم موصولة خبر مبتدأ محذوف وهذا تكلف وادعاء اضمار لاضرورة تدعو اليه وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين

ان التشايع هو التعاون * وحكى أبو بكر بن شقير ان بعض الكوفيين يقول في أيهم معنى الشرط تقول ضربت القوم أيهم غضب والمعنى ان غضبوا أولم يغضبوا فعلى هذا يكون التقدير ان اشتد عتوهم أولم يشتد * وقرأ طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء وزائدة عن الأعمش أيهم بالنصب مفعولا بلننزعن وهاتان القراءتان تدلان على أن مذهب سيبويه أنه لا يتحتم فيها البناء اذا أضيفت وحذف صدر صلتها وقد نقل عنه تحتم البناء وينبغي أن يكون فيه على مذهبه البناء والاعراب * قال أبو عمرو الجرمي خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق الى مكة أحدا يقول لأضربن أيهم قائم بالضم بل ينصبها انتهى * وقال أبو جعفر النحاس وما علمت أحدا من النحويين الا وقد خطأ سيبويه وسمعت أبا اسحاق يعني الزجاج يقول ما تبين ان سيبويه غلط في كتابه الا في موضعين هذا أحدهما * قال وقد أعرب سيبويه أيا وهي مفردة لأنها تضاف فكيف يبنيها وهي مضافة وعلى الرحمن متعلق بأشد وعتيا تمييز محول من المبتدإ تقديره أيهم هو عتوه أشد على الرحمن وفي الكلام حذف تقديره فيلقيه في أشد العذاب أو فيبدأ بعذابه ثم بمن دونه الى آخرهم عذابا وفي الحديث انه تبدو عنق من النار فتقول اني أمرت بكل جبار عنيد فتلتقطهم وفي بعض الآثار يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الأكفر فالأكفر * قال ابن عباس عتيا جراءة * وقال مجاهد فجرا * وقيل افتراء بلغة تميم * وقيل عتيا جمع عات فانتصابه على الحال * ثم لنحن أعلم أي نحن في ذلك النزع لا نضع شيأ غير موضعه لأنا قد أحطنا علما بكل واحد فأولى بصلي النار نعلمه * قال ابن جريج أولى بالخلود * وقال الكلبي صليا دخولا * وقيل لزوما * وقيل جمع صال فانتصب على الحال وبها متعلق بأولى والواو في قوله وان منكم للعطف * وقال ابن عطية وان منكم الا واردها قسم والواو تقتضيه ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار الا تحلة القسم انتهى وذهل عن قول النحويين انه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى الا اذا كان الجواب باللام أو بان والجواب هنا جاء على زعمه بان النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا وقوله والواو تقتضيه يدل على أنها عنده واو القسم ولا يذهب نحوي الى أن مثل هذه الواو واو قسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وابقاء الجار ولا يجوز ذلك الا ان وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه كما أولوا في قولهم نعم السير على بئس العير أي على عير بئس العير * وقول الشاعر * والله ما زيد بنام صاحبه * أي برجل نام صاحبه وهذه الآية ليست من هذا الضرب اذ لم يحذف المقسم به وقامت صفته مقامه * وقرأ الجمهور منكم بكاف الخطاب والظاهر انه عام للخلق وأنه ليس الورود الدخول لجميعهم فعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها * وعن ابن عباس قد يرد الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين وورد القافلة البلد ولم تدخله ولكن قربت منه أو وصلت اليه * قال الشاعر

فلما وردن الماء زرقا جمامه * وضعن عصي الحاضر المتخيم

وتقول العرب وردنا ماء بني تميم وبني كلب اذا حضروهم ودخلوا بلادهم وليس يراد به الماء بعينه * وقيل الخطاب للكفار أي قل لهم يا محمد فيكون الورود في حقهم الدخول وعلى قول من قال الخطاب عام وان المؤمنين والكافرين يدخلون النار ولكن لا تضر المؤمنين وذكروا كيفية دخول المؤمنين النار بما لا يعجبني نقله في كتابي هذا لشناعة قولهم ان المؤمنين يدخلون النار

(الدر)

(ع) وان منكم الا واردها قسم والواو تقتضيه وتفسيره قول النبي صلى الله عليه وس[لم] من مات له ثلاثة من الولد لم تمسه النار الا تحلة القسم (ح) ذهل عن قول النحويين انه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى الا اذا كان الجواب باللام أو بان والجواب جاء هنا على زعمه بان النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا وقوله والواو تقتضيه يدل على انها عنده واو القسم ولا يذهب نحوي الى ان مثل هذه الواو واو القسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وابقاء الجار ولا يجوز ذلك الا ان وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه كما أولوا في قولهم نعم السير على بئس العير أي على عير بئس العير وقول الشاعر

* والله ما زيد بنام صاحبه * أي برجل نام صاحبه وهذه الآية ليست من هذا الضرب اذ لم يحذف القسم به وقامت صفته مقامه

وان لم تضرهم * وقرأ ابن عباس وعكرمة وجماعة وان منهم بالهاء للغيبة على ماتقدم من الضمائر * وقال الزمخشري ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وان أريد الكفار خاصة فالمعنى بين واسم كان مضمر يعود على الورود أي كان ورودهم حتما أي واجبا قضي به * وقرأ الجمهور ثم بحرف العطف وهذا يدل على أن الورود عام * وقرأ عبد الله وابن عباس وأبي وعلي والجحدري وابن أبي ليلى ومعاوية بن قرة ويعقوب ثم بفتح الثاء أي هنالك ووقف ابن أبي ليلى ثمه بهاء السكت * وقرأ الجمهور ننجي بفتح النون وتشديد الجيم * وقرأ يحيي والاعمش والكسائي وابن محيصن باسكان النون وتخفيف الجيم * وقرأت فرقة نجي بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة * وقرأ علي ننحي بحاء مهملة مضارع نحى ومفعول اتقوا محذوف أي الشرك والظلم هنا ظلم الكفر واذا تتلى عليهم آياتنا بينات نزلت في النضر بن الحارث وأصحابه كان فقراء الصحابة في خشونة عيش ورثاثة سربال والمشركون يدهنون رؤسهم ويرجلون شعورهم ويلبسون الحرير وفاخر الملابس فقالوا للمؤمنين أي الفريقين خير مقاما أي منزلا وسكنا وأحسن نديا ولما أقام الحجة على منكرى البعث وأتبعه بما يكون يوم القيامة أخبر عنهم أنهم عارضوا تلك الحجة الدامغة بحسن شارتهم في الدنيا وذلك عندهم يدل على كرامتهم على الله * وقرأ أبو حيوة والاعرج وابن محيصن يتلى بالياء والجمهور بالتاء من فوق كان المؤمن يتلو على الكافر القرآن وينوه بآيات النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الكافر انما يحسن الله لاحب الخلق اليه وينعم على أهل الحق ونحن قد أنعم علينا دونكم فنحن أغنياء وأنتم فقراء ونحن أحسن مجلسا وأجمل شارة ومعنى بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني أو ظاهرات الاعجاز أوحججا وبراهين * وبينات حال مؤكدة لان آياته تعالى لاتكون الا بهذا الوصف دائما * وقرأ الجمهور مقاما بفتح الميم * وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد والجعفي وأبو حاتم عن أبي عمرو بضم الميم واحتمل الفتح والضم أن يكون مصدرا أو موضع قيام أو اقامة وانتصابه على التمييز ثم ذكر تعالى كثيرا مما أهلك من القرون ممن كان أحسن حالا منهم في الدنيا تنبيها على أنه تعالى يهلكهم ويستأصل شأفتهم كما فعل بغيرهم واتعاظا لهم ان كانوا ممن يتعظ ولم يغن عنهم ما كانوا فيه من حسن الاثاث والرى ويعني اهلاكه بتكذيب لما جاءت به الرسل * ومن قرن تبيين لكم وكم مفعول بأهلكنا * وقال الزمخشري وهم أحسن في محل النصب صفة لكم * ألا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية انتهى وتابعه أبو البقاء على أن هم أحسن صفة لكم ونص أصحابنا على أن كم الاستفهامية والخبرية لا توصف ولا يوصف بها فعلى هذا يكون هم أحسن في موضع الصفة لقرن وجمع لان القرن هو مشتمل على أفراد كثيرة فروعي معناه ولو أفرد الضمير على اللفظ لكان عربيا فصار كلفظ جميع قال لما جميع لدينا محضرون وقال نحن جميع منتصر فوصفه بالجمع وبالمفرد وتقدم تفسير الأثاث في سورة النحل * وقرأ الجمهور ورئيا بالهمز من رؤية العين فعل بمعنى مفعول كالطحن والسقي * وقال ابن عباس الرئي المنظر * وقال الحسن معناه صورا * وقال الزهري وأبو جعفر وشيبة وطلحة في رواية الهمداني وأيوب وابن سعدان وابن ذكوان وقالون وريا بتشديد الياء من غير همز فاحتمل أن يكون مهموز الأصل من الرواء والمنظر سهلت همزته بابدالها ياء ثم أدغمت الياء في الياء واحتمل أن يكون من الري ضد العطش لان الريان من الماء له من الحسن والنضارة ما يستحب ويستحسن كما له منظر حسن من وجه آخر مما يرى ويقابل * وقرأ أبو بكر في رواية الأعمش عن عاصم وحميد ورئيا بياء ساكنة بعدها همزة

(الدر)

(ش) وهم أحسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية (ح) تابعه أبو البقاء على ان هم أحسن صفة لكم ونص أصحابنا على ان كم الاستفهامية والخبرية لاتوصف ولا يوصف بها فعلى هذا يكون هم أحسن في موضع الصفة لقرن وجمع لان القرن هو مشتمل على أفراد كثيرة فروعي معناه ولو أفرد الضمير على اللفظ لكان عربيا فصار كلفظ جميع قال لما جميع لدينا محضرون وقال نحن جميع منتصر فوصفه بالجمع وبالمفرد

﴿قل من كان فى الضلالة﴾ الآية فليمدد يحتمل أن يكون على معناه من الطلب ويكون دعاء وكان الاصل مناومنكم مدالله له أى أملى له حتى يؤول الى عذابه وكان الدعاء على صيغة الطلب لانه الأصل ويحتمل أن يكون خبرا فى المعنى وصورته صورة الأمر تقديره فيمد له كما جاء فى الأمر يراد به الخبر فى قول الشاعر * وكونى بالمكارم ذكرينى * أى تذكريننى فأوقع الأمر وأراد به الخبر وحتى غاية لما قبله وجمع الضمير فى رأوا حملا على معنى من بعد حمله مفردا فى كان وفى له إما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واظهار الله تعالى دينه على الدين كله على أيديهم وأما يوم القيامة وماينالهم من العذاب والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ماقدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لاخير مقاما وأحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم * ولما ذكر امداد الضلال لهم فى ضلالاتهم وارتباكهم فى الافتخار بنعم الدنيا عقب ذكر ذلك بزيادة هدى للمتقين المهتدين وبذكر الباقيات الصالحات التى هى بدل من تنعيمهم فى الدنيا التى تضمحل ولا تثبت * وقال الزمخشرى ويزيد معطوف على موضع فليمدد لأنه واقع موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضلال بخذلانه ويزيد المهتدى هداية بتوفيقه انتهى لايجوز أن يكون ويزيد معطوفا على موضع فليمدد سواء كان دعاء أم خبرا بصورة الأمر لأنه فى موضع الخبر ان كانت من موصولة أو فى موضع الجواب إن كانت من شرطية وعلى كلا التقديرين فالجملة من قوله ويزيد الله الذين اهتدوا عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدأ أو جملة الشرط بالجزاء الذى هو فليمدد وماعطف عليه لأن المعطوف على الخبر خبر والمعطوف على جملة الجزاء جزاء واذا كانت أداة الشرط اسما لا ظرفا تعين أن يكون فى جملة الجزاء ضمير أو مايقوم مقامه وكذا فى الجملة المعطوف عليها أى مرجعا وتقدم تفسيره فى الباقيات الصالحات فى الكهف ﴿أفرأيت الذى كفر﴾ الآية قيل نزلت فى العاص بن وائل عمل له خباب بن الارت وكان قينا أى حدادا فاجتمع له عنده دين فتقاضاه فقال لاأقضيك حتى تكفر بمحمد فقال خباب لاأكفر بمحمد حتى يميتك الله ويبعثك فقال العاصى أومبعوث أنا بعد الموت فقال خباب نعم قال فانه اذا كان ذلك فسيكون لى مال وولد وعند ذلك أقضيك دينك والهمزة فى أطلع للاستفهام ولذلك عادلتها أم ومفعول أرأيت الأول الذى كفر والمفعول الثانى جملة الاستفهام التى هى أطلع وما بعدها وتقدم الكلام على أرأيت فى الانعام عند الرحمن عهدا أى له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك مايقول وكلا حرف ردع وزجر وتنبيه على الخطأ أى فهو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه ولم يجئ كلا فى تقدم تفسيره من القرآن ﴿سنكتب مايقول﴾ كنى بالكتابة عما يترتب عليها من الجزاء فلذلك دخلت السين التى للاستقبال أى سنجازيه على مايقوله ﴿ونمد له﴾ أى نطول له من العذاب الذى يعذب به المستهزئون أى نزيده من العذاب ونضاعف له من المد ﴿ونرثه مايقول﴾ أى نسلبه المال والولد فيكون كالوارث له ﴿ويأتينا فردا﴾ أى بلا مال ولا ولد واللام فى ليكونوا لام كى يكونوا أى يتعززون بها فى النصرة والمنعة والانقاذ من العذاب والظاهر ان الضمير فى سيكفرون عائد على أقرب مذكور محدث عنه وللعنى أن الآلهة

وهو على القلب ووزنه فلعا وكأنه من راء * قال الشاعر

وكل خليل رآنى فهو قائل * من أجلك هذا هامة اليوم أوغد

* وقرئ وريا بياء بعدها ألف بعدها همزة حكاها اليزيدى وأصله ورئاء من المرآة أى يرى بعضهم بعضا حسنه * وقرأ ابن عباس فيما روى عنه طلحة وريا من غير همز ولاتشديد فتجاسر بعض الناس وقال هى لحن وليس كذلك بل لها توجيه بأن تكون من الرواء وقلب فصار وريئا ثم نقلت حركة الهمزة الى الياء وحذفت أو بأن تكون من الرى وحذفت احدى الياءين تخفيفا كما حذفت فى لاسيما والمحذوفة الثانية لانها لام الكلمة لان النقل انما حصل للكلمة بانضمامها الى الاولى فهى أولى بالحذف * وقرأ ابن عباس أيضا وابن جبير ويزيد البربرى والأعسم المكى وزيا بالزاى مشدد الياء وهى البزة الحسنة والآلات المجتمعة المستحسنة ﴿قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا مايوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب مايقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه مايقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا

سيجحدون عبادة هؤلاء اياهم ويحتمل أن يكون الضمير للمشركين ينكرون لسوء العاقبة إن يكونوا كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴿ضدا﴾ قال ابن عباس أعوانا

سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ﴾ فليمدد يحتمل أن يكون على معناه من الطلب ويكون دعاء وكان المعنى الأضل مناومنكم مد الله له أي أملى له حتى يؤول الى عذابه وكان الدعاء على صيغة الطلب لأنه الأصل ويحتمل أن يكون خبرا في المعنى وصورته صورة الأمر كأنه يقول من كان ضالا من الامم فعادة الله أنه يمده ولا يعاجله حتى يفضي ذلك الى عذابه في الآخرة * وقال الزمخشري أخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والظاهر ان حتى غاية لقوله فليمدد والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم فيها الى أن يعاينوا العذاب بنصرة الله المؤمنين أو الساعة ومقدماتها * وقال الزمخشري في هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما أي قالوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا حتى اذا رأوا ما يوعدون أي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى أن يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم انتهى هذا الوجه وهو في غاية البعد لطول الفصل بين قوله قالوا أي الفريقين وبين الغاية وفيه الفصل بجملتي اعتراض ولا يجيز ذلك أبو علي * قال الزمخشري والثاني أن يتصل بما يليها فذكر نحوا مما قدمناه وقابل قولهم خير مكانا بقوله شر مكانا وقوله وأحسن نديا بقوله وأضعف جندا لان الندي هو المجلس الجامع لوجوه القوم والاعوان والانصار والجند هم الاعوان والانصار واما العذاب واما الساعة بدل من ما المفعولة برأوا ومن موصولة مفعولة بقوله فسيعلمون وتعدى الى واحد واستفهامية والفعل قبلها معلق والجملة في موضع نصب ولما ذكر امداد الضال في ضلالته وارتباكه في الافتخار بنعم الدنيا عقب ذلك بزيادة هدى للمهتدي وبذكر الباقيات التي هي بدل من تنعمهم في الدنيا الذي يضمحل ولا يثبت ومر دا معناه مرجعا وتقدم تفسير الباقيات الصالحات في الكهف * وقال الزمخشري يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مدا ويمده الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه انتهى ولا يصح أن يكون ويزيد معطوفا على موضع فليمدد سواء كان دعاء أم خبرا بصورة الامر لانه في موضع الخبر ان كانت من موصولة أو في موضع الجواب ان كانت من شرطية وعلى كلا التقديرين فالجملة من قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدا أو جملة الشرط بالجزاء الذي هو فليمدد وما عطف عليه لان المعطوف على الخبر خبر والمعطوف على جملة الجزاء جزاء واذا كانت اداة الشرط اسما لا ظرفا تعين أن يكون في جملة الجزاء ضميره أو ما يقوم مقامه وكذا في الجملة المعطوفة عليها * وقال الزمخشري هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا أي وخير مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد مكاني زيدا (فان قلت) كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم

(الدر)

(ش) في هذه الآية وجهان أحدهما أن يكون متصلا بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما الى آخر كلامه في هذا الوجه (ح) هذا الوجه في غاية البعد لطول الفصل بين قوله قال أي الفريقين وبين الغاية وفيه الفصل بجملتي اعتراض ولا يجوّز ذلك أبو علي (ش) يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مدا ويمده الرحمن ويزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه (ح) لا يصح أن يكون ويزيد معطوفا على موضع فليمدد سواء كان دعاء أم خبرا بصورة الأمر لأنه في موضع الخبر ان كانت من موصولة أو في موضع الجواب ان كانت من شرطية وعلى كلا التقديرين فالجملة من قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدأ أو جملة الشرط بالجزاء الذي هو فليمدد وما عطف عليه لان المعطوف على الخبر خبر والمعطوف على جملة الجزاء جزاء واذا كانت اداة الشرط اسما لا ظرفا تعين أن تكون في جملة الجزاء ضميره أو ما يقوم مقامه وكذا في الجملة المعطوفة عليهما

ثواباحتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه (قلت) كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم * وقوله

شجعاء جربها الذميل تلوكه * أصلا اذا راح المطى غراثا

* وقوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذى هو أغيظ للمتهدد من أن يقال له عقابك النار (فان قلت) فما وجه التفضيل فى الخبر كان لمفاخرهم شركاء فيه (قلت) هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أى أبلغ فى حره من الشتاء فى برده انتهى أفرأيت الذى كفر بآياتنا نزلت فى العاصى بن وائل عمل له خباب بن الارت عملا وكان قينا فاجتمع له عنده دين فتقاضاه فقال لا أنصفك حتى تكفر بمحمد فقال خباب لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله و يبعثك فقال العاصى أومبعوث أنا بعد الموت فقال خباب نعم قال فانه اذا كان ذلك فسيكون لى مال وولد وعند ذلك أقضيك دينك * وقال الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة وقد كانت للوليد أيضا أقوال تشبه هذا الغرض ولما كانت رؤية الاشياء سبيلا الى الاحاطة بها وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت بمعنى أخبر و الفاء للعطف أفادت التعقيب كأنه قيل أخبر أيضا بقصة هذا الكافر عقيب قصة أولئك والآيات القرآن والدلالات على البعث * وقرأ الجمهور ولدا أربعتهن هنا وفى الزخرف بفتح اللام والواو و يأتى الخلاف فى نوح * وقرأ الاعمش وطلحة والكسائى وابن أبى ليلى وابن عيسى الاصبهانى بضم الواو واسكان اللام فعلى قراءة الجمهور يكون المعنى على الجنس لا ملحوظا فيه الافراد وان كان مفرد اللفظ وعلى هذه القراءة فقيل هو جمع كأسد وأسد واحتج قائل ذلك بقول الشاعر

ولقد رأيت معاشرا * قد ثمروا مالا وولدا

* وقيل هو مرادف للولد بالفتحتين واحتجوا بقوله

فليت فلانا كان فى بطن أمه * وليت فلانا كان ولد حمار

* وقرأ عبد الله و يحيى بن يعمر بكسر الواو وسكون اللام والهمزة فى اطلع للاستفهام ولذلك عادلتها أم * وقرئ بكسر الهمزة فى الابتداء وحذفها فى الوصل على تقدير حذف همزة الاستفهام لدلالة أم عليها كقوله * بسبع رمين الجمر أم بثمان * يريد بسبع وجاء التركيب فى أرأيت على الوضع الذى ذكره سيبويه من انها تتعدى لواحد تنصبه و يكون الثانى استفهاما فأطلع وما بعده فى موضع المفعول الثانى لأرأيت وما جاء من تركيب أرأيت بمعنى أخبرنى على خلاف هذا فى الظاهر ينبغى أن يرد الى هذا بالتأويل * قال الزمخشرى أطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه واطلع الثنية * قال جرير * لاقيت مطلع الجبال وعورا * وتقول مر مطلعا لذلك الأمر أى عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن تقول أوقد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل اليه الا بأحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل الى ذلك والعهد * قيل كلمة الشهادة * وقال قتادة عمل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول * وعن الكلبى عهد الله اليه أن يؤتيه ذلك وكلا ردع وتنبيه على الخطأ الذى هو مخطئ فيما تصوره لنفسه و يتمناه فليرتدع عنه * وقرأ أبو نهيك كلا بالتنوين فيهما هنا وهو مصدر من كل السيف كلا اذا نبا عن الضريبة وانتصابه على اضمار فعل من لفظه وتقديره كلوا كلا عن عبادة الله أو عن الحق ونحو ذلك

كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما في قوارير اانتهى (ح) قوله وقرأ ابن نهيك الذي ذكر ابن خالويه وصاحب اللوامح (وع) أبو نهيك بالكنية وهو الذي تحكى عنه القراءة في الشواذ وانه قرأ كلا بفتح الكاف والتنوين وكذا حكاه عنه أبو الفتح وقال (ع) وهو يعني كلا نعت للآلهة قال وحكى عنه أي عن أبي نهيك أبو عمرو والداني كلا بضم الكاف والتنوين وهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه سيكفرون تقديره يرفضون أو يتركون أو يجحدون أو نحوه وأما قول (ش) ولقائل أن يقول الى آخره فليس بجيد لانه قال انها التي للردع والتي للردع حرف ولا وجه لقلب ألفها نونا وتشبيهه بقوارير اليس بجيد لان قوارير ا اسم

وكني بالكتابة عن ما يترتب عليها من الجزاء فلذلك دخلت السين التي للاستقبال أي سنجازيه على ما يقوله * وقال الزمخشري فيه وجهان أحدهما سيظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله

* اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * أي تبين وعلم بالانتساب اني لست ابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف أنتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستأخر فجردها هنا لمعنى الوعيد انتهى * وقرأ الجمهور سنكتب بالنون والأعمش بياء مضمومة والتاء مفتوحة مبنيا للمفعول وذكرت عن عاصم ونمد أي نطول له من العذاب الذي يعذب به المستهزئون أو نزيده من العذاب ونضاعف له المدد * وقرأ علي بن أبي طالب ونمده يقال مده وأمده بمعنى ونرثه ما يقول أي نسلبه المال والولد فنكون كالوارث له * وقال الكلبي نجعل ما يتمنى من الجنة لغيره * وقال أبو سهيل نحرمه ما يتمناه من المال والولد ونجعله لغيره * قال الزمخشري ويحتمل انه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به أشعبيته أن تألى على الله في قوله لأوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وعلا هب انا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له انتهى * وقال النحاس ونرثه ما يقول معناه نحفظه عليه للعاقبة ومنه العلماء ورثة الانبياء أي حفظة ما قالوه انتهى وفردا تتضمن ذلته وعدم أنصاره ويقول صلة ما مضارع والمعنى على الماضي أي ما قال والضمير في واتخذوا العبادة الاصنام وقد تقدم ما يعود عليه وهم الظالمون في قوله ونذر الظالمين فكل ضمير جمع مما بعده عائد عليه ان كان مما يمكن عوده عليه واللام في ليكونوا لام كي أي ليكونوا أي الآلهة لهم عزا يتعززون بها في النصرة والمنفعة والانقاذ من العذاب كلا * قال الزمخشري كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة * وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم أي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما في قواريرا انتهى فقوله وقرأ ابن نهيك الذي ذكر ابن خالويه وصاحب اللوامح وابن عطية وأبو نهيك بالكنية وهو الذي يحكى عنه القراءة في الشواذ وانه قرأ كلا بفتح الكاف والتنوين وكذا حكاه عنه أبو الفتح * وقال ابن عطية وهو يعني كلا نعت للآلهة قال وحكى عنه أي عن أبي نهيك أبو عمرو الداني كلا بضم الكاف والتنوين وهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه سيكفرون تقديره يرفضون أو يتركون أو يجحدون أو نحوه وأما قول الزمخشري ولقائل أن يقول الى آخره فليس بجيد لانه قال انها التي للردع والتي للردع حرف ولا وجه لقلب ألفها نونا وتشبيهه بقواريرا ليس بجيد لان قواريرا اسم رجع به الى أصله فالتنوين ليس بدلا من ألف بل هو تنوين الصرف وهذا الجمع مختلف فيه أيتحتم منع صرفه أم يجوز قولان ومنقول أيضا ان لغة للعرب يصرفون ما لا ينصرف عند غيرهم فهذا التنوين اما على قول من لا يرى بالتحتم أو على تلك اللغة وذكر الطبري عن أبي نهيك انه قرأ كل بضم الكاف ورفع اللام ورفعه على الابتداء والجملة بعده الخبر وتقدم ظاهر وهو الآلهة وتلاه ضمير في قوله ليكونوا فالأظهر ان

رجع به الى أصله فالتنوين ليس بدلا من ألف بل هو تنوين الصرف وهذا الجمع مختلف فيه أيتحتم منع صرفه أم يجوز قولان ومنقول أيضا أن لغة العرب يصرفون ما لا ينصرف عند غيرهم فهذا التنوين اما على قول من لا يرى بالتحتم أو على تلك اللغة

﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ الآية أرسلنا معناه سلطنا ولذلك عداه بعلى ومعنى تؤزهم أي تحركهم الى الكفر ﴿فلا تعجل عليهم﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ﴿انما نعد لهم عدا﴾ أياما محصورة وانفاسا معدودة كأنها في سرعة تقضيها تعد وعدى نحشر بالى الرحمن تعظيما لهم وتشريفا وذكر صفة الرحمانية التي خصهم بها كرامة اذ لفظ الحشر فيه جمع من أماكن متفرقة وأقطار شاسعة على سبيل القهر فجاءت لفظة الرحمن مؤذنة بانهم يحشرون الى من يرحمهم ولفظة الوفد مشعرة بالاكرام والتبجيل كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم ولفظة السوق فيه ازعاج وهوان وعدى بالى جهنم تفظيعا لهم وتشنيعا لحال مقرهم والورد مصدر ورد أي سار الى الماء كما قال الشاعر

ردي ورد قطاة صما * كدرية أعجبها وردالما

وأطلق الورد على العطاش تسمية للشئ بسببه اذ لا يرد الماء الا من كان عطشانا * والضمير في لا يملكون عائد على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين اذ هم قسماه والاستثناء متصل ومن بدل من ذلك الضمير * وقال الزمخشري ويجوز أن تكون يعني الواو في لا يملكون علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع انتهى * لا ينبغي حمل القرآن على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو ضميرا وذكر الاستاذ أبو الحسن بن عصفور أنه لغة ضعيفة وأيضا فالواو والألف والنون التي تكون علامات لا ضمائر لا يحفظ ما يجيء بعدها فاعلا الا بصريح الجمع وصريح التثنية أو العطف اما أن يأتي بلفظ مفرد يطلق على جمع أو على مثنى فيحتاج في اثبات ذلك الى نقل عن العرب وأما عود الضمائر مثناة ومجموعة على مفرد في اللفظ يراد به المثنى والمجموع فمسموع معروف في لسان العرب على أنه يمكن قياس هذه العلامات على تلك الضمائر ولكن الأحوط أن لا يقال ذلك الا بسماع * والعهد هنا قال ابن عباس لا إله الا الله محمد رسول الله ﴿وقالوا اتخذ الرحمن﴾ الضمير في قالوا عائد على بعض اليهود حيث قالوا عزير ابن الله وبعض النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وبعض مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿لقد جئتم﴾ فيه التفات من ضمير الغيبة في قالوا الى ضمير الخطاب في جئتم زيادة تسجيل عليهم بالجراءة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظيم ما قالوا ﴿شيئا ادا﴾ الاد بفتح الهمزة والاد بكسرها العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وآدني الامر أثقلني وعظم علي وقرئ يكاد بالياء وبالتاء وقرئ * يتفطرن وينفطرن ومعنى يتفطرن يتشققن منه أي من نسبة الولد الى الله * وهدا منصوب على الحال ومعناه هدما وسقوطا ﴿أن دعوا للرحمن ولدا﴾ أن مع الفعل بتأويل المصدر وهو تعليل للافعال قبله من الانفطار والانشقاق والخرور * قال الزمخشري يجوز في أن دعوا ثلاثة أوجه أن يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله * على حالة لو أن في القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم * ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل أي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد ولهد بدعاء الولد ومرفوعا بأنه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن انتهى * الأول فيه بعد لكثرة الفصل بين البدل والمبدل منه بجملتين والثاني أيضا فيه بعد لأن

الضمير في سيكفرون عائد على أقرب مذكور محدث عنه فالمعنى ان الآلهة سيجحدون عبادة هؤلاء اياهم كما قال واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم وفي آخرها فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وتكون آلهتهم هنا مخصوصا بمن يعقل أو يجعل الله للآلهة غير العاقلة ادراكا تنكر به عبادة عابديه ويجوز أن يكون الضمير للمشركين ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين لكن قوله ويكونون يرجح القول الأول لاتساق الضمائر لواحد وعلى القول الآخر يختلف الضمائر اذ يكون في سيكفرون للمشركين وفي يكونون للآلهة ومعنى ضدا أعوانا قاله ابن عباس * وقال الضحاك أعداء * وقال قتادة قرناء * وقال ابن زيد بلاء * وقال ابن عطية معناه يجيئهم منه خلاف ما كانوا أملوه فيؤول بهم ذلك الى ذلة ضد ما أملوه من العز فالضد هنا مصدر وصف به الجمع كما يوصف به الواحد * وقال الزمخشري والضد العون وحد توحيد وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشئ واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كونهم عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما

الظاهرأن هذا لا يكون مفعولاله بل مصدر من معنى وتخرأو فى موضع الحال والثالث أيضا بعيد لأن ظاهر هـذا أن يكون مصـدرا توكيديا والمصدر التوكيـدى لايعمل ولو فرضناه غير توكيدى لم يعمل بقياس الا ان كان أمرا أومستفهما عنه نحو ضربا زيدا واضربا زيدا على خلاف فيه وأما ان كان خبرا كما قدره الزمخشرى أى هـدها دعاء الولد للرحمن فلا يقاس بل ما جاء من ذلك فهو نادر كقول امرىء القيس * وقوفا بها صحبى على مطيهم * أى وقف صحبى ومعنى دعوا انسبوا لله الولد وينبغى مطاوع لبغى بمعنى طلب أى وما يتأتى له اتخاذ الولد لأن الولد مستحيـل وينبغى من الافعال التى تتصرف وسمع فيها الماضى قالوا ابتغى وقـد عدها ابن مالك فى التسهيل من الافعال التى لا تتصرف وهو غلط * وكل مبتدأ مضافة الى من الموصولة أى وكل الذى والخبر قوله الا آتى وقال الزمخشرى من موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب فى قوله *رب من أنضجت غيظا صدره* انتهى * الأولى جعلها موصولة لأن كونها موصوفـة بالنسبة الى الموصولة قليل *وانتصب عبدا على الحال ثم ذكر تعالى أنه أحصاهم وأحاط بهم وحصرهم بالعدد فلم يفته أحد منهم وانتصب فردا على الحال أى منفردا ليس معه أحد ممن جعلوه شريكا له وخبر كلهم آتيه *فردا وكل اذا أضـيف الى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم وكل الناس فالمنقول انه يجوز أن يعود الضمير مفردا على لفظ كل فتقول كلكم ذاهب ويجوز أن يعود جمعا مراعاة للمعنى فتقول كلكم ذاهبون *والسين فى سيجعـل للاستقبال فاحتمـل أن يكون هذا الجعل فى الدنيا وهى بأداة الاسـتقبال لأن المؤمنـين كانوا بمكة حال نزول هـذه السورة وكانوا ممقوتين من الكفرة فوعـدهم الله بذلك اذا ظهـر الاسـلام وفشا واحتمل أن يكون ذلك فى الدنيا الا على الاطلاق ومعـنى ودّا أى محبـة والضمـير فى يسرناه عائد على القرآن أى أنزلناه عليـك ميسرا سهلا بلسانك أى بلغتك وهو اللسان العربى المبـين *﴿لتبشر به المتقين﴾* أى تخـبرهم بما يسرهم وبما يكون لهم من الثواب على تقواهم * واللدّ جمع ألدّ وهو الشديد الخصومة فى الباطل *﴿وكم أهلـكنا﴾* تخـويف لهم وانذار بالاهلاك بالعذاب والضمير فى قبلهم عائد على قـوما لدا وهـل تحس استفهام معناه النفى وكم خـبرية بأهلـكنا أى كثيرا أهلـكنا ومن أحد مفعول بتحس ومن زائدة *﴿والركز﴾* قال ابن عباس الصوت الخفى

ينبـغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلـكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾* أرسـلنا معناه سلطنا أولم نحل بينهم وبينهم مثل قوله نقيض له شيطانا وتعديته بعلى دليل على انه تسليط وتؤزهم تحركهم الى الكفر * وقال قتادة تزعجهـم * وقال ابن زيد تشليهم *وقال الزمخشرى تغريهـم على المعاصى وتهيجهـم لها بالوسـاوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم والمراد تعجيب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم بعد الآيات التى ذكر فيها العتاة من الكفار وأقاويلهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه أى لا تعجل عليهـم بأن يهلكوا فليس بينـك وبين ما تطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معـدودة كأنها فى سرعة تقضيها الساعـة التى تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تسـتعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار انتهى * وقيل نعد أعمالهم لنجازيهم *وقيل آجالهم فاذا جاء أجلنا العقوبة بهم * وقيل أيامهم التى سبق قضاؤنا أن نمهلهم اليها *وقيل أنفاسـهم وانتصب يوم باذكر أو احـذر مضمرة أو على تقدير يكون ذلك جوابا لسؤال مقدر تقـديره متى يكون ذلك أو سيكفرون بعبادتهـم أو بيكونون عليهم ضدا أو بمعنى بعدا وتضمن العد والاحصاء معنى المجازاة أو يوم نحشر ونسوق نفعـل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف أو بلا يملكون وكلها مقول فى نصب يوم والاوجـه الأخير وعـدى نحشر بالى الرحمن تعظيما لهم وتشريفا وذكر صـفة الرحمانيـة التى خصهم بها كرامة اذ لفظ الحشر فيـه جمع من أماكن متفرقة وأقطار شاسعة على سبيل القهر فجاءت لفظة الرحمن مؤذنة بأنهم يحشرون الى من يرحمهم ولفظ السوق فيه ازعاج وهو ان عدى بالى جهنم تفظيعا لهم وتبشيعا لحال مقرهم ولفظة الوفد مشعرة بالاكرام والتبجيل كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عنـده * وعن على على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سرجها ياقوت وعنـه أيضا انهـم

يجيئون ركبانا على النوق المحلاة بحلية الجنة خطمها من ياقوت وزبرجد وروى عمرو بن قيس الملائى انهم يركبون على تماثيل من أعمالهم الصالحة هى فى غاية الحسن وروى انه يركب كل أحد منهم ما أحب من ابل أو خيل أو سفن تجيء عائمة بهم والظاهر ان هذه الوفادة بعد انقضاء الحساب وانها النهوض الى الجنة كما قال فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وشبهوا بالوفود لانهم سراة الناس وأحسنهم شكلا وليست وفادة حقيقية لانها تتضمن الانصراف من الموفود عليه وهؤلاء مقيمون أبدا فى ثواب ربهم وهو الجنة والورد العطاش قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن والورد مصدر ورد أى سار الى الماء * قال الراجز

ردى ردى ورد قطاة صما * كدرية أعجبها برد الماء

ولما كان من يرد الماء لا يرده الا العطش أطلق الورد على العطاش تسمية للشئ بسببه * وقرأ الحسن والجحدرى يحشر المتقون ويساق المجرمون مبنيا للمفعول والضمير فى لا يملكون عائد على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين اذهم قسماه والاستثناء متصل ومن بدل من ذلك الضمير أو نصب على الاستثناء ولا يملكون استئناف اخبار * وقيل موضعه نصب على الحال من الضمير فى لا يملكون ويكون عائدا على المجرمين والمعنى غير مالكين أن يشفع لهم ويكون على هذا الاستثناء منقطعا * وقيل الضمير فى لا يملكون عائد على المتقين والمجرمين والاستثناء متصل * وقيل عائد على المتقين واتخاذ العهد هو العمل الصالح الذى يحصل به فى حيز من يشفع وتظافرت الاحاديث على ان أهل العلم والصلاح يشفعون فيشفعون وفى الحديث ان فى أمتى رجلا يدخل الله بشفاعته أكثر من بنى تميم * وقال قتادة كنا نحدث ان الشهيد يشفع فى سبعين * وقال بعض من جعل الضمير للمتقين المعنى لا يملك المتقون الشفاعة الا لهذا الصنف فعلى هذا يكون من اتخذ المشفوع فيهم وعلى التأويل الأول يكون من اتخذ الشافعين فالتقدير على التقدير الثانى لا يملكون الشفاعة لأحد الا من اتخذ فيكون فى موضع نصب كما قال

* فلم يبق الا الجفن سيف ومئزرا * أى لم يبق شئ الا الجفن سيف وعلى هذه الأقوال الواو ضمير * وقال الزمخشرى ويجوز أن تكون يعنى الواو فى لا يملكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه فى معنى الجمع انتهى ولا ينبغى حمل القرآن على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو ضميرا وذكر الاستاذ أبو الحسن بن عصفور انها لغة ضعيفة وأيضا فالواو والألف والنون التى تكون علامات لاضمار لا يحفظ ما يجيء بعدها فاعلا الا بصريح الجمع وصريح التثنية أو العطف اما أن تأتى بلفظ مفرد يطلق على جمع أو على مثنى فيحتاج فى اثبات ذلك الى نقل وأما عود الضمائر مثناة ومجموعة على مفرد فى اللفظ يراد به المثنى والمجموع فمسموع معروف فى لسان العرب على أنه يمكن قياس هذه العلامات على تلك الضمائر ولكن الأحفظ أن لا يقال ذلك الا بسماع * وقال الزمخشرى ويجوز أن ينتصب يعنى من على تقدير حذف المضاف أى الا شفاعة من اتخذ * والعهد هنا * قال ابن عباس لا اله الا الله محمد رسول الله وفى الحديث من قال لا اله الا الله محمد رسول الله كان له عند الله عهد * وقال السدى العهد الطاعة * وقال ابن جريج العمل الصالح * وقال الليث حفظ كتاب الله * وقيل عهد الله اذنه لمن شاء فى الشفاعة من عهد الامير الى فلان بكذا أى أمره به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها ويؤيده ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن * لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى

(الدر)

(ش) ويجوز أن تكون يعنى الواو فى لا يملكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه فى معنى الجمع (ح) لا ينبغى حمل القرآن على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو ضميرا وذكر الأستاذ أبو الحسن بن عصفور أنها لغة ضعيفة وأيضا فالواو والالف والنون التى تكون علامات الاضمار لا يحفظ ما يجيء بعدها فاعلا الا بصريح الجمع وصريح التثنية أو العطف اما أن يؤتى بلفظ مفرد يطلق على جمع أو على مثنى فيحتاج فى اثبات ذلك الى نقل عن العرب وأما عود الضمائر مثناة ومجموعة على مفرد فى اللفظ يراد به المثنى والمجموع فمسموع معروف من لسان العرب على انه يمكن قياس هذه العلامات على تلك الضمائر ولكن الأحوط أن لا يقال ذلك الا بسماع

* وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون المجرمون يعم الكفرة والعصاة ثم أخبر انهم لا يملكون الشفاعة الا العصاة المؤمنون فانهم سيشفع فيهم فيكون الاستثناء متصلا وفي الحديث لا أزال أشفع حتى أقول يارب شفعني فيمن قال لا اله الا الله فيقول يا محمد انها ليست لك ولكنها لي انتهى وحمل المجرمين على الكفار والعصاة بعيد * وقال ابن عطية أيضا ويحتمل أن يراد بمن اتخذ محمد عليه الصلاة والسلام وبالشفاعة الخاصة لمحمد العامة للناس وقوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا والضمير في لا يملكون لأهل الموقف انتهى وفيه بعض تلخيص وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير في قالوا عائد على بعض اليهود حيث قالوا عزير ابن الله وبعض النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وبعض مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله لقد جئتم أي قل لهم يا محمد لقد جئتم أو يكون التفاتا خرج من الغيبة الى الخطاب زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظيم ما قالوا * وقرأ الجمهور إدا بكسر الهمزة وعلي بن أبي طالب وأبو عبد الرحمن بفتحها أي شيئا ادا حذف المضاف وأقيم المصدر مقامه * وقرأ نافع والكسائي يكاد بالياء من تحت وكذا في الشورى وهي قراءة أبي حيوة والأعمش * وقرأ باقي السبعة بالتاء * وقرأ ينفطرن مضارع انفطر وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم وابن عامر هنا وهي قراءة أبي بحرية والزهري وطلحة وحميد واليزيدي ويعقوب وأبي عبيد * وقرأ باقي السبعة يتفطرن مضارع تفطر والتي في الشورى قرأها أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بالياء والنون وباقي السبعة بالياء والتاء والتشديد * وقرأ ابن مسعود يتصدعن وينبغي أن يجعل تفسيرا لمخالفتها سواد المصحف المجمع عليه ولرواية الثقاة عنه كقراءة الجمهور * وقال الأخفش تكاد تريد وكذلك قوله أكاد أخفيها وأنشد شاهدا على ذلك قول الشاعر

وكادت وكدت وتلك خير ارادة * لو عاد من زمن الصبابة ما مضى

ولا حجة في هذا البيت والمعروف ان الكيدودة مقاربة الشيء وهذه الجمل عند الجمهور من باب الاستعارة لبشاعة هذا القول أي هذا حقه لو فهمت الجمادات قدره وهذا مهيع للعرب * قال جرير

لما أتى خبر الزبير تواضعت * سور المدينة والجبال الخشع

﴿ وقال آخر ﴾

ألم تر صدعا في السماء مبينا * على ابن لبيني الحارث بن هشام

﴿ وقال الآخر ﴾

فأصبح بطن مكة مقشعرا * كأن الأرض ليس بها هشام

﴿ وقال آخر ﴾

بكى حارث الجولان من فقد ربه * وحوران منه خاشع متضائل

حارث الجولان موضع * وقال الزمخشري (فان قلت) ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات (قلت) فيه وجهان أحدهما ان الله يقول كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا أعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض الآية والثاني أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها في الدين وهدمها لأركانه وقواعده وان مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر انتهى * وقال ابن عباس ان هذا الكلام فزعت منه السموات والارض والجبال

وجميع الخلائق الا الثقلين وكدن أن يزلن منه تعظيما لله تعالى * وقيل المعنى كادت القيامة أن تقوم فان هذه الأشياء تكون حقيقة يوم القيامة * وقيل تكاد السموات يتفطرن أي تسقط عليهم وتنشق الأرض أي تخسف بهم وتخر الجبال هدا أي تنطبق عليهم * وقال أبو مسلم تكاد تفعل ذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول وانتصب هدا عند النحاس على المصدر قال لأن معنى تخر تنهد انتهى وهذا على أن يكون هدا مصدر هد الحائط يهد بالكسر هديدا وهدا وهو فعل لازم * وقيل هدا مصدر في موضع الحال أي مهدودة وهذا على أن يكون هدا مصدر هد الحائط اذا هدمه وهو فعل متعد وأجاز الزمخشري أن يكون مفعولا له أي لأنها تهد وأجاز الزمخشري في أن دعوا ثلاثة أوجه * قال ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله

على حالة لو أن في القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم

وهذا فيه بعد لكثرة الفصل بين البدل والمبدل منه بجملتين قال ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل أي هدا لأن دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن وهذا فيه بعد لأن الظاهر ان هدا لا يكون مفعولا بل مصدر من معنى وتخر أو في موضع الحال قال ومرفوعا بأنه فاعل هدا أي هدها دعاء الولد للرحمن وهذا فيه بعد لأن ظاهر هدا أن يكون مصدرا توكيديا والمصدر التوكيدي لا يعمل ولو فرضناه غير توكيد لم يعمل بقياس الا ان كان أمرا أو مستفهما عنه نحو ضربا زيدا واضربا زيدا على خلاف فيه وأما ان كان خبرا كما قدره الزمخشري أي هدها دعاء الرحمن فلا ينقاس بل ما جاء من ذلك هو نادر كقوله * وقوفا بها صحبي على مطيهم * أي وقف صحبي * وقال الحوفي وأبو البقاء أن دعوا في موضع نصب مفعول له ولم يبينا العامل فيه * وقال أبو البقاء أيضا هو في موضع جر على تقدير اللام قال وفي موضع رفع أي الموجب لذلك دعاؤهم ومعنى دعوا سموا وهي تتعدى الى اثنين حذف الأول منهما والتقدير سموا معبودهم ولدا للرحمن أي بولدان دعا هذه تتعدى لاثنين ويجوز دخول الباء على الثاني تقول دعوت ولدي بزيد أو دعوت ولدي زيدا * وقال الشاعر

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان

* وقال آخر *

ألا رب من يدعى نصيحا وان يغب * تجده بغيب منك غير نصيح

* وقال الزمخشري اقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعاله ولدا قال أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه * وقول الشاعر * انا بني نهشل لا ندعي لأب * أي لا ننتسب اليه انتهى وكون دعوا هنا بمعنى سموا هو قول الأكثرين * وقيل دعوا بمعنى جعلوا * وينبغي مطاوع لبغى بمعنى طلب أي وما يتأتى له اتخاذ الولد لان التوالد مستحيل والتبني لا يكون الا فيما هو من جنس المتبني وليس له تعالى جنس وينبغي ليس من الأفعال التي لا تتصرف بل سمع لها الماضي قالوا أنبغى وقد عدها ابن مالك في التسهيل من الأفعال التي لا تتصرف وهو غلط ومن موصولة بمعنى الذي أي ما كل الذي في السموات وكل تدخل على الذي لأنها تأتي للجنس كقوله تعالى والذي جاء بالصدق ونحو

* وكل الذي حملتني أتحمل * وقال الزمخشري من موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة

على حالة لو أن في الركب حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم

ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل أي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا أي هدها دعاء الولد للرحمن انتهى (ح) والأول فيه بعد لكثرة الفصل بين البدل والمبدل منه بجملتين والثاني أيضا فيه بعد لأن الظاهران هدا لا يكون مفعولا له بل مصدر من معنى وتخر أو في موضع الحال والثالث أيضا بعيد لأن ظاهر هدا أن يكون مصدرا توكيديا والمصدر التوكيدي لا يعمل ولو فرضناه غير توكيدي لم يعمل بقياس الا ان كان أمرا أو مستفهما عنه نحو ضربا زيدا وأضربا زيدا على خلاف فيه وأما ان كان خبرا كما قدره (ش) أي هدها دعاء الرحمن فلا ينقاس بل ما جاء من ذلك هو نادر كقول امرئ القيس * وقوفا بها صحبي على مطيهم * أي وقف صحبي (ش) من موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله

* رب من أنضجت غيظا صدره * (ح) الأولى جعلها موصولة لأن كونها موصوفة بالنسبة الى الموصولة قليل

وقوعها بعد رب فى قوله * رب من أنضجت غيظا صدره * انتهى والأولى جعلها موصولة لان كونها موصوفة بالنسبة الى الموصولة قليل * وقرأ عبدالله وابن الزبير وأبو حيوة وطلحة وأبو بحرية وابن أبى عبلة ويعقوب الا آت بالتنوين الرحمن بالنصب والجمهور بالاضافة وآتى خبر كل وانتصب عبدا على الحال وتكرر لفظ الرحمن تنبيها على انه لايستحق هذا الاسم غيره اذ أصول النعم وفروعها منه ومن فى السموات والارض يشمل من اتخذوه معبودا من الملائكة وعيسى وعزيرا بحكم ادعائهم صحة التوالد أو بحكم زعمهم ذلك فأشركوهم فى العبادة اذ خدمة الأبناء خدمة الآباء فأخبر تعالى أنه مامن معبود لهم فى السموات أو فى الارض الا يأتى الرحمن عبدا منقادا لايدعى لنفسه شيئا مما نسبوه اليه ثم ذكر تعالى انه أحصاهم وأحاط بهم وحصرهم بالعدد فلم يفته أحد منهم وانتصب فردا على الحال أى منفردا ليس معه أحد ممن جعلوه شريكا له وخبر كلهم آتيه فردا وكل اذا أضيف الى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم وكل الناس فالمنقول انه يجوز أن يعود الضمير مفردا على لفظ كل فتقول كلكم ذاهب و يجوز أن يعود جمعا مراعاة للمعنى فتقول كلكم ذاهبون وحكى ابراهيم ابن أصبغ فى كتاب رؤس المسائل الاتفاق على جواز الوجهين وعلى الجمع جاء لفظ الزمخشرى فى تفسير هذه الآية فى الكشاف وكلهم متقلبون فى ملكوته مقهورون بقهره وقد خدش فى ذلك أبو زيد السهيلى فقال كل اذا ابتدئت وكانت مضافة لفظا يعنى الى معرفة فلا يحسن الا افراد الخبر حملا على المعنى تقول كلكم ذاهب أى كل واحد منكم ذاهب هكذا هذه المسألة فى القرآن والحديث والكلام الفصيح (فان قلت) فى قوله وكلهم آتيه انما هو حمل على اللفظ لانه اسم مفرد (قلنا) بل هو اسم للجمع واسم الجمع لايخبر عنه بافراد تقول القوم ذاهبون ولا تقول القوم ذاهب وان كان لفظ القوم كلفظ المفرد وانما حسن كلكم ذاهب لانهم يقولون كل واحد منكم ذاهب فكان الافراد مراعاة لهذا المعنى انتهى و يحتاج فى اثبات كلكم ذاهبون بالجمع ونحوه الى سماع ونقل عن العرب أما ان حذف المضاف المعرفة فالمسموع من العرب الوجهان * والسين فى سيجعل للاستقبال فاحتمل أن يكون هذا الجعل فى الدنيا وجىء بأداة الاستقبال لان المؤمنين كانوا بمكة حال نزول هذه السورة وكانوا ممقوتين من الكفرة فوعدهم الله بذلك اذا ظهر الاسلام وفشا واحتمل أن يكون ذلك فى الدنيا على الاطلاق كما فى الترمذى قال اذا أحب الله عبدا نادى جبريل انى قد أحببت فلانا فأحبه قال فينادى فى السماء ثم تنزل له المحبة فى الارض قال الله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الى آخر الحديث وقال هذا حديث صحيح * قال ابن عطية و يحتمل أن تكون الآية متصلة بما قبلها فى المعنى أى ان الله تعالى لما أخبر عن اتيان كل من فى السموات والارض فى حال العبودية والانفراد أنس المؤمنين بأنه سيجعل لهم فى ذلك اليوم ودا وهو ما يظهر عليهم من كرامته لان محبة الله للعبد انما هى ما يظهر عليه من نعمه وأمارات غفرانه انتهى * وقال الزمخشرى واما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم و ينشر من ديوان أعمالهم * وقال أيضا والمعنى سيحدث لهم فى القلوب مودة و يزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التى يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع مبرة أو غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لأوليائه بكرامة خاصة كما قذف فى قلوب أعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم انتهى * وقيل فى الكلام حذف والتقدير سيدخلهم دار كرامته

على لفظ كل فتقول كلكم ذاهب و يجوز أن يعود جمعا مراعاة للمعنى فتقول كلكم ذاهبون وحكى ابراهيم بن أصبغ فى كتاب رؤس المسائل الاتفاق على جواز الوجهين وعلى الجمع جاء لفظ (ش) فى تفسير هذه الآية فى الكشاف وكلهم منقلبون فى ملكوته مقهورون بقهره وقد خدش فى ذلك أبو زيد السهيلى فقال كل اذا ابتدئت وكانت مضافة لفظا يعنى الى معرفة فلا يحسن الا افراد الخبر حملا على المعنى تقول كلكم ذاهب اى كل واحد منكم ذاهب هكذا هذه المسئلة فى القرآن والحديث والكلام الفصيح فان قلت فى قولهم وكلهم آتيه انما هو حمل على اللفظ لانه اسم مفرد قلنا بل هو اسم للجمع واسم الجمع لايخبر عنه بافراد تقول القوم ذاهبون ولا تقول القوم ذاهب وان لفظ القوم كلفظ المفرد وانما حسن كلكم ذاهب لانهم يقولون كل واحد منكم ذاهب فكان الافراد مراعاة لهذا المعنى انتهى و يحتاج فى اثبات كلكم ذاهبون بالجمع ونحوه الى سماع ونقل عن العرب اما ان حذف المضاف المعرفة فالمسموع من العرب الوجهان

و يجعل لهم ودا بسبب نزع الغل من صدورهم بخلاف الكفار فانهم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا وفي النار أيضا يتبرأ بعضهم من بعض * وقرأ الجمهور ودا بضم الواو * وقرأ أبو الحرث الحنفي بفتحها * وقرأ جناح بن حبيش ودا بكسر الواو * قيل نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن عوف كان اليهود والنصارى والمنافقون يحبونه وكان لما هاجر من مكة استوحش بالمدينة فشكا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت * وقيل نزلت في المهاجرين الى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب ألقى الله لهم ودا في قلب النجاشي وذكر النقاش انها نزلت في علي بن أبي طالب * وقال محمد بن الحنفية لا تجد مؤمنا الا وهو يحب عليا وأهل بيته انتهى ومن غريب هذا ما أنشدنا الامام اللغوي رضي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي رحمه الله تعالى لزبينا بن اسحق النصراني الرسعني

عدي وتيم لا أحاول ذكرهم * بسوء ولكني محب لهاشم
وما تعتريني في علي ورهطه * اذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم * وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم اني لأحسب حبهم * سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

وذكر أبو محمد بن حزم أن بغض علي من الكبائر * والضمير في يسرناه عائد على القرآن أي أنزلناه عليك ميسرا سهلا بلسانك أي بلغتك وهو اللسان العربي المبين * لتبشر به المتقين أي تخبرهم بما يسرهم وبما يكون لهم من الثواب على تقواهم واللدجمع * وقال ابن عباس لدا ظلمة ومجاهد فجارا والحسن صما وأبو صالح عوجا عن الحق وقتادة ذوي جدل بالباطل آخذين في كل لديد بالمراء أي في كل جانب لفرط لجاجهم يريد أهل مكة وكم أهلكنا تخويف لهم وانذار بالاهلاك بالعذاب والضمير في قوله قبلهم عائد على قوما لدا وهل تحس استفهام معناه النفي أي لا تحس * وقرأ الجمهور هل تحس مضارع أحس * وقرأ أبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة وأبو جعفر المدني تحس بفتح التاء وضم الحاء * وقرئ تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات * وقرأ حنظلة أو تسمع مضارع أسمعت مبنيا للمفعول * وقال ابن عباس الركز الصوت الخفي * قال ابن زيد الحس * وقال الحسن لما أتاهم عذابنا لم يبق منهم شخص يرى ولا صوت يسمع * وقيل المعنى ماتوا ونسي ذكرهم فلا يخبر عنهم مخبر

﴿ سورة طه عليه السلام مائة وخمس وثلاثون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * الا تذكرة لمن يخشى * تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى * الرحمن على العرش استوى * له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى * وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى * الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى * وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى * فلما أتاها نودي يا موسى اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى * وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري * ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى * وما تلك بيمينك يا موسى

قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى * قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هي حية تسعى * قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى * واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى * لنريك من آياتنا الكبرى * اذهب الى فرعون انه طغى * قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي * واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي * اشدد به أزري وأشركه في أمري * كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا * انك كنت بنا بصيرا * قال قد أوتيت سؤلك ياموسى * ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له * وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله * فرجعناك الى أمك كي تقر عينها * ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا *

* الثرى التراب الندي ويثنى ثريان ويقال ثريت التربة بللتها وثريت الارض تثرى ثرى فهي ثرية ابتل ترابها بعد الجدوبة وأثرت فهي مثرية كثر ترابها وأرض ثرى ذات ثرى * وقال ابن الاعرابي يقال فلان قريب الثرى بعيد النبط للذي يعد ولا يفي ويقال اني لارى ثرى الغضب في وجه فلان أي أثره ويقال الثرى بيني وبين فلان اذا انقطع ما بينكما * وقال جرير

فلا تنبشوا بيني وبينكم الثرى * فان الذي بيني وبينكم مثرى

آنس وجد تقول العرب هل آنست فلانا أي وجدته * وقيل أحس وهو قريب من وجد * قال الحرث بن حلزة

آنست نبأة وروعها القناص * عصرا وقد دنا الامساء

* القبس جذوة من النار تكون على رأس عود أو قصبة أو نحوه فعل بمعنى مفعول كالقبض والنفض ويقال قبست منه نارا أقبس فأقبسني أعطاني منه قبسا ومنه المقبسة لما يقتبس فيه من شقفة وغيرها واقتبست منه نارا * وعلما أي استفدته وقال المبرد أقبست الرجل علما وقبسته نارا وقال الكسائي اقبسته نارا وعلما وقبسته أيضا فيهما * الخلع والنعل معروفان وهو ازالتها من الرجل * وقيل النعل ما هو وقاية للرجل من الارض كان من جلد أو حديد أو خشب أو غيره * طوى اسم موضع * السعي المشي بسرعة وقد يطلق على العمل * ردى يردى ردى هلك وارداه أهلكه * قال دريد بن الصمة

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعبد الله ذلكم الردى

* توكأ على الشئ تحامل عليه في المشي والوقوف ومنه الاتكاء توكأت واتكأت بمعنى وتقدمت هذه المادة في سورة يوسف في قوله متكأ وشرحت هنا لاختلاف الوزنين وان كان الأصل واحدا * هش على الغنم يهش بضم الهاء خبط أوراق الشجر لتسقط وهش الى الرجل يهش بالكسر قاله ثعلب اذا بش وأظهر الفرح به والأصل في هذه المادة الرخاوة يقال رجل هش * الغنم معروف وهو اسم جنس مؤنث * المأربة بضم الراء وفتحها وكسرها الحاجة وتجمع على مآرب والارب أيضا الحاجة * الحية الحنش ينطلق على الذكر والأنثى والصغير والكبير وتقدمت مادته وكررت هنا لخصوصية المدلول وقولهم حواء للذي يصيد الحيات من باب قوة فالمادتان مختلفتان كسبط وسبطر * الازر الظهر قاله الخليل وأبو عبيدة وآزره قواه والازر أيضا القوة * وقال الشاعر

بمحنية قد آزر الضال نبتها * مجر جيوش غانمين وخيب

﴿ سورة طه ﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿طه ما أنزلنا﴾ الآية هذه السورة مكية بلا خلاف كان عليه السلام يراوح بين قدميه يقوم على رجل فنزلت * ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر تيسر القرآن بلسان الرسول أي بلغته وكان فيما علل به قوله لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا أكد ذلك بقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى والتذكرة هنا البشارة والنذارة وأن ما ادعاه المشركون من انزاله شقاء ليس كذلك بل انما أنزل تذكرة والظاهر أن طه من الحروف المقطعة نحو يس والر وما أشبههما وتقدم الكلام في أوائل البقرة والظاهر أن قوله إلا تذكرة استثناء منقطع تقديره لكن أنزلناه تذكرة فتذكرة مفعول من أجله والعامل فيه أنزلناه هذه المقدرة وفي البحر أعاريب متكلفة تنظر هنالك وانتصب ﴿تنزيلا﴾ على أنه مصدر لفعل محذوف أي نزل تنزيلا * قال الزمخشري في نصب تنزيلا وجوه أن يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لأن الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا وأن ينصب بأنزلناه لأن معنى ما أنزلناه الا تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن تنصب بيخشى مفعولا له أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين انتهى الأحسن ما قدمناه أولا من أنه منصوب بنزل مضمرة وما ذكره الزمخشري من نصبه على غير ذلك متكلف أما الاول ففيه جعل تذكرة وتنزيلا حالين وهما مصدران وجعل المصدر حالا لا ينقاس وأيضا فمدلول تذكرة ليس مدلول تنزيلا ولا تنزيلا بعض تذكرة وان كان بدلا فيكون بدل اشتمال على مذهب سيبويه يرى أن الثاني مشتمل على الأول لأن التنزيل مشتمل على التذكرة وغيرها وأما قوله لأن معنى ما أنزلناه الا تذكرة أنزلناه تذكرة فليس كذلك لان معنى الحصر يفوت في ذلك وأما نصبه على المدح فبعيد وأما نصبه بيخشى ففي غاية البعد لأن يخشى (٢٢٣) رأس آية فاصلة لا يناسب أن يكون تنزيلا مفعولا ليخشى *قال الزمخشري ويجوز أن يكون أنزلناه حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه انتهى هذا تجويز بعيد بل الظاهر أنه اخبار من الله عن نفسه ممن خلق ومن الظاهر أنها متعلقة بتنزيل ويجوز أن يكون في موضع الصفة فتتعلق بمحذوف وفي قوله ممن خلق التفات اذ فيها خروج من ضمير المتكلم وهو نا في أنزلنا الى الغيبة والملاجع العليا وصف السموات بالعلا دليل على عظم قدرة من اخترعها اذ لا يمكن وجود مثلها في علوها من غيره تعالى * قال ابن عطية ويجوز أن يكون يعني الرحمن بدلا من الضمير المستتر في خلق انتهى أرى أن مثل هذا لا يجوز لأن البدل يحل محل المبدل منه والرحمن لا يتمكن أن يحل محل الضمير لأن الضمير عائد على من الموصولة وخلو صلته والرابط هو الضمير فلا يحل محله الظاهر لعدم الرابط *قال الزمخشري روى جناح بن خبيس عن بعضهم أنه قرأ الرحمن بالكسر صفة لمن خلق ومذهب الكوفيين أن الأسماء النواقص التي لا تتم الا بصلاتها نحو من وما لا يجوز نعتها الا الذي والتي فيجوز نعتهما فعلى مذهبهم لا يجوز أن يكون الرحمن صفة لمن خلق فالأحسن أن يكون الرحمن بدلا من من وقد جرى الرحمن في القرآن مجرى العلم في ولايته العوامل ﴿له ما في السموات﴾ ما غاية يشمل من يعقل ومن لا وأنه مالك جميع ما حوت السموات والأرض ﴿وما بينهما وما تحت الثرى﴾ أي تحت الأرض السابعة قاله ابن عباس والخطاب بقوله ﴿وإن تجهر﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا والمراد أمته ولما كان خطاب الناس لا يتأتى الا بالجهر بالكلام جاء الشرط بالجهر وعلق على الجهر علمه بالسر لان علمه بالسر يتضمن علمه بالجهر أي اذا كان يعلم السر فأحرى الجهر كما قال يعلم سركم وجهركم والظاهر أن أخفى أفعل تفضيل أي وأخفى من السر * قال ابن عباس السر ما تسره الى غيرك والاخفى ما تخفيه في نفسك ﴿ الله لا إله الا هو ﴾ الله مبتدأ ولا إله الا هو الخبر ﴿وله الاسماء الحسنى﴾ خبر ثان ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من الذي يعلم السر وأخفى فقيل هو الله ﴿ الحسنى ﴾ تأنيث الأحسن وصفة المؤنثة المفردة تجري على جمع التكسير وحسن ذلك

* القذف الرمي والالقاء * الساحل شاطئ البحر وهو جانبه الخالي من الماء سمي بذلك لان الماء يسحله أي يقشره فهو فاعل بمعنى مفعول *وقال أبو تمام

هو البحر من أي النواحي أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ﴾ هذه السورة

كونها وقعت فاصلة والاحسنية كونها تضمنت المعانى التى هى فى غاية الحسن من التقديس والتعظيم والربوبية والافعال التى لايمكن صدورها الامنه تعالى

(الدر)

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

(ش) ولعل عكا تصرفوا فى ياهذه كانهم فى لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا فى ياطا واختصروا هذا فاختصروا على هاء وأثر الصنعة ظاهر لايخفى فى البيت المستشهد له * ان السفاهة طه فى خلائقكم لا قدس الله أرواح الملاعين *

(ح) كان قدقدم أنه يقال ان طه فى لغة عك فى معنى يارجل ثم تخرص وحزر على عك بمالا يقوله نحوى وهو انهم قلبوا الياء طاء وهذا لايوجد فى لسان العرب قلب ياء التى للنداء طاء وكذلك حذف اسم الاشارة فى النداء واقرارها التى للتنبيه (ش) فان قلت امايجوز أن تقول ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى كقوله ان تحبط أعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة فى واختار موسى

مكية بلاخلاف كان عليه السلام يراوح بين قدميه يقوم على رجل فنزلت قاله على * وقال الضحاك صلى عليه السلام هو وأصحابه فأطال القيام لما أنزل عليه القرآن فقالت قريش ما أنزل عليه الا ليشقى * وقال مقاتل قال أبو جهل والنضر والمطعم انك لتشقى بترك ديننا فنزلت * ومناسبة هذه السورة لآخر ماقبلها انه تعالى لما ذكر تيسير القرآن بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم أى بلغته وكان فيما علل به قوله لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا أكد ذلك بقوله ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى والتذكرة هى البشارة والنذارة وان ماادعاه المشركون من انزاله للشقاء ليس كذلك بل انما نزل تذكرة والظاهر ان طه من الحروف المقطعة نحو يس والروما أشبههما وتقدم الكلام على ذلك فى أول البقرة * وعن ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة معنى طه يارجل * فقيل بالنبطية * وقيل بالحبشية * وقيل بالعبرانية * وقيل لغة يمنية فى عك * وقيل فى عكل * وقال الكلبى لوقلت فى عك يارجل لم يجب حتى تقول طه * وقال السدى معنى طه يافلان وانشد الطبرى فى معنى يارجل فى لغة عك قول شاعرهم

دعوت بطه فى القتال فلم يجب * فخفت عليه أن يكون موائلا

وقول الآخر

ان السفاهة طه من خلائقكم * لابارك الله فى القوم الملاعين

* وقيل هو اسم من أسماء الرسول * وقيل من أسماء الله * وقال الزمخشرى ولعل عكا تصرفوا فى ياهذا كأنهم فى لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا فى ياطا واختصروا هذا فاقتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لايخفى فى البيت المستشهد به ان السفاهة طه فى خلائقكم لاقدس الله أخلاق الملاعين انتهى وكان قدقدم انه يقال ان طاها فى لغة عك فى معنى يارجل ثم تخرص وحزر على عك بمالا يقوله نحوى هو أنهم قلبوا الياء طاء وهذا لايوجد فى لسان العرب قلب يا التى للنداء طاء وكذلك حذف اسم الاشارة فى النداء واقرارها التى للتنبيه * وقيل طا فعل أمر وأصله طأ فخففت الهمزة بابدالها ألفا وها مفعول وهو ضمير الأرض أى طأ الأرض بقدميك ولا تراوح اذ كان يراوح حتى تورمت قدماه * وقرأت فرقة منهم الحسن وعكرمة وأبو حنيفة وورش فى اختياره طه * قيل وأصله طأ فحذفت الهمزة بناء على قلبها فى يطأ على حد لاهناك المرتع بنى الامر عليه وأدخلت هاء السكت وأجرى الوصل مجرى الوقف أو أصله طأ وأبدلت همزته هاء فقيل طه * وقرأ الضحاك وعمرو بن فائد طاوى * وقرأ طلحة مانزل عليك بنون مضمومة وزاى مكسورة مشددة مبنيا للمفعول القرآن بالرفع * وقرأ الجمهور ماأنزلنا عليك القرآن ومعنى لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجىء فى معنى التعب ومنه المثل أتعب من رائض مهر وأشقى من رائض مهر * قال الزمخشرى أى ماعليك الا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لامحالة بعد أن لم تفرط فى أداء الرسالة والموعظة الحسنة انتهى * وقيل أريد رد ما قاله أبو جهل وغيره مما تقدم ذكره فى سبب النزول ولتشقى وتذكرة علة لقوله ماأنزلنا وتعدى فى لتشقى باللام لاختلاف الفاعل اذ ضمير ما أنزلنا هو لله وضمير لتشقى للرسول صلى الله عليه وسلم ولما اتحد الفاعل فى أنزلنا وتذكرة اذ هو مصدر ذكر والمذكر هو الله وهو المنزل تعدى اليه الفعل فنصب على ان فى اشتراط اتحاد الفاعل خلافا والجمهور يشترطونه * وقال الزمخشرى (فان قلت) أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله أن تحبط أعمالكم (قلت) بلى ولكنها

نصبة طارئة كالنصبة فى واختار موسى قومه وأما النصبة فى تذكرة فهى كالتى فى ضربت زيدا لانه أحد المفاعيل الخمسة التى هى أصول وقوانين لغيرها انتهى وليس كون أن تشقى اذا حذف الجار منصوبا متفقا عليه بل فى ذلك خلاف أهو منصوب تعدى اليه الفعل بعد اسقاط الحرف أو مجرور باسقاط الجار وابقاء عمله * وقال ابن عطية الا تذكرة يصح أن ينصب على البدل من موضع لتشقى ويصح أن ينصب باضمار فعل تقديره لكن أنزلناه تذكرة انتهى وقد رد الزمخشرى تخريج ابن عطية الاول فقال (فان قلت) هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى (قلت) لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذى الا فيه بمعنى لكن انتهى ويعنى باختلاف الجنسين أن نصب تذكرة نصبة صحيحة ليست بعارضة والنصبة التى تكون فى لتشقى بعد نزع الخافض نصبة عارضة والذى نقول انه ليس له محل البتة فيتوهم البدل منه * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون المعنى انا أنزلنا اليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول أمره الى الخشية انتهى وهذا معنى متكلف بعيد من اللفظ وكون الا تذكرة بدل من محل لتشقى هو قول الزجاج * وقال النحاس هذا وجه بعيد وأنكره أبو على من قبل ان التذكرة ليست بشقاء * وقال الحوفى ويجوز أن يكون تذكرة بدلا من القرآن ويكون القرآن هو التذكرة وأجازه هو وأبو البقاء أن يكون مصدرا أى لكن ذكرنا به تذكرة * قال أبو البقاء ولا يجوز أن يكون مفعولا له لأنزلنا المذكور لانه قد تعدى الى مفعول وهو لتشقى ولا يتعدى الى آخر من جنسه انتهى والخشية باعثة على الايمان والعمل الصالح وانتصب تنزيلا على انه مصدر لفعل محذوف أى نزل تنزيلا ممن خلق * وقال الزمخشرى فى نصب تنزيلا وجوه أن يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشئ لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بأنزلنا لان معنى ما أنزلنا الا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أى أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين انتهى والأحسن ما قدمناه أولا من انه منصوب بنزل مضمرة وما ذكره الزمخشرى من نصبه على غير ذلك متكلف أما الاول ففيه جعل تذكرة وتنزيلا حالين وهما مصدران وجعل المصدر حالا لا ينقاس وأيضا فمدلول تذكرة ليس مدلول تنزيلا ولا تنزيلا بعض تذكرة فان كان بدلا فيكون بدل اشتمال على مذهب من يرى ان الثانى مشتمل على الاول لان التنزيل مشتمل على التذكرة وغيرها وأما قوله لان معنى ما أنزلناه الا تذكرة أنزلناه تذكرة فليس كذلك لان معنى الحصر يفوت فى قوله أنزلناه تذكرة وأما نصبه على المدح فبعيد وأما نصبه بمن يخشى ففى غاية البعد لان يخشى رأس آية وفاصل فلا يناسب أن يكون تنزيل مفعولا بيخشى وقوله فيه وهو معنى حسن واعراب بين عجمة وبعد عن ادراك الفصاحة * وقرأ ابن أبى عبلة تنزيل رفعا على اضمار هو وهذه القراءة تدل على عدم تعلق يخشى بتنزيل وانه منقطع مما قبله فنصبه على اضمار نزل كما ذكرناه ومن الظاهر انها متعلقة بتنزيل ويجوز أن يكون فى موضع الصفة فيتعلق بمحذوف وفى قوله ممن خلق تفخيم وتعظيم لشأن القرآن اذ هو منسوب تنزيله الى من هذه أفعاله وصفاته وتحقير لمعبوداتهم وتعريض للنفوس على الفكر والنظر وكأن فى قوله ممن خلق التفاتا اذ فيها الخروج من ضمير التكلم وهو فى ما أنزلناه الى الغيبة وفيه عادة التفنن فى الكلام

(الدر)

قومه وأما النصب فى تذكرة فهى كالتى فى ضربت زيدا لأنه أحد المفاعيل الخمسة التى هى أصول وقوانين لغيرها (ح) ليس كون أن يشقى اذا حذف الجار منصوبا باتفاق فى ذلك خلاف أو هو منصوب تعدى اليه الفعل بعد اسقاط الحرف أو مجرور باسقاط الجار وابقاء عمله (ع) الا تذكرة يصح أن ينتصب على البدل من موضع لتشقى ويصح أن ينتصب باضمار فعل تقديره لكن أنزلناه تذكرة

وهو مما يحسن اذ لا يبقى على نظام واحد وجريان هذه الصفات على لفظ الغيبة والتفخيم باسناد الانزال الى ضمير الواحد المعظم نفسه ثم اسناده الى من اختص بصفات العظمة التي لم يشركه فيها أحد تحصل التعظيم من الوجهين * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل عليه السلام والملائكة النازلين معه انتهى وهذا تجويز بعيد بل الظاهر انه اخبار من الله تعالى عن نفسه والعلى جمع العليا ووصف السموات بالعلى دليل على عظم قدرة من اخترعها اذ لا يمكن وجود مثلها في علوها من غيره تعالى والظاهر رفع الرحمن على خبر مبتدأ محذوف تقديره هو الرحمن * وقال ابن عطية ويجوز أن يكون بدلا من الضمير المستتر في خلق انتهى وأرى ان مثل هذا لا يجوز لأن البدل يحل محل المبدل منه والرحمن لا يمكن أن يحل محل الضمير لأن الضمير عائد على من الموصولة وخلق صلة والرابط هو الضمير فلا يحل محله الظاهر لعدم الرابط وأجاز الزمخشري أن يكون رفع الرحمن على الابتداء قال يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق * وروى جناح بن حبيش عن بعضهم أنه قرأ الرحمن بالكسر * قال الزمخشري صفة لمن خلق يعني لمن الموصولة ومذهب الكوفيين ان الاسماء النواقص التي لا تتم الا بصلاتها نحو من وما لا يجوز نعتها الا الذي والتي فيجوز نعتهما فعلى مذهبهم لا يجوز أن يكون الرحمن صفة لمن فالاحسن أن يكون الرحمن بدلا من من وقد جرى الرحمن في القرآن مجرى العلم في ولايته العوامل وعلى قراءة الجر يكون التقدير هو على العرش استوى وعلى قراءة الرفع ان كان بدلا كما ذهب اليه ابن عطية فكذلك أو مبتدأ كما ذكره الزمخشري ففي موضع الخبر أو خبر مبتدأ كما هو الظاهر فيكون الرحمن والجملة خبرين عن هو المضمر وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة في الاعراف وما روي عن ابن عباس من الوقف على قوله على العرش ثم يقرأ استوى له ما في السموات على أن يكون فاعلا لاستوى لا يصح ان شاء الله ولما ذكر تعالى أنه اخترع السموات والارض وأنه استوى على العرش ذكر أنه تعالى له ملك جميع ما حوت السموات والارض وما بينهما وما تحت الثرى أي تحت الارض السابعة قاله ابن عباس ومحمد بن كعب * وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة * وقيل ما تحت الثرى ما هو في باطن الارض فيكون ذلك توكيدا لقوله وما في الارض الا ان كان المراد بفي الارض ما هو عليها فلا يكون توكيدا * وقيل المعنى ان علمه تعالى محيط بجميع ذلك لانه منشئه فعلى هذا يكون التقدير له علم ما في السموات ولما ذكر تعالى أولا انشاء السموات والارض وذكر ان جميع ذلك وما فيهما ملك ذكر تعالى صفة العلم وأن علمه لا يغيب عنه شيء والخطاب بقوله وان تجهر بالقول للرسول ظاهرا والمراد أمته ولما كان خطاب الناس لا يتأتى الا بالجهر بالكلام جاء الشرط بالجهر وعلق على الجهر علمه بالسر لان علمه بالسر يتضمن علمه بالجهر أي اذا كان يعلم السر فأحرى أن يعلم الجهر والسر مقابل للجهر كما قال يعلم سركم وجهركم والظاهر أن أخفى أفعل تفضيل أي وأخفى من السر * قال ابن عباس السر ما تسره الى غيرك والأخفى ما تخفيه في نفسك وقاله الفراء * وعن ابن عباس أيضا السر ما أسره في نفسه والأخفى ما خفي عنه مما هو فاعله وهو لا يعلمه * وعن قتادة قريب من هذا * وقال مجاهد السر ما تخفيه من الناس وأخفى منه الوسوسة * وقال ابن زيد السر سر الخلائق وأخفى منه سره تعالى وأنكر ذلك الطبري * وقيل السر العزيمة وأخفى منه ما لم يخطر على القلب وذهب بعض السلف الى أن قوله وأخفى هو فعل ماض لا أفعل تفضيل أي يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه

﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ مناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر تعظيم كتابه وتضمن تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعه بقصة موسى لتتأسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة * وهل أتاك حديث موسى الآية هذا استفهام تقرير يبعث على الاصغاء لما يلقى اليه وكان من حديثه أنه لما قضى أكمل الاجلين استأذن شعيبا في الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته وأخيه فأذن له وقد طالت مدة جنايته بمصر ورجا خفاء أمره فخرج بأهله وماله وكان في فصل الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل ولا يدري أليلا تضع أم نهارا فسار في البرية لا يعرف طرقها فألجأه المسير الى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق فقدح زنده فلم يور والظاهر أن اذ ظرف للحديث لأنه حدث قال لأهله امكثوا أي أقيموا في مكانكم وخاطب امرأته وولديه والخادم ﴿إني آنست﴾ أي أحسست والنار على بعد لا تحس الا بالبصر فلذلك فسره بعضهم برأيت والايناس أعم من الرؤية لأنك تقول آنست من فلان خيرا والظاهر أنه رأى نارا حقيقة ولفظة على هنا على بابها من الاستعلاء ومعناه أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها وانتصب ﴿هدى﴾ على أنه مفعول به على تقدير محذوف أي ذا هدى وكان قد أضل الطريق فيرجى أن يجد من يهديه إلى الطريق والضمير في أتاها عائد على النار أتاها فاذا هي مضطرمة في شجرة خضراء يانعة عناب قاله ابن عباس فكأنه كلما قرب منها تباعدت فاذا أدبر اتبعته فأيقن أن هذا أمر من أمور الله الخارقة للعادة ووقف متحيرا وسمع من السماء تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة ونودي وهو تكليم الله اياه ونودي مبني للمفعول وحذف الفاعل للتعظيم ولما كان النداء بمعنى القول كسرت ان بعده فقيل اني أنا كما يكسر بعد القول الصريح والظاهر أن أمره اياه تعالى بخلع النعلين لعظم الحال التي حصل فيها كما تخلع عند الملوك غاية في التواضع وقيل كانتا من جلد حمار ميت فأمر بطرحهما لنجاستهما وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم كان على موسى عليه السلام يوم كلمه ربه كساء صوف وجبة صوف وكمه صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت * قال الترمذي هذا حديث غريب والكمة القلنسوة الصغيرة لكن أمره بخلعهما لينال بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربته ولقدس المطهر ﴿وطوى﴾ اسم علم عليه فيكون بدلا أو عطف بيان وقرئ منونا لوحظ فيه معنى المكان وغير منون لوحظ فيه معنى البقعة فمنع من الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ ﴿وأنا اخترتك﴾ فأنا مبتدأ واخترتك جملة في موضع الخبر وقرئ وأنا اخترناك أنا وان اسمها وخبرها لك في موضع الخبر لما يوحى متعلق باستمع وما موصولة بمعنى الذي يوحى وفيه ضمير يعود على ما تقديره يوحى هو به وقال أبو الفضل الجوهري لما قيل لموسى عليه السلام استمع لما يوحى وقف على حجر واستند الى حجر ووضع يمينه على شماله وألقى ذقنه على صدره ووقف يستمع وكان كل لباسه صوفا والوحي قوله

هو كقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه وقوله ولا يحيطون به علما * قال ابن عطية وهو ضعيف * وقال الزمخشري وليس بذلك قال (فان قلت) كيف طابق الجزاء الشرط (قلت) معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك فاما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر انتهى والجلالة مبتدأ ولا اله الا هو الخبر وله الأسماء الحسنى خبر ثان ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف كانه قيل من ذا الذي يعلم السر وأخفى فقيل هو الله والحسنى تأنيث الاحسن وصف بها الواحدة المؤنثة المفردة تجري على جمع التكسير وحسن ذلك كونها وقعت فاصلة والاحسنية كونها تضمنت المعاني التي هي في غاية الحسن من التقديس والتعظيم والربوبية والافعال التي لا يمكن صدورها الا منه وذكروا أن هذه الاسماء هي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعين وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وذكرها الترمذي مسندة

﴿وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى﴾

﴿ انني أنا الله ﴾ الى آخر الجمل جاء ذلك تبيينا وتفسيرا للابهام في قوله لما يوحى ففي الاخبار الاول قال أنا ربك أى مالكك والناظر في مصلحتك وفي الثاني أنا الله ذكر الاسم المعظم العلم الدال على جميع الصفات العلية والظاهر أن فاعبدني لفظ يتناول ما كلفه به من العبادة وعطف عليه ماقد يدخل تحت ذلك المطلق فبدأ بالصلاة اذ هى أفضل الاعمال وأنفعها في الآخرة والذكر مصدر يحتمل أن يضاف الى المفعول أى لتذكرني فان ذكرى أن أعبد و يصلى لى لما ذكر تعالى الأمر بالعبادة واقام الصلاة ذكر الحامل على ذلك وهو البعث والمعاد أى الجزاء فقال ﴿ إن الساعة آتية ﴾ وهى التي يظهر عندها ماعمله الانسان وجزاء ذلك إما ثوابا و إما عقابا ﴿ أكاد أخفيها ﴾ أخفى من الأضداد بمعنى الاظهار وبمعنى السر ﴿ قال أبو عبيدة خفيت وأخفيت بمعنى واحد وقد حكاه عن أبي الخطاب وأكاد من أفعال المقاربة لكنها هنا مجاز بالنسبة الى الله ولتجزى متعلقة بآتية وأكاد أخفيها جملة اعتراض بينهما ويجوز أن يتعلق لتجزى بقوله أخفيها اذا كان المعنى أظهرها والظاهر أن الضمير في عنها عائد على الساعة والمعنى عن اعتقاد صحتها و وقوعها لا محالة والحشر بعدها والجزاء والظاهر أن الخطاب في فلا يصدنك لموسى عليه السلام ولا يلزم من النهى عن الشئ امكان وقوعه ممن سبقت له العصمة فينبغي أن يكون له لفظا وللسامع غيره ممن يمكن وقوع ذلك منه ﴿ واتبع هواه ﴾ عطفا على صلة من ﴿ فتردى ﴾ جواب للنهى وأن مقدرة بعد فاء الجواب وتردى علامة النصب فيه فتحة مقدرة في الالف ومثاله في جواب النهى قوله تعالى ولا تطغوا فيه فيحل ﴿ وما تلك بيمينك ياموسى ﴾ علم تعالى في الاول ماهى وانما سأله ليريه عظم مايخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية تسعى وليقرر في نفسه البعد بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وتنبيه على قدرته الباهرة وما استفهام مبتدأ وتلك خبره و بيمينك في موضع الحال كقوله وهذا بعلى شيخا والعامل اسم الاشارة ﴿ وقال الزمخشري و يجوز أن تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك ولم يذكر ابن عطية غيره وليس ذلك مذهبا للبصريين وانما ذهب اليه الكوفيون قالوا يجوز أن يكون اسم الاشارة موصولا حيث يتقدر بالموصول كأنه قيل وما التي بيمينك وعلى هذا فيكون العامل في المجرور محذوفا كأنه قيل وما التي استقرت بيمينك وفي هذا السؤال وماقبله من خطابه لموسى عليه السلام استئناس عظيم وتشريف كريم ﴿ قال هى عصاى ﴾ قرأ ابن اسحق والجحدري عصى وهى لغة هذيل ﴿ قال الشاعر يطوف بى غلب في معد ﴿ و يضرب بالصامة في قفينا يريد في قفاى ﴿ أتوكأ عليها ﴾ التوكؤ على الشئ التحامل عليه في المشى والوقوف ومنه الاتكاء توكأت واتكأت بمعنى واحد ﴿ وأهش ﴾ هش على الغنم يهش بضم الهاء خبط أوراق الشجر لتسقط وهش الى الرجل يهش بالكسر قاله ثعلب اذا نش وأظهر الفرح به والأصل في هذه المادة الرخاوة يقال رجل هش وقدم في الجواب مصلحة نفسه في قوله أتوكأ عليها ثم ثنى بمصلحة رعيته في قوله وأهش بها على غنمى ﴿ ولى فيها مآرب ﴾ ذكر المفسرون أنها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتها وألقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه والمآرب الحاجات وعامل المآرب وان كانت جمعا معاملة الواحدة المؤنثة فاتبعها صفتها في قوله أخرى ولم يقل أخر رعيا للفواصل وهو جائز في غير الفواصل فكان أجوز وأحسن في الفواصل ﴿ قال ألقها ﴾ الظاهر أن القائل هو الله تعالى ومعنى القها اطرحها على الأرض ﴿ فاذا هى ﴾ التي للمفاجأة ﴿ والحية ينطلق على الصغير والكبير والذكر والانثى والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم منها ولا ينافي بين تشبيهها بالجان في قوله فلما رآها تهتز كأنها جان و بين كونها ثعبانا لأن تشبيهها بالجان هو أول حالها ثم تزيدت حتى صارت ثعبانا أو شبهت بالجان وهى ثعبان في سرعة حركتها واهتزازها مع عظم خلقها قيل كان له عرف كعرف الفرس وصارت شعبتا العصا لها فما و بين لحيتها أربعون ذراعا وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجر والمحجن عنقا وعيناها يتقدان فلما رأى هذا الامر العجيب الهائل لحقه مايلحق البشر عند رؤية الاهوال والمخاوف

انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية

لاسيما هذا الامر الذي يذهل العقول ومعنى تسعى تمشي وتنتقل بسرعة وحكمة انقلابها وقت مناجاته تأنيسه بهذا المعجز الهائل حتى يلقيها لفرعون فلا يلحقه ذعر منها في ذلك الوقت اذ قد جرت له بذلك عادة وتدريبه في تلقي تكاليف النبوة ومشاق الرسالة ثم أمره تعالى بالاقدام على أخذها ونهاه عن أن يخاف منها والسيرة من السير وهي الهيئة كالركبة والجلسة يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فتقلب الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين أي طريقة الاولين وانتصب ﴿ سيرتها ﴾ على أنه بدل اشتمال من الضمير المنصوب في سنعيدها أي سنعيد سيرتها الاولى وهي كونها كانت عصا ﴿ واضمم يدك الى جناحك ﴾ الجناح حقيقة في الطائر ثم أطلق على العضد مجازا وفي الكلام حذف اذ لا يترتب الخروج على الضم وانما يترتب على الاخراج والتقدير واضمم يدك الى جناحك ينضم وأخرجها تخرج فحذف من الاول وأبقى مقابله ومن الثاني وأبقى مقابله وهو اضمم لانه معنى أدخل كما تبين في الآية الاخرى ﴿ تخرج بيضاء ﴾ قيل خرجت بيضاء تضيء وتشف كأنها شمس وكان آدم اللون وانتصب بيضاء على الحال ﴿ والسوء ﴾ الرداءة والقبح في كل شيء وقوله من غير سوء متعلق ببيضاء لأنه لو قال بيضاء لأوهم ذلك من برص أو بهق وانتصب ﴿ إنه ﴾ على الحال * وقال الزمخشري يجوز أن يكون منصوبا على اضمار خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام كذا قال انتهى * أما تقديره فشائع وأما دونك فلا يسوغ لأنه اسم فعل من باب الاغراء ولا يجوز حذفه لانه حذف منه في الاصل العامل فيه وناب منابه فلا يجوز أن يحذف النائب والمنوب منه ولذلك لم يجر مجراه في جميع أحكامه و ﴿ أخرى ﴾ أي غير الآية الاولى التي هي قلب العصا حية واللام في لنريك لام كي و ﴿ الكبرى ﴾ صفة لقوله آياتنا فوصف الجمع بما يوصف به المفرد ولو كان ذلك في الكلام لكان الوصف مطابقا في الجمع للموصوف فكان يكون الكبر لكن حسن هذا كون الكبرى فاصلة * قال الزمخشري لنريك أي حد هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك يعني انه أجاز أن يكون مفعول لنريك الثاني الكبرى أو يكون من آياتنا في موضع المفعول الثاني ويكون الكبرى صفة لآياتنا على حد الاسماء الحسنى ومآرب أخرى مجريان مثل هذا الجمع مجرى الواحدة المؤنثة وأجاز هذين الوجهين من الاعراب الحوفي وابن عطية وأبو البقاء والذي نختاره أن يكون من آياتنا في موضع المفعول الثاني والكبرى صفة لآياتنا لانه يلزم من ذلك أن تكون آياته تعالى كلها هي الكبرى لان ما كان بعض الآيات الكبرى صدق عليه أنه آية الكبرى فاذا جعلت الكبرى مفعولا فلا يمكن أن يكون صفة للعصا واليد معا لانهما كانا يلزم التثنية في وصفهما وكان يكون التركيب الكبريين ولا يمكن أن يخص أحدهما لان كلا منهما فيها معنى التفصيل ويبعد ما قال الحسن من أن اليد أعظم في الاعجاز من العصا لانه ذكر عقيب اليد لنريك من آياتنا الكبرى لانه جعل الكبرى مفعولا ثانيا لنريك وجعل ذلك راجعا الى الآية القريبة وهي اخراج اليد بيضاء من غير سوء وقد ضعف قوله هذا لانه ليس في اليد الا تغير اللون وأما العصا ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع الحجر والشجر ثم عادت عصا بعد ذلك فقد وقع التغيير مرارا فكانت أعظم من اليد ولما أراه الله تعالى هاتين المعجزتين العظيمتين في نفسه وفي يده وهو العصا أمره بالذهاب الى فرعون رسولا من عنده تعالى وعلل حكمة الذهاب اليه بقوله انه طغى وخص فرعون وان كان مبعوثا اليهم كلهم لانه رأس الكفر ومدعي الالهية وقومه تباعه

تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى ﴾ ولما ذكر تعالى تعظيم كتابه وتضمن تعظيم رسوله أتبعه بقصة موسى ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد كما قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك فقال تعالى وهل أتاك حديث موسى وهذا استفهام تقرير يحث على الاصغاء لما يلقى اليه وعلى التأسي * وقيل هل بمعنى قد أي قد أتاك والظاهر خلاف هذا لان السورة مكية والظاهر أنه لم يكن أطلعه على قصة موسى قبل هذا * وقيل انه استفهام معناه النفي أي ما أخبرناك قبل هذه السورة بقصة موسى ونحن الآن قاصون قصته لتتسلى وتتأسى وكان من حديثه أنه عليه السلام لما قضى أكمل الاجلين استأذن شعيبا في الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته وأخته فأذن له وقد طالت مدة جنايته بمصر ورجا خفاء أمره فخرج بأهله وماله وكان في فصل الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل فلا يدري أليلا تضع أم نهارا فسار في البرية لا يعرف طرقها فألجأه

المسير الى جانب الطور الغربي الايمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق فقدح زنده فلم يور * قيل كان رجلا غيورا يصحب الرفقة ليلا ويفارقهم نهارا لئلا ترى امرأته فأضل الطريق * قال وهب ولد له ابن في الطريق ولما صلد زنده رأى نارا والظاهر ان اذ ظرف للحديث لانه حدث وأجاز الزمخشري أن تكون ظرفا للمضمر أي نارا كان كيت وكيت وأن تكون مفعولا لاذكر امكثوا أي أقيموا في مكانكم وخاطب امرأته وولديه والخادم * وقرأ الاعمش وطلحة وحمزة ونافع في رواية لاهله امكثوا بضم الهاء وكذا في القصص والجمهور بكسرها * انى آنست أي أحسست والنار على بعد لا تحس الا بالبصر فلذلك فسره بعضهم برأيت والايناس أعم من الرؤية لانك تقول آنست من فلان خيرا * وقال الزمخشري الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم * وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن أنفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بني الأمر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعل ولم يقطع فيقول انى آتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به انتهى والظاهر انه رأى نورا حقيقة * وقال الماوردي كانت عند موسى نارا وكانت عند الله نورا * قيل وخيل له انه نار * قيل ولا يجوز هذا لان الاخبار بغير المطابق لا يجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولفظة على هنا على بابها من الاستعلاء ومعناه ان أهل النار يستعلون المكان القريب منها أولان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الأعشى * وبات على النار الندى والمحلق * وقال ابن الانباري على بمعنى عند وبمعنى مع وبمعنى الباء وذكر الزجاج انه ضل عن الماء فترجى أن يلقى من يهديه الطريق أو يدله على الماء وانتصب هدى على انه مفعول به على تقدير محذوف أي ذا هدى أو على تقدير حذف لانه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى هدى الطريق * وقيل هدى في الدين قاله مجاهد وقتادة وهو بعيد وهو وان كان طلب من يهديه الطريق فقد وجد الهدى على الاطلاق والضمير في أتاها عائد على النار أتاها فاذا هي مضطرمة في شجرة خضراء يانعة عناب قاله ابن عباس * وقيل سمرة قاله عبد الله * وقيل عوسج قاله وهب * وقيل عليقة عن قتادة ومقاتل والكلبي وكان كلما قرب منها تباعدت فاذا أدبر اتبعته فأيقن ان هذا أمر من أمور الله الخارقة للعادة ووقف متحيرا وسمع من السماء تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة ونودي وهو تكليم الله اياه * وقرأ الجمهور انى بكسر الهمزة على اضمار القول عند البصريين وعلى معاملة النداء معاملة القول لانه ضرب منه على مذهب الكوفيين وانا مبتدا أو فصل أو توكيد لضمير النصب وفي هذه الأعاريب حصل التركيب لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو أنى بفتح الهمزة والظاهر ان التقدير بأنى أنا ربك * وقال ابن عطية على معنى لأجل انى أنا ربك فاخلع نعليك * ونودي قد توصل بحرف الجر وأنشد أبو علي

ناديت باسم ربيعة بن مكدم * ان المنوه باسمه الموثوق

انتهى وعلمه بأن الذي ناداه هو الله تعالى حصل له بالضرورة خلقا منه تعالى فيه أو بالاستدلال بالمعجزة وعند المعتزلة لا يكون ذلك الا بالمعجزة فمنهم من عينه ومنهم من قال لا يلزم أن يعرف ما ذلك المعجز قالوا ولا يجوز أن يكون ذلك بالعلم الضروري لانه ينافي التكليف والظاهر ان أمره تعالى اياه بخلع النعلين لعظم الحال التي حصل فيها كما يخلع عند الملوك غاية في التواضع * وقيل كانتا من

جلد حمار ميت فأمر بطرحهما لنجاستهما وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان على
موسى يوم كلمه ربه كساء صوف وجبة صوف وكمة صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد
حمار ميت قال هذا حديث غريب والكمة القلنسوة الصغيرة وكونهما من جلد حمار ميت غير
مدبوغ قول عكرمة وقتادة والسدي ومقاتل والكلبي والضحاك * وقيل كانتا من جلد بقرة ذكي
لكن أمر بخلعهما لينال بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربته وروي انه خلع نعليه وألقاهما من
وراء الوادي والمقدس المطهر وطوى اسم علم عليه فيكون بدلا أو عطف بيان * وقرأ الحسن
والأعمش وأبو حيوة وابن أبي اسحق وأبو السمال وابن محيصن بكسر الطاء منونا * وقرأ
الكوفيون وابن عامر بضمها منونا * وقرأ الحرميان وأبو عمرو بضمها غير منون * وقرأ أبو زيد
عن أبي عمرو بكسرها غير منون * وقرأ عيسى بن عمر والضحاك طاوى اذهب فمن نون فعلى تأويل
المكان ومن لم ينون وضم الطاء فيحتمل أن يكون معدولا عن فعل نحو زفر وقثم أو أعجميا أو على
معنى البقعة ومن كسر ولم ينون منع الصرف باعتبار البقعة * وقال الحسن طوى بكسر الطاء
والتنوين مصدر ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين فهو بوزن الثناء وبمعناه وذلك لان الثنا
بالكسر والقصر الشيء الذي تكرر فكذلك الطوى على هذه القراءة * وقال قطرب طوى من
الليل أي ساعة أي قدس لك في ساعة من الليل لانه نودي بالليل فلحق الوادي تقديس مجدد أي نلك
بالوادي المقدس ليلا * قرأ طلحة والأعمش وابن أبي ليلى وحمزة وخلف في اختياره وأنا بفتح
الهمزة وشد النون اخترناك بنون العظمة * وقرأ السلمي وابن هرمز والأعمش في رواية وانا
بكسر الهمزة والالف بغير النون بلفظ الجمع دون معناه لانه من خطاب الملوك اخترناك بالنون
والالف عطفا على اني أنا ربك لانهم كسروا ذلك أيضا والجمهور وأنا اخترتك بضمير المتكلم المفرد
غير المعظم نفسه * وقرأ أبي وأني بفتح الهمزة وياء المتكلم اخترتك بتاء عطفا على اني أنا ربك ومفعول
اخترتك الثاني المتعدي اليه بمن محذوف تقديره من قومك والظاهر ان لما يوحى من صلة استمع وما
بمعنى الذي * وقال الزمخشري وغيره لما يوحى للذي يوحى أو للوحي فعلق اللام باستمع أو باخترتك
انتهى ولا يجوز التعليق باخترتك لانه من باب الاعمال فيجب أو يختار اعادة الضمير مع الثاني فكان
يكون فاستمع له لما يوحى فدل على انه من اعمال الثاني * وقال أبو الفضل الجوهري لما قيل لموسى
صلوات الله على نبينا وعليه استمع لما يوحى وقف على حجر واستند الى حجر ووضع يمينه على شماله
وألقى ذقنه على صدره ووقف ليستمع وكان كل لباسه صوفا * وقال وهب أدب الاستماع سكون
الجوارح وغض البصر والاصغاء بالسمع وحضور العقل والعزم على العمل وذلك هو الاستماع لما
يحب الله وحذف الفاعل في يوحى للعلم به ويحسنه كونه فاصلة فلو كان مبنيا للفاعل لم يكن فاصلة
والموحى قوله اني أنا الله الى آخره معناه وحدني كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
الى آخر الجمل جاء ذلك تبيينا وتفسيرا للابهام في قوله لما يوحى * وقال المفسرون فاعبدني هنا
وحدني كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معناه ليوحدون والأولى أن يكون
فاعبدني لفظا يتناول ما كلفه به من العبادة ثم عطف عليه ما هو قد يدخل تحت ذلك المعنى فبدأ
بالصلاة اذ هي أفضل الأعمال وأنفعها في الآخرة والذكر مصدر يحتمل أن يضاف الى الفاعل أي
ليذكرني فان ذكري أن اعبد ويصلى لي أو ليذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار أو لاني
ذكرتها في الكتب وأمرت بها ويحتمل أن يضاف الى المفعول أي لان أذكرك بالمدح والثناء

وأجعل لك لسان صدق أولان تذكرني خاصة لاتشوبه بذكر غيري أو خلاص ذكري وطلب وجهي لاترائي بها ولاتقصد بها غرضا آخر أولتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكرربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به كما قال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام على هذا القول مثلها في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه الصلاة والسلام من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها * قال الزمخشري وكان حق العبادة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي أولأن الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة انتهى وفي الحديث بعد قوله فليصلها اذا ذكرها قوله اذلا كفارة لها الاذلك ثم قرأ وأقم الصلاة لذكري * وقرأ السلمي والنخعي وأبو رجاء للذكرى بلام التعريف وألف التأنيث فالذكرى بمعنى التذكرة أي لتذكيري اياك اذا ذكرتك بعد نسيانك فأقمها * وقرأت فرقة لذكرى بألف التأنيث بغير لام التعريف * وقرأت فرقة للذكر ولما ذكر تعالى الأمر بالعبادة واقامة الصلاة ذكر الحامل على ذلك وهو البعث والمعاد للجزاء فقال ان الساعة آتية وهي التي يظهر عندها ما عمله الانسان وجزاء ذلك اما ثوابا واما عقابا * وقرأ أبو الدرداء وابن جبير والحسن ومجاهد وحميد أخفيها بفتح الهمزة ورويت عن ابن كثير وعاصم بمعنى أظهرها أي انها من صحة وقوعها وتيقن كونها تكاد تظهر ولكن تأخرت الى الأجل المعلوم وتقول العرب خفيت الشيء أي أظهرته * وقال الشاعر

خفاهن من ايقانهن كأنما * خفاهن ودق من عشي مجلب

* وقال آخر *

فان تدفنوا الداء لانخفه * وان توقدوا الحرب لانقعد

ولام لتجزى على هذه القراءة متعلقة بأخفيها أي أظهرها لتجزى كل نفس * وقرأ الجمهور أخفيها بضم الهمزة وهو مضارع أخفى بمعنى ستر والهمزة هنا للازالة أي أزلت الخفاء وهو الظهور واذا أزلت الظهور صار للستر كقولك أعجمت الكتاب أزلت عنه العجمة * وقال أبو علي هذا من باب السلب ومعناه أزيل عنها اخفاءها وهو سترها واللام على قراءة الجمهور * قال صاحب اللوامح متعلقة بآتية كأنه قال ان الساعة آتية لتجزى انتهى ولا يتم ذلك الا اذا قدرنا أكاد أخفيها جملة اعتراضية فان جعلتها في موضع الصفة لآتية فلا يجوز ذلك على رأي البصريين لان اسم الفاعل لا يعمل اذا وصف قبل أخذ معموله * وقيل أخفيها بضم الهمزة بمعنى أظهرها فتتحد القراءتان وأخفى من الأضداد بمعنى الاظهار وبمعنى الستر * قال أبو عبيدة خفيت وأخفيت بمعنى واحد وقد حكاه أبو الخطاب وهو رئيس من رؤساء اللغة لاشك في صدقه وأكاد من أفعال المقاربة لكنها مجاز هنا ولما كانت الآية عبارة عن شدة اخفاء أمر القيامة ووقتها وكان القطع باتيانها مع جهل الوقت أهيب على النفوس بالغ في ابهام وقتها فقال أكاد أخفيها حتى لاتظهر ألبتة ولكن لابد من ظهورها * وقالت فرقة أكاد بمعنى أريد فالمعنى أريد اخفاءها وقاله الأخفش وابن الانباري وأبو مسلم * قال أبو مسلم ومن أمثالهم لاأفعل ذلك ولا أكاد أي لا أريد أن أفعله * وقالت فرقة خبر كاد محذوف تقديره أكاد آتي بها لقربها وصحة وقوعها كما حذف في قول صابئ البرجمي

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

أي وكدت أفعل وتم الكلام ثم استأنف الاخبار بأنه يخفيها واختاره النحاس * وقالت فرقة معناه أكاد أخفيها من نفسي اشارة الى شدة غموضها عن المخلوقين وهو مروي عن ابن عباس ولما رأى بعضهم قلق هذا القول قال معنى من نفسي من تلقائي ومن عندي * وقالت فرقة أكاد زائدة لا دخول لها في المعنى بل الاخبار ان الساعة آتية وان الله يخفي وقت اتيانها وروى هذا المعنى عن ابن جبير واستدلوا على زيادة كاد بقوله تعالى لم يكد يراها * وبقول الشاعر وهو زيد الخيل

سريع الى الهيجاء شاك سلاحه * فما ان يكاد قرنه يتنفس

* وبقول الآخر *

وأن لا ألوم النفس مما أصابني * وأن لا أكاد بالذي نلت أنجح

ولا حجة في شيء من هذا * وقال الزمخشري أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به * وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف أبي أكاد أخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها انتهى وروبت هذه الزيادة أيضا عن أبي ذكر ذلك ابن خالويه وفي مصحف عبد الله أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القرا آت وكيف أظهرها لكم وهذا محمول على ما جرت به عادة العرب من ان أحدهم اذا بالغ في كتمان الشيء قال كدت أخفيه من نفسي والله تعالى لا يخفى عليه شيء قال معناه قطرب وغيره * وقال الشاعر

أيام تصحبني هند وأخبرها * ما كدت أكتمه عني من الخبر

وكيف يكتم من نفسه ومن نحو هذا من المبالغة ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه والضمير في أخفيها عائد على الساعة والساعة يوم القيامة بلا خلاف والسعي هنا العمل والظاهر ان الضمير في عنها وبها عائد على الساعة * وقيل على الصلاة * وقيل عنها عن الصلاة وبها أي بالساعة وأبعد جدا من ذهب الى ان الضمير في عنها يعود على ما تقدم من كلمة لا اله الا أنا فاعبدني والظاهر ان الخطاب في فلا يصدنك لموسى عليه السلام ولا يلزم من النهي عن الشيء امكان وقوعه ممن سبقت له العصمة فينبغي أن يكون لفظا وللسامع غيره ممن يمكن وقوع ذلك منه وأبعد من ذهب الى أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لفظا ولأمته معنى * وقال الزمخشري (فان قلت) العبارة أنهى من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق (قلت) فيه وجهان أحدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب * والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صلب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما أنت عليه * وفتردى يجوز أن يكون منصوبا على جواز النهي وأن يكون مرفوعا أي فأنت تردى * وقرأ يحيى فتردى بكسر التاء * وما تلك بيمينك ياموسى هو تقرير مضمنه التنبيه وجمع النفس لما يورد عليها وقد علم تعالى في الازل ماهي وانما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وجل في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة ويتقرر في

نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة وما استفهام مبتدأ وتلك خبره وبيمينك في موضع الحال كقوله وهذا بعلي شيخا والعامل اسم الاشارة * قال الزمخشري ويجوز أن يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك ولم يذكر ابن عطية غيره وليس ذلك مذهبا للبصريين وانما ذهب اليه الكوفيون قالوا يجوز أن يكون اسم الاشارة موصولا حيث يتقدر بالموصول كأنه قيل وما التي بيمينك وعلى هذا فيكون العامل في المجرور محذوفا كأنه قيل وما التي استقرت بيمينك وفي هذا السؤال وما قبله من خطابه تعالى لموسى عليه السلام استئناس عظيم وتشريف كريم قال هي عصاي * وقرأ ابن أبي اسحاق والجحدري عصيّ بقلب الألف ياء وادغامها في ياء المتكلم * وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء وهي مروية عن ابن أبي اسحاق أيضا وأبي عمرو ومعاوهذه الكسرة لالتقاء الساكنين وعن أبي اسحاق والجحدري عصاي بسكون الياء * أتوكأ عليها أي أتحامل عليها في المشي والوقوف وهذا زيادة في الجواب كما جاء هو الطهور ماؤه الحل ميتته في جواب من سأل أيتوضأ بماء البحر وكما جاء في جواب ألهذا حج قال نعم ولك أجر وحكمة زيادة موسى عليه السلام رغبته في مطاولة مناجاته لربه تعالى وازدياد لذاذته بذلك كما قال الشاعر

وأملي عتابا يستطاب فليتني * أطلت ذنوبا كي يطول عتابه

وتعداده نعمه تعالى عليه بما جعل له فيها من المنافع وتضمنت هذه الزيادة تفصيلا في قوله أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي واجمالا في قوله ولي فيها مآرب أخرى * وقيل أتوكأ عليها جواب لسؤال آخر وهو أنه لما قال هي عصاي قال له تعالى فما تصنع بها قال أتوكأ عليها الآية * وقيل سأله تعالى عن شيئين عن العصا بقوله وما تلك وبقوله بيمينك عما يملكه فأجابه عن وما تلك بقوله هي عصاي وعن قوله بيمينك بقوله أتوكأ عليها وأهش الى آخره انتهى وفي التحقيق ليس قوله بيمينك بسؤال وقدم في الجواب مصلحة نفسه في قوله أتوكأ عليها ثم ثنى بمصلحة رعيته في قوله وأهش * وقرأ الجمهور وأهش بضم الهاء والشين المعجمة والنخعي بكسرها كذا ذكر أبو الفضل الرازي وابن عطية وهي بمعنى المضمومة الهاء والمفعول محذوف وهو الورق * قال أبو الفضل ويحتمل ذلك أن يكون من هش يهش هشاشة اذا مال أي أميل بها على غنمي بما أصلحها من السوق وتكسير العلف ونحوهما يقال منه هش الورق والكلأ والنبات اذا جف ولان انتهى * وقرأ الحسن وعكرمة وأهس بضم الهاء والسين غير معجمة والهس السوق ومن ذلك الهس والهساس غير معجمة في الصفات . ونقل ابن خالويه عن النخعي أنه قرأ وأهس بضم الهمزة من أهس رباعيا وذكر صاحب اللوامح عن عكرمة ومجاهد وأهش بضم الهاء وتخفيف الشين قال ولا أعرف وجهه الا أن يكون بمعنى العامة لكن فرّ من قراءته من التضعيف لأن الشين فيه تفش فاستثقل الجمع بين التضعيف والتفشي فيكون كتخفيف ظلت ونحوه وذكر الزمخشري عن النخعي أنه قرأ وأهش بضم الهمزة والشين المعجمة من أهش رباعيا قال وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان يتكسر لهشاشته * ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها كما ينفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة

كأنه يقول أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا اسم العصا نبعة انتهى * وقرأت فرقة غنمى بسكون النون وفرقة على غنمى بايقاع الفعل على الغنم * والمآرب ذكر المفسرون أنها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصل بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه * وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام ويرد بها غنمه وان بعدوا وهذه العصا أخذها من بيت عصى الأنبياء التي كانت عند شعيب حين اتفقا على الرعية هبط بها آدم من الجنة وطولها عشرة أذرع وقيل اثنا عشرة بذراع موسى عليه السلام وعامل المآرب وان كان جمعا معاملة الواحدة المؤنثة فأتبعها صفتها في قوله أخرى ولم يقل آخر رعيا للفواصل وهو جائز في غير الفواصل وكان أجود وأحسن في الفواصل * وقرأ الزهري وشيبة مارب بغير همز كذا قال الاهوازي في كتاب الاقناع في القراآت ويعني والله أعلم بغير همز محقق وكأنه يعني أنهما سهلاها بين بين * قال ألقها الظاهر ان القائل هو الله تعالى ويبعد قول من قال يجوز أن يكون القائل الملك باذن الله ومعنى ألقها اطرحها على الأرض ومنه قول الشاعر

* فألقت عصاها واستقر بها النوى * واذا هي التي للمفاجأة والحية تنطلق على الصغيرة والكبيرة والذكر والأنثى والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم منها ولا تنافي بين تشبيهها بالجان في قوله فلما رآها تهتز كأنها جان وبين كونها ثعبانا لأن تشبيهها بالجان هو في أول حالها ثم تزيدت حتى صارت ثعبانا أو شبهت بالجان وهي ثعبان في سرعة حركتها واهتزازها مع عظم خلقها * قيل كان لها عرف كعرف الفرس وصارت شعبتا العصا لها فما بين لحييها أربعون ذراعا * وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا تبتلع الصخر والشجر والمحجن عنقا وعيناها تتقدان فلما رأى هذا الأمر العجيب الهائل لحقه ما يلحق البشر عند رؤية الأهوال والمخاوف لاسيما هذا الأمر الذي يذهل العقول ومعنى تسعى تنتقل وتمشي بسرعة وحكمة انقلابها وقت مناجاته تأنيسه بهذا المعجز الهائل حتى يلقيها لفرعون فلا يلحقه ذعر منها في ذلك الوقت اذ قد جرت له بذلك عادة وتدريبه في تلقي تكاليف النبوة ومشاق الرسالة ثم أمره تعالى بالاقدام على أخذها ونهاه عن أن يخاف منها وذلك حين ولى مدبرا ولم يعقب * وقيل انما خافها لانه عرف مالقي آدم منها * وقيل لما قال له الله لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان أدخل يده في فمها وأخذ بلحيتها * وبعد ما ذكر مكي في تفسيره أنه قيل له خذها مرة ثانية حتى قيل له خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى فأخذها في الثالثة لان منصب النبوة لا يليق أن يأمره بأمر مرة ثانية فلا يمتثل ما أمر به وحين أخذها بيده صارت عصا والسيرة من السير كالركبة والجلسة يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة * وقيل سير الأولين * وقال الشاعر

فلا تغضبن من سيرة أنت سرتها * فأول راض سيرة من يسيرها

واختلفوا في اعراب سيرتها * فقال الحوفي مفعول ثان لسنعيدها على حذف الجار مثل واختار

موسى قومه يعني الى سيرتها قال و يجوز أن يكون بدلا من مفعول سنعيدها * وقال هذا الثاني أبو البقاء قال بدل اشتمال أي صفتها وطريقتها * وقال الزمخشري يجوز أن ينتصب على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت عصا انتهى وسيرتها وطريقتها ظرف مختص فلا يتعدى اليه الفعل على طريقة الظرفية الا بواسطة في ولا يجوز الحذف الا في ضرورة أو فيما شذت فيه العرب * قال الزمخشري و يجوز أن يكون مفعولا من عاده بمعنى عاد اليه * ومنه بيت زهير * وعادك أن تلاقيها اعداء * فيتعدى الى مفعولين انتهى وهذا هو الوجه الأول الذي ذكره الحوفي * قال و وجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت و بطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها الأولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها انتهى والجناح حقيقة في الطائر والملك ثم توسع فيه فأطلق على اليد وعلى العضد وعلى جنب الرجل * وقيل لجنبتي العسكر جناحان على سبيل الاستعارة وسمي جناح الطائر لانه يجنح به عند الطيران ولما كان المرغوب من ظلمة أو غيرها اذا ضم يده الى جناحه فتر رغبة و ربط جأشه أمره تعالى أن يضم يده الى جناحه ليقوى جأشه ولتظهر له هذه الآية العظيمة في اليد والمراد الى جنبك تحت العضد ولهذا قال تخرج فلو لم يكن دخول لم يكن خروج كما قال في الآية الأخرى وأدخل يدك في جيبك تخرج وفي الكلام حذف اذ لا يترتب الخروج على الضم وانما يترتب على الاخراج والتقدير واضمم يدك الى جناحك تنضم واخرجها تخرج فحذف من الأول وأبقى مقابله ومن الثاني وأبقى مقابله وهو اضمم لانه بمعنى ادخل كما يبين في الآية الأخرى * تخرج بيضاء من غير سوء قيل خرجت بيضاء تشف وتضيء كأنها شمس وكان آدم اللون وانتصب بيضاء على الحال والسوء الرداءة والقبح في كل شئ فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة وكما كنوا عن جذيمة وكان أبرص بالأبرص والبرص أبغض شئ الى العرب وطباعهم تنفر منه وأسماعهم تمج ذكره فكني عنه وقوله من غير سوء متعلق ببيضاء كأنه قال ابيضت من غير سوء * وقال الحوفي من غير سوء في موضع النعت لبيضاء والعامل فيه الاستقرار انتهى ويقال له عند أرباب البيان الاحتراس لانه لو اقتصر على قوله بيضاء لأوهم أن ذلك من برص أو بهق وانتصب آية على الحال وهذا على مذهب من يجيز تعداد الحال لذي حال واحد وأجاز الزمخشري أن يكون منصوبا على اضمار خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام كذا قال فأما تقدير خذ فسائغ وأما دونك فلا يسوغ لانه اسم فعل من باب الاغراء فلا يجوز أن يحذف النائب والمنوب عنه ولذلك لم يجر مجراه في جميع أحكامه وأجاز أبو البقاء والحوفي أن يكون آية بدلا من بيضاء وأجاز أبو البقاء أن يكون حالا من الضمير في بيضاء أي تبيض آية * وقيل منصوب بمحذوف تقديره جعلناها آية أو آتيناك آية * واللام في لنريك قال الحوفي متعلقة باضمم و يجوز أن تتعلق بتخرج * وقال أبو البقاء تتعلق بهذا المحذوف يعني المقدر جعلناها أو آتيناك و يجوز أن تتعلق بما دل عليه آية أي دللنا بها لنريك * وقال الزمخشري لنريك أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك ونعني انه أجاز أن يكون مفعول لنريك الثاني الكبرى أو يكون من آياتنا في موضع المفعول الثاني وتكون الكبرى صفة لآياتنا على حد الأسماء الحسنى ومآرب أخرى يجريان مثل هذا

﴿قال رب اشرح لى صدرى﴾ الآية سأل ربه ورغب فى أن يشرح صدره ليحتمل ما يرد عليه من الشدائد التى يضيق لها الصدر *
والعقدة استعارة للثقل الذى كان فى لسانه خلقة وقيل كان من الجمرة التى أدخلها فاه فى قصة حكيت فى البحر قال الزمخشرى وفى
تنكيره العقدة ولم يقل واحلل عقدة لسانى أنه طلب حل بعضها إرادة أن يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن
لسانى صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى انتهى يظهر أن من لسانى متعلق باحلل لا فى موضع الصفة لعقدة وكذا قال الحوفى
وأجاز أبو البقاء الوجهين *والوزير المعين القائم بوزر الامور أى بثقلها فوزير الملك يتحمل عنه أوزاره ومؤنه وقيل من الوزر
وهو الملجأ يلتجئ إليه الانسان ويجوز أن يكون وزيرا مفعولا أول والمفعول الثانى من أهلى ويجوز أن يكون
هرون مفعولا أول ووزيرا مفعولا ثانيا ويجوز فى الوجه الأول أن يكون هرون بدلا من وزيرا بدل معرفة من نكرة ولا يجوز أن يكون عطف بيان للتخالف لكون وزيرا نكرة وهرون معرفة قال الزمخشرى وان جعل يعنى أخى عطف بيان جاز وحسن انتهى يبعد فيه عطف البيان لأن الاكثر أن يكون الاول دونه فى الشهرة والامر هنا بالعكس وقرئ أشدد بهمزة قطع جوابا لقوله اجعل وقرئ بوصل الهمزة وهو طلب من موسى عليه السلام لربه أن يشد أزره به *وأشركه على معنى الدعاء فى شد الأزر فكان هرون أكبر من موسى عليه
السلام بأربعة أعوام وجعل موسى ما رغب فيه وطلبه من نعم سببا يلزم فيه العبادة والاجتهاد فى أمر الله والتظافر على العبادة
والتعاون فيها مثير للرغبة والتزيد من الخير ﴿كى نسبحك﴾ أى ننزهك عما لا يليق بك ﴿ونذكرك﴾ بالدعاء والثناء عليك وقدم
التسبيح لانه تنزيهه تعالى فى ذاته وصفاته وبراءته عن النقائص ومحل ذلك القلب والذكر الثناء على الله تعالى بصفات الكمال ومحله
اللسان فلذلك قدم ما محله القلب *وكثيرا نعت لمصدر محذوف ﴿إنك كنت بنا بصيرا﴾ أى عالما بأحوالنا والسؤل فعل بمعنى
المسؤل كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والمعنى أعطيت طلبتك وما سألته من شرح الصدر وتيسير الامر وحل العقدة
وجعل أخيك وزيرا وذلك من المنة عليه ثم ذكره تعالى تقديم منته عليه على سبيل التوقيف ليعظم اجتهاده وتقوى بصيرته

الجمع مجرى الواحدة المؤنثة وأجاز هذين الوجهين من الاعراب الحوفى وابن عطية وأبو البقاء
والذى نختاره أن يكون من آياتنا فى موضع المفعول الثانى والكبرى صفة لآياتنا لانه يلزم من ذلك
أن تكون آياته تعالى كلها هى الكبر لان ما كان بعض الآيات الكبر صدق عليه أنه الكبرى واذا
جعلت الكبرى مفعولا لم تتصف الآيات بالكبر لانها هى المتصفة بأفعل التفضيل وأيضا اذا جعلت
الكبرى مفعولا فلا يمكن أن يكون صفة للعصا واليد معا لانهما كان يلزم التثنية فى وصفهما
فكان يكون التركيب الكبريين ولا يمكن أن يخص أحدهما لان كلا منهما فيها معنى التفضيل
ويبعد ما قال الحسن من ان اليد أعظم فى الاعجاز من العصا لانه ذكر عقيب اليد لنريك من آياتنا
الكبرى لانه جعل الكبرى مفعولا ثانيا لنريك وجعل ذلك راجعا الى الآية القريبة وهى اخراج
اليد بيضاء من غير سوء وقد ضعف قوله هذا لانه ليس فى اليد الا تغيير اللون وأما العصا ففيها تغيير
اللون وخلق الزيادة فى الجسم وخلق الحياة والقدرة والأعضاء المختلفة وابتلاع الشجر والحجر ثم
عادت عصا بعد ذلك فقد وقع التغيير مرارا فكانت أعظم من اليد ولما أراه تعالى هاتين المعجزتين
العظيمتين فى نفسه وفيما يلابسه وهو العصا أمره بالذهاب الى فرعون رسولا من عنده تعالى وعلل
حكمة الذهاب اليه بقوله انه طغى وخص فرعون وان كان مبعوثا اليهم كلهم لانه رأس الكفر
ومدعى الالهية وقومه تباعه * قال وهب بن منبه قال الله لموسى عليه السلام اسمع كلامى واحفظ
وصيتى وانطلق برسالتى أرعاك بعينى وسمعى وان معك يدى ونصرى وألبسك جنة من سلطانى
تستكمل بها العزة فى أمرى أبعثك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وغرته
الدنيا حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى أقسم بعزتى لولا الحجة والقدر الذى وضعت بينى وبين خلقى
لبطشت به بطشة جبار. ولكن هان علىّ وسقط من عينى فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره
نقمتى وقل له قولا لينا فان ناصيته بيدى لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمى فى كلام طويل قال فسكت
موسى عليه السلام سبعة أيام *وقيل أكثر فجاءه ملك فقال انفذ ما أمرك ربك ﴿قال رب اشرح لى
صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هارون
أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا

قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ولقد مننا عليك مرة أخرى إذ أوحينا الى أمك مايوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدوّ لى وعدوّ له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعتك لنفسى ﴾ لما أمره تعالى بالذهاب الى فرعون

*ومرة معناه منة وأخرى تأنيث آخر بمعنى غير أى منة غير هذه المنة *﴿اذ أوحينا الى أمك﴾* قال الجمهور هو وحى إلهام كقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وقيل وحى إعلام امابأراءة ذلك فى المنام واما ببعث ملك إليها لا على جهة النبوة كما بعثه الى مريم وهذا هو الظاهر لظاهر قوله يأخذه عدولى وعدوله ولظاهر آية القصص انا رداوه إليك وجاعلوه من المرسلين * وأن يحتمل أن تكون مفسرة بمعنى أى لانه تقدم أوحينا وهو بمعنى القول ويحتمل أن تكون مصدرية وصلت بالأمر * التابوت كان من خشب سدت خروقه وفرشت فيه نطعا وقطنا محلوجا وسدت فمه وجصصته وألقته فى اليم وهو اسم للبحر العذب والظاهر أن الضمير فى *﴿فاقذفيه﴾* عائد على موسى وكذلك الضميران بعده إذ هو المحدث عنه لا التابوت إنما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة *﴿فليلقه اليم﴾* انما ذكره بلفظ الامر لسابق علمه بوقوع الخبر به على ما أخبر به وكان البحر مأمور ممتثل للامر *﴿يأخذه﴾* جواب الأمر الذى هو فليلقه والظاهر أن البحر ألقاه بالساحل فالتقطه منه والعدو الذى لله ولموسى هو فرعون وأخبرت به أم موسى على طريق الالهام ولذلك قالت لاخته قصيه وهى لاتدرى أين استقر *﴿وألقيت عليك محبة منى﴾* قيل محبة آسية وفرعون وكان فرعون أحبه حبا شديدا حتى لايتمالك أن يصبر عنه وكذا من رآه ومنى يجوز أن يكون متعلقا بألقيت ويجوز أن يكون فى موضع الصفة فيتعلق بمحذوف تقديره كائنة منى وقرأ الجمهور ولتصنع بكسر لام كى وضم التاء ونصب الفعل أى لتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به وهو معطوف على محذوف أى ليتلطف بك ولتصنع أو متعلقة بفعل متأخر تقديره فعلت ذلك *﴿إذ تمشى أختك﴾* قيل إسمها مريم * قيل سبب ذلك أن آسية عرضته للرضاع فلم يقبل امرأة فجعلت تنادى عليه فى المدينة ويطاف به ويعرض للمراضع فيأبى وبقيت أمه بعد قذفه فى اليم مغمومة فامرت أخته بالتفتيش فى المدينة لعلها تقع على خبره فبصرت به فى طوافها فقالت أنا أدلكم على من يكفله لكم وهم له ناصحون فتعلقوا بها وقالوا أنت تعرفين هذا الصبى فقالت لا ولكنى أعلم من أهل هذا البيت الحرص على التقرب الى الملكة والجد فى خدمتها ورضاها فتركوها وسألوها الدلالة فجاءت بأم موسى عليه السلام فلما قرب منه شرب ثديها فسرت آسية بذلك وقالت لها كونى معى فى القصر فقالت ما كنت لأدع بيتى وولدى ولكنه يكون عندى قالت نعم فاحسنت الى أهل ذلك البيت غاية الاحسان واعتز بنو اسرائيل بهذا الرضاع والنسب من الملكة ولما كمل رضاعه أرسلت آسية إليها أن جيئينى بولدى ليوم كذا وأمرت خدمها ومن لها أن يلقينه بالهدايا والتحف واللباس فوصل إليها على ذلك وهو بخير حال وأجمل شأن فسرت به ودخلت به على فرعون ليراه وليهبه فاعجبه وقربه إليه فأخذ موسى عليه السلام بلحيته وتقدم ماجرى له عند ذكر العقدة * واذ بدل من اذ فى قوله اذ أوحينا فالعامل فيها مشى وقرئ تقر بكسر القاف وتقدم أنهما لغتان فى قوله وقرى عينا وقرأ جناح بن حبيش بضم التاء وفتح القاف مبنيا للمفعول *﴿وقتلت نفسا﴾* هو القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى قتله وهو ابن اثنتى عشرة سنة واغتم بذلك خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له ذلك باستغفاره حين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى ونجاه من فرعون حين هاجر به الى مدين والغم مايغم على القلب بسبب الخوف من القتل * وفتونا مصدر وفتناك خلصناك من محنة الى محنة ولد فى عام كان يقتل فيه الولدان وألقته أمه فى البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا فخرج خائفا الى أهل مدين فلبث سنين وكان عمره حين ذهب الى مدين اثنى عشر عاما والسنون التى لبثها فى مدين عشر سنين وأقام عشرة أعوام فى رعى غنم شعيب ثم ثمانية عشر عامابعد بنائه بامرأته بنت شعيب وولد له فكمل له أربعون سنة وهى المدة التى عادة الله ارسال الانبياء على رأسها *﴿ ثم جئت ﴾* أى المكان الذى ناجيتك فيه وكلمتك واستنبأتك *﴿على قدر﴾* أى وقت معين قدرته لم تتقدم ولم تتأخر عنه *﴿واصطنعتك لنفسى﴾* أى جعلتك موضع الصنيعة ومقر الاجمال والاحسان وأخلصتك بالالطاف واخترتك لمحبتى يقال اصطنع فلان فلانا اتخذه صنيعة وهو افتعال من الصنع وهو الاحسان الى الشخص حتى يضاف إليه فيقال هذا صنيع فلان

عرف أنه كلف أمرا عظيما يحتاج معه الى احتمال مالا يحتمله الا ذو جأش رابط وصدر فسيح فسأل ربه ورغب فى أن يشرح صدره ليحتمل ما يرد عليه من الشدائد التى يضيق لها الصدر وأن يسهل عليه أمره الذى هو خلافة الله فى أرضه وما يصحبها من مزاولة جلائل الخطوب وقد علم ما عليه فرعون من الجبروت والتمرد والتسلط * وقال ابن جريج معناه وسع لى صدرى لأعى عنك ما تودعه من وحيك * وقال الكرمانى وسع قلبى ولينه لفهم خطابك وأداء رسالتك والقيام بما كلفتنيه من أعبائها والعقدة استعارة لثقل كان فى لسانه خلقة * وقال مجاهد كانت من الجمرة التى أدخلها فاه وكانت آسية قد ألقى الله محبته فى قلبها وسألت فرعون أن لا يذبحه فبيناهى ترقصه يوما أخذه فرعون فى حجره فأخذ خصلة من لحيته * وقيل لطمه * وقيل ضربه بقضيب كان فى يده فغضب فرعون فدعا بالسياف فقالت انما هو صبى لا يفرق بين الياقوت والجمر فاحضرا وأراد أن يمد يده الى الياقوت فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمرة فأخذها ووضعها فى فيه فاحترق لسانه انتهى واحراق النار وتأثيرها فى لسانه لافى يده دليل على فساد قول القائلين بالطبيعة وعن ابن عباس كانت فى لسانه رتة * وقيل حدثت العقدة بعد المناجاة حتى لا يكلم أحدا بعدها * وقال قطرب كانت فيه مسكة عن الكلام * وقال ابن عيسى العقدة كالتمتمة والفأفأة وطلب موسى من حل العقدة قدر ما يفقه قوله قيل وبقى بعضها لقوله وأخى هارون هو أفصح منى لسانا وقوله ولا يكاد يبين * وقيل زالت لقوله قد أوتيت سؤلك ياموسى وهو قول الحسن قيل وهو ضعيف لأنه لم يقل واحلل العقدة بل قال عقدة فاذا حل عقدة فقد آتاه الله سؤله * وقيل فى قوله ولا يكاد يبين ان معناه لا يأتى ببيان وحجة وانما قال ذلك فرعون تمويها وقد خاطبه وقومه وكانوا يفهمون عنه فكيف يمكن نفى البيان أو مقاربته * وقال الزمخشرى (فان قلت) لى فى قوله اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ما جدواه والكلام بدونه مستتب (قلت) قد أبهم الكلام أولا فقال اشرح لى ويسر لى فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام فذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول اشرح صدرى ويسر أمرى على الايضاح الشارح لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقى الاجمال والتفصيل * وقال أيضا وفى تنكير العقدة وان لم يقل واحلل عقدة لسانى أنه طلب حل بعضها ارادة أن يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لسانى صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى انتهى ويظهر ان من لسانى متعلق باحلل لان موضع الصفة لعقدة وكذا قال الحوفى وأجاز أبو البقاء الوجهين والوزير المعين القائم بوزر الأمور أى بثقلها فوزير الملك يتحمل عنه أوزاره ومؤنه * وقيل من الوزر وهو الملجأ الذى يلجأ اليه الانسان * وقال الشاعر

من السباع الضوارى دونه وزر * والناس شرهم ما دونه وزر
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع * وما نرى بشرا لم يؤذهم بشر

فالملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه فى أموره * وقال الأصمعى هو من المؤازرة وهى المعاونة والمساعدة والقياس أزير وكذا قال الزمخشرى قال وكان القياس أزيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء فى معنى مفاعل مجيأ صالحا كعشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلب فى أخيه قلبت فيه وحمل الشئ على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر وأخواته والى الموازرة انتهى ولا حاجة الى ادعاء قلب الهمزة واوا لان لنا اشتقاقا واضحا وهو الوزر وأما قلبها فى يؤزر فلاجل

ضمة ماقبل الواو وهو أيضا ابدال غير لازم وجوزوا أن يكون لى وزيرا مفعولين لاجعل وهارون بدل أو عطف بيان وأن يكون وزيرا وهارون مفعوليه وقدم الثانى اعتناء بأمر الوزارة وأخى بدل من هارون فى هذين الوجهين * قال الزمخشرى وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن انتهى ويبعد فيه عطف البيان لان الاكثر فى عطف البيان أن يكون الأول دونه فى الشهرة والامر هنا بالعكس وجوزوا أن يكون وزيرا من أهلى هما المفعولان ولى مثل قوله ولم يكن له كفوا أحد يعنون أنه به يتم المعنى * وهارون على ماتقدم وجوزوا أن ينتصب هارون بفعل محذوف أى اضمم الى هارون وهذا لاحاجة اليه لأن الكلام تام بدون هذا المحذوف * وقرأ الحسن وزيد بن على وابن عامر اشدد بفتح الهمزة وأشركه بضمها فعلا مضارعا مجزوما على جواب الأمر وعطف عليه وأشركه * وقال صاحب اللوامح عن الحسن أنه قرأ اشدد به مضارع شدد للتكثير والتكرير أى كلما حزننى أمر شددت به أزرى * وقرأ الجمهور اشدد وأشركه على معنى الدعاء فى شد الازر وتشريك هارون فى النبوة وكان الامر فى قراءة ابن عامر لا يريد به النبوة بل يريد تدبيره ومساعدته لانه ليس لموسى أن يشرك فى النبوة أحدا وفى مصحف عبد الله أخى واشدد * وقال الزمخشرى ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر أن يجعل أخى مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هارون انتهى وهو خلاف الظاهر فلا يصار اليه لغير حاجة وكان هارون أكبر من موسى بأربعة أعوام وجعل موسى مارغب فيه وطلبه من نعم سببا تلزم منه العبادة والاجتهاد فى أمر الله والتظافر على العبادة والتعاون فيها مشير للرغبة والتزيد من الخير * كى نسبحك ننزهك عما لا يليق بك ونذكرك بالدعاء والثناء عليك وقدم التسبيح لانه تنزيهه تعالى فى ذاته وصفاته وبراءته عن النقائص ومحل ذلك القلب والذكر والثناء على الله بصفات الكمال ومحله اللسان فلذلك قدم ماحله القلب على ماحله اللسان وكثيرا نعت لمصدر محذوف أو منصوب على الحال أى نسبحك التسبيح فى حال كثرتهم على ماذهب اليه سيبويه انك كنت بنا بصيرا عالما بأحوالنا والسؤل فعل بمعنى المسؤل كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والمعنى أعطيت طلبتك وماسألته من شرح الصدر وتيسير الامر وحل العقدة وجعل أخيك وزيرا وذلك من المنة عليه ثم ذكره تعالى تقديم منته عليه على سبيل التوقيف ليعظم اجتهاده وتقوى بصيرته ومرة معناه منة وأخرى تأنيث آخر بمعنى غير أى منة غير هذه المنة وليست أخرى هنا بمعنى آخرة فتكون مقابلة للأولى وتخيل ذلك بعضهم فقال سماها أخرى وهى أولى لأنها أخرى فى الذكر والاخرى لفظ مشترك يكون تأنيث الآخر بفتح الخاء وتأنيث الآخر بمعنى آخرة فهذه يلحظ فيها معنى التأخر والمعنى أنى قد حفظتك وأنت طفل رضيع فكيف لا أحفظك وقد أهلتك للرسالة وفى قوله مرة أخرى اجمال يفسره قوله إذ أوحينا الى أمك * قال الجمهور هى وحى الهام كقوله وأوحى ربك الى النحل * وقيل وحى اعلام اما باراءة ذلك فى منام واما ببعث ملك اليها لا على جهة النبوة كما بعث الى مريم وهذا هو الظاهر لظاهر قوله يأخذه عدو لى وعدو له ولظاهر آية القصص انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ويبعد ماصدر به الزمخشرى قوله من ترديده اما أن يكون على لسان نبى فى وقتها كقوله وإذ أوحيت الى الحواريين لأنه لم ينقل انه كان فى زمن فرعون وكان فى زمن الحواريين زكريا ويحيى وفى قوله مايوحى ابهام واجمال كقوله إذ يغشى السدرة مايغشى فغشيهم من اليم ماغشيهم وفيه تهويل وقد فسر هنا بقوله أن اقذفيه فى التابوت * قال الزمخشرى

وان هي المفسرة لأن الوحي بمعنى القول * وقال ابن عطية وأن في قوله أن اقذفيه بدل من ما بمعنى ان أن مصدرية فلذلك كان لها موضع من الاعراب والوجهان سائغان والظاهر ان التابوت كان من خشب * وقيل من بردي شجر مؤمن آل فرعون سدت خروقه وفرشت فيه نطعا * وقيل قطنا محلوجا وسدت فمه وجصصته وقيرته وألقته في اليم وهو اسم للبحر العذب * وقيل اسم للنيل خاصة والأول هو الصواب كقوله فأغرقناهم في اليم ولم يغرقوا في النيل والظاهر ان الضمير في فاقذفيه في اليم عائد على موسى وكذلك الضميران بعده إذ هو المحدث عنه لا التابوت انما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة * وقال ابن عطية والضمير الأول في اقذفيه عائد على موسى وفي الثاني عائد على التابوت و يجوز أن يعود على موسى * وقال الزمخشري والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه و بعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم (فان قلت) المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل (قلت) ماضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تتفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر انتهى ولقائل أن يقول ان الضمير اذا كان صالحا لأن يعود على الاقرب وعلى الابعد كان عوده على الاقرب راجحا وقد نص النحويون على هذا فعوده على التابوت في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه اليم راجح والجواب انه اذا كان أحدهما هو المحدث عنه والآخر فضلة كان عوده على المحدث عنه أرجح ولا يلتفت الى القرب ولهذا رددنا على أبي محمد بن حزم في دعواه ان الضمير في قوله فانه رجس عائد على خنزير لا على لحم لكونه أقرب مذكور فيحرم بذلك شحمه وغضروفه وعظمه وجلده بأن المحدث عنه هو لحم خنزير لا خنزير وفليلقه أمر معناه الخبر وجاء بصيغة الامر مبالغة إذ الامر أقطع الافعال وأوجبها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم قوموا فلأصل لكم أخرج الخبر في صيغة الامر لنفسه مبالغة ومن حيث خرج الفعل مخرج الامر حسن جوابه كذلك وهو قوله يأخذه * وقال الزمخشري لما كانت مشيئة الله وارادته أن لا يخطىء جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل انتهى * وقال الترمذي انما ذكره بلفظ الامر لسابق علمه بوقوع الخبر به على ما أخبر به فكأن البحر مأمور ممتثل للأمر * وقال الفراء فاقذفيه في اليم أمر وفيه معنى المجازاة أي اقذفيه يلقه اليم والظاهر أن البحر ألقاه بالساحل فالتقطه منه * وروي أن فرعون كان يشرب في موضع من النيل إذ رأى التابوت فأمر به فسيق اليه وامرأته معه ففتح فرأوه فرحمته امرأته وطلبته لتتخذه ابنا فأباح لها ذلك * وروي أن التابوت جاء في الماء الى المشرعة التي كانت جواري امرأة فرعون يستقين منها الماء فأخذن التابوت وجلبنه اليها فأخرجته وأعلمته فرعون والعدو الذي لله ولموسى هو فرعون وأخبرت به أم موسى على طريق الالهام ولذلك قالت لأخته قصيه وهي لا تدري أين استقر وألقيت عليك محبة مني * قيل محبة آسية وفرعون وكان فرعون قد أحبه حبا شديدا حتى لا يتمالك أن يصبر عنه * قال ابن عباس أحبه الله وحببه الى خلقه * وقال عطية جعلت عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه من رآه * وقال قتادة كان في عينيه ملاحة ما رآه أحد الا أحبه * وقال ابن عطية وأقوى الأقوال انه القبول * وقال الزمخشري مني لا يخلو أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى على أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف

(الدر)

(ح) راجحا وقد نص النحويون على هذا فعوده الى التابوت في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه اليم راجح والجواب انه اذا كان أحدهما هو المحدث عنه والآخر فضلة كان عوده على المحدث أرجح ولا يلتفت الى القرب ولهذا رددنا على أبي محمد بن حزم في دعواه ان الضمير في قوله فانه رجس عائد على خنزير لا على لحم لكونه أقرب مذكور فيحرم بذلك شحمه وغضروفه وعظمه وجلده بأن المحدث عنه هو لحم خنزير لا خنزير

هو صفة لمحبة أي محبة خالصة أو واقعة مني قد ركزتها أنا فيها في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك * وقرأ الجمهور ولتصنع بكسر لام كي وضم التاء ونصب الفعل أي ولتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشئ بعينيه اذا اعتنى به قال قريبا منه قتادة * وقال النحاس يقال صنعت الفرس اذا أحسنت اليه وهو معطوف على علة محذوف أي ليتلطف بك ولتصنع أو متعلقة بفعل متأخر تقديره فعلت ذلك * وقرأ الحسن وأبو نهيك بفتح التاء * قال ثعلب معناه لتكون حركتك وتصرفك على عين مني * وقرأ شيبة وأبو جعفر في رواية باسكان اللام والعين وضم التاء فعل أمر وعن أبي جعفر كذلك إلا أنه كسر اللام * اذ تمشي أختك قيل اسمها مريم سبب ذلك أن آسية عرضته للرضاع فلم يقبل امرأة فجعلت تنادي عليه في المدينة ويطاف به ويعرض للمراضع فيأبى وبقيت أمه بعد قذفه في اليم مغمومة فأمرت أخته بالتفتيش في المدينة لعلها تقع على خبره فبصرت به في طوافها فقالت أنا أدلكم على من يكفله لكم وهم له ناصحون فتعلقوا بها وقالوا أنت تعرفين هذا الصبي فقالت لا ولكن أعلم من أهل هذا البيت الحرص على التقرب الى الملكة والجد في خدمتها ورضاها فتركوها وسألوها الدلالة فجاءت بأم موسى فلما قربته شرب ثديها فسرت آسية وقالت لها كوني معي في القصر فقالت ما كنت لادع بيتي وولدي ولكنه يكون عندي قالت نعم فأحسنت الى أهل ذلك البيت غاية الاحسان واعتز بنو اسرائيل بهذا الرضاع والنسب من الملكة ولما كمل رضاعه أرسلت آسية اليها أن جيئيني بولدي ليوم كذا وأمرت خدمها ومن لها أن يلقينه بالتحف والهدايا واللباس فوصل اليها على ذلك وهو بخير حال وأجمل شباب فسرت به ودخلت به على فرعون ليراه وليهبه فأعجبه وقربه فأخذ موسى بلحية فرعون وتقدم ما جرى له عند ذكر العقدة * والعامل في اذ قال ابن عطية فعل مضمر تقديره ومننا اذ * وقال الزمخشري العامل في إذ تمشي ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من اذ أوحينا (فان قلت) كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان (قلت) كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته إذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها انتهى وليس كما ذكر لأن السنة تقبل الاتساع فاذا وقع لقيهما فيها بخلاف هذين الطرفين فان كل واحد منهما ضيق ليس بمتسع لتخصيصهما بما أضيفا اليه فلا يمكن أن يقع الثاني في الطرف الذي وقع فيه الأول اذ الأول ليس متسعا لوقوع الوحي فيه ووقوع مشي الأخت فليس وقت وقوع الوحي مشتملا على أجزاء وقع في بعضها المشي بخلاف السنة * وقال الحوفي إذ متعلقة بتصنع ولك أن تنصب إذ بفعل مضمر تقديره واذكر * وقرأ الجمهور كي تقر بفتح التاء والقاف * وقرأت فرقة بكسر القاف وتقدم أنهما لغتان في قوله وقري عينا * وقرأ جناح بن حبيش بضم التاء وفتح القاف مبنيا للمفعول وقتلت نفسا هو القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة واغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون حين هاجر به الى مدين والغم ما يغم على القلب بسبب خوف أو فوات مقصود والغم بلغة قريش القتل وقيل من غم التابوت * وقيل من غم البحر والظاهر أنه من غم القتل حين ذهبنا بك من مصر الى مدين والفتون مصدر جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة أي فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وما يشق على الانسان وعن ابن عباس خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام

(الدر)

(ش) العامل في اذ تمشي ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من اذ أوحينا فان قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها (ح) ليس كما ذكر لأن السنة تقبل الاتساع فاذا وقع لقيهما فيها بخلاف هذين الطرفين فان كل واحد منهما ليس بمتسع لتخصيصهما بما أضيفا اليه فلا يمكن أن يقع الثاني في الطرف الذي وقع فيه الاول اذ الاول ليس متسعا لوقوع الوحي فيه ووقوع مشي الأخت فليس وقت وقوع الوحي مشتملا على أجزاء وقع في بعضها المشي بخلاف السنة

كان يقتل فيه الولدان وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة انتهى وهذه الفتون اختبره بها وخلصه حتى صلح للنبوة وسلم لها والسنون التي لبثها في مدين عشر سنين * وقال وهب ثمان وعشرون سنة منها مهر ابنته وبين مصر ومدين ثمان مراحل وفي الكلام حذف والتقدير وفتناك فتونا فخرجت خائفا الى أهل مدين فلبثت سنين وكان عمره حين ذهب الى مدين اثنى عشر عاما وأقام عشرة أعوام في رعي غنم شعيب ثم ثمانية عشر عاما بعد بنائه بامرأته بنت شعيب وولد له فيها فكمل له أربعون سنة وهي المدة التي عادة الله ارسال الانبياء على رأسها * ثم جئت الى المكان الذي ناجيتك فيه وكلمتك واستنبأتك * على قدر أي وقت معين قدرته لم تتقدمه ولم تتأخر عنه * وقيل على مقدار من الزمان يوحى الى الأنبياء فيه وهو الأربعون * وقال الشاعر

نال الخلافة أو جاءت على قدر * كما أتى ربه موسى على قدر

* واصطنعتك لنفسي أي جعلتك موضع الصنيعة ومقر الاكمال والاحسان وأخلصتك بالألطاف واخترتك لمحبتي يقال اصطنع فلان فلانا اتخذه صنيعة وهو افتعال من الصنع وهو الاحسان الى الشخص حتى يضاف اليه فيقال هذا اصنيع فلان * وقال الزمخشري هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه الملوك بجميع خصال فيه وخصائص أهلا لأن يكون أقرب منزلة اليه وألطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه انتهى ومعنى لنفسي أي لأوامري واقامة حججي وتبليغ رسالتي فحركاتك وسكناتك لي لا لنفسك ولا لأحد غيرك * اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى قالوا ياموسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى * الونى الفتور يقال ونى يني وهو فعل لازم واذا عدي فبمن وبفي وزعم بعض البغداديين أنه يأتي فعلا ناقصا من أخوات مازال وبمعناها واختاره ابن مالك وأنشد

لا يني الحب شيمة الحب * مادام فلا تحسبنه ذا ارعواء

وقالوا امرأة أناة أي فاترة عن النهوض أبدلوا من واوها همزة على غير قياس * قال الشاعر

﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ﴾ أمره الله أولا بالذهاب الى فرعون فلما دعاربه وطلب منه أشياء كان منها أن يشرك أخاه هرون فذكر الله تعالى انه آتاه سؤله وكان منه اشراك أخيه فأمره هنا وأخاه بالذهاب ﴿ وأخوك معطوف على الضمير المستكن في اذهب المؤكد بأنت وتقدم الكلام على نظيره في قوله فاذهب أنت وربك في المائدة وظاهر بآياتي الجمع فقيل هي العصا واليد وحل عقدة لسانه ﴿ ولا تنيا ﴾ أي لا تفترا ولا تقصرا والونى الفتور يقال ونى يني ولما حذف من يذهب إليه في الأمر قبله نص عليه في هذا الأمر الثاني فقيل ﴿ اذهبا الى فرعون ﴾ أي بالرسالة ونبه على سبب الذهاب اليه بالرسالة من عنده بقوله ﴿ انه طغى ﴾ أي تجاوز الحد في الفساد ودعواه الربوبية والالوهية من دون الله ﴿ فقولا له قولا لينا ﴾ القول اللين هو مثل ما في سورة النازعات هل لك الى أن تزكى الآيات وهذا من لطيف الكلام اذ أبرز ذلك في صورة الاستفهام والعرض لما فيه من الفوز العظيم ﴿ لعله يتذكر ﴾ والترجي بالنسبة لهما اذ هو مستحيل وقوعه من الله أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه وقوله يتذكر أي يتذكر حالة نشأته صغيرا وأنه حدث بعد أن لم يكن موجودا ﴿ أو يخشى ﴾ عقاب الله في دعواه الربوبية وفرط سبق ومنه الفارط السابق

والمعنى اننا نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها أو أن يطغى في التخطي الى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على سبيل الاطلاق والرمز باب من حسن الادب وتجاف عن التفوه بالعظيمة ﴿ انني معكما ﴾ المعية هنا بالنصرة والعون ﴿ أسمع ﴾ أقوالكما ﴿ وأرى ﴾ أفعالكما وقال ابن عباس أسمع جوابه لكما وأرى ما يفعل بكما وهما كناية عن العلم ﴿ فأتياه ﴾ كرر الامر بالاتيان ﴿ فقولا انا رسولا ربك ﴾ وخاطباه بقولهما ربك تحقيرا له واعلاما أنه مربوب مملوك اذ كان هو يدعي الربوبية وأمرا بدعوته الى أن يبعث معهما بني اسرائيل ويخرجهم من ذل خدمة القبط وكانوا يعذبونهم بتكاليف الاعمال الشاقة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء وقد ذكر في هذه الآية دعاءه الى الايمان بجملة ما دعي اليه فرعون الايمان وارسال بني اسرائيل ثم ذكرا ما يدل على صدقهما في ارسالهما اليه فقالا ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾ وتكرر أيضا قولهما من ربك على سبيل التوكيد بأنه مربوب مقهور والآية التي أحالا عليها هي العصا واليد ولما كانا مشتركين في الرسالة صح نسبة المجيء بالآية اليهما وان كانت صادرة من أحدهما قد جئناك بآية من ربك جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا يثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالآية وانما وحد بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها وكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية ان كنت من الصادقين ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ مندرج متصل بقوله انا قد أوحي الينا فيكون اذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب وفيه تنبيه على أن فرعون ليس ممن اتبع الهدى ﴿ إنا قد أوحي الينا ﴾ الآية أوحي مبني للمفعول والمفعول الذي لم يسم فاعله مصدر منسبك من ان وما بعدها تقديره أوحي الينا كينونة العذاب على من كذب

---

* فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر * شت الامر شتا وشتاتا تفرق وأمر شت متفرق وشتى فعلى من الشت وألفه للتأنيث جمع شتيت كمريض ومرضى ومعناه متفرقة وشتان اسم فاعل * سحت لغة الحجاز وأسحت لغة نجد وتميم وأصله استقصاء الحلق للشعر وقال الفرزدق وهو تميمي

وعض زمان يا ابن مروان لم يلك * من المال إلا مسحت أو محلق

ثم استعمل في الاهلاك والاذهاب * الخيبة عدم الظفر بالمطلوب * الصف موضع المجمع قاله أبو عبيدة وسمي المصلى الصف وعن بعض العرب الفصحاء ما استطعت ان آتي الصف أي المصلى وقد يكون مصدرا ويقال جاؤا صفا أي مصطفين * التخييل ابداء أمر لا حقيقة له ومنه الخيال وهو الطيف الطارق في النوم قال الشاعر

ألا يا لقومي للخيال المشوق * وللدار تنأى بالحبيب ونلتقي

﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى

قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولا ينسى ﴾ أمره الله تعالى بالذهاب الى فرعون فلما دعا ربه وطلب منه أشياء كان فيها أن يشرك أخاه هارون فذكر الله أنه آتاه سؤله وكان منه اشراك أخيه فأمره هنا وأخاه بالذهاب وأخوك معطوف على الضمير المستكن فى اذهب أنت وربك فى سورة المائدة وقول بعض النحاة ان وربك مرفوع على اضمار فعل أى وليذهب ربك وذلك البحث جار هنا * وروى أن الله أوحى الى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى * وقيل سمع بمقدمه * وقيل ألهم ذلك وظاهر بآياتى الجمع * فقيل هى العصا واليد وعقدة لسانه * وقيل اليد والعصا وقد يطلق الجمع على المثنى وهما اللتان تقدم ذكرهما ولذلك لما قال فائت بآية ألقى العصا ونزع اليد وقال فذانك برهانان * وقيل العصا مشتملة على آيات انقلابها حيوانا ثم فى أول الأمر كانت صغيرة ثم عظمت حتى صارت ثعبانا ثم ادخال موسى يده فى فمها فلا تضره * وقيل ما أعطى من معجزة ووحى * ولا تنيا أى لا تضعفا ولا تقصرا * وقيل تنسيانى ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلبتما ويجوز أن يراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها فكان جديرا أن يطلق عليه اسم الذكر * وقرأ ابن وثاب ولا تنيا بكسر التاء اتباعا لحركة النون وفى مصحف عبد الله ولا تهنا أى ولا تلنا من قولهم هين لين ولما حذف من يذهب اليه فى الأمر قبله نص عليه فى هذا الامر الثانى * فقيل اذهبا الى فرعون أى بالرسالة وأبعد من ذهب الى أنهما أمرا بالذهاب أولا الى الناس وثانيا الى فرعون فكرر الامر بالذهاب لاختلاف المتعلق ونبه على سبب الذهاب اليه بالرسالة من عنده بقوله إنه طغى أى تجاوز الحد فى الفساد ودعواه الربوبية والالهية من دون الله والقول اللين هو مثل ما فى النازعات هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى وهذا من لطيف الكلام اذ أبرز ذلك فى صورة الاستفهام والمشورة والعرض لما فيه من الفوز العظيم * وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه إلا بالموت وأن يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته * وقيل لا تجبهاه بما يكره وألطفا له فى القول لما له من حق تربية موسى * وقيل كنياه وهو ذو الكنى الاربع أبو مرة وأبو مصعب وأبو الوليد وأبو العباس * وقيل القول اللين لا اله الا الله وحده لا شريك له ولينها خفتها على اللسان * وقال الحسن هو قولهما ان لك ربا وان لك معادا وان بين يديك جنة ونارا فآمن بالله يدخلك الجنة ويقك عذاب النار * وقيل أمرهما تعالى أن يقدما المواعيد على الوعيد كما قال الشاعر

أقدم بالوعد قبل الوعيد * لينهى القبائل جهالها

* وقيل حين عرض عليه موسى وهارون عليهما السلام ما عرضا شاور آسية فقالت ما ينبغى لاحد أن يرد هذا فشاور هامان وكان لا يبت أمرا دون رأيه فقال له كنت أعتقد أنك ذو عقل تكون مالكا فتصير مملوكا وربا فتصير مربوبا فامتنع من قبول ما عرض عليه موسى والترجى بالنسبة لهما اذ هو مستحيل وقوعه من الله تعالى أى اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه وفائدة ارسالهما مع علمه تعالى أنه لا يؤمن اقامة الحجة عليه وازالة

وفيه تنبيه على أن فرعون ممن كذب وتولى ﴿ قال فمن ربكما يا موسى ﴾ الآية بين قال وفمن محذوف تقديره سمعت قولكما فمن ربكما وخاطبهما معا وأفرد موسى عليه السلام بالنداء اذ كان صاحب عظم الرسالة وهارون وزيره وتابعه واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله بالصفة التى لا شرك فيها لفرعون بوجه ولا بمجاز والمعنى أعطى كل ما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الاتقان ﴿ ثم هدى ﴾ أى يسر كل شئ لمنافعه ومرافقه فأعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يناسب الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها يطابق ما علق به من المنفعة غير ناب عنه قال الزمخشرى والخلق المخلوق لان البطش والرؤية والنطق معان مخلوقة أودعها الله للاعضاء ﴿ قال فما بال القرون الاولى ﴾ لما أجابه موسى عليه السلام بجواب مسكت ولم يقدر فرعون على معارضته فيه انتقل الى سؤال آخر وهو ما حال من هلك من القرون وذلك على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قال موسى وما أجابه به وخيدة والمغالطة فيل سأله عن أخبارها وأحاديثها ليختبر أهما نبيان وهما من جملة القصاص الذين دارسوا قصص الامم السالفة ولم يكن عنده عليه السلام علم اذ التوراة تنزلت عليه بعد هلاك فرعون فقال ﴿ علمها عند ربى ﴾ والكتاب هنا اللوح المحفوظ وقيل فى كتبته الملائكة من أحوال البشر ﴿ لا يضل ربى ﴾ لكتاب

المعذرة كما قال تعالى ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله الآية * وقيل القول اللين ما حكاه الله هنا وهو فأتياه فقولا انا رسولا ربك الى قوله والسلام على من اتبع الهدى * وقال أبو معاذ فقولا لينا *وقال الفراء لعل هنا بمعنى كى أى كى يتذكر أو يخشى كما تقول اعمل لعلك تأخذ أجرك أى كى تأخذ أجرك * وقيل لعل هنا استفهام أى هل يتذكر أو يخشى والصحيح انها على بابها من الترجي وذلك بالنسبة الى البشر وفى قوله لعله يتذكر أو يخشى دلالة على انه لم يكن شاكا فى الله * وقيل يتذكر حاله حين احتبس النيل فسار الى شاطئه وأبعد وخر ساجدا لله راغبا ان لا يخجله ثم ركب فأخذ النيل يتبع حافر فرسه فرجا ان يتذكر حلم الله وكرمه وان يحذر من عذاب الله * وقال الزمخشري اى يتذكر و يتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق أو يخشى ان يكون الامر كما يصفان فيجره انكاره الى الهلكة *فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذى يتقدم الواردة وفرس فرط تسبق الخيل انتهى * وقال الشاعر

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كما تقدم فارط الوراد

وفى الحديث انا فرطكم على الحوض أى متقدمكم وسابقكم والمعنى اننا نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها *وقرأ يحيي وأبو نوفل وابن محيصن فى روايته ان يفرط مبنيا للمفعول أى يسبق فى العقوبة و يسرع بها و يجوز ان يكون من الافراط ومجاوزة الحد فى العقوبة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعذاب من شيطان أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية أو من حبه الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين قال الله فيهم قال الملأ من قوم فرعون وقال الملأ من قومه *وقرأت فرقة والزعفرانى عن ابن محيصن يفرط بضم الياء وكسر الراء من الافراط فى الاذية أو ان يطغى فى التخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغى لجرأته عليك وقسوة قلبه وفى المجىء به هكذا على سبيل الاطلاق والرمز باب من حسن الادب والتجافى عن التفوه بالعظيمة والمعية هنا بالنصرة والعون أسمع أقوالكما وأرى أفعالكما * وقال ابن عباس اسمع جوابه لكما وأرى ما يفعل بكما وهما كناية عن العلم *فأتياه كرر الامر بالاتيان فقولا انا رسولا ربك وخاطباه بقولهما ربك تحقيرا له واعلاما انه مربوب مملوك اذ كان هو يدعى الربوبية * وأمرا بدعوته الى ان يبعث معهما بنى اسرائيل و يخرجهم من ذل خدمة القبط وكانوا يعذبونهم بتكاليف الاعمال الشاقة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة فى كل شئ مع قتل الولدان واستخدام النساء وقد ذكر فى غير هذه الآية دعاؤه الى الايمان فجملة ما دعى اليه فرعون الايمان وارسال بنى اسرائيل ثم ذكرا ما يدل على صدقهما فى ارسالهما اليه فقالا قد جئناك بآية من ربك وتكرر أيضا قولهما من ربك على سبيل التوكيد بأنه مربوب مقهور والآية التى أحالا عليها هى العصا واليد ولما كانا مشتركين فى الرسالة صح نسبة المجىء بالآية اليهما وان كانت صادرة من أحدهما *وقال الزمخشري قد جئناك بآية من ربك جارية من الجملة الاولى وهى انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لأن دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التى هى المجئ بالآية وانما وحد بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد فى هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك بمعجزة و برهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية ان كنت من الصادقين أو لو جئتك بشئ مبين انتهى *وقيل الآية اليد * وقيل العصا والمعنى بآية تشهد لنا بأنا رسولا ربك والظاهر ان قوله والسلام على من اتبع الهدى فصل للكلام فالسلام بمعنى التحية رغبا به عنه وجريا على العادة فى التسليم عند الفراغ

﴿ولا ينسى﴾ ما فيه

من القول فساما على متبعي الهدى وفي هذا توبيخ له وفي هذا المعنى استعمل الناس هذه الآية في مخاطباتهم ومحاوراتهم * وقيل هو مدرج متصل بقوله انا قد أوحي الينا فيكون اذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب * وقيل على بمعنى اللام أي والسلامة لمن اتبع الهدى * وقال الزمخشري وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين انتهى وهو تفسير غريب وقد يقال السلام هنا السلامة من العذاب بدليل قوله انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى وبني أوحي لما لم يسم فاعله ولم يذكر الموحي لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحي مالا يليق به والمعنى على من كذب الانبياء وتولى عن الايمان * وقال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لان المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شئ من العذاب وفي الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون وقالا له ما أمرهما الله ان يبلغاه قال فمن ربكما ياموسى خاطبهما معا وأفرد بالنداء موسى * قال ابن عطيه اذ كان صاحب عظم الرسالة وكريم الآيات * وقال الزمخشري لانه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه وذعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين انتهى واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا بوجه مجاز * قال الزمخشري ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق انتهى والمعنى أعطى كل ما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الاتقان لم يجعل خلق الانسان في خلق البهائم ولا خلق البهائم في خلق الانسان ولكن خلق كل شئ فقدره تقديرا * وقال الشاعر

وله في كل شئ خلقة * وكذلك الله ما شاء فعل

وهذا قول مجاهد وعطية ومقاتل * وقال الضحاك خلقه من المنفعة المنوطة به المطابقة له * ثم هدى أي يسر كل شئ لمنافعه ومرافقه فأعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه * قال القشيري والخلق المخلوق لان البطش والمشي والرؤية والنطق معان مخلوقة أودعها الله الأعضاء وعلى هذا مفعول أعطى الأول كل شئ والثاني خلقه وكذا في قول ابن عباس وابن جبير والسدي وهو ان المعنى أعطى كل شئ مخلوقه من جنسه أي كل حيوان ذكر نظيره أنثى في الصورة فلم يزاوج منهما غير جنسه ثم هداه الى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه وعن ابن عباس انه هداه الى الفه والاجتماع به والمناكحة * وقال الحسن وقتادة أعطى كل شئ صلاحه وهداه لما يصلحه * وقيل كل شئ هو المفعول الثاني لأعطى وخلقه المفعول الاول أي أعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به * وقرأ عبد الله وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو نهيك وابن أبي اسحق والأعمش والحسن ونصير عن الكسائي وابن نوح عن قتيبة وسلام خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا في موضع الصفة لكل شئ أو لشئ ومفعول أعطى الثاني حذف اقتصارا أي كل شئ خلقه لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى أي عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه * وقيل حذف اختصارا لدلالة المعنى عليه أي أعطى كل شئ خلقه ما يحتاج اليه وقدره ابن عطية كماله أو مصلحته قال فما بال القرون الأولى لما أجابه موسى بجواب مسكت ولم يقدر فرعون على معارضته فيه انتقل

الى سؤال آخر وهو ماحال من هلك من القرون وذلك على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قال موسى وما أجابه به والحيدة والمغالطة * قيل سأله عن أخبارها وأحاديثها ليختبر أهما نبيان أو هما من جملة القصاص الذين دارسوا قصص الأمم السالفة ولم يكن عنده عليه السلام علم بالتوراة انما أنزلت عليه بعد هلاك فرعون فقال علمها عند ربى * وقيل مراده من السؤال عنها لم عبدت الأصنام ولم تعبد الله ان كان الحق ماوصفت * وقيل مراده مالها لاتبعث ولا تحاسب ولا تجازى فقال علمها عند ربى فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو * وقال النقاش انما سأل لما سمع وعظ مؤمن آل فرعون ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الآية فرد علم ذلك الى الله لانه لم يكن نزلت عليه التوراة * وقيل لما قال انا قد أوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى قال فرعون فما بال القرون الاولى فانها كذبت ثم انهم ماعذبوا * وقيل لما قرر أمر المبدأ والدلالة القاطعة على اثبات الصانع قال فرعون ان كان ماذكرت فى غاية الظهور فما بال القرون الأولى نسوه وتركوه فلو كانت الدلالة واضحة وجب على القرون الماضية أن لا يكونوا غافلين عنها فعارض الحجة النقلية و يجوز أن يكون فرعون قد نازعه فى احاطة الله بكل شئ وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ماتقول فى سوالف القرون وتمادى كثرتهم وتباعد أطراف عددهم كيف أحاط بهم و بأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده فى كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أى لا يضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يامدعى الربوبية بالجهل والوقاحة قاله الزمخشرى * والظاهر عود الضمير فى علمها الى القرون الاولى أى مكتوب عند ربى فى اللوح المحفوظ لا يجوز عليه أن يخطئ شيئا أو ينساه يقال ضللت الشئ اذا أخطأته فى مكانه وضللته لغتان فلم يهتد اليه كقولك ضللت الطريق والمنزل ولا يقال أضللته الا اذا ضاع منك كالدابة اذا انفلتت وشبهها قاله الفراء * وقال الزجاج ضللته أضله اذا جعلته فى مكان ولم تدر أين هو وأضللته والكتاب هنا اللوح المحفوظ * وقيل فى كتاب فيما كتبته الملائكة من أحوال البشر * وقيل الضمير فى علمها عائد على القيامة لانه سأله عن بعث الامم * وقال السدى لا يضل لا يغفل * وقال ابن عيسى لا يضل لا يذهب عليه تقول العرب ضل منزله بغير ألف وفى الحيوان أضل بعيره بالالف * وقيل التقدير لا يضل ربى الكتاب ولا ينسى مافيه قاله مقاتل * وقال القفال لا يضل عن معرفة الاشياء فيحيط بكل المعلومات ولا ينسى اشارة الى بقاء ذلك العلم أبد الآباد على حاله لا يتغير * وقال الحسن لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه * وقال مجاهد معنى الجملتين واحد وهو اشارة الى انه لا يعرض فى علمه مايغيره * وقال ابن جرير لا يخطئ فى التدبير فيعتقد فى غير الصواب صوابا واذا عرف فلا ينساه * وقال أبو عبد الله الرازى علم الله صفة قائمة به ولا تكون حاصلة فى الكتاب لان ذلك لا يعقل فالمعنى ان بقاء تلك المعلومات فى علمه كبقاء المكتوبات فى الكتاب فالغرض التوكيد بأن أسرارها معلومة له لا يزول شئ منها و يتأكد هذا بقوله لا يضل ربى ولا ينسى أو المعنى انه أثبت تلك الاحكام فى كتاب عنده يظهر للملائكة زيادة لهم فى الاستدلال على انه عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة انتهى وفيه بعض تلخيص * وقرأ الحسن وقتادة والجحدرى وحماد بن سلمة وابن محيصن وعيسى الثقفى لا يضل بضم الياء أى لا يضل الله ذلك الكتاب فيضيع ولا ينسى ماأثبته فيه * وقرأ السلمى لا يضل ربى ولا ينسى مبنيتين للمفعول والظاهر ان الجملتين استئناف واخبار عنه تعالى بانتفاء هاتين الصفتين عنه * وقيل هما فى موضع وصف لقوله فى كتاب والضمير

﴿الذي جعل لكم الارض مهدا﴾ الآية لما ذكر موسى عليه السلام دلالته على ربوبية الله تعالى وتم كلامه عند قوله ولا ينسى ذكر تعالى ما نبه به على قدرته ووحدانيته فأخبر عن نفسه بأنه هو الذي صنع كيت وكيت واتماذهبنا الى أن هذا هو من كلام الله تعالى لقوله تعالى فأخرجنا به وقوله كلوا وارعوا أنعامكم وقوله ولقد أريناه فيكون قوله فأخرجنا وأريناه التفاتا من ضمير الغائب في جعل وسلك الى ضمير المتكلم المعظم نفسه ولا يكون الالتفات من قائلين وقرئ مهدا ومهادا ومعنى سبلا أي طرقا وأزواجا أصنافا وشتى صفة للازواج والالف فيها للتأنيث ووزنها فعلى ﴿ومن نبات﴾ صفة لقوله أزواجا يتعلق بمحذوف تقديره كائنة من أنبات وتأخر جعل الاسم صفة على المجرور والذي هو صفة مراعاة لكون شتى فاصلة ومعنى شتى مختلفة الطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾ أمر إباحة معمول لحال محذوفة أي فاخرجنا قائلين أي آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن يأكلوا بعضها ويعلفوا بعضها عدى ارعوا ورعى يكون لازما ومتعديا تقول رعيت الدابة رعيا ورعاها صاحبها رعاية اذا سامها وسرحها وأراحها وأشار بقوله ﴿ان في ذلك لآيات﴾ للآيات السابقة من جعل الارض مهدا وسلك سبلها وانزال الماء واخراج النبات وقالوا النهى جمع نهية وهو العقل سمى بذلك لانه ينهى عن القبائح والضمير في منها عائد على الارض وأراد خلق أصلهم آدم عليه السلام وقيل من الأغذية التي تتولد من الأرض فيكون ذلك تنبيها على ما تولدت منه الاخلاط المتولد منها الانسان فهو من باب مجاز الحذف ﴿وفيها نعيدكم﴾ أي بالدفن فيها ﴿ومنها نخرجكم﴾ أي بالبعث تارة أي مرة أخرى نؤلف أجزاءهم المتفرقة ونردهم كما كانوا أحياء ﴿وقوله أخرى أي اخراجة أخرى لان معنى قوله منها خلقناكم (٢٤٩) أخرجناكم ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ هو اخبار من الله لمحمد عليه السلام وهذا يدل على أن قوله فأخرجنا انما هو خطاب له صلى الله عليه وسلم وأريناه آياتنا هي المنقولة من رأى البصرية ولذلك تعدت الى اثنين بهمزة النقل وآياتنا ليس عاما اذ لم يره تعالى جميع الآيات وانما المعنى آياتنا التي رآها

فصارت الاضافة تفيد ما يفيده الالف واللام من العهد وأشار أي العصا واليد والطمسة وغير ذلك مما رآه فجاء التوكيد بالنسبة لهذه الآيات المعهودة فكذب بها جميعا وأبى أن يقبلها أو شيئا منها وفي قوله ﴿أجئتنا لتخرجنا﴾ وهن ظهر منه كثير واضطراب لما جاء به موسى عليه السلام اذ علم أنه على الحق وأنه غالبه على ملكه لا محالة وذكر علة المجيء وهي اخراجهم والقاها في مسامع قومه ليصير وا مبغضين له اذ الاخراج من الموطن مما يشق وجعله الله مساويا للقتل في قوله أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم وقوله ﴿بسحرك﴾ تعلل وتحير لانه لا يخفى عليه أن ساحرا لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر وأورد ذلك على سبيل الشبهة الطاعنة في النبوة وأن المعجز انما يتميز عن السحر بكون المعجز مما يتعذر معارضته فقال ﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ ويدل على أن أمر موسى عليه السلام قد قوي وكثر متبعه من بني اسرائيل ووقع أمره في نفوس الناس اذهي مقالة من يحتاج الى الحجة لا من يصدع بأمر نفسه وأرضهم هي أرض مصر وخاطبه بقوله بسحرك لأن الكلام كان معه والعصا واليد انما ظهرتا من قبله فلنأتينك جواب لقسم محذوف أوهم الناس أن ما جاء به موسى عليه السلام انما هو من باب السحر وأن عنده من يقاومه في ذلك فطلب ضرب موعد لمناظرة بالسحر والظاهر أن موعدا هنا هو زمان أي فعين لنا وقت اجتماع ولذلك أجاب بقوله موعدكم يوم الزينة ومعنى لا نخلفه أي لا نخلف ذلك الوقت في الاجتماع فيه وقوله ولا أنت معطوف على الضمير المستكن في نخلفه المؤكد بنحن ﴿سوى﴾ صفة لقوله مكانا وقرئ سوى بكسر السين وضمها وكون فعل صفة قليل قالوا منزل زيم أي متفرق أهله وفعل صفة كثير نحو حطم ولبد والظاهر أن قوله موعدا اسم زمان لوعد ولذلك أجاب بقوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر أن مع الفعل بتأويل المصدر في موضع جر تقديره يوم الزينة وحشر الناس

لعائد على الموصوف محذوف أي لا يضله ربي ولا ينساه والظاهر ان الضمير في ولا ينسى عائد على الله ﴿ وقيل يحتمل أن يعود على كتاب أي لا يدع شيئا فالنسيان استعارة كما قال الا أحصاها فأسند الاحصاء اليه من حيث الحصر فيه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ﴿ الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لأولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى

و روى أن يوم الزينة كان عيدا لهم و يوما مشهودا عندهم وصادف يوم عاشوراء وكان يوم السبت قال الزمخشرى *فان قلت فبم ينتصب مكانا*قلت بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر *فان قلت كيف يطابقه الجواب*قلت أما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة و يجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه انتهى قوله ان مكانا ينتصب بالمصدر ليس بجائز لانه قد وصف قبل العمل بقوله لانخلفه وهو موصول والمصدر اذا وصف قبل العمل لم يجز أن يعمل عندهم وقوله ضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وهو وان كان ضحى ذلك اليوم بعينه ليس على نية التعريف بل هو نكرة وان كان من يوم بعينه لأنه ليس معدولا عن الالف واللام كسحر ولا هو معرف بالاضافة ولو قلت جئت يوم الجمعة بكرا لم تدع أن بكرا معرفة وان كنا نعلم أنه من يوم بعينه وانتصب مكانا باضمار فعل تقديره عدنا مكانا سوى ﴿فتولى فرعون﴾ أى معرضا عن قبول الحق ﴿فجمع كيده﴾ أى ذوى كيده وهم السحرة وكانوا عصابة لم يخلق الله أسحر منها ثم أتى الموعد الذى كانوا تواعدوه وأتى موسى عليه السلام بمن معه من بنى اسرائيل ﴿قال لهم موسى﴾ الآية وتقدم تفسير و يل فى البقرة خاطبهم خطاب محذور ندبهم الى قول الحق اذا رأوه والايباهتوه بكذب فيسحتكم أى يهلككم و يستأصلكم وفيه دلالة على عظم الافتراء وأنه يترتب عليه هلاك الاستئصال ثم ذكر أنه لا يظفر بالبغية ولا ينجح وطلبه من افترى على الله الكذب ﴿فيسحتكم﴾ منصوب باضمار أن بعد الفاء وهو جواب للنهى فى قوله ولا تفتروا وقرئ يسحتكم من أسحت و يسحتكم من سحت ﴿فتنازعوا أمرهم﴾ أى تجاذبوه والتنازع يقتضى الاختلاف واسرارهم النجوى خيفة من فرعون أن يتبين فيهم ضعفا لأنهم لم يكونوا مصممين على غلبة موسى عليه السلام بل كان ظنا من بعضهم وقال ابن عباس ان نجواهم إن غلبنا موسى اتبعناه *وأمرهم مفعول بتنازعوا فتعدى لمفعول واحد وقال الشاعر *

فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذين لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى ﴿ ولما ذكر موسى دلالته على ربوبية الله تعالى وتم كلامه عند قوله ولا ينسى ذكر تعالى مانبه به على قدرته تعالى ووحدانيته فأخبر عن نفسه بأنه تعالى هو الذى صنع كيت وكيت وانما ذهبنا الى أن هذا هو من كلام الله تعالى لقوله تعالى فأخرجنا

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

ولو حذفت الباء لتعدى الفعل الى اثنين تقول نازعت زيدا الحديث ﴿قالوا ان هذان﴾ قرئ هذين بالياء وهو اسم ان وقرئ بالالف وهى لغة لطوائف من العرب بنى الحرث بن كعب و بعض كنانة وخثعم و زبيد و بنى العنبر و بنى الهجيم ومراد وعذرة يجعلون المثنى بالالف رفعا ونصبا وجرا وقال شاعرهم فى النصب أعرف منها الانف والعينانا وقال فى الجر فأطرق اطراق الشجاع ولو رأى * مضيا لناباه الشجاع لصمما يريد لنابيه وقرئ ان هذان بتخفيف ان وهى المخففة من الثقيلة وهذان مبتدأ ولساحران الخبر واللام هى الفارقة بين ان النافية وان المخففة من الثقيلة وقوله يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما اتبعوا فيه مقالة فرعون فى قوله أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ونسبوا السحر أيضا لهرون لما كان مشتركا معه فى الرسالة وسالكا طريقته وعلقوا الحكم على الظاهر عندهم وأرضكم هى أرض مصر و وصفوهما بالسحر تنقيصا لهما وحطا من قدرهما وقد كان ظهر لهم من أمر اليد والعصا ما يدل على صدقهما وعلموا أنه ليس فى قدرة الساحر أن يأتى بمثل ذلك والظاهر أن الضمير فى قالوا عائد على السحرة خاطب بعضهم بعضا *والمثلى تأنيث الامثل أى الفضلى الحسنى وقرئ فاجمعوا بهمزة الوصل من جمع وفأجمعوا بقطع الهمزة من أجمع وتقدم الكلام على هذا فى يونس والظاهر أنه من كلام السحرة بعضهم لبعض وانتصب صفا على الحال أى مصطفين ﴿وقد أفلح اليوم﴾ أى ظفر فاز ببغيته من طلب العلو فى أمره وسعى سعيه واختلفوا فى عدد السحرة اختلافا كثيرا فأقل ما قيل انهم كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر عصى وحبال وأكثر ما قيل انهم كانوا تسعمائة ألف ساحر

وقوله كلوا وارعوا أنعامكم وقوله ولقد أريناه فيكون قوله فأخرجنا وأريناه التفاتا من الضمير الغائب في جعل وسلك الى ضمير المتكلم المعظم نفسه ولا يكون الالتفات من قائلين وأبعد من ذهب الى أن الذى نعت لقوله ربى فيكون في موضع رفع أو يكون في موضع نصب على المدح وقالها الحوفي والزمخشري لكونه كان يكون كلام موسى فلا يتأتى الالتفات في قوله فأخرجنا ولقد أريناه * وقال ابن عطية يحتمل أن يكون فأخرجنا من كلام موسى حكاية عن الله تعالى على تقدير يقول عز وجل فأخرجنا ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله وأنزل من السماء ماء ثم وصل الله كلام موسى باخباره لمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالخطاب في لكم الخلق أجمع نبههم على هذه الآيات * وقرأ الأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وعاصم وحمزة والكسائي مهدا بفتح الميم واسكان الهاء وباقي السبعة مهادا وكذا في الزخرف فقال المفضل مصدران مهد مهدا ومهادا * وقال أبو عبيد مهادا اسم ومهد الفعل يعني المصدر * وقال آخر مهد امفرد ومهاد جمعه ومعنى ذلك أنه تعالى جعلها لهم يتصرفون عليها في جميع أحوالهم ومنافعهم ونهج لكم فيها طرقا بالمقاصد كم حتى لا تتعذر عليكم مصالحكم والضمير في به عائد على الماء أي بسببه * أزواجا أي أصنافا وهذا الالتفات في أخرجنا كهو في قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ وفي هذا الالتفات تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد والأجود أن يكون شتى في موضع نصب نعتا لقوله أزواجا لانها المحدث عنها * وقال الزمخشري يجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس و بعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وجل ان أرزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله كلوا وارعوا أنعامكم أمر اباحة معمول لحال محذوفة أي فأخرجنا قائلين أي آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها تعدى هنا وارعوا ورعى يكون لازما ومتعديا تقول رعت الدابة رعيا ورعاها صاحبها رعاية اذا سامها وسرحها وأراحها قاله الزجاج وأشار بقوله ان في ذلك للآيات السابقة من جعل الأرض مهدا وسلك سبلها وانزال الماء واخراج النبات وقالوا النهى جمع نهية وهو العقل سمى بذلك لانه ينهى عن القبائح وأجاز أبو علي أن يكون مصدرا كالهدى والضمير في منها يعود على الارض وأراد خلق أصلهم آدم * وقيل ينطلق الملك الى تربة المكان الذى يدفن فيه من يخلق فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا قاله عطاء الخراساني * وقيل من الاغذية التي تتولد من الارض فيكون ذلك تنبيها على ما تولدت منها الاخلاط المتولد منها الانسان فهو من باب مجاز المجاز * وفيها نعيدكم أي بالدفن بها أو بالتمزيق عليها ومنها نخرجكم تارة بالبعث تارة مرة أخرى بتأليف أجزائهم المتفرقة وردهم كما كانوا أحياء وقوله أخرى أي اخراجة أخرى لان معنى قوله منها خلقنا كم أخرجناكم ولقد أريناه آياتنا كلها هذا اخبار من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أن قوله فأخرجنا انما هو خطاب له عليه السلام وأريناه آياتنا هي المنقولة من رأى البصرية ولذلك تعدت الى اثنين بهمزة النقل وآياتنا ليس عاما اذ لم يره تعالى جميع الآيات وانما المعنى آياتنا التي رآها فكانت الاضافة تفيد ما تفيده الالف واللام من العهد وانتار أى العصا واليد والطمسة وغير ذلك مما رآه وجاء التوكيد

بالنسبة لهذه الآيات المعهودة * وقيل المعنى آيات بكمالها وأضاف الآيات اليه على حسب التشريف كأنه قال آيات لنا * وقيل يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتي غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه و بين ما يشاهد به فكذب بها جميعا وأبى أن يقبل شيأ منها انتهى وقاله الزمخشري وفيه بعد لان الاخبار بالشئ لا يسمى رؤية الاعجاز بعيد *وقيل أريناه هنا من رؤية القلب لا من رؤية العين لانه ما كان أراه في ذلك الوقت الا العصا واليد البيضاء أي ولقد أعلمناه آياتنا كلها وهي الآيات التسع * قيل و يجوز أن يكون أراد بالآيات آيات توحيده التي أظهرها لنا في ملكوت السموات والارض فيكون من رؤية العين * وقال ابن عطية وأبى يقتضي كذب فرعون وهذا الذي يتعلق به الثواب والعقاب ومتعلق التكذيب محذوف فالظاهر انه الآيات واحتمل أن يكون التقدير فكذب موسى وأبى أن يقبل ما ألقاه اليه من رسالته * قيل و يجوز أن يكون أراد وكذب انها من آيات الله وقال من سحر ولهذا قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى و يبعد هذا القول قوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر وقوله و جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فيظهر أنه كذب لظلمه لا لانه التبس عليه أنها آيات سحر وفي قوله أجئتنا لتخرجنا وهن ظهر منه كثير واضطراب لما جاء به موسى اذ علم أنه على الحق وأنه غالبه على ملكه لا محالة وذكر علة المجيء وهي اخراجهم وألقاها في مسامع قومه ليصيروا مبغضين له جدا اذ الاخراج من الموطن مما يشق و جعله الله مساويا للقتل في قوله أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم وقوله بسحرك تعلل وتحير لانه لا يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه و يغلبه على ملكه بالسحر وأورد ذلك على سبيل الشبهة الطاعنة في النبوة وأن المعجز انما يتميز عن السحر بكون المعجز مما تتعذر معارضته فقال فلنأتينك بسحر مثله و يدل على أن أمر موسى عليه السلام كان قد قوي وكثر منعته من بني اسرائيل ووقع أمره في نفوس الناس اذ هي مقالة من يحتاج الى الحجة لا من يصدع بأمر نفسه وأرضهم هي أرض مصر وخاطبه بقوله بسحرك لان الكلام كان معه والعصا واليد انما ظهرتا من قبله فلنأتينك جواب لقسم محذوف أوهم الناس أن ما جاء به موسى انما هو من باب السحر وأن عنده من يقاومه في ذلك فطلب ضرب موعد للمناظرة بالسحر والظاهر ان موعدا هنا هو زمان أي فعين لنا وقت اجتماع ولذلك أجاب بقوله قال موعدكم يوم الزينة ومعنى لا نخلفه أي لا نخالف ذلك الوقت في الاجتماع فيه وقدره بعضهم مكانا معلوما و ينبوعه قوله موعدكم يوم الزينة * وقال القشيري الاظهر انه مصدر ولذلك قال لا نخلفه أي ذلك الموعد والاخلاف أن يعد شيأ ولا ينجزه * وقال الزمخشري ان جعلته زمانا نظرا في قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيآن أن تجعل الزمان مخلفا وأن يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك أيضا أن يقع الاخلاف على المكان وأن لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقي أن يجعل مصدرا بمعنى الوعد و يقدر مضاف محذوف أي مكان موعد و يجعل الضمير في نخلفه ومكانا بدل من المكان المحذوف (فان قلت) كيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من أن تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان (قلت) هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهرا باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا أيضا

من طريق المعنى و يجوز أن لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه (فان قلت) فبم ينتصب مكانا (قلت) بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (فان قلت) كيف يطابقه الجواب (قلت) أما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة و يجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لأنه قد وصف قبل العمل بقوله لا نخلفه وهو موصول والمصدر اذا وصف قبل العمل لم يجز أن يعمل عندهم وقوله وضحى خبره على نية التعريف فيه لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه هو وان كان ضحى ذلك اليوم بعينه ليس على نية التعريف بل هو نكرة وان كان من يوم بعينه لأنه ليس معدولا عن الألف واللام كسحر ولا هو معرف بالاضافة ولو قلت جئت يوم الجمعة بكرا لم ندع ان بكرا معرفة وان كنا نعلم انه من يوم بعينه * وقرأ أبو جعفر وشيبة لا نخلفه بجزم الفاء على انه جواب الأمر * وقرأ الجمهور برفعها صفة لموعد * وقال الحوفي موعدا مفعول اجعل مكانا ظرف العامل فيه اجعل * وقال أبو علي موعدا مفعول أول لاجعل ومكانا مفعول ثان ومنع أن يكون مكانا معمولا لقوله موعدا لانه قد وصف * قال ابن عطية وهذه الأسماء العاملة عمل الفعل اذا نعتت أو عطف عليها أو أخبر عنها أو صغرت أو جمعت وتوغلت في الأسماء كمثل هذا لم تعمل ولا يعلق بها شيء هو منها وقد يتوسع في الظروف فيعلق بعد ما ذكرنا كقوله عز وجل ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فقوله اذ متعلق بقوله لمقت وهو قد أخبر عنه وانما جاز هذا في الظروف خاصة ومنع قوم أن يكون مكانا نصبا على المفعول الثاني لنخلفه وجوزه جماعة من النحاة ووجهه أن يتسع في أن يخلف الموعد انتهى وقوله اذا نعتت هذا ليس مجمعا عليه في كل عامل عمل الفعل ألا ترى اسم الفاعل العاري عن أل اذا وصف قبل العمل في اعماله خلاف البصريون يمنعون والكوفيون يجوزون وكذلك أيضا اذا صغر في اعماله خلاف واما اذا جمع فلا يعلم خلاف في جواز اعماله وأما المصدر اذا جمع ففي جواز اعماله خلاف وأما استثناؤه من المعمولات الظروف فغيره يذهب الى منع ذلك مطلقا في المصدر و ينصب اذ بفعل يقدر بما قبله أي مقتكم اذ تدعون * ولا أنت معطوف على الضمير المستكن في نخلفه المؤكد بقوله نحن * وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم و يعقوب والحسن وقتادة وطلحة والأعمش وابن أبي ليلى وأبو حاتم وابن جرير سوى بضم السين منونا في الوصل * وقرأ باقي السبعة بكسرها منونا في الوصل * وقرأ الحسن أيضا سوى بضم السين من غير تنوين في الحالين أجرى الوصل مجرى الوقف لا أنه منعه الصرف لان فعلا من الصفات متصرف كحطم ولبد * وقرأ عيسى سوى بكسر السين من غير تنوين في الحالين أجرى الوصل أيضا مجرى الوقف ومعنى سوى أي عدلا ونصفة * قال أبو علي كأنه قال قربه منكم قربه منا * وقال غيره انما أراد ان حالنا فيه مستوية فيعم ذلك القرآن وأن تكون المنازل فيه واحدة في تعاطي الحق لا تعترضكم فيه الرئاسة وانما تقصد الحجة وعن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها وهذا معنى ما تقدم من قول أبي علي قربه منكم قربه منا * وقال الأخفش سوى مقصور ان كسرت سينه أو ضممت وممدود ان فتحتها ثلاث لغات و يكون فيها جميعا بمعنى غير و بمعنى عدل ووسط بين الفريقين * وقال الشاعر

وان أبانا كان حل بأهله سوى * بين قيس قيس عيلان والفزر

قال وتقول مررت برجل سواك وسواك وسوائك أي غيرك و يكون للجميع وأعلى هذه اللغات

(ش) فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر فان قلت كيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعد كم وعد يوم الزينة و يجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه قد وصف قبل العمل بقوله لا نخلفه وهو موصول والمصدر اذا وصف قبل العمل لم يجز أن يعمل عندهم وقوله وضحى خبره على نية التعريف لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه (ح) قوله ان مكانا ينتصب بالمصدر ليس بجائز أن يعمل عندهم وقوله وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه هو وان كان ضحى ذلك اليوم بعينه ليس على نية التعريف بل هو نكرة وان كان من يوم بعينه لانه ليس معدولا عن الالف واللام كسحر ولا هو معرف بالاضافة ولو قلت جئت يوم الجمعة بكرا لم يدع أن بكرا معرفة وان كنا نعلم أنه من يوم بعينه

الكسر قاله النحاس * وقالت فرقة معنى مكانا سوى مستويا من الارض أى لا وعر فيه ولا جبل ولا أكمة ولا مطمئن من الارض بحيث يستر ناظر أحد فلا يرى مكان موسى والسحرة وما يصدر عنهما قال ذلك وانتقام غلبة السحرة لموسى فاذا شاهدوا غلبهم اياه رجعوا عما كانوا اعتقدوا فيه * وقالت فرقة معناه مكانا سوى مكاننا هذا وليس بشئ لان سوى اذا كانت بمعنى غير لا تستعمل الا مضافة لفظا ولا تقطع عن الاضافة * وقرأ الحسن والأعمش وعاصم فى رواية وأبو حيوة وابن أبى عبلة وقتادة والجحدرى وهبيرة والزعفرانى يوم الزينة بنصب الميم وتقدم تخريج هذه القراءة فى كلام الزمخشرى وروى ان يوم الزينة كان عيدا لهم ويوما مشهودا وصادف يوم عاشوراء وكان يوم سبت * وقيل هو يوم كسر الخليج الباقى الى اليوم * وقيل يوم النيروز وكان رأس سنتهم * وقيل يوم السبت فانه يوم راحة ودعة * وقيل يوم سوق لهم * وقيل يوم عاشوراء * وقرأ ابن مسعود والجحدرى وأبو عمران الجونى وأبو نهيك وعمرو بن فايد وأن تحشر بتاء الخطاب أى يا فرعون وروى عنهم بالياء على الغيبة والناس نصب فى كلتا القراءتين * قال صاحب اللوامح وأن يحشر الحاشر الناس ضحى فحذف الفاعل للعلم به انتهى وحذف الفاعل فى مثل هذا لا يجوز عند البصريين * وقال غيره وأن يحشر القوم قال ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التى تخاطب بها الملوك أو خاطب القوم لقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ويجوز أن يكون وأن يحشر فى موضع رفع عطفا على يوم الزينة وأن يكون فى موضع جر عطفا على الزينة وانتصب ضحى على الظرف وهو ارتفاع النهار ويؤنث ويذكر والضحاء بفتح الضاد ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الاعلى وانما واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفى المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب فى اتباع الحق ويكل حد المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم فى كل بدو وحضر ويشيع فى جميع أهل الوبر والمدر والظاهر أن قوله قال موعدكم يوم الزينة من كلام موسى عليه السلام لأنه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا ولان تعيين اليوم انما يليق بالمحق الذى يعرف اليد له لا المبطل الذى يعرف انه ليس معه الا التلبيس ولقوله موعدكم وهو خطاب للجميع وأبعد من ذهب الى انه من كلام فرعون فتولى فرعون أى معرضا عن قبول الحق أو تولى ذلك الامر بنفسه أو فرجع الى أهله لاستعداد مكايده أو أدبر على عادة المتواعدين أن يولى كل واحد منهما صاحبه ظهره اذا افترقا * أقوال فجمع كيده أى ذوى كيده وهم السحرة وكانوا عصابة لم يخلق الله أسحر منها ثم أتى للوعد الذى كانوا تواعدوه وأتى موسى أيضا من معه من بنى اسرائيل قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا وتقدم تفسير ويل فى سورة البقرة خاطبهم خطاب محذر وندبهم الى قول الحق اذا رأوه وأن لا يباهتوا بكذب وعن وهب لما قال السحرة ويلكم قالوا ما هذا بقول ساحر * فيسحتكم يهلككم ويستأصلكم وفيه دلالة على عظم الافتراء وانه يترتب عليه هلاك الاستئصال ثم ذكر انه لا يظفر بالبغية ولا ينجح طلبة من افترى على الله الكذب ولما سمع السحرة منه هذه المقالة هالهم ذلك ووقعت فى نفوسهم مهابته فتنازعوا أمرهم أى تجاذبوه والتنازع يقتضى الاختلاف * وقرأ حمزة والكسائى وحفص والاعمش وطلحة وابن جرير فيسحتكم بضم الياء وكسر الحاء من أسحت رباعيا * وقرأ باقى السبعة ورويس وابن عباس بفتحهما من سحت ثلاثيا واسرارهم النجوى خيفة من فرعون أن يتبين فيهم ضعفا لأنهم

لم يكونوا مصممين على غلبة موسى بل كان ظنا من بعضهم وعن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وأن كان من السماء فله أمر * وقال الزمخشري والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا أهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيط الناس من اتباعهما انتهى * وحكى ابن عطية قريبا من هذا القول عن فرقة قالوا انما كان تناجيهم بالآية التي بعدها ان هذان لساحران والاظهر ان تلك قيلت علانية ولو كان تناجيهم ذلك لم يكن ثم تنازع * وقرأ أبو جعفر والحسن وشيبة والاعمش وطلحة وحميد وأيوب وخلف في اختياره وأبو عبيد وأبو حاتم وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير وابن جبير الانطاكي والاخوان والصاحبان من السبعة ان بتشديد النون هذان بألف ونون خفيفة لساحران واختلف في تخريج هذه القراءة * فقال القدماء من النحاة انه على حذف ضمير الشأن والتقدير انه هذان لساحران وخبر ان الجملة من قوله هذان لساحران واللام في لساحران داخلة على خبر المبتدأ وضعف هذا القول بأن حذف هذا الضمير لا يجيء الا في الشعر وبأن دخول اللام في الخبر شاذ * وقال الزجاج اللام لم تدخل على الخبر بل التقدير لهما ساحران فدخلت على المبتدأ المحذوف واستحسن هذا القول شيخه أبو العباس المبرد والقاضي اسماعيل بن اسحاق بن حماد بن زيد * وقيل ها ضمير القصة وليس محذوفا وكان يناسب على هذا أن تكون متصلة في الخط فكانت كتابتها انها ذان لساحران وضعف ذلك من جهة مخالفته خط المصحف * وقيل ان بمعنى نعم وثبت ذلك في اللغة فتحمل الآية عليه وهذان لساحران مبتدأ وخبر واللام في لساحران على ذينك التقديرين في هذا التخريج والتخريج الذي قبله والى هذا ذهب المبرد واسماعيل بن اسحاق وأبو الحسن الاخفش الصغير والذي نختاره في تخريج هذه القراءة انها جاءت على لغة بعض العرب من اجراء المثنى بالالف دائما وهي لغة لكنانة حكى ذلك أبو الخطاب ولبني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية حكى ذلك عن الكسائي ولبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة * وقال أبو زيد سمعت من العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها ألفا * وقرأ أبو بحرية وأبو حيوة والزهري وابن محيصن وحميد وابن سعدان وحفص وابن كثير ان بتخفيف النون هذا بالألف وشدد نون هذان ابن كثير وتخريج هذه القراءة واضح وهو على ان أن هي المخففة من الثقيلة وهذان مبتدأ ولساحران الخبر واللام للفرق بين ان النافية وان المخففة من الثقيلة على رأي البصريين والكوفيين يزعمون أن ان نافية واللام بمعنى الا * وقرأت فرقة ان ذان لساحران وتخريجها كتخريج القراءة التي قبلها وقرأت عائشة والحسن والنخعي والجحدري والاعمش وابن جبير وابن عبيد وأبو عمرو ان هذين بتشديد نون ان وبالياء في هذين بدل الألف واعراب هذا واضح إذ جاء على المهيع المعروف في التثنية لقوله فذانك برهانان احدى ابنتي هاتين بالألف رفعا والياء نصبا وجرا * وقال الزجاج لا أجيز قراءة أبي عمرو لأنها خلاف المصحف * وقال أبو عبيد رأيتها في الامام مصحف عثمان هذن ليس فيها ألف وهكذا رأيت رفع الاثنين في ذلك المصحف باسقاط الألف واذا كتبوا النصب والخفض كتبوه بالياء ولا يسقطونها وقالت جماعة منهم عائشة وأبو عمرو وهذا مما لحن الكاتب فيه وأقيم بالصواب * وقرأ عبد الله ان ذان إلا ساحران قاله ابن خالويه وعزاها الزمخشري لأبي * وقال ابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى انتهى * وقرأت فرقة ما هذا الا ساحران وقولهم يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما تبعوا فيه

﴿قالوا ياموسى إما أن تلقي﴾ الآية في الكلام حذف تقديره فجاؤا مصطفين الى مكان الموعد وبيد كل واحد منهم عصا وحبل وجاء موسى وأخوه ومعه عصاه ووقفوا أمامه وقالوا ياموسى إما أن تلقي وذكروا الالقاء لأنهم علموا أن آية موسى في القاء العصا قيل خبر ووثقة منهم بالغلب لموسى وكانوا يعتقدون أن أحدا لا يقاومهم في السحر وأن وما بعدها ينسبك مصدرا فاما أن يكون مرفوعا واما أن يكون منصوبا والمعنى انك تختار أحد الأمرين فاختار أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره القاؤك أول ويدل عليه قوله ﴿وإما أن نكون أول من ألقى﴾ فتحسن المقابلة من (٢٥٦) حيث المعنى لا من حيث اللفظ ﴿قال بل ألقوا﴾ ثم حذف تقديره فألقوا فاذا حبالهم واذا هي الفجائية وما بعدها مبتدأ * والضمير في اليه الظاهر أنه يعود على موسى لقوله قبله قال بل ألقوا ولقوله بعد فأوجس في نفسه خيفة موسى وأنها تسعى في موضع المفعول لقوله يخيل أي سعيها والجملة من قوله يخيل الى آخرها في موضع خبر المبتدإ الذي هو حبالهم والرابط في الجملة هو الضمير الذي في تسعى أي تسعى هي أي الحبال والعصى والايجاس هو من الهاجس الذي يخطر بالبال وليس يتمكن وخيفة أصله خوفة قلبت الواو ياء لكسرة ماقبلها وتأخر فاعل أوجس وهو موسى لكونه فاصلة وتقدم الضمير في نفسه وان كان القياس تأخره فصار نظير ضرب غلامه زيد ﴿انك أنت الأعلى﴾ تقرير لغلبته وقهره وتوكيد الاستئناف وبكلمة التوكيد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبالاعلوية الدالة على التفضيل ﴿وألق مافي يمينك﴾ لم يأت التركيب وألق عصاك لما في لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة وفي قوله ﴿تلقف﴾ حمل على معنى ما لا على لفظها اذ أطلقت ما على العصا والعصا مؤنثة ولو حمل على اللفظ لكان بالياء وقرئ تلقف وهو جواب الامر وأصله تتلقف ولذلك أدغم البزي التاء في التاء وهو مضارع ماضيه تلقف وقرئ تلقف وهو مضارع والماضي لقف ﴿انما صنعوا﴾ ما موصولة صلته صنعوا والضمير العائد على ما محذوف تقديره صنعوه وكيد خبر ان وقرئ كيد سحر ومعنى لا يفلح أي لا يظفر ببغيته ﴿حيث أتى﴾ أي حيث توجه وسلك ﴿فألقي السحرة سجدا﴾

مقالة فرعون أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ونسبوا السحر أيضا لهارون لما كان مشتركا معه في الرسالة وسالكا طريقته وعلقوا الحكم على الارادة وهم لا اطلاع لهم عليها تنقيصا لهما وحطا من قدرهما وقد كان ظهر لهم من أمر اليد والعصا ما يدل على صدقهما وعلموا أنه ليس في قدرة الساحر أن يأتي بمثل ذلك والظاهر ان الضمير في قالوا عائد على السحرة خاطب بعضهم بعضا * وقيل خاطبوا فرعون مخاطبة التعظيم والطريقة السيرة والمملكة والحال التي هم عليها والمثلى تأنيث الامثل أي الفضلى الحسنى * وقيل عبر عن السيرة بالطريقة وانه يراد بها أهل العقل والسن والحجى وحكوا أن العرب تقول فلان طريقة قومه أي سيدهم وعن علي نحو ذلك قال وتصرفات وجوه الناس اليهما * وقيل هو على حذف مضاف أي ويذهبا بأهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى أرسل معنا بني اسرائيل بالغوا في التنفير عنهما بنسبتهما الى السحر وبالطبع ينفر عن السحر وعن رؤية الساحر ثم بارادة الاخراج من أرضهم ثم بتغيير حالتهم من المناصب والرتب المرغوب فيها وحكى تعالى عنهم في متابعة فرعون في قوله فجمع كيده قوله فأجمعوا كيدكم * وقيل هو من كلام فرعون والظاهر انه من كلام السحرة بعضهم لبعض * وقرأ الجمهور فأجمعوا بقطع الهمزة وكسر الميم من أجمع رباعيا أي اعزموا واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها * وقرأ الزهري وابن محيصن وأبو عمرو ويعقوب في رواية وأبو حاتم بوصل الالف وفتح الميم موافقا لقوله فتولى فرعون فجمع كيده وتقدم الكلام في جمع وأجمع في سورة يونس في قصة نوح عليه السلام وتداعوا الى الاتيان صفا لأنه أهيب في عيون الرائين وأظهر في التمويه وانتصب صفا على الحال أي مصطفين أو مفعولا به إذ هو المكان الذي يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم * وقرأ شبل بن عباد وابن كثير في رواية شبل عنه ثم ايتوا بكسر الميم وابدال الهمزة ياء تخفيفا * قال أبو علي وهذا غلط ولا وجه لكسر الميم من ثم * وقال صاحب اللوامح وذلك لالتقاء الساكنين كما كانت الفتحة في العامة كذلك * وقد أفلح اليوم أي ظفر وفاز ببغيته من طلب العلو في أمره وسعى سعيه واختلفوا في عدد السحرة اختلافا مضطربا فاقل ما قيل انهم كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر عصي وحبال وأكثر ما قيل تسعمائة ألف ﴿قالوا ياموسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى * فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون

وجاء التركيب فألقى السحرة ولم يأت فسجدوا كأنهم أزعجوا بالأمر الذي جاءهم وهو عبارة عن سرعة ما تأثروا لذلك الخارق العظيم فلم يتمالكوا أن وقعوا ساجدين وقدم موسى في سورة الأعراف وأخر هرون لأجل الفواصل ولكون موسى عليه السلام هو المنسوب إليه العصا التي ظهر منها ما ظهر من الاعجاز وأخر هنا موسى لأجل الفواصل وتقدم الخلاف في قراءة آمنتم وفي لأقطعن ولأصلبن في الاعراف وتقدم تفسير نظير هذه الآية فيها وجاء هنالك آمنتم به وهنا له وآمن توصل بالباء اذا كان بالله وباللام لغيره في الأكثر نحو قوله فما آمن لموسى لن نؤمن لك وما أنت بمؤمن لنا فآمن له لوط واحتمل الضمير في به أن يعود على موسى عليه السلام وأن يعود على الرب وأراد بالتقطيع والتصليب في الجذوع التمثيل بهم ولما كان الجذع مقرا للمصلوب واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف عدى الفعل بفي التي للوعاء ولتعلمن هنا معلق بأينا أشد وهي جملة استفهامية من مبتدإ وخبر في موضع نصب بقوله ولتعلمن سدت مسد المفعولين أو في موضع مفعول واحد ان كان لتعلمن معدى تعدية عرف ويجوز على هذا الوجه أن تكون أينا مفعولا لتعلمن وهو مبني على رأي سيبويه وأشد خبر مبتدإ محذوف وأينا موصولة والجملة بعدها صلته والتقدير ولتعلمن الذي هو أشد عذابا وأبقى ﴿ قالوا لن نؤثرك ﴾ الآية أي لن نختار اتباعك وسلامتنا من عذابك على ما جاءنا من البينات وهي المعجزة التي أتتنا وعلمنا صحتها وفي قولهم هذا توهين له واستصغار لما هددهم به وعدم اكتراث بقوله وفي نسبة المجيء إليهم وان كانت البينات جاءت لهم ولغيرهم لأنهم كانوا هم أعرف بالسحر من غيرهم وقد علموا أن ما جاءهم به موسى عليه السلام ليس بسحر وكانوا على جلية من العلم بالمعجز وغيرهم يقلدهم في ذلك والواو في والذي فطرنا واو عطف على ما جاءنا أي وعلى الذي فطرنا لما لاحت لهم حجة الله تعالى في المعجز بدؤا بها ثم ترقوا الى القادر على خرق العادة وهو الله وذكروا وصف الاختراع وهو قولهم الذي فطرنا تبيينا لعجز فرعون وتكذيبه في ادعاء الربوبية والالهية وما موصولة بمعنى الذي وصلته أنت قاض والعائد محذوف تقديره ما أنت قاضيه ونظيره قول الشاعر

وتصغر في عيني تلادي اذا انثنت * يميني بادراك الذي كنت طالبا

أي طالبه وفي قولهم فاقض أمر تحقير لفرعون وعدم مبالاة بما هددهم به وانتصبت هذه الحياة على الظرف وما مهيئة وتحتمل أن تكون مصدرية أي ان قضاءك في هذه الحياة الدنيا لا في الآخرة ولم يصرح في القرآن بأنه أنفذ فيهم وعيده السابق بل الظاهر أنه تعالى سلمهم منه ويدل على ذلك قوله تعالى أنتما ومن اتبعكما الغالبون واكراههم اياه على السحر حملهم على معارضة موسى عليه السلام مع علمهم أنه ليس بساحر ﴿ والله خير وأبقى ﴾ رد على قوله أينا أشد عذابا وأبقى أي وثواب الله تعالى وما أعده لمن آمن به خير وأبقى ﴿ انه من يأت ربه مجرما ﴾ قيل هو حكاية قولهم عظة لفرعون وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية تنبيها على قبح ما فعل فرعون وحسن ما فعل السحرة وموعظة وتحذيرا والضمير في انه ضمير الامر والشأن والجملة الشرطية بعده وجوابها في موضع خبر أن وحملت الضمائر فيها على لفظ من أفردت وفي الجملة الآتية بعدها حملت أولا على لفظ من فأفرد ثم ثانيا على معنى من فجمع في قوله فأولئك لهم وجنات بدل من قوله الدرجات ومعنى ﴿ تزكى ﴾ أي تطهر من المعاصي

وموسى * قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى * في الكلام حذف تقديره فجاؤا مصطفين الى مكان الموعد بيد كل واحد منهم عصا وحبل وجاء موسى وأخوه ومعه عصاه فوقفوا وقالوا يا موسى إما أن تلقي وذكروا الالقاء لأنهم علموا أن آية موسى في إلقاء العصا * قيل خير وثقة منهم بالغلب لموسى وكانوا يعتقدون أن أحدا لا يقاومهم في السحر * وقال الزمخشري وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من أنفسهم وكأن الله عز وجل ألهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم أولا مع ما فيه من مقابلة الأدب بأدب

(الدر) (ش) الامر القاؤك أو القاؤنا (ح) جعله خبر المبتدأ محذوف واختار أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره
القاؤك أول ويدل عليه قوله واما أن نكون أول من ألقى فتحسن المقابلة من حيث المعنى وان كان من حيث التركيب اللفظي
لم تحصل المقابلة لأنا قدرنا القاؤك أول ومقابله كونهم يكونون أول من يلقى لكنه يلزم من ذلك أن يكون القاؤهم أول فهي
مقابلة معنوية وفي تقدير (ش) الامر القاؤك لا مقابلة فيه وقدر (ش) النصب اختر احد الامرين وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب
وتفسير الاعراب اما تختار أن تلقي (ح) قال أبو البقاء فاذا حبالهم الفاء جواب ما حذف وتقديره فألقوا واذا في هذا ظرف
مكان العامل فيه ألقوا انتهى فقوله فاذا الفاء جواب ما حذف وتقديره فألقوا ليست هذه فاء الجواب لأن فألقوا لا تجاب وانما هي
للعطف عطفت جملة المفاجأة على ذلك المحذوف وقوله واذا في هذا ظرف مكان يعني ان اذا التي للمفاجأة ظرف مكان وهو
مذهب المبرد وظاهر كلام سيبويه وقوله والعامل فيه ألقوا ليس بشيء لان الفاء تمنع من العمل ولان اذا هذه انما هي معمولة لخبر
المبتدأ الذي هو حبالهم وعصيهم ان لم نجعلها هي (٢٥٨) في موضع الخبر لأنه يجوز أن يكون الخبر تخيل
ويجوز أن يكون اذا وتخيل في موضع الحال وهذا نظير خرجت فاذا الاسد رابض ورابضا فان رفعنا رابضا كانت اذا معمولة له والتقدير فبالحضرة الاسد رابض أو في المكان واذا نصبنا كانت اذا خبرا ولذلك يكتفى بها وبالمرفوع بعدها كلاما نحو خرجت فاذا الاسد (ش) يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في
بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم
ففاجأ موسى وقت تخييل سعي تخييل حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي (ح)
قوله والتحقيق فيها انها الكائنة بمعنى الوقت هذا مذهب الرياشي ان اذا الفجائية ظرف زمان وهو قول مرجوح وقول
الكوفيين انها حرف قول مرجوح أيضا وقوله الطالبة ناصبا لها صحيح وقوله وجملة تضاف اليها هذا عند أصحابنا ليس
بصحيح لانها اما أن تكون هي خبر المبتدأ واما معمولة لخبر المبتدأ واذا كان كذلك استحال أن تضاف الى الجملة لأنها اما أن
تكون بعض الجملة أو معمولة لبعضها فلا يمكن الاضافة وقوله خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو
فعل المفاجأة قد بينا الناصب لها وقوله والجملة ابتدائية لا غير هذا الحصر ليس بصحيح بل قد نص الاخفش في الاوسط على أن الجملة
المصحوبة بها قد تليها وهي فعلية تقول خرجت فاذا قد ضرب زيد عمرا وبنى على ذلك مسئلة الاشتغال خرجت فاذا زيد قد ضربه
عمرو برفع زيد ونصبه وأما قوله والمعنى على مفاجأة حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي فهذا بعكس ما قدر بل المعنى على
مفاجأة حبالهم وعصيهم اياه فاذا قلت خرجت فاذا السبع فالمعنى أنه فاجأني السبع وهجم ظهوره

حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفدوا أقصى طرقهم ومجهودهم فاذا فعلوا أظهر الله
سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية بينة
للناظرين بينة للمعتبرين انتهى وهو تكثير وخطابة وان ما بعده ينسبك بمصدر فاما أن يكون مرفوعا
واما أن يكون منصوبا والمعنى انك تختار أحد الأمرين وقدر الزمخشري الرفع الامر القاؤك أو
القاؤنا فجعله خبر المبتدأ محذوف واختار أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره القاؤك أول ويدل
عليه قوله واما أن نكون أول من ألقى فتحسن المقابلة من حيث المعنى وان كان من حيث التركيب
اللفظي لم تحصل المقابلة لانا قدرنا القاؤك أول ومقابله كونهم يكونون أول من يلقى لكنه يلزم من
ذلك أن يكون القاؤهم أول فهي مقابلة معنوية وفي تقدير الزمخشري الامر القاؤك لا مقابلة فيه
وقدر الزمخشري النصب اختر أحد الامرين وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب وتفسير الاعراب
اما تختار أن تلقي وتقدم نحو هذا التركيب في الاعراف قال بل ألقوا الا يكون الامر بالالقاء من
باب تجويز السحر والامر به لان الغرض في ذلك الفرق بين القائهم والمعجزة وتعين ذلك طريقا
الى كشف الشبهة اذ الامر مقرون بشرط أي ألقوا ان كنتم محقين لقوله فأتوا بسورة مثله ثم قال
ان كنتم صادقين وفي الكلام حذف تقديره فألقوا فاذا * قال أبو البقاء فاذا حبالهم الفاء جواب
ما حذف وتقديره فألقوا واذا في هذا ظرف مكان والعامل فيه ألقوا انتهى فقوله فاذا الفاء جواب
ما حذف وتقديره فألقوا ليست هذه فاء جواب لان فألقوا لا تجاب وانما هي للعطف عطفت جملة
المفاجأة على ذلك المحذوف وقوله واذا في هذا ظرف مكان يعني أن اذا التي للمفاجأة ظرف مكان

وهو مذهب المبرد وظاهر كلام سيبويه وقوله والعامل فيه ألقوا ليس بشئ لان الفاء تمنع من العمل ولان اذا هذه انما هي معمولة لخبر المبتدا الذي هو حبالهم وعصيهم ان لم يجعلها هي في موضع الخبر لانه يجوز أن يكون الخبر يخيل ويجوز أن تكون اذا ويخيل في موضع الحال وهذا نظير خرجت فاذا الاسد رابض ورابضا فاذا رفعنا رابضا كانت اذا معمولة والتقدير فبالحضرة الاسد رابض أو في المكان واذا نصبنا كانت اذا خبرا ولذلك تكتفي بها وبالمرفوع بعدها كلاما نحو خرجت فاذا الاسد * وقال الزمخشري يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي انتهى فقوله والتحقيق فيها اذا كانت الكائنة بمعنى الوقت هذا مذهب الرياشي ان اذا الفجائية ظرف زمان وهو قول مرجوح وقول الكوفيين انها حرف قول مرجوح أيضا وقوله الطالبة ناصبا لها صحيح وقوله وجملة تضاف اليها هذا عند أصحابنا ليس بصحيح لانها اما أن تكون هي خبر المبتدأ واما معمولة لخبر المبتدا واذا كان كذلك استحال أن تضاف الى الجملة لانها اما أن تكون بعض جملة أو معمولة لبعضها فلا تمكن الاضافة وقوله خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة قد بينا الناصب لها وقوله والجملة ابتدائية لا غير هذا الحصر ليس بصحيح بل قد نص الاخفش في الاوسط على أن الجملة المصحوبة بقد تليها وهي فعلية تقول خرجت فاذا قد ضرب زيد عمرا وبنى على ذلك مسئلة الاشتغال خرجت فاذا زيد قد ضربه عمرو برفع زيد ونصبه وأما قوله والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي فهذا بعكس ما قدر بل المعنى على مفاجأة حبالهم وعصيهم اياه (فاذا فات) خرجت فاذا السبع فالمعنى انه فاجأني السبع وهجم ظهوره * وقرأ الحسن وعيسى عصيهم بضم العين حيث كان وهو الاصل لان الكسر اتباع لحركة الصاد وحركة الصاد لاجل الياء وفي كتاب اللوامح الحسن وعصيهم بضم العين واسكان الصاد وتخفيف الياء مع الرفع فهو أيضا جمع كالعامة لكنه على فعل * وقرأ الزهري والحسن وعيسى وأبو حيوة وقتادة والجحدري وروح والوليدان وابن ذكوان تخيل بالتاء مبنيا للمفعول وفيه ضمير الحبال والعصي وانها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير * وقرأ أبو السمال تخيل بفتح التاء أي تتخيل وفيها أيضا ضمير ما ذكر وانها تسعى بدل اشتمال أيضا من ذلك الضمير لكنه فاعل من جهة المعنى * وقال ابن عطية انها مفعول من أجله * وقال أبو القاسم بن جبارة الهذلي الاندلسي في كتاب الكامل من تأليفه عن أبي السمال انه قرأ تخيل بالتاء من فوق المضمومة وكسر الياء والضمير فيه فاعل وانها تسعى في موضع نصب على المفعول به ونسب ابن عطية هذه القراءة الى الحسن والثقفي يعني عيسى ومن بنى تخيل للمفعول فالمخيل لهم ذلك هو الله للمحنة والابتلاء وروى الحسن بن أيمن عن أبي حيوة نخيل بالنون وكسر الياء فالمخيل لهم ذلك هو الله والضمير في اليه الظاهر انه يعود على موسى لقوله قبل قال بل ألقوا ولقوله بعد فأوجس في نفسه خيفة موسى * وقيل يعود على فرعون والظاهر من القصص أن الحبال والعصي كانت تتحرك وتنتقل كالانتقال الذي يشبه انتقال من قامت به الحياة ولذلك ذكر السعي وهو وصف من يمشي من الحيوان فروى أنهم جعلوا في الحبال والعصي زئبقا وألقوها في الشمس فأصاب الزئبق حرارة الشمس فتحرك

فتحركت العصي والحبال معه * وقيل حفروا الارض وجعلوا تحتها نارا وكانت العصي والحبال مملوءة بزئبق فلما أصابتها حرارة الارض تحركت وكان هذا من باب الدك * وقيل انها لم تتحرك وكان ذلك من سحر العيون وقد صرح تعالى بهذا فقالوا سحروا أعين الناس فكان الناظر يخيل اليه أنها تنتقل وتقدم شرح أوجس * وقال الزمخشري كان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وهو قول الحسن * وقيل كان خوفه على الناس أن يفتتنوا الهول مارأى قبل أن يلقي عصاه وهو قول مقاتل والايجاس هو من الهاجس الذي يخطر بالبال وليس يتمكن وخيفة أصله خوفة قلبت الواو ياء لكسرة ماقبلها * وقال ابن عطية يحتمل ان تكون خوفة بفتح الخاء قلبت الواو ياء ثم كسرت الخاء للتناسب * انك أنت الاعلى تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التوكيد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبالاعلوية الدالة على التفضيل * وألق مافي يمينك لم يأت التركيب وألق عصاك لما في لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة * قال الزمخشري وقوله مافي يمينك ولم يقل عصاك جائزان يكون تصغيرا لها أي لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على حدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائزان يكون تعظيما لها أي لاتحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيأ أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شئ وأنزره عندها فالقه تتلقفها باذن الله وتمحقها انتهى وهو تكثير وخطابة لاطائل في ذلك وفي قوله تلقف حمل على معنى ما الاعلى لفظها اذ أطلقت ما على العصا والعصا مؤنثة ولو حمل على اللفظ لكان بالياء * وقرأ الجمهور تلقف بفتح اللام وتشديد القاف مجزوما على جواب الامر * وقرأ ابن عامر كذلك وبرفع الفاء على الاستئناف أو على الحال من الملقى * وقرأ أبو جعفر وحفص وعصمة عن عاصم تلقف باسكان اللام والفاء وتخفيف القاف وعن قنبل انه كان يشدد من تلقف يريد يتلقف * وقرأ الجمهور كيد بالرفع على ان ما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف ويحتمل ان تكون ما مصدرية أي أن صنعتم كيد ومعنى صنعوا هنا زوروا وافتعلوا كقوله تلقف ما يأفكون * وقرأ مجاهد وحميد وزيد بن علي كيد سحر بالنصب مفعولا لصنعوا وما مهيئة * وقرأ أبو بحرية والاعمش وطلحة وابن أبي ليلى وخلف في اختياره وابن عيسى الاصبهاني وابن جبير الانطاكي وابن جرير وحمزة والكسائي سحر بكسر السين واسكان الحاء بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أوهم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه أو بذاته أو بين الكيد لأنه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو * وقرأ الجمهور ساحر اسم فاعل من سحر وأفرد ساحر من حيث ان فعل الجميع نوع واحد من السحر وذلك الحبال والعصي فكأنه صدر من ساحر واحد لعدم اختلاف أنواعه * وقال الزمخشري لأن القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لاالى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد ألاترى أن قوله ولايفلح الساحر أي هذا الجنس انتهى وعرف في قوله ولايفلح الساحر لأنه عاد على ساحر النكرة قبله كقوله كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول * وقال الزمخشري انما نكر يعني أولا من أجل تنكير المضاف لامن أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج * في سعي دنيا طالما قدمت * وفي حديث عمر رضي الله عنه لافي أمر دنيا ولافي أمر آخرة المراد تنكير الامر كانه قال انما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنياوي وأمر دنياوي وأخراوي انتهى وقول العجاج * في سعي دنيا محمول على الضرورة اذ دنيا تأنيث الادنى ولايستعمل تأنيثه الا

(الدر)

(ش) انما نكر يعني أولا من أجل تنكير المضاف لامن أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما قدمت وفي حديث عمر رضي الله عنه لافي أمر دنيا ولافي أمر آخرة المراد تنكير الامر كانه قال انما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنياوي وأمر دنياوي وأخراوي (ح) قول العجاج في سعي دنيا محمول على الضرورة اذ دنيا تأنيث الادنى ولا يستعمل تأنيثه الا بالالف واللام أو بالاضافة وأما قول عمر فيحتمل أن يكون من تحريف الرواة

بالالف واللام أو بالاضافة وأما قول عمر فيحتمل ان يكون من تحريف الرواة ومعنى ولا يفلح
لا يظفر ببغيته حيث أتى أي حيث توجه وسلك * وقالت فرقة معناه ان الساحر يقتل حيث
ثقف وهذا جزاء من عدم الفلاح * وقرأت فرقة أين أتى وبعد هذا جمل محذوفة والتقدير فزال
ايجاس الخيفة وألقى ما في يمينه وتلقفت حبالهم وعصيهم ثم انقلبت عصا وفقدوا الحبال والعصى وعلموا
أن ذلك معجز ليس في طوق البشر فألقى السحرة سجدا وجاء التركيب فألقى السحرة ولم يأت
فسجدوا كأنه جاءهم أمر وأزعجهم وأخذهم فصنع بهم ذلك وهو عبارة عن سرعة ما تأثروا لذلك الخارق
العظيم فلم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين وقدم موسى في الاعراف وأخر هارون لاجل الفواصل
ولكون موسى هو المنسوب اليه العصا التي ظهر فيها ما ظهر من الاعجاز وأخر موسى لاجل
الفواصل أيضا كقوله لكان لزاما وأجل مسمى * وأزواجا من نبات اذا كان شتى صفة لقوله أزواجا
ولا فرق بين قام زيد وعمرو وقام عمرو وزيد اذ الواو لا تقتضي ترتيبا على انه يحتمل ان يكون
القولان من قائلين نطقت طائفة بقولهم رب موسى وهارون وطائفة بقولهم رب هارون وموسى
ولما اشتركوا في المعنى صح نسبة كل من القولين الى الجميع * وقيل قدم هارون هنا لأنه كان أكبر
سنا من موسى * وقيل لأن فرعون كان ربى موسى فبدؤا بهارون ليزول تمويه فرعون انه ربى
موسى فيقول أنا ربيته وقالوا رب هارون وموسى ولم يكتفوا بقولهم برب العالمين للنص على انهم
آمنوا برب هذين وكان فيما قيل يزعم انه رب العالمين وتقدم الخلاف في قراءة آمنتم وفي لأقطعن
ولأصلبن في الاعراف وتفسير نظير هذه الآية فيها وجاء هنالك آمنتم به وهنا له وآمن يوصل بالباء اذا
كان بالله وباللام لغيره في الاكثر نحو فما آمن لموسى لن نؤمن لك وما أنت بمؤمن لنا فآمن له لوط
واحتمل الضمير في به أن يعود على موسى وأن يعود على الرب وأراد بالتقطيع والتصليب في
الجذوع التمثيل بهم ولما كان الجذع مقر المصلوب واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف عدى
الفعل بفي التي للوعاء * وقيل في بمعنى على * وقيل نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله فصار
ظرفا لهم حقيقة حتى يموتوا فيه جوعا وعطشا ومن تعديته صلب بفي قول الشاعر

وهم صلبوا العبدي في جذع نخلة * فلا عطست شيبان الا بأجدعا

وفرعون أول من صلب وأقسم فرعون على ذلك وهو فعل نفسه وعلى فعل غيره وهو ولتعلمن
أينا أي أبي وأي من آمنتم به * وقيل أبي وأي موسى وقال ذلك على سبيل الاستهزاء لأن موسى لم
يكن من أهل التعذيب والى هذا القول ذهب الزمخشري قال بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان
في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضرى
به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف مع الهزء به انتهى وهو
قول الطبري قال يريد نفسه وموسى عليه السلام والقول الاول أذهب مع مخرقة فرعون ولتعلمن
هنا معلق وأينا أشد جملة استفهامية من مبتدإ وخبر في موضع نصب لقوله ولتعلمن سدت مسد
المفعولين أو في موضع مفعول واحد ان كان لتعلمن معدى تعدية عرف ويجوز على الوجه أن
يكون أينا مفعولا لتعلمن وهو مبني على رأي سيبويه وأشد خبر مبتدأ محذوف وأينا موصولة
والجملة بعدها صلة والتقدير ولتعلمن من هو أشد عذابا وأبقى * قالوا لن نؤثرك أي لن نختار اتباعك
وكوننا من حزبك وسلامتنا من عذابك على ما جاءنا من البينات وهي المعجزة التي أتانا وعلمنا
صحتها وفي قولهم هذا توهين له واستصغار لما عددهم به وعدم اكتراث بقوله وفي نسبة مجيء

﴿ ولقد أوحينا الى موسى ﴾ الآية هذا استئناف إخبار عن شئ من أمر موسى عليه السلام وبينه وبين مقال السحرة المتقدم مدة من الزمان حدث فيها لموسى وفرعون حوادث وذلك أن فرعون لما انقضى أمر السحرة وغلب موسى وقوى أمره وعده فرعون أن يرسل معه بنى اسرائيل فأقام موسى على وعده حتى غدره فرعون ونكث فاعلمه أنه لا يرسلهم معه فبعث الله حينئذ الآيات المذكورة فى غير هذه الآيات كلما جاءت آية وعد فرعون (٢٦٢) أن يرسل بنى اسرائيل عند انكشاف العذاب فاذا انكشف نكث حتى تأتى أخرى فلما كملت الآيات أوحى الله الى موسى أن يخرج ببنى اسرائيل فى الليل ساريا والسرى سير الليل ويحتمل أن أن تكون مفسرة وأن تكون الناصبة للمضارع وبعبادى اضافة تشريف والظاهر أن الايحاء إليه بذلك وبأن يضرب البحر كان متقدما بمصر على وقت اتباع فرعون موسى وقومه بجنوده ويروى أن موسى عليه السلام نهض ببنى اسرائيل وهم ستمائة ألف انسان فسار بهم من مصر يريد بحر القلزم واتصل الخبر بفرعون فجمع جنوده وحشرهم ونهض وراءه فأوحى الله الى موسى أن يقصد البحر فجزع بنو اسرائيل ورأوا أن العدو من ورائهم والبحر أمامهم وموسى يثق بصنع الله فلما رآهم فرعون قد نهضوا نحو البحر طمع فيهم وكان مقصدهم الى موضع ينقطع فيه الفحوص والطرق الواسعة قيل وكان فى خيل فرعون سبعون ألف أدهم ونسبة ذلك من سائر الالوان وقيل أكثر من ذلك فضرب موسى عليه السلام البحر فانفلق اثنتى عشرة فرقة طرقا واسعة بينها حيطان الماء واقفة فدخل موسى عليه السلام البحر بعد أن بعث الله ريح الصبا فجففت تلك الطرق حتى يبست ودخل بنو اسرائيل و وصل فرعون الى المدخل و بنو اسرائيل كلهم فى البحر فرأى الماء على تلك الحالة فجزع قومه واستعظموا الامر فقال لهم انما انفلق من هيبتى وتقدم غرق فرعون وقومه

اليهم وان كانت البينات جاءت لهم ولغيرهم لانهم كانوا أعرف بالسحر من غيرهم وقد علموا أن ما جاء به موسى ليس بسحر فكانوا على جلية من العلم بالمعجز وغيرهم يقلدهم فى ذلك وأيضا فكانوا هم الذين حصل لهم النفع بها فكانت بينات واضحة فى حقهم والواو فى والذى فطرنا واو عطف على ما جاءنا أى وعلى الذى فطرنا لما لاحت لهم حجة الله فى المعجزة بدؤا بها ثم ترقوا الى القادر على خرق العادة وهو الله تعالى وذكروا وصف الاختراع وهو قولهم الذى فطرنا تبيينا لعجز فرعون وتكذيبه فى ادعاء ربوبيته والاهيته وهو عاجز عن صرف ذبابة فضلا عن اختراعها * وقيل الواو للقسم وجوابه محذوف ولا يكون لن نؤثرك جوابا لأنه لا يجاب فى النفى بلن الا فى شاذ من الشعر وما موصولة بمعنى الذى وصلته أنت قاض والعائد محذوف أى ما أنت قاضيه * قيل ولا يجوز أن تكون ما مصدرية لأن المصدرية توصل بالأفعال وهذه موصولة بابتداء وخبر انتهى وهذا ليس مجمعا عليه بل قد ذهب ذاهبون من النحاة الى أن ما المصدرية توصل بالجملة الاسمية وانتصب هذه الحياة على الظرف وما مهيئة ويحتمل أن تكون مصدرية أى ان قضاءك كائن فى هذه الحياة الدنيا الا فى الآخرة بل فى الآخرة لنا النعيم ولك العذاب * وقرأ الجمهور تقضى مبنيا للفاعل خطابا لفرعون * وقرأ أبو حيوة وابن أبى عبلة تقضى مبنيا للمفعول هذه الحياة بالرفع اتسع فى الظرف فأجرى مجرى المفعول به ثم بنى الفعل لذلك ورفع به كما تقول صيم يوم الجمعة وولد له ستون عاما ولم يصرح فى القرآن بأنه أنفذ فيهم وعيده ولا أنه قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم بل الظاهر أنه تعالى سلمهم منه ويدل على ذلك قوله أنتما ومن اتبعكما الغالبون * وقيل أنفذ فيهم وعيده وصلبهم على الجذوع وأكراهه اياهم على السحر * قيل حملهم على معارضة موسى * وقيل كان يأخذ ولدان الناس ويجبرهم على ذلك فأشارت السحرة الى ذلك قاله الحسن * والله خير وأبقى رد على قوله أينا أشد عذابا وأبقى أى وثواب الله وما أعده لمن آمن به روى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه يحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا أن يعارضوه ويظهر من قولهم أئن لنا لأجرا عدم الاكراه * انه من يأت الى من تزكى قيل هو حكاية لهم عظة لفرعون * وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية تنبيها على قبح ما فعل فرعون وحسن ما فعل السحرة موعظة وتحذيرا والمجرم هنا الكافر لذكر مقابله ومن يأته مؤمنا ولقوله لا يموت فيها ولا يحيا أى يعذب عذابا ينتهى به الى الموت ثم لا يجهز عليه فيستريح بل يعاد جلده ويجدد عذابه فهو لا يحيا حياة طيبة بخلاف المؤمن الذى يدخل النار فهم يقاربون الموت ولا يجهز عليهم فهذا فرق بين المؤمن والكافر وفى الحديث انهم يماتون اماتة وهذا هو معناه لانه لا يموت فى الآخرة وتزكى تطهر من دنس الكفر * وقيل قال لا اله الا الله ﴿ ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر

يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى يابنى إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ هذا استئناف اخبار عن شئ من أمر موسى عليه السلام وبينه وبين مقال السحرة المتقدم مدة من الزمان حدث فيها لموسى وفرعون حوادث وذلك أن فرعون لما انقضى أمر السحرة وغلب موسى وقوى أمره وعده فرعون أن يرسل معه بنى اسرائيل فأقام موسى على وعده حتى غدر فرعون ونكث وأعلمه أنه لا يرسلهم معه فبعث الله حينئذ الآيات المذكورة فى غير هذه الآيات الجراد والقمل الى آخرها كلما جاءت آية وعد فرعون أن يرسل بنى اسرائيل عند انكشاف العذاب فاذا انكشف نكث حتى تأتى أخرى فلما كملت الآيات أوحى الله الى موسى عليه السلام أن يخرج بنى اسرائيل فى الليل ساريا والسرى مسير الليل ويحتمل أن أن تكون مفسرة وأن تكون الناصبة للمضارع وبعبادى اضافة تشريف لقوله ونفخت فيه من روحى والظاهر أن الايحاء اليه بذلك وبأن يضرب البحر كان متقدما بمصر على وقت اتباع فرعون موسى وقومه بجنوده * وقيل كان الوحى بالضرب حين قارب فرعون لحاقه وقوى فزع بنى اسرائيل ويروى أن موسى عليه السلام نهض ببنى اسرائيل وهم ستمائة ألف انسان فسار بهم من مصر يريد بحر القلزم واتصل الخبر بفرعون فجمع جنوده وحشرهم ونهض وراءه فأوحى الله الى موسى أن يقصد البحر فجزع بنو اسرائيل ورأوا أن العدو من ورائهم والبحر من أمامهم وموسى يثق بصنع الله فلما رآهم فرعون قد نهضوا نحو البحر طمع فيهم وكان مقصدهم الى موضع ينقطع فيه الفحوص والطرق الواسعة * قيل وكان فى خيل فرعون سبعون ألف أدهم ونسبة ذلك من سائر الالوان * وقيل أكثر من هذا فضرب موسى عليه السلام البحر فانفرق اثنى عشرة فرقة طرقا واسعة بينها حيطان الماء واقفة ويدل عليه فكان كل فرق كالطود العظيم * وقيل بل هو طريق واحد لقوله فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا انتهى وقد يراد بقوله طريقا الجنس فدخل موسى عليه السلام بعد أن بعث الله ريح الصبا فجففت تلك الطرق حتى يبست ودخل بنو اسرائيل ووصل فرعون الى المدخل وبنو اسرائيل كلهم فى البحر فرأى الماء على تلك الحال فجزع قومه واستعظموا الامر فقال لهم انما انفلق من هيبتى وتقدم غرق فرعون وقومه فى سورة يونس والظاهر

فى البقرة والاعراف ويونس والظاهر أن لفظة اضرب هنا على حقيقتها من مس العصا البحر بقوة وتحامل على العصا ويوضحه فى آية أخرى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق والمعنى أن اضرب بعصاك البحر لينفلق لهم فيصير طريقا فتعدى الى الطريق بدخول هذا المعنى لما كان الطريق متسببا عن الضرب جعل كأنه المضروب و ﴿يبسا﴾ مصدر وصف به الطريق وصفه بما آل اليه اذ كان حالة الضرب لم يتصف باليبس بل مرت عليه الصبا فجففته كما روى ويقال يبس يبسا ويبسا كالعدم والعدم ومن كونه مصدرا وصف به المؤنث قالوا شاة يبس وناقة يبس اذا جف لبنها وقرئ ﴿لا تخاف﴾ وهى جملة فى موضع الحال من ضمير فاضرب وقرئ لا تخف على جواب الامر والدرك والدرك اسمان من الادراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ﴿ولا تخشى﴾ والظاهر أن الضمير فى غشيهم فى الموضعين عائد على فرعون وقومه والفاعل بغشيهم ما الموصولة أى الذى غشيهم وفى لفظة ما إبهام وتهويل وتعظيم كقوله تعالى فغشاها ما غشى ﴿وما هدى﴾ أى ما هدى قومه الى الدين أو ما اهتدى فى نفسه لان هدى قد يأتى بمعنى اهتدى ﴿يابنى اسرائيل قد أنجيناكم﴾ الآية ذكرهم بأنواع نعمه وبدأ بازالة ما كانوا فيه من الضرر من الاذلال والاخراج والذبح وهى آكد أن تكون مقدمة على المنفعة الدنياوية لان ازالة الضرر أعظم فى النعمة من ايصال المنفعة ثم أعقب ذلك بذكر المنفعة الدينية وهو قوله تعالى وواعدناكم جانب الطور الأيمن اذ نزل على نبيهم موسى عليه السلام كتابا فيه بيان دينهم وشرح شريعتهم ثم بذكر المنفعة الدنياوية وهو قوله تعالى ونزلنا عليكم المن والسلوى قال الزمخشرى وقرئ الأيمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب انتهى هذا من الشذوذ والقلة بحيث ينبغى أن لا تخرج القراءة عليه والصحيح أنه نعت للطور لما فيه من اليمن واما لكونه على يمين من يستقبل الجبل والظاهر أن الخطاب لمن بحضرة موسى عليه السلام بعد اغراق فرعون وقومه فيحل منصوب باضمار أن بعد الفاء فى جواب النهى فقد هوى أى سقط وهو كناية عن الهلاك

أن لفظة اضرب هنا على حقيقتها من مس العصا البحر بقوة وتحامل على العصا و يوضحه فى آية أخرى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فالمعنى أن اضرب بعصاك البحر لينفلق لهم فيصير طريقا فتعدى الى الطريق بدخول هذا المعنى لما كان الطريق متسببا عن الضرب جعل كأنه المضروب * وقال الزمخشرى فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما وضرب اللبن عمله انتهى وفى الحديث اضربوا لى معكم بسهم ولما لم يذكر المضروب حقيقة وهو البحر ولو كان صرح بالمضروب حقيقة لكان التركيب طريقا فيه فكان يعود الضمير على البحر المضروب ويبسا مصدر وصف به الطريق وصفه بما آل اليه اذ كان حالة الضرب لم يتصف باليبس بل مرت عليه الصبا فجففته كما روى و يقال يبس يبسا و يبسا كالعدم والعدم ومن كونه مصدرا وصف به المؤنث قالوا شاة يبس وناقة يبس اذا جف لبنها * وقرأ الحسن يبسا بسكون الباء * قال صاحب اللوامح قد يكون مصدرا كالعامة وقد يكون بالاسكان المصدر و بالفتح الاسم كالنفض * وقال الزمخشرى لا يخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا لقوله ومعا جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع انتهى * وقرأ أبو حيوة يابسا اسم فاعل * وقرأ الجمهور لا تخاف وهى جملة فى موضع الحال من الضمير فاضرب * وقيل فى موضع الصفة للطريق وحذف العائد أى لا تخاف فيه * وقرأ الأعمش وحمزة وابن أبى ليلى لا تخف بالجزم على جواب الأمر أو على نهى مستأنف قاله الزجاج * وقرأ أبو حيوة وطلحة والأعمش دركا بسكون الراء والجمهور بفتحها والدرك والدرك اسمان من الادراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك ولا تخشى أنت ولا قومك غرقا وعطفه على قراءة الجمهور لا تخاف ظاهر وأما على قراءة الجزم فخرج على ان الالف جىء بها لاجل أواخر الآى فاصلة نحو قوله فأضلونا السبيلا وعلى انه اخبار مستأنف أى وأنت لا تخشى وعلى انه مجزوم بحذف الحركة المقدرة على لغة من قال ألم يأتيك وهى لغة قليلة * وقال الشاعر

اذا العجوز غضبت فطلق * ولا ترضاها ولا تملق

* وقرأ الجمهور فأتبعهم بسكون التاء وأتبع قد يكون بمعنى تبع فيتعدى الى واحد كقوله فاتبعه الشيطان وقد يتعدى الى اثنين كقوله وأتبعناهم ذرياتهم فتكون التاء زائدة أى جنوده أو تكون للحال والمفعول الثانى محذوف أى رؤساؤه وحشمه * وقرأ أبو عمرو فى رواية والحسن فاتبعهم بتشديد التاء وكذا عن الحسن فى جميع ما فى القرآن الا فأتبعه شهاب ثاقب والباء فى بجنوده فى موضع الحال كما تقول خرج زيد بسلاحه أو الباء للتعدى لمفعول ثان بحرف جر اذ لا يتعدى اتبع بنفسه الا الى حرف واحد * وقرأ الجمهور فغشيهم من اليم ما غشيهم على وزن فعل مجرد من الزيادة * وقرأت فرقة منهم الاعمش فغشاهم من اليم ما غشاهم بتضعيف العين فالفاعل فى القراءة الاولى ما وفى الثانية الفاعل الله أى فغشاهم الله * قال الزمخشرى أو فرعون لانه الذى ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقال ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله * وقال ابن عطية ما غشيهم ابهام أهول من النص على قدر ما وهو كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى والظاهر ان الضمير فى غشيهم فى الموضعين عائد على فرعون وقومه وقيل الاول على فرعون وقومه والثانى على موسى وقومه وفى الكلام حذف على هذا القول تقديره فنجا موسى وقومه وغرق فرعون وقومه * وقال الزجاج وقرىء وجنوده عطفا على فرعون

* وأضل فرعون قومه أي من أول مرة الى هذه النهاية ويعني الضلال في الدين * وقيل أضلهم في البحر لانهم غرقوا فيه واحتج به القاضي على مذهبه فقال لو كان الضلال من خلق الله لما جاز أن يقال وأضل فرعون قومه بل وجب أن يقال الله أضلهم لان الله تعالى ذمه بذلك فكيف يكون خالقا للكفر لان من ذم غيره بفعل شئ لابد أن يكون المذموم فاعلا لذلك الفعل والا استحق الذام الذم انتهى وهو على طريقة الاعتزال * وما هدى أي ما هداهم الى الدين أو ما نجا من الغرق أو ما اهتدى في نفسه لان هدى قد يأتي بمعنى اهتدى * يابني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ذكرهم تعالى بأنواع نعمه وبدأ بازالة ما كانوا فيه من الضرر من الاذلال والخراج والذبح وهي آكد ان تكون مقدمة على المنفعة الدنيوية لان ازالة الضرر أعظم في النعمة من ايصال تلك المنفعة ثم أعقب ذلك بذكر المنفعة الدينية وهو قوله وواعدناكم جانب الطور الأيمن اذ أنزل على نبيهم موسى كتابا فيه بيان دينهم وشرح شريعتهم ثم بذكر المنفعة الدنيوية وهو قوله ونزلنا عليكم المن والسلوى والظاهر ان الخطاب لمن نجا مع موسى بعد إغراق فرعون * وقيل لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم اعتراضا في أثناء قصة موسى توبيخا لهم اذ لم يصبر سلفهم على أداء شكر نعم الله فهو على حذف مضاف أي أنجينا آباءكم من تعذيب آل فرعون وخاطب الجميع بواعدناكم وان كان الموعودون هم السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام لسماع كلام الله لان سماع أولئك السبعين تعود منفعته على جميعهم اذ تطمئن قلوبهم وتسكن وتقدم الكلام في جانب الطور الايمن في سورة مريم وعلى وأنزلنا عليكم المن والسلوى في سورة البقرة * وقرأ حمزة والكسائي وطلحة قد أنجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم بتاء الضمير وباقي السبعة بنون العظمة وحميد نجيناكم بتشديد الجيم من غير ألف قبلها وبنون العظمة وتقدم خلاف أبي عمرو في واعدنا في البقرة * والطيبات هنا الحلال اللذيذ لانه جمع الوصفين * وقرئ الايمن قال الزمخشري بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب انتهى وهذا من الشذوذ والقلة بحيث ينبغي أن لاتخرج القراءة عليه والصحيح انه نعت للطور لما فيه من اليمن واما لكونه على يمين من يستقبل الجبل ونهاهم عن الطغيان فيما رزقهم وهو أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والنعم عن القيام بشكرها وأن ينفقوها في المعاصي ويمنعوا الحقوق الواجبة تلم فيها * وقرأ زيد بن علي ولاتطغوا فيه بضم الغين * وعن ابن عباس ولاتطغوا فيه لا يظلم بعضكم بعضا فيأخذه من صاحبه يعني بغير حق * وعن الضحاك ومقاتل لاتجاوز واحد الاباحة * وعن الكلبي لاتكفروا النعمة أي لاتستعينوا بنعمتي على مخالفتي * وقرأ الجمهور فيحل بكسر الحاء ومن يحلل بكسر اللام أي فيجب ويلحق * وقرأ الكسائي بضم الحاء ولام يحلل أي ينزل وهي قراءة قتادة وأبي حيوة والاعمش وطلحة ووافق ابن عتيبة في يحلل فضم وفي الاقناع لابي علي الاهوازي مانصه ابن غزوان عن طلحة لايحلن عليكم غضبي بلام ونون مشددة وفتح اللام وكسر الحاء أي لاتتعرضوا للطغيان فيه فيحل عليكم غضبي من باب لاأرينك هنا وفي كتاب اللوامح قتادة وعبد الله بن مسلم بن يسار وابن وثاب والاعمش فيحل بضم الياء وكسر الحاء من الاحلال فهو متعد من حل بنفسه والفاعل فيه مقدر ترك لشهرته وتقديره فيحل به طغيانكم غضبي عليكم ودل على ذلك ولاتطغوا فيصير غضبي في موضع نصب مفعول به وقد يجوز أن يسند الفعل الى غضبي فيصير في موضع رفع بفعله وقد حذف منه المفعول للدليل عليه وهو العذاب أو نحوه انتهى فقد هوى كنى به عن الهلاك وأصله أن يسقط من جبل فهلك يقال هوى الرجل أي سقط ويشبه الذي

(الدر)

(ش) وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب (ح) هذا من الشذوذ والقلة بحيث ينبغي أن لاتخرج القراءة عليه والصحيح انه نعت للطور لما فيه من اليمن واما لكونه على يمين من يستقبل الجبل

﴿وما أعجلك عن قومك﴾ الآية وما أعجلك سؤال عن سبب العجلة وأجاب بقوله ﴿هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى﴾ لان قوله وما أعجلك تضمن تأخر قومه عنه فأجاب مشيرا إليهم لقربهم منه أنهم على أثره جائين للوعد وذلك على ما كان عهد إليهم أن يجيئوا للوعد ثم ذكر السبب الذي حمله على العجلة وهو ما تضمنه قوله وعجلت إليك رب لترضى من طلبه رضا الله تعالى في السبق الى ماوعده ربه ومعنى اليك أي الى مكان وعدك ولترضى أي ليدوم رضاك ويستمر لأنه تعالى كان راضيا عنه ﴿قال فانا قد فتنا قومك﴾ الآية أي اختبرناهم بما فعل السامري والسامري قيل اسمه موسى بن ظفر وقيل غير ذلك وتقدم في الاعراف كيفية اتخاذ العجل ﴿فرجع موسى الى قومه﴾ وذلك بعدما استوفى الاربعين وانتصب غضبان أسفا على الحال والاسف أشد الحزن ثم أخذ موسى عليه السلام يوبخهم على اضلالهم والوعد الحسن ماوعدهم من الوصول الى جانب الطور الأيمن ومابعد ذلك من الفتوح في الارض ﴿أفطال

عليكم العهد﴾ توقيف على اعذار لم تكن ولا تصح لهم وهو طول العهد حتى تبين لهم خلف في الموعد وقرئ ﴿بملكنا﴾ بفتح الميم وضمها وكسرها قال أبو علي الفارسي معنى الضم أنه لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك بسلطانه وانما أخلفناه بنظر أدى اليه مافعل السامري فليس المعنى أن لهم ملكا وفتح الميم مصدر من ملك والمعنى مافعلنا ذلك بأنا ملكنا الصواب ولا وفقنا له بل غلبتنا أنفسنا وكسر الميم كثر استعماله فيما تحوزه اليد ولكنه يستعمل في الأمور التي يبرمها الانسان ومعناها كمعنى التي قبلها والمصدر في هذين الوجهين مضاف الى الفاعل والمفعول مقدر أي بملكنا الصواب والاوزار الاثقال أطلق على ما كانوا استعاروا من القبط برسم التزين أوزارا لثقلها أو بسبب أنهم أثموا في ذلك فسميت أوزارا لما حصلت الاوزار التي هي الآثام بسببها والقوم هنا القبط ﴿فقذفناها﴾ أي الحلي في النار وكان أشار عليهم بذلك السامري فحفرت حفرة وسجرت فيها النار وقذف كل من كان معه شئ من ذلك الحلي في النار وقذف السامري ما معه ومعنى فكذلك أي مثل القائنا إياها ألقى السامري ما كان معه فأخرج لهم أي السامري ﴿عجلا جسدا له خوار﴾ تقدم الكلام على مثل هذا في الاعراف والضمير في فقالوا لبني اسرائيل أي ضلوا حين قال كبارهم لصغارهم وهذه إشارة الى العجل والظاهر أن الضمير في ﴿فنسي﴾ عائد على السامري أي فنسي ايمانه واسلامه قاله ابن عباس ثم بين تعالى فساد اعتقادهم بأن الألوهية لاتصلح لمن سلبت عنه هذه الصفات فقال ﴿أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا﴾ والرؤية هنا بمعنى العلم ولذلك جاء بعدها أن المخففة من الثقيلة كما جاء ألم يروا انه لا يكلمهم

يقع في ورطة بعد أن كان بنجوة منها بالساقط أو هوى في جهنم وفي سخط الله وغضب الله عقوبته ولذلك وصف بالنزول ولما حذر تعالى من الطغيان فيما رزق وحذر من حلول غضبه فتح باب الرجاء للتائبين وأتى بصيغة المبالغة وهي قوله واني لغفار لمن تاب قال ابن عباس من الشرك وآمن أي وحد الله وعمل صالحا أدى الفرائض ثم اهتدى لزم الهداية وأدامها الى الموافاة على الاسلام * وقيل معناه لم يشك في ايمانه * وقيل ثم استقام * قال ابن عطية والذي تقوى في معنى ثم اهتدى أن يكون ثم حفظ معتقداته من أن يخالف الحق في شئ من الاشياء فان الاهتداء على هذا الوجه غير الايمان وغير العمل * وقال الزمخشري الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو وأعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لأنها أعلى منه وأفضل ﴿وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى * قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا * قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا﴾ لما نهض موسى عليه السلام ببني اسرائيل الى جانب الطور الأيمن حيث كان الموعد أن يكلم الله موسى بما فيه شرف العاجل والآجل رأى على وجه الاجتهاد ان يقدم وحده مبادرا الى أمر الله وحرصا على القرب منه وشوقا الى مناجاته واستخلف هارون على بني اسرائيل وقال لهم موسى تسيرون الى جانب الطور فاما

انتهى موسى عليه السلام وناجى ربه زاده فى الأجل عشرا وحينئذ وقفه على استعجاله دون القوم ليخبره موسى انهم على الأثر فيقع الاعلام له بما صنعوا وما استفهام أى أى شئ عجل بك عنهم * قال الزمخشرى وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه و ينجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظن ان ذلك أقرب الى رضا الله و زال عنه انه عز وجل ما وقت أفعاله الا نظرا الى دواعى الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء انتهى والظاهر أن قوله عز وجل عن قومك يريد به جميع بنى اسرائيل كما قدمنا قبل لا السبعين * وقال الزمخشرى وليس يقول من جوز أن يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح ما أباه قوله هم أولاء على أثرى انتهى وما أعجلك سؤال عن سبب العجلة وأجاب بقوله هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى لأن قوله وما أعجلك تضمن تأخر قومه عنه فأجاب مشيرا اليهم لقربهم منه انهم على أثره جائين للوعد وذلك على ما كان عهد اليهم أن يجيؤا للوعد ثم ذكر السبب الذى حمله على العجلة وهو ما تضمنه قوله وعجلت اليك رب لترضى من طلبه رضا الله تعالى فى السبق الى ما وعده ربه ومعنى اليك الى مكان وعدك ولترضى أى ليدوم رضاك و يستمر لأنه تعالى كان عنه راضيا * وقال الزمخشرى (فان قلت) ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذى ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك والشوق الى كلامك و ينجز موعدك وقوله هم أولاء على أثرى كما ترى غير منطبق عليه (قلت) قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما انكار العجلة فى نفسها والثانى السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان أهم الأمرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة فى نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد منى الا تقدم يسير مثله لا يعتد به فى العادة ولا يحتفل به وليس بينى وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل أن يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المترتب على حدود الكلام انتهى وفيه سوء أدب على الانبياء عليهم السلام * وقرأ الحسن وابن معاذ عن أبيه أولاى بياء مكسورة وابن وثاب وعيسى فى رواية أولاء بالقصر * وقرأت فرقة أولاى بياء مفتوحة * وقرأ عيسى و يعقوب وعبد الوارث عن أبى عمرو و زيد بن على إثرى بكسر الهمزة وسكون الثاء * وحكى الكسائى أثرى بضم الهمزة وسكون الثاء وتروى عن عيسى * وقرأ الجمهور أولاء بالمد والهمز على أثرى بفتح الهمز والثاء وعلى أثرى يحتمل أن يكون خبرا بعد خبر أو فى موضع نصب على الحال قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى أى اختبرناهم بما فعل السامرى أو ألقيناهم فى فتنة أى ميل مع الشهوات ووقوع فى اختلاف من بعدك أى من بعد فراقك لهم * وقال الزمخشرى أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر ألفا (فان قلت) فى القصة انهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوا أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا و بين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك من بعدك (قلت) قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته وافترض السامرى غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه وأخذ فى تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا انتهى * وقرأ الجمهور وأضلهم فعلا ماضيا * وقرأ أبو معاذ وفرقة وأضلهم برفع اللام مبتدأ والسامرى خبره وكان أشدهم ضلالا لأنه ضال فى نفسه مضل غيره وفى

القراءة الشهرى أسند الضلال الى السامرى لأنه كان السبب فى ضلالهم وأسند الفتنة اليه تعالى لأنه هو الذى خلقها فى قلوبهم * والسامرى قيل اسمه موسى بن ظفر * وقيل منجا وهو ابن خالة موسى أو ابن عمه أو عظيم من بنى اسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة أو علج من كرمان أو من باجرما أو من اليهود أو من القبط آمن بموسى وخرج معه وكان جاره أو من عباد البقر وقع فى مصر فدخل فى بنى اسرائيل بظاهره وفى قلبه عبادة البقر أقوال وتقدم فى الاعراف كيفية اتخاذ العجل وقبل ذلك فى البقرة فأغنى عن اعادته هنا * فرجع موسى الى قومه وذلك بعد ما استوفى الاربعين وانتصب غضبان أسفا على الحال والاسف أشد الغضب * وقيل الحزن وغضبه من حيث له قدرة على تغيير منكرهم وأسفه وهو حزنه من حيث علم انه موضع عقوبة لا يدله بدفعها ولا بدمنها * قال ابن عطية والاسف فى كلام العرب متى كان من ذى قدرة على من دونه فهو غضب ومتى كان من الاقل على الاقوى فهو حزن وتأمل ذلك فهو مطرد ثم أخذ موسى عليه السلام يوبخهم على أضلالهم والوعد الحسن ما وعدهم من الوصول الى جانب الطور الايمن وما بعد ذلك من الفتوح فى الارض والمغفرة لمن تاب وآمن وغير ذلك مما وعد الله أهل طاعته * وقال الزمخشرى وعدهم الله بعد ما استوفى الاربعين أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجل * وقال الحسن الوعد الحسن الجنة * وقيل أن يسمعهم كلامه والعهد الزمان يريد مفارقته لهم يقال طال عهدى بكذا أى طال زمانى بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الايمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل انتهى وانتصب وعدا على المصدر والمفعول الثانى ليعدكم محذوف أو أطلق الوعد ويراد به الموعود فيكون هو المفعول الثانى وفى قوله أفطال الى آخره توقيف على اعذار لم تكن ولا تصح لهم وهو طول العهد حتى يتبين لهم خلف فى الموعد وارادة حلول غضب الله وذلك كله لم يكن ولكنهم عملوا عمل من لم يتدبر وسمى العذاب غضبا من حيث هو ناشئ عن الغضب فان جعل بمعنى الارادة فصفة ذات أو عن ظهور النقمة والعذاب فصفة فعل وموعدى مصدر يحتمل أن يضاف الى الفاعل أى أوجدتمونى أخلفت ما وعدتكم من قول العرب فلان أخلف وعد فلان اذا وجده وقع فيه الخلف قاله المفضل وأن يضاف الى المفعول وكانوا وعدوه أن يتمسكوا بدين الله وسنة موسى عليه السلام ولا يخالفوا أمر الله أبدا فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل * وقرأ الاخوان والحسن والاعمش وطلحة وابن أبى ليلى وقعنب بملكنا بضم الميم * وقرأ زيد بن على ونافع وعاصم وأبو جعفر وشيبة وابن سعدان بفتحها وباقى السبعة بكسرها * وقرأ عمر رضى الله عنه بملكنا بفتح الميم واللام وحقيقته بسلطاننا فالملك والملك بمنزلة النقض والنقض والظاهر أنها لغات والمعنى واحد وفرق أبو على وغيره بين معانيها فمعنى الضم انه لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك بسلطانه وانما أخلفناه بنظر أدى اليه ما فعل السامرى فليس المعنى ان لهم ملكا وانما هذا كقول ذى الرمة

لا يشتكى سقطة منها وقد رقصت * بها المفاوز حتى ظهرها حدب

أى لا يكون منها سقطة فتشتكى وفتح الميم مصدر من ملك والمعنى ما فعلنا ذلك بأنا ملكنا الصواب ولا وفقنا له بل غلبتنا أنفسنا وكسر الميم كثر استعماله فيما تحوزه اليد ولكنه يستعمل فى الأمور التى يبرمها الانسان ومعناها كمعنى التى قبلها والمصدر فى هذين الوجهين مضاف الى الفاعل والمفعول مقدر أى بملكنا الصواب * وقال الزمخشرى أى ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا

أى لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامرى وكيده * وقرأ الاخوان وأبو عمرو وابن محيصن بفتح الحاء والميم وأبو رجاء بضم الحاء وكسر الميم * وقرأ باقى السبعة وأبو جعفر وشيبة وحميد ويعقوب غير روح كذلك الا أنهم شددوا الميم والأوزار الاثقال أطلق على ما كانوا استعاروا من القبط برسم التزين أوزارا لثقلها أو لسبب انهم أثموا فى ذلك فسميت أوزارا لما حصلت الأوزار التى هى الآثام بسببها والقوم هنا القبط * وقيل أمرهم بالاستعارة موسى * وقيل أمر الله موسى بذلك * وقيل هو ما ألقاه البحر مما كان على الذين غرقوا * وقيل الاوزار التى هى الآثام من جهة انهم لم يردوها الى أصحابها ومعنى أنهم حملوا الآثام وقذفوها على ظهورهم كما جاء هم يحملون أوزارهم على ظهورهم * وقيل معنى فقذفناها أى الحلى على أنفسنا وأولادنا * وقيل فقذفناها فى النار أى ذلك الحلى وكان أشار عليهم بذلك السامرى فحفرت حفرة وسجرت فيها النار وقذف كل من معه شئ ما عنده من ذلك فى النار وقذف السامرى ما معه ومعنى فكذلك أى مثل قذفنا اياها ألقى السامرى ما كان معه وظاهر هذه الألفاظ أن العجل لم يصنعه السامرى * وقال الزمخشرى فكذلك ألقى السامرى أراهم أنه يلقى حليا فى يده مثل ما ألقوا وانما ألقى التربة التى أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل عليه السلام أوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فأخرج لهم السامرى من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلى التى سبكتها النار تخور كخور العجاجيل والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان أى امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامرى على الضلال وأوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى انتهى * وقيل معنى جسدا شخصا * وقيل لا يتغذى وتقدم الكلام على قوله له خوار فى الأعراف * والضمير فى فقالوا لبنى اسرائيل أى ضلوا حين قال كبارهم لصغارهم وهذا اشارة الى العجل * وقيل الضمير فى فقالوا عائد على السامرى أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لجرمه * وقيل عليه وعلى تابعيه * وقرأ الاعمش فنسى بسكون الياء والظاهر أن الضمير فى فنسى عائد على السامرى أى فنسى اسلامه وايمانه قاله ابن عباس أوفترك ما كان عليه من الدين قاله مكحول وهو كقول ابن عباس أو فنسى أن العجل لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا أو فنسى الاستدلال على حدوث الأجسام وان الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ وعلى هذه الأقوال يكون فنسى اخبارا من الله عن السامرى * وقيل الضمير عائد على موسى عليه السلام أى فنسى موسى أن يذكر لكم أن هذا الهكم أو فنسى الطريق الى ربه وكلا هذين القولين عن ابن عباس أو فنسى موسى الهه عندكم وخالفه فى طريق آخر قاله قتادة وعلى هذه الأقوال يكون من كلام السامرى ثم بين تعالى فساد اعتقادهم بأن الالوهية لا تصلح لمن سلبت عنه هذه الصفات فقال أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهذا كقول ابراهيم لأبيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر والرؤية هنا بمعنى العلم ولذلك جاء بعدها أن المخففة من الثقيلة كما جاء ألم يروا أنه لا يكلمهم بأن الثقيلة وبرفع يرجع قرأ الجمهور * وقرأ أبو حيوة أن لا يرجع بنصب العين قاله ابن خالويه وفى الكامل ووافقه على ذلك وعلى نصب ولا يملك الزعفرانى وابن صبيح وأبان والشافعى محمد بن ادريس الامام المطلبى جعلوها ان الناصبة للمضارع وتكون الرؤية من الابصار ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعنى أفعصيت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى

ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال فما خطبك ياسامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سوّلت لى نفسى قال فاذهب فان لك فى الحياة ان تقول لامساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لااله الاهو وسع كل شئ علما كذلك نقص عليك من أنباء ماقدسبق وقدآتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الاعشرا نحن أعلم بما يقولون اذيقول أمثلهم طريقة إن لبثتم الايوما ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعاصفصفا لاترى فيها عوجا ولاأمتا يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلاتسمع الاهمسا يومئذلاتنفع الشفاعة الامن أذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايحيطون به علما وعنت الوجوه للحى القيوم وقدخاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهومؤمن فلايخاف ظلما ولاهضما وكذلك أنزلناه قرآ ناعربيا وصرفنافيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ولقدعهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذاعدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك أن لاتجوع فيها ولاتعرى وانك لاتظمأ فيها ولاتضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى فأكلامنها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدوفاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلايضل ولايشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقدكنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنافنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشدوأبقى أفلم يهدلهم كم أهلكناقبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على مايقولون وسبح بحمدربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولاتمدنّ عينيك الى مامتعنابه أزواجامنهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقانحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولايأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى ولوانا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنالولاأرسلت الينارسولافنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى *

* اللحية معروفة وتجمع على لحى بكسر اللام وضمها * نسف ينسف بكسر سين المضارع وضمها نسفافرّق وذرى * وقال ابن الاعرابى قلع من الأصل * الزرقة لون معروف يقال زرقت عينه وازرقت وازراقت * القاع قال ابن الاعرابى الأرض الملساء لانبات فيها ولابناء * وقال الجوهرى المستوى من الأرض * ومنه قول ضرار بن الخطاب

ايكونن بالبطاح قريش * فقعة القاع فى أكف الاماء

﴿ولقد قال لهم هرون﴾ الآية أشفق هرون على نفسه وعليهم وبذل لهم النصيحة وبين أن ما ذهبوا إليه من أمر العجل إنما هو فتنة إذ كان مأمورا من عند الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أخيه موسى عليه السلام أخلفني في قومي ولا يمكنه أن يخالف أمر الله وأمر أخيه والضمير في به عائد على العجل زجرهم أولا هرون عن الباطل وإزالة الشبهة بقوله إنما فتنتم به ثم نبههم على معرفة ربهم وذكر وصف الرحمة تنبيها على أنهم متى تابوا قبلهم وتذكيرا لتخليصهم من فرعون زمان لم يوجد العجل ثم أمرهم باتباعه تنبيها على أنه نبي يجب أن يتبع ويطاع أمره ولما وعظهم هارون ونبههم على ما فيه رشدهم اتبعوا سبيل الغي وقالوا لن نبرح على عبادته مقيمين ملازمين له وغيوا ذلك برجوع موسى عليه السلام وفي قولهم ذلك دليل على عدم رجوعهم إلى الاستدلال وأخذ بتقليدهم السامري

*أن لا تتبعني أن هي الناصبة للمضارع وينسبك مصدرا أي ما منعك من اتباعي ﴿أفعصيت أمري﴾ استفهام انكار وهو عليه السلام لم يعص كلام أخيه ﴿قال يا ابن أم﴾ تقدم الكلام على ابن أم في الأعراف ﴿لا تأخذ﴾ وكان قد شرع في أخذ رأس أخيه كما تقدم في قوله وأخذ برأس أخيه يجره إليه لأن في ذلك اهانة واستعذر هارون لأخيه بقوله ﴿إني خشيت﴾ والتفريق الذي خشيه هو التقاتل بينهم لتكون أنت المتدارك لأمرهم ولما فرغ من عتابه لأخيه وجواب أخيه له رجع إلى مخاطبة الذي أوقعهم في الضلال وهو السامري قال ابن عطية ما خطبك كما تقول ما شأنك وما أمرك لكن لفظ الخطب يقتضي انتهارا لأن الخطب مستعمل في المكاره فكأنه قال ما نحسك وما شؤمك وما هذا الخطب الذي جاء من قبلك انتهى هذا ليس كما ذكر ألا ترى إلى قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون وهو قول إبراهيم للملائكة الله فليس هذا يقتضي انتهارا ولا شيأ مما ذكر وقرئ ﴿فقبضت﴾ بالضاد المعجمة فيهما أي أخذت بكفي مع الأصابع وقرئ بالصاد فيهما وقال المفسرون الرسول هنا جبريل عليه السلام وتقديره من أثر حافر فرس الرسول والأثر التراب الذي تحت حافره وقال أبو مسلم الاصبهاني ليس في القرآن تصريح بما ذكره المفسرون وهنا وجه آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى وأثره سنته ورسمه الذي أمر به فقد يقول الرجل فلان يقفو أثر فلان ويقتص أثره إذا كان يمتثل رسمه والتقدير أن موسى لما أقبل على السامري باللوم والمسئلة عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم في العجل

والجمع أقوع وأقواع وقيعان * وحكى مكي أن القاع في اللغة المكان المنكشف * وقال بعض أهل اللغة القاع مستنقع الماء * الصفصف المستوي الأملس * وقيل الذي لا نبات فيه وهو مضاعف كالسبسب * الأمت التل * والعوج التعوج في الفجاج قاله ابن الأعرابي * الهمس الصوت الخفي قاله أبو عبيدة * وقيل وطء الأقدام * قال الشاعر * وهن يمشين بنا هميسا * ويقال للأسد الهموس لخفاء وطئه ويقال همس الطعام مضغه * عنا يعنو ذل وخضع وأعناه غيره أذله * وقال أمية بن أبي الصلت

مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

*الهضم النقص تقول العرب هضمت لك حقي أي حططت منه ومنه هضيم الكشحين أي ضامرهما وفي الصحاح رجل هضيم ومتهضم مظلوم وتهضمه واهتضمه ظلمه * وقال المتوكل الليثي

ان الأذلة واللئام لمعشر * مولاهم المتهضم المظلوم

* عري يعرى لم يكن على جلده شئ يقيه * قال الشاعر

وان يعرين ان كسي الجواري * فتنبو العين عن كرم عجاف

* ضحي يضحى برز للشمس * قال عمرو بن أبي ربيعة

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشي فيخصر

* الضنك الضيق والشدة ضنك عيشه يضنك ضناكة وضنكا وامرأة ضناك كثيرة اللحم صار جلدها به * زهرة بفتح الهاء وسكونها نحو نهر ونهر ما يروق من النور وسراج زاهر له بريق والأنجم الزهر المضيئة وأزهر الشجر بدا زهره وهو النور ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك

﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾ أي عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول أي شيئا من دينك فنبذتها أي طرحتها فعند ذلك أعلمه موسى بماله من العذاب في الدنيا والآخرة وانما أراد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له ما يقول الامير في كذا أو بماذا يأمر الامير وأما تسميته رسولا مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وان لم يؤمنوا بالانزال قيل وما ذكره أبو مسلم أقرب الى التحقيق الأن فيه مخالفة المفسرين قيل و يبعد ما قالوه أن جبريل عليه السلام ليس معهودا باسم رسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تكون اللام في الرسول

السابق للذكر ولان ما قالوه لابد فيه من اضمار أي من أثر حافر فرس الرسول والاضمار خلاف الاصل ولان اختصاص السامري برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس بعيد جدا وكيف عرف أن اثر حافر فرسه يؤثر هذا الاثر الغريب العجيب من احياء الجماد به وصيرورته لحما ودما وكيف عرف أن جبريل يتردد الى نبي وقد عرف نبوته وصحت عنده فحاول الاضلال وكيف اطلع كافر على تراب هذا شأنه فلقائل أن يقول لعل موسى اطلع على شئ آخر يشبه هذا فلاجله أتى بالمعجزات فيصير ذلك قادحا فيما أتوا به من الخوارق ﴿فنبذتها﴾ أي ألقيتها على الحلي الذي تصور منه العجل ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ أي كما حدث ووقع قربت لي نفسي وجعلته لي سولا وأربا حتى فعلته وكان موسى عليه السلام لا يقتل بني اسرائيل الا في حد أو وحي فعاقبه باجتهاد نفسه بأن أبعده ونحاه عن الناس وأمر بني اسرائيل باجتنابه واجتناب قبيلته وأن لا يؤاكلوا ولا يناكحوا وجعل له أن يقول مدة حياته لا مساس أي لا مماسة ولا اذاية ﴿وان لك موعدا﴾ أي القيامة لن تخلفه أي لن تستطيع الروغان عنه والحيدة فتنزل عن موعد العذاب ﴿وانظر الى الهك﴾ خاطبه وحده اذ كان هو رأس الضلال وهو ينظر لقولهم لن نبرح عليه عاكفين وأقسم لنحرقنه وهو أعظم فساد الصورة ﴿ثم لننسفنه في اليم﴾ حتى تتفرق أجزاؤه فلا تجتمع وانتصب علما على التمييز المنقول من الفاعل تقديره وسع علمه كل شئ

يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شئ علما ﴾ أشفق هارون على نفسه وعليهم وبذل لهم النصيحة وبين ان ما ذهبوا اليه من أمر العجل انما هو فتنة اذ كان مأمورا من عند الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أخيه موسى عليه السلام أخلفني في قومي الآية ولا يمكنه أن يخالف أمر الله وأمر أخيه * وروي ان الله أوحى الى يوشع اني مهلك من قومك أربعين ألفا فقال يارب فما بال الأخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي والمضاف اليه المقطوع عنه من قبل قدره الزمخشري من قبل أن يقول لهم السامري ما قال كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه قبل أن ينطق السامري بادر هارون عليه السلام بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن * وقال ابن عطية أخبر عز وجل ان هارون قد كان قال لهم في أول حال العجل انما هي فتنة وبلاء وتمويه من السامري وانما ربكم الرحمن الذي له القدرة والعلم والخلق والاختراع فاتبعوني الى الطور الذي واعدكم الله تعالى اليه وأطيعوا أمري فيما ذكرته لكم انتهى والضمير في به عائد على العجل زجرهم أولا هارون عن الباطل وازالة الشبهة بقوله انما فتنتم به ثم نبههم على معرفة ربهم وذكر وصف الرحمة تنبيها على انهم متى تابوا قبلهم وتذكيرا لتخليصهم من فرعون زمان لم يوجد العجل ثم أمرهم باتباعه تنبيها على انه نبي يجب أن يتبع ويطاع أمره * وقرأ الحسن وعيسى وأبو عمرو في رواية وأن ربكم بفتح الهمزة والجمهور بكسرها والمصدر المنسبك منها في موضع خبر مبتدأ محذوف تقديره والأمر ان ربكم الرحمن فهو من عطف جملة على جملة وقدره أبو حاتم ولان ربكم الرحمن * وقرأت فرقة أنما وأن ربكم بفتح الهمزتين وتخريج هذه القراءة على لغة سليم حيث يفتحون ان بعد القول مطلقا ولما وعظهم هارون ونبههم على ما فيه رشدهم اتبعوا سبيل الغي وقالوا لن نبرح على عبادته مقيمين ملازمين له وغيوا ذلك برجوع موسى وفي قولهم ذلك دليل على عدم رجوعهم الى الاستدلال وأخذ بتقليدهم السامري ودلالة على ان لن لا تقتضي التأبيد خلافا للزمخشري اذ لو كان من موضوعها التأبيد لما جازت التغيية بحتى لان التغيية لا تكون الا حيث يكون الشئ محتملا فيزيل ذلك الاحتمال بالتغيية وقبل

قوله قال ياهارون كلام محذوف تقديره فرجع موسى و وجدهم عاكفين على عبادة العجل قال ياهارون وكان ظهور العجل فى سادس وثلاثين يوما وعبدوه و جاءهم موسى بعد استكمال الأربعين فعتب موسى على عدم اتباعه لما رآهم قد ضلوا ولا زائدة كهى فى قوله ما منعك أن لا تسجد * وقال على بن عيسى دخلت لا هنا لان المعنى ما دعاك الى أن لا تتبعنى وما حملك على أن لا تتبعنى بمن معك من المؤمنين أفعصيت أمرى يريد قوله أخلفنى الآية * وقال الزمخشرى ما منعك أن تتبعنى فى الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصى وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا أو مالك لم تلحقنى وفى ذلك تحميل للفظ ما لا يحتمله وتكثير ولما كان قوله تتبعنى لم يذكر متعلقه كان الظاهر أن لا تتبعنى الى جبل الطور بنى اسرائيل فيجىء اعتذار هارون بقوله انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل اذ كان لا يتبعه الا المؤمنون ويبقى عباد العجل عاكفين عليه كما قالوا لن نبرح عليه عاكفين و يحتمل أن يكون المعنى تتبعنى تسير بسيرى فى الاصلاح والتسديد فيجىء اعتذاره ان الأمر تفاقم فلو تقويت عليه تقاتلوا واختلفوا فكان تفريقا بينهم وانما لاينت جهدى * وقرأ عيسى بن سليمان الحجازى يالحينى بفتح اللام وهى لغة أهل الحجاز وكان موسى عليه السلام شديد الغضب لله ولدينه ولما رأى قومه عبدوا عجلا من دون الله بعد ما شاهدوا من الآيات العظام لم يتمالك أن أقبل على أخيه قابضا على شعر رأسه وكان كثير الشعر وعلى شعر وجهه يجره اليه فأبدى عذره فانه لو قاتل بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فانتظرتك لتكون المتدارك لهم وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتنى به والعمل بموجبها وتقدم الكلام على ابن أم قراءة واعرابا ولغة بعد ذلك * وقرأ أبو جعفر ولم ترقب بضم التاء وكسر القاف مضارع أرقب ولما اعتذر له أخوه رجع الى مخاطبة الذى أوقعهم فى الضلال وهو السامرى وتقدم الكلام فى الخطب فى سورة يوسف * وقال ابن عطية ما خطبك كما تقول ما شأنك وما أمرك لكن لفظة الخطب تقتضى انتهارا لان الخطب مستعمل فى المكاره فكأنه قال ما نحسك وما شؤمك وما هذا الخطب الذى جاء من قبلك انتهى وهذا ليس كما ذكر ألا ترى الى قوله قال فما خطبكم أيها المرسلون وهو قول ابراهيم للملائكة الله فليس هذا يقتضى انتهارا ولا شيأ مما ذكر * وقال الزمخشرى خطب مصدر خطب الأمر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيأ ما خطبك فمعناه ما طلبك له انتهى ومنه خطبة النكاح وهو طلبه * وقيل هو مشتق من الخطاب كأنه قال له ما حملك على ان خاطبت بنى اسرائيل بما خاطبت وفعلت معهم ما فعلت قال بصرت بما لم يبصروا به * قال أبو عبيدة علمت ما لم يعلموا * وقال الزجاج بصر بالشئ اذا علمه وأبصر اذا نظر * وقيل بصر به وأبصره بمعنى واحد * وقرأ الأعمش وأبو السمال بصرت بكسر الصاد بما لم تبصروا بفتح الصاد * وقرأ عمرو بن عبيد بصرت بضم الباء وضم الصاد بما لم تبصروا بضم التاء وفتح الصاد مبنيا للمفعول فيهما * وقرأ الجمهور بصرت بضم الصاد وحمزة والكسائى وأبو بحرية والأعمش وطلحة وابن أبى ليلى وابن مناذر وابن سعدان وقعنب تبصروا بتاء الخطاب لموسى و بنى اسرائيل و باقى السبعة يبصروا بياء الغيبة * وقرأ الجمهور فقبضت قبضة بالضاد المعجمة فيهما أى أخذت بكفى مع الأصابع * وقرأ عبد الله وأبى وابن الزبير وحميد والحسن بالصاد فيهما وهو الأخذ بأطراف الأصابع * وقرأ الحسن بخلاف عنه وقتادة ونصر بن عاصم بضم القاف والصاد المهملة وأدغم ابن محيصن الضاد المنقوطة فى تاء المتكلم وأبقى الاطباق مع تشديد التاء * وقال المفسرون الرسول هنا جبريل عليه

(الدر)

(ع) ما خطبك كما تقول ما شأنك وما أمرك لكن لفظ الخطب يقتضى انتهارا لان الخطب مستعمل فى المكاره فكانه قال ما نحسك وما شؤمك وما هذا الخطب الذى جاء من قبلك (ح) هذا ليس كما ذكر ألا ترى الى قوله فما خطبكم أيها المرسلون وهو قول ابراهيم للملائكة الله تعالى فليس هذا يقتضى انتهارا ولا شيأ مما ذكر

السلام وتقديره من أثر فرس الرسول وكذا قرأ عبد الله والأثر التراب الذي تحت حافره فنبذتها أي ألقيتها على الحلي الذي تصور منه العجل فكان منها ما رأيت * وقال الأكثرون رأى السامري جبريل يوم فلق البحر وعن علي رآه حين ذهب موسى الى الطور وجاءه جبريل فأبصره دون الناس * وقال الزمخشري (فان قلت) لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس (قلت) حين حل ميعاد الذهاب الى الطور أرسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامري فقال ان لهذا الشأنا فقبض القبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل انتهى وهو قول علي مع زيادة * وقال أبو مسلم الاصبهاني ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون وهنا وجه آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام وأثره سنته ورسمه الذي أمر به فقد يقول الرجل فلان يقفو أثر فلان ويقتص أثره اذا كان يمتثل رسمه والتقدير ان موسى لما أقبل على السامري باللوم والمسألة عن الأمر الذي دعاه الى اضلال القول في العجل قال بصرت بما لم يبصروا به أي عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول أي شيأ من دينك فنبذتها أي طرحتها فعند ذلك أعلم موسى بما له من العذاب في الدنيا والآخرة وانما أراد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له ما يقول الأمير في كذا أو بماذا يأمر الأمير وتسميته رسولا مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فان لم يؤمنوا بالانزال قيل وما ذكره أبو مسلم أقرب الى التحقيق الا أن فيه مخالفة المفسرين * قيل ويبعد ما قالوه ان جبريل ليس معهودا باسم رسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تكون اللام في الرسول لسابق في الذكر ولأن ما قالوه لابد من اضمار أي من أثر حافر فرس الرسول والاضمار خلاف الاصل ولأن اختصاص السامري برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس يبعد جدا وكيف عرف أن حافر فرسه يؤثر هذا الأثر الغريب العجيب من احياء الجماد به وصيرورته لحما ودما وكيف عرف جبريل يتردد الى نبي وقد عرف نبوته وصحت عنده فحاول الاضلال وكيف اطلع كافر على تراب هذا شأنه فلقائل أن يقول لعل موسى اطلع على شيء آخر يشبه هذا فلأجله أتى بالمعجزات فيصير ذلك قادحا فيما أتوا به من الخوارق انتهى ما رجح به هذا القائل قول أبي مسلم الاصبهاني وكذلك سولت لي نفسي أي كما حدث ووقع قربت لي نفسي وجعلته لي سولا واربا حتى فعلته وكان موسى عليه السلام لا يقتل بني اسرائيل الا في حد أو وحي فعاقبه باجتهاد نفسه بأن أبعده ونحاه عن الناس وأمر بني اسرائيل باجتنابه واجتناب قبيلته وأن لا يواكلوا ولا يناكحوا وجعل له أن يقول مدة حياته لا مساس أي لا مماسة ولا اذاية * وقال الزمخشري عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا

(ح) وقال أبو مسلم الاصبهاني ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون وهنا وجه آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام وأثره سنته ورسمه الذي أمر به فقد يقول الرجل فلان يقفو اثر فلان ويقتص اثره اذا كان يمتثل رسمه والتقدير ان موسى لما أقبل على السامري باللوم والمسألة عن الأمر الذي دعاه الى اضلال القوم في العجل قال بصرت بما لم يبصروا به أي عرفت ان الذي أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول أي شيأ من دينك فنبذتها أي طرحتها فعند ذلك علم موسى بما له من العذاب في الدنيا والآخرة وانما أفاد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له ما يقول الأمير في كذا أو بما ذا يأمر الأمير وأما تسميته رسولا مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وان لم يؤمنوا بالانزال قيل وما ذكره أبو مسلم أقرب الى التحقيق الا أن فيه مخالفة المفسرين قيل ويبعد ما قالوه ان جبريل ليس معهودا باسم رسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تكون اللام في الرسول لسابق في الذكر ولان ما قالوه لابد فيه من اضمار أي من اثر حافر فرس الرسول والاضمار خلاف الاصل ولان اختصاص السامري برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس يبعد جدا وكيف عرف ان اثر حافر فرسه يؤثر هذا الأثر الغريب العجيب من احياء الجماد به وصيرورته لحما ودما وكيف عرف جبريل يتردد الى نبي وقد عرف نبوته وصحت عنده فحاول الاضلال وكيف اطلع كافر على تراب هذا شأنه فلقائل أن يقول لعل موسى اطلع على شيء آخر يشبه هذا فلاجله اتى بالمعجزات فيصير ذلك قادحا فيما أتوا به من الخوارق

كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق
أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لامساس
ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم انتهى وكون الحمى تأخذ الماس والممسوس قول قتادة
والأمر بالذهاب حقيقة ودخلت الفاء للتعقيب اثر المحاورة وطرده بلام له زمانية وعبر بالمماسة عن
المخالطة لأنها أدنى أسباب المخالطة فنبه بالادنى على الاعلى والمعنى لا مخالطة بينك وبين الناس فنفر
من الناس ولزم البرية وهجر البرية وبقي مع الوحوش الى أن استوحش وصار اذا رأى أحدا
يقول لامساس أي لا تمسني ولا أمسك * وقيل ابتلي بعذاب قيل له لامساس بالوسواس وهو الذي
عناه الشاعر بقوله

فأصبح ذلك كالسامري * اذ قال موسى له لامساسا

* ومنه قول رؤبة * حتى تقول الأزد لامساسا * وقيل أراد موسى قتله فمنعه الله من قتله لانه
كان سخيا قال بعض شيوخنا وقد وقع مثل هذا في شرعنا في قصة الثلاثة الذين خلفوا أمر
الرسول عليه السلام أن لا يكلموا ولا يخالطوا وأن يعتزلوا نساءهم حتى تاب الله عليهم * وقرأ
الجمهور لامساس بفتح السين والميم المكسورة ومساس مصدر ماس كقتال من قاتل وهو منفي بلا
التي لنفي الجنس وهو نفي أريد به النهي أي لا تمسني ولا أمسك * وقرأ الحسن وأبو حيوة وابن أبي
عبلة وقعنب بفتح الميم وكسر السين * فقال صاحب اللوامح هو على صورة نزال ونظار من أسماء
الافعال بمعنى انزل وانظر فهذه الاسماء التي بهذه الصيغة معارف ولا تدخل عليها لا النافية التي
تنصب النكرات نحو لا مال لك لكنه فيه نفي الفعل فتقديره لا يكون منك مساس ولا أقول مساس
ومعناه النهي أي لا تمسني انتهى وظاهر هذا أن مساس اسم فعل * وقال الزمخشري لامساس بوزن
فجار ونحوه قولهم في الظباء

ان وردن الماء فلا عباب * وان فقدنه فلا اباب

وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب * وقال ابن عطية لامساس هو معدول
عن المصدر كفجار ونحوه وشبهه أبو عبيدة وغيره بنزال ودراك ونحوه والشبه صحيح من حيث هي
معدولات وفارقه في أن هذه عدلت عن الامر ومساس وفجار عدلت عن المصدر * ومن هذا
قول الشاعر

تميم كرهط السامري وقوله * ألا لا يريد السامري مساس

انتهى فكلام الزمخشري وابن عطية يدل على أن مساس معدول عن المصدر الذي هو المسة كفجار
معدولا عن الفجرة وان لك موعدا أي في يوم القيامة * وقرأ الجمهور لن تخلفه بالتاء مضمومة
وفتح اللام على معنى لن يقع فيه خلف بل ينجز ذلك الله في الآخرة على الشرك والفساد بعدما عوقبت
في الدنيا * وقال الزمخشري وهذا من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا * قال الاعشى

أثوى وقصر ليله ليزودا * فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

* وقرأ ابن كثير والأعمش وأبو عمرو بضم التاء وكسر اللام أي لن تستطيع الروغان عنه والحيدة
فتزول عن موعد العذاب * وقرأ أبو نهيك لن تخلفه بفتح التاء وضم اللام كذا بالتاء منقوطة من
فوق عن أبي نهيك في نقل ابن خالويه وفي اللوامح أبو نهيك لن يخلفه بفتح الياء وضم اللام وهو
من خلفه يخلفه اذا جاء بعده أي الموعد الذي لك لا يدفع قولك الذي تقوله فيما بعد لامساس بالفعل

فهو مسند الى الموعد أو الموعد لن يختلف ماقدر لك من العذاب فى الآخرة * وقال سهل يعنى أبا حاتم لايعرف لقراءة أبى نهيك مذهبا انتهى * وقرأ ابن مسعود والحسن بخلاف عنه نخلفه بالنون وكسر اللام أى لانتقص مما وعدناك من الزمان شيأ * وقال ابن جنى لن يصادفه مخلفا * وقال الزمخشرى لن يخلفه الله حكى قوله عز وجل كامر فى لأهب لك انتهى ثم وبخ موسى عليه السلام السامرى بما أراد أن يفعل بالعجل الذى اتخذه الها من الاستطالة عليه بتغيير هيئته فواجهه بقوله وانظر الى الهك وخاطبه وحده اذ كان هو رأس الضلال وهو ينظر لقولهم لن نبرح عليه عاكفين وأقسم لنحرقنه وهو أعظم فساد الصورة ثم لننسفنه فى اليم حتى تتفرق أجزاؤه فلا يجتمع ويظهر أنه لما كان قد أخذ السامرى القبضة من أثر فرس جبريل وهو داخل البحر حالة تقدم فرعون وتبعه فرعون فى الدخول ناسب أن ينسف ذلك العجل الذى صاغه السامرى من الحلى الذى كان أصله للقبط وألقى فيه القبضة فى البحر ليكون ذلك تنبيها على ان ما كان به قيام الحياة آل الى العدم وألقى فى محل ماقامت به الحياة وان أموال القبط قذفها الله فى البحر بحيث لاينتفع بها كما قذف الله أشخاص مالكيها فى البحر وغرقهم فيه * وقرأ الجمهور ونصر بن عاصم لابن يعمر ظلت بظاء مفتوحة ولام ساكنة * وقرأ ابن مسعود وقتادة والاعمش بخلاف عنه وأبو حيوة وابن أبى عبلة وابن يعمر بخلاف عنه كذلك الا أنهم كسروا الظاء وعن ابن يعمر ضمها وعن أبى والاعمش ظللت بلامين على الاصل فأما حذف اللام فقد ذكره سيبويه فى الشذوذ يعنى شذوذ القياس لاشذوذ الاستعمال مع مست وأصله مسست وأحست أصله أحسست وذكر ابن الانبارى همت وأصله هممت ولا يكون ذلك الا اذا سكن آخر الفعل نحو ظلت إذ أصله ظللت وذكر بعض من عاصرناه أن ذلك منقاس فى كل مضاعف العين واللام فى لغة بنى سليم حيث تسكن آخر الفعل وقد أمعنا الكلام على هذه المسألة فى شرح التسهيل من تأليفنا فأما من كسر الظاء فلأنه نقل حركة اللام الى الظاء بعد نزع حركتها تقديرا ثم حذف اللام وأما من ضمها فيكون على انه جاء فى بعض اللغات على فعل بضم العين فيهما ونقلت ضمة اللام الى الظاء كما نقلت فى حالة الكسر على ماتقرر * وقرأ الجمهور لنحرقنه مشددا مضارع حرق مشددا * وقرأ الحسن وقتادة وأبو جعفر وأبو رجاء والكلبى مخففا من أحرق رباعيا * وقرأ على وابن عباس وحميد وأبو جعفر فى رواية وعمرو بن فائد بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء والظاهر ان حرق وأحرق هو بالنار وأما القراءة الثالثة فمعناها لنبردنه بالمبرد يقال حرق يحرق ويحرق بضم راء المضارع وكسرها وذكر أبو على ان التشديد قد يكون مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد وفى مصحف أبى وعبد الله لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه وتوافق هذه القراءة من روى انه صار لحما ودما ذا روح ويترتب الاحراق بالنار على هذا وأما اذا كان جمادا مصوغا من الحلى فيترتب برده لا احراقه الا ان عنى به اذابته * وقال السدى أمر موسى بذبح العجل فذبح وسال منه الدم ثم أحرق ونسف رماده * وقيل بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها * وقرأ الجمهور لننسفنه بكسر السين * وقرأت فرقة منهم عيسى بضم السين * وقرأ ابن مقسم لننسفنه بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد السين والظاهر وقول الجمهور ان موسى تعجل وحده فوقع أمر العجل ثم جاء موسى وصنع بالعجل ماصنع ثم خرج بعد ذلك بالسبعين على معنى الشفاعة فى ذنب بنى اسرائيل وان يطلعهم أيضا على أمر المناجاة فكان لموسى عليه السلام نهضتان وأسند مكى خلاف هذا أن موسى كان مع السبعين فى المناجاة وحينئذ وقع أمر العجل وان

﴿ كذلك نقص عليك ﴾ الآية ذلك اشارة الى نبأ موسى وبني اسرائيل وفرعون أي كقصنا هذا النبأ الغريب نقص عليك من أنباء الامم السابقة وهذا فيه ذكر نعمة عظيمة وهي الاعلام باخبار الأمم السالفة ليتسلى بذلك ويعلم أن ماصدر من الأمم السالفة لرسلهم وماقاست الرسل منهم والظاهر أن الذكر هنا القرآن امتن تعالى عليه بايتائه الذكر المشتمل على القصص والاخبار الدال ذلك على معجزات أوتيها ﴿ من أعرض عنه ﴾ أي عن القرآن بكونه لم يؤمن به ولم يتبع مافيه وقرئ يحمل مضارع حمل وقرئ يحمل مشددا والظاهر أنه عبر عن العقوبة بالوزر لانه سببها ولذلك قال خالدين فيه أي في العذاب والعقوبة وجمع خالدين والضمير في لهم حملا على معنى من بعد الحمل على لفظها في أعرض وفي فانه يحمل والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم ولهم للبيان كهي في هيت لك لا متعلقة بساء وساء هنا التي جرت مجرى بئس لا ساء التي بمعنى أحزن وأهم لفساد المعنى ﴿ ويوم ننفخ ﴾ بدل من يوم القيامة أسند النفخ الى الآمر به والنافخ هو اسرافيل ولكرامته أسند مايتولاه الى ذاته المقدسة ﴿ والصور ﴾ تقدم الكلام عليه في سورة الأنعام والظاهر ان المراد هنا بالزرقة زرقة العيون والزرقة أبغض الألوان للعرب وكانت تتشاءم به ﴿ يتخافتون بينهم ﴾ أي يتسارون بينهم لهول المطلع وشدة ذهاب أذهانهم قد عزب عنهم قدر المدة التي لبثوا فيها ﴿ ان لبثتم ﴾ أي في دار الدنيا أو في البرزخ أو بين النفختين ثلاثة أقوال ووصف مالبثوا فيه بالقصر ﴿ الا يوما ﴾ اشارة لقصر مدة لبثهم والا عشرا يحتمل أن يكون عشر ليال أو عشرة أيام لان المذكر اذا حذف وأبقي عدده قد لا يأتي بالتاء وحكى الكسائي عن أبي الجراح صمنا من الشهر خمسا يريد خمسة أيام وما جاء ثم اتبعه بست من شوال يريد ستة أيام وحسن الحذف هنا كون ذلك فاصلة رأس آية ذكر أولا منتهى أقل العدد وهو العشر وذكر أعدلهم طريقة أقل العدد وهو اليوم الواحد ودل ظاهر قوله الا يوما على أن المراد بقولهم عشرا عشرة أيام ﴿ وضمير الغائب في ويسئلونك عائد على قريش منكري البعث والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر وجود السؤال وكأنه تضمن معنى الشرط ولذلك دخلت الفاء في قوله فقل بخلاف السؤالات في القرآن فليس فيها الفاء بل لفظ قل وروي أن الله تعالى يرسل على الجبال ريحا فتدككها حتى تكون كالعهن المنفوش ثم تتوالى عليها حتى تعيدها كالهباء المنبث فذلك هو النسف والظاهر عود الضمير في فيذرها على الجبال أي بعد النسف تبقى قاعا أي مستويا من الارض معتدلا ﴿ عوجا ﴾ قال ابن عباس ميلا ﴿ ولا أمتا ﴾ أثرا مثل الشراك ﴿ يومئذ يتبعون الداعي ﴾ التنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة التقدير يوم اذ ينسف الله الجبال ﴿ يتبعون ﴾ أي الخلائق داعي الله الى المحشر نحو قوله مهطعين الى الداع وهو اسرافيل يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل جهة يضع الصور في فيه ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلم الى العرض على الرحمن والظاهر أن الضمير في له عائد على الداعي نفى عنه العوج أي لا عوج له عاية بل يسمع جميعهم فلا يميل الى ناس دون ناس ﴿ وخشعت الاصوات للرحمن ﴾ هو على حذف مضاف أي أصحاب الاصوات والهمس الصوت الخفي

الله أعلم موسى بذلك فكتمه عنهم وجاء بهم حتى سمعوا لغط بني اسرائيل حول العجل فحينئذ أعلمهم موسى انتهى ولما فرغ من ابطال ماعمله السامري عاد الى بيان الدين الحق فقال انما الهكم الله ﴿ وقرأ الجمهور وسع فانتصب علما على التمييز المنقول من الفاعل وتقدم نظيره في الانعام ﴿ وقرأ مجاهد وقتادة وسع بفتح السين مشددة ﴿ قال الزمخشري وجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شئ وأما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لأن المميز فاعل في المعنى كما تقول خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا ﴿ وقال ابن عطية وسع بمعنى خلق الاشياء وكثرها بالاختراع فوسعها موجودات انتهى ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا ﴿ خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا ﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ﴿ فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ﴿

﴿ الا من أذن له ﴾ هو على حذف مضاف تقديره الا شفاعة من أذن له الرحمن أي في الشفاعة ومن في موضع رفع بدلا من قوله
الشفاعة على حذف المضاف الذي قلناه ﴿ ورضي له قولا ﴾ هو لا اله الا الله قاله ابن عباس والظاهر ان الضمير في أيديهم وما خلفهم
عائد على الخلق المحشورين وهم متبعو الداعي والضمير في به عائد على الله أي لا يحيط علم أحد بالله إذ ليس داخلا تحت
تحديد وعلما تمييز منقول
من الفاعل أي ولا يحيط
علمهم به والظاهر عموم
الوجوه أي وجوه الخلائق
وخص الوجوه لأن آثار
الذل انما تظهر أولا في
الوجوه و ﴿ القيوم ﴾ تقدم
الكلام عليه في البقرة
﴿ وقد خاب ﴾ أي لم ينجح
ولم يظفر بمطلوبه والظلم
يعم الشرك والمعاصي
وخيبة كل حامل بقدر
ما حمل من الظلم ﴿ ومن
يعمل من الصالحات ﴾ من
للتبعيض ﴿ وهو مؤمن ﴾
جملة في موضع الحال وقرئ
فلا يخاف على الخبر
والتقدير فهو لا يخاف فهو
مبتدأ ولا يخاف جملة في
موضع الخبر وقرأ ابن
محيصن وحميد فلا يخف
على النهي والهضم نقص
من الحسنات قاله ابن عباس
﴿ وكذلك ﴾ عطف على
كذلك نقص أي ومثل ذلك
الانزال أو كما أنزلنا عليك
هذه الآيات المتضمنة الوعيد
أنزلنا القرآن كله على هذه
الوتيرة ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أي يتخذون وقاية من وعيد الله بالعذاب ﴿ أو يحدث لهم ذكرا ﴾ عظة بما حل بالامم السالفة ﴿ فتعالى الله
الملك الحق ﴾ لما كان فيما سبق تعظيم القرآن في قوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ذكر عظم منزله
تعالى ثم ذكر هاتين الصفتين وهي صفة الملك التي تضمنت القهر والسلطنة والحق وهي الصفة الثابتة له ﴿ ولا تعجل بالقرآن ﴾
أي تأن حتى يفرغ الملقي إليك الوحي ولا تساوق في قراءتك قراءته والقاءه كقوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به

يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون
به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث
لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني
علما ﴿ ذلك اشارة الى نبأ موسى وبني اسرائيل وفرعون أي كقصنا هذا النبأ الغريب نقص عليك
من أنباء الأمم السابقة وهذا فيه ذكر نعمة عظيمة وهي الاعلام بأخبار الأمم السالفة ليتسلى بذلك
ويعلم ان ما صدر من الأمم لرسلهم وما قاست الرسل منهم والظاهر ان الذكر هنا القرآن امتن تعالى
عليه بايتائه الذكر المشتمل على القصص والاخبار الدال ذلك على معجزات أوتيها * وقال مقاتل
ذكرا بيانا * وقال أبو سهل شرفا وذكرا في الناس * من أعرض عنه أي عن القرآن بكونه لم يؤمن
به ولم يتبع ما فيه * وقرأ الجمهور يحمل مضارع حمل مخففا مبنيا للفاعل * وقرأت فرقة منهم داود
ابن رفيع يحمل مشدد الميم مبنيا للمفعول لأنه يكلف ذلك لا أنه يحمله طوعا ووزرا مفعول ثان ووزرا
ثقلا باهظا يؤده حمله وهو ثقل العذاب * وقال مجاهد اثما * وقال الثوري شركا والظاهر انه عبر
عن العقوبة بالوزر لانه سببها ولذلك قال خالدين فيه أي في العذاب والعقوبة وجمع خالدين والضمير
في لهم حملا على معنى من بعد الحمل على لفظها في أعرض وفي فانه يحمل والمخصوص بالذم محذوف أي
وزرهم ولهم للبيان كهي في هيت لك لا متعلقة بساء وساء هنا هي التي جرت مجرى بئس لا ساء التي
بمعنى أحزن وأهم لفساد المعنى * ويوم ننفخ بدل من يوم القيامة * وقرأ الجمهور ينفخ مبنيا للمفعول
ونحشر بالنون مبنيا للفاعل بنون العظمة * وقرأ أبو عمرو وابن محيصن وحميد ننفخ بنون العظمة
لنحشر أسند النفخ الى الآمر به والنافخ هو اسرافيل ولكرامته أسند ما يتولاه الى ذاته المقدسة
والصور تقدم الكلام فيه في الانعام * وقرئ ينفخ ويحشر بالياء فيهما مبنيا للفاعل * وقرأ
الحسن وابن عياض في جماعة في الصور على وزن درر والحسن يحشر بالياء مبنيا للمفعول ويحشر
مبنيا للفاعل وبالياء أي ويحشر الله والظاهر ان المراد بالزرق زرقة العيون والزرقة أبغض
ألوان العيون الى العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود
الكبد أصهب السبال أزرق العين * وقال الشاعر

وما كنت أخشى أن تكون وفاته * بكفي سبنتى أزرق العين مطرق

وقد ذكر في آية أخرى انهم يحشرون سود الوجوه فالمعنى تشويه الصورة من سواد الوجه وزرقة
العين وأيضا فالعرب تتشاءم بالزرقة * قال الشاعر

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر * الا كل عبسي من اللؤم أزرق

وقيل المعنى عميا لأن العين اذا ذهب نورها ازرق ناظرها وبهذا التأويل يقع الجمع بين قوله زرقا في هذه الآية وعميا في الآية الأخرى * وقيل زرق ألوان أبدانهم وذلك غاية في التشويه إذ يجيئون كلون الرماد وفي كلام العرب يسمى هذا اللون أزرق ولا تزرق الجلود الامن مكابدة الشدائد وجفوف رطوبتها * وقيل زرقا عطاشا والعطش الشديد يرد سواد العين الى البياض ومنه قولهم سنان أزرق وقوله

* فلما وردن الماء زرقا جمامه * أي ابيض وذكرت الآيتان لابن عباس فقال ليوم القيامة حالات فحالة يكونون فيها زرقا وحالة يكونون عميا * يتخافتون يتسارون لهول المطلع وشدة ذهاب أذهانهم قد عزب عنهم قدر المدة التي لبثوا فيها * إن لبثتم أي في دار الدنيا أو في البرزخ أو بين النفختين في الصور ثلاثة أقوال ووصف مالبثوا فيه بالقصر لأنها لما يعاينون من الشدائد كانت لهم في الدنيا أيام سرور وأيام السرور قصار أولذهابها عنهم وتقضيها والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء أولاستطالتهم الآخرة وانها أبد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويقال لبث أهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الآخرة واذ معمولة لاعلم * وأمثلهم أعدلهم * وطريقة منصوبة على التمييز * الا يوما اشارة لقصر مدة لبثهم * والاعشرا يحتمل عشر ليال أوعشرة أيام لأن المذكر اذا حذف وأبقى عدده قد لا يأتي بالتاء * حكى الكسائي عن أبي الجراح صمنا من الشهر خمسا ومنه ماجاء في الحديث ثم أتبعه بست من شوال يريد ستة أيام وحسن الحذف هنا كون ذلك فاصلة رأس آية ذكر أولا منتهى أقل العدد وهو العشر وذكر أعدلهم طريقة أقل العدد وهو اليوم الواحد ودل ظاهر قوله إلا يوما على أن المراد بقولهم عشرا عشرة أيام وضمير الغائب في ويسألونك عائد على قريش منكري البعث أوعلى المؤمنين سألوا عن ذلك أوعلى رجل من ثقيف وجماعة من قومه أقوال ثلاثة والكاف خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والظاهر وجود السؤال ويبعد قول من قال انه لم يكن سؤال بل المعنى ان يسألوك عن الجبال قل فضمن معنى الشرط فلذلك أجيب بالفاء وروى أن الله يرسل على الجبال ريحا فيدكدكها حتى تكون كالعهن المنفوش ثم يتوالى عليها حتى يعيدها كالهباء المنبث فذلك هو النسف والظاهر عود الضمير في فيذرها على الجبال أي بعد النسف تبقى قاعا أي مستويا من الأرض معتدلا * وقيل فيذر مقارها ومراكزها * وقيل يعود على الأرض وان لم يجر لها ذكر لدلالة الجبال عليها * وقال ابن عباس عوجا ميلا ولا أمتا أثرا مثل الشراك وعنه أيضا عوجا واديا ولا أمتا رابية وعنه أيضا الأمت الارتفاع * وقال قتادة عوجا صدعا ولا أمتا أكمة * وقيل الأمت الشقوق في الأرض * وقيل غلظ مكان في الفضاء والجبل وبرق في مكان حكاه الصولي * وقيل كان الأمت في الآية العوج في السماء تجاه الهواء والعوج في الارض مختص بالأرض * وقال الزمخشري (فان قلت) قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الأعيان والارض فكيف صح فيها المكسور العين (قلت) اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على أن لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأى المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك بذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وجل ذلك العوج الذي دق

والطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذى يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعانى فقيل فيه عوج بالكسر * الامت النتوّ اليسير يقال مدّ حبله حتى ما فيه أمت انتهى * يومئذ أى يوم اذ ينسف الله الجبال * يتبعون أى الخلائق * الداعى داعى الله الى المحشر نحو قوله مهطعين الى الداع وهو اسرافيل يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل جهة يضع الصور فى فيه و يقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلم الى العرض على الرحمن * وقال محمد بن كعب يجمعون فى ظلمة قد طويت السماء وانتثرت النجوم فينادى مناد فيمون نحو صوته * وقال على بن عيسى الداعى هنا الرسول صلى الله عليه وسلم الذى كان يدعوهم الى الله فيعوجون على الصراط يمينا وشمالا و يميلون عنه ميلا عظيما فيومئذ لا ينفعهم اتباعه والظاهر أن الضمير فى له عائد على الداعى نفى عنه العوج أى لا عوج لدعائه يسمع جميعهم فلا يميل الى ناس دون ناس * وقيل هو على القلب أى لا عوج لهم عنه بل يأتون مقبلين اليه متبعين لصوته من غير انحراف * وقال الزمخشرى أى لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه انتهى * وقيل لا عوج له فى موضع وصف لمنعوت محذوف أى اتباعا لا عوج له فيكون الضمير فى له عائدا على ذلك المصدر المحذوف * وقال ابن عطية يحتمل أن يريد به الاخبار أى لا شك فيه ولا يخالف وجوده خبره و يحتمل أن يريد لا محيد لأحد عن اتباعه والمشى نحو صوته والخشوع التطامن والتواضع وهو فى الأصوات استعارة بمعنى الخفاء والاستسرار للرحمن أى لهيبة الرحمن وهو مطالع قدرته * وقيل هو على حذف مضاف أى وخشع أهل الأصوات والهمس الصوت الخفى الخافت و يحتمل أن يريد بالهمس المسموع تخافتهم بينهم وكلامهم السر و يحتمل أن يريد صوت الاقدام وان أصوات النطق ساكنة * وقال الزمخشرى الا همسا وهو الركز الخفى ومنه الحروف المهموسة * وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت أى لا يسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر انتهى وعن ابن عباس وعكرمة وابن جبير الهمس وطء الاقدام واختاره الفراء والزجاج وعن ابن عباس أيضا تحريك الشفاه بغير نطق وعن مجاهد الكلام الخفى و يؤيده قراءة أبى فلا ينطقون إلا همسا وعن أبى عبيدة الصوت الخفى يومئذ بدل من يومئذ يتبعون أو يكون التقدير يوم اذ يتبعون و يكون منصوبا بلا تنفع ومن مفعول بقوله لا تنفع * وله معناه لأجله وكذا فى ورضى له أى لاجله و يكون من للمشفوع له أو بدل من الشفاعة على حذف مضاف أى الا شفاعة من أذن له أو منصوب على الاستثناء على هذا التقدير أو استثناء منقطع فنصب على لغة الحجاز ورفع على لغة تميم و يكون من فى هذه الاوجه للشافع والقول المرضى عن ابن عباس لا اله الا الله والظاهر أن الضمير فى أيديهم وما خلفهم عائد على الخلق المحشورين وهم متبعو الداعى * وقيل يعود على الملائكة * وقيل على الناس لا بقيد الحشر والاتباع وتقدم تفسير هذه الجملة فى آية الكرسى فى البقرة والضمير فى به عائد على ما أى ولا يحيطون بمعلوماته علما والظاهر عموم الوجوه أى وجوه الخلائق وخص الوجوه لان آثار الذل انما تظهر فى أول الوجوه * وقال طلق بن حبيب المراد سجود الناس على الوجوه والآراب السبعة فان كان روى أن هذا يكون يوم القيامة فتكون الآية اخبارا عنه واستقام المعنى وان كان أراد فى الدنيا فليس ذلك بملائم للآيات التى قبلها وبعدها * وقال الزمخشرى المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية أى ذليلة خاضعة مثل وجوه العناة وهم الأسارى ونحوه فلما

رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة والقيوم تقدم الكلام عليه فى البقرة * وقد خاب أى لم ينجح ولا ظفر بمطلوبه والظلم يعم الشرك والمعاصى وخيبة كل حامل بقدر ما حمل من الظلم لخيبة المشرك دائما وخيبة المؤمن العاصى مقيدة بوقت فى العقوبة ان عوقب ولما خص الزمخشرى الوجوه بوجوه العصاة قال فى قوله وقد خاب من حمل ظلما انه اعتراض كقولك خابوا وخسروا حتى تكون الجملة دخلت بين العصاة وبين من يعمل من الصالحات فهذا عنده قسيم وعنت الوجوه * وأما ابن عطية فجعل قوله ومن يعمل الى هضما معادلا لقوله وقد خاب من حمل ظلما لانه جعل وعنت الوجوه عامة فى وجوه الخلائق ومن الصالحات يسير فى الشرع لان من للتبعيض والظلم مجاوزة الحد فى عظم سيئاته والهضم نقص من حسناته قاله ابن عباس * وقال قتادة الظلم أن يزاد من ذنب غيره * وقال ابن زيد الظلم أن لا يجزى بعمله * وقيل الظلم أن يأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين يسترجحون لأنفسهم اذا اكتالوا ويخسرون اذا كالوا انتهى والظلم والهضم متقاربان * قال الماوردى والفرق أن الظلم منع الحق كله والهضم منع بعضه * وقرأ الجمهور فلا يخاف على الخبر أى فهو لا يخاف * وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد فلا يخف على النهى وكذلك عطف على كذلك نقص أى ومثل ذلك الانزال أو كما أنزلنا عليك هذه الآيات المضمنة الوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصى أو فعل الخير والطاعة والذكر يطلق على الطاعة والعبادة * وقيل كما قدرنا هذه الأمور وجعلناها حقيقة بالمرصاد للعباد كذلك حذرنا هؤلاء أمرها وأنزلناه قرآنا عربيا وتوعدنا فيه بأنواع من الوعيد لعلهم بحسب توقع البشر وترجيهم يتقون الله ويخشون عقابه فيؤمنون ويتذكرون نعمه عندهم وما حذرهم من أليم عقابه هذا تأويل فرقة فى قوله أو يحدث لهم ذكرا * وقالت فرقة معناه أو يكسبهم شرفا ويبقى عليهم ايمانهم ذكرا صالحا فى الغابرين * وقيل المعنى كما رغبنا أهل الايمان بالوعد حذرنا أهل الشرك بالوعيد وصرفنا فيه من الوعيد كالطوفان والصيحة والرجفة والمسخ ولم يذكر الوعد لان الآية سيقت مساق التهديد * لعلهم يتقون أى ليكونوا على رجاء من أن يوقع فى قلوبهم الاتقاء أو يتقون أن ينزل بهم ما نزل بمن تقدمهم أى يحدث لهم ذكرا أى عظة وفكرا واعتبارا * وقال قتادة ورعا * وقيل أنزل القرآن ليصير واحترزين عما لا ينبغى أو يحدث لهم ذكرا يدعوهم الى الطاعات وأسند ترجى التقوى اليهم وترجى احداث الذكر للقرآن لان التقوى عبارة عن انتفاء فعل القبيح وذلك استمرار على العدم الأصلى فلم يسند القرآن وأسند احداث الذكر الى القرآن لانه أمر حدث بعد أن لم يكن والظاهر ان أو هنا لأحد الشيئين * قيل أو كهى فى جالس الحسن أو ابن سيرين أى لا تكن خاليا منهما * وقرأ الحسن أو يحدث ساكنة الثاء * وقرأ عبد الله ومجاهد وأبو حيوة والحسن فى رواية والجحدرى وسلام أو نحدث بالنون وجزم الثاء وذلك حمل وصل على وقف أو تسكين حرف الاعراب استثقالا لحركته نحو قول جرير * أو نهر تيرى فلا تعرفكم العرب * ولما كان فيما سبق تعظيم القرآن فى قوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ذكر عظمة منزله تعالى ثم ذكر هاتين الصفتين وهى صفة الملك التى تضمنت القهر والسلطنة والحق وهى الصفة الثابتة له اذ كل من يدعى إلها دونه باطل لانه الاله الذى صاغوه من الحلى ومضمحل ملكه ومستعار وتقدم أيضا صفة سلطانه يوم القيامة وعظم

﴿ولقد عهدنا الى آدم﴾ الآية لما تقدم كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق كان من هذه الانباء قصة آدم عليه السلام ليتحفظ بنوه من وسوسة الشيطان وعهده نهيه عن قربان تلك الشجرة وأ كله منها والظاهر أن النسيان هنا الترك أي ترك ما وصى به من الاحتراس عن الشجرة وأ كل ثمرتها والعزم التصميم والمضي ﴿واذ قلنا للملائكة﴾ الآية وأبى جملة مستأنفة مبينة أن امتناعه من السجود انما كان عن اباء منه وامتناع والظاهر حذف متعلق أبى وأنه يقدر هنا ما صرح به في الآية الأخرى اى ان يكون من الساجدين وهذا إشارة الى ابليس وعدو يطلق على الواحد والمثنى والجموع عرف تعالى آدم عداوة إبليس له ولزوجه ليحذراه فلم يغن الحذر من القدر ﴿فلا يخرجنكما﴾ الظاهر أنه نهي لابليس عن اخراجهما والمعنى أنه لا تتعرضا لمخالفتكما إياي بالقربان والاكل فيخرجكما من الجنة فاقتصر بقوله فتشقى على شقاء آدم فقط لان زوجته تابعة له ولأن الكلمة رأس آية ﴿ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى﴾ لما كان الشبع والري والكسوة والكن هي الأمور الضرورية للانسان اقتصر عليها لكونها كافية له وما أحسن المقابلة في هذه الأربعة فقابل الجوع بخلو الباطن والتعري بخلو الظاهر والظمأ باحراق الباطن والضحو باحراق الظاهر فقابل الخلو بالخلو والاحراق بالاحراق وأورد ذلك مورد النفي وقرئ وانك معطوفا على أن لا تجوع وقرئ وانك على الاستئناف أو عطفا على أن لك وتقدم الكلام في فوسوس وتعدى وسوس هنا بالى وفي الاعراف باللام فالتعدي بالى معناه أنهى الوسوسة إليه والتعدي بلام الجر قيل معناه لاجله ولما وسوس إليه ناداه باسمه ليكون أقبل عليه وأمكن للاستماع ثم عرض عليه ما يلقي بقوله ﴿هل أدلك﴾ على سبيل الاستفهام الذي يشعر بالنصح ويؤثر قبول من يخاطبه كقول موسى لفرعون هل لك الى أن تزكى وهو عرض فيه مناصحة وكان آدم صلى الله عليه وسلم قد رغبه الله في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله تعالى فلا يخرجنكما الآية ورغبه إبليس في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله هل أدلك فجاءه

قدرته وذلة عبيده وحسن تلطفه بهم فناسب تعاليه ووصفه بالصفتين المذكورتين ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل الاستطراد طالبا منه التأني في تحفظ القرآن ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه أي تأن حتى يفرغ الملقي اليك الوحي ولا تساوق في قراءتك قراءته والقاءه كقوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به * وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان * وقيل سبب الآية ان امرأة شكت الى النبي صلى الله عليه وسلم أن زوجها لطمها فقال لها بينكما القصاص ثم نزلت الرجال قوامون على النساء ونزلت هذه بمعنى الأمر بالتثبت في الحكم بالقرآن * وقيل كان اذا نزل عليه الوحي أمر بكتبه للحين فأمر أن يتأنى حتى يفسر له المعاني ويتقرر عنده * وقال الماوردي معناه ولا تسأل قبل أن يأتيك الوحي ان أهل مكة وأسقف نجران قالوا يا محمد أخبرنا عن كذا وقد ضربنا لك أجلا ثلاثة أيام فأبطأ الوحي عليه وفشت المقالة بين اليهود وقد غلب محمد فنزلت ولا تعجل بالقرآن أي بنزوله * وقال أبو مسلم ولا تعجل بقراءته في نفسك أو في تأديته الى غيرك أو في اعتقاد ظاهره أو في تعريف غيرك ما يقتضيه ظاهره احتمالات * من قبل أن يقضى اليك وحيه أي تمامه أو بيانه احتمالات فالمراد اذا أن لا ينصب نفسه ولا غيره عليه حتى يتبين بالوحي تمامه أو بيانه أو هما جميعا لانه يجب التوقف في المعنى لما يجوز أن يحصل عقيبه من استثناء أو شرط أو غيرهما من المخصصات وهذه العجلة لعله فعلها باجتهاده عليه السلام انتهى وفيه بعض تلخيص * وقرأ الجمهور يقضى اليك مبنيا للمفعول وحيه مرفوع به * وقرأ عبد الله والجحدري والحسن وأبو حيوة ويعقوب وسلام والزعفراني وابن مقسم نقضي بنون العظمة مفتوح الياء وحيه بالنصب * وقرأ الأعمش كذلك الا أنه سكن الياء من يقضي * قال صاحب اللوامح وذلك على لغة من لا يرى فتح الياء بحال اذا انكسر ما قبلها وحلت طرفا انتهى * وقل رب زدني علما قال مقاتل أي قرآنا * وقيل فهما * وقيل حفظا وهذا القول متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم أي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندي فزدني علما * وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في طلب العلم ﴿ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأ كلا منها

إبليس من الجهة التي رغبه الله تعالى فيها وفي الأعراف ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الآية وهنا هل أدلك والجمع بينهما أن قوله هل أدلك يكون سابقا على قوله ما نهاكما لما رأى إصغاءه وميله الى ما عرض عليه انتقل الى الاخبار والحصر ومعنى عن شجرة الخلد أي الشجرة التي من أكل منها خلد وحصل له ملك لا يخلق ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ قال القاضي أبو بكر بن العربي لا يجوز لاحدنا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم صلى الله عليه (٢٨٣) وسلم الا اذا تلاه في أثناء كلامه تعالى أو قول نبيه صلى الله عليه وسلم فأما أن نبتدئ ذلك من قبل أنفسنا فليس بجائز لنا في آبائنا الادنين لنا المماثلين لنا فكيف بأبينا الاقدم الأعظم الاكرم النبي المقدم الذي اجتباه الله تعالى وتاب عليه وغفر له والضمير في اهبطا ضمير تثنية وهو أمر لآدم وحواء جعل هبوطهما عقوبتهما جميعا حال منهما وبعضكم لبعض جملة حالية ﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾ الذكر يقع على القرآن وعلى سائر الكتب الالهية وضنكا مصدر يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع والمعنى النكد الشاق من العيش والمنازل ومواطن الحرب وغيرها والظاهر أن قوله ﴿ أعمى ﴾ المراد به عمى البصر كما قال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا ﴿ قال رب لم حشرتني أعمى ﴾ سأل العبد ربه عن السبب الذي استحق به أن يحشر أعمى لانه جهله فظن أنه لا ذنب له فقال له جل ذكره ﴿ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك والنسيان هنا بمعنى الترك لا بمعنى الذهول ومعنى تنسى تترك في العذاب ﴿ وكذلك نجزي ﴾ أي مثل ذلك الجزاء نجزي ﴿ من أسرف ﴾ أي جاوز الحد في المعصية ثم أخبر تعالى أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا لانه أعظم منه وأبقى أي منه لانه دائم مستمر وعذاب الدنيا منقطع

فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾ تقدمت قصة آدم في البقرة والأعراف والحجر والكهف ثم ذكرها هنا لما تقدم كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق كان من هذا الأنباء قصة آدم ليتحفظ بنوه من وسوسة الشيطان ويتنبهوا الى غوائله ومن أطاع الشيطان منهم ذكر بما جرى لأبيه آدم معه وانه أوضحت له عداوته ومع ذلك نسي ما عهد اليه ربه وأيضا لما أمر بان يقول رب زدني علما كان من ذلك ذكر قصة آدم وذكر شيء من أحواله فيها لم يتقدم ذكرها فكان في ذلك مزيد علم له عليه السلام والعهد عند الجمهور الوصية والظاهر ان المضاف اليه المحذوف بعد قوله من قبل تقديره من قبل هؤلاء الذين صرف لهم من الوعيد في القرآن لعلهم يتقون وهم الناقضو عهد الله والتاركو الايمان * وقال الحسن من قبل الرسول والقرآن * وقيل من قبل أن يأكل من الشجرة * وقال الطبري المعنى ان يعرض يا محمد هؤلاء الكفرة عن آياتي ويخالفوا رسلي ويطيعوا ابليس فقدما فعل ذلك أبوهم آدم * قال ابن عطية وهذا ضعيف وذلك ان كون آدم مثالا للكفار الجاحدين بالله ليس بشيء وآدم عليه السلام انما عصى بتأويل ففي هذا غضاضة عليه السلام وانما الظاهر في هذه الآية اما أن يكون ابتداء قصص لا تعلق له بما قبله واما أن يجعل تعلقه انه لما عهد الى محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يعجل بالقرآن مثل له بنبي قبله عهد اليه فنسي فعوقب ليكون أشد في التحذير وأبلغ في العهد الى محمد صلى الله عليه وسلم * وقال الزمخشري يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان وأوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه وتعالى قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل أن نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه يقول ان أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه انتهى والظاهر ان النسيان هنا الترك ان ترك ما وصي به من الاحتراس من الشجرة وأكل ثمرتها * وقال الزمخشري يجوز أن يراد بالنسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك

النسيان انتهى وقاله غيره * وقال ابن عطية ونسيان الذهول لا يمكن هنا لأنه لا يتعلق بالناسى عقاب انتهى * وقرأ اليمانى والأعمش فنسى بضم النون وتشديد السين أى نساه الشيطان والعزم التصميم والمضى * قال الزمخشرى أى على ترك الأكل وأن يتصلب فى ذلك تصلبا يوئس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما انتهى * وقيل ولم نجد له عزما على المعصية وهذا يتخرج على قول من قال انه فعل نسيانا * وقيل حفظا لما أمر به * وقيل صبرا عن أكل الشجرة * وقيل عزما فى الاحتياط فى كيفية الاجتهاد وتقدم الكلام على نظير قوله وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى وأبى جملة مستأنفة مبينة أن امتناعه من السجود انما كان عن اباء منه وامتناع والظاهر حذف متعلق أبى وأنه يقدر هنا ما صرح به فى الآية الأخرى أبى أن يكون مع الساجدين * وقال الزمخشرى أبى جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله اسجدوا وأن يكون معناه أظهر الاباء وتوقف وتثبط انتهى وهذا اشارة الى ابليس وعدو يطلق على الواحد والمثنى والمجموع عرف تعالى آدم عداوة ابليس له ولزوجته ليحذراه فلن يغن الحذر عن القدر وسبب العداوة فيما قيل ان ابليس كان حسودا فلما رأى آثار نعم الله على آدم حسده وعاداه * وقيل العداوة حصلت من تنافى أصليهما اذ إبليس من النار وآدم من الماء والتراب فلا يخرجنكما النهى له والمراد غيره أى لا يقع منكما طاعة له فى اغوائه فيكون ذلك سبب خروجكما من الجنة وأسند الاخراج اليه وان كان المخرج هو الله تعالى لما كان بوسوسته هو الذى فعل ما ترتب عليه الخروج * فتشقى يحتمل أن يكون منصوبا باضمار أن فى جواب النهى وأن يكون مرفوعا على تقدير فأنت تشقى وأسند الشقاء اليه وحده بعد اشتراكه مع زوجه فى الاخراج من حيث كان هو المخاطب أولا والمقصود بالكلام ولأن فى ضمن شقاء الرجل شقاء أهله وفى سعادته سعادتها فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة * وقيل أراد بالشقاء التعب فى طلب القوت وذلك راجع الى الرجل . وعن ابن جبير أهبط له ثور أحمر يحرث عليه فيأكل بكد يمينه وعرق جبينه * وقرأ شيبة ونافع وحفص وابن سعدان وانك لا تظمأ بكسر همزة وإنك * وقرأ الجمهور بفتحها فالكسر عطف على أن لك والفتح عطف على المصدر المنسبك من أن لا تجوع أى ان لك انتفاء جوعك وانتفاء ظمئك وجاز عطف انك على ان لاشتراكهما فى المصدر ولو باشرتها ان المكسورة لم يجز ذلك وان كان على تقديرها ألا ترى أنها معطوفة على اسم ان وهو أن لا تجوع لكنه يجوز فى العطف ما لا يجوز فى المباشرة ولما كان الشبع والرى والكسوة والكن هى الأمور التى هى ضرورية للانسان اقتصر عليها لكونها كافية له وفى الجنة ضروب من أنواع النعم والراحة ما هذه بالنسبة اليها كالعدم فمنها الأمن من الموت الذى هو مكدر لكل لذة والنظر الى وجه الله سبحانه ورضاه تعالى عن أهلها وأن لا سقم ولا حزن ولا ألم ولا كبر ولا هرم ولا غل ولا غضب ولا حدث ولا مقاذير ولا تكاليف ولا حزن ولا خوف ولا ملل وذكرت هذه الأربعة بلفظ النفى لاثبات أضدادها وهو الشبع والرى والكسوة والكن وكانت نقائضها بلفظ النفى وهو الجوع والعرى والظمأ والضحو ليطرق سمعه بأسامى أصناف الشقوة التى حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها * قال ابن عطية وكان عرف الكلام أن يكون الجوع مع الظمأ والعرى مع الضحاء لانها تتضاد اذ العرى نفسه البرد فيؤذى والحر يفعل ذلك بالضاحى وهذه الطريقة مهيع فى كلام

العرب أن يقرن النسب * ومنه قول امرئ القيس

كأني لم أركب جوادا للذة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل * لخيلى كرى كرة بعد اجفال

وقد ذهب بعض الأدباء الى أن بيتي امرئ القيس كافطاني للنسب وأن ركوب الخيل للصيد وغيره من الملاذ يناسب تبطن الكاعب انتهى * وقيل هذا الجواب على قدر السؤال لما أمر الله آدم بسكنى الجنة قال الهى أنى فيها آكل أنى فيها ألبس أنى فيها ما أشرب أنى فيها ما أستظل به * وقيل هي مقابلة معنوية فالجوع خلو الباطن والتعرى خلو الظاهر والظمأ احراق الباطن والضحو احراق الظاهر فقابل الخلو بالخلو والاحراق بالاحراق * وقيل جمع امرؤ القيس في بيتيه بين ركوب الخيل للذة والنزهة و بين تبطن الكاعب للذة الحاصلة فيهما و جمع بين سباء الزق و بين قوله لخيله كرى لما فيهما من الشجاعة ولما عيب على أبي الطيب قوله

وقفت وما في الموت شك لواقف * كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال هزمى كليمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

فقال ان كنت أخطأت فقد أخطأ امرؤ القيس وتقدم الكلام في فوسوس والخلاف في كيفيتها في الاعراف وتعدى وسوس هنا بالى وفي الاعراف باللام فالتعدى الى معناه أنهى الوسوسة اليه والتعدى بلام الجر قيل معناه لأجله ولما وسوس اليه ناداه باسمه ليكون أقبل عليه وأمكن للاستماع ثم عرض عليه ما يلقى بقوله هل أدلك على سبيل الاستفهام الذى يشعر بالنصح و يؤثر قبول من يخاطبه كقوله موسى هل لك الى أن تزكى وهو عرض فيه مناصحة وكان آدم قد رغبه الله تعالى في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله فلا يخرجنكما الآية و رغبه ابليس في دوام الراحة بقوله هل أدلك فجاءه ابليس من الجهة التى رغبه الله فيها وفي الاعراف ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الآية وهنا هل أدلك والجمع بينهما ان قوله هل أدلك يكون سابقا على قوله ما نهاكما لما رأى اصغاءه وميله الى ما عرض عليه انتقل الى الاخبار والحصر ومعنى على شجرة الخلد أى الشجرة التى من أكل منها خلد وحصل له ملك لا يخلق وهذا يدل لقراءة الحسن بن على وابن عباس الا أن تكونا ملكين بكسر اللام فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة تقدم الكلام على نحو هذه الآية في الاعراف وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى * قال الزمخشرى عن ابن عباس لا شبهة في ان آدم صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسم الله وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لأن الغى خلاف الرشد ولكن قوله عصى آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق وهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعتب على النبى المعصوم حبيب الله الذى لا يجوز عليه اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا عن ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الأكل وهذا وان صح على لغة من قلب الياء المكسور ما قبلها ألفا فيقول في فنى وبقى فنا و بقا وهم بنوطى تفسير خبيث انتهى * وقال القاضى أبو بكر بن العربى لا يجوز لأحد منا اليوم ان يخبر بذلك عنه عليه

السلام الا اذا ذكرناه فى أثناء قوله تعالى أو قول نبيه عليه السلام فاما ان يبتدئ ذلك من قبل نفسه فليس بجائز لنا فى آبائنا الادنين الينا المماثلين لنا فكيف فى أبينا الاقدم الاعظم الاكرم النبى المقدم الذى اجتباه الله وتاب عليه وغفر له * قال القرطبى واذا كان هذا فى المخلوق لا يجوز والاخبار عن صفات الله كاليد والرجل والاصبع والجنب والنزول الى غير ذلك أولى بالمنع وانه لا يجوز الابتداء بشئ من ذلك الا فى أثناء قراءة كتابه أو سنة رسوله عليه السلام ولهذا قال الامام مالك بن أنس من وصف شيأ من ذات الله مثل قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة فأشار بيده الى عنقه قطعت يده وكذلك فى السمع والبصر يقطع ذلك منه لأنه شبه الله سبحانه بنفسه * ثم اجتباه أى اصطفاه وقربه وتاب عليه أى قبل توبته وهدى أى هداه للنبوة أو الى كيفية التوبة أو هداه رشده حتى رجع الى الندم * والضمير فى اهبطا ضمير تثنية وهو أمر لآدم وحواء جعل هبوطهما عقوبتهما وجميعا حال منهما * وقال ابن عطية ثم أخبرهما بقوله جميعا ان ابليس والحية يهبطان معهما وأخبرهما أن العداوة بينهم وبين أنسالهم الى يوم القيامة انتهى ولا يدل قوله جميعا ان ابليس والحية يهبطان معهما لأن جميعا حال من ضمير الاثنين أى مجتمعين والضمير فى بعضكم لبعض ضمير جمع * قيل يريد ابليس وبنيه وآدم وبنيه * وقيل أراد آدم وذريته فالعداوة واقعة بينهم والبغضاء لاختلاف الاديان وتشتت الآراء * وقيل آدم وابليس والحية * وقال أبو مسلم الاصبهانى الخطاب لآدم عليه السلام ولكونهما جنسين صح قوله اهبطا ولأجل اشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة صح قوله فاما يأتينكم منى هدى * وقال الزمخشرى لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصلى البشر والسببين اللذين منهما نشؤا وتفرعوا جعلا كأنهما البشر فى أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو فى الحقيقة للمسبب انتهى وهدى شرعه الله وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضل فى الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه وعن ابن جبير من قرأ القرآن واتبع مافيه عصمه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب * وقال أبو عبد الله الرازى وهذه الآية تدل على ان المراد بالهدى الذى ذكره الله تعالى اتباع الادلة واتباعها لا يتكامل الا بأن يستدل بها وبأن يعمل بها ومن هذه حاله فقد ضمن تعالى أن لا يضل ولا يشقى فى الآخرة لأنه تعالى يهديه الى الجنة * وقيل لا يضل ولا يشقى فى الدنيا * فان قيل المنعم بهدى الله قد يلحقه الشقاء فى الدنيا * قلنا المراد لا يضل فى الدين ولا يشقى بسبب الدين فان حصل بسبب آخر فلا بأس انتهى ولما ذكر تعالى من اتبع الهدى أتبعه بوعيد من أعرض عن ذكره والذكر يقع على القرآن وعلى سائر الكتب الالهية * وضنكا مصدر يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع والمعنى النكد الشاق من العيش والمنازل ومواطن الحرب ونحوها * ومنه قول عنترة

ان المنية لو تمثل مثلت * مثلى اذا نزلوا بضنك المنزل

وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فى الاسود بن عبد الأسد المخزومى والمراد ضغطة القبر تختلف فيه أضلاعه * وقال الحسن وقتادة والكلبى هو الضيق فى الآخرة فى جهنم فان طعامهم فيها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين ولا يموتون فيها ولا يحيون * وقال عطاء المعيشة الضنك معيشة

الكافر لأنه غير موقن بالثواب والعقاب * وقال ابن جبير يسلب القناعة حتى لا يشبع * وقال أبو سعيد الخدري والسدي هو عذاب القبر ورواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقال الجوهري المعيشة الضنك في الدنيا والمعنى ان الكافر وان كان متسع الحال والمال فعه من الحرص والأمل والتعذيب بأمور الدنيا والرغبة وامتناع صفاء العيش لذلك ما تصير معيشته ضنكا وقالت فرقة ضنكا أكل الحرام ويستدل على ان المعيشة الضنك قبل يوم القيامة ونحشره يوم القيامة أعمى وقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فكأنه ذكر نوعا من العذاب ثم ذكر ان عذاب الآخرة أشد وأبقى وحسن قول الجمهور الزمخشري فقال ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا طيبا كما قال تعالى فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة انتهى * وقرأ الحسن ضنكى بألف التأنيث ولا تنوين وبالامالة بناؤه صفة على فعلى من الضنك * وقرأ الجمهور ضنكا بالتنوين وفتحة الكاف فتحة اعراب * وقرأ الجمهور ونحشره بالنون وفرقة منهم أبان بن تغلب بسكون الراء فيجوز أن يكون تخفيفا ويجوز أن يكون جزما بالعطف على موضع فان له معيشة ضنكا لأنه جواب الشرط وكأنه قيل ومن أعرض عن ذكري تكن له معيشة ضنك ونحشره ومثله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في قراءة من سكن ويذرهم * وقرأت فرقة ويحشره بالياء * وقرىء ويحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف قاله الزمخشري ونقل ابن خالويه هذه القراءة عن أبان بن تغلب والاحسن تخريجه على لغة بني كلاب وعقيل فانهم يسكنون مثل هذه الهاء * وقرىء لربه لكنود والظاهر ان قوله أعمى المراد به عمى البصر كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا * وقيل أعمى البصيرة * قال ابن عطية ولو كان هذا لم يحس الكافر بذلك لأنه مات أعمى البصيرة ويحشر كذلك * وقال مجاهد والضحاك ومقاتل وأبو صالح وروي عن ابن عباس أعمى عن حجته لا حجة له يهتدي بها وعن ابن عباس يحشر بصيرا ثم اذا استوى الى المحشر أعمى * وقيل أعمى عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه كالاعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه * وقيل أعمى عن كل شيء الا عن جهنم * وقال الجبائي المراد من حشره أعمى لا يهتدي الى شيء * وقال ابراهيم بن عرفة كل ما ذكره الله عز وجل في كتابه فذمه فانما يريد عمى القلب قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور * وقال مجاهد معنى لم حشرتني أعمى أي لا حجة لي وقد كنت عالما بحجتي بصيرا بها أحاج عن نفسي في الدنيا انتهى سأل العبد ربه عن السبب الذي استحق به ان يحشر أعمى لأنه جهله وظن أنه لا ذنب له فقال له جل ذكره كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى أي مثل ذلك أنت ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك قاله الزمخشري * والنسيان هنا بمعنى الترك لا بمعنى الذهول ومعنى تنسى تترك في العذاب * وكذلك نجزي أي مثل ذلك الجزاء نجزي من أسرف أي من جاوز الحد في المعصية ثم أخبر تعالى ان عذاب الآخرة أشد أي من عذاب الدنيا لأنه أعظم منه وأبقى أي منه لأنه دائم مستمر وعذاب الدنيا منقطع * وقال الزمخشري والحشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضي أو أراد ولتركنا اياه في العمى أشد وأبقى

﴿أفلم يهد لهم﴾ الآية و بخهم تعالى وذكرهم العبر بمن تقدم من القرون و يعني بالاهلاك الاهلاك الناشئ عن التكذيب بالرسل وترك الايمان بالله واتباع رسوله والفاعل في لهد ضمير عائد على الله و يؤيد هذا التخريج قراءة من قرأ بالنون نهد ومعناه نبين وكم خبرية مفعولة بأهلكنا التقدير كثيرا أهلكنا والضمير في يمشون عائد على ما عاد عليه هم وهم الكفار المو بخون بريد قريشا وغيرهم ﴿يمشون في مساكنهم﴾ جملة في موضع الحال من ضمير لهم والعامل نهد أي ألم نبين للمشركين في حال مشيهم في مساكن من أهلك من الكفار وقيل حال من مفعول أهلكنا أي أهلكناهم غارين آمنين متصرفين في مساكنهم ﴿ان في ذلك لآيات﴾ أي ان في ذلك التبيين باهلاك القرون الماضية لآيات ﴿لأولي النهى﴾ أي العقول السليمة لم يبين تعالى الوجه الذي لأجله لا ينزل العذاب معجلا على من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة قال تعالى بل الساعة موعدهم يقول لولا العدة لكان العذاب لزاما أي لازما والظاهر عطف وأجل مسمى على كلمة وأخر المعطوف على المعطوف عليه وفصل بينهما بجواب لولا لمراعاة الفواصل و رؤس الآي ثم أمره تعالى بالصبر على ما يقول مشركو قريش وهم الذين عاد عليهم الضمير في أفلم يهد لهم وأمره بالتسبيح مقرونا بالحمد وهو الثناء عليه قبل طلوع الشمس وهو صلاة الصبح وقبل غروبها وهي صلاة الظهر والعصر ومن آناء الليل الآناء جمع أني وهو الوقت و زنه فعل كمعى وامعاء وهو متعلق بقوله فسبح كما تقول بزيد فامرر ﴿وأطراف النهار﴾ منصوب على الظرف وهي أعم مما بين القبلين يشير الى تنفل الضحى وغير ذلك ﴿لعلك ترضى﴾ قرئ بفتح التاء وضمها ﴿ولا تمدن عينيك﴾ الآية تقدم الكلام على مثلها في سورة الحجر و﴿زهرة﴾ منصوب على الظرف الزماني لاضافتها اليه وقرئ زهرة بفتح الهاء وسكونها نحو نهر ونهر وهو ما يروق من النور وسراج زاهر له بريق والانجم الزهر المضيئة وأزهر الشجر بدا نوره ﴿لنفتنهم﴾ متعلق بمتعنا والضمير في فيه عائد على ما الموصولة بمتعنا ﴿ورزق ربك خير﴾ أي خير مما متعنا به هؤلاء في الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي أدوم ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة التي هي بعد الشهادة آكد اركان الاسلام وأمره بالاصطبار على مداومتها ومشاقها وأن لا يشتغل عنها وأخبره تعالى أنه لا يسأله أن يرزق نفسه ولا أن يسعى في تحصيل الرزق ويدأب في ذلك بل أمره بتفريغ باله لامر الآخرة و يدخل في خطابه صلى الله عليه وسلم أمته ﴿والعاقبة﴾ أي الحميدة وأحسن العاقبة لأهل التقوى ﴿وقالوا لولا يأتينا﴾ لولا للتحضيض وهذه عادتهم في اقتراح الآيات كأنهم جعلوا ما ظهر من الآيات ليس بآيات فاقترحوا اهم ما يختارون على ديدنهم في التعنت فاجيبوا بقوله ﴿أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى﴾ كصحف ابراهيم والتوراة والانجيل والزبور وغيرها من الكتب الالهية وقرئ تأتهم بالتاء وبالياء وفي هذا الاستفهام توبيخ لهم ﴿بعذاب من قبله﴾ الضمير في من قبله عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي من قبل بعثته ﴿لولا أرسلت﴾ لولا للتحضيض ﴿فنتبع﴾ منصوب باضمار أن بعد الفاء وهو جواب التحضيض ﴿من قبل أن نذل ونخزى﴾ الذل والخزي مقترنان بعذاب الآخرة ﴿قل كل متربص﴾ أي منا ومنكم منتظر عاقبة أمره ﴿فتربصوا﴾ وفي ذلك تهديد لهم ووعيد وأفرد الخبر وهو متربص حملا على لفظ كل كقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته والتربص الثاني والانتظار للفرج و ﴿من﴾ مبتدأ وهو استفهام و ﴿أصحاب﴾ خبر والجملة في موضع نصب والفعل قبلها معلق عنها والسوي المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ معطوف على من

من تركه لآياتنا ﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لأولي النهى * ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى * ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى * وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى * قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى﴾ قرأ الجمهور يهد بالياء * وقرأ فرقة منهم ابن عباس والسلمي بالنون و بخهم تعالى وذكرهم العبر بمن تقدم من القرون و يعني بالاهلاك الاهلاك الناشئ عن تكذيب الرسل وترك الايمان بالله واتباع رسله والفاعل ليهد ضمير عائد على الله تعالى و يؤيده هذا التخريج قراءة نهد بالنون ومعناه نبين وقاله الزجاج * وقيل الفاعل مقدر تقديره الهدى والاراء

 والفاعل ليهد ضمير عائد على الله تعالى و يؤيده هذا التخريج قراءة نهد بالنون ومعناه نبين وقال الزجاج وقيل

والنظر والاعتبار * وقال ابن عطية وهذا أحسن ما يقدر به عندي انتهى وهو قول المبرد وليس بجيد إذ فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز عند البصريين وتحسينه ان يقال الفاعل مضمر تقديره يهد هو اى الهدى * وقال أبو البقاء الفاعل ما دل عليه أهلكنا والجملة مفسرة له * قال الحوفي كم أهلكنا قد دل على هلاك القرون فالتقدير أفلم نبين لهم هلاك من أهلكنا من القرون ومحو آثارهم فيتعظوا بذلك * وقال الزمخشري فاعل لم يهد الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول انتهى وكون الجملة فاعلا هو مذهب كوفي وأما تشبيهه وتنظيره بقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين فان تركنا عليه معناه معنى القول فحكيت به الجملة كأنه قيل وقلنا عليه وأطلقنا عليه هذا اللفظ والجملة تحكى بمعنى القول كما تحكى بلفظه وأحسن التخاريج الأول وهو ان يكون الفاعل ضميرا عائدا على الله كأنه قال أفلم يبين الله ومفعول يبين محذوف أي العبر باهلاك القرون السابقة ثم قال كم أهلكنا أي كثيرا أهلكنا فكم مفعوله بأهلكنا والجملة كأنها مفسرة للمفعول المحذوف ليهد * وقال الحوفي قال بعضهم هي في موضع رفع فاعل يهد وأنكر هذا على قائله لأن كم استفهام لا يعمل فيها ما قبلها انتهى وليست كم هنا استفهاما بل هي خبرية * وقال أبو البقاء يهد لهم في فاعله وجهان أحدهما ضمير اسم الله تعالى أي ألم يبين الله لهم وعلق يهد هنا اذ كانت بمعنى يعلم كما علقت في قوله تعالى وتبين لكم كيف فعلنا بهم انتهى وكم هنا خبرية والخبرية لا تعلق العامل عنها وانما تعلق عنه الاستفهامية * وقرأ ابن السميفع يمشون بالتشديد مبنيا للمفعول لأن المشي يخلق خطوة بخطوة وحركة بحركة وسكونا بسكون فناسب البناء للمفعول والضمير في يمشون عائد على ما عاد عليه لهم وهم الكفار المو بخون يريد قريشا والعرب يتقلبون في بلاد عاد وثمود والطوائف التي كانت قريش تمر عليها الى الشام وغيره ويعاينون آثار هلاكهم ويمشون في مساكنهم جملة في موضع الحال من ضمير لهم والعامل يهد أي ألم نبين للمشركين في حال مشيهم في مساكن من أهلك من الكفار * وقيل حال من مفعول أهلكنا أي أهلكناهم غارين آمنين متصرفين في مساكنهم لم يمنعهم عن التمتع والتصرف مانع من مرض ولا غيره فجاءهم الاهلاك بغتة على حين غفلة منهم به * ان في ذلك أي في ذلك التبيين باهلاك القرون الماضية لآيات لأولي النهى أي العقول السليمة * ثم بين تعالى الوجه الذي لأجله لا يترك العذاب معجلا على من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة قال تعالى بل الساعة موعدهم تقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود الازما لهؤلاء الكفرة واللزام امام مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل أي ملزم كأنه آلة اللزوم ولفظ لزومه كما قالوا لزاز خصم * وقال أبو عبد الله الرازي لاشبهة ان الكلمة اخبار الله تعالى ملائكته وكتبه في اللوح المحفوظ ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم وان كذبوا يؤخرون ولا يفعل بهم ما فعل بغيرهم من الاستئصال انتهى والأجل أجل حياتهم أو أجل اهلاكهم في الدنيا أو عذاب يوم القيامة أقوال فعلى الأول يكون العذاب ما يلقى في قبره وما بعده وعلى الثاني قتلهم بالسيف يوم بدر وعلى الثالث هو عذاب جهنم وفي صحيح البخاري أن يوم بدر هو اللزام وهو البطشة الكبرى والظاهر عطف وأجل مسمى على كلمة وأخر المعطوف عن المعطوف عليه وفصل بينهما بجواب لولا لمراعاة الفواصل ورؤس الآي وأجاز الزمخشري أن يكون وأجل معطوفا على الضمير المستكن في كان قال أي لكان الأخذ العاجل

(الدر)

الفاعل مقدر تقديره الهدى والاراء والنظر والاعتبار (ع) وهذا أحسن ما يقدر به عندي (ح) هذا قول المبرد وليس بجيد اذ فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز عند البصريين وتحسينه أن يقال الفاعل مضمر تقديره يهد هو أي الهدى (ش) فاعل لم يهد الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول (ح) كون الجملة فاعل يهد هو مذهب كوفي وأما تشبيهه وتنظيره بقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين فان تركنا عليه معناه معنى القول فحكيت به الجملة كأنه قيل وقلنا عليه وأطلقنا عليه هذا اللفظ والجملة تحكى بمعنى القول كما تحكى بلفظه وأحسن التخاريج هو الأول وهو أن يكون الفاعل ضميرا عائدا على الله تعالى كأنه قال أفلم يبين الله ومفعول يبين محذوف أي العبر باهلاك القرون السابقة

وأجل مسمى لازمين له كما كان الازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل انتهى ثم أمره تعالى بالصبر على مايقول مشركو قريش وهم الذين عاد الضمير عليهم فى أفلم يهد لهم وكانوا يقولون أشياء قبيحة مما نص الله عنهم فى كتابه فأمره تعالى بالصبر على أذاهم والاحتمال لما يصدر من سوء أخلاقهم وأمره بالتسبيح والحمد لله * و بحمد ربك فى موضع الحال أى وأنت حامد لربك والظاهر انه أمر بالتسبيح مقرونا بالحمد واما أن يراد اللفظ أى قل سبحان الله والحمد لله أو أريد المعنى وهو التنزيه والتبرئة من السوء والثناء الجميل عليه * وقال أبو مسلم لا يبعد حمله على التنزيه والاجلال والمعنى اشتغل بتنزيه الله فى هذه الأوقات * قال أبو عبد الله الرازى وهذا القول أقرب الى الظاهر والى ماتقدم ذكره لانه صبره أولا على مايقولون من التكذيب ومن اظهار الكفر والشرك والذى يليق بذلك أن يؤمر بتنزيهه عن قولهم حتى يكون مظهرا لذلك وداعيا ولذلك ماجمع كل الاوقات أو يراد المجاز فيكون المراد الصلاة فقبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن آناء الليل المغرب والعتمة وأطراف النهار الظهر وحده * قال ابن عطية و يحتمل اللفظ أن يراد قول سبحان الله و بحمده من بعد صلاة الصبح الى ركعتى الضحى وقبل غروب الشمس فقد قال عليه السلام من سبح عند غروب الشمس سبعين تسبيحة غربت بذنوبه انتهى * وقال الزمخشرى وقبل غروبها يعنى الظهر والعصر لانهما واقعتان فى النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال تعالى إن ناشئة الليل وقال أمن هو قانت آناء الليل الآيتين ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس أشد وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت أدخل فى معنى التكليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح فى آناء الليل صلاة العتمة وفى أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت فى قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين انتهى وجاء هنا وأطراف النهار وفى هود وأقم الصلاة طرفى النهار فقيل جاء على حد قوله ومهمهين قذفين مرتين * ظهراهما مثل ظهور الترسين جاءت التثنية على الاصل والجمع لامن اللبس اذ النهار ليس له الا طرفان * وقيل هو على حقيقة الجمع الفجر الطرف الأول والظهر والعصر من الطرف الثانى والطرف الثالث المغرب والعشاء * وقيل النهار له أربعة أطراف عند طلوع الشمس وعند غروبها وعند زوال الشمس وعند وقوفها للزوال * وقيل الظهر فى آخر طرف النهار الأول وأول طرف النهار الآخر فهى فى طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب * وقيل يجعل النهار للجنس فلكل يوم طرف فيتكرر بتكرره * وقيل المراد بالاطراف الساعات لأن الطرف آخر الشئ * وقرأ الجهور وأطراف بنصب الفاء وهو معطوف على ومن آناء الليل * وقيل معطوف على قبل طلوع الشمس * وقرأ الحسن وعيسى بن عمر وأطراف بخفض الفاء عطفا على آناء * لعلك ترضى أى تثاب على هذه الاعمال بالثواب الذى تراه وأبرز ذلك فى صورة الرجاء والطمع لا على القطع * وقيل لعل من الله واجبة * وقرأ أبو حيوة وطلحة والكسائى وأبو بكر وأبان وعصمة وأبو عمارة عن حفص وأبو زيد عن المفضل وأبو عبيد ومحمد بن عيسى الاصبهانى ترضى بضم التاء أى يرضيك ربك ولما أمره تعالى بالصبر و بالتسبيح جاء النهى عن مد البصر الى مامتع به الكفرة يقال مد البصر الى مامتع به

الكفار يقال مد نظره اليه اذا أدام النظر اليه والفكرة فى جملته وتفصيله * قيل والمعنى على هذا ولا تعجب يا محمد مما متعناهم به من مال و بنين ومنازل ومراكب وملابس ومطاعم فانما ذلك كله كالزهرة التى لا بقاء لها ولا دوام وانها عما قليل تفنى وتزول والخطاب وان كان فى الظاهر للرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد أمته وهو كان صلى الله عليه وسلم أبعد شئ عن النظر فى زينة الدنيا وأعلق بما عند الله من كل أحد وهو القائل فى الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أريد به وجه الله وكان شديد النهى عن الاغترار بالدنيا والنظر الى زخرفها ولا تمدن أبلغ من لا تنظر لان مد البصر يقتضى الادامة والاستحسان بخلاف النظر فانه قد لا يكون ذلك معه والعين لا تمد فهو على حذف مضاف أى لا تمدن نظر عينيك والنظر غير الممدد معفو عنه وذلك مثل من فاجأ الشئ ثم غض بصره والنظر الى الزخارف مركوز فى الطبائع فمن رأى منها شيأ أحب ادمان النظر اليه وقد شدد المتقون فى غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة مركوبا وملبوسا وغيرهما لأنهم انما اتخذوها العيون النظارة حتى يفتخروا بها فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها وانتصب أزواجا على أنه مفعول به والمعنى أصنافا من الكفرة ومنهم فى موضع الصفة لازواجا أى أصنافا وأقواما من الكفرة كما قال وآخر من شكله أزواج * وأجاز الزمخشرى أن ينتصب أزواجا عن الحال من ضمير به ومتعنا مفعوله منهم كانه قيل الى الذى متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم وزهرة منصوب على الذم أو مفعول ثان لمتعنا على تضمينه معنى أعطينا أو بدل من محل الجار والمجرور أو بدل من أزواجا على تقدير ذوى زهرة أو جعلهم زهرة على المبالغة أو منصوب بفعل محذوف يدل عليه متعنا أى جعلنا لهم زهرة أو حال من الهاء أو ما على تقدير حذف التنوين من زهرة لالتقاء الساكنين وخبر الحياة على البدل من ما وكل هذه الاعاريب منقول والاخير اختاره مكى ورد كونه بدلا من محل ما لأن فيه الفصل بالبدل بين الصلة وهى متعنا ومعمولها وهو لنفتنهم فالبدل وهو زهرة * وقرأ الجمهور زهرة بسكون الهاء * وقرأ الحسن وأبو البرهثيم وأبو حيوة وطلحة وحميد وسلام ويعقوب وسهل وعيسى والزهرى بفتحها * وقرأ الأصمعى عن نافع لنفتنهم بضم النون من أفتنه اذا جعل الفتنة واقعة فيه والزهرة والزهرة بمعنى واحد كالجهرة والجهرة * وأجاز الزمخشرى فى زهرة المفتوح الهاء ان يكون جمع زاهر نحو كافر وكفرة وصفهم بأنهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف فى الثياب ومعنى لنفتنهم فيه أى لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم فى الآخرة بسببه * ورزق ربك خير وأبقى أى ما ادخر لهم من المواهب فى الآخرة خير مما متع به هؤلاء فى الدنيا وأبقى أى أدوم * وقيل ما رزقهم وان كان قليلا خير مما رزقوا وان كان كثير الحلية ذلك وحرمة هذا * وقيل ما رزقت من النبوة والاسلام * وقيل ما يفتح الله على المؤمنين من البلاد والغنائم * وقيل القناعة * وقيل ثواب الله على الصبر وقلة المبالاة بالدنيا ولما أمره تعالى بالتسبيح فى تلك الاوقات المذكورة ونهاه عن مد بصره الى ما متع به الكفار أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة التى هى بعد الشهادة آكد أركان الاسلام وأمره بالاصطبار على مداومتها ومشاقها وان لا يشتغل عنها وأخبره تعالى أن لا يسأله ان يرزق نفسه وان لا يسعى فى تحصيل الرزق ويدأب فى ذلك بل أمره بتفريغ باله لأمر الآخرة ويدخل فى خطابه عليه السلام أمته * وقرأ الجمهور نرزقك بضم القاف * وقرأت فرقة

منهم ابن وثاب بادغام القاف في الكاف وجاء ذلك عن يعقوب * قال صاحب اللوامح وانما امتنع أبو عمرو ومن ادغام مثله بعد ادغامه نرزقكم ونحوها لحلول الكاف منه طرفا وهو حرف وقف فلو حرك وقفا لكان وقوفه على حركة وكان خروجا عن كلامهم ولو أشار الى الفتح لكان الفتح أخف من أن يتبعض بل يخرج بعضه كخروج كله ولو سكن لاجحف بحرف ولعل من أدغم ذهب مذهب من يقول جعفر وعامر وتفعل فيشدد وقفا أو أدغم على شرط ان لا يقف بحال فيصير الطرف كالحشو انتهى * والعاقبة أي الجيدة أو حسن العاقبة لأهل التقوى * وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه هذه عادتهم في اقتراح الآيات كأنهم جعلوا ما ظهر من الآيات ليس بآيات فاقترحوا هم ما يختارون على ديدنهم في التعنت فأجيبوا بقوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى أي القرآن الذي سبق التبشير به وبمجيئه من الرسل به في الكتب الالهية السابقة المنزلة على الرسل والقرآن أعظم الآيات في الاعجاز وهي الآية الباقية الى يوم القيامة وفي هذا الاستفهام توبيخ لهم * وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص تأتهم بالتاء على لفظ بينة * وقرأ باقي السبعة وأبو بحرية وابن محيصن وطلحة وابن أبي ليلى وابن مناذر وخلف وأبو عبيدة وابن سعدان وابن عيسى وابن جبير الانطاكي يأتهم بالياء لمجاز تأنيث الآية والفصل * وقرأ الجمهور باضافة بينة الى ما وفرقة منهم أبو زيد عن أبي عمرو بالتنوين وما بدل * قال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون ما نافيا وأريد بذلك ما في القرآن من الناسخ والفصل مما لم يكن في غيره من الكتب * وقرأت فرقة بنصب بينة والتنوين وما فاعل بتأتهم وبينة نصب على الحال فمن قرأ يأتهم بالياء فعلى لفظ ما ومن قرأ بالتاء راعى المعنى لأنه أشياء مختلفة وعلوم من مضى وما شاء الله * وقرأ الجمهور في الصحف بضم الحاء وفرقة منهم ابن عباس باسكانها والضمير في ضمن قبله يعود على البينة لأنها في معنى البرهان والدليل قاله الزمخشري والظاهر عوده على الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله لولا أرسلت الينا رسولا ولذلك قدره بعضهم قبل ارساله محمدا اليهم والذل والخزي مقترنان بعذاب الآخرة * وقيل نذل في الدنيا ونخزى في الآخرة * وقيل الذل الهوان والخزي الافتضاح * وقرأ الجمهور نذل ونخزى مبنيا للفاعل وابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن علي والحسن في رواية عباد والعمري وداود والفزاري وأبو حاتم ويعقوب مبنيا للمفعول * قل كل متربص فتربصوا أي منتظر منا ومنكم عاقبة أمره وفي ذلك تهديد لهم ووعيد وأفرد الخبر وهو متربص حملا على لفظ كل كقوله قل كل يعمل على شاكلته والتربص التأني والانتظار للفرج ومن أصحاب مبتدأ وخبر علق عنه فستعلمون وأجاز الفراء ان تكون ما موصولة بمعنى الذي فتكون مفعولة بفستعلمون وأصحاب خبر مبتدأ محذوف تقديره الذي هم أصحاب وهذا جار على مذهب الكوفيين اذ يجيزون حذف مثل هذا الضمير مطلقا سواء كان في الصلة طول أم لم يكن وسواء كان الموصول أيا أم غيره * وقرأ الجمهور السوى على وزن فعيل أي المستوى * وقرأ أبو مجلز وعمران بن حدير السواء أي الوسط * وقرأ الجحدري وابن يعمر السوأى على وزن فعلى أنث لتأنيث الصراط وهو مما يذكر ويؤنث وتأنيث الاسواء من السوأى على ضد الاهتداء فقوبل به * ومن اهتدى على الضد ومعناه فستعلمون أيها الكفار من على الضلال ومن على الهدى ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس الصراط السوء وقد روى عنهما انهما قرآ السوأى على وزن فعلى فاحتمل أن يكون أصله السوءى اذ روى ذلك عنهما فخفف الهمزة بابدالها واوا وأدغم واحتمل ان يكون فعلى من السواء أبدلت ياؤه واوا وأدغمت الواو في الواو وكان القياس انه لما بني فعلى من السواء ان

يكون السويا فتجتمع واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فتقلب الواو ياء وتدغم في الياء فكان يكون التركيب السيا * وقرئ السوي بضم السين وفتح الواو وشد الياء تصغير السوء * قاله الزمخشري وليس بجيد اذ لو كان تصغير سوء لثبتت همزته في التصغير فكنت تقول سويي والأجود أن يكون تصغير سواء كما قالوا في عطاء عطي ومن قرأ السوأى أو السوء كان في ذلك مقابلة لقوله ومن اهتدى وعلى قراءة الجمهور لم تراع المقابلة في الاستفهام

* سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مائة واثنتا عشرة آية مكية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون واذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك الا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم

(الدر)

(ش) وقرئ السويي بضم السين وفتح الواو وشد الياء تصغير السوء (ح) ليس بجيد اذ لو كان تصغير سوء لثبتت همزته في التصغير فكنت تقول سويي والاجود أن يكون تصغير سواء كما قالوا في عطاء عطي انتهى

﴿سورة الأنبياء عليهم السلام﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ الآية هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبتها لماقبلها أنه لما ذكر قل كل متربص فتربصوا قال مشركو قريش محمد يهددنا بالبعث والجزاء على الأعمال وليس بصحيح فانزل الله اقترب للناس حسابهم واقترب افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو قرب كما تقول ارتقب ورقب والناس مشركو مكة وغيرهم ممن ينكر البعث ﴿والحساب في اللغة الكمية من مبلغ العدد وقد يطلق على المحسوب وجعل ذلك اقترابا لان كل ماهو آت وان طال وقت انتظاره قريب والواو في ﴿وهم﴾ واو الحال وأخبر عنهم بخبرين ظاهرهما التنافي لأن الغفلة عن الشيء والاعراض عنه متنافيان لكن يجمع بينهما باختلاف حالين أخبر عنهم أولا بأنهم لايتفكرون في عاقبة بل هم غافلون عما يؤول إليه أمرهم ثم أخبر عنهم ثانيا أنهم اذا نبهوا من سنة الغفلة وذكروا بما يؤول اليه أمر المحسن والمسيء أعرضوا عنه ولم يبالوا بذلك ﴿والذكر هنا ماينزل من القرآن شيئا بعد شيء ومن زائدة وذكر فاعل ووصفه بالحدوث إذ كان القرآن

لنزوله وقتا بعد وقت و﴿استمعوه﴾ جملة حالية من الضمير المنصوب في يأتيهم تقديره الا مستمعيه ﴿وهم يلعبون﴾ جملة حالية من ضمير استمعوه ﴿ولاهية﴾ حال من ضمير يلعبون أومن ضمير استمعوه فيكون حالا بعد حال واللاهية من قول العرب لهاعنه إذا ذهل وغفل يقال لها يلهى لهيا ولهيانا أي وان فطنوا فلا يجدى ذلك لاستيلاء الغفلة والذهول وعدم التبصر بقلوبهم و﴿النجوى﴾ من التناجي ولايكون إلا خفية والواو في وأسروا فاعل ضمير يعود على ماقبله و﴿الذين﴾ بدل منه ﴿هل هذا﴾ قبله حال محذوفة تقديره قائلين هل هذا إلا بشر وهو استفهام معناه التعجب أي كيف خص دونكم بالنبوة مع مماثلته لكم في البشرية ﴿أفتأتون السحر﴾ استفهام معناه التوبيخ والسحر عنوا به ماظهر على يديه من المعجزات التي أعظمها القرآن وهاتان الجملتان الاستفهاميتان الظاهر أنهما متعلقتان بقوله وأسروا النجوى وأنهما محكيتان للنجوى لانه بمعنى القول الخفي فهما في موضع نصب على المفعول بالنجوى ﴿وأنتم تبصرون﴾ جملة حالية وللزمخشري فيه تخبيط رددناه عليه في البحر ﴿قل﴾ أمر لنبيه صلى الله عليه وسلم والقول أعم من أن يكون سرا أوجهرا ثم نفى ذلك بقوله وهو السميع لأقوالكم العليم بماانطوت عليه ضمائركم ﴿بل قالوا﴾ ذكر اضطرابهم في مقالاتهم فذكر أنهم أضربوا عن نسبة السحر إليه وقالوا ماأتى به إنما هو أضغاث أحلام وتقدم تفسيرها في يوسف ثم أضربوا عن هذا فقالوا بل افتراه أي اختلقه أي وليس من عند الله ثم أضربوا عن هذا فقالوا بل هو شاعر وهكذا المبطل لايثبت على قول بل يبقى متحيرا وهذه الاقوال الظاهر أنها صدرت من قائلين متفقين انتقلوا من قول الى قول

بغتة فتبهتهم فلايستطيعون ردها ولاهم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لايستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل انما أنذركم بالوحي ولايسمع الصم الدعاء اذا ماينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلاتظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴿القصم كسر الشيء الصلب حتى يبين تلاؤم أجزائه ﴿الركض ضرب الدابة بالرجل ﴿خمدت النار طفئت ﴿دمغه أصاب دماغه نحو كبده ورأسه أصاب كبده ورأسه ﴿رتق الشيء سده فارتتق ومنه الرتقاء للمنضمة الفرج ﴿فتق فصل مابين المتصلين ﴿الفج الطريق المتسع ﴿السبح العوم ﴿كلأه حفظه يكلؤه كلاءة ويقال اذهب في كلاءة الله واكتلأت منه احترست ﴿وقال ابن هرمة

ان سليمى والله يكلؤها ﴿ ضنت بشيء ما كان يرزؤها

﴿النفحة الخطوة ونفح له من عطاياه أجزأه نصيبا ﴿قال الشاعر

اذا ريدة من حيث مانفحت له ﴿ اتاه برياها خليل يواصله

﴿الخردل حب معروف ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون

أو مختلفين قال كل منهم مقالة والكاف في كما أرسل يجوز أن تكون في موضع النعت لآية وما أرسل في تقدير المصدر والمعنى بآية مثل آية ارسال الاولين وفي قولهم كما أرسل الأولون دلالة على معرفتهم إتيان الرسل ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ المراد بهم قوم صالح وقوم فرعون وغيرهما ومعنى أهلكناها حكمنا باهلاكها بما اقترحوا من الآيات ﴿أفهم يؤمنون﴾ استبعاد وانكار أي هؤلاء عتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ الآية تقدم الكلام على مثله في يوسف ﴿إلا رجالا﴾ أي بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدتم ثم أحالهم على أهل الذكر وهم أحبار أهل الكتابين وشهادتهم تقوم بها الحجة في إرسال الله البشر ﴿وما جعلناهم جسدا﴾ أي ذوي جسد ولما ثبت أنهم كانوا أجسادا يأكلون الطعام بين أن مآلهم الى الفناء والنفاد ونفى عنهم الخلود وهو البقاء السرمدي أي هؤلاء الرسل بشر أجساد يطعمون ويموتون كغيرهم من البشر والذي صاروا به رسلا هو ظهور المعجزة على أيديهم وعصمتهم من الصفات القادحة في التبليغ وغيره ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ ذكر تعالى سيرته مع أنبيائه فكذلك يصدق نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما وعدهم به من النصر وظهور الكلمة وهذه عدة للمؤمنين ووعيد للكافرين وصدقناهم الوعد من باب اختار (٢٩٥) وهو ما يتعدى الفعل فيه الى واحد والى الآخر بحرف الجر ويجوز حذف ذلك الحرف أي في الوعد ﴿ومن نشاء﴾ هم المؤمنون والمسرفون هم الكفار ولما توعدهم في هذه الآية أعقب ذلك بوعده بنعمته عليهم فقال ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾ والكتاب هو القرآن وعن ابن عباس ذكر شرفكم حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه

(الدر)

﴿سورة الانبياء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ش) اقترب للناس هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيدا لاضافة الحساب اليهم كما تقول أزف للحي رحيلهم الاصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابالك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه أغرب من الأول (ح) يعني بقوله صلة انها تتعلق باقترب وأما جعله اللام تأكيدا لاضافة الحساب اليهم مع تقدم اللام ودخولها على الاسم الظاهر فلا نعلم أحدا يقول ذلك وأيضا فيحتاج الى ما يتعلق به ولا يمكن تعلقها بحسابهم لأنه مصدر موصول ولا يتقدم معموله عليه وأيضا التوكيد يكون متأخرا عن المؤكد وأيضا فلو أخر في هذا التركيب لم يصح وأما تشبيهه بما أورده سيبويه رحمه الله فالفرق واضح لان عليك معمول لحريص وعليك الثانية متأخرة توكيدا وكذلك فيك زيد راغب فيك يتعلق فيك براغب وفيك الثانية توكيد وانما غره في ذلك صحة تركيب حساب الناس وكذلك أزف رحيل الحي فاعتقد اذا تقدم الظاهر مجرورا باللام وأضيف المصدر لضميره أنه من باب فيك زيد راغب فيك وليس مثله وأما لا ابالك فهي مسئلة مشكلة وفيها خلاف ويمكن أن يقال فيها ذلك لان اللام جاورت الاضافة ولا يقاس على مثلها غيرها لشذوذها وخروجها عن الاقيسة والله أعلم

ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾

هذه السورة مكية بلا خلاف وعن عبد الله الكهف ومريم وطه والانبياء من العتاق الاول وهن من تلادي أي من قديم ما حفظت وكسبت من القرآن كالمال التلاد * ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لما ذكر قل كل متربص فتربصوا قال مشركو قريش محمد يهددنا بالمعاد والجزاء على الاعمال وليس بصحيح وان صح ففيه بعد فأنزل الله تعالى اقترب للناس حسابهم واقترب افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو قرب كما تقول ارتقب ورقب * وقيل هو أبلغ من قرب للزيادة التي في البناء والناس مشركو مكة * وقيل عام في منكري البعث واقتراب الحساب اقتراب وقته والحساب في اللغة اخراج الكمية من مبلغ العدد وقد يطلق على المحسوب وجعل ذلك اقترابا لان كل ما هو آت وان طال وقت انتظاره قريب وانما البعيد هو الذي انقرض أو هو مقترب عند الله كقوله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أو باعتبار ما بقي من الدنيا فانه أقصر وأقل مما مضى وفي الحديث بعثت أنا والساعة كهاتين * قال الشاعر

فما زال من يهواه أقرب من غد * وما زال من يخشاه أبعد من أمس

وللناس متعلق باقترب * وقال الزمخشري هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيدا

لاضافه الحساب اليهم كما تقول أزف للحي رحيلهم الاصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا أبالك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه أغرب من الاول انتهى يعني بقوله صلة أنها تتعلق باقترب وأما جعله اللام تأكيدا لاضافة الحساب اليهم مع تقدم اللام ودخولها على الاسم الظاهر فلا نعلم أحدا يقول ذلك وأيضا فيحتاج الى ما يتعلق به ولا يمكن تعلقها بحسابهم لانه مصدر موصول ولا يتقدم معموله عليه وأيضا فالتوكيد يكون متأخرا عن المؤكد وأيضا فلو أخر في هذا التركيب لم يصح وأما تشبيهه بما أورد سيبويه فالفرق واضح لان عليك معمول لحريص وعليك الثانية متأخرة توكيدا وكذلك فيك زيد راغب فيك يتعلق فيك براغب وفيك الثانية توكيد وانما غره في ذلك صحة تركيب حساب الناس وكذلك أزف رحيل الحي فاعتقد اذا تقدم الظاهر مجرورا باللام وأضيف المصدر لضميره انه من باب فيك زيد راغب فيك وليس مثله وأما لا أبالك فهي مسئلة مشكلة وفيها خلاف ويمكن أن يقال فيها ذلك لان اللام جاورت الاضافة ولا يقاس على مثلها غيرها لشذوذها وخروجها عن الأقيسة وقد أمعنا الكلام عليها في شرح التسهيل والواو في وهم واو الحال وأخبر عنهم بخبرين ظاهرهما التنافي لان الغفلة عن الشيء والاعراض عنه متنافيان لكن يجمع بينهما باختلاف حالين أخبر عنهم أولا انهم لا يتفكرون في عاقبة بل هم غافلون عما يؤل اليه أمرهم ثم أخبر عنهم ثانيا انهم اذا نبهوا من سنة الغفلة وذكروا بما يؤل اليه أمر المحسن والمسيء أعرضوا عنه ولم يبالوا بذلك والذكر هنا ما ينزل من القرآن شيأ بعد شيء * وقيل المراد بالذكر أقوال النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الشريعة ووعظه وتذكيره ووصفه بالحدوث اذ كان القرآن لنزوله وقتا بعد وقت * وسئل بعض الصحابة عن هذه الآية فقال محدث النزول محدث المقول * وقال الحسن بن الفضل المراد بالذكر هنا النبي صلى الله عليه وسلم بدليل هل هذا إلا بشر مثلكم وقال قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا وقد احتجت المعتزلة على حدوث القرآن بقوله محدث وهي مسألة يبحث فيها في علم الكلام * وقرأ الجمهور محدث بالجر صفة لذكر على اللفظ وابن أبي عبلة بالرفع صفة لذكر على الموضع وزيد بن علي بالنصب على الحال من ذكر اذ قد وصف بقوله من ربهم ويجوز أن يتعلق من ربهم بيأتيهم واستمعوه جملة حالية وذو الحال المفعول في ما يأتيهم وهم يلعبون جملة حالية من ضمير استمعوه ولاهية حال من ضمير يلعبون أو من ضمير استمعوه فيكون حالا بعد حال واللاهية من قول العرب لهى عنه اذا ذهل وغفل يلهى لهيا ولهيانا أي وان فطنوا لا يجدي ذلك لاستيلاء الغفلة والذهول وعدم التبصر بقلوبهم * وقرأ ابن أبي عبلة وعيسى لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر لقوله وهم والنجوى من التناجي ولا يكون الا خفية فمعنى وأسروا بالغوا في اخفائها أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون * وقال أبو عبيدة أسروا هنا من الاضداد يحتمل أن يكون أخفوا كلامهم ويحتمل أن يكون أظهروه ومنه قول الفرزدق

فلما رأى الحجاج جرد سيفه * أسر الحروري الذي كان أضمرا

* وقال التبريزي لا يستعمل في الغالب الا في الاخفاء وانما أسروا الحديث لانه كان ذلك على طريق التشاور وعادة المتشاورين كتمان سرهم عن أعدائهم وأسروها ليقولوا للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررناه وجوزوا في اعراب الذين ظلموا وجوها

الرفع والنصب والجر فالرفع على البدل من ضمير وأسروا اشعارا انهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به قاله المبرد وعزاه ابن عطية الى سيبويه أو على انه فاعل والواو فى أسروا علامة للجمع على لغة أكلونى البراغيث قاله أبو عبيدة والأخفش وغيرهما * قيل وهى لغة شاذة * قيل والصحيح أنها لغة حسنة وهى من لغة ازدشنوءة وخرج عليه قوله ثم عموا وصموا كثير منهم وقال شاعرهم

يلوموننى فى اشتراء النخيل أهلى وكلهم ألوم

أو على ان الذين مبتدا وأسروا النجوى خبره قاله الكسائى فقدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم انه ظلم أو على انه فاعل بفعل القول وحذف أى يقول الذين ظلموا والقول كثيرا يضمر واختاره النحاس قال ويدل على صحة هذا ان بعده هل هذا الا بشر مثلكم * وقيل التقدير أسرها الذين ظلموا * وقيل الذين خبر مبتدا محذوف أى هم الذين والنصب على الذم قاله الزجاج أو على اضمار أعنى قاله بعضهم والجر على أن يكون نعتا للناس أو بدلا فى قوله اقترب للناس قاله الفراء وهو أبعد الأقوال * هل هذا الا بشر مثلكم استفهام معناه التعجب أى كيف خص بالنبوة دونكم مع مماثلته لكم فى البشرية وانكارهم وتعجبهم من حيث كانوا يرون ان الله لا يرسل الا ملكا * وأفتأتون السحر استفهام معناه التوبيخ والسحر عنوا به ما ظهر على يديه من المعجزات التى أعظمها القرآن والذكر المتلو عليهم أى أفتحضرون السحر وأنتم تبصرون أنه سحر وأن من أتى به هو بشر مثلكم فكيف تقبلون ما أتى به وهو سحر وكانوا يعتقدون ان الرسول من عند الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر وهاتان الجملتان الاستفهاميتان الظاهر انهما متعلقتان بقوله وأسروا النجوى وانهما محكيتان بقوله النجوى لانه بمعنى القول الخفى فهما فى موضع نصب على المفعول بالنجوى * وقال الزمخشرى فى محل النصب بدلا من النجوى أى وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا انتهى * وقرأ حمزة والكسائى وحفص والأعمش وطلحة وابن أبى ليلى وأيوب وخلف وابن سعدان وابن جبير الانطاكى وابن جرير قال ربى على معنى الخبر عن نبيه عليه الصلاة والسلام * وقرأ باقى السبعة قل على الأمر لنبيه صلى الله عليه وسلم يعلم أقوالكم هذه وهو مجازيكم عليها والقول عام يشمل السر والجهر فكان فى الاخبار به علم القول علم السر وزيادة وكان آكد فى الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بقوله وهو السميع العليم السميع لأقوالكم العليم بما انطوت عليه ضمائركم ولما ذكر تعالى عنهم انهم قالوا ان ما أتى به سحر ذكر اضطرابهم فى مقالاتهم فذكر انهم أضربوا عن نسبة السحر اليه وقالوا ما أتى به انما هو أضغاث أحلام وتقدم تفسيرها فى سورة يوسف عليه السلام ثم أضربوا عن هذا فقالوا بل افتراه أى اختلقه وليس من عند الله ثم أضربوا عن هذا فقالوا بل هو شاعر وهكذا المبطل لا يثبت على قول بل يبقى متحيرا وهذه الأقوال الظاهر انها صدرت من قائلين متفقين انتقلوا من قول الى قول أو مختلفين قال كل منهم مقالة * قال الزمخشرى ويجوز أن يكون تنزيلا من الله لأقوالهم فى درج الفساد وان قولهم الثانى أفسد من الأول والثالث أفسد من الثانى وكذلك الرابع من الثالث انتهى * وقال ابن عطية ثم حكى قول من قال انه شاعر وهى مقالة فرقة عامية لان بناء الشعر من العرب لم يخف عليهم بالبديهة وان مبانى القرآن ليست مبانى شعر * وقال أبو عبد الله الرازى حكى الله عنهم

هذه الأقوال الخمسة وترتيب كلامهم ان كونه بشرا مانع من كونه رسولا لله سلمنا انه غير مانع ولكن لا نسلم ان هذا القرآن ثم اما أن يساعد على أن فصاحة القرآن خارجة عن مقدار البشر قلنا لم لا يجوز أن يكون ذلك سحرا وان لم يساعد عليه فان ادعينا كونه فى نهاية الركاكة قلنا انه أضغاث أحلام وان ادعينا انه متوسط بين الركاكة والفصاحة قلنا انه افتراء وان ادعينا انه كلام فصيح قلنا انه من جنس فصاحة سائر الشعر وعلى جميع هذه التقديرات لا يثبت كونه معجزا ولما فرغوا من تقدير هذه الاحتمالات قالوا فليأتنا بآية كما أرسل الأولون اقترحوا من الآيات ما لا امهال بعدها كالآيات فى قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * قال الزمخشرى صحة التشبيه فى قوله كما أرسل الاولون من حيث انه فى معنى كما أتى الأولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات ألا ترى انه لا فرق بين أن تقول أتى محمد بالمعجزة وأن تقول أرسل محمد بالمعجزة انتهى * والكاف فى كما أرسل يجوز أن يكون فى موضع النعت لآية وما أرسل فى تقدير المصدر والمعنى بآية مثل آية ارسال الاولين ويجوز أن يكون فى النعت لمصدر محذوف أى اتيانا مثل ارسال الأولين أى مثل اتيانهم بالآيات وهذه الآية التى طلبوها هى على سبيل اقتراحهم ولم يأت الله بآية مقترحة الا أتى بالعذاب بعدها وأراد تعالى تأخير هؤلاء وفى قولهم كما أرسل الأولون دلالة على معرفتهم باتيان الرسل ثم أجاب تعالى عن قولهم فليأتنا بآية بقوله ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون والمراد بهم قوم صالح وقوم فرعون وغيرهما ومعنى أهلكناها حكمنا باهلاكها بما اقترحوا من الآيات * انهم يؤمنون استبعاد وانكار أى هؤلاء أعنى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا فأهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء ما اقترحوا لكانوا أنكث من أولئك وكان يقع استئصالهم ولكن حكم الله تعالى بابقائهم ليؤمن من آمن ويخرج منهم مؤمنين * ولما تقدم من قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وان الرسول لا يكون الا من عند الله من جنس البشر قال تعالى رادا عليهم وما أرسلنا قبلك الا رجالا أى بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا ثم أحالهم على أهل الذكر فانهم وان كانوا مشايعين للكفار ساعين فى إخماد نور الله لا يقدرون على انكار إرسال البشر وقوله ان كنتم لا تعلمون من حيث أن قريشا لم يكن لها كتاب سابق ولا أثارة من علم والظاهر ان أهل الذكر هم أحبار أهل الكتابين وشهادتهم تقوم بها الحجة فى إرسال الله البشر هذا مع موافقة قريش فى ترك الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فشهادتهم لا مطعن فيها * وقال عبد الله بن سلام أنا من أهل الذكر * وقيل هم أهل القرآن * وقال على أنا من أهل الذكر * وقال ابن عطية لا يصلح أن يكون المسؤل أهل القرآن فى ذلك الوقت لانهم كانوا خصومهم انتهى * وقيل أهل الذكر هم أهل التوراة * وقيل أهل العلم بالسير وقصص الأمم البائدة والقرون السالفة فانهم كانوا يفحصون عن هذه الأشياء واذا كان أهل الذكر أريد بهم اليهود والنصارى فانهم لما بلغ خبرهم حد التواتر جاز أن يسألوا ولا يقدح فى ذلك كونهم كفارا * وقرأ الجمهور يوحى مبنيا للمفعول * وقرأ طلحة وحفص نوحى بالنون وكسر الحاء والجسد يقع على ما لا يتغذى من الجماد * وقيل يقع على المتغذى وغيره فعلى القول الاول يكون النفى قد وقع على الجسد وعلى الثانى يكون مثبتا والنفى انما وقع على صفته ووحد الجسد لارادة الجنس كأنه قال ذوى ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام وهذه الجملة من تمام الجواب للمشركين الذين قالوا هل هذا الا بشر مثلكم لان البشرية تقتضى الجسمية الحيوانية وهذه لا بد لها من مادة

﴿وكم قصمنا من قرية﴾ كم خبرية معناه كثيرا والقصم أفظع الكسر عبر به عن الاهلاك الشديد وكم منصوبة بقصمنا ﴿من قرية﴾ هو على حذف مضاف أي من أهل قرية ﴿كانت﴾ أي كان أهلها ﴿وأنشأنا بعدها﴾ أي بعد اهلاك أهلها وعن ابن عباس ان القرية هي حضوراء قرية باليمن ومن حديثها ان الله بعث إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على أهل بيت المقدس بعث إليهم جيشا فهزموه ثم بعث اليهم آخر فهزموه فخرج إليهم بنفسه فهزمهم في الثالثة فلما أخذ القتل فيهم ركضوا هاربين ﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ أي باشروه بالاحساس والضمير في أحسوا عائد على أهل المحذوف من قوله وكم قصمنا من قرية والضمير في منها عائد على القرية والظاهر أنهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين واذا الفجائية جواب قوله فلما ﴿وقوله لا تركضوا﴾ قال ابن عطية يحتمل أن تكون من قول رجال بخت نصر فالمعنى على هذا أنهم خدعوهم واستهزؤا بهم بأن قالوا للهاربين منهم لا تفروا وارجعوا الى منازلكم لعلكم تسئلون صلحا أوجزية أوأمرا يتفق عليه فلما انصرفوا أمر بخت نصر أن ينادي فيهم يالثارات النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم انتهى ويجوز أن يكون لا تركضوا من كلام بعضهم لبعض لما هزموا الجيش ثاني مرة ﴿وما كنتم﴾ معطوف على ما الموصولة بأترفتم والاتراف إبطار النعمة والتقدير والى ما كنتم وفي قوله لعلكم تسألون دليل على أن من كان قارا في مسكنه مترفا فيه جدير بأن يكون يسأل في المهمات ويعتمد عليه فيها وندائهم الويل هو على سبيل المجاز كأنهم قالوا ياهلكتنا وتقدم تفسير الويل في البقرة والظلم هنا الاشراك وتكذيب الرسل وإيقاع أنفسهم في الهلاك واسم زالت هو اسم الاشارة وهو تلك وهو إشارة الى الجملة المقولة ودعواهم الخبر ويجوز العكس قاله الزجاج وبعض أصحابنا اذا لم يكن مبين الاسم والخبر الأول جعل الاسم وللثاني الخبر كما قالوا في ضرب موسى عيسى أي فما زالت تلك الدعوى دعواهم قال المفسرون فما زالوا يكررون تلك الكلمة فلم تنفعهم كقوله تعالى فلم

تقوم بها وقد خرجوا بذلك في قولهم هل هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولما أثبت انهم كانوا أجسادا يأكلون الطعام بين انهم مآلهم الى الفناء والنفاد ونفى عنهم الخلود وهو البقاء السرمدي أو البقاء المدة المتطاولة أي هؤلاء الرسل بشر أجساد يطعمون ويموتون كغيرهم من البشر والذي صاروا به رسلا هو ظهور المعجزة على أيديهم وعصمتهم من الصفات القادحة في التبليغ وغيره ثم صدقناهم الوعد ذكر تعالى سيرته مع أنبيائه فكذلك يصدق نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما وعدهم به من النصر وظهور الكلمة فهذه عدة للمؤمنين ووعيد للكافرين وصدقناهم الوعد من باب اختار وهو ما يتعدى الفعل فيه الى واحد والى الآخر بحرف جر ويجوز حذف ذلك الحرف أي في الوعد وهو باب لا ينقاس عند الجمهور وانما يحفظ من ذلك أفعال قليلة ذكرت في النحو ونظير صدقناهم الوعد قولهم صدقوهم القتال وصدقني سن بكره وصدقت زيدا الحديث ومن نشاء هم المؤمنون والمسرفون هم الكفار المفرطون في غيهم وكفرهم وكل من ترك الايمان فهو مفرط مسرف وانجاؤهم من شر أعدائهم ومن العذاب الذي نزل بأعدائهم ولما توعدهم في هذه الآية أعقب ذلك بوعده بنعمته عليهم فقال لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم والكتاب هو القرآن وعن ابن عباس ذكركم شرفكم حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وعن الحسن ذكر دينكم وعن مجاهد فيه حديثكم وعن سفيان مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم وقيل تذكرة لتحذروا ما لا يحل وترغبوا فيما يجب وقال صاحب التحرير الذي يقتضيه سياق الآيات ان المعنى فيه ذكر مشائنكم ومثالبكم وما عاملتم به أنبياء الله من التكذيب والعناد فعلى هذا تكون الآية ذما لهم وليست من تعداد النعم عليهم ويكون الكلام على سياقه ويكون معنى قوله هل هذا الا بشر مثلكم أفلا تعقلون انكارا عليهم على اهمالهم التدبر والتفكر المؤديين الى اقتضاء الغفلة وقال ابن عطية يحتمل أن يريد فيه شرفكم وذكركم آخر الدهر كما نذكر عظام الأمور وفي هذا تحريض ثم أكد التحريض بقوله أفلا تعقلون وحركهم بذلك الى النظر وقال الزمخشري نحوه قال ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم

يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا والدعوى مصدر دعا يقال دعا دعوى ودعوة لان المدلول كأنه يدعو الويل وقوله حصيدا أي بالعذاب تركوا كالحصيد خامدين أي موتى دون أرواح مشبهين بالنار اذا طفئت ولما ذكر تعالى قصم تلك القرى الظالمة اتبع ذلك بما يدل على أنه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا وأنه ما أنشأ هذا العالم العلوي المحتوي

حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ✽ لما رد الله تعالى عليهم ما قالوه وبالغ تعالى في زجرهم بذكر ما أهلك من القرى فقال وكم قصمنا والمراد أهلها اذ لا توصف القرية بالظلم كقوله من هذه القرية الظالم أهلها ✽ قال ابن عباس الانشاء ايجاد الشئ من غير سبب انشأه فنشأ وهو ناشئ والجمع نشاء كخدم والقصم أفظع الكسر عبر به عن الاهلاك الشديد وكم تقتضي التكثير فالمعنى كثيرا من أهل القرى أهلكنا اهلاكا شديدا مبالغا فيه وما روى عن ابن عباس انها حضوراء قرية باليمن وعن ابن وهب عن بعض رجاله انهما قريتان باليمن بطر أهلهما فيحمل على سبيل التمثيل لا على التعيين في القرية لان كم تقتضي التكثير ومن حديث أهل حضوراء ان الله بعث اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على أهل بيت المقدس بعث اليهم جيشا فهزموه ثم بعث آخر فهزموه ثم خرج اليهم بنفسه فهزمهم في الثالثة فلما أخذ القتل فيهم ركضوا هاربين ✽ فلما أحسوا بأسنا أي باشروه بالاحساس والضمير في أحسوا عائد على أهل المحذوف من قوله وكم قصمنا من قرية ولا يعود على قوله قوما آخرين لانه لم يذكر لهم ذنب يركضون من أجله والضمير في منها عائد على القرية ويحتمل أن يعود على بأسنا لانه في معنى الشدة فأنث على المعنى ومن على هذا السبب والظاهر انهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين ✽ قيل ويجوز أن شبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فهم يركضون الارض بأرجلهم كما قال اركض برجلك وجواب لما اذا الفجائية وما بعدها وهذا أحد الدلائل على ان لما في هذا التركيب حرف لا ظرف وقد تقدم لنا القول في ذلك ✽ وقوله لا تركضوا قال ابن عطية يحتمل أن يكون من قول رجال بخت نصر على الرواية المتقدمة فالمعنى على هذا انهم خدعوهم واستهزؤا بهم بأن قالوا للهاربين منهم لا تفروا وارجعوا الى مساكنكم لعلكم تسألون صلحا أو جزية أو أمرا يتفق عليه فلما انصرفوا أمر بخت نصر أن ينادي فيهم يا لثارات النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم هذا كله مروى ويحتمل أن يكون قوله لا تركضوا الى آخر الآية من كلام ملائكة العذاب ووصف قصة كل قرية وانه لم يرد تعيين حضوراء ولا غيرها فالمعنى على هذا ان أهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون انهم من الله بمكان وانه لو جاءهم عذاب أو أمر لم ينزل بهم حتى يتخاصموا ويسألوا عن وجه تكذيبهم لنبيهم فيحتجون هم عند ذلك بحجج تنفعهم في ظنهم فلما نزل العذاب دون هذا الذي أملوه وركضوا فارين نادتهم الملائكة على وجه الهزء بهم لا تركضوا وارجعوا لعلكم تسألون كما كنتم تطمعون لسفه آرائكم ✽ وقال الزمخشري يحتمل أن يكون يعني القائل بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين

على عجائب صنعه وغرائب من فعله وهذا العالم السفلي وما أودع فيه من عجائب الحيوان والنبات والمعادن وما بينهما من الهواء والسحاب والرياح على سبيل اللعب بل لفوائد دينية تقتضي بسعادة الأبد أو بشقاوته ودنياوية لا تعد ولا تحصى كقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ✽ لو أردنا أن نتخذ لهوا ✽ أصل اللهو ما تسرع اليه الشهوة ويدعو اليه الهوى وقال ابن عباس وغيره اللهو هنا الولد ✽ بل نقذف ✽ أي نرمي بسرعة وهذا من مجاز التمثيل شبه الحق بالصخرة الصلبة والباطل بالرخو وانه قذف الصخرة على الرخو ✽ فيدمغه ✽ أي يصيب دماغه وذلك مهلك في البشر وكذلك الحق يهلك الباطل ✽ ولكم الويل ✽ خطاب للكفار أي الخزي والهم ✽ مما تصفون ✽ أي تصفونه بما لا يليق به تعالى من

اتخاذ الصاحبة والولد والظاهر أن قوله وله من في السموات والأرض استئناف اخبار بأن جميع العالم ملكه وعنده هنا لا يراد بها ظرف المكان لانه تعالى منزه عن المكان بل المعنى شرف المكانة وعلو المنزلة ✽ ولا يستكبرون ✽ جملة حالية ✽ ولا يستحسرون ✽ أي لا يكلون ولا يسأمون ويبينه ما بعده من قوله ✽ يسبحون الليل والنهار لا يفترون

أو يجعلون خلفاء بأن يقال لهم ذلك وان لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيعد ثوابه نفوسهم * وارجعوا الى ما أترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم ويميرون اخلاف معروفكم وأياديكم اما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رياء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ انتهى ونداء الويل هو على سبيل المجاز كأنهم قالوا ياويل هذا زمانك وتقدم تفسير الويل في البقرة * والظلم هنا الاشراك وتكذيب الرسل وايقاع أنفسهم في الهلاك واسم زالت هو اسم الاشارة وهو تلك وهو اشارة الى الجملة المقولة أي فما زالت تلك الدعوى دعواهم * قال المفسرون فما زالوا يكررون تلك الكلمة فلم تنفعهم كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا والدعوى مصدر دعا يقال دعا دعوى ودعوة كقوله وآخر دعواهم لأن المويل كأنه يدعو الويل * وقال الحوفي وتبعه الزمخشري وأبو البقاء تلك اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز أن يكون دعواهم اسم زالت وتلك في موضع الخبر انتهى وهذا الذي ذهب اليه هؤلاء قاله الزجاج قبلهم وأما أصحابنا المتأخرون فاسم كان وخبرها مشبه بالفاعل والمفعول فكما لا يجوز في باب الفاعل والمفعول اذا ألبس أن يكون المتقدم الخبر والمتأخر الاسم لا يجوز ذلك في باب كان فاذا قلت كان موسى صديقي لم يجز في موسى الا أن يكون اسم كان وصديقي الخبر كقولك ضرب موسى عيسى فموسى الفاعل وعيسى المفعول ولم ينازع في هذا من متأخري أصحابنا الا أبو العباس أحمد بن علي عرف بابن الحاج وهو من تلاميذ الاستاذ أبي علي الشلوبين ونبهائهم فأجاز أن يكون المتقدم هو المفعول والمتأخر هو الفاعل وان ألبس فعلى ما قرره جمهور الاصحاب يتعين أن يكون تلك اسم زالت ودعواهم الخبر وقوله حصيدا أي بالعذاب تركوا كالحصيد خامدين أي موتى دون أرواح مشبهين بالنار اذا طفئت وحصيدا مفعول ثان * قال الحوفي وخامدين نعت لحصيدا على أن يكون حصيدا بمعنى محصودين يعني وضع المفرد ويراد به الجمع قال ويجوز أن يجعل خامدين حالا من الهاء والميم * وقال الزمخشري جعلناهم مثل الحصيد شبههم في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبهما جميعا على المفعولية (فان قلت) كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل (قلت) حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود والخمود عطف على المماثلة لا على الحصيد انتهى ولما ذكر تعالى قصم تلك القرى الظالمة أتبع ذلك بما يدل على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا وانه انما أنشأ هذا العالم العلوي المحتوي على عجائب من صنعه وغرائب من فعله وهذا العالم السفلي وما أودع فيه من عجائب الحيوان والنبات والمعادن وما بينهما من الهواء والسحاب والرياح على سبيل اللعب بل لفوائد دينية تقضي بسعادة الابد أو بشقاوته ودنياوية لا تعد ولا تحصى كقوله وما خلقنا

السماء والارض وما بينهما باطلا وقوله ما خلقناهما الا بالحق * قال الكرماني اللعب فعل يدعو اليه الجهل يروق أوله ولا ثبات له وانما خلقناهما لنجازي المحسن والمسيء وليستدل بهما على الوحدانية والقدرة انتهى * ولو أردنا أن نتخذ لهوا أصل اللهو ما تسرع اليه الشهوة ويدعو اليه الهوى وقد يكنى به عن الجماع وأما هنا فعن ابن عباس والسدي هو الولد * وقال الزجاج هو الولد بلغة حضرموت * وعن ابن عباس ان هذا رد على من قال اتخذ الله ولدا وعنه ان اللهو هنا اللعب * وقيل اللهو هنا المرأة * وقال قتادة هذا في لغة أهل اليمن وتكون ردا على من ادعى ان لله زوجة ومعنى من لدنا من عندنا بحيث لا يطلع عليه أحد لأنه نقص فستره أولى * وقال السدي من السماء لا من الارض * وقيل من الحور العين * وقيل من جهة قدرتنا * وقيل من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير * وقال الزمخشري بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي ان الحكمة صارفة عنه والا فأنا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لأني على كل شيء قدير انتهى ولا يجيء هذا الا على قول من قال اللهو هو اللعب وأما من فسره بالولد والمرأة فذلك مستحيل لا تتعلق به القدرة والظاهر ان ان هنا شرطية وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب لو أي ان كنا فاعلين اتخذناه ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله * وقال الحسن وقتادة وجريج ان نافية أي ما كنا فاعلين * بل نقذف أي نرمي بسرعة بالحق وهو القرآن على الباطل وهو الشيطان قاله مجاهد وقال كل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان * وقيل بالحق بالحجة على الباطل وهو شبههم ووصفهم الله بغير صفاته من الولد وغيره * وقيل الحق عام في القرآن والرسالة والشرع والباطل أيضا عام كذلك وبل اضراب عن اتخاذ اللعب واللهو والمعنى انه يدحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه أي أصاب دماغه وذلك مهلك في البشر فكذلك الحق يهلك الباطل * وقرأ عيسى بن عمر فيدمغه بنصب الغين * قال الزمخشري وهو في ضعف قوله

سأترك منزلي لبني تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

* وقرئ فيدمغه بضم الميم انتهى * ولكم الويل خطاب للكفار أي الخزي والهم مما تصفون أي تصفونه مما لا يليق به تعالى من اتخاذ الصاحبة والولد ونسبة المستحيلات اليه * وقيل لكم خطاب لمن تمسك بتكذيب الرسل ونسب القرآن الى أنه سحر وأضغاث أحلام وهو المعنى بقوله مما تصفون وأبعد من ذهب الى أنه التفات من ضمير الغيبة في فما زالت تلك دعواهم الى ضمير الخطاب ثم أخبر تعالى أن من في السموات والأرض ملك له فاندرج فيه من سموه بالصاحبة والولد ومن عنده هم الملائكة واحتمل أن يكون معطوفا على من فيكونون قد اندرجوا في الملائكة بطريق العموم لدخولهم في من وبطريق الخصوص بالنص على أنهم من عنده ويكون لا يستكبرون جملة حالية منهم أو استئناف اخبار واحتمل أن يكون ومن عنده مبتدأ وخبره لا يستكبرون وعنده هنا لا يراد بها ظرف المكان لأنه تعالى منزه عن المكان بل المعنى شرف المكانة وعلو المنزلة والظاهر أن قوله وله من في السموات والارض استئناف اخبار بأن جميع العالم ملكه * وقيل يحتمل أن يكون معادلا لقوله ولكم الويل مما تصفون كأنه يقسم الامر في نفسه أي للمختلفين هذه المقالة الويل ولله تعالى من في السموات والأرض انتهى والمراد أن الملائكة مكرمون منزلون لكرامتهم على الله منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان

أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون * لما ذكر الدلائل على وحدانيته وأن من في السموات والارض ملك له وأن الملائكة المكرمين هم في خدمته عاد الى ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمهم وتسفيه أحلامهم وأم هنا منقطعة تتقدر ببل والهمزة وفيها اضراب وانتقال من خبر الى خبر واستفهام معناه التعجب والانكار أي اتخذوا آلهة من الأرض يتصفون بالاحياء ويقدرون عليها وعلى الاماتة أي لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف بل اتخذوا آلهة جمادا لا تتصف بالقدرة على شئ فهي غير آلهة لأن من صفة الاله القدرة على الاحياء والاماتة (هم ينشرون) صفة لقوله آلهة بعد وصفه بالمجرور الذي هو من الارض والضمير في فيهما عائد على السماء والارض وهما كناية عن العالم والا صفة لآلهة أي آلهة غير الله وكون الا يوصف بها معهود في لسان العرب ومن ذلك ما أنشده سيبويه

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمرو أبيك الا الفرقدان

أي وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه وقال أبو العباس المبرد في الا الله ان يكون بدلا لان ما بعد لو غير موجب في المعنى والبدل في غير الواجب أحسن من الوصف والذي يظهر أن معنى الآية وجود الفساد فيهما مرتبا على وجود الآلهة المغايرة لله وهذا الوجود لم يقع فلا يقع ما يترتب عليه وهو الفساد (فسبحان الله) نزه نفسه عما وصفه به أهل

الجهل ثم وصف نفسه بأنه مالك هذا المخلوق العظيم الذي جميع العالم هو متضمنهم ثم وصف نفسه بكمال القدرة ونهاية الحكمة فقال لا يسأل عما يفعل اذ له ان يفعل في ملكه ما يشاء وفعله على أقصى درجات الحكمة فلا اعتراض ولا تعقب عليه والظاهر في قوله لا يسأل العموم في الازمان (وهم يسألون) عن أعمالهم ثم كرر تعالى عليهم الانكار والتوبيخ فقال أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم وزاد في هذا التوبيخ قوله من دونه فكأنه وبخهم على قصد الكفر بالله عز وجل ثم دعاهم الى الاتيان بالحجة على ما اتخذوا ولا حجة تقوم على أن لله شريكا من جهة العقل ولا النقل بل كتب الله السابقة شاهدة بتنزيهه تعالى عن الشركاء والانداد كما في الوحي الذي جئتكم به (هذا ذكر من معي) أي عظة للذين معي وهم امته (وذكر من قبلي) وهم أمم الانبياء والذكر هنا مرادا به الكتب الالهية ويجوز أن يكون هذا اشارة الى القرآن والمعنى فيه ذكر الاولين والآخرين بالدعوة وبيان الشرع لهم وذكر الاولين بقص أخبارهم وذكر الغيوب في أمورهم والمعنى على هذا عرض القرآن في معرض البرهان أي (هاتوا برهانكم) فهذا برهاني في ذلك ظاهر (وما أرسلنا من قبلك) الآية أخبر تعالى أنه ما أرسل من رسول الا جاء مقررا للتوحيد لله وافراده بالالهية والأمر بالعبادة ولما كان من رسول عاما وكان له لفظ ومعنى أفرد على اللفظ في قوله (الا نوحي إليه) ثم جمع على المعنى في قوله (فاعبدون) ولم يأت التركيب فاعبدني ويحتمل أن يكون الأمر له ولأمته ثم نزه تعالى نفسه عما نسبوا إليه من الولد قيل ونزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله وقالت النصارى نحو هذا في عيسى واليهود في عزير ثم أضرب تعالى عن نسبة الولد إليه فقال (بل عباد مكرمون) تقديره بل هم عباد مكرمون ويشمل هذا اللفظ الملائكة وعزيرا والمسيح (لا يسبقونه بالقول) المعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله (وهم بأمره يعملون) فكما أن قولهم

لشرفهم وفضلهم ويقال حسر البعير واستحسر كل وتعب وحسرته أنا فهو متعد ولازم وأحسرته أيضا وقال الشاعر

بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب

* قال الزمخشري (فان قلت) الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور (قلت) في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون انتهى * يسبحون هم الملائكة باجماع الامة وصفهم بتسبيح دائم * وعن كعب جعل الله لهم التسبيح كالنفس وطرف العين للبشر يقع منهم دائما دون أن يلحقهم فيه سآمة وفي الحديث اني لأسمع أطيط السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع راحة إلا وفيه ملك ساجد أو قائم * (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم

وماخلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين * لما ذكر تعالى الدلائل على وحدانيته وان من فى السموات والارض كلهم ملك له وان الملائكة المكرمين هم فى خدمته لا يفترون عن تسبيحه وعبادته عاد الى ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمهم وتسفيه أحلامهم وأم هنا منقطعة تتقدر ببل والهمزة ففيها اضراب وانتقال من خبر الى خبر واستفهام معناه التعجب والانكار أى اتخذوا آلهة من الارض يتصفون بالاحياء و يقدرون عليها وعلى الاماتة أى لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف بل اتخذوا آلهة جمادا لا يتصف بالقدرة على شئ فهى غير آلهة لان من صفة الاله القدرة على الاحياء والاماتة * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وهم أبعد شئ عن هذه الدعوى لانهم مع اقرارهم بأن الله خالق السموات والارض و بأنه قادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين للبعث وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر فكيف يدعونه للجماد الذى لا يوصف بالقدرة * قلت الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم الالهية يلزمهم أن يدعوا لها الانشاء لأنه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشاء من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكى أو مدنى ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بأنها الاصنام التى تعبد فى الارض لان الآلهة أرضية وسماوية من ذلك حديث الأمة التى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها أن مرادها نفى الآلهة الارضية التى هى الاصنام لاثبات السماء مكانا لله تعالى و يجوز أن يراد آلهة من جنس الارض لانها اما أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الارض (فان قلت) لا بد من نكتة فى قوله هم (قلت) النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا تقدر على الانشاء الا هم وحدهم انتهى * واتخذوا هنا يحتمل أن يكون المعنى فيها صنعوا وصوروا ومن الارض متعلق باتخذوا و يحتمل أن يكون المعنى جعلوا الآلهة أصناما من الارض كقوله أتتخذ أصناما آلهة وقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا وفيه معنى الاصطفاء والاختيار * وقرأ الجمهور ينشرون من مضارع أنشر ومعناه يحيون * وقال قطرب معناه يخلقون كقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق * وقرأ الحسن ومجاهد ينشرون من مضارع نشر وهما لغتان نشر وانشر متعديان ونشر يأتى لازما تقول أنشر الله الموتى فنشروا أى حيوا والضمير فى فيهما عائد على السماء والارض وهما كناية عن العالم والا هنا صفة لآلهة أى آلهة غير الله وكون الا يوصف بها معهود فى لسان العرب ومن ذلك ما أنشد سيبويه رحمه الله

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك إلا الفرقدان

* قال الزمخشرى (فان قلت) ما منعك من الرفع على البدل (قلت) لأن لو بمنزلة ان فى ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ إلا فى الكلام غير الموجب كقوله ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك وذلك لان أعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما و يدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما الا واحدا والثانى أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده كقوله الا الله (فان قلت) لم وجب الامران

طاعته والامتثال لأمره ﴿ولا يشفعون﴾ لما كانوا مقهورين تحت أمره وملكوته وهو محيط بهم لم يجسروا على أن يشفعوا ﴿الا لمن ارتضا﴾ ه الله تعالى وأهله للشفاعة فى زيادة الثواب والتعظيم ثم هم مع ذلك ﴿من خشيته مشفقون﴾ متوقعون حذرون لا يأمنون مكر الله وقال ابن عباس لمن ارتضى هو من قال لا إله الا الله وشفاعتهم الاستغفار ﴿ومن يقل منهم انى إله﴾ بعد أن وصف كرامتهم عليه وأثنى عليهم وأضاف إليهم تلك الافعال السنية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من ادعى منهم أنه إله وذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع علمه بأنه لا يكون كقوله تعالى ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الجزاء نجزى الظالمين وهم الكافرون الواضعون الشئ فى غير موضعه وأداة الشرط تدخل على الممكن والممتنع نحو قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك

(قلت) لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف * وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله أعز علىّ من دم ناظرى ولكن لا يجتمع فحلان فى شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجادل وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر * وقال ابن عطية وذلك بأنه كان يبغى بعضهم على بعض ويذهب بما خلق واقتضاب القول فى هذا ان الهين لو فرضنا بينهما الاختلاف فى تحريك جسم ولا تحريكه فمحال ان تتم الارادتان ومحال أن لا تتم جميعا واذا تمت الواحدة كان صاحب الاخرى عاجزا وهذا ليس باله وجواز الاختلاف عليهما بمنزلة وقوعه منهما ونظر آخر وذلك أن كل جزء يخرج من العدم الى الوجود فمحال أن تتعلق به قدرتان فاذا كانت قدرة أحدهما توجده ففى الآخر فضلا لا معنى له فى ذلك الجزء ثم يتمادى النظر هكذا جزأ جزأ * وقال أبو عبد الله الرازى لو فرضنا موجودين واجبى الوجود لذاتهما فلا بد أن يشتركا فى الوجود ولا بد أن يمتاز كل واحد منهما عن الآخر بعينه وما به المشاركة غير ما به الممايزة فيكون كل واحد مشاركا للآخر وكل مركب فهو مفتقر الى آخر ممكن لذاته فاذا واجب الوجود ليس الا واحدا فكل ما عداه فهو محدث ويمكن جعل هذا تفسيرا لهذه الآية لانا لما دللنا على أنه يلزم من فرض موجودين واجبين أن لا يكون شئ منهما واجبا واذا لم يوجد الواجب لم يوجد شئ من هذه الممكنات فحينئذ يلزم الفساد فى كل العالم * وقال أبو البقاء لا يجوز ان يكون بدلا لأن المعنى يصير الى قولك لو كان فيهما الله لفسدتا ألا ترى انك لو قلت ما جاءنى قوم الا زيد على البدل لكان المعنى جاءنى زيد وحده * وقيل يمتنع البدل لأن ما قبله ايجاب ولا يجوز النصب على الاستثناء لوجهين أحدهما انه فاسد فى المعنى وذلك انك اذا قلت لو جاءنى القوم الا زيدا لقتلتهم كان معناه ان القتل امتنع لكون زيد مع القوم فلو نصب فى الآية لكان المعنى فساد السموات والارض امتنع لوجود الله مع الآلهة وفى ذلك اثبات الاله مع الله واذا رفعت على الوصف لا يلزم مثل ذلك لأن المعنى لو كان فيهما غير الله لفسدتا والوجه الثانى ان آلهة هنا نكرة والجمع اذا كان نكرة لم يستثن منه عند جماعة من المحققين لأنه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء انتهى وأجاز أبو العباس المبرد فى الا الله ان يكون بدلا لان ما بعد لو غير موجب فى المعنى والبدل فى غير الواجب أحسن من الوصف وقد أمعنا الكلام على هذه المسألة فى شرح التسهيل * وقال الاستاذ أبو على الشلوبين فى مسألة سيبويه لو كان معنا رجل الا زيد لغلبنا ان المعنى لو كان معنا رجل مكان زيد لغلبنا فالا بمعنى غير التى بمعنى مكان * وقال شيخنا الاستاذ أبو الحسن بن الصائغ لا يصح المعنى عندى الا ان تكون الا فى معنى غير الذى يراد بها البدل أى لو كان فيهما آلهة عوض واحد أى بدل الواحد الذى هو الله لفسدتا وهذا المعنى أراد سيبويه فى المسألة التى جاء بها توطئة انتهى ولما أقام البرهان على وحدانيته وانفراده بالالوهية نزه نفسه عما وصفه به أهل الجهل بقوله فسبحان الله ثم وصف نفسه بانه مالك هذا المخلوق العظيم الذى جميع العالم هو متضمنهم ثم وصف نفسه بكمال القدرة ونهاية الحكم فقال لا يسأل عما يفعل اذ له أن يفعل فى ملكه ما يشاء وفعله على أقصى درجات الحكمة فلا اعتراض ولا تعقب عليه ولما كانت عادة الملوك أنهم لا يسألون عما يصدر من أفعالهم مع امكان الخطأ فيها كان ملك الملوك أحق بان لا يسأل هذا مع علمنا انه لا يصدر عنه الا ما اقتضته الحكمة العارية عن الخلل والتعقب وجاء عما يفعل اذ الفعل

جامع لصفات الافعال مندرج تحته كل ما يصدر عنه من خلق ورزق ونفع وضر وغير ذلك والظاهر في قوله لا يسأل العموم في الازمان * وقال الزجاج أي في القيامة لا يسأل عن حكمه في عباده وهم يسألون عن أعمالهم * وقال ابن بحر لا يحاسب وهم يحاسبون * وقيل لا يؤاخذ وهم يؤاخذون انتهى وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون واقع منهم الخطأ كثيرا فهم جديرون ان يقال لهم لم فعلتم كذا * وقرأ الحسن لا يسل و يسلون بفتح السين نقل حركة الهمزة الى السين وحذف الهمزة ثم كرر تعالى عليهم الانكار والتوبيخ فقال أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم و زاد في هذا التوبيخ قوله من دونه فكأنه وبخهم على قصد الكفر بالله عز وجل ثم دعاهم الى الاتيان بالحجة على ما اتخذوا ولا حجة تقوم على ان لله تعالى شريكا لا من جهة العقل ولا من جهة النقل بل كتب الله السابقة شاهدة بتنزيهه تعالى عن الشركاء والانداد كما في الوحي الذي جئتكم به هذا ذكر من معي أي عظة للذين معي وهم أمته وذكر للذين من قبلي وهم أمم الانبياء فالذكر هنا مراد به الكتب الالهية و يجوز ان يكون هذا اشارة الى القرآن والمعنى فيه ذكر الاولين والآخرين فذكر الآخرين بالدعوة و بيان الشرع لهم وذكر الاولين بقص أخبارهم وذكر الغيوب في أمورهم والمعنى على هذا عرض القرآن في معرض البرهان أي هاتوا برهانكم فهذا برهاني في ذلك ظاهر * وقرأ الجمهور باضافة ذكر الى من فيهما على اضافة المصدر الى المفعول كقوله بسؤال نعجتك * وقرئ بتنوين ذكر فيهما ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما * وقرأ يحيى بن يعمر وطلحة بتنوين ذكر فيهما وكسر ميم من فيهما ومعنى معي هنا عندي والمعنى هذا ذكر من عندي ومن قبلي أي أذكركم بهذا القرآن الذي عندي كما ذكر الانبياء من قبلي أممهم ودخول من على مع نادر ولكنه اسم يدل على الصحبة والاجتماع أجري مجرى الظرف فدخلت عليه من كما دخلت على قبل و بعد وعند وضعف أبو حاتم هذه القراءة لدخول من على مع ولم ير لها وجها وعن طلحة ذكر منونا معي دون من وذكر منونا قبلي دون من * وقرأت فرقة وذكر من بالاضافة وذكر منونا من قبلي بكسر ميم من * وقرأ الجمهور الحق بالنصب والظاهر نصبه على المفعول به فلا يعلمون أي أصل شرهم وفسادهم هو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل ومن ثم جاء الاعراض عنه * وقال الزمخشري و يجوز ان يكون المنصوب أيضا على معنى التوكيد لمضمون الجملة السابقة كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل فأكد نسبة انتفاء العلم عنهم والظاهر أن الاعراض متسبب عن انتفاء العلم لما فقدوا التمييز بين الحق والباطل أعرضوا عن الحق * وقال ابن عطية ثم حكم عليهم تعالى بأن أكثرهم لا يعلمون الحق لاعراضهم عنه وليس المعنى فهم معرضون لأنهم لا يعلمون بل المعنى فهم معرضون ولذلك لا يعلمون الحق * وقرأ الحسن وحميد وابن محيصن الحق بالرفع * قال صاحب اللوامح ابتداء والخبر مضمر أو خبر والمبتدأ قبله مضمر * وقال ابن عطية هذا القول هو الحق والوقف على هذه القراءة على لا يعلمون * وقال الزمخشري وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل انتهى ولما ذكر انتفاء علمهم الحق واعراضهم أخبر أنه ما أرسل من رسول الا جاء مقررا لتوحيد الله وافراده بالالهية والأمر بالعبادة ولما كان من رسول عاما لفظا ومعنى أفرد على اللفظ في قوله الا يوحى اليه ثم جمع على المعنى في قوله فاعبدون ولم يأت التركيب فاعبدني و يحتمل أن يكون الأمر له ولأمته وهذه العقيدة من

توحيد الله لم تختلف فيها النبوات وانما وقع الاختلاف في أشياء من الاحكام * وقرأ الاخوان والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى والقطعي وابن غزوان عن أيوب وخلف وابن سعدان وابن عيسى وابن جرير نوحي بالنون وبقي السبعة بالياء وفتح الحاء واختلف عن عاصم ثم نزه تعالى نفسه عما نسبوا اليه من الولد * قيل ونزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله وقالت النصارى نحو هذا في عيسى واليهود في عزير ثم أضرب تعالى عن نسبة الولد اليه فقال بل عباد مكرمون ويشمل هذا اللفظ الملائكة وعزيرا والمسيح ويظهر من كلام الزمخشري أنه مخصوص بالملائكة قال نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا أنهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غرهم من زعم أنهم أولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا انتهى * وقرأ عكرمة مكرمون بالتشديد والجمهور بالتخفيف * وقرأ لا يسبقونه بكسر الباء * وقرئ بضمها من سابقني فسبقته أسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيأ حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله وأل في بالقول نابت مناب الضمير على مذهب الكوفيين أي بقولهم وكذا قال الزمخشري والمراد بقولهم فأنيبت اللام مناب الاضافة أو الضمير محذوف أي بالقول منهم وذلك على مذهب البصريين * وهم بأمره يعملون فكان قولهم تابع لقوله كذلك فعلهم مبني على أمره لا يعملون عملا مالم يؤمروا به وهذه عبارة عن توغلهم في طاعته والامتثال لامره ثم أخبر تعالى أنه يعلم ما بين أيديهم أي ما تقدم من أفعالهم وأقوالهم والحوادث التي لها اليهم تسبب وما تأخر وعلمه بذلك يجري مجرى السبب لطاعتهم لما علموه عالما بجميع المعلومات وظواهرهم وبواطنهم كان ذلك داعيا لهم الى نهاية الخضوع والدؤوب على العبادة * قال ابن عباس يعلم ما قدموا وما أخروا من أعمالهم * وقال نحوه عمار بن ياسر قال ما عملوا وما لم يعملوا بعد وقيل ما بين أيديهم الآخرة وما خلفهم الدنيا * وقيل عكس ذلك * وقيل يعلم ما كان قبل أن خلقهم وما كان بعد خلقهم ولما كانوا مقهورين تحت أمره وملكوته وهو محيط بهم لم يجسروا على أن يشفعوا الا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في زيادة الثواب والتعظيم ثم هم مع ذلك من خشيته مشفقون متوقعون حذرون لا يأمنون مكر الله * وقال ابن عباس لمن ارتضى هو من قال لا اله الا الله وشفاعتهم الاستغفار * وقال مجاهد لمن ارتضاه الله أن يشفع * وقيل شفاعتهم في القيامة وفي الصحيح انهم يشفعون في الدنيا والآخرة وبعد أن وصف كرامتهم عليه وأثنى عليهم وأضاف اليهم تلك الافعال السنية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من ادعى منهم أنه إله وذلك على سبيل العرض والتمثيل مع علمه بأنه لا يكون كقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد * وقرأ الجمهور نجزيه بفتح النون * وقرأ أبو عبد الرحمن المقري بضمها أراد نجزئه بالهمز من أجزأني كذا كفاني ثم خفف الهمزة فانقلبت ياء كذلك أي مثل هذا الجزاء نجزي الظالمين وهم الكافرون الواضعون الشيء في غير موضعه وأداة الشرط تدخل على الممكن والممتنع نحو قوله لئن أشركت ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا

تنزيهه عن الشريك وتوكيد لما تقدم من أدلة التوحيد وقوله ﴿ كانتا رتقا ﴾ قال الزجاج السموات جمع أريد به الواحد ولهذا قال كانتا رتقا لانه أراد السماء والارض قال ابن عباس وجماعة كانتا شيأ واحدا ففصل الله بينهما بالهواء وقيل في الرتق والفتق غير ذلك يقال رتق الشيء سده فارتتق ومنه الرتقاء للمنضمة الفرج وفتق فصل ما بين المتصلين ﴿ وجعلنا ﴾ ان تعدت لواحد كانت بمعنى خلقنا ﴿ من الماء كل ﴾ حيوان أي مادته النطفة وان تعدت الى اثنين فالمعنى صيرنا كل ﴿ شيء حي ﴾ متسببا من الماء لابد له منه ﴿ أفلا يؤمنون ﴾ استفهام انكار وفيه معنى التعجب من ضعف عقولهم والمعنى أفلا يتدبرون هذه الادلة ويعملوا بمقتضاها ﴿ وجعلنا في الارض رواسي ﴾ تقدم نظيره في النحل والظاهر أن الضمير في فيها عائد على الارض وقيل على الرواسي وجاء هنا تقديم فجاجا على قوله سبلا وفي سورة نوح لتسلكوا منها سبلا فجاجا لأجل الفواصل ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ﴾ وما رفع وسمك على شيء فهو سقف وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى السماء فقال ان السماء سقف مرفوع وموج مكفوف يجري كما يجري السهم محفوظا من الشياطين

﴿وهم عن آياتها﴾ أي عما وضع الله تعالى فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار﴾ قدم الليل لان الظلمة تسبق النور والشمس على القمر لأن القمر يستمد النور منها ﴿كل في فلك﴾ الفلك الجسم الدائر دورة اليوم والليلة وعن ابن عباس الفلك السماء وقال أكثر المفسرين الفلك موج مكفوف (٣٠٨) تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر كل في فلك الذي حذف مضافه يجوز أن يعود الضمير عليه مفردا كقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته ويجوز أن يعود عليه جمعا كقوله تعالى وكل كانوا ظالمين وجاء هنا بضمير الجمع في قوله يسبحون رعيا للفواصل وكنى بالسبح عن الجريان وجاء الضمير مجموعا وان كان عائدا على الشمس والقمر باعتبار أوقات مطالعهما لكثرة المطالع ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ قيل ان بعض المسلمين قال ان محمدا لا يموت وانما هو مخلد فأنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والفاء في أفان مت للعطف وقدمت عليها همزة الاستفهام لان الاستفهام له صدر الكلام وهمزة الاستفهام دخلت على ان الشرطية والجملة بعدها جواب الشرط وليست مصب الاستفهام فتكون الهمزة داخلة عليها واعترض الشرط بينهما فحذف جوابه هذا مذهب سيبويه وزعم يونس أن تلك الجملة هي مصب الاستفهام والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف وفي هذه الآية دليل لمذهب سيبويه وللمذهبين تقرير في علم النحو ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ تقدم الكلام عليه ﴿ونبلوكم﴾ نختبركم وقدم الشر لان الابتلاء به أكثر ولأن العرب تقدم الأقل والاردأ وعن ابن عباس الخير والشر هنا عام في الغنى والفقر والصحة والمرض والطاعة والمعصية ﴿والينا ترجعون﴾ فنجازيكم على ما صدر منكم في حالة الابتلاء من الصبر والشكر وفي غير الابتلاء

السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ﴾ هذا استفهام توبيخ لمن ادعى مع الله آلهة ودلالة على تنزيهه عن الشريك وتوكيد لما تقدم من أدلة التوحيد ورد على عبدة الاوثان من حيث ان الاله القادر على هذه المخلوقات المتصرف فيها التصرف العجيب كيف يجوز في العقل أن يعدل عن عبادته الى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع والرؤية هنا من رؤية القلب * وقيل من رؤية البصر وذلك على الاختلاف في الرتق والفتق * وقرأ ابن كثير وحميد وابن محيصن ألم ير بغير واو العطف والجمهور أولم بالواو * كانتا قال الزجاج السموات جمع أريد به الواحد ولهذا قال كانتا رتقا لانه أراد السماء والارض ومنه ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا جعل السموات نوعا والارضين نوعا فأخبر عن النوعين كما أخبر عن اثنين كما تقول أصلحت بين القوم ومر بنا غنمان أسودان لقطيعي غنم * وقال الحوفي قال كانتا رتقا والسموات جمع لانه أراد الصنفين ومنه قول الاسود بن يعفر

ان المنية والحتوف كلاهما * يوفي المخارم يرقبان سوادي

لانه أراد النوعين * وقال أبو البقاء الضمير يعود على الجنسين * وقال الزمخشري وانما قال كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان أراد جماعتان فعل في المضمر ما فعل في المظهر * وقال ابن عطية وقال كانتا من حيث هما نوعان ونحوه قول عمرو بن شييم

ألم يحزنك ان جبال قيس * وتغلب قد تباينتا انقطاعا

* قال ابن عباس والحسن وعطاء والضحاك وقتادة كانتا شيأ واحدا ففصل الله بينهما بالهواء * وقال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها وجعل السموات سبعا والارضين سبعا * وقال مجاهد والسدي وأبو صالح كانت السموات والارض مؤتلفة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارضون كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبعا * وقالت فرقة السموات والارض رتق بالظلمة وفتقها الله بالضوء * وقالت فرقة السماء قبل المطر رتق والارض قبل النبات رتق ففتقناهما بالمطر والنبات كما قال والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع * قال ابن عطية وهذا قول حسن يجمع العبرة وتعديد النعمة والحجة للمحسوس بين ويناسب قوله وجعلنا من الماء كل شئ حي أي من الماء الذي أوجده الفتق انتهى وعلى هذين القولين تكون الرؤية من البصر وعلى ما قبلهما من رؤية القلب وجاء تقريرهم بذلك لانه

وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد ولان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلابد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو الله سبحانه وقرأ الجمهور رتقا بسكون التاء وهو مصدر يوصف به كزور وعدل فوقع خبرا للمثنى * وقرأ الحسن وزيد ابن علي وأبو حيوة وعيسى رتقا بفتح التاء وهو اسم المرتوق كالقبض والنفض فكان قياسه أن يثنى ليطابق الخبر الاسم * فقال الزمخشري هو على تقدير موصوف أي كانتا شيأ رتقا * وقال أبو الفضل الرازي الاكثر في هذا الباب أن يكون المتحرك منه اسما بمعنى المفعول والساكن مصدرا وقد يكونان مصدرين لكن المتحرك أولى بأن يكون في معنى المفعول لكن هنا الاولى أن يكونا مصدرين فأقيم كل واحد منهما مقام المفعولين ألا ترى انه قال كانتا رتقا فلو جعلت أحدهما اسما لوجب أن تثنيه فأما قال رتقا كان في الوجهين كرجل عدل ورجلين عدل وقوم عدل انتهى * وجعلنا ان تعدت لواحد كانت بمعنى وخلقنا من الماء كل حيوان أي مادته النطفة قاله قطرب وجماعة أولما كان قوامه الماء المشروب وكان محتاجا اليه لا يصبر عنه جعل مخلوقا منه كقوله خلق الانسان من عجل قاله الكلبي وغيره وتكون الحياة على هذا حقيقة ويكون كل شيء عاما مخصوصا إذ خرج منه الملائكة والجن وليسوا مخلوقين من نطفة ولا محتاجين للماء * وقال قتادة أي خلقنا كل نام من الماء فيدخل فيه النبات والمعدن وتكون الحياة فيهما مجازا أو عبر بالحياة عن القدر المشترك بينهما وبين الحيوان وهو النمو ويكون أيضا على هذا عاما مخصوصا وان تعدت جعلنا لاثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لابد له منه * وقرأ الجمهور حي بالخفض صفة لشيء * وقرأ حميد حيا بالنصب مفعولا ثانيا لجعلنا والجار والمجرور لغو أي ليس مفعولا ثانيا لجعلنا * أفلا يؤمنون استفهام انكار وفيه معنى التعجب من ضعف عقولهم والمعنى أفلا يتدبرون هذه الأدلة ويعملوا بمقتضاها ويتركوا طريقة الشرك وأطلق الايمان على سببه وقد انتظمت هذه الآية دليلين من دلائل التوحيد وهي من الأدلة السماوية والأرضية * ثم ذكر دليلا آخر من الدلائل الأرضية فقال وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وتقدم شرح نظير هذه الجملة في سورة النحل * وجعلنا فيها فجاجا سبلا وهذا دليل رابع من الدلائل الأرضية والظاهر ان الضمير في فيها عائد على الأرض * وقيل يعود على الرواسي وجاء هنا تقديم فجاجا على قوله سبلا وفي سورة نوح لتسلكوا منها سبلا فجاجا * فقال الزمخشري وهي يعني فجاجا صفة ولكن جعلت حالا كقوله * لمية موحشا طلل * يعني انها حال من سبل وهي نكرة فلو تأخر فجاجا لكان صفة كما في تلك الآية ولكن تقدم فانتصب على الحال قال (فان قلت) ما الفرق بينهما من جهة المعنى (قلت) وجهان أحدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة انتهى يعني بالابهام ان الوصف لا يلزم أن يكون الموصوف متصفا به حالة الاخبار عنه وان كان الأكثر قيامه به حالة الاخبار عنه ألا ترى انه يقال مررت بوحشي القاتل حمزة فحالة المرور لم يكن قائما به قتل حمزة وأما الحال فهي هيئة ما تخبر عنه حالة الاخبار * لعلهم يهتدون في مسالكهم وتصرفهم ومارفع وسمك على شيء فهو سقف * قال قتادة حفظ من البلى والتغير على طول الدهر * وقيل حفظ من السقوط لامساكه من غير علاقة ولا عماد * وقيل حفظ من الشرك والمعاصي * وقال الفراء حفظ من الشياطين بالرجوم * وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى السماء فقال ان السماء سقف مرفوع وموج مكفوف يجري كما يجري السهم محفوظا من الشياطين واذا صح هذا الحديث كان نصا في معنى الآية

*وهم عن آياتها أي عن ماوضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة * وقرأ الجمهور عن آياتها بالجمع * وقرأ مجاهد وحميد عن آيتها بالافراد فيجوز انه جعل الجمل أو السقف أو الخلق أي خلق السماء آية واحدة تحوي الآيات كلها ويجوز انه أراد بها الجمع فجعلها اسم الجنس ودل على ذلك كثرة مافي السماء من الآيات والمعنى وهم عن الاعتبار بآياتها معرضون *وقال الزمخشري هم يتفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنياوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الأرض والحيوان بأمطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون والتنوين في كل عوض من المضاف اليه والفلك الجسم الدائر دورة اليوم والليلة * وعن ابن عباس والسدي الفلك السماء * وقال أكثر المفسرين الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر * وقال قتادة الفلك استدارة بين السماء والأرض يدور بالنجوم مع ثبوت السماء * وقيل الفلك القطب الذي تدور عليه النجوم وهو قطب الشمال * وقيل لكل واحد من السيارات فلك وفلك الأفلاك يحركها حركة واحدة من المشرق الى المغرب * وقال الضحاك الفلك ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم والظاهر انه جسم وفيه الاختلاف المذكور والظاهر ان كلا يسبح في فلك واحد * قيل ولكل واحد فلك يخصه فهو كقولهم كساهم الأمير حلة أي كسى كل واحد وجاء يسبحون بواو الجمع العاقل فأما الجمع فقيل ثم معطوف محذوف وهو والنجوم ولذلك عاد الضمير مجموعا ولو لم يكن ثم معطوف محذوف لكان يسبحان مثنى * وقال الزمخشري الضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشموس والاقمار والإ فالشمس واحدة والقمر واحد انتهى وحسن ذلك كونه جاء فاصلة رأس آية وأما كونه ضمير من يعقل ولم يكن التركيب يسبحن *فقال الفراء لما كانت السباحة من أفعال الآدميين جاء ما أسند اليهما مجموعا جمع من يعقل كقوله رأيتهم لي ساجدين * قال أبو عبد الله الرازي وعلى قول أبي علي بن سينا سبب ذلك انها عنده تعقل انتهى وهذه الجملة يحتمل أن تكون استئناف اخبار فلا محل لها أو محلها النصب على الحال من الشمس والقمر لان الليل والنهار لا يتصفان بانهما يجريان في فلك فهو كقولك رأيت زيدا وهندا متبرجة والسباحة العوم والذي يدل عليه الظاهر ان الشمس والقمر هما اللذان يجريان في الفلك وان الفلك لا يجري وماجعلنا الآية *قيل ان بعض المسلمين قال ان محمدا لن يموت وانما هو مخلد فأنكر ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت * وقيل طعن كفار مكة عليه بانه بشر يأكل الطعام ويموت فكيف يصح ارساله * وقال الزمخشري كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشرا فلا أنت ولاهم الا عرضة للموت فان مت أيبقى هؤلاء وفي معناه قول الامام الشافعي رضي الله عنه

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى * تزود لأخرى مثلها فكأن قد

﴿ وقول الآخر ﴾

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

والفاء في أفان مت للعطف قدمت عليها همزة الاستفهام لان الاستفهام له صدر الكلام دخلت على

﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾ الآية قال السدي ومقاتل مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي جهل وأبي سفيان فقال أبو جهل هذا نبي بني عبد مناف فقال أبو سفيان وما تنكر أن يكون نبيا في بني عبد مناف فسمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأبي جهل ما تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة وأما أنت يا أبا سفيان فانما قلت ما قلته حمية فنزلت وان نافية بمعنى ما والظاهر ان جواب إذا هو ان يتخذونك وجوب اذا بان النافية لم يرد منه في القرآن الا هذا وقوله في الفرقان واذا رأوك إن يتخذونك الاهزوا ولم يحتج الى الفاء في الجواب كما لم تحتج إليه ما إذا وقعت جوابا كقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم بخلاف أدوات الشرط فانها اذا كان الجواب مصدرا بما النافية فلابد من الفاء نحو ان تزرنا فما نسيء إليك ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أهذا استفهام فيه انكار وتعجيب والذكر يكون بالخير والشر فاذا لم يذكر متعلقه فالقرينة تدل عليه فان كان من صديق فالذكر ثناء أو من غيره فذم ومنه قالوا سمعنا فتى يذكرهم أي بسوء وكذلك هنا أي

أهذا الذي يذكر آلهتكم ثم نعى عليهم انكارهم عليه ذكر آلهتهم بهذه الجملة الحالية وهي وهم بذكر الرحمن هم كافرون أي منكرون وهذه حالهم يكفرون بذكر الرحمن وهو ما أنزل من القرآن فمن هذه حاله لا ينبغي أن ينكر على من يعيب آلهتهم والظاهر أن هذه الجملة حال من الضمير في يقولون المحذوف ولما كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى الاقرار والعلم نهاهم تعالى عن الاستعجال وقدم أولا ذم الانسان على فراط العجلة وأنه مطبوع عليها والظاهر أنه يراد بالانسان هنا اسم الجنس وكونه خلق من عجل هو على سبيل المبالغة لما كان يصدر منهم كثيرا كما تقول لكثير اللعب أنت من لعب ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ متى استفهام على جهة الهزء وكان المسلمون يتوعدونهم على لسان الشرع * ومتى في موضع الخبر لهذا فموضعه رفع وهو على حذف مضاف تقديره متى انجاز هذا الوعد ﴿لو يعلم الذين كفروا﴾ الآية الظاهر أن مفعول يعلم محذوف لدلالة ما قبله عليه أي لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعود الذي سألوا عنه واستبطؤه وحين منصوب بالمفعول الذي هو مجيء ويجوز أن يكون من باب الاعمال على حذف مضاف وأعمل الثاني والمعنى لو يعلمون مباشرة النار حين لا يكفونها عن وجوههم وذكر الوجه لأنه أشرف ما في الانسان ومحل حواسه والانسان أحرص على الدفاع عنه من غيره من أعضائه ثم عطف عليها الظهور والمراد عموم النار لجميع أبدانهم ولا أحد يمنعهم من العذاب وجواب لو محذوف تقديره لسعوا فيما يخلصهم من عذاب الله والظاهر أن الضمير في تأتيهم عائد على النار * بغتة أي فجأة

ان الشرطية والجملة بعدها جواب للشرط وليست مصب الاستفهام فتكون الهمزة داخلة عليها واعترض الشرط بينهما فحذف جوابه هذا مذهب سيبويه * وزعم يونس أن تلك الجملة هي مصب الاستفهام والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف * قال ابن عطية وألف الاستفهام داخلة في المعنى على جواب الشرط انتهى وفي هذه الآية دليل لمذهب سيبويه اذ لو كان على ما زعم يونس لكان التركيب أفان مت هم الخالدون بغير فاء وللمذهبين تقرير في علم النحو * كل نفس ذائقة الموت تقدم تفسير هذه الجملة * ونبلوكم نختبركم وقدم الشر لان الابتلاء به أكثر ولان العرب تقدم الأقل والارد أ ومنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات * وعن ابن عباس الخير والشر هنا عام في الغنى والفقر والصحة والمرض والطاعة والمعصية والهدى والضلال * قال ابن عطية هذان الأخيران ليسا داخلين في هذا الان من هدى فليس هداه اختبارا ولا من أطاع بل قد تبين خيره والظاهر أن المراد من الخير والشر هنا كل ما صح أن يكون فتنة وابتلاء انتهى * وعن ابن عباس أيضا بالشدة والرخاء أتصبرون على الشدة وتشكرون على الرخاء أم لا * وقال الضحاك الفقر والمرض والغنى والصحة * وقال ابن زيد المحبوب والمكروه وانتصب فتنة على انه مفعول له أو مصدر في موضع الحال أو مصدر من معنى نبلوكم * والينا ترجعون فنجازيكم على ما صدر منكم في حالة الابتلاء من الصبر والشكر وفي غير الابتلاء * وقرأ الجمهور ترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول * وقرأت فرقة بالتاء مفتوحة مبنيا للفاعل * وقرأت فرقة بضم الياء للغيبة مبنيا للمفعول على سبيل الالتفات ﴿ واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الاهزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار

تعالى بأن من تقدمه من الرسل وقع من أممهم الاستهزاء بهم وأن ثمرة استهزائهم جنوها هلاكا وعقابا فى الدنيا والآخرة فكذلك حال هؤلاء المستهزئين وتقدم تفسير مثل هذه الآية فى الانعام ثم أمره تعالى أن يسألهم من الذى يحفظكم فى أوقاتكم من بأس الله أى لا أحد يحفظكم منه وهو استفهام توبيخ وتقريع وفى الكلام تقدير محذوف كأنه قال ليس لهم مانع ولا كالىء وعلى هذا النفى تركبت بل فى قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴿تمنعهم من دوننا﴾ أى من جهة غير جهتنا ويجوز أن يكون فى موضع الصفة لقوله آلهة أى كائنة من جهتنا تمنعهم لما ذكر تعالى نفى منع آلهتهم وذكر أيضا عنهم أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منقادون منا أى يؤخذون منا يقال أصحب فلان فلانا اذا أقاده ومنه قول الشاعر

ولست بذى رثية إمر اذا قيد مستكرها أصحبا

يريد انقاد والرثية البطؤ فى الشى والامر الرجل الذى يطيع كل ما أمر

ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون ﴿ قال السدى ومقاتل مر الرسول عليه الصلاة والسلام بأبى جهل وأبى سفيان فقال أبو جهل هذا نبى بنى عبد مناف فقال أبو سفيان وما تنكرون أن يكون نبيا فى بنى عبد مناف فسمعهما الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لأبى جهل ما تنتهى حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة وأما أنت يا أبا سفيان فانما قلت ما قلت حمية فنزلت ولما كان الكفار يغمهم ذكر آلهتهم بسوء شرعوا فى الاستهزاء وتنقيص من يذكرهم على سبيل المقابلة وان نافية بمعنى ما والظاهر ان جواب اذا هو ان يتخذونك وجواب اذا بان النافية لم يرد منه فى القرآن الا هذا وقوله فى القرآن واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ولم يحتج الى الفاء فى الجواب كما لم تحتج اليه ما اذا وقعت جوابا كقوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم بخلاف أدوات الشرط فانها اذا كان الجواب مصدرا بما النافية فلا بد من الفاء نحو ان تزورنا فما نسىء اليك وفى الجواب لاذا بان وما النافيتين دليل واضح على أن اذا ليست معمولة للجواب بل العامل فيها الفعل الذى يليها وليست مضافة للجملة خلافا لأكثر النحاة وقد استدللنا على ذلك بغير هذا من الأدلة فى شرح التسهيل ﴿ وقيل جواب اذا محذوف وهو يقولون المحكى به قولهم أهذا الذى يذكر آلهتكم وقوله ان يتخذونك الا هزوا كلام معترض بين اذا وجوابه ويتخذونك يتعدى الى اثنين والثانى هزوا أى مهزوا به وهذا استفهام فيه انكار وتعجيب والذكر يكون بالخير وبالشر فاذا لم يذكر متعلقه فالقرينة تدل عليه فان كان من صديق فالذكر ثناء أو من غيره فذم ومنه سمعنا فتى يذكرهم أى بسوء وكذلك هنا أهذا الذى يذكر آلهتكم ثم نعى عليه انكارهم عليه ذكر آلهتهم بهذه الجملة الحالية وهى وهم بذكر الرحمن هم كافرون أى ينكرون وهذه حالهم يكفرون بذكر الرحمن وهو ما أنزل من القرآن فمن هذه حاله لا ينبغى أن ينكر على من يعيب آلهتهم والظاهر ان هذه الجملة حال من الضمير فى يقولون المحذوف ﴿ وقال الزمخشرى والجملة فى موضع الحال أى يتخذونك هزوا وهم على حال هى أصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله انتهى فجعل الجملة الحالية العامل فيها يتخذونك هزوا المحذوفة وكررهم على سبيل التوكيد وروى أنها نزلت حين أنكروا لفظة الرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن الا فى اليمامة والمراد بالرحمن هنا الله كأنه قيل وهم بذكر الله ولما كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى الاقرار والعلم نهاهم تعالى عن الاستعجال وقدم أولا ذم الانسان على افراط العجلة وأنه مطبوع عليها والظاهر انه يراد بالانسان هنا اسم الجنس وكونه خلق من عجل وهو على سبيل المبالغة لما كان يصدر منه كثيرا كما يقول لمكثر اللعب أنت من لعب وفى الحديث لست من ددولا ددمنى ﴿ وقال الشاعر

وانا لمما يضرب الكبش ضربة ﴿ على رأسه تلقى اللسان من الفم

لما كانوا أهل ضرب الهام وملازمة الحرب قال انهم من الضرب وبهذا التأويل يتم معنى الآية ويترتب عليه قوله سأريكم آياتى أى آيات الوعيد فلا تستعجلون فى رؤيتكم العذاب الذى تستعجلون به ومن يدعى القلب فيه وهو أبو عمرو وان التقدير خلق العجل من الانسان وكذا قراءة عبد الله على معنى انه جعل طبيعة من طبائعه وجزأ من أخلاقه فليس قوله بجيد لان القلب الصحيح

فيه أن لا يكون فى كلام فصيح وان بابه الشعر * قيل فما جاء فى الكلام من ذلك قول العرب اذا طامت الشعرى استوى العود على الحرباء وقالوا اعرضت الناقة على الحوض وفى الشعر قوله

* حسرت كفى عن السربال آخذه * وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدى والضحاك ومقاتل والكلبى الانسان هنا آدم * قال مجاهد لما دخل الروح رأسه وعينيه رأى الشمس قاربت الغروب فقال يارب عجل تمام خلقى قبل أن تغيب الشمس * وقال سعيد لما بلغت الروح ركبتيه كاد يقوم فقال الله خلق الانسان من عجل * وقال ابن زيد خلقه الله يوم الجمعة على عجلة فى خلقه * وقال الأخفش من عجل لان الله قال له كن فكان * وقال الحسن من عجل أى ضعيف يعنى النطفة * وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير ترتيب الآدميين من النطفة والعلقة والمضغة وهذا يرجع لقول الاخفش * وقيل من عجل من طين والعجل بلغة حمير الطين * وأنشد أبو عبيدة لبعض الحمير بين

النبع فى الصخرة الصماء منبته * والنخل منبته فى الماء والعجل

* وقيل الانسان هنا النضر بن الحارث والذى ينبغى أن تحمل الآية عليه هو القول الاول وهو الذى يناسب آخرها * والآيات هنا قيل الهلاك المعجل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة أى يأتيكم فى وقته * وقيل أدلة التوحيد وصدق الرسول * وقيل آثار القرون الماضية بالشام واليمن والقول الأول أليق أى سيأتى ما يسوؤكم اذا دمتم على كفركم كأنه يريد يوم بدر وغيره فى الدنيا وفى الآخرة * وقال الزمخشرى (فان قلت) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق (قلت) هذا كما ركب فيه من الشهوة وأمره أن يغلبها لأنه أعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة انتهى وهو على طريق الاعتزال * وقرأ مجاهد وحميد وابن مقسم خلق مبنيا للفاعل الانسان بالنصب أى خلق الله الانسان وقوله متى هذا الوعد استفهام على جهة الهزء وكان المسلمون يتوعدونهم على لسان الشرع ومتى فى موضع الجر لهذا فموضعه رفع ونقل عن بعض الكوفيين ان موضع متى نصب على الظرف والعامل فيه فعل مقدر تقديره يكون أو يجىء وجواب لو محذوف لدلالة الكلام عليه وحذفه أبلغ وأهيب من النص عليه فقدره ابن عطية لما استعجلوا ونحوه وقدره الزمخشرى لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال * وقيل لعلموا صحة البعث * وقيل لعلموا صحة الموعود * وقال الحوفى لسارعوا الى الايمان * وقال الكسائى هو تنبيه على تحقيق وقوع الساعة وحين يراد به وقت الساعة يدل على ذلك بل تأتيهم بغتة انتهى وحين قال الزمخشرى مفعول به ليعلم أى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم النار من وراء وقدام ولكن جهلهم به هو الذى هونه عندهم قال ويجوز أن يكون يعلم متروكا فلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر أى حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفى عنهم هذا الجهل العظيم أى لا يكفونها انتهى والذى يظهر ان مفعول يعلم محذوف لدلالة ما قبله أى لو يعلم الذين كفروا مجىء الموعود الذى سألوا عنه واستبطوه * وحين منصوب بالمفعول الذى هو مجىء ويجوز أن يكون من باب الاعمال على حذف مضاف وأعمل الثانى والمعنى لو يعلمون مباشرة النار حين لا يكفونها عن وجوههم وذكر الوجوه لأنها أشرف ما فى الانسان ومحل حواسه والانسان أحرص على الدفاع عنه من غيره من أعضائه ثم عطف عليها الظهور والمراد عموم النار لجميع أبدانهم ولا أحد

﴿بل متعنا هؤلاء﴾ قال أكثر المفسرين انها نزلت في كفار مكة وهؤلاء إشارة الى المخاطبين من كفار مكة ومن اتخذ آلهة من دون الله أخبر تعالى أنه متع هؤلاء الكفار وآباءهم من قبلهم بما رزقهم من حطام الدنيا حتى طالت أعمارهم في رخاء ونعمة وتدعوا في الضلالة بامهاله اياهم وتأخيرهم الى الوقت الذي يأخذهم فيه ﴿أفلا يرون أنا نأتي الارض﴾ تقدم تفسير هذه الجملة في آخر الرعد وفي قوله أفهم الغالبون دليل على أنهم هم المغلوبون فهو استفهام فيه تقريع لهم وتوبيخ حيث لم يعتبروا بما يجرى عليهم ثم أمره تعالى أن يقول لهم انما أنذركم بالوحي أي أعلمكم بما تخافون منه بوحي من الله لامن تلقاء نفسي وما كان من جهة الله فهو الصدق الواقع لامحالة كما رأيتم بالعيان من نقصان الارض من أطرافها * ثم أخبر أنهم مع انذارهم معرضون عما أنذروا به والانذار لا يجدى فيهم اذهم صم عن سماعه ولما كان الوحي من المسموعات كان ذكر الصم مناسبا والصم هم المنذرون فأل فيه للعهد وناب الظاهر مناب المضمر لان فيه التصريح بتصامهم وسد أسماعهم اذا أنذروا ونفي السماع هنا هو نفي جدواه ثم أخبر تعالى أن هؤلاء الذين صموا عن سماع ما أنذروا به إذا نالهم شئ مما أنذروا به ولو كان يسيرا نادوا بالهلاك وأقروا بأنهم كانوا ظالمين نبهوا على العلة التي أوجبت لهم العذاب وهو ظلم الكفر وذلوا وأذعنوا قال ابن عباس نفحة طرف وعنه هو الجوع الذي نزل بمكة ولما ذكر حالهم في الدنيا اذا أصيبوا بشئ استطرد لما يكون في الآخرة التي هي مقر الثواب والعقاب فأخبر تعالى عن عدله وأسند ذلك الى نفسه بنون العظمة فقال

يمنعهم من العذاب بل تأتيهم بغتة أي تفجؤهم * قال ابن عطية بل تأتيهم استدراك مقدر قبله نفي تقديره ان الآيات لا تأتي بحسب اقتراحهم انتهى والظاهر ان الضمير في تأتيهم عائد على النار * وقيل على الساعة التي تصيرهم الى العذاب * وقيل على العقوبة * وقال الزمخشري في عود الضمير الى النار أو الى الوعد لأنه في معنى النار وهي التي وعدوها أو على تأول بل العدة والموعدة أو الى الحين لأنه في معنى الساعة أو الى البغتة انتهى * وقرأ الاعمش بل يأتيهم بالياء بغتة بفتح الغين فيبهتهم بالياء والضمير عائد الى الوعد أو الحين قاله الزمخشري * وقال أبو الفضل الرازي لعله جعل النار بمعنى العذاب فذكر ثم رد ردها الى ظاهر اللفظ * ولا هم ينظرون أي يؤخرون عما حل بهم ولما تقدم قوله ان يتخذونك الا هزوا سلاه تعالى بأن من تقدمه من الرسل وقع من أممهم الاستهزاء بهم وان ثمرة استهزائهم جنوها هلاكا وعقابا في الدنيا والآخرة فكذلك حال هؤلاء المستهزئين وتقدم تفسير مثل هذه الآية في الانعام ثم أمره تعالى أن يسألهم من الذي يحفظكم في أوقاتكم من بأس الله أي لا أحد يحفظكم منه وهو استفهام تقريع وتوبيخ وفي آخر الكلام تقدير محذوف كأنه ليس لهم مانع ولا كالئ وعلى هذا النفي تركيب بل في قوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون قاله ابن عطية * وقال الزمخشري بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم انتهى * وقرأ أبو جعفر والزهري وشيبة يكلوكم بضمة خفيفة من غير همز * وحكى الكسائي والفراء يكلوكم بفتح اللام واسكان الواو * أم لهم آلهة أم بمعنى بل والهمزة كأنه قيل بل ألهم آلهة فأضرب ثم استفهم تمنعهم من العذاب * وقال الحوفي من دوننا متعلق بتمنعهم انتهى * قيل والمعنى ألهم آلهة تجعلهم في منعة وعز من أن ينالهم مكروه من جهتنا * وقال ابن عباس في الكلام تقديم وتأخير تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم تقول منعت دونه كففت أذاه فمن دوننا هو من صلة آلهة أي أم لهم آلهة دوننا أو من صلة تمنعهم أي أم لهم مانع من سوانا ثم استأنف الاخبار عن آلهتهم فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره و ينصره * وقال ابن عباس يصحبون يمنعون * وقال مجاهد ينصرون * وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير * وقال الشاعر

ينادي بأعلى صوته متعوذا * ليصحب منا والرماح دوان

* وقال مجاهد يحفظون * وقال السدي لا يصحبهم من الملائكة من يدفع عنهم والظاهر عود الضمير في ولا هم على الاصنام وهو قول قتادة * وقيل على الكفار وهو قول ابن عباس وفي التحرير مدار هذه الكلمة يعني يصحبون على معنيين أحدهما انه من صحب يصحب والثاني من الاصحاب أصحب الرجل منعه من الآفات ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل انما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء

﴿ ونضع الموازين ﴾ وتقدم الكلام على الموازين في أول الاعراف والقسط مصدر قسط وصفت به الموازين مبالغة فكأنها جعلت في أنفسها القسط أو على حذف مضاف أي ذوات القسط ويجوز أن يكون مفعولا من أجله أي لأجل القسط وقرئ ﴿ مثقال ﴾ بالرفع فاعل لكان وهي تامة ومثقال بالنصب على خبر كان واسمها مضمر تقديره وان كان هو أي العمل أو الشئ والجملة دالة على جميع مايعمل الانسان من صغير وكبير وتفسيره بـ﴿ حبة من خردل ﴾ مبالغة في التقليل وأنث الضمير في بها وهو عائد على مذكر وهو مثقال لاضافته الى مؤنث ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ فيه توعد وبنا فاعل والباء زائدة نحو كفى بالله وهو اشارة الى ضبط أعمالهم من الحساب وهو العدو الاحصاء والظاهر أن حاسبين تمييز لقبوله من ويجوز أن يكون حالا

اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين * ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ﴾ هؤلاء اشارة الى المخاطبين قبل وهم كفار قريش ومن اتخذ آلهة من دون الله أخبر تعالى انه متع هؤلاء الكفار وآباءهم من قبلهم بما رزقهم من حطام الدنيا حتى طالت أعمارهم في رخاء ونعمة وتدعسوا في الضلالة بامهاله تعالى إياهم وتأخيرهم الى الوقت الذي يأخذهم فيه أفلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون تقدم تفسير هذه الجملة في آخر الرعد واقتصر الزمخشري من تلك الاقوال على معنى انا ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها ورد ها دار اسلام قال (فان قلت) أي فائدة في قوله نأتي الارض (قلت) الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها انتهى وفي ذلك تبشير للمؤمنين بما يفتح الله عليهم وأكثر المفسرين على انها نزلت في كفار مكة وفي قولهم أفهم الغالبون دليل على ذلك إذ المعنى انهم هم الغالبون فهو استفهام فيه تقريع وتوبيخ حيث لم يعتبروا بما يجري عليهم ثم أمره تعالى أن يقول انما أنذركم بالوحي أي أعلمكم بما تخافون منه بوحي من الله لا من تلقاء نفسي وما كان من جهة الله فهو الصدق الواقع لا محالة كما رأيتم بالعيان من نقصان الارض من أطرافها ثم أخبر أنهم مع إنذارهم معرضون عما أنذروا به فالانذار لايجدي فيهم إذهم صم عن سماعه ولما كان الوحي من المسموعات كان ذكر الصمم مناسبا والصم هم المنذرون فأل فيه للعهد وناب الظاهر مناب المضمر لأن فيه التصريح بتصامهم وسد اسماعهم اذا أنذروا ولم يكن الضمير ليفيد هذا المعنى ونفي السماع هنا نفي جدواه * وقرأ الجمهور يسمع بفتح الياء والميم الصم رفع به والدعاء نصب * وقرأ ابن عامر وابن جبير عن أبي عمرو وابن الصلت عن حفص بالتاء من فوق مضمومة وكسر الميم الصم الدعاء بنصبهما والفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم * وقرأ كذلك الا أنه بالياء من تحت أي ولا يسمع الرسول وعنه أيضا ولا يسمع مبنيا للمفعول الصم رفع به ذكره ابن خالويه * وقرأ أحمد بن جبير الانطاكي عن اليزيدي عن أبي عمرو

﴿ ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ﴾ لما ذكر ما آتى رسوله وحال مشركي العرب معه ذكر ما أوتي موسى وهرون باشارة الى قصتهما مع قومهما مع ما أوتوا من الفرقان والضياء والذكر ثم نبه على ما آتى رسوله من الذكر المبارك ثم استفهم على سبيل الانكار على انكارهم ما آتى رسله والفرقان التوراة وهو الضياء والذكر أي كتابا هو فرقان وضياء وذكر ويدل على هذا المعنى قراءة ابن عباس ضياء بغير واو ﴿ وهم من الساعة مشفقون ﴾ استئناف اخبار عنهم وأن يكون معطوفا على صلة الذين وتكون الصلة الأولى مشعرة بالتجدد دائما كأنها حالتهم فيما يتعلق بالدنيا والصلة الثانية من مبتدأ وخبر عنه بالاسم المشعر بثبوت الوصف كأنها حالهم فيما يتعلق بالآخرة ولما ذكر ما آتى موسى وهرون عليهما السلام أشار الى ما آتى محمدا صلى الله عليه وسلم فقال وهذا ذكر أي وهذا القرآن ذكر مبارك أي كثير منافعه غزير خيره وجاء هنا الوصف بالاسم بالجملة جريا على الأشهر ﴿ وهذا كتاب مبارك أنزلناه ﴾ تقدم الكلام عليه في الانعام ﴿ أفأنتم له منكرون ﴾ استفهام انكار وتوبيخ وهو خطاب للمشركين والضمير في له عائد على ذكر وهو القرآن وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أنكر ذلك المشركون كما أنكر أسلاف اليهود ما أنزل الله على موسى عليه السلام

يسمع بضم الياء وكسر الميم الصم نصبا الدعاء رفعا يسمع أسند الفعل الى الدعاء اتساعا والمفعول الثانى محذوف كأنه قيل ولا يسمع النداء الصم شيأ ثم أخبر تعالى ان هؤلاء الذين صموا عن سماع ما أنذروا به اذا نالهم شئ مما أنذروا به ولو كان يسيرا نادوا بالهلاك وأقروا بأنهم كانوا ظالمين نبهوا على العلة التى أوجبت لهم العذاب وهو ظلم الكفر وذلوا وأذعنوا * قال ابن عباس نفحة طرف وعنه هو الجوع الذى نزل بمكة * وقال ابن جريج نصيب من قولهم نفح له من العطاء نفحة اذا أعطاه نصيبا وفى قوله ولئن مستهم نفحة ثلاث مبالغات لفظ المس وما فى مدلول النفح من القلة إذ هو الريح اليسير أو ما يرضخ من العطية و بناء المرة منه ولم يأت نفح فالمعنى انه بأدنى اصابة من أقل العذاب أذعنوا وخضعوا وأقروا بأن سبب ذلك ظلمهم السابق ولما ذكر حالهم فى الدنيا اذا أصيبوا بشئ استطرد لما يكون فى الآخرة التى هى مقر الثواب والعقاب فأخبر تعالى عن عدله وأسند ذلك الى نفسه بنون العظمة فقال ونضع الموازين وتقدم الكلام فى الموازين فى أول الاعراف واختلاف الناس فى ذلك هل ثم ميزان حقيقة وهو قول الجمهور أو ذلك على سبيل التمثيل عن المبالغة فى العدل التام وهو قول الضحاك وقتادة قالا ليس ثم ميزان ولكنه العدل والقسط مصدر وصفت به الموازين مبالغة كأنها جعلت فى أنفسها القسط أو على حذف مضاف أى ذوات القسط و يجوز أن يكون مفعولا لأجله أى لاجل القسط * وقرىء القصط بالصاد * واللام فى ليوم القيامة قال الزمخشرى مثلها فى قولك جئت لخمس ليال خلون من الشهر * ومنه بيت النابغة

ترسمت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

انتهى وذهب الكوفيون الى أن اللام تكون بمعنى فى ووافقهم ابن قتيبة من المتقدمين وابن مالك من أصحابنا المتأخرين وجعل من ذلك قوله القسط ليوم القيامة أى فى يوم وكذلك لايجليها لوقتها الاهو أى فى وقتها وأنشد شاهدا على ذلك لمسكين الدارمى

أولئك قومى قدمضوا لسبيلهم * كما قدمضى من قبل عاد وتبع

﴿ وقول الآخر ﴾

وكل أب وابن وان عمرا معا * مقيمين مفقود لوقت وفاقد

* وقيل اللام هنا للتعليل على حذف مضاف أى لحساب يوم القيامة وشيأ مفعول ثان أو مصدر * وقرأ الجمهور مثقال بالنصب خبر كان أى وان كان الشئ أو وان كان العمل وكذا فى لقمان * وقرأ زيد بن على وأبو جعفر وشيبة ونافع مثقال بالرفع على الفاعلية وكان تامة * وقرأ الجمهور أتينا من الاتيان أى جئنا بها وكذا قرأ أبى أعنى جئنا وكأنه تفسير لأتينا * وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن جبير وابن أبى اسحق والعلاء بن سيابة وجعفر بن محمد وابن شريح الاصبهانى آتينا بمده على وزن فاعلنا من المواتاة وهى المجازاة والمكافأة فمعناه جازينا بها ولذلك تعدى بحرف جر ولو كان على أفعلنا من الايتاء بالمد على ماتوهمه بعضهم لتعدى مطلقا دون جار قاله أبو الفضل الرازى * وقال الزمخشرى مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أتوه بالاعمال وأتاهم بالجزاء انتهى * وقال ابن عطية على معنى واتينا من المواتاة ولو كان آتينا أعطينا لما تعدت بحرف جر ويوهن هذه القراءة أن بدل الواو المفتوحة همزة ليس بمعروف وانما يعرف ذلك فى المضمومة والمكسورة انتهى * وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب وأنث الضمير فى بها وهو عائد على مذكر وهو مثقال لاضافته الى مؤنث وكفى بنا حاسبين فيه توعد وهو اشارة الى ضبط أعمالهم من الحساب وهو

العدّ والاحصاء والمعنى انه لايغيب عنا شئ من أعمالهم * وقيل هو كناية عن المجازاة والظاهر أن حاسبين تمييز لقبوله من ويجوز أن يكون حالا ولما ذكر ما أتى به رسوله صلى الله عليه وسلم من الذكر وحال مشركى العرب معه وقال قل إنما أنذركم بالوحى أتبعه بأنه عادة الله فى أنبيائه فذكر ما آتى موسى وهارون اشارة الى قصتهما مع قومهما مع ما أوتوا من الفرقان والضياء والذكر ثم نبه على ما آتى رسوله من الذكر المبارك ثم استفهم على سبيل الذكر على انكارهم ثم نبه على ما آتى رسوله صلى الله عليه وسلم * والفرقان التوراة وهو الضياء والذكر أى كتابا هو فرقان وضياء وذكر ويدل على هذا المعنى قراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك ضياء وذكرا بغير واو فى ضياء * وقالت فرقة القرآن مارزقه الله من نصره وظهور حجته وغير ذلك مما فرق بين أمره وأمر فرعون والضياء التوراة والذكر التذكرة والموعظة أو ذكر ما يحتاجون اليه فى دينهم ومصالحهم أو الشرف والعطف بالواو يؤذن بالتغاير * وعن ابن عباس الفرقان الفتح لقوله يوم الفرقان * وعن الضحاك فلق البحر * وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات والذين صفة تابعة أو مقطوعة برفع أو نصب أو بدل ولما ذكر التقوى ذكر ما أنتجته وهو خشية الله والاشفاق من عذاب يوم القيامة والساعة القيامة وبالغيب * قال الجمهور يخافونه ولم يروه * وقال مقاتل يخافون عذابه ولم يروه * وقال الزجاج يخافونه من حيث لا يراهم أحد ورجحه ابن عطية * وقال أبو سليمان الدمشقى يخافونه اذا غابوا عن أعين الناس والاشفاق شدة الخوف واحتمل أن يكون قوله وهم من الساعة مشفقون استئنافا اخبارا عنهم وأن يكون معطوفا على صلة الذين وتكون الصلة الأولى مشعرة بالتجدد دائما كأنها حالتهم فيما يتعلق بالدنيا والصلة الثانية من مبتدا وخبر عنه بالاسم المشعر بثبوت الوصف كأنها حالتهم فيما يتعلق بالآخرة ولما ذكر ما آتى موسى وهارون عليهما السلام أشار الى ما آتى محمدا صلى الله عليه وسلم فقال وهذا أى القرآن ذكر مبارك أى كثير منافعه غزير خيره وجاء هنا الوصف بالاسم ثم بالجملة جريا على الاشهر وتقدم الكلام على قوله فى الانعام وهذا كتاب أنزلناه مبارك وبيناهنالك حكمة تقديم الجملة على الاسم * أفأنتم له منكرون استفهام انكار وتوبيخ وهو خطاب للمشركين والضمير فى له عائد على ذكر وهو القرآن وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم اذا أنكر ذلك المشركون كما أنكر أسلاف اليهود ما أنزل الله على موسى عليه السلام * (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون

بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الى أنما الهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون * التمثال الصورة المصنوعة مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله تعالى مثلت الشيء بالشيء اذا شبهته به * قال الشاعر

ويارب يوم قد لهوت وليلة * بآنسة كأنها خط تمثال

* الجذ القطع * قال الشاعر

بنو المهلب جذ الله دابرهم * أمسوا رمادا فلا أصل ولا طرف

* النكس قلب الشيء بحيث يصير أعلاه أسفل ونكس رأسه بالتشديد والتخفيف طأطأ حتى صار أعلاه أسفل * البرد مصدر برد يقال برد الماء حرارة الجوف يبردها * قال الشاعر

﴿ولقد آتينا ابراهيم﴾ الآية لما تقدم الكلام في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اتبع ذلك بذكر أنبياء وماجرى لهم كل ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليتأسى بهم فيما جرى عليه من قومه وقرئ ﴿رشده﴾ ورشده والرشد الظاهر أنها النبوة والمضاف اليه من قبل محذوف وهو معرفة ولذلك بنى قبل أي من قبل موسى وهرون والضمير في به الظاهر أنه عائد على ابراهيم وعلمه تعالى به أنه علم منه أحوالا عجيبة وأسرارا بديعة فأهله لخلته كقوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته * وهذا من أعظم المدح وأبلغه اذ أخبر تعالى أنه آتاه الرشد وأنه عالم بما آتاه به صلى الله عليه وسلم ثم استطرد من ذلك الى تفسير الرشد وهو الدعاء الى توحيد الله تعالى ورفض ماعبد من دونه واذ معمولة لآتينا وبدأ أولا بذكر أبيه لانه الاهم عنده في النصيحة وانقاذه من الضلالة ثم عطف عليه قومه كقوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين وفي قوله ﴿ماهذه التماثيل﴾ تحقير لها وتصغير لشأنها وتجاهل بها مع علمه بها وبتعظيمهم لها وفي خطابه لهم بقوله أنتم استهانة بهم وتوقيف على سوء صنيعهم والتمثال الصورة المصنوعة مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله ومنه مثلت الشيء بالشيء اذا شبهته به * وقال امرؤ القيس

ويارب يوم قد لهوت وليلة * بآنسة كأنها خط تمثال

وعكف يتعدى بعلى كقوله تعالى يعكفون على أصنام لهم فقيل لها بمعنى عليها كما قيل في قوله وان أسأتم فلها

وعطل قلوصي في الركاب فانها * ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا

* النفش رعي الماشية بالليل بغير راع والهمل بالنهار بلا راع * الغوص الدخول تحت الماء لاستخراج مافيه * قال الشاعر

أو درة صدفية غواصها * بهج متى يرها يهل ويسجد

* النون الحوت ويجمع على نينان وروى * النينان قبله الجمر * الفرج يطلق على الحر والذكر مقابل الحر وعلى الدبر * قال الشاعر

وأنت اذا استدبرته شد فرجه * مضاف فويق الارض ليس بأعزل

* الحدب المسنم من الارض كالجبل والكدية والقبر ونحوه * النسلان مقاربة الخطو مع الاسراع * قال الشاعر

عسلان الذئب أمسى قاربا * برد الليل عليه فنسل

* الحصب الحطب بلغة الحبشة اذا رمى به في النار قبل وقيل أن يرمى به لا يسمى حصبا * وقيل الحصب ماتوقد به النار * السجل الصحيفة * ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون﴾ لما تقدم الكلام في دلائل التوحيد

والظاهر أن اللام في لها لام التعليل أي لتعظيمها وصلة عاكفون محذوفة أي على عبادتها وقيل ضمن عاكفون معنى عابدين فعداه باللام ولما سألهم أجابوه بالتقليد البحت وانه فعل آبائهم اقتدوا به من غير برهان فلما أجابوه بما لاشبهة لهم فيه ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال﴾ أي حيرة واضحة لا التباس فيها وحكم بالضلال على المقلدين والمقلدين وجعل الضلال مستقرا لهم وأنتم توكيد للضمير الذي هو اسم كان ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ جملة معادلة للجملة التي قبلها والمعنى أجئتنا بالحق أم بغير الحق وهو اللعب ﴿بل ربكم﴾ قبلها جملة محذوفة تقديرها ليست تلك التماثيل أربابا بل ربكم ﴿رب السموات والارض الذي فطرهن﴾ الظاهر أنه عائد على السموات والأرض وتخيل ابن عطية وغيره أن الضمير في فطرهن يخص من يعقل وليس بصحيح بل هو لفظ مشترك بين من يعقل ومالا يعقل من المؤنث المجموع ومن ذلك قوله تعالى فلا تظلموا فيهن أنفسكم والضمير عائد على الاشهر الاربعة الحرم والاشارة بقوله ذلكم الى ربوبيته تعالى ووصفه بالاختراع لهذا العالم ومن للتبعيض أي الذين يشهدون بالربوبية كثيرون وأنا بعض منهم ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ بادرهم أولا بالقول المنبه على دلالة العقل ثم بالفعل الذي يقتضي تقطيع أصنامهم وفك أجزائها فقال وتالله لأكيدن والكيد الاحتيال في وصول الضرر الى المكيد والظاهر أنه خاطب بها أباه وقومه وقوله ﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾ أي الى عيد كان لهم يحضرونه وتخلف هو عنهم لمايقصده ﴿فجعلهم جذاذا﴾ قبله محذوف تقديره فتولوا الى عيدهم وقصد هو ماكان نواه فجعلهم أي الاصنام جذاذا أي مفككة الأجزاء وقرئ جذاذا بضم الجيم وكسرها والجذ القطع وقوله ﴿الا كبيرا لهم﴾ استثناء من الضمير في فجعلهم أي فلم يكسره قيل وكانت الاصنام مصطفة وصنم منها عظيم مستقبل الباب من ذهب وفي عينيه درتان مضيئتان

الاصنام أو على عباده والكبر هنا عظم الجثة أو كبيرا عندهم فى المنزلة لكونهم صاغوه من ذهب وجعلوا فى عينيه جوهرتين مضيئتين بالليل والنهار والضمير فى اليه عائد على ابراهيم أى فعل ذلك ترجيا منه بعقب ذلك رجعة اليه والى شرعه

(الدر)

(ش) وأنتم من التأكيد الذى لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة (ح) ليس هذا حكما مجمعا عليه ولا يصح الكلام مع الاخلال لان الكوفيين يجيزون العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تأكيد بالضمير المنفصل المرفوع ولا فصل فتنظيره ذلك باسكن أنت وزوجك الجنة لمذهب فى اسكن أنت وزوجك الجنة لانه يزعم أن وزوجك ليس معطوفا على الضمير المستكن فى اسكن بل قوله وزوجك مرتفع على اضمار فلتسكن فهو عنده من عطف الجملة وقوله هذا مخالف لمذهب سيبويه رحمه الله

والنبوة والمعاد أتبع ذلك بثلاثة عشر نبيا غير مراعى فى ذكرهم الترتيب الزمانى وذكر بعض ما نال كثيرا منهم من الابتلاء كل ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وليتأسى بهم فيما جرى عليه من قومه * وقرأ الجمهور رشده بضم الراء وسكون الشين * وقرأ عيسى الثقفى رشده بفتح الراء والشين وأضاف الرشد الى ابراهيم بمعنى أنه رشد مثله وهو رشد الأنبياء وله شأن أى شأن والرشد النبوة أو الاهتداء الى وجوه الصلاح فى الدين والدنيا أو هما داخلان تحت الرشد أو الصحف والحكمة أو التوفيق للخير صغيرا أقوال خمسة والمضاف اليه من قبل محذوف وهو معرفة ولذلك بنى قبل أى من قبل موسى وهارون قاله الضحاك كقوله فى الانعام ونوحا هدينا من قبل أى من قبل ابراهيم واسحاق ويعقوب وأبعد من ذهب الى أن التقدير من قبل بلوغه أو من قبل نبوته يعنى حين كان فى صلب آدم وأخذ ميثاق الانبياء أو من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانها محذوفات لا يدل على حذفها دليل بخلاف من قبل موسى وهارون لتقدم ذكرهما وقربه والضمير فى به الظاهر انه عائد على ابراهيم * وقيل على الرشد وعلمه تعالى أنه علم منه أحوالا عجيبة وأسرارا بديعة فأهله لخلته كقوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وهذا من أعظم المدح وأبلغه اذ أخبر تعالى أنه آتاه الرشد وأنه عالم بما آتاه به عليه السلام ثم استطرد من ذلك الى تفسير الرشد وهو الدعاء الى توحيد الله ورفض ما عبد من دونه * واذ معمولة لآتينا أو رشده أو عالمين أو بمحذوف أى اذكر من أوقات رشده هذا الوقت وبدأ أولا بذكر أبيه لانه الاهم عنده فى النصيحة وانقاذه من الضلال ثم عطف عليه قومه كقوله وأنذر عشيرتك الاقربين وفى قوله ما هذه التماثيل تحقير لها وتصغير لشأنها وتجاهل بها مع علمه بها وبتعظيمهم لها وفى خطابه لهم بقوله أنتم استهانة بهم وتوقيف على سوء صنيعهم وعكف يتعدى بعلى كقوله يعكفون على أصنام لهم فقيل لها هنا بمعنى عليها كما قيل فى قوله وان أسأتم فلها والظاهر ان اللام فى لها لام التعليل أى لتعظيمها وصلة عاكفون محذوفة أى على عبادتها * وقيل ضمن عاكفون معنى عابدين فعداه باللام * وقال الزمخشرى لم ينو للعاكفين محذوفا وأجراه مجرى ما لا يتعدى كقوله فاعلون العكوف لها أو واقفون لها انتهى ولما سألهم أجابوه بالتقليد البحت وأنه فعل آبائهم اقتدوا به من غير ذكر برهان وما أقبح هذا التقليد الذى أدى بهم الى عبادة خشب وحجر ومعدن ولجاجهم فى ذلك ونصرة تقليدهم وكان سؤاله اياهم عن عبادة التماثيل وغايته أن يذكروا شبهة فى ذلك فيبطلها فاذا أجابوه بما لا شبهة لهم فيه وبدا ضلالهم قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين أى فى حيرة واضحة لا التباس فيها وحكم بالضلال على المقلدين والمقلدين وجعل الضلال مستقرا لهم وأنتم توكيد للضمير الذى هو اسم كان * قال الزمخشرى وأنتم من التأكيد الذى لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة انتهى وليس هذا حكما مجمعا عليه فلا يصح الكلام مع الاخلال به لان الكوفيين يجيزون العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تأكيد بالضمير المنفصل المرفوع ولا فصل وتنظيره ذلك باسكن أنت وزوجك الجنة مخالف لمذهبه فى اسكن أنت وزوجك لانه يزعم ان وزوجك ليس معطوفا على الضمير المستكن فى اسكن بل قوله وزوجك مرتفع على اضمار وليسكن فهو عنده من عطف الجمل وقوله هذا مخالف لمذهب سيبويه ولما جرى هذا السؤال وهذا الجواب تعجبوا من تضليله اياهم إذ كان قد نشأ بينهم وجوزوا ان ما قاله هو على سبيل المزاح لا الجد فاستفهموه أهذا جد منه أم لعب والضمير فى قالوا عائد على أبيه وقومه وبالحق متعلق بقولهم أجئتنا ولم يريدوا حقيقة المجىء لانه لم

(الدر) (ع) فطرهن عبارة عنها كأنها تعقل وهذه من حيث لها طاعة وانقياد وقد وصفت فى مواضع بما يوصف به من يعقل (ح) وقال غير (ع) أيضا فطرهن أعاد ضمير من يعقل لما صدر منهن من الاحوال التى تدل على انها من قبيل من يعقل فان الله تعالى أخبر بقوله قالتا أتينا طائعين وقوله عليه السلام (٣٢١) أطت السماء وحق لها ان تئط انتهى وكأن (ع) وهذا القائل تخيلا أن هن من الضمائر التى تختص من يعقل من المؤنثات وليس كذلك بل هو مشترك بين من يعقل ومن لا يعقل من المؤنث المجموع ومن ذلك قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم والضمير عائد على الاربعة الحرم فاعرفه (ش) فان قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت ان الباء هى الاصل والتاء بدل من الواو المبدل منها وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان أمرا مقنوطا منه لتعذره وصعوبته ولعمرى ان مثله صعب متعذر فى كل زمان خصوصا فى زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصر دينه ولكن * اذا الله سنى عقد شئ تيسرا * (ح) اما قوله ان الباء هى الاصل انما كانت أصلا لأنها أوسع حروف القسم اذ

يكن عنهم غائبا لجاءهم وهو نظير قال أولو جئتك بشئ مبين * والحق هنا ضد الباطل وهو الجد ولذلك قابلوه باللعب وجاءت الجملة اسمية لكونها أثبت كأنهم حكموا عليه بانه لاعب هازل فى مقالته لهم ولكونها فاصلة ثم أضرب عن قولهم وأخبر عن الجدوان المالك لهم والمستحق العبادة هو ربهم ورب هذا العالم العلوى والعالم السفلى المندرج فيه أنتم ومعبوداتكم نبه على الموجب للعبادة وهو منشئ هذا العالم ومخترعه من العدم الصرف * والظاهر ان الضمير فى فطرهن عائد على السموات والأرض ولما لم تكن السموات والأرض تبلغ فى العدد الكثير منه جاء الضمير ضمير القلة * وقيل فى فطرهن عائد على التماثيل * قال الزمخشرى وكونه للتماثيل أدخل فى تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم انتهى * وقال ابن عطية فطرهن عبارة عنها كأنها تعقل وهذه من حيث لها طاعة وانقياد وقد وصفت فى مواضع بما يوصف به من يعقل * وقال غيره فطرهن أعاد ضمير من يعقل لما صدر منهن من الأحوال التى تدل على انها من قبيل من يعقل فان الله أخبر بقوله قالتا اتينا طائعين وقوله صلى الله عليه وسلم أطت السماء وحق لها أن تئط انتهى وكأن ابن عطية وهذا القائل تخيلا ان هن من الضمائر التى تختص من يعقل من المؤنثات وليس كذلك بل هو لفظ مشترك بين من يعقل وما لا يعقل من المؤنث المجموع ومن ذلك قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم والضمير عائد على الأربعة الحرم والاشارة بقوله ذلكم الى ربوبيته تعالى ووصفه بالاختراع لهذا العالم ومن للتبعيض أى الذين يشهدون بالربوبية كثيرون وأنا بعض منهم أى ماقلته أمر مفروغ منه عليه شهود كثيرون فهو مقال مصحح بالشهود * وعلى ذلكم متعلق بمحذوف تقديره وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين أو على جهة البيان أى أعنى على ذلكم أو باسم الفاعل وان كان فى صلة أل لاتساعهم فى الظرف والمجرور أقوال تقدمت فى انى لكما لمن الناصحين وبادرهم أولا بالقول المنبه على دلالة العقل فلم ينتفعوا بالقول فانتقل الى القول الدال على الفعل الذى مآله الى الدلالة التامة على عدم الفائدة فى عبادة مايتسلط عليه بالكسر والتقطيع وهو لا يدفع ولا يضر ولا ينفع ولا يشعر بما ورد عليه من فك أجزائه فقال وتالله لأكيدن أصنامكم * وقرأ الجمهور وتالله بالتاء * وقرأ معاذ بن جبل وأحمد بن حنبل بالله بالباء بواحدة من أسفل * قال الزمخشرى (فان قلت) ما الفرق بين التاء والباء (قلت) ان الباء هى الأصل والتاء بدل من الواو المبدل منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان أمرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمرى ان مثله صعب متعذر فى كل زمان خصوصا فى زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصر دينه ولكن * اذا الله سنى عقد شئ تيسرا * انتهى أما قوله الباء هى الأصل انما كانت أصلا لانها أوسع حروف القسم اذ تدخل على الظاهر والمضمر ويصرح بفعل القسم معها وتحذف

 تدخل على الظاهر والمضمر ويصرح بفعل القسم معها ويحذف وأما ان التاء بدل من واو القسم الذى أبدل من باء القسم فشئ قاله كثير من النحاة ولا يقوم على ذلك دليل وقد رد هذا القول السهيلى والذى يقتضيه النظر انه ليس شئ منها أصلا للآخر وأما قوله ان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب فنصوص النحاة ان التاء يجوز أن يكون معها تعجب ويجوز أن لا يكون واللام هى التى يلزمها التعجب فى القسم

وأما ان التاء بدل من واو القسم الذي أبدل من باء القسم فشئ قاله كثير من النحاة ولا يقوم على ذلك دليل وقد رد هذا القول السهيلي والذي يقتضيه النظر انه ليس شئ منها أصلا لآخر وأما قوله ان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب فنصوص النحاة ان التاء يجوز أن يكون معها تعجب و يجوز أن لا يكون واللام هي التي يلزمها التعجب في القسم والكيد الاحتيال في وصول الضرر الى المكيد والظاهر ان هذه الجملة خاطب بها أباه وقومه وانها مندرجة تحت القول من قوله قال بل ربكم * وقيل قال ذلك سرًا من قومه وسمعه رجل واحد * وقيل سمعه قوم من ضعفتهم ممن كان يسير في آخر الناس يوم خرجوا الى العيد وكانت الاصنام سبعين * وقيل اثنين وسبعين * وقرأ الجمهور تولوا مدبرين مضارع ولى * وقرأ عيسى بن عمر تولوا بحذف احدى التاءين وهي الثانية على مذهب البصريين والاولى على مذهب هشام وهو مضارع تولى وهو موافق لقوله فتولوا عنه مدبرين ومتعلق تولوا محذوف أي الى عيدكم * و روى ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها و وضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا لن ترجع بركة الآلهة على طعامنا فذهبوا فلما كان في الطريق ثنى عزمه عن المسير معهم فقعد وقال اني سقيم * وقال الكلبي كان ابراهيم من أهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا إلا مريضا فأتاهم ابراهيم بالذي هم فيه فنظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لأصحابه اني أشتكي غدا وأصبح معصوب الرأس فخرجوا ولم يتخلف أحد غيره وقال وتالله لأكيدن الى آخره وسمعه رجل فحفظه ثم أخبر به فانتشر انتهى وفي الكلام حذف تقديره فتولوا الى عيدهم فأتى ابراهيم الاصنام فجعلهم جذاذا * قال ابن عباس حطاما * وقال الضحاك أخذ من كل عضو بن عضوا * قيل وكانت الأصنام مصطفة وصنم منها عظيم مستقبل الباب من ذهب وفي عينيه درتان مضيئتان فكسرها بفأس إلا ذلك الصنم وعلق الفأس في عنقه * وقيل علقه في يده * وقرأ الجمهور جذاذا بضم الجيم والكسائي وابن محيصن وابن مقسم وأبو حيوة وحميد والأعمش في رواية بكسرها وابن عباس وأبو نهيك وأبو السمال بفتحها وهي لغات أجودها الضم كالحطام والرفات قاله أبو حاتم * وقال اليزيدي جذاذا بالضم جمع جذاذة كزجاج وزجاجة * وقيل بالكسر جمع جذيذ ككريم وكرام * وقيل الفتح مصدر كالحصاد بمعنى المحصود فالمعنى مجذوذين * وقال قطرب في لغاته الثلاث هو مصدر لا يثنى ولا يجمع * وقرأ يحيى بن وثاب جذذا بضمتين جمع جذيذ كجديد وجدد * وقرئ جذذا بضم الجيم وفتح الذال مخففا من فعل كسرر في سرر جمع سرير وهي لغة لكلب أو جمع جذة كقبة وقبب وأتى بضمير من يعقل في قوله فجعلهم اذ كانت تعبد وقوله إلا كبيرا لهم استثناء من الضمير في فجعلهم أي فلم يكسره والضمير في لهم يحتمل أن يعود على الاصنام وأن يعود على عباده والكبر هنا عظم الجثة أو كبيرا في المنزلة عندهم لكونهم صاغوه من ذهب وجعلوا في عينيه جوهرتين تضيئان بالليل والضمير في اليه عائد على ابراهيم أي فعل ذلك ترجيا منه أن يعقب ذلك رجعهم اليه والى شرعه * قال الزمخشري وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم * وقال ابن عطية يحتمل أن يعود الى الكبير المتروك ولكن يضعف ذلك دخول الترجي في الكلام انتهى وهو قول الكلبي * قال الزمخشري ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء

﴿قالوا من فعل هذا﴾ الآية في الكلام محذوف تقديره فلما رجعوا من عيدهم الى آلهتهم ورأوا ما فعل بها استفهموا على سبيل البحث والانكار فقالوا من فعل هذا التكسير والتحطيم انه لظالم لى اجترائه على الآلهة المستحقة للتعظيم والتوقير ﴿قالوا﴾ أى سمعوا قوله وتالله لأكيدن أصنامكم يذكرهم بسوء ﴿يقال له ابراهيم﴾ يحتمل أن يكون جوابا لسؤال مقدر لما قالوا سمعنا فتى يذكرهم وأتوا به منكرا قيل من يقال له فقيل يقال له ابراهيم وارتفع ابراهيم على أنه مقدر بجملة محكية بقال اما على النداء أى يقال له حين يدعى يا ابراهيم واما على خبر مبتدا محذوف أى هو ابراهيم أو على أنه مفرد مفعول مالم يسم فاعله ويكون من الاسناد للفظ لا المدلول له أى يطلق عليه هذا اللفظ ﴿على أعين الناس﴾ أى أحضروه بمرأى منهم فعلى أعين الناس فى موضع الحال وعلى معناها الاستعلاء المجازى كانهم لتحديقهم اليه وارتفاع أبصارهم لرؤيته مستعل على أبصارهم ﴿لعلهم يشهدون﴾ جوابه اذا سألوه عن تلك الاصنام ﴿قالوا أأنت فعلت هذا﴾ أى الكسر والهشم ﴿بآلهتنا﴾ وارتفاع أنت المختار أنه بفعل محذوف يفسره فعلت ولما حذف انفصل الضمير ويجوز أن يكون مبتدأ واذا تقدم الاسم فى نحو هذا التركيب على الفعل كان الفعل صادرا واستفهم عن فاعله وهو المشكوك فيه واذا تقدم الفعل كان الفاعل مشكوكا فيه فاستفهم عنه أوقع ذلك أو لم يقع والظاهر أن بل للاضراب عن جملة محذوفة أى قال لم أفعله انما الفاعل حقيقة هو الله تعالى ﴿بل فعله كبيرهم﴾ وأسند الفعل الى كبيرهم على جهة المجاز

لما كان سببا فى كسر هذه الاصنام هو تعظيمهم وعبادتهم له ولما دونه من الاصنام كان ذلك حاملا على تحطيمها وكسرها فأسند الفعل الى الكبير اذ كان تعظيمهم له أكثر من تعظيم ما دونه ﴿فاسألوهم﴾ لا يريد حقيقة السؤال بل ذلك على سبيل التعجيز والاستهزاء بهم كانه قال ﴿ان كانوا ينطقون﴾ فاسألوهم وهم لا ينطقون فلا يصح السؤال ﴿فرجعوا الى أنفسهم﴾ قال ابن عباس حين عبدتم ما لا ينطق ولا يصلح للعبادة ﴿ثم نكسوا على رؤسهم﴾ أى ارتبكوا فى ضلالهم وعلموا أن الاصنام لا تنطق فساءهم ذلك حين نبه على قيام الحجة عليهم ونكسهم كناية عن مجادلتهم ومكابرتهم ﴿ماهؤلاء﴾ جملة منفية فى موضع نصب معلق عنها الفعل الذى هو علمت قال ﴿أفتعبدون﴾ لما ظهرت الحجة له عليهم أخذ يقرعهم ويوبخهم بعبادة تماثيل لا تنفع ولا تضر ثم أبدى لهم التضجر منهم ومن معبوداتهم وتقدم الخلاف فى أف فى سبحان واللام فى لكم لبيان المتأفف به أى لكم ولآلهتكم هذا التأفف ثم نبههم على ما تدرك به حقائق الاشياء وهو العقل فقال ﴿أفلا تعقلون﴾ أى قبح ما أنتم عليه وهو استفهام توبيخ وانكار

على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم فى آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة أن يرجع اليه فى حل المشكل (فان قلت) فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك فى أعراقهم فأى فائدة دينية فى رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا (قلت) اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم فى عبادته على أمر عظيم ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ فى الكلام محذوف تقديره فلما رجعوا من عيدهم الى آلهتهم ورأوا ما فعل بها استفهموا على سبيل البحث والانكار فقالوا من فعل هذا أى التكسير والتحطيم انه لظالم فى اجترائه على الآلهة المستحقة للتعظيم والتوقير * قالوا أى قال الذين سمعوا قوله وتالله لأكيدن أصنامكم يذكرهم أى بسوء * قال الفراء يقول الرجل للرجل لئن ذكرتنى لتندمن أى بسوء * قال الزمخشرى (فان قلت) ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى وأى فرق بينهما (قلت) هما صفتان

(الدر) (ش) فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى وأى فرق بينهما * قلت هما صفتان لفتى الا أن الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما تسمع وأما الثانى فليس كذلك (ح) اما قوله هما صفتان فلا يتعين ذلك لما أذكره اما سمع فاما أن تدخل على مسموع أو غيره ان دخلت على مسموع فلا خلاف انها تتعدى الى واحد نحو سمعت كلام زيد ومقالة خالد وان دخلت على غير مسموع فاختلف فيها فقيل انها تتعدى الى اثنين وهو مذهب الفارسى ويكون الثانى مما يدل على صوت فلا يقال سمعت زيدا يركب ونحوه ومذهب غيره ان سمع يتعدى الى واحد والفعل بعده ان كان معرفة فى موضع الحال منها أو نكرة فى موضع الصفة وكلا المذهبين يستدل لهما فى علم النحو فعلى هذا المذهب الآخر يتمشى قول (ش) انه

(الدر) صفة لفتى واما على مذهب أبي على فلا يكون الا في موضع المفعول الثاني لسمع * وأما يقال له ابراهيم فيحتمل ان يكون جوابا السؤال مقدر لما قالوا سمعنا فتى يذكرهم وأتوابه منكرا قيل من يقال له فقيل يقال له ابراهيم وارتفع ابراهيم

على انه مقدر بجملة تحكى بيقال اما على النداء أي يقال له حتى تدعى يا ابراهيم واما على خبر مبتدأ محذوف أي هو ابراهيم واما على انه مفرد مفعول مالم يسم فاعله ويكون من الاسناد للفظ لا لمدلوله أي يطلق عليه هذا اللفظ وهذا الاخير هو اختيار (ش) و (ع) وهو مختلف في اجازته فذهب الزجاج و (ش) وابن خروف وابن مالك الى تجويز نصب القول للمفرد مما لا يكون مقتطعا من جملة نحو قوله اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة * ولا مفردا معناه معنى الجملة نحو قلت خطبة ولا مصدرا نحو قلت قولا ولا صفة له نحو قلت حقا بل لمجرد اللفظ نحو قلت زيدا ومن النحويين مع منع ذلك وهو الصحيح اذ لا يحفظ من لسانهم قال فلان زيدا ولا قال ضرب ولا قال ليت وانما وقع القول في كلام العرب لحكاية الجمل وذهب الاعلم الى ان ابراهيم ارتفع بالاهمال لانه لم يتقدمه عامل يؤثر في لفظه اذ القول لا يؤثر الا في المفرد المتضمن لمعنى الجملة فبقى مهملا والمهمل اذا ضم الى غيره ارتفع نحو قولهم واحد واثنان اذا عدوا ولم يدخلوا عاملا في اللفظ ولا في التقدير وعطفوا بعض أسماء العدد على بعض والكلام على مذهب الاعلم وابطاله مذكور في النحو

لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع وأما الثاني فليس كذلك انتهى وأما قوله هما صفتان فلا يتعين ذلك لما أذكره اما سمع فاما أن يدخل على مسموع أو غيره ان دخلت على مسموع فلا خلاف أنها تتعدى الى واحد نحو سمعت كلام زيد ومقالة خالد وان دخلت على غير مسموع فاختلف فيها * فقيل انها تتعدى الى اثنين وهو مذهب الفارسي ويكون الثاني مما يدل على صوت فلا يقال سمعت زيدا يركب ومذهب غيره أن سمع يتعدى الى واحد والفعل بعده ان كان معرفة في موضع الحال منها أو نكرة في موضع الصفة وكلا المذهبين يستدل لهما في علم النحو فعلى هذا المذهب الآخر يتمشى قول الزمخشري انه صفة لفتى وأما على مذهب أبي على فلا يكون الا في موضع المفعول الثاني لسمع وأما يقال له ابراهيم فيحتمل أن يكون جوابا لسؤال مقدر لما قالوا سمعنا فتى يذكرهم وأتوا به منكرا قيل من يقال له فقيل يقال له ابراهيم وارتفع ابراهيم على انه مقدر بجملة تحكى بيقال اما على النداء أي يقال له حين يدعى يا ابراهيم واما على خبر مبتدا محذوف أي هو ابراهيم أو على انه مفرد مفعول لما لم يسم فاعله ويكون من الاسناد للفظ لا لمدلوله أي يطلق عليه هذا اللفظ وهذا الآخر هو اختيار الزمخشري وابن عطية وهو مختلف في اجازته فذهب الزجاجي والزمخشري وابن خروف وابن مالك الى تجويز نصب القول للمفرد مما لا يكون مقتطعا من جملة نحو قوله

* اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة * ولا مفردا معناه معنى الجملة نحو قلت خطبة ولا مصدرا نحو قلت قولا ولا صفة له نحو قلت حقا بل لمجرد اللفظ نحو قلت زيدا ومن النحويين من منع ذلك وهو الصحيح اذ لا يحفظ من لسانهم قال فلان زيدا ولا قال ضرب ولا قال ليت وانما وقع القول في كلام العرب لحكاية الجمل وذهب الأعلم الى ان ابراهيم ارتفع بالاهمال لانه لم يتقدمه عامل يؤثر في لفظه إذ القول لا يؤثر الا في المفرد المتضمن لمعنى الجملة فبقى مهملا والمهمل اذا ضم الى غيره ارتفع نحو قولهم واحد واثنان اذا عدوا ولم يدخلوا عاملا لا في اللفظ ولا في التقدير وعطفوا بعض أسماء العدد على بعض والكلام على مذهب الأعلم وابطاله مذكور في النحو * قالوا فأتوا أي أحضروه على أعين الناس أي معاينا بمرأى منهم فعلى أعين الناس في موضع الحال وعلى معناها الاستعلاء المجازي كأنه لتحديقهم اليه وارتفاع أبصارهم لرؤيته مستعل على أبصارهم لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه أو بما صدر منه من تكسير أصنامهم أو يشهدون ما يحل به من عذابنا أو غلبنا له المؤدى الى عذابه * وقيل الناس هنا خواص الملك وأولياؤه وفي الكلام حذف تقديره فأتوا به على تلك الحالة من نظر الناس اليه قالوا أأنت فعلت هذا أي الكسر والتهشيم بآلهتنا وارتفاع أنت المختار انه بفعل محذوف يفسره فعلت ولما حذف انفصل الضمير ويجوز أن يكون مبتدأ واذا تقدم الاسم في نحو هذا التركيب على الفعل كان الفعل صادرا واستفهم عن فاعله وهو المشكوك فيه واذا تقدم الفعل كان الفعل مشكوكا فيه فاستفهم عنه أوقع أم لم يقع والظاهر أن بل للاضراب عن جملة محذوفة أي قال لم أفعله انما الفاعل حقيقة هو الله بل فعله كبيرهم وأسند الفعل الى كبيرهم على جهة المجاز لما كان سببا في كسر هذه الأصنام هو تعظيمهم وعبادتهم له ولما دونه من الاصنام كان ذلك حاملا على

تعظيمها وكسرها فأسند الفعل الى الكبير اذ كان تعظيمهم له أكثر من تعظيمهم مادونه وقال قريبا من هذا الزمخشرى و يحتمل أن يكون فعل الكبير متقيدا بالشرط فيكون قد علق على ممتنع أى فلم يكن وقع أى ان كان هؤلاء الأصنام ينطقون و يخبرون من الذى صنع بهم ذلك فالكبير هو الذى صنع ذلك وأشار الى نحو من هذا ابن قتيبة * وقال الزمخشرى هذا من تعاريض الكلام ولطائف هذا النوع لايتغلغل فيها الا الأذهان الراضة من علماء المعانى والقول فيه ان قصد ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن الى أن ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما قال لك صاحبك وقد كتبت اليه كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمى لايحسن الخط أو لايقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لانفيه عنك ولا اثباته للأمى أو المخرمش لان اثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء واثبات للقادر و يجوز أن يكون حكاية لما يعود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ماتنكرون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد و يدعى الها أن يقدر على هذا وأشد منه * و يحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن يعبد معه هذه الصغار وهو أكبرمنها انتهى ومن جعل الفاعل بفعله ضميرا يعود على قوله فتى أو على ابراهيم أو قال آخر بغير المطابق لمصلحة دينية واستدل بما روى فى الحديث أو وقف على بل فعله أى فعله من فعله وجعل كبيرهم هذا مبتدأ أو خبرا وهو الكسائى أو أصله فعله بمعنى لعله وخفف اللام وهو الفراء مستدلا بقراءة ابن السميفع فعله بمعنى لعله مشدد اللام فهم بعداء عن طريق الفصاحة فرجعوا الى أنفسهم أى الى عقولهم حين ظهر لهم ماقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام من ان الأصنام التى أهلوها للعبادة ينبغى أن تسأل وتستفسر قبل و يحتمل أن يكون فرجعوا أى رجع بعضهم الى بعض فقالوا انكم أنتم الظالمون فى سؤالكم ابراهيم حين سألتموه ولم تسألوها ذكره ابن جرير أو حين عبدتم مالاينطق قاله ابن عباس أو حين لم تحفظوا آلهتكم قاله وهب أو فى عبادة الاصاغر مع هذا الكبير قاله وهب أيضا أو حين أبهتم ابراهيم والفأس فى عنق الكبير قاله مقاتل وابن اسحاق أو الظالمون حقيقة حيث نسبتم ابراهيم الى الظلم فى قولكم انه لمن الظالمين إذ هذه الاصنام مستحقة لما فعل بها * ثم نكسوا على رؤسهم أى ارتبكوا فى ضلالهم وعلموا أن الاصنام لاتنطق فساءهم ذلك حين نبه على قيام الحجة عليهم وهى استعارة للذى يرتطم فى غيه كأنه منكوس على رأسه وهى أقبح هيئة للانسان فكان عقله منكوس أى مقلوب لانقلاب شكله وجعل أعلاه أسفله فرجوعهم الى أنفسهم كناية عن استقامة فكرهم ونكسهم كناية عن مجادلتهم ومكابرتهم و يحتمل أن يكون نكسوا على رؤسهم كناية عن تطأطئ رؤسهم وتنكيسها الى الارض على سبيل الخجل والانكسار مما بهتهم به ابراهيم من قول الحق ودمغهم به فلم يطيقوا جوابا * ولقد علمت جواب قسم محذوف معمول لقول محذوف فى موضع الحال أى قائلين لقد علمت ماهؤلاء ينطقون فكيف تقول لنا فاسألوهم انما قصدت بذلك توبيخا و يحتمل أن يكون النكس للفكرة فيما يجيبون به * وقال مجاهد نكسوا على رؤسهم أى ردت السفلة على الرؤساء وعلمت هنا معلقة والجملة المنفية فى موضع مفعولى علمت ان تعدت الى اثنين أو فى موضع مفعول واحد ان تعدت لواحد * وقرأ أبو حيوة وابن أبى عبلة وابن مقسم وابن الجارود والبكراوى كلاهما عن هشام بتشديد كاف نكسوا * وقرأ رضوان بن المعبود نكسوا بتخفيف

﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ﴾ قالوا حرقوه أي قال بعضهم لبعض وقيل اشار باحراقه نمرود ولما نبههم على قبيح مرتكبهم واعلمهم باقامة الحجة عليهم لاذوا بالايذاء له والتعصب لآلهتهم واختاروا أشد العذاب وهو الاحراق بالنار التي هي سبب للاعدام المحض قال ابن عطية روى أن الذي أشار باحراقه رجل من الاكراد من أعراب فارس أي باديتها انخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وروى أنهم اتخذوا منجنيقا قيل بتعليم ابليس اذ كان لم يصنع فشدا براهيم رباطا ووضع في كفة المنجنيق ورمى به فوقع في النار وروى أن جبريل عليه السلام جاءه وهو في الهواء فقال له ألك حاجة فقال أما إليك فلا وعن ابن عباس انما نجا ابراهيم عليه السلام بقوله حسبي الله ونعم الوكيل ﴿ قلنا يانار كوني ﴾ الآية لما كانت النار تنفعل لما أراده الله منها كما ينفعل من يعقل عبر عن ذلك بالقول لها والنداء والأمر ﴿ كوني برداوسلاما ﴾ المعنى ذات بردوسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها بردوسلام ﴿ وأرادوا به كيدا ﴾ قيل هو القاؤه في النار ﴿ فجعلناهم الاخسرين ﴾ أي المبالغين في الخسران وهو ابطال ماراموه به ﴿ والضمير في ونجيناه عائد على ابراهيم وضمن معنى أخرجناه بنجاتنا الى الارض ولذلك تعدى نجيناه بالى ويحتمل أن يكون إلى متعلقا بمحذوف تقديره منتهيا إلى الأرض فيكون في موضع الحال ولا تضمين في ونجيناه على هذا والارض التي خرجا منها هي كوثى من أرض العراق والتى صار إليها هي أرض الشام ﴿ وبركتها مافيها من الخصب والانهار والاشجار وبعث أكثر الانبياء منها وقيل أرض مصر وبركتها نيلها وزكاة زرعها وعمارة مواضعها وروى أن إبراهيم عليه السلام خرج مهاجرا إلى ربه ومعه لوط وكان ابن أخيه فآمنت به سارة (٣٢٦) وهي ابنة عمه هاران الأكبر فأخرجها معه فارا بدينه وفي هذه الخرجة لقي الجبار الذي رام أخذها منه فنزل حران ومكث بها زمانا ثم قدم مصر ثم خرج منها إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة من السبع أو أقرب فبعثه الله نبيا ﴿ والنافلة العطية وكلا يشمل من ذكر ابراهيم ولوط واسحق ويعقوب ﴿ يهدون بأمرنا يرشدون الناس الى الدين ﴿ وأئمة قدوة لغيرهم وقرىء أئمة بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وابدالها همزة محضة ﴿ وأوحينا إليهم ﴾ أي خصصناهم بشرف النبوة لأن الايحاء هو التنبئة وفعل الخيرات بدأ أولا في الايحاء بعام وهو فعل الخيرات ثم بخاص وهو إقام الصلاة وايتاء الزكاة وجاء اقام الصلاة بغير تاء تأنيث والقياس إقامة بالتاء كما تقول أطال اطالة قال ابن عطية والاقام مصدر وفي هذا نظر انتهى وأي نظر في هذا وقد نص سيبويه على أنه مصدر بمعنى الاقامة وان كان الاكثر الاقامة بالتاء وهو المقيس في مصدر أفعل اذا اعتلت عينه وحسن حذف التاء هنا مقابلته لقوله وايتاء بغير تاء التأنيث وانتصب ﴿ ولوطا على الاشتغال تقديره وآتينا لوطا والحكم النبوة ﴿ ونجيناه من القرية ﴾ أي من عذاب أهل القرية والقرية سدوم وكانت قراهم سبعا عبر عنها بالواحدة لاتفاق أهلها على الفاحشة ونسب عمل الخبائث الى القرية مجازا وهو لاهلها وانتصب الخبائث على معنى يعمل الاعمال أو الفعلات الخبيثة وهي ماذكره تعالى في غير هذه السورة مضافا الى كفرهم بالله وتكذيبهم نبيه ﴿ وأدخلناه في رحمتنا ﴾ أي في أهل رحمتنا أو في الجنة سماها رحمة اذ كانت أثر الرحمة ولما ذكر تعالى قصة ابراهيم عليه السلام وهو أبو العرب وتنجيته من أعدائه ذكر قصة أبي العالم الانسي كلهم وهو الاب الثاني لآدم لانه ليس أحد الامن نسله من حام وسام ويافث وانتصب ﴿ نوحا ﴾ على اضمار اذكر أي واذكر نوحا أي قصته اذ نادى ومعنى نادى دعا مجملا بقوله اني مغلوب فانتصر ومفصلا بقوله رب لاتذر على الارض الآيات والكرب أقصى الغم والاخذ بالنفس وهو هنا الغرق عبر عنه باول أحوال ما يأخذ الغريق

لكاف مبنيا للفاعل أي نكسوا أنفسهم ولما ظهرت الحجة عليهم أخذ يقرعهم ويوبخهم بعبادة تماثيل ما لاينفع ولايضر ثم أبدى لهم التضجر منهم ومن معبوداتهم وتقدم الخلاف في قراءة أف واللغات فيها واللام في لكم لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف ثم نبههم على ما به يدرك حقائق الاشياء وهو العقل فقال أفلا تعقلون أي قبح ما أنتم عليه وهو واستفهام توبيخ وانكار ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا إذ نادى

﴿وداود وسليمان﴾ عطفا على ونوحا وكان داود ملكا نبيا يحكم بين الناس فوقعت هذه النازلة وكان ابنه اذ ذاك قد كبر وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون الى داود من باب و يخرجون من آخر فتخاصم إليه رجل له زرع وقيل كرم والحرث يقال فيهما وهو فى الزرع أكثر وأبعد عن الاستعارة دخلت حرثه غنم رجل فافسدت عليه فرأى داود دفعها لصاحب الحرث فعلى أنه كرم رأى أن الغنم تقاوم ما أفسدت من ثمن الغلة وعلى أنه زرع رأى أنها تقاوم الحرث والغلة فخرجا على سليمان فشكى صاحب الغنم فجاء سليمان فقال يانبي الله انى أرى ماهو أرفق بالجميع أن يأخذ صاحب الغنم الحرث يقوم عليه و يصلحه حتى يعود كما كان و يأخذ صاحب الحرث الغنم فى تلك المدة ينتفع بمرافقها من لبن وصوف ونسل فاذا عاد الحرث الى حاله صرف كل مال صاحبه إليه فرجعت الغنم الى ربها والحرث الى ربه فقال داود وفقت يابني وقضى بينهما بذلك والنفش رعى الماشية بالليل بغير راع والهمل رعيها بالنهار بغير راع ﴿وكنا لحكمهم﴾ المعنى وكنا للحكم الذي صدر فى هذه القضية ﴿شاهدين﴾ فالمصدر هنا لايراد به العلاج بل يراد به وجود الحقيقة والضمير فى ﴿ففهمناها﴾ عائد على الحكومة أو الفتوى ﴿وسخرنا مع داود الجبال﴾ ذكر ما امتاز به داود عن سليمان والظاهر أن يسبحن جملة حالية من الجبال أى مسبحات والظاهر وقوع التسبيح منها بالنطق خلق الله تعالى فيها الكلام كما سبح الحصى فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع الناس ذلك وانتصب والطير عطفا على الجبال ولا يلزم من العطف دخوله فى قيد التسبيح وقيل هو مفعول معه أى يسبحن مع الطير ﴿وكنا فاعلين﴾ أى فاعلين هذه الاعاجيب من تسخير الجبال وتسبيحهن والطير لمن نخصه بكرامتنا قال الزمخشرى فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل فى الاعجاز لأنها جماد والطير حيوان ناطق انتهى قوله حيوان ناطق إن عنى به (٣٢٧) أنه ذو نفس ناطقة كما يقولون فى حد الانسان انه حيوان ناطق فيلزم أن يكون الطير إنسانا وان عنى به أنه متكلم كما يتكلم الانسان فليس بصحيح وانما عنى به أنه مصوت أى له صوت و وصف الطير بالنطق مجاز لانها فى الحقيقة لانطق لها ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ اللبوس الملبوس فعول بمعنى مفعول كالركوب بمعنى المركوب وهو الدرع هنا واللبوس مايلبس وقال الشاعر

عليها أسود ضاريات لبوسهم * سوابغ بيض لايخرقها النبل

امتن تعالى عليه بايتائه حكما وعلما وتسخير الجبال والطير معه وتعليم صنعة اللبوس وفى ذلك فضل هذه الصنعة اذ أسند تعالى تعليمها اياه اليه ثم امتن علينا بها بقوله ﴿ليحصنكم من بأسكم﴾ أى ليكون وقاية لكم فى حربكم وسبب نجاة من عدوكم وقرئ بالنون والياء والتاء فالنون ضمير الله والتاء عائد على الدروع والياء على اللبوس ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ استفهام يتضمن الأمر أى اشكروا الله على ما أنعم به عليكم لقوله تعالى فهل أنتم منتهون أى انتهوا عما حرم الله ولما ذكر تعالى ماخص به نبيه داود ذكر ماخص به ابنه سليمان فقال ﴿ولسليمان الريح﴾ وجاء التركيب هنا حين ذكر تسخير الريح لسليمان باللام وحين ذكر تسخير الجبال جاء بلفظ مع فقال وسخرنا مع داود الجبال وكذا ياجبال أوبى معه وقال فسخرنا له الريح تجرى بأمره وذلك أنه لما اشتركا فى التسبيح ناسب ذكر مع الدالة على الاستصحاب ولما كانت الريح مسخرة لسليمان أضيفت اليه بلام التمليك لانها فى طاعته وتحت أمره و ﴿عاصفة﴾ حال العامل فيها سخرنا ويقال عصفت الريح فهى عاصف وعاصفة ولغة أسد أعصفت فهى معصفة ومعصف ووصفت هذه الريح بالعصف و بالرخاء والعصف الشدة فى السير والرخاء اللين وقيل كان ذلك بالنسبة الى الوقت الذي يريد فيه سليمان أحد الوصفين فلم يتحد الزمان وقيل الجمع بين الوصفين كونها رخاء فى نفسها طيبة كالنسيم عاصفة فى عملها تبعد فى مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وقيل الرخاء فى البداءة والعصف بعد ذلك ولما ذكر تعالى تسخير الريح له وهى جسم شفاف لايعقل ولايدرك بالبصر ذكر تسخير الشياطين له وهم أجسام لطيفة تعقل والجامع بينهما أيضا سرعة الانتقال ألاترى الى قوله قال عفريت من الجن ومن فى موضع نصب أى وسخرنا من الشياطين من يغوصون أو فى موضع

من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين ومن الشياطين من

يغوصون له و يعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين ﴾ ولما نهيهم على قبيح مرتكبهم وغلبهم باقامة الحجة عليهم لاذوا بالايذاء له والغضب لآلهتهم واختاروا أشد العذاب وهو الاحراق بالنار التى هى سبب للاعدام المحض والاتلاف بالكلية وكذا كل من أقيمت عليه الحجة وكانت له قدرة يعدل الى المناصبة والاذاية كما كانت قريش تفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دمغهم بالحجة وعجزوا عن معارضة ما آتاهم به عدلوا الى الانتقام وايثار الاغتيال فعصمه الله والظاهر ان قول قالوا حرقوه أى قال بعضهم لبعض * وقيل أشار باحراقه نمروذ * وعن ابن عمر رضى الله عنهما رجل من اعراب العجم * قال الزمخشرى يريد الاكراد * وقال ابن عطية روى انه رجل من الاكراد من اعراب فارس أى باديتها فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وذكروا لهذا القائل اسما مختلفا فيه لا يوقف منه على حقيقة لكونه ليس مضبوطا بالشكل والنقط وهكذا تقع أسماء كثيرة أعجمية فى التفاسير لا يمكن الوقوف منها على حقيقة لفظ لعدم الشكل والنقط فينبغى اطراح نقلها وروى أنهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى واختلفوا فى عدة حبسه وفى عرض الحظيرة وطولها ومدة جمع الحطب ومدة الايقاد ومدة سنه إذ ذاك ومدة اقامته فى النار وكيفية ما صارت أماكن النار اختلافا متعارضا تركنا ذكره واتخذوا منجنيقا * قيل بتعليم ابليس إذ كان لم يصنع قبل فشدوا ابراهيم رباطا ووضع فى كفة المنجنيق ورمى به فوقع فى النار وروى ان جبريل عليه السلام جاءه وهو فى الهواء فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا وذكر المفسرون أشياء صدرت من الوزغ والبغل والخطاف والضفدع والعضرفوط الله أعلم بذلك * وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل * قيل وأطل نمروذ من الصرح فاذا ابراهيم فى روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال انى مقرب الى آلهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم إذ ذاك ابن ست عشرة سنة وقد أكثر الناس فى حكاية ما جرى لابراهيم والذى صح هو ما ذكره تعالى من أنه ألقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وخرج منها سالما فكانت أعظم آية والظاهر ان القائل قلنا يا نار هو الله تعالى * وقيل جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى * وعن ابن عباس لو لم يقل وسلاما لهلك ابراهيم من البرد ولو لم يقل على ابراهيم لما أحرقت نار بعدها ولا اتقدت انتهى ومعنى وسلاما سلامة وأبعد من ذهب الى أنها هنا تحية من الله ولو كانت تحية لكان الرفع أولى بها من النصب والمعنى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك كان ذاتها برد وسلام ولما كانت النار تنفعل لما أراده الله منها كما ينفعل من يعقل عبر عن ذلك بالقول لها والنداء والأمر * قال الزمخشرى (فان قلت) كيف بردت النار وهى نار (قلت) نزع الله عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر والاحراق وأبقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شئ قدير ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابراهيم انتهى وروى انهم قالوا هى نار مسحورة لا تحرق فرموا فيها شيخا منهم فاحترق وأرادوا به كيدا * قيل هو القاؤه فى النار فجعلناهم الاخسرين أى المبالغين فى الخسران وهو ابطال ما راموه جادلوا ابراهيم بجدالهم وبكتهم وأظهر لهم وأقر عقولهم وتقوا عليه بالأخذ والالقاء فخلصه الله * وقيل سلط عليهم ما هو من أحقر خلقه وأضعفه وهو البعوض يأكل من لحومهم ويشرب من دمائهم وسلط الله على نمروذ بعوضة واختلف فى كيفية اذايتها له وفى مدة اقامتها تؤذيه الى أن مات منها والضمير فى ونجيناه عائد على ابراهيم وضمن معنى أخرجناه بنجاتنا الى الارض

رفع على الابتداء والخبر فى الجار والمجرور قبله وجمع الضمير فى يغوصون حملا على معنى من وحسن ذلك تقدم جمع قبله ومعنى يغوصون أى فى البحار لاستخراج اللآلئ ودل الغوص على المغاص فيه وعلى ما يغاص لاستخراجه وهو الجوهر ومعنى له أى لسليمان لان الغائص قد يغوص لنفسه ولغيره فذكر أن الغوص ليس لأنفسهم انما هو لأجل سليمان وامتثالهم أمره والاشارة بذلك الى الغوص أى دون الغوص من بناء المدائن والقصور وغير ذلك كما قال تعالى يعملون له ما يشاء الآية وقيل الحمام والنورة والطاحون والقوارير والصابون من استخراجهم ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ أى من أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أو يوجد منهم فساد فيما هم فيه مسخرون

ولذلك تعدى نجيناه بالى و يحتمل أن يكون الى متعلقا بمحذوف أى منتهيا الى الارض فيكون فى موضع الحال ولا تضمين فى ونجيناه على هـذا والارض التى خرجا منها هى كوثى من أرض العراق والارض التى صار اليها هى أرض الشام و بركتها ما فيها من الخصب والاشجار والانهار وبعث أكثر الانبياء منها * وقيل مكة قاله ابن عباس كما قال ان أول بيت الآية *وقيـل أرض مصر و بركتها نيلها وزكاة زرعها وعمارة مواضعها* وروى ان ابراهيم خرج مهاجرا الى ربه ومعه لوط وكان ابن أخيه فآمنت به سارة وهى ابنة عمه فأخرجها معه فارّا بدينه وفى هذه الخرجة لقى الجبار الذى رام أخذها منه فنزل حران ومكث زمانا بها * وقيـل سارة ابنـة ملك حرّان تزوجها ابراهيم وشرط عليه أبوها أن لا يغيرها والصحيح أنها ابنة عمـه هاران الاكبر ثم قدم مصر ثم خرج منها الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليـلة من السبع أو أقرب فبعثه الله نبيا * والنافلة العطية قاله مجاهـد وعطاء أو الزيادة كالمتطوع به اذ كان اسحق ثمرة دعائه رب هب لى من الصالحين وكان يعقوب زيادة من غـير دعاء * وقيـل النافلة ولد الولد فعلى الأول يكون مصدرا كالعاقبـة والعافية وهو من غـير لفظ وهبنا بل من معناه وعلى الآخرين يراد به يعقوب فينتصب على الحال وكلا يشمل من ذكر ابراهـيم ولوط واسحق و يعقوب* يهدون بأمرنا يرشدون الناس الى الدين * وأئمة قدوة لغيرهم * وأوحينا اليهم أى خصصناهم بشرف النبوة لأن الايحاء هو التنبئة * قال الزمخشرى فعل الخيرات أصله أن يفعل فعل الخـيرات ثم فعلا الخيرات وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة انتهى وكان الزمخشرى لما رأى أن فعـل الخيرات و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة ليس من الأحكام المختصة بالموحى اليهم بل هم وغيرهم فى ذلك مشتركون بنى الفعل للمفعول حتى لا يكون المصـدر مضافا من حيث المعنى الى ضمير الموحى فلا يكون التقـدير فعلهم الخيرات و إقامهم الصلاة و إيتاؤهم الزكاة ولا يلزم ذلك اذ الفاعل مع المصدر محذوف و يجوز أن يكون مضافا من حيث المعنى الى ظاهر محذوف يشمل الموحى اليهم وغيرهم أى فعـل المكلفين الخـيرات و يجوز أن يكون ذلك مضافا الى الموحى اليهم أى أن يفعلوا الخيرات و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة واذا كانوا هم قـد أوحى اليهـم ذلك فأتباعهم جارون مجراهم فى ذلك ولا يلزم اختصاصهم به ثم اعتقاد بناء المصـدر للمفعول الذى لم يسم فاعـله مختلف فيـه أجاز ذلك الاخفش والصحيح منعه فليس ما اختاره الزمخشرى مختارا * وقال ابن عطية والاقام مصدر وفى هـذا نظر انتهى وأى نظر فى هذا وقد نص سيبويه على أنه مصـدر بمعنى الاقامة وان كان الاكثر الاقامة بالتاء وهو المقيس فى مصدر أفعل اذا اعتلت عينه وحسن ذلك هنا أنه قابل و إيتاء وهو بغـير تاء فتقع الموازنة بين قوله واقام الصلاة و إيتاء الزكاة * وقال الزجاج حـذفت الهاء من اقامة لان الاضافة عوض عنها انتهى وهذا قول الفراء زعم أن تاء التأنيث قد تحذف للاضافة وهو مذهب مرجوح ولما ذكر تعالى ما أنعم به على ابراهيم ذكر ما أنعم به على من هاجر معه فارّا بدينه وهو لوط ابن أخيه وانتصب ولوطا على الاشتغال والحكم الذى أوتيه النبوة *وقيل حسن الفصل بين الخصوم فى القضاء *وقيل حفظ صحف ابراهيم ولما ذكر الحكم ذكر ما يكون به وهو العلم والقرية سدوم وكانت قراهم سبعا وعبر عنها بالواحدة لاتفاق أهلها على الفاحشة وكانت من كورة فلسطين الى حـد السراة الى حد نجد بالحجاز قلب منها تعالى ستا وأبقى منها زغر لأنها كانت محـل لوط وأهله ومن آمن به أى

رأى ان فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليس من الاحكام المختصة بالموحى اليهم بل هم وغيرهم فى ذلك مشتركون بنى الفعل للمفعول حتى لا يكون المصـدر مضافا من حيث المعنى الى ضمير الموحى اليهم فلا يكون التقدير فعلهم الخيرات واقامهم الصلاة وايتاؤهم الزكاة ولا يلزم ذلك اذ الفاعل مع الصدر محذوف ويجوز أن يكون المصدر مضافا من حيث المعنى الى ظاهر محذوف يشمل الموحى اليهم وغيرهم أى فعـل المكلفين الخيرات ويجوز أن يكون ذلك مضافا الى الموحى اليهم أى أن تفعلوا الخيرات وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة واذا كانوا هم قـد أوحى اليهم ذلك فأتباعهم جارون مجراهم فى ذلك ولا يلزم اختصاصهم به ثم اعتقاد بناء المصدر للمفعول الذى لم يسم فاعله مختلف فيـه أجاز ذلك الاخفش والصحيح منعه فليس ما اختاره (ش) مختارا (ع) والاقام مصدر وفى هذا نظر (ح) وأى نظر فى هذا وقد نص سيبويه على انه مصدر

 بمعنى الاقامة وان كان الاكثر الاقامة بالتاء وهو المقيس فى مصدر أفعل اذا اعتلت عينه وحسن ذلك هنا أنه قابل وايتاء وهو بغير تاء فيقع الموازنة بين قوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة

ونجيناه من أهل القرية أى خلصناه منهم أومن العذاب الذى حل بهم ونسب عمل الخبائث الى القرية مجازا وهو لأهلها وانتصب الخبائث على معنى تعمل الاعمال أو الفعلات الخبيثة وهى ماذكره تعالى فى غير هذه السورة مضافا الى كفرهم بالله وتكذيبهم نبيه وقوله انهم يدل على أن التقدير من أهل القرية * وأدخلناه فى رحمتنا أى فى أهل رحمتنا أو فى الجنة سماها رحمة اذ كانت أثر الرحمة ولما ذكر تعالى قصة ابراهيم وهو أبو العرب وتنجيته من أعدائه ذكر قصة أبى العالم الانسى كلهم وهو الاب الثانى لآدم لانه ليس أحد الامن نسله من سام وحام و يافث وانتصب نوحا على اضمار اذكر أى واذكر نوحا أى قصته اذنادى ومعنى نادى دعا مجملا بقوله انى مغلوب فانتصر مفصلا بقوله رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا والكرب أقصى الغم والاخذ بالنفس وهو هنا الغرق عبر عنه بأول أحوال مايأخذ الغريق وغرقت فى بحر النيل ووصلت الى قرار الارض ولحقنى من الغم والكرب ما أدركت أن نفسى صارت أصغر من البعوضة وهو أول أحوال مجىء الموت * ونصرناه من القوم عداه بمن لتضمنه معنى نجيناه بنصرنا من القوم أو عصمناه ومنعناه أى من مكروه القوم لقوله فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا * وقال الزمخشرى هو نصر الذى مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أى اجعلهم منتصرين منه وهذا معنى فى نصر غير المتبادر الى الذهن * وقال أبو عبيدة من بمعنى على أى ونصرناه على القوم * فأغرقناهم أى أهلكناهم بالغرق * وأجمعين تأكيد للضمير المنصوب وقد كثر التوكيد بأجمعين غير تابع لكلهم فى القرآن فكان ذلك حجة على ابن مالك فى زعمه أن التأكيد بأجمعين قليل وأن الكثير استعماله تابعا لكلهم * وداود وسليمان عطف على ونوحا * قال الزمخشرى واذ بدل منهما انتهى والأجود أن يكون التقدير واذكر داود وسليمان أى قصتهما وحالهما اذ يحكمان وجعل ابن عطية وداود وسليمان معطوفين على قوله ونوحا ونوحا معطوفا على قوله ولوطا فيكون ذلك مشتركا فى العامل الذى هو آتينا المقدرة الناصبة للوط المفسرة بآتينا فالتقدير وآتينا نوحا وداود وسليمان أى آتيناهم حكما وعلما ولا يبعد ذلك وتقدير اذكر قاله جماعة وكان داود ملكا نبيا يحكم بين الناس فوقعت هذه النازلة وكان ابنه اذ ذاك قد كبر وكان يجلس على الباب الذى يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون الى داود من باب آخر فتخاصم اليه رجل له زرع وقيل كرم والحرث يقال فيهما وهو فى الزرع أكثر وأبعد عن الاستعارة دخلت حرثه غنم رجل فأفسدت عليه فرأى داود دفعها الى صاحب الحرث فعلى انه كرم رأى أن الغنم تقاوم ما أفسدت من الغلة وعلى أنه زرع رأى أنها تقاوم الحرث والغلة فخرجا على سليمان فشكى صاحب الغنم فجاء سليمان فقال يانبى الله انى أرى ماهو أرفق بالجميع أن يأخذ صاحب الغنم الحرث يقوم عليه و يصلحه حتى يعود كما كان و يأخذ صاحب الحرث الغنم فى تلك المدة ينتفع بمرافقها من لبن وصوف ونسل فاذا عاد الحرث الى حاله صرف كل مال صاحبه اليه فرجعت الغنم الى ربها والحرث الى ربه فقال داود وفقت يابنى وقضى بينهما بذلك والظاهر أن كلا من داود وسليمان حكم بما ظهر له وهو متوجه عنده فحكمهما باجتهاد وهو قول الجمهور واستدل بهذه الآية على جواز الاجتهاد * وقيل حكم كل واحد منهما بوحى من الله ونسخ حكم داود بحكم سليمان وان معنى ففهمناها سليمان أى فهمناه القضاء الفاصل الناسخ الذى أراد الله أن يستقر فى النازلة * وقرأ عكرمة فأفهمناها عدى بالهمزة كما عدى فى قراءة الجمهور بالتضعيف والضمير فى ففهمناها للحكومة أو الفتوى والضمير فى لحكمهم عائد على الحاكمين

والمحكوم لهما وعليهما وليس المصدر هنا مضافا الا الى فاعل ولا مفعول ولا هو عامل فى التقدير فلا ينحل بحرف مصدرى والفعل بل هو مثل له ذكاء ذكاء الحكماء وذهن ذهن الاذكياء وكان المعنى وكنا للحكم الذى صدر فى هذه القضية شاهدين فالمصدر هنا لا يراد به العلاج بل يراد به وجود الحقيقة * وقرأ الحكمهما ابن عباس فالضمير لداود وسليمان ومعنى شاهدين لا يخفى علينا منه شئ ولا يغيب * قال الزمخشرى (فان قلت) ما وجه كل واحدة من الحكومتين (قلت) أما وجه حكومة داود فلأن الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجنى عليه كما قال أبو حنيفة فى العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعى يبيعه فى ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان فى الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان (فان قلت) فلو وقعت هذه الواقعة فى شريعتنا ما حكمها (قلت) أبو حنيفة وأصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل والنهار الا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعى يوجب الضمان انتهى والظاهر ان كلا من الحكمين صواب لقوله وكلا آتينا حكما وعلما * والظاهر أن يسبحن جملة حالية من الجبال أى مسبحات * وقيل استئناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن * قيل كان يمر بالجبال مسبحا وهى تجاوبه * وقيل كانت تسير معه حيث سار والظاهر وقوع التسبيح منها بالنطق خلق الله فيها الكلام كما سبح الحصى فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع الناس ذلك وكان داود وحده يسمعه قاله يحيى بن سلام * وقيل كل واحد * قال قتادة يسبحن يصلين * وقيل يسرن من السباحة * وقال الزمخشرى كما خلقه يعنى الكلام فى الشجرة حين كلم موسى انتهى وهو قول المعتزلة ينفون صفة الكلام حقيقة عن الله تعالى * وقيل اسناد التسبيح اليهن مجاز لما كانت تسير بتسيير الله حملت من رآها على التسبيح فأسند اليها والاكثرون على تسبيحهن هو قول سبحان الله * وانتصب والطير عطفا على الجبال ولا يلزم من العطف دخوله فى قيد التسبيح * وقيل هو مفعول معه أى يسبحن مع الطير * وقرئ والطير مرفوعا على الابتداء والخبر محذوف أى مسخر لدلالة سخرنا عليه أو على الضمير المرفوع فى يسبحن على مذهب الكوفيين وهو توجيه قراءة شاذة * وقال الزمخشرى (فان قلت) لم قدمت الجبال على الطير (قلت) لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل فى الاعجاز لأنها جماد والطير حيوان ناطق انتهى وقوله ناطق ان عنى به أنه ذو نفس ناطقة كما يقولون فى حد الانسان انه حيوان ناطق فيلزم أن يكون الطير انسانا وان عنى أنه متكلم كما يتكلم الانسان فليس بصحيح وانما عنى به مصوت أى له صوت ووصف الطير بالنطق مجاز لانها فى الحقيقة لا نطق لها * وقوله وكنا فاعلين أى فاعلين هذه الأعاجيب من تسخير الجبال وتسبيحهن والطير لمن نخصه بكرامتنا * وعلمناه صنعة لبوس لكم اللبوس الملبوس فعول بمعنى مفعول كالركوب بمعنى المركوب وهو الدرع هنا واللبوس ما يلبس * قال الشاعر

عليها أسود ضاريات لبوسهم * سوابغ بيض لا يخرقها النبل

* قال قتادة كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين * وقيل اللبوس كل آلة السلاح من سيف ورمح ودرع وبيضة وما يجرى مجرى ذلك وداود أول من صنع الدروع التى تسمى الزرد * قيل نزل ملكان من السماء فمرا بداود فقال أحدهما للآخر نعم الرجل الا أنه

(الدر)

(ش) فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل فى الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق (ح) قوله حيوان ناطق ان عنى به أنه ذو نفس ناطقة كما يقولون فى حد الانسان انه حيوان ناطق فيلزم أن يكون الطير انسانا وان عنى انه متكلم كما يتكلم الانسان فليس بصحيح وانما عنى به مصوت أى له صوت ووصف الطير بالنطق مجاز لأنه فى الحقيقة لا نطق

يأكل من بيت المال فسأل الله أن يرزقه من كسبه فألان له الحديد فصنع منه الدروع وامتن تعالى عليه بإيتائه حكماً وعلماً وتسخير الجبال والطير معه وتعليم صنعة اللبوس وفى ذلك فضل هذه الصنعة اذ أسند تعليمها اياه اليه تعالى ثم امتن علينا بها بقوله لتحصنكم من بأسكم أى ليكون وقاية لكم فى حربكم وسبب نجاة من عدوكم * وقرئ لبوس بضم اللام والجمهور بفتحها * وقرأ الجمهور ليحصنكم بياء الغيبة أى الله فيكون التفاتا اذ جاء بعد ضمير متكلم فى وعلمناه ويدل عليه قراءة أبى بكر عن عاصم بالنون وهى قراءة أبى حنيفة ومسعود بن صالح ورويس والجعفى وهارون ويونس والمنقرى كلهم عن أبى عمرو ليحصنكم داود واللبوس قيل أو التعليم * وقرأ ابن عامر وحفص والحسن وسلام وأبو جعفر وشيبة وزيد بن على بالتاء أى لتحصنكم الصنعة أو اللبوس على معنى الدرع ودرع الحديد مؤنثة وكل هذه القراآت الثلاث باسكان الحاء والتخفيف * وقرأ الفقيمى عن أبى عمرو وابن أبى حماد عن أبى بكر بالياء من تحت وفتح الحاء وتشديد الصاد وابن وثاب والأعمش بالتاء من فوق والتشديد واللام فى لكم يجوز أن تكون للتعليل فتتعلق بعلمناه أى لأجلكم وتكون لتحصنكم فى موضع بدل أعيد معه لام الجر اذ الفعل منصوب باضمار ان فتتقدر بمصدر أى لكم لاحصانكم من بأسكم ويجوز أن تكون لكم صفة للبوس فتتعلق بمحذوف أى كائن لكم واحتمل أن يكون ليحصنكم تعليلا للتعليم فيتعلق بعلمناه وأن يكون تعليلا للكون المحذوف المتعلق به لكم * فهل أنتم شاكرون استفهام يتضمن الأمر أى اشكروا الله على ما أنعم به عليكم كقوله فهل أنتم منتهون أى انتهوا عما حرم الله ولما ذكر تعالى ما خص به نبيه داود عليه السلام ذكر ما خص به ابنه سليمان عليه السلام فقال ولسليمان الريح وجاء التركيب هنا حين ذكر تسخير الريح لسليمان باللام وحين ذكر تسخير الجبال جاء بلفظ مع فقال وسخرنا مع داود الجبال وكذا جاء يا جبال أوبى معه وقال فسخرنا له الريح تجرى بأمره وذلك أنه لما اشتركا فى التسبيح ناسب ذكر مع الدالة على الاصطحاب ولما كانت الريح مستخدمة لسليمان أضيفت اليه بلام التمليك لأنها فى طاعته وتحت أمره * وقرأ الجمهور الريح مفردا بالنصب * وقرأ ابن هرمز وأبو بكر فى رواية بالرفع مفردا * وقرأ الحسن وأبو رجاء الرياح بالجمع والنصب * وقرأ بالجمع والرفع أبو حيوة فالنصب على اضمار سخرنا والرفع على الابتداء وعاصفة حال العامل فيها سخرنا فى قراءة من نصب الريح وما يتعلق به الجار فى قراءة من رفع ويقال عصفت الريح فهى عاصف وعاصفة ولغة أسد اعصفت فهى معصف ومعصفة ووصفت هذه الريح بالعصف وبالرخاء والعصف الشدة فى السير والرخاء اللين * فقيل كان ذلك بالنسبة الى الوقت الذى يريد فيه سليمان أحد الوصفين فلم يتحد الزمان * وقيل الجمع بين الوصفين كونها رخاء فى نفسها طيبة كالنسيم عاصفة فى عملها تبعد فى مدة يسيرة كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر * وقيل الرخاء فى البداءة والعصف بعد ذلك فى التقول على عادة البشر فى الاسراع الى الوطن وهذا القول راجع الى اختلاف الزمان وجريها بأمره طاعتها له على حسب ما يريد ويأمر والارض أرض الشام وكانت مسكنه ومقر ملكه * وقيل أرض فلسطين * وقيل بيت المقدس * قال الكلبى كان يركب عليها من اصطخر الى الشام * قيل ويحتمل أن تكون الارض التى يسير اليها سليمان كائنة ما كانت ووصفت بالبركة لأنه اذا حل أرضا أصلحها بقتل كفارها واثبات الايمان فيها وبث العدل ولا بركة أعظم من هذا * والظاهر ان التى باركنا صفة للأرض * وقال منذر بن سعيد الكلام تام عند قوله الى الأرض والتى باركنا فيها صفة للريح ففى الآية تقديم وتأخير يعنى ان أصل التركيب ولسليمان الريح

التي باركنا فيها عاصفة تجري بأمره الى الأرض * وعن وهب كان سليمان اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان لا يقعد عن الغزو فيأمر بخشب فيمدوا الناس عليه والدواب وآلة الحرب ثم يأمر العاصف فيقله ثم يأمر الرخاء فتمر به شهرا في رواحه وشهرا في غدوه * وعن مقاتل نسجت له الشياطين بساطا ذهبا في ابريسم فرسخا في فرسخ ووضعت له في وسطه منبرا من ذهب يقعد عليه وحوله كراسي من ذهب يقعد عليها الأنبياء وكراسي من فضة يقعد عليها العلماء وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين والطير تظله من الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح وقد أكثر الأخباريون في ملك سليمان ولا ينبغي أن يعتمد الا على ما قصه الله في كتابه وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كانت هذه الاختصاصات في غاية الغرابة من المعهود أخبر تعالى ان علمه محيط بالأشياء يجريها على ما سبق به علمه ولما ذكر تعالى تسخير الريح له وهي جسم شفاف لا يعقل وهي لا تدرك بالبصر ذكر تسخير الشياطين له وهم أجسام لطيفة تعقل والجامع بينهما أيضا سرعة الانتقال ألا ترى الى قوله قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ومن في موضع نصب أي وسخرنا من الشياطين من يغوصون أو في موضع رفع على الابتداء والخبر في الجار والمجرور قبله والظاهر ان من موصولة * وقال أبو البقاء هي نكرة موصوفة وجمع الضمير في يغوصون حملا على معنى من وحسن ذلك تقدم جمع قبله كما قال الشاعر

وان من النسوان من هي روضة * يهيج الرياض قبلها وتصوح

لما تقدم لفظ النسوان حمل على معنى من فأنث ولم يقل من هو روضة والمعنى يغوصون له في البحار لاستخراج اللآلئ ودل الغوص على المغاص فيه وعلى ما يغاص لاستخراجه وهو الجوهر فلذلك لم يذكر أو قال له أي لسليمان لان الغائص قد يغوص لنفسه ولغيره فذكر ان الغوص ليس لأنفسهم انما هو لأجل سليمان وامتثالهم أمره والاشارة بذلك الى الغوص أي دون الغوص من بناء المدائن والقصور كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية * وقيل الحمام والنورة والطاحون والقوارير والصابون من استخراجهم * وكنا لهم حافظين أي من أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه * وقيل حافظين أن يهيجوا أحدا في زمان سليمان * وقيل حافظين حتى لا يهربوا * قيل سخر الكفار دون المؤمنين ويدل عليه اطلاق لفظ الشياطين وقوله حافظين والمؤمن اذا سخر في أمر لا يحتاج الى حفظ لانه لا يفسد ما عمل وتسخير أكثف الأجسام لداود وهو الحجر اذ أنطقه بالتسبيح والحديد اذ جعل في أصابعه قوة النار حتى لان له الحديد وعمل منه الزرد وتسخير ألطف الأجسام لسليمان وهو الريح والشياطين وهم من نار وكانوا يغوصون في الماء والماء يطفئ النار فلا يضرهم دليل واضح على باهر قدرته واظهار الضد من الضد وامكان احياء العظم الرميم وجعل التراب اليابس حيوانا فاذا أخبر به الصادق وجب قبوله واعتقاد وجوده انتهى ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من

﴿وأيوب اذ نادى ربه﴾ الآية روى أن أيوب كان روميا من ولد اسحق بن يعقوب استنبأه الله و بسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله فابتلاه الله بالمرض في بدنه ﴿وذا الكفل﴾ قيل كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا * وقال الأكثرون هو نبي ﴿وذا النون﴾ النون الحوت وذا بمعنى صاحب كما قال تعالى ان والقلم وانتصب ﴿مغاضبا﴾ على الحال فقيل معناه غضبانا وقيل مغاضبا لقومه أغضبهم بمفارقته وتخوفهم حلول العذاب وأغضبوه حين دعاهم الى الله مدة فلم يجيبوه فأوعدهم بالعذاب ثم خرج من بينهم على عادة الانبياء عند نزول العذاب قبل أن يأذن الله له في الخروج ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي نضيق عليه من القدر لا من القدرة ﴿فنادى في الظلمات﴾ في الكلام جمل محذوفة قد أوضحت في والصافات وجمع الظلمات لشدة تكاثفها فكأنها ظلمة مع ظلمة وقيل ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وروى أن يونس عليه السلام سجد سجدة في بطن الحوت حين سمع تسبيح الحيتان في قعر الماء ﴿أن لا إله الا أنت﴾ أن تفسيرية لانه سبق فنادى وهو فيه معنى القول ويجوز أن يكون التقدير بأنه فتكون مخففة من الثقيلة حصر الألوهية فيه تعالى ثم نزهه عن سمات النقص ثم أقر

عابعد ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له و ﴿الغم﴾ ما كان ناله حين التقمه الحوت ومدة بقائه في بطنه ﴿وزكريا﴾ تقدم الكلام عليه في آل عمران ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ روى أنها كانت سيئة الخلق فحسن الله خلقها والضمير في انهم عائد على زكريا ويحيي والزوجة ﴿رغبا ورهبا﴾ أي وقت الرغبة والرهبة

الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين . وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴿ طوّل الأخباريون في قصة أيوب وكان أيوب روميا من ولد اسحق بن يعقوب استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله وكان له سبع بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثمان عشرة سنة * وقيل دون ذلك فقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم * وروى أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا وذكروا كيفية في ذهاب ماله وأهله وتسليط ابليس عليه في ذلك الله أعلم بصحتها * وقرأ الجمهور أني بفتح الهمزة وعيسى بن عمر بكسرها اما على اضمار القول أي قائلا اني واما على اجراء نادى مجرى قال وكسر اني بعدها وهذا الثاني مذهب الكوفيين والأول مذهب البصريين والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين وقد ألطف أيوب في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ولم يعين الضر الذي مسه * واختلف المفسرون في ذلك على سبعة عشر قولا أمثلها انه نهض ليصلي فلم يقدر على النهوض فقال مسني الضر اخبارا عن حاله لا شكوى لبلائه رواه أنس مرفوعا والألف واللام في الضر للجنس تعم الضر في البدن والأهل والمال * وايتاء أهله ظاهره ان ما كان له من أهل رده عليه وأحياهم له بأعيانهم وآتاه مثل أهله مع أهله من الاولاد والأتباع وذكر انه جعل له مثلهم عدة في الآخرة * وانتصب رحمة على انه مفعول من أجله أي لرحمتنا اياه وذكرى منا بالاحسان لمن عندنا أو رحمة منا لأيوب وذكرى أي موعظة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب * وقال أبو موسى الأشعري ومجاهد كان ذو الكفل عبدا صالحا ولم يكن نبيا * وقال الاكثرون هو نبي فقيل هو الياس * وقيل زكريا * وقيل يوشع والكفل النصيب والحظ أي ذو الحظ من الله المحدود على الحقيقة * وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم * وقيل في تسميته ذا الكفل أقوال مضطربة لا تصح * وانتصب مغاضبا على الحال * فقيل معناه غضبان وهو من المفاعلة التي لا تقتضي اشتراكا نحو عاقبت اللص وسافرت * وقيل مغاضبا لقومه أغضبهم بمفارقته وتخوفهم حلول العذاب وأغضبوه حين دعاهم الى الله مدة فلم يجيبوه فأوعدهم بالعذاب ثم خرج من بينهم على

﴿والتي أحصنت فرجها﴾ هي مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام والظاهر أن الفرج هنا حياء المرأة أحصنته أي منعته من الحلال والحرام وقيل الفرج أيضا جيب قميصها وأضاف الروح اليه تعالى على جهة التشريف وأفرد آية لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادة مريم عيسى عليه السلام من غير فحل وان كان في مريم آيات وفي عيسى آيات لكنه هنا لحظ أمر الولادة من غير ذكر وذلك هو آية واحدة *قال الزمخشري فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي أي أحييته واذا ثبت ذلك كان قوله ونفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم *قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أي احييناه في جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته انتهى لا اشكال في ذلك لانه على حذف مضاف أي فنفخنا في ابنها من روحنا وقوله قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها استعمل نفخ متعديا والمحفوظ أنه لا يتعدى فيحتاج في تعديته الى سماع وغير متعد استعمله هو في قوله نفخت في المزمار في بيته وقوله للعالمين أي لمن اعتبر بها من عالمي زمانهم فمن بعدهم وناسب ذكر قصة زكريا وزوجه ويحيي للقرابة التي بينهم قال الشاعر ألا رب مولود وليس له أب * وذي ولد لم يلده أبوان يريد عيسى وآدم صلى الله عليهما وسلم

عادة الانبياء عند نزول العذاب قبل أن يأذن الله له فى الخروج * وقيل مغاضبا للملك حزقيا حين عينه لغزو ملك كان قد عاث فى بنى اسرائيل فقال له يونس آلله أمرك باخراجى قال لا قال فهل سمانى لك قال لا قال ههنا غيرى من الانبياء فألح عليه فخرج مغاضبا للملك وقول من قال مغاضبا لربه وحكى فى المغاضبة لربه كيفيات يجب اطراحها اذ لا يناسب شئ منها منصب النبوة وينبغى أن يتأول لمن قال ذلك من العلماء كالحسن والشعبى وابن جبير وغيرهم من التابعين وابن مسعود من الصحابة بان يكون معنى قولهم مغاضبا لربه أى لاجل ربه ودينه واللام لام العلة لا اللام الموصلة للمفعول به *وقرأ أبو شرف مغضبا اسم مفعول *فظن أن لن نقدر عليه أى نضيق عليه من القدر لا من القدرة وقيل من القدرة بمعنى أن لن نقدّر عليه الابتلاء *وقرأ الجمهور نقدر بنون العظمة مخففا * وقرأ ابن أبى ليلى وأبو شرف والكلبى وحميد بن قيس ويعقوب بضم الياء وفتح الدال مخففا وعيسى والحسن بالياء مفتوحة وكسر الدال وعلىّ بن أبى طالب واليمانى بضم الياء وفتح القاف والدال مشددة والزهرى بالنون مضمومة وفتح القاف وكسر الدال مشددة * فنادى فى الظلمات فى الكلام جمل محذوفة قد أوضحت فى سورة والصافات وهنالك نذكر قصته ان شاء الله تعالى وجمع الظلمات لشدة تكاثفها فكأنها ظلمة مع ظلمة * وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل * وقيل ابتلع حوته حوت آخر فصار فى ظلمتى بطنى الحوتين وظلمة البحر *وروى أن يونس سجد فى جوف الحوت حين سمع تسبيح الحيتان فى قعر البحر وان فى أن لا اله الا أنت تفسيرية لانه سبق فنادى وهو فى معنى القول ويجوز أن يكون التقدير بانه فتكون مخففة من الثقيلة حصر الالوهية فيه تعالى ثم نزهه عن سمات النقص ثم أقر بما بعد ذلك * وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له والغم ما كان ناله حين التقمه الحوت ومدة بقائه فى بطنه * وقرأ الجمهور ننجى مضارع أنجى والجحدرى مشددا مضارع نجى * وقرأ ابن عامر وأبو بكر نجى بنون مضمومة وجيم مشددة وياء ساكنة وكذلك هى فى مصحف الامام ومصاحف الامصار بنون واحدة واختارها أبو عبيد لموافقة المصاحف فقال الزجاج والفارسى هى لحن * وقيل هى مضارع أدغمت النون فى الجيم ورد بأنه لا يجوز ادغام النون فى الجيم التى هى فاء الفعل لاجتماع المثلين كما حذفت فى قراءة من قرأ ونزل الملائكة يريد وننزل الملائكة وعلى هذا أخرجها أبو الفتح *وقيل هو فعل ماض مبنى لما لم يسم فاعله وسكنت الياء كما سكنها من قرأ وذروا ما بقى من الربا والمقام مقام الفاعل ضمير المصدر أى نجى هو أى النجاء المؤمنين كقراءة أبى جعفر ليجزى قوما أى وليجزى هو أى الجزاء وقد أجاز اقامة غير المفعول به من مصدر أو ظرف مكان أو ظرف زمان أو مجرور الأخفش والكوفيون وأبو عبيد وذلك مع وجود المفعول به وجاء السماع فى اقامة المجرور مع وجود المفعول به نحو قوله

أتيح لى من العدا نذيرا * به وقيت الشر مستطيرا

وقال الأخفش فى المسائل ضرب الضرب الشديد زيدا وضرب اليومان زيدا وضرب مكانك زيدا وأعطى اعطاء حسن أخاك درهما مضروبا عبده زيدا * وقيل ضمير المصدر أقيم مقام الفاعل والمؤمنين منصوب باضمار فعل أى وكذلك نجى هو أى النجاء ننجى المؤمنين والمشهور عند البصريين انه متى وجد المفعول به لم يقم غيره الا ان صاحب اللباب حكى الخلاف فى ذلك عن البصريين وأن بعضهم أجاز ذلك *لا تذرنى فردا أى وحيدا بلا وارث سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه

﴿ ان هذه امتكم ﴾ الظاهران قوله أمتكم خطاب لمعاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه اشارة الى أن ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا أنتم عليها لاتنحرفون عنها ملة واحدة غير مختلفة ﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم ﴾ أخبر تعالى أنهم بعد ذلك اختلفوا وتقطعوا أمرهم والضمير في تقطعوا عائد على ضمير الخطاب على سبيل الالتفات أي وتقطعتم ولما كان هذا الفعل من أقبح المرتكبات عدل عن الخطاب الى الغيبة كأن هذا الفعل ماصدر من المخاطب لأن في الاخبار عنهم بذلك نعيا عليهم ما أفسدوه وكأنه يخبر غيرهم بما صدر عنهم من قبيح فعلهم ويقول ألا ترى ما ارتكب هؤلاء في دين الله جعلوا أمر دينهم قطعا كما تتوزع الجماعة الشيء لهذا نصيب ولهذا نصيب تمثيلا لاختلافهم ثم توعدهم برجوع هذه الفرقة المختلفة الى جزائه ﴿ فلا

ثم رد أمره الى الله فقال وأنت خير الوارثين أي ان لم ترزقني من يرثني فأنت خير وارث، واصلاح زوجه بحسن خلقها وكانت سيئة الخلق قاله عطاء ومحمد بن كعب وعون بن عبد الله * وقيل اصلاحها للولادة بعد أن كانت عاقرا قاله قتادة * وقيل اصلاحها رد شبابها ليها والضمير في انهم عائد على الأنبياء السابق ذكرهم أي ان استجابتنا لهم في طلباتهم كان لمبادرتهم الخير ولدعائهم لنا * رغبا ورهبا أي وقت الرغبة ووقت الرهبة كما قال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه * وقيل الضمير يعود على زكريا وزوجه وابنهما يحيي * وقرأت فرقة يدعونا حذفت نون الرفع وطلحة بنون مشددة أدغم نون الرفع في نا ضمير النصب * وقرأ ابن وثاب والاعمش ووهيب بن عمرو والنحوي وهارون وأبو معمر والأصمعي واللؤلؤي ويونس وأبو زيد سبعتهم عن أبي عمرو رغبا ورهبا بالفتح واسكان الهاء والاشهر عن الأعمش بضمتين فيهما * وقرأت فرقة بضم الراءين وسكون الغين والهاء وانتصب رغبا ورهبا على انهما مصدران في موضع الحال أو مفعول من أجله * والتي أحصنت فرجها هي مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام والظاهر ان الفرج هنا حياء المرأة أحصنته أي منعته من الحلال والحرام كما قالت ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا * وقيل الفرج هنا جيب قميصها منعته من جبريل لما قرب منها لينفخ حيث لم يعرف والظاهر ان قوله فنفخنا فيها من روحنا كناية عن ايجاد عيسى حيا في بطنها ولا نفخ هناك حقيقة وأضاف الروح اليه تعالى على جهة التشريف * وقيل هناك نفخ حقيقة وهو ان جبريل عليه السلام نفخ في جيب درعها وأسند النفخ اليه تعالى لما كان ذلك من جبريل بأمره تعالى تشريفا * وقيل الروح هنا جبريل كما قال فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها والمعنى فنفخنا فيها من جهة جبريل وكان جبريل قد نفخ من جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها * قال الزمخشري * فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي أي أحييته واذا ثبت ذلك كان قوله ونفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لأنه يدل على احياء مريم * قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته انتهى ولا اشكال في ذلك لانه على حذف مضاف أي فنفخنا في ابنها من روحنا وقوله قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها استعمل نفخ متعديا والمحفوظ انه لايتعدى فيحتاج في تعديه الى سماع وغير متعد استعمله هو في قوله أي نفخت في المزمار في بيته انتهى ولا اشكال في ذلك وأفرد آية لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل وان كان في مريم آيات وفي عيسى آيات لكنه هنا لحظ أمر الولادة من غير ذكر وذلك هو آية واحدة وقوله للعالمين أي لمن اعتبر بها من عالمي زمانها فمن بعدهم ودل ذكر مريم مع الأنبياء في هذه السورة على انها كانت نبية اذ قرنت معهم في الذكر ومن منع تنبؤ النساء قال ذكرت لاجل عيسى وناسب ذكرها هنا قصة زكريا وزوجه ويحيي للقرابة التي بينهم ﴿ ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا

(الدر)

(ش) فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي أي أحييته واذا ثبت ذلك كان قوله ونفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته (ح) لااشكال في ذلك لانه على حذف مضاف أي فنفخنا في ابنها من روحنا وقوله قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها استعمل نفخ متعديا والمحفوظ انه لايتعدى فيحتاج في تعديه الى سماع من العرب وغير متعد استعمله هو في قوله أي نفخت في المزمار في بيته

كفران لسعيه ﴾ ذكر حال المحسن وأنه لا يكفر سعيه والكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل في إعطائه اذ قيل لله شكور ولا لنفي الجنس فهو أبلغ من قوله فلا نكفر سعيه والكتابة عبارة عن اثبات عمله الصالح في صحيفة الاعمال ليثاب عليه ولا يضيع ﴿ وحرام على قرية ﴾ استعير الحرام للممتنع وجوده ومعنى أهلكناها قدرنا اهلاكها على ما هي عليه من الكفر فالاهلاك هنا اهلاك عن كفر ولا في لا يرجعون زائدة أي لا يرجعون الى الايمان كقوله ما منعك أن لا تسجد والمعنى وممتنع على أهل قرية قدرنا عليهم اهلاكهم لكفرهم رجوع في الدنيا الى الايمان الى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا وغيابما اقرب من مجيء الساعة وهو فتح يأجوج ومأجوج وتقدم الكلام على يأجوج والضمير في وهم عائد على يأجوج ومأجوج ﴿ من كل حدب ﴾ أي من الاماكن (٣٣٧) المرتفعة ﴿ ينسلون ﴾ يتساقطون ويسرعون ﴿ واقترب الوعد ﴾ أي الوعد بالبعث ﴿ الحق ﴾ الذي لا شك فيه والفاء جواب اذا السابقة واذا الفجائية وهي ضمير القصة مبتدأ وأبصار مبتدأ وشاخصة خبره والجملة خبر عن ضمير القصة وقال الزمخشري هي ضمير مبهم يوضحه الابصار ويفسره كما فسروا الذين ظلموا وأسروا انتهى لم يذكر غير هذا الوجه وهو قول الفراء ﴿ في غفلة من هذا ﴾ أي مما وجدنا الآن وتبينا من الحقائق ثم أضربوا عن قولهم قد كنا في غفلة وأخبروا بما كانوا قد تعمدوه من الكفر والاعراض عن الايمان فقالوا ﴿ بل كنا

ظالمين ﴾ والخطاب بقوله ﴿ إنكم وما تعبدون ﴾ للكفار المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما أهل مكة ومعبوداتهم هي الاصنام والحصب ما يحصب به أي يرمى به في نار جهنم ﴿ أنتم لها ﴾ أي النار ﴿ واردون ﴾ الورود هنا ورود دخول ﴿ لو كان هؤلاء ﴾ أي الأصنام التي يعبدونها ﴿ آلهة ما وردوها ﴾ أي ما دخلوها ﴿ وكل فيها ﴾ أي كل من العابدين ومعبوداتهم ﴿ لهم فيها زفير ﴾ الزفير صوت نفس المغموم يخرج من وسط القلب والظاهر أن الزفير انما يكون ممن تقوم به الحياة وهم العابدون والمعبودون ممن كان يدعي الالهية كفرعون وغلاة الاسماعيلية الذين كانوا ملوك مصر من بني عبيد الله أول ملوكهم ويجوز أن يجعل الله تعالى للاصنام التي عبدت حياة فيكون لها زفير ﴿ وهم فيها لا يسمعون ﴾ ما يسرهم بل يسمعون كلام من يتولى عذابهم من الزبانية كما قال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما

كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴾ والظاهر ان قوله أمتكم خطاب لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه اشارة الى ملة الاسلام أي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها ملة واحدة غير مختلفة ويحتمل أن تكون هذه اشارة الى الطريقة التي كان عليها الأنبياء المذكورون من توحيد الله تعالى هي طريقتكم وملتكم طريقة واحدة لا اختلاف فيها في أصول العقائد بل ما جاء به الأنبياء من ذلك هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم * وقيل معنى أمة واحدة مخلوقة له تعالى مملوكة له فالمراد بالأمة الناس كلهم * وقيل الكلام يحتمل أن يكون متصلا بقصة مريم وابنها أي وجعلناها وابنها آية للعالمين بأن بعث لهم بملة وكتاب وقيل لهم ان هذه أمتكم أي دعا الجميع الى الايمان بالله وعبادته ثم أخبر تعالى انهم بعد ذلك اختلفوا وتقطعوا أمرهم * وقرأ الجمهور أمتكم بالرفع خبر ان أمة واحدة بالنصب على الحال وقيل بدل من هذه * وقرأ الحسن أمتكم بالنصب بدل من هذه * وقرأ أيضا هو وابن اسحق والأشهب العقيلي وأبو حيوة وابن أبي عبلة والجعفي وهارون عن أبي عمرو والزعفراني أمتكم أمة واحدة برفع الثلاثة على ان أمتكم وأمة واحدة خبران أو أمة واحدة بدل من أمتكم بدل نكرة من معرفة أو خبر مبتدأ محذوف أي هي أمة واحدة والضمير في وتقطعوا عائد على ضمير الخطاب على سبيل الالتفات أي وتقطعتم ولما كان هذا الفعل من أقبح المرتكبات عدل عن الخطاب الى لفظ الغيبة كأن هذا الفعل ما صدر من المخاطب لان في الاخبار عنهم بذلك نعيا عليهم ما أفسدوه وكأنه يخبر غيرهم ما صدر من قبيح فعلهم ويقول ألا ترى الى ما ارتكب هؤلاء في دين الله جعلوا أمر دينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء لهذا نصيب ولهذا نصيب تمثيلا لاختلافهم

ثم توعدهم برجوع هذه الفرقة المختلفة الى جزائه * وقيل كل من الثابت على دينه الحق والزائغ عنه الى غيره * وقرأ الأعمش زبرا بفتح الباء جمع زبرة ثم ذكر حال المحسن وانه لا يكفر سعيه والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور ولا لنفي الجنس فهو أبلغ من قوله فلا يكفر سعيه والكتابة عبارة عن اثبات عمله الصالح في صحيفة الأعمال ليثاب عليه ولا يضيع والكفران مصدر كالكفر * قال الشاعر

رأيت أناسا لا تنام جدودهم * وجدي ولا كفران لله نائم

وفي حرف عبد الله لا كفر ولسعيه متعلق بمحذوف أي نكفر لسعيه ولا يكون متعلقا بكفران اذ لو كان متعلقا به لكان اسم لا مطولا فيلزم تنوينه * وقرأ الجمهور وحرام * وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وطلحة والأعمش وأبو حنيفة وأبو عمرو في رواية وحرم بكسر الحاء وسكون الراء * وقرأ قتادة ومطر الوراق ومحبوب عن أبي عمرو بفتح الحاء وسكون الراء * وقرأ عكرمة وحرم بكسر الراء والتنوين * وقرأ ابن عباس وعكرمة أيضا وابن المسيب وقتادة أيضا بكسر الراء وفتح الحاء والميم على المضي بخلاف عنهما وأبو العالية وزيد بن علي بضم الراء وفتح الحاء والميم على المضي * وقرأ ابن عباس أيضا بفتح الحاء والراء والميم على المضي * وقرأ اليماني وحرّم بضم الحاء وكسر الراء مشددة وفتح الميم * وقرأ الجمهور أهلكناها بنون العظمة * وقرأ السلمي وقتادة بتاء المتكلم واستعير الحرام للممتنع وجوده ومنه ان الله حرمهما على الكافرين * ومعنى أهلكناها قدرنا اهلاكها على ماهي عليه من الكفر فالاهلاك هنا اهلاك عن كفر ولا في لا يرجعون صلة وهو قول أبي عبيد كقولك ما منعك أن لا تسجد أي يرجعون الى الايمان والمعنى وممتنع على أهل قرية قدرنا عليهم اهلاكهم لكفرهم رجوعهم في الدنيا الى الايمان الى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا وغيا بما قرب من مجيء الساعة وهو فتح يأجوج ومأجوج * وقرئ انهم بالكسر فيكون الكلام قد تم عند قوله أهلكناها او يقدر محذوف تصير به وحرام على قرية أهلكناها جملة أي ذلك وتكون اشارة الى العمل الصالح المذكور في قسيم هؤلاء المهلكين والمعنى وحرام على أهل قرية قدرنا اهلاكهم لكفرهم عمل صالح ينجون به من الاهلاك ثم أكد ذلك وعلله بأنهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك فالمحذوف مبتدأ والخبر وحرام وقدره بعضهم متقدما كأنه قال والاقالة والتوبة حرام * وقراءة الجمهور بالفتح تصح على هذا المعنى وتكون لا نافية على بابها والتقدير لانهم لا يرجعون * وقيل أهلكناها أي وقع اهلاكنا اياهم ويكون رجوعهم الى الدنيا فيتوبون بل هم صائرون الى العذاب * وقيل الاهلاك بالطبع على القلوب والرجوع هو الى التوبة والايمان * وقال الزجاج وحرام على قرية أهلكناها حكمنا باهلاكها أن نتقبل أعمالهم لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون ودل على هذا المعنى قوله قبل فلا كفران لسعيه أي يتقبل عمله ثم ذكر هذا عقيبه وبين ان الكافر لا يتقبل عمله * وقال أبو مسلم بن بحر حرام ممتنع وانهم لا يرجعون انتفاء الرجوع الى الآخرة واذا امتنع الانتفاء وجب الرجوع فالمعنى انه يجب رجوعهم الى الحياة في الدار الآخرة ويكون الغرض انكار قول من ينكر البعث وتحقيق ما تقدم من انه لا كفران لسعي أحد وانه يجزى على ذلك يوم القيامة * وقيل الحرام يجيء بمعنى الواجب يدل عليه قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا وترك الشرك واجب * وقالت الخنساء

حرام على أن لا أرى الدهر باكيا * على شجوه الا بكيت على صخر

وأيضا فن الاستعمال اطلاق الضمير على ضده وعلى هذا فقال مجاهد والحسن لا يرجعون عن الشرك * وقال قتادة ومقاتل الى الدنيا * قال ابن عطية ويتجه فى الآية معنى ضمنه وعيد بين وذلك أنه ذكر من عمل صالحا وهو مؤمن ثم عاد الى ذكر الكفرة الذين من كفرهم ومعتقدهم انهم لا يحشرون الى رب ولا يرجعون الى معاد فهم يظنون بذلك انه لا عقاب ينالهم فجاءت الآية مكذبة لظن هؤلاء أى وممتنع على الكفرة المهلكين انهم لا يرجعون بل هم راجعون الى عقاب الله وأليم عذابه فيكون لا على بابها والحرام على بابه وكذلك الحرم فتأمله انتهى * وحتى قال أبو البقاء متعلقة فى المعنى بحرام أى يستمر الامتناع الى هذا الوقت ولا عمل لها فى اذا * وقال الحوفى حتى غاية والعمل فيها ما دل عليه المعنى من تأسفهم على ما فرطوا فيه من الطاعة حين فاتهم الاستدراك * وقال الزمخشرى (فان قلت) بم تعلقت حتى واقعة غاية له وأية الثلاث هى (قلت) هى متعلقة بحرام وهى غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهى حتى التى تحكى الكلام والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء أعنى اذا وما فى حيزها انتهى * وقال ابن عطية هى متعلقة بقوله وتقطعوا ويحتمل على بعض التأويلات المتقدمة أن تعلق بيرجعون ويحتمل أن تكون حرف ابتداء وهو الأظهر بسبب اذا لأنها تقتضى جوابا هو المقصود ذكره انتهى وكون حتى متعلقة فيه بعد من حيث ذكر الفصل لكنه من جهة المعنى جيد وهو انهم لا يزالون مختلفين غير مجتمعين على دين الحق الى قرب مجىء الساعة فاذا جاءت الساعة انقطع ذلك الاختلاف وعلم الجميع ان مولاهم الحق وان الدين المنجى هو كان دين التوحيد وجواب اذا محذوف تقديره قالوا يا ويلنا قاله الزجاج وجماعة أو تقديره فحينئذ يبعثون فاذا هى شاخصة أو مذكور وهو واقترب على زيادة الواو قاله بعضهم وهو مذهب الكوفيين وهم يجيزون زيادة الواو والفاء فى فاذا هى قاله الحوفى * وقال الزمخشرى واذا هى المفاجأة وهى تقع فى المفاجآت سادة مسد الفاء لقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل اذا هى شاخصة كان سديدا * وقال ابن عطية والذى أقول ان الجواب فى قوله فاذا هى شاخصة وهذا هو المعنى الذى قصد ذكره لأنه رجوعهم الذى كانوا يكذبون به وحرم عليهم امتناعه وتقدم الخلاف فى فتحت فى الأنعام ووافق ابن عامر أبو جعفر وشيبة وكذا التى فى الأنعام والقمر فى تشديد التاء والجمهور على التخفيف فيهن وفتحت يأجوج على حذف مضاف أى سد يأجوج ومأجوج وتقدم الخلاف فى قراءة يأجوج ومأجوج والظاهر أن ضمير وهم عائد على يأجوج ومأجوج أى يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويعمون الارض * وقيل الضمير للعالم ويدل عليه قراءة عبد الله وابن عباس من كل جدث بالثاء المثلثة وهو القبر * وقرئ بالفاء الثاء للحجاز والفاء لتميم وهى بدل من الثاء كما أبدلوا الثاء منها قالوا المغثور وأصله مغفور * وقرأ الجمهور ينسلون بكسر السين وابن أبى اسحق وأبو السمال بضمها واقترب الوعد الحق أى الوعد بالبعث الحق الذى لا شك فيه * واقترب قيل أبلغ فى القرب من قرب وضمير هى للقصة كأنه قيل فاذا القصة والحادثة أبصار الذين كفروا شاخصة ويلزم أن تكون شاخصة الخبر وأبصار مبتدا ولا يجوز ارتفاع أبصار بشاخصة لأنه يلزم أن تكون بعد ضمير الشأن أو القصة جملة تفسر الضمير مصرح بجزأيها ويجوز ذلك على مذهب الكوفيين * وقال الزمخشرى هى ضمير مبهم توضحه الأبصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا وأسروا

(الدر)

(ش) هى ضمير مبهم توضحه الابصار ويفسره كما فسر الذين ظلموا وأسروا (ح) ولم يذكر غير هذا الوجه وهو قول للفراء قال الفراء هى ضمير الابصار تقدمت لدلالة الكلام ومجىء ما يفسرها وأنشد على ذلك قول الشاعر

* فلا وأبيها لا تقول خليلتى
الاقرعنى مالك بن أبى كعب
وذكر أيضا الفراء ان هى عماد يصلح فى موضعها هو وأنشد

* بثوب ودينار وشاة ودرهم *
فهل هو مرفوع بما هاهنا رأس * وهذا لا يتمشى الاعلى أحد قولى الكسائى فى اجازته تقديم الفصل مع الخبر على المبتدإ أجاز هو القائم زيد على ان زيد هو المبتدا والقائم خبره وهو عماد وأصل المسئلة زيد هو القائم ويقول أصل هذه فاذا أبصار الذين كفروا هى شاخصة فشاخصة خبر عن أبصار وتقدم مع العماد ويجىء على مذهب من يجيز العماد قبل خبر نكرة

انتهى ولم يذكر غير هذا الوجه وهو قول للفراء * قال الفراء هي ضمير الابصار تقدمت لدلالة الكلام ومجيء ما يفسرها وأنشد على ذلك قول الشاعر

فلا وأبيها لا تقول خليلتي * الا فرّ عني مالك بن أبي كعب

وذكر أيضا الفراء ان هي عماد يصلح في موضعها هو وأنشد

بثوب ودينار وشاة ودرهم * فهل هو مرفوع بما ههنا رأس

وهذا لا يتمشى إلا على أحد قولي الكسائي في اجازته تقديم الفصل مع الخبر على المبتدا أجاز هو القائم زيد على أن زيد هو المبتدا والقائم خبره وهو عماد وأصل المسئلة زيد هو القائم ويقول أصله هذه فاذا أبصار الذين كفروا هي شاخصة فشاخصة خبر عن أبصار وتقدم مع العماد ويجيء على مذهب من يجيز العماد قبل خبره نكرة وذكر الثعلبي وجها آخر وهو أن الكلام تم عند قوله فاذا هي أي بارزة واقعة يعني الساعة ثم ابتدأ فقال شاخصة أبصار الذين كفروا وهذا وجه متكلف متنافر التركيب وروى حذيفة لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة يعني في مجيء الساعة اثر خروجهم *ياويلنا معمول لقول محذوف * قال الزمخشري تقديره يقولون وهو في موضع الحال من الذين كفروا وتقدم قول الزجاج ان هذا القول جواب اذا والشخوص احداد النظر دون أن يطرف في غفلة من هذا انتهى أي مما وجدنا الآن وتبينا من الحقائق ثم أضربوا عن قولهم قد كنا في غفلة وأخبروا بما قد كانوا تعمدوه من الكفر والاعراض عن الايمان فقالوا بل كنا ظالمين والخطاب بقوله انكم وما تعبدون من دون الله للكفار المعاصرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيا أهل مكة ومعبوداتهم هي الاصنام * وقرأ الجمهور حصب بالحاء والصاد المهملتين وهو ما يحصب به أي يرمى به في نار جهنم وقبل أن يرمى به لا يطلق عليه حصب الا مجازا * وقرأ ابن السميفع وابن أبي عبلة ومحبوب وأبو حاتم عن ابن كثير باسكان الصاد ورويت عن ابن عباس وهو مصدر يراد به المفعول أي المحصوب * وقرأ ابن عباس بالضاد المعجمة المفتوحة وعنه اسكانها وبذلك قرأ كثير عزة والحضب ما يرمى به في النار والمحضب العود أو الحديدة أو غيرهما مما تحرك به النار * قال الشاعر

فلا تك في حربنا محضبا * فتجعل قومك شتى شعوبا

* وقرأ أبيّ وعليّ وعائشة وابن الزبير وزيد بن علي حطب بالطاء وجمع الكفار مع معبوداتهم في النار لزيادة غمهم وحسرتهم برؤيتهم معهم فيها إذ عذبوا بسببهم وكانوا يرجون الخير بعبادتهم فحصل لهم الشر من قبلهم ولأنهم صاروا لهم أعداء ورؤية العدو مما يزيد في العذاب * كما قال الشاعر

واحتمال الأذى ورؤية جانيه * غذاء تضنى به الأجسام

*أنتم لها أي للنار واردون الورود هنا ورود دخول *لو كان هؤلاء أي الاصنام التي تعبدونها آلهة ماوردوها أي ما دخلوها ودل على أنه ورود دخول قوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم * وقرأ الجمهور آلهة بالنصب على خبر كان * وقرأ طلحة بالرفع على أن في كان ضمير الشأن *وكل فيها أي كل من العابدين ومعبوداتهم *لهم فيها زفير وهو صوت نفس المغموم يخرج من القلب والظاهر أن الزفير انما يكون ممن تقوم به الحياة وهم العابدون والمعبودون ممن كان يدعي الالهية كفرعون وكغلاة الاسماعيلية الذين كانوا ملوك مصر من بني عبيد الله أول ملوكهم ويجوز أن يجعل الله للاصنام التي عبدت حياة فيكون لها زفير * وقال الزمخشري اذا كانوا هم وأصنامهم في

﴿ ان الذين سبقت لهم ﴾ الآية سبب نزولها قول ابن الزبعرى حين سمع انكم وما تعبدون الآية لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله الآية و ﴿ الحسنى ﴾ الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن إما السعادة وإما البشرى بالثواب * والحسيس الصوت الذي يحس من حركة الاجرام والشهوة طلب النفس اللذة * والفزع الأكبر عام في كل هول يكون في القيامة ﴿ وتتلقاهم الملائكة ﴾ بالسلام عليهم وعن ابن عباس تتلقاهم الملائكة بالرحمة عند خروجهم من القبور قائلين لهم ﴿ هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ بالكرامة والثواب والنعيم فيه ﴿ يوم نطوى السماء ﴾ المعنى طيا مثل طى السجل قال الزمخشري العامل في يوم من قوله يوم نطوى الفزع انتهى هذا ليس بجائز لأن الفزع مصدر وقد وصف قبل أخذ معموله فلا يجوز ما ذكر والعامل فيه اذكر مقدرة التقدير اذكر يوم نطوى وطى مصدر مضاف الى المفعول أي ليكتب فيه أو لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة والظاهر أن الكاف ليست مكفوفة بل هي جارة وما بعدها مصدرية ينسبك منها مع الفعل مصدر هو في موضع جر بالكاف * وأول خلق مفعول بدأنا والمعنى نعيد أول خلق اعادة مثل بدأتنا له أي كما أبرزناه من العدم الى الوجود كذلك نعيده من العدم الى الوجود وانتصب ﴿ وعدا ﴾ على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة الخبرية قبله ﴿ انا كنا فاعلين ﴾ تأكيد لتحتم الخبر أي نحن قادرون على أن نفعل * والزبور الظاهر أنه زبور داود وقيل الزبور يعم الكتب المنزلة * والذكر اللوح المحفوظ * والارض قال ابن عباس هي أرض الجنة قال تعالى وأورثنا الأرض نتبوأ والاشارة في قوله ان في هذا لبلاغا الى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة ﴿ لبلاغا ﴾ كفاية يبلغ بها الى الخير وكونه عليه السلام رحمة لكونه جاءهم بما يسعدهم و ﴿ للعالمين ﴾ قيل خاص بمن آمن به وقيل عام وكونه رحمة للكافرين حيث أخر عقوبتهم ولم يستأصل الكفار بالعذاب قال عوفي مما أصاب غيرهم من الأمم من مسخ وخسف وغرق وقذف وأخر أمره الى الآخرة * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون معناه وما أرسلناك للعالمين الا رحمة أي هو رحمة في نفسه وهدى بين أخذ به من أخذ وأعرض عنه من أعرض انتهى لا يجوز على المشهور أن يتعلق الجار بعد الا بالفعل قبلها الا ان كان العامل مفرغا له نحو ما مررت الا بزيد * قال الزمخشري انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقوله انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأن انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما إلهكم إله واحد بمنزلة انما زيد قائم * وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية انتهى أما ما ذكر في انما أنها للقصر ما ذكر فهو مبنى على أن انما للحصر وقد قررنا أنها لا تكون للحصر وأن ما مع أن كهي مع كأن ومع لعل فكما أنها لا تفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر في الترجي فكذا لا تفيده مع ان وأما جعله انما المفتوحة الهمزة مثل مكسورتها تدل على القصر فلا نعلم الخلاف الا في إنما بالكسر وأما بالفتح فحرف مصدري ينسبك منه مع ما بعده مصدر فالجملة بعدها ليست جملة مستقلة ولو كانت إنما دالة على الحصر لزم أن يقال انه لم يوح اليه شئ الا التوحيد وذلك لا يصح فيه الحصر اذ قد أوحى اليه أشياء غير التوحيد ﴿ فهل انتم مسلمون ﴾ استفهام يتضمن الأمر باخلاص التوحيد والانقياد الى الله تعالى

قرن واحد جاز أن يقال لهم فيها زفير ان لم يكن الزافر الا هم وهم فيها لا يسمعون وروى عن ابن مسعود انهم يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون وقال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما في سماع الاشياء روح فتح الله الكفار ذلك في النار * وقيل لا يسمعون ما يسرهم من كلام الزبانية ﴿ ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت نفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون ان في هذا البلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون فان تولوا فقل

﴿آذنتكم﴾ اعلمتكم ويتضمن معنى التحذير والنذارة ﴿على سواء﴾ لم أخص احدا دون احد وهذا الانذار اعلام بما يحل بمن تولى من العذاب وغلبة الاسلام ولكني لا ادري متى يكون ذلك وان نافية وادري معلقة * والجملة الاستفهامية في موضع نصب بأدري وتأخر المستفهم عنه لكونه فاصلة اذ لو كان التركيب ﴿أقريب ماتوعدون أم بعيد﴾ لم تكن فاصلة وكثيرا مايرجح الحكم في الشئ لكونه فاصلة آخر آية والمعنى أنه تعالى لم يعلمني علمه ولم يطلعني

آذنتكم على سواء وان أدري أقريب أم بعيد ماتوعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون *

سبب نزول ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قول ابن الزبعرى حين سمع انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية * وقيل لما اعترض ابن الزبعرى قيل لهم ألستم قوما عربا أو ماتعلمون ان من لمن يعقل وما لما لا يعقل فعلى القول الأول يكون ابن الزبعرى قد فهم من قوله وماتعبدون العموم فلذلك نزل قوله ان الذين سبقت لهم الآية تخصيصا لذلك العموم وعلى هذا القول الثاني يكون ابن الزبعرى رام مغالطة فأجيب بأن من لمن يعقل وما لما لا يعقل فبطل اعتراضه والحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة والظاهر من قوله مبعدون فابعده ان من سبقت له الحسنى لايدخل النار * وروى ان عليا كرم الله وجهه قرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس من حركة الاجرام وهذا الابعاد وانتفاء سماع صوتها قيل هو قبل دخول الجنة * وقيل بعد دخولهم واستقرارهم فيها والشهوة طلب النفس اللذة * وقال ابن عطية وهذه صفة لهم بعد دخولهم الجنة لأن الحديث يقتضي انه في الموقف تزفر جهنم زفرة لايبقى نبي ولا ملك الا جثا على ركبتيه والفزع الاكبر عام في كل هول يكون في يوم القيامة فكان يوم القيامة بجملته هو الفزع الاكبر وان خصص بشئ فيجب أن يقصد لاعظم هوله انتهى * وقيل الفزع الاكبر وقوع طبق جهنم عليها قاله الضحاك * وقيل النفخة الاخيرة * وقيل الأمر بأهل النار الى النار روى عن ابن جبير وابن جريج والحسن * وقيل ذبح الموت * وقيل اذا نودي اخسؤا فيها ولا تكلمون * وقيل يوم نطوي السماء ذكره مكي * وتتلقاهم الملائكة بالسلام عليهم * وعن ابن عباس تتلقاهم الملائكة بالرحمة عند خروجهم من القبور قائلين لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون بالكرامة والثواب والنعيم * وقرأ أبو جعفر لايحزنهم مضارع أحزن وهي لغة تميم وحزن لغة قريش والعامل في يوم لايحزنهم وتتلقاهم وأجاز أبو البقاء ان يكون بدلا من العائد المحذوف في توعدون فالعامل فيه توعدون أي توعدونه أو مفعولا باذكر أو منصوبا بأعني * وأجاز الزمخشري ان يكون العامل فيه الفزع وليس بجائز لأن الفزع مصدر وقد وصف قبل أخذ معموله فلا يجوز ما

عليه والله هو العالم الذي لايخفى عليه شئ وما في قوله ماتوعدون فاعل بقريب تقديره أيقرب ماتوعدون أم يبعد ﴿وان أدري لعله فتنة لكم﴾ أي لعل تأخير هذا الوعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون أو متاع لكم الى حين ليكون ذلك حجة وليقع الموعد في وقت هو حكمه وأدري هي هنا معلقة أيضا وجملة الترجي هي مصب الفعل والكوفيون يجرون لعل مجرى هل فكما يقع التعليل عن هل فكذلك عن لعل وقد ذهب الى ذلك أبو علي الفارسي وان كان ذلك ظاهرا فيها كقوله تعالى ومايدريك لعل الساعة قريب وقيل الى حين أي الى يوم القيامة ﴿قل رب احكم بالحق﴾ قرئ قل على الأمر وقال على الخبر وهو من باب الالتفات انتقل من ضمير المتكلم في أدري الى ضمير الغائب في قال ورب منادى مضاف تقديره يارب وقرئ احكم على الأمر وقرئ باسكان الياء في ربي أحكم جعله أفعل التفضيل فربي احكم مبتدأ وخبر وقرئ احكم فعلا ماضيا وقرأ الجمهور تصفون بتاء الخطاب وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على أبي مايصفون بياء الغيبة

(الدر) (ش) العامل في يوم في قوله يوم نطوي الفزع انتهى بالمعنى (ح) ليس بجائز لان الفزع مصدر وقد وصف قبل أخذ معموله فلا يجوز ماذكر

ذكر* وقرأ الجمهور نطوي بنون العظمة* وفرقة منهم شيبة بن نصاح يطوى بياء أي الله وأبو جعفر وفرقة بالتاء مضمومة وفتح الواو والسماء رفعا والجمهور السجل على وزن الطمر وأبو هريرة وصاحبه وأبو زرعة بن عمرو بن جرير بضمتين وشد اللام والاعمش وطلحة وأبو السمال السجل بفتح السين والحسن وعيسى بكسرهما والجيم في هاتين القراءتين ساكنة واللام مخففة* وقال أبو عمرو وقراءة أهل مكة مثل قراءة الحسن * وقال مجاهد السجل الصحيفة * وقيل هو مخصوص من الصحف بصحيفة العهد والمعنى طيا مثل طي السجل وطي مصدر مضاف الى المفعول أي ليكتب فيه أو لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة والاصل كطي الطاوي السجل فحذف الفاعل وحذفه يجوز مع المصدر المنحل لحرف مصدري والفعل وقدره الزمخشري مبنيا للمفعول أي كما يطوى السجل* وقال ابن عباس وجماعة السجل ملك يطوى كتب بني آدم اذا رفعت اليه * وقالت فرقة هو كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذين القولين يكون المصدر مضافا للفاعل * وقال أبو الفضل الرازي الاصح أنه فارسي معرب انتهى* وقيل أصله من المساجلة وهي من السجل وهو الدلو ملأى ماء * وقال الزجاج هو رجل بلسان الحبش * وقرأ الجمهور للكتاب مفردا وحمزة والكسائي وحفص للكتب جمعا وسكن التاء الاعمش* وقال الزمخشري أول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء (فان قلت) وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه (قلت) أوله ايجاده من العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم (فان قلت) ما بال خلق منكرا (قلت) هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى انتهى والظاهر ان الكاف ليست مكفوفة كما ذكر بل هي جارة وما بعدها مصدرية ينسبك منها مع الفعل مصدر هو في موضع جر بالكاف *وأول خلق مفعول بدأنا والمعنى نعيد أول خلق اعادة مثل بدأتناله أي كما أبرزناه من العدم الى الوجود نعيده من العدم الى الوجود وفي ما قدره الزمخشري تهيئة بدأنا لأن ينصب أول خلق على المفعولية وقطعه عنه من غير ضرورة تدعو الى ذلك وارتكاب اضمار نعيد مفسرا بنعيده وهذه عجمة في كتاب الله وأما قوله ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده فهو ضعيف جدا لأنه مبني على أن الكاف اسم لا حرف فليس مذهب الجمهور انما ذهب الى ذلك الاخفش وكونها اسما عند البصريين غير مخصوص بالشعر * وقال ابن عطية يحتمل معنيين أحدهما أن يكون خبرا عن البعث أي كما اخترعنا الخلق أولا على غير مثال كذلك ننشئهم تارة أخرى فنبعثهم من القبور والثاني أن يكون خبرا عن ان كل شخص يبعث يوم القيامة على

(الدر) (ش) أول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء* فان قلت وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه* قلت أوله ايجاده عن العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم* فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق بمعنى أول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده* وأول خلق ظرف لبدأنا أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى (ح) الظاهر ان الكاف ليست مكفوفة كما ذكر بل هي جارة وما بعدها مصدرية ينسبك منها مع الفعل مصدر هو في موضع جر بالكاف *وأول خلق مفعول بدأنا والمعنى نعيد أول خلق اعادة مثل بدأتناله أي كما أبرزناه من العدم الى الوجود نعيده من العدم الى الوجود وفيما قدره (ش) تهيئة بدأنا لان ينصب أول خلق على المفعولية وقطعه عنه من غير ضرورة تدعو الى ذلك فارتكاب اضمار نعيد مفسرا بنعيده وهي عجمة في كتاب الله وأما قوله ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده فهو ضعيف جدا لانه مبني على ان الكاف اسم لا حرف وليس مذهب الجمهور وانما ذهب الى ذلك الاخفش وكونها اسما عند البصريين غير مخصوص بالشعر

هيئته التي خرج بها الى الدنيا ويؤيده يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وقوله كما بدأنا الكاف متعلقة بقوله نعيده انتهى وانتصب وعدا على انه مفعول مصدر مؤكدا لمضمون الجملة الخبرية قبله * انا كنا فاعلين تأكيد لتحتم الخبر أي نحن قادرون على أن نفعل والزبور الظاهر انه زبور داود وقاله الشعبي ومعنى هذه الآية موجود في زبور داود وقرأناه فيه والذكر التوراة قاله ابن عباس * وقيل الزبور ما بعد التوراة من الكتب والذكر التوراة وقيل الزبور يعم الكتب المنزلة والذكر اللوح المحفوظ * والارض قال ابن عباس أرض الجنة * وقيل الارض المقدسة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والاشارة في قوله ان في هذا أي المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة لبلاغا كفاية يبلغ بها الى الخير * وقيل الاشارة الى القرآن جملة وكونه عليه السلام رحمة لكونه جاءهم بما يسعدهم * وللعالمين * قيل خاص بمن آمن به * وقيل عام وكونه رحمة للكافر حيث أخر عقوبته ولم يستأصل الكفار بالعذاب قال معناه ابن عباس * قال عوفي مما أصاب غيرهم من الأمم من مسخ وخسف وغرق وقذف وأخر أمره الى الآخرة * قال ابن عطية ويحتمل ان يكون معناه وما أرسلناك للعالمين الارحمة أي هو رحمة في نفسه وهدى بين أخذ به من أخذ وأعرض عنه من أعرض انتهى ولا يجوز على المشهور أن يتعلق الجار بعد الا بالفعل قبلها الأن كان العامل مفرغا له نحو ما مررت الا بزيد * وقال الزمخشري انما تقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثلان في هذه الآية لأن انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية انتهى وأما ما ذكره في انما انها القصر ماذكر فهو مبني على انما للحصر وقد قررنا أنها لا تكون للحصر وانما مع ان كهي مع كان ومع لعل فكما انها لا تفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر في الترجي فكذلك لا تفيده مع ان وأما جعله انما المفتوحة الهمزة مثل مكسورتها يدل على القصر فلا نعلم الخلاف الا في انما بالكسر وأما بالفتح فحرف مصدري ينسبك منه مع ما بعدها مصدر فالجملة بعدها ليست جملة مستقلة ولو كانت انما دالة على الحصر لزم أن يقال انه لم يوح اليه شئ الا التوحيد وذلك لا يصح الحصر فيه اذ قد أوحى له أشياء غير التوحيد وفي الآية دليل على تظافر المنقول للمعقول وان النقل أحد طريقي التوحيد ويجوز في ما من انما أن تكون موصولة * فهل أنتم مسلمون استفهام يتضمن الأمر باخلاص التوحيد والانقياد الى الله تعالى * آذنتكم أعلمتكم وتتضمن معنى التحذير والنذارة * على سواء لم أخص أحدا دون أحد وهذا الايذان هو اعلام بما يحل بمن تولى من العقاب وغلبة الاسلام ولكني لا أدري متى يكون ذلك وان نافية وأدري معلقة والجملة الاستفهامية في موضع نصب بأدري وتأخر المستفهم عنه لكونه فاصلة اذ لو كان التركيب أقريب ما توعدون أم بعيد لم تكن فاصلة وكثيرا ما يرجح الحكم في الشئ لكونه فاصلة آخر آية * وعن ابن عامر في رواية وان أدري بفتح الياء في الآيتين تشبيها بياء الاضافة لفظا وان كانت لام الفعل ولا تفتح الا باعامل وأنكر ابن مجاهد فتح هذه الياء والمعنى أنه تعالى لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله هو العالم الذي لا يخفى عليه شئ * وان أدري لعله فتنة أي لعل تأخير هذا

أخذ به من أخذوا عرض عنه من أعرض (ح) لا يجوز على المشهور ان يتعلق الجار بعد الا بالفعل قبلها الا ان كان العامل مفرغا له نحو ما مررت الا بزيد (ش) انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقوله انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما إلهكم إله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية (ح) اما ماذكره في انما انها لقصر ماذكر فهو مبني على ان انما للحصر وقد قررنا أنها لا تكون للحصر وان ما مع أن كهي مع كان ومع لعل فكما أنها لا تفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر في الترجي فكذلك لا تفيده مع ان وأما جعله انما المفتوحة الهمزة مثل مكسورتها تدل على القصر فلا نعلم الخلاف الا في انما بالكسر وأما بالفتح فحرف مصدري ينسبك منه مع ما بعده مصدر فالجملة بعدها ليست جملة مستقلة ولو كانت انما دالة على الحصر لزم ان يقال انه لم يوح اليه شئ الا التوحيد وذلك لا يصح الحصر فيه اذ قد أوحى اليه أشياء غير التوحيد

الموعد امتحان لكم لننظر كيف تعملون أو يمتع لكم الى حين ليكون ذلك حجة وليقع الموعد في وقت هو حكمة ولعل هنا معلقة أيضا وجملة الترجي هي مصب الفعل والكوفيون يجرون لعل مجرى هل فكما يقع التعليق عن هل كذلك عن لعل ولا أعلم أحدا ذهب الى أن لعل من أدوات التعليق وان كان ذلك ظاهرا فيها كقوله وما يدريك لعل الساعة قريب وما يدريك لعله يزكى * وقيل الى حين الى يوم القيامة * وقيل الى يوم بدر * وقرأ الجمهور قل رب أمرا و بكسر الباء * وقرأ حفص قال وأبو جعفر رب بالضم * قال صاحب اللوامح على أنه منادى مفرد وحذف حرف النداء فيما جاز أن يكون وصفا لأى بعيد بابه الشعر انتهى وليس هذا من نداء النكرة المقبل عليها بل هذا من اللغات الجائزة في ياغلامى وهى أن تبنيه على الضم وأنت تنوى الاضافة لما قطعته عن الاضافة وأنت تريدها بنيته فمعنى رب يارب * وقرأ الجمهور احكم على الأمر من حكم * وقرأ ابن عباس وعكرمة والجحدرى وابن محيصن ربى باسكان الياء أحكم جعله أفعل التفضيل فربى أحكم مبتدأ وخبر * وقرأت فرقة أحكم فعلا ماضيا * وقرأ الجمهور تصفون بتاء الخطاب وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على أبي على مايصفون بياء الغيبة ورويت عن ابن عامر وعاصم

﴿ سورة الحج سبع وسبعون آية مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار ان الله يفعل مايريد من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل

مايشاء هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به مافى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لاتشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم و يذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام الا مايتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام فالهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين ﴾ * ذهل عن الشئ ذهولا اشتغل عنه قاله قطرب وقال غيره غفل لطريان شاغل من هم أو وجع أوغيره * وقيل مع دهشة * المضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ * المخلقة المسواة الملساء لانقص ولا عيب فيها يقال خلق السواك والعود سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء أى ملساء * الطفل يقال من وقت انفصال الولد الى البلوغ و يقال لولد الوحشية طفل و يوصف به المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد و يقال أيضا طفل وطفلان وأطفال وأطفلت المرأة صارت ذا طفل والطفل بفتح الطاء الناعم و جارية طفلة ناعمة و بنان طفل وقد طفل الليل أقبل ظلامه والطفل بالتحريك بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب والطفل أيضا مطر * وقال المبرد هو اسم يستعمل مصدرا كالرضا والعدل يقع على الواحد والجمع * همدت الأرض يبست ودرست والثوب بلى انتهى * وقال الأعشى

قالت قتيلة ماجسمك شاحبا * وأرى ثيابك باليات همدا

* البهيج الحسن السار للناظر يقال فلان ذو بهجة أى حسن وقد بهج بالضم بهاجة و بهجة فهو بهيج وأبهجنى أعجبنى بحسنه * العطف الجانب وعطفا الرجل يمينه وشماله وأصله من العطف وهو اللين و يسمى الرداء العطاف * المجوس قوم يعبدون النار والشمس والقمر * وقيل يعبدون النار * وقيل قوم اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح * وقيل قوم أخذوا من دين النصارى شيأ ومن دين اليهود شيأ وهم القائلون العالم أصلان نور وظلمة * وقيل الميم فى المجوس بدل من النون لاستعمالهم النجاسات * صهرت الشحم بالنار أذبته والصهارة الالية المذابة * وقيل ينضج

﴿سورة الحج﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ الآية هذه السورة مكية الا هذان خصمان الى تمام ثلاث آيات قاله ابن عباس * ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر حال الأشقياء والسعداء وذكر الفزع الكبر وهو ما يهول يوم القيامة وكان مشركو مكة قد أنكروا المعاد وكذبوه بسبب (٣٤٧) تأخر العذاب عنهم فنزلت هذه السورة تحذيرا لهم وتخويفا لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة وشدة هولها وذكر ما أعد لمنكريها وتنبيههم على البعث بتطويرهم في خلقهم وبهمود الارض واهتزازها بعد بالنبات والظاهر أن قوله يا أيها الناس عام ونبه تعالى على سبب اتقائه وهو ما يؤول إليه من أهوال الساعة وهو على حذف مضاف أي اتقوا عذاب ربكم والزلزلة الحركة المزعجة وهي عند النفخة الأولى وأضيفت الى الساعة لأنها من أشراطها والمصدر مضاف الى الفاعل والمحذوف المفعول وهو الارض ويدل عليه قوله إذا زلزلت الارض زلزالها والشيء هنا يدل على اطلاقه على المعدوم لان الزلزلة لم تقع بعد وذكر تعالى أهول الصفات في قوله يوم ترونها الآية لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم ليكون ذلك حاملا على تقواه تعالى إذ لا نجاة من تلك الشدائد الا بالتقوى وروي أن هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق وقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا بين حزين وباك ومفكر رضوان الله عليهم والناصب ليوم تذهل والظاهر أن الضمير المنصوب في ترونها عائد على الزلزلة لأنها المحدث عنها ويدل على ذلك وجود هول المرضعة ووضع الحمل هذا اذا أريد الحقيقة وهي الأصل ويكون ذلك

قال الشاعر * تصهره الشمس ولا ينصهر * المقمعة بكسر الميم المقرعة يقمع بها المضروب * اللؤلؤ الجوهر * وقيل صغاره وكباره * الضامر المهزول * العميق البعيد وأصله البعد سفلا يقال بئر عميق أي بعيدة الغور والفعل عمق وعمق * قال الشاعر

اذا الخيل جاءت من فجاج عميقة * يمد بها في السير أشعث شاحب

ويقال معيق بالغين * وقال الليث يقال عميق ومعيق لتميم وأعمقت البئر وأمعقتها وقد عمقت ومعقت عماقة ومعاقة وهي بعيدة العمق والمعق والأمعاق والأعماق أطراف المفازة قال

* وقاتم الأعماق خاوي المخترق * التفث أصله الوسخ والقذر يقال لمن يستقذر ما تفثك * وعن قطرب تفث الرجل كثر وسخه في سفره * وقال أبو محمد البصري التفث من التف وهو وسخ الأظفار وقلبت الفاء ثاء كمغثور * السحيق البعيد * وجب الشيء سقط ووجبت الشمس جبة قال أوس بن حجر

ألم يكسف الشمس شمس النها * ر والبدر للجبل الواجب

* القانع السائل قنع قنوعا سأل وقنع قناعة تعفف واستغنى ببلغته * قال الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغني * مفاقره أعف من القنوع

* الوثن قال ثعلب كل تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس ونحوها وكانت العرب تنصبها وتعبدها ويطلق على الصليب * قال الاعشى

يطوف العفاة بأبوابه * كطوف النصارى بباب الوثن

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وقد رأى في عنقه صليبا ألق الوثن عنك واشتقاقه من وثن الشيء أقامه في مكانه وثبت والواثن المقيم الراكز في مكانه * وقال رؤبة

* على أخلاء الصفاء الوثن * يعني الدوم على العهد * البدن جمع بدنة كثمر جمع ثمرة قاله الزجاج سميت بذلك لانها تبدن أي تسمن * وقال الليث البدنة بالهاء تقع على الناقة والبقرة والبعير مما يجوز في الهدي والاضاحي ولا يقع على الشاة وسميت بدنة لعظمها * وقيل تختص بالابل * وقيل ما أشعر من ناقة أو بقرة قاله عطاء وغيره * وقيل البدن مفرد اسم جنس يراد به العظيم السمين من الابل والبقر ويقال للسمين من الرجال * المعتر المتعرض من غير سؤال * وقال ابن قتيبة عره واعتره وعراه واعتراه أتاه طالبا معروفه * قال الشاعر

سلي الطارق المعتر يا أم مالك * اذا ما اعتراني بين قدري ومجزري

﴿وقال الآخر﴾

لعمرك ما المعتر يغشى بلادنا * لنمنعه بالضائع المتهضم

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت

في الدنيا وقيل الضمير يعود على الساعة فيكون الذهول والوضع عبارة عن شدة الهول في ذلك اليوم ولا ذهول ولا وضع هناك كقولهم يوم يشيب فيه الوليد وجاء بلفظ مرضعة دون مرضع لأنه أريد به الفعل لا النسب بمعنى ذات رضاع وقال الشاعر

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت * بني بطنها هذا الضلال عن القصد

والظاهر أن ما في قوله عما أرضعت بمعنى الذي والعائد محذوف أي أرضعته ويقويه تعدى وتضع الى المفعول به في قوله حملها الا الى المصدر ﴿وترى الناس سكارى﴾ قرئ سكارى وهو جمع سكران كعجلان وعجالى وقرئ سكرى والصحيح أنه جمع حكى سيبويه رجل سكر فيجمع على سكرى كزمن وزمنى أثبت أنهم سكارى على طريق التشبيه ثم نفى عنهم الحقيقة وهي السكر من الخمر وذلك لما هم فيه من الحيرة وتخليط العقل وجاء هذا الاستدراك بالاخبار عن عذاب الله أنه شديد لما تقدم ماهو بالنسبة الى العذاب كالحالة الهينة اللينة وهو الذهول والوضع ورؤية الناس أشباه السكارى فكأنه قيل هذه أحوال هينة ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ ليس بهين ولا لين لان لكن لا بد أن تقع بين متنافيين بوجهما ﴿ومن الناس من يجادل﴾ الآية أي في قدرته وصفاته قيل نزلت في أبي جهل وقيل في النضر وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا يقدر الله على احياء من بلي وصار ترابا والآية عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله تعالى ومالا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا برهان ولا نصفة والظاهر أن قوله ﴿كل شيطان مريد﴾ هو من الجن كقوله وان يدعون إلا شيطانا مريدا والظاهر أن الضمير في عليه عائد على من لأنه المحدث عنه وفي أنه وتولاه وفي فانه عائد عليه أيضا والفاعل في تولى ضمير من وكذلك الهاء في يضله قال الزمخشري في أنه من تولاه فانه يضله ويهديه من فتح ولان الاول فاعل كتب يعني به مفعولا لم يسم فاعله قال والثاني عطف عليه انتهى هذا لا يجوز لانك اذا جعلت فانه عطفا على أنه بقيت انه بلا استيفاء خبر لان من تولاه من فيه مبتدأ وان قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى تستقل خبرا لانه وان جعلتها شرطية

وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ

فلا جواب لها اذ جعلت فانه عطفا على وانه ومثل قول الزمخشري قال ابن عطية وانه في موضع رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله وانه الثانية عطف على الاولى مؤكدة مثلها وهذا خطأ لما بيناه الظاهر أن ذلك من اسناد كتب إلى الجملة إسنادا لفظيا أي كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتب ان الله يأمر بالعدل * قال الزمخشري أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول انتهى أما الأول وهو على تقدير قيل يعني فيكون عليه في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله لكتب والجملة من أنه من تولاه في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله لقيل مقدرة وهذا لا يجوز عند البصريين لان الفاعل عندهم لا يكون جملة فلا يكون ذلك مفعولا لم يسم فاعله وأما الثاني فلا يجوز أيضا على مذهب البصريين لأنه لا تكسر أن بعد ماهو بمعنى القول بل بعد القول صريحه فاعرفه * ولما ذكر تعالى من يجادل في قدرة الله بغير علم وكان جدالهم في الحشر والمعاد ذكر دليلين واضحين على ذلك أحدهما في نفس الانسان وابتداء خلقه وتطوره في مراتب سبع وهي التراب والنطفة والعلقة والمضغة والاخراج طفلا وبلوغ الاشد والتوفي ورذالة العمر والثاني في الارض التي يشاهدون تنقلها من حال الى حال فاذا اعتبر العاقل بذلك ثبت عنده وعلم أنه واقع لا محالة * العلقة قطعة من الدم الجامد والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ * والمخلقة المسواة الملساء لا نقص ولا عيب يقال خلق السواك والعود سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء أي ملساء ﴿لنبين لكم﴾ بهذا التدريج قدرتنا وأن من قدر على البشر أولا من تراب ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة قدر على اعادة ما أبداه بل هذا أدخل في القدرة ﴿الى أجل مسمى﴾ وهو وقت الوضع ومالم يشأ اقراره مجته الأرحام وأسقطته ومعنى يخرجكم يخرج كل واحد منكم كقولك الرجال يشبعهم رغيف أي يشبع كل واحد منهم رغيف واللام في ﴿لتبلغوا﴾ يتعلق بمحذوف تقديره يستمر عمركم لتبلغوا والاشد تقدم الكلام عليه في يوسف ﴿ومنكم من يتوفى﴾ أي يستوفي أجله أي بعد الأشد وقبل الهرم وهو أرذل العمر

والحرف لكيلا يتعلق بيرد وكي ناصبة بنفسها أى ليصير نساء بحيث اذا اكتسب علما فى شئ لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته ﴿وترى الأرض هامدة﴾ هذا هو

الدليل الثاني الذي تضمنته والدليل الاول الآية ولما كان الدليل الأول بعض مراتب الخلقة فيه غير مرئي قال ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم فلم يحل فى جميع رتبه على الرؤية ولما كان هذا الدليل الثاني مشاهدا للابصار أحال على الرؤية فقال وترى الأرض أى أيها السامع أو المجادل هامدة أى يابسة لاندواة فيها ولا رطوبة فى شئ منها ولظهوره تكرر هذا الدليل فى القرآن * والماء ماء المطر والانهار والعيون والسواقي واهتزازها تخلخلها واضطراب بعض أجسامها لأجل خروج هذا النبات ﴿وربت﴾ أى زادت وانتفخت ﴿من كل زوج﴾ أى صنف ﴿بهيج﴾ أى رائق للعين حسن المنظر ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أى ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وتطورهم فى تلك المراتب من احياء الارض حاصل بهذا وهو حقيته تعالى فهو الثابت الموجود القادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وقد وعدنا بالبعث وهو قادر عليه فلابد من كيانه * وقوله أن الساعة الى آخره توكيد لقوله تعالى وأنه يحيي الموتى والظاهر أن قوله وأن الساعة آتية ليس داخلا فى سبب ما تقدم ذكره وليس معطوفا على أنه التي تليه فيكون على تقدير والأمر أن الساعة وذلك مبتدأ أو بأن الخبر

وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وانه على كل شئ قدير وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ﴾ هذه السورة مكية إلا هذان خصمان الى تمام ثلاث آيات قاله ابن عباس ومجاهد وعن ابن عباس أيضا انهن أربع آيات الى قوله عذاب الحريق * وقال الضحاك هي مدنية * وقال قتادة الا من قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الى عذاب مقيم * وقال الجمهور منها مكي ومنها مدني * ومناسبة أول هذه السورة لما قبلها انه ذكر تعالى حال الاشقياء والسعداء وذكر الفزع الأكبر وهو مايقول يوم القيامة وكان مشركو مكة قد أنكروا المعاد وكذبوه بسبب تأخر العذاب عنهم * نزلت هذه السورة تحذيرا لهم وتخويفا لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة وشدة هولها وذكر ما أعد لمنكرها وتنبيههم على البعث بتطورهم فى خلقهم وبهمود الارض واهتزازها بعد بالنبات والظاهر ان قوله ياأيها الناس عام * وقيل المراد أهل مكة ونبه تعالى على سبب اتقائه وهو ما يؤل اليه من أهوال الساعة وهو على حذف مضاف أى اتقوا عذاب ربكم والزلزلة الحركة المزعجة وهي عند النفخة الأولى * وقيل عند الثانية * وقيل عند قول الله يا آدم ابعث بعث النار * وقال الجمهور فى الدنيا آخر الزمان ويتبعها طلوع الشمس من مغربها * وعن الحسن يوم القيامة * وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها وأضيفت الى الساعة لأنها من اشراطها والمصدر مضاف للفاعل فالمفعول المحذوف وهو الارض يدل عليه اذا زلزلت الارض زلزالها أو الناس ونسبة الزلزلة الى الساعة مجاز ويجوز ان يضاف الى المفعول به على طريقة الاتساع فى الظرف فتكون الساعة مفعولا بها وعلى هذه التقادير يكون ثم زلزلة حقيقة * وقال الحسن أشد الزلازل ما يكون مع قيام الساعة * وقيل الزلزلة استعارة والمراد شدة الساعة واهوال يوم القيامة وشئ هنا يدل على اطلاقه على المعدوم لأن الزلزلة لم تقع بعد ومن منع ايقاعه على المعدوم قال جعل الزلزلة شيأ لتيقن وقوعها وصيرورتها الى الوجود وذكر تعالى أهول الصفات فى قوله ترونها الآية لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم ليكون ذلك حاملا على تقواه تعالى اذ لانجاة من تلك الشدائد الا بالتقوى وروى ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا فى غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين باك ومفكر * والناصب ليوم تذهل والظاهر ان الضمير المنصوب فى ترونها عائد على الزلزلة لأنها المحدث عنها ويدل على ذلك وجود ذهول المرضعة ووضع الحمل هذا اذا أريد الحقيقة وهي الأصل ويكون ذلك فى الدنيا * وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام * وقالت فرقة الضمير يعود على

الساعة فيكون الذهول والوضع عبارة عن شدة الهول في ذلك اليوم ولا ذهول ولا وضع هنالك كقولهم يوم يشيب فيه الوليد وجاء لفظ مرضعة دون مرضع لانه أريد به الفعل لا النسب بمعنى ذات رضاع * وكما قال الشاعر كمرضعة أولاد أخرى وضيعت * بنى بطنها هذا الضلال عن القصد والظاهر ان ما في قوله عما أرضعت بمعنى الذي والعائد محذوف أي أرضعته ويقويه تعدى وضع الى المفعول به في قوله حملها الا الى المصدر * وقيل ما مصدرية أي عن ارضاعها * وقال الزمخشري المرضعة هي التي في حال الارضاع تلقم ثديها الصبي والمرضع التي شأنها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به * فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة وخص بعض نحاة الكوفة أم الصبي بمرضعة والمستأجرة بمرضع وهذا باطل بقول الشاعر * كمرضعة أولاد أخرى وضيعت * البيت فهذه مرضعة بالتاء وليست أما للذى ترضع وقول الكوفيين ان الوصف الذي يختص بالمؤنث لا يحتاج فيه الى التاء لانها انما جيء بها للفرق مردود بقول العرب مرضعة وحائضة وطالقة * وقرأ الجمهور تذهل كل بفتح التاء والهاء ورفع كل وابن أبي عبلة واليماني بضم التاء وكسر الهاء أي تذهل الزلزلة أو الساعة كل بالنصب والحمل بالفتح ما كان في بطن أو على رأس شجرة * وقرأ الجمهور وترى بالتاء مفتوحة خطاب المفرد وزيد بن علي بضم التاء وكسر الراء أي وترى الزلزلة أو الساعة * وقرأ الزعفراني وعباس في اختيار ه بضم التاء وفتح الراء ورفع الناس وأنث على تأويل الجماعة * وقرأ أبو هريرة وأبو زرعة بن عمرو بن جرير وأبو نهيك كذلك الا انهم نصبوا الناس عدى ترى الى مفاعيل ثلاثة أحدها الضمير المستكن في ترى وهو ضمير المخاطب مفعول لم يسم فاعله والثاني والثالث الناس سكارى أثبت انهم سكارى على طريق التشبيه ثم نفى عنهم الحقيقة وهى السكر من الخمر وذلك لما هم فيه من الحيرة وتخليط العقل * وقرأ الجمهور سكارى فيهما على وزن فعالى وتقدم ذكر الخلاف في فعالى بضم الفاء أهو جمع أو اسم جمع * وقرأ أبو هريرة وأبو نهيك وعيسى بفتح السين فيهما وهو جمع تكسير واحده سكران * وقال أبو حاتم هي لغة تميم * وقرأ الاخوان وابن سعدان ومسعود بن صالح سكرى فيهما وروبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم رواها عمران ابن حصين وأبو سعيد الخدري وهى قراءة عبد الله وأصحابه وحذيفة * وقال سيبويه وقوم يقولون سكرى جعلوه مثل مرضى لأنهما شيئان يدخلان على الانسان ثم جعلوا روبى مثل سكرى وهم المستثقلون نوما من شرب الرائب * قال أبو علي الفارسي ويصح ان يكون جمع سكر كزمنى وزمن * وقد حكى سيبويه رجل سكر بمعنى سكران فيجيء سكرى حينئذ لتأنيث الجمع * وقرأ الحسن والاعرج وأبو زرعة وابن جبير والاعمش سكرى بضم السين فيهما * قال أبو الفتح هو اسم مفرد كالبشرى وبهذا أفتاني أبو علي انتهى * وقال الزمخشري هو غريب * وقال أبو الفضل الرازي فعلى بضم الفاء من صفة الواحدة من الاناث لكنها لما جعلت من صفات الناس وهم جماعة أجريت الجماعة بمنزلة المؤنث الموحد انتهى * وعن أبي زرعة أيضا سكرى بفتح السين بسكرى بضمها * وعن ابن جبير أيضا سكرى بالفتح من غير ألف بسكارى بالضم والألف * وعن الحسن أيضا سكارى بسكرى وقال أولا ترونها على خطاب الجمع جعلوا جميعا رائين لها ثم قال وترى على خطاب الواحد لان الرؤية معلقة بكون الناس على حال السكر فجعل كل واحد رائيا لسائرهم غشيهم من خوف عذاب الله ما أذهب عقولهم وردهم في حال من يذهب السكر عقله وتمييزه وجاء هذا الاستدراك

بالاخبار عن عذاب الله انه شديد لما تقدم ماهو بالنسبة الى العذاب كالحالة اللينة الهينة وهو الذهول والوضع ورؤية الناس أشباه السكارى وكأنه قيل وهذه أحوال هينة ولكن عذاب الله شديد وليس بهين ولا لين لان لكن لا بد أن تقع بين متنافيين بوجه ما وتقدم الكلام فيها * ومن الناس من يجادل فى الله أى فى قدرته وصفاته * قيل نزلت فى أبى جهل * وقيل فى أبى بن خلف والنضر بن الحارث * وقيل فى النضر وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا يقدر الله على إحياء من بلى وصار ترابا والآية عامة فى كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرفع الى علم ولا برهان ولا نصفة * والظاهر أن قوله كل شيطان مريد هو من الجن كقوله وان يدعون الا شيطانا مريدا * وقيل يحتمل أن يكون من الانس كقوله شياطين الانس والجن لما ذكر تعالى أهوال يوم القيامة ذكر من غفل عن الجزاء فى ذلك اليوم وكذب به * وقرأ زيد بن على ويتبع خفيفا والظاهر أن الضمير فى عليه عائد على من لأنه المحدث عنه وفى أنه وتولاه وفى فانه عائد عليه أيضا والفاعل بتولى ضمير من وكذلك الهاء فى يضله ويجوز أن تكون الهاء فى هذا الوجه انه ضمير الشأن والمعنى ان هذا المجادل لكثرة جداله بالباطل واتباعه الشيطان صار اماما فى الضلال لمن يتولاه فشأنه أن يضل من يتولاه * وقيل الضمير فى عليه عائد على كل شيطان مريد قاله قتادة ولم يذكر الزمخشرى غيره وأورد ابن عطية القول الأول احتمالا * وقال ابن عطية ويظهر لى ان الضمير فى انه الأولى للشيطان والثانية لمن الذى هو المتولى * قال الزمخشرى والكتبة عليه مثل أى انما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك فى حاله * وقرأ الجمهور كتب مبنيا للمفعول * وقرئ كتب مبنيا للفاعل أى كتب الله * وقرأ الجمهور أنه بفتح الهمزة فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله فانه بفتحها أيضا والفاء جواب من الشرطية أو الداخلة فى خبر من ان كانت موصولة وفأنه على تقدير فشأنه انه يضله أى اضلاله أوفله أن يضله * وقال الزمخشرى فمن فتح فلان الأول فاعل كتب يعنى به مفعولا لم يسم فاعله قال والثانى عطف عليه انتهى وهذا لا يجوز لأنك اذا جعلت فانه عطفا على انه بقيت بلا استيفاء خبر لان من تولاه من فيه مبتدأة فان قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى يستقل خبرا لأنه وان جعلتها شرطية فلا جواب لها اذ جعلت فانه عطفا على انه ومثل قول الزمخشرى قال ابن عطية قال وانه فى موضع رفع على المفعول الذى لم يسم فاعله وانه الثانية عطف على الأولى مؤكدة مثلها وهذا خطأ لما بيناه * وقرأ الأعمش والجعفى عن أبى عمرو انه فانه بكسر الهمزتين * وقال ابن عطية وقرأ أبو عمرو انه من تولاه فانه يضله بالكسر فيهما انتهى وليس مشهورا عن أبى عمرو والظاهر ان ذلك من اسناد كتب الى الجملة اسنادا لفظيا أى كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتب ان الله يأمر بالعدل * وقال الزمخشرى أو عن تقدير قيل أو على المفعول الذى لم يسم فاعله الكتب والجملة من أنه من تولاه فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله لقيل المقدرة وهذا لا يجوز عند البصريين لان الفاعل عندهم لا يكون جملة فلا يكون ذلك مفعولا لم يسم فاعله وأما الثانى فلا يجوز أيضا على مذهب البصريين لأنه لا تكسران بعد ماهو بمعنى القول بل بعد القول صريحة ومعنى ويهديه ويسوقه وعبر بلفظ الهداية على سبيل التهكم ولما ذكر تعالى من يجادل فى قدرة الله بغير علم وكان جدالهم فى الحشر والمعاد ذكر دليلين واضحين على ذلك أحدهما فى نفس الانسان وابتداء خلقه وتطوره فى

قال والثانى عطف عليه (ح) هذا لا يجوز لانك اذا جعلت فانه عطفا على انه بقيت انه بلا استيفاء خبر لان من تولاه من فيه مبتدأة فان قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى يستقل خبرا لانه وان جعلتها شرطية فلا جواب لها ان جعلت فانه عطفا على انه ومثل قول (ش) قال (ع) قال وانه فى موضع رفع على المفعول الذى لم يسم فاعله وانه الثانية عطف على الاولى مؤكدة مثلها وهذا خطأ لما بيناه (ح) الظاهر ان ذلك من اسناد كتب الى الجملة اسنادا لفظيا كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتب ان الله يأمر بالعدل (ش) أو عن تقدير قيل أو على ان معنى كتب فيه معنى القول (ح) اما الاول وهو على تقدير قيل فيكون عليه فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله لكتب والجملة من أنه من تولاه فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله لقيل المقدرة وهذا لا يجوز عند البصريين لان الفاعل عندهم لا يكون جملة فلا يكون ذلك مفعولا لم يسم فاعله واما الثانى فلا يجوز أيضا على مذهب البصريين لانه لا تكسران بعدما هو بمعنى القول بل بعد القول صريحه فاعرفه

مراتب سبع وهى التراب والنطفة والعلقة والمضغة والاخراج طفلا و بلوغ الأشد والتوفى أو الرد الى الهرم والثانى فى الأرض التى تشاهدون تنقلها من حال الى حال فاذا اعتبر العاقل ذلك ثبت عنده جوازه عقلا فاذا ورد خبر الشرع بوقوعه وجب التصديق به وانه واقع لامحالة * وقرأ الحسن من البعث بفتح العين وهى لغة فيه كالحلب والطرد فى الحلب والطرد والكوفيون اسكان العين عندهم تخفيف يقيسونه فيما وسطه حرف حلق كالنهر والنهر والشعر والشعر والبصريون لايقيسونه وما ورد من ذلك هو عندهم مما جاء فيه لغتان والمعنى ان ارتبتم فى البعث فزيل ريبكم أن تنظروا فى بدء خلقكم من تراب أى أصلكم آدم بوساطة الفعل عليهم من حيث هم من ذريته أو باعتبار وسائط التولد لأن المنى ودم الطمث يتولدان من الأغذية والأغذية حيوان ونبات والحيوان يعود الى النبات والنبات من الأرض والماء والنطفة المنى * وقيل نطفة آدم قاله النقاش والعلقة قطعة الدم الجامدة ومعنى وغير مخلقة أى ليست كاملة ولا ملساء فالمضغ متفاوتة لذلك تفاوتوا طولا وقصرا وتماما ونقصانا * وقال مجاهد غير مخلقة هى التى تستسقط وقاله قتادة والشعبى وأبو العالية ولما كان الانسان فيه أعضاء متباينة وكل واحد منها مختص بخلق حسن تضعيف الفعل لان فيه خلقا كثيرة * وقرأ ابن أبى عبلة مخلقة بالنصب وغير بالنصب أيضا نصبا على الحال من النكرة المتقدمة وهو قليل وقاسه سيبويه * قال الزمخشرى ولنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة و بينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما أبداه بل هذا أدخل فى القدرة وأهون فى القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعامه مالا يكتنهه الفكر ولا يحيط به الوصف انتهى * ولنبين متعلق بخلقناكم * وقيل لنبين لكم أمر البعث * قال ابن عطية وهو اعتراض بين الكلامين * وقال الكرمانى يعنى رشدكم وضلالكم * وقيل لنبين لكم أن التخليق هو اختيار من الفاعل المختار ولولاه ماصار بعضه غير مخلق * وقرأ ابن أبى عبلة ليبين لكم ويقر بالياء * وقرأ يعقوب وعاصم فى رواية ونقر بالنصب عطفا على لنبين * وعن عاصم أيضا ثم يخرجكم بنصب الجيم عطفا على ونقر اذا نصب * وعن يعقوب ونقر بفتح النون وضم القاف والراء من قر الماء صبه * وقرأ أبو زيد النحوى ويقر بفتح الياء والراء وكسر القاف وفى الكلام لابن حبارة لنبين ونقر ونخرجكم بالنصب فيهن * المفضل و بالياء فيهما مع النصب أبو حاتم و بالياء والرفع عمر بن شبة انتهى * قال الزمخشرى والقراءة بالرفع اخبار بأنه تعالى يقر فى الأرحام مايشاء أن يقره من ذلك الى أجل مسمى وهو وقت الوضع ومالم يشأ اقراره مجته الأرحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل والمعنى خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثانى أن نقر فى الأرحام من نقر حتى يولدوا و ينشؤا و يبلغوا حد التكليف فأكلفهم و يعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا أشدكم انتهى * وقرأ يحيى بن وثاب مانشاء بكسر النون والأجل المسمى مختلف فيه بحسب جنين جنين فساقط وكامل أمره خارج حيا وحد طفلا لأنه مصدر فى الأصل قاله المبرد والطبرى أو لان الغرض الدلالة على الجنس أو لان معنى يخرجكم كل واحد كقولك الرجال يشبعهم رغيف أى يشبع كل واحد * وقال الزمخشرى الأشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد كالاشدة والقيود وغير ذلك وكأنها شدة فى غير شئ واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع انتهى

(الدر)

(ش) الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد كالاشدة والقيود وغير ذلك وكأنها مشدة فى غير شئ واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع (ح) تقدم الكلام فى الاشد ومقداره من الزمان وأن من الناس من قال انه جمع شدة كانعم جمع نعمة وأما القتود فعن أبى عمرو الشيبانى ان واحده قيد

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ الآية الظاهر أن المجادل في هذه الآية غير المجادل في الآية التي قبلها فعن محمد بن كعب
أنها نزلت في الاخنس بن شريق وعن ابن عباس أنها نزلت في أبي جهل * قال ابن عطية وكرر هذه على جهة التوبيخ فكأنه
يقول هذه الامثال في غاية الوضوح والبيان ومن الناس مع ذلك من يجادل فكأن الواو واو الحال والآية المتقدمة الواو فيها واو عطف
عطفت جملة الكلام على ماقبلها والآية على معنى الاخبار وهي هنا مكررة للتوبيخ انتهى لايتخيل أن الواو

وتقدم الكلام في الأشد ومقداره من الزمان وان من الناس من قال انه جمع شدة كأنعم جمع نعمة
وأما القيود * فعن أبي عمرو والشيباني ان واحده قيد * ومنكم من يتوفى * وقرئ يتوفى بفتح الياء
أي يستوفي أجله والجمهور بالضم أي بعد الأشد وقبل الهرم وهو أرذل العمر والخرف فيصير الى
حالة الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل ولا زمان لذلك محدود بل ذلك بحسب مايقع في الناس
وقد نرى من علت سنه وقارب المائة أو بلغها في غاية جودة الذهن والادراك مع قوة ونشاط ونرى
من هو في سن الاكتهال وقد ضعفت بنيته * أوضح تعالى انه قادر على انهائه الى حالة الخرف كما انه كان
قادرا على تدريجه الى حالة التمام فكذلك هو قادر على اعادة الاجساد التي درجها في هذه المناقل
وانشائها النشأة الثانية * ولكيلا يتعلق بقوله يرد * قال الكلبي لكيلا يعقل من بعد
عقله الأول شيأ * وقيل لكيلا يستفيد علما وينسى ماعلمه * وقال الزمخشري أي ليصير نساء
بحيث اذا كسب علما في شئ لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك
من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألك عنه * وروي عن أبي عمرو ونافع تسكين ميم العمر
* وترى الأرض هامدة هذا هو الدليل الثاني الذي تضمنته والدليل الأول الآية ولما كان الدليل
الأول بعض مراتب الخلقة فيه غير مرئي بين قال إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم فلم يحل
في جميع رتبه على الرؤية ولما كان هذا الدليل الثاني مشاهدا للأبصار أحال ذلك على الرؤية
فقال وترى أيها السامع أو المجادل الارض هامدة ولظهوره تكرر هذا الدليل في القرآن * والماء ماء
المطر والانهار والعيون والسواني واهتزازها تخلخلها واضطراب بعض أجسامها لأجل خروج
النبات * وربت أي زادت وانتفخت * وقرأ أبو جعفر وعبد الله بن جعفر وخالد بن الياس وأبو عمرو
في رواية وربأت بالهمز هنا وفي فصلت أي ارتفعت وأشرفت يقال فلان يربأ بنفسه عن كذا أي يرتفع
بها عنه * قال ابن عطية ووجهها أن يكون من ربأت القوم اذا علوت شرفا من الارض طليعة فكأن
الأرض بالماء تتطاول وتعلو انتهى ويقال ربيء وربيئة * وقال الشاعر

بعثنا ربيئا قبل ذلك مخملا * كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي

ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وتطورهم في تلك المراتب ومن احياء الارض حاصل بهذا وهو
حقيقته تعالى فهو الثابت الموجود القادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وقد وعد بالبعث وهو
قادر عليه فلابد من كيانه * وقوله وان الساعة الى آخره توكيد لقوله وانه يحيي الموتى والظاهر أن
قوله وان الساعة آتية ليس داخلا في سبب ماتقدم ذكره فليس معطوفا على أنه الذي يليه فيكون
على تقدير والأمر أن الساعة وذلك مبتدأ وبأن الخبر * وقيل ذلك منصوب بمضمر أي فعلنا ذلك
﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله
له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد

في ومن الناس من يجادل
واو حال على تقدير الجملة
التي قدرها قبله لو كان
مصرحا بها لم تتقدر باذ فلا
تكون للحال وانما هي
للعطف * قسم المخذولين
الى مجادل في الله بغير علم
متبع لكل شيطان مريد
ومجادل أيضا بغير علم ولا
هدى ولا كتاب منير
وعابد ربه على حرف
والمراد بالعلم العلم
الضروري وبالهدى
الاستدلال والنظر لأنه
يهدي الى المعرفة وبالكتاب
المنير الوحي أي يجادل
بغير واحد من هذه
الثلاثة وانتصب ثاني عطفه
على الحال من الضمير
المستكن في يجادل قال
ابن عباس متكبرا وقال
مجاهد لاويا عنقه وليضل
متعلق بيجادل والخزي في
الدنيا ما لحقه يوم بدر من
الاسر والقتل والهزيمة
وقد أسر النضر وقيل
يوم بدر بالصفراء * والحريق
قيل طبقة من طباق جهنم

وقد يكون من اضافة الموصوف الى صفته أي العذاب
الحريق أي المحرق ذلك إشارة الى الخزي والاذاقة ﴿بما قدمت يداك﴾ أي باجترامك وبعدل الله فيك ﴿وان الله ليس بظلام
للعبيد﴾ تقدم الكلام عليه

﴿ من يعبد الله على حرف ﴾ نزلت في أعراب من أسلم وغطفان تباطؤوا عن الاسلام وقالوا نخاف أن لا ينصر محمد فينقطع ما بيننا
وبين حلفائنا من يهود فلا يقروننا ولا يؤووننا وقال ابن عطية على حرف أي انحراف منه على العقيدة البيضاء ﴿ يدعو من دون الله ﴾
نفى هنا الضرر والنفع وأثبتهما في قوله لمن ضره أقرب من نفعه وذلك لاختلاف المتعلق وذلك أن قوله ما لا ينفعه هو الاصنام
والاوثان ولذلك أتى التعبير عنها بما التي لا تكون لآحاد من يعقل وفي الثاني بمن التي هي لمن يعقل وعلى هذا فتكون الجملتان
من اخبار الله عمن يدعو إلها غير الله وذكروا في إعراب يدعو وجوها ذكرت في البحر والذي نختاره أن مفعول يدعو محذوف
تقديره يدعو الاصنام ممن يعقل ثم أخبر عن هذا المدعو بقوله لمن ضره فاللام لام الابتداء ومن موصولة مبتدأ وضره أقرب من نفعه
مبتدأ وخبره صلة لمن ومن خبره والجملة الدالة على الذم (٣٥٤) وهي قوله ﴿ لبئس المولى ولبئس العشير ﴾ تقديره هو فهو وهذا عائد
على من الموصولة المبتدأ والمولى الناصر والعشير المخالط والظاهر أن الضمير في ينصره عائد على من لأنه المذكور وحق الضمير أن يعود على المذكور ثم محذوف تقديره اذا كان طالبا للنصر محتاجا إليه ﴿ فليمدد ﴾ بحبل ﴿ الى السماء ﴾ المظلة ﴿ ثم ليقطع ﴾ أي ذلك الحبل وهذا كله كناية عن التحيل في طلب النصر وهو لا يقع الا ان أراده الله ﴿ هل يذهبن ﴾ جملة استفهام في موضع نصب وفلينظر معلق عنها ومعنى قوله كيده أي ما يتحيل وهو فاعل يذهبن وما في قوله ما يغيظ مفعول والمعنى أن غيظه لا يزول بإظهار
كيده ﴿ وكذلك أنزلناه ﴾ أي مثل ذلك الانزال أنزلنا القرآن كله آيات بينات أي لا تفاوت في إنزال بعضه ولا إنزال كله والهاء في أنزلناه
للقرآن أضمر للدلالة عليه والتقدير والامر أن الله يهدي من يريد أي يخلق الهداية في قلب من يريد هدايته لا خالق للهداية الا هو تعالى

ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه
خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو
الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير إن الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن أن
لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ
وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد ﴾ الظاهر أن المجادل في هذه الآية غير المجادل في
الآية قبلها فعن محمد بن كعب أنها نزلت في الاخنس بن شريق * وعن ابن عباس في أبي جهل
* وقيل الأولى في المقلدين وهذه في المقلدين والجمهور على أنها والتي قبلها في النضر كررت مبالغة
في الذم ولكون كل واحدة اشتملت على زيادة ليست في الأخرى * وقد قيل فيه انه نزلت فيه بضع
عشرة آية * وقال ابن عطية وكرر هذه على وجه التوبيخ فكأنه يقول هذه الأمثال في غاية
الوضوح والبيان ومن الناس مع ذلك من يجادل فكأن الواو واو الحال والآية المتقدمة الواو فيها
واو العطف عطفت جملة الكلام على ما قبلها والآية على معنى الاخبار وهي ههنا مكررة للتوبيخ
انتهى ولا يتخيل أن الواو في ومن الناس من يجادل واو حال وعلى تقدير الجملة التي قدرها قبله لو كان
مصرحا بها لم يتقدر بإذ فلا تكون للحال وانما هي للعطف قسم المخذولين الى مجادل في الله بغير علم
متبع لشيطان مريد ومجادل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير الى آخره وعابد ربه على حرف
والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير
الوحي أي يجادل بغير واحد من هذه الثلاثة * وانتصب ثاني عطفه على الحال من الضمير المستكن
في يجادل * قال ابن عباس متكبرا ومجاهد لاويا عنقه بقبح والضحاك شامخا بأنفه وابن جريج
معرضا عن الحق * وقرأ الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي تعطفه وترحمه وليضل متعلق بيجادل * وقرأ
مجاهد وأهل مكة وأبو عمرو في رواية ليضل بفتح الياء أي ليضل في نفسه والجمهور بضمها أي ليضل

(الدر) (ع) وكرر هذه على جهة التوبيخ فكأنه يقول هذه الامثال في غاية الوضوح والبيان ومن الناس مع ذلك من يجادل
فكان الواو واو الحال والآية المتقدمة الواو فيها واو العطف عطفت جملة الكلام على ما قبلها والآية على معنى الاخبار وهي ههنا
مكررة للتوبيخ انتهى (ح) لا يتخيل ان الواو في ومن الناس من يجادل واو حال وعلى تقدير الجملة التي قدرها قبله لو كان مصرحا
بها لم تتقدر باذ فلا تكون للحال وانما هي للعطف قسم المخذولين الى مجادل في الله بغير علم متبع لشيطان مريد ومجادل أيضا
بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير الى آخره وعابد ربه على حرف والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي
الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي أي يجادل بغير واحد من هذه الثلاثة

غيره وهو يترتب على اضلاله كثرة العذاب إذ عليه وزر من عمل به ولما كان مآل جداله الى الاضلال كان كأنه علة له وكذلك لما كان معرضا عن الهدى مقبلا على الجدال بالباطل كان كالخارج من الهدى الى الضلال * والخزى فى الدنيا ما لحقه يوم بدر من الأسر والقتل والهزيمة وقد أسر النضر * وقيل يوم بدر بالصفراء * والحريق قيل طبقة من طباق جهنم وقد يكون من اضافة الموصوف الى صفته أى العذاب الحريق أى المحرق كالسميع بمعنى المسمع * وقرأ زيد بن على فأذيقه بهمزة المتكلم ذلك اشارة الى الخزى والاذاقة وجوزوا فى اعراب ذلك هذا ما جوزوا فى اعراب ذلك بأن الله هو الحق وتقدم المراد فى بما قدمت يداك أى باجترامك وبعدل الله فيك اذ عصيته ويحتمل أن يكون وان الله مقتطعا ليس ذلك فى السبب والتقدير والأمر ان الله * قال ابن عطية والعبيد هنا ذكروا فى معنى مسكنتهم وقلة قدرتهم فلذلك جاءت هذه الصيغة انتهى وهو يفرق بين العبيد والعباد وقد رددنا عليه تفرقته فى أواخر آل عمران فى قوله وان الله ليس بظلام للعبيد وشرحنا هنالك قوله بظلام * ومن يعبد الله نزلت فى أعراب من أسلم وغطفان تباطؤا عن الاسلام وقالوا نخاف أن لا ينصر محمد فينقطع ما بيننا وبين حلفائنا من يهود فلا يقرونا ولا يؤوونا * وقيل فى أعراب لا يقين لهم يسلم أحدهم فيتفق تثمير ماله وولادة ذكر وغير ذلك من الخير فيقول هذا دين جيد أو ينعكس حاله فيتشاءم ويرتد كما جرى للعرنيين قال معناه ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم * وعن ابن عباس فى شيبة بن ربيعة أسلم قبل ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم فلما أوحى اليه ارتد * وقيل فى يهودى أسلم فأصيب فتشاءم بالاسلام وسأل الرسول الاقالة فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت وعن الحسن هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه * وقال ابن عيسى على ضعف يقين * وقال أبو عبيد على حرف على شك * وقال ابن عطية حرف على انحراف منه عن العقيدة البيضاء أو على شفا منها معدا للزهوق * وقال الزمخشرى على حرف على طرف من الدين لا فى وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذى يكون على طرف من العسكر فان أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه انتهى * وخسرانه الدنيا اصابته فيها بما يسوءه من ذهاب ماله وفقد أحبائه فلم يسلم للقضاء * وخسران الآخرة حيث حرم ثواب من صبر فارتد عن الاسلام * وقرأ مجاهد وحميد والأعرج وابن محيصن من طريق الزعفرانى وقعنب والجحدرى وابن مقسم خاسر الدنيا اسم فاعل نصبا على الحال * وقرئ خاسر اسم فاعل مرفوعا على تقدير هو خاسر * وقال الزمخشرى والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن انتهى * وقرأ الجمهور خسر فعلا ماضيا وهو استئناف اخبار ويجوز أن يكون فى موضع الحال ولا يحتاج الى اضمار قد لأنه كثر وقوع الماضى حالا فى لسان العرب بغير قد فساغ القياس عليه وأجاز أبو الفضل الرازى أن يكون بدلا من قوله انقلب على وجهه كما كان يضاعف بدلا من يلق * وتقدم تفسير الضلال البعيد فى قوله ضلالا بعيدا ونفى هنا الضر والنفع وأثبتهما فى قوله لمن ضره أقرب من نفعه وذلك لاختلاف المتعلق وذلك ان قوله ما لا ينفعه هو الاصنام والاوثان ولذلك أتى التعبير عنها بما التى لا تكون لآحاد من يعقل وقوله يدعو لمن ضره هو من عبد باقتضاء وطلب من عابديه من المدعين الالهية كفرعون وغيره من ملوك بنى عبيد الذين كانوا بالمغرب ثم ملكوا مصر فانهم كانوا يدعون الالهية ويطاف بقصرهم فى مصر وينادون بما ينادى به رب العالمين من التسبيح والتقديس فهؤلاء وان كان منهم

(الدر)

(ع) والعبيد هنا ذكروا فى معنى مسكنتهم وقلة قدرتهم فلذلك جاءت هذه الصيغة
(ح) هو يفرق بين العبيد والعباد وقد رددنا عليه تفرقته فى أواخر آل عمران فى قوله وان الله ليس بظلام للعبيد وشرحنا هنالك قوله بظلام

نفع تالعابديهم فى دار الدنيافضررهم أعظم وأقرب من نفعهم إذهم فى الدنيا مملوكون للكفار وعابدون لغير الله وفى الآخرة معذبون العذاب الدائم ولهذا كان التعبير هنا بمن التى هى لمن يعقل وعلى هذا فتكون الجملتان من اخبار الله تعالى عمن يدعو الها غير الله * وقال الزمخشرى (فان قلت) الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها فى الآيتين وهذا تناقض (قلت) اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جماد الايملك ضرا ولانفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلالته أنه سينتفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التى ادعاها لها لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وكرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله مالايضره ومالاينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى انتهى فجعل الزمخشرى المدعو فى الآيتين الاصنام وأزال التعارض باختلاف القائلين بالجملة الأولى من قول الله تعالى اخبارا عن حال الاصنام والجملة الثانية من كلام عباد الاصنام يقولون ذلك فى الآخرة وحكى الله عنهم ذلك وانهم أثبتوا ضرا بكونهم عبدوه وأثبتوا نفعا بكونهم اعتقدوه شفيعا فالنافى هنالك غير المثبت هنا فزال التعارض على زعمه والذى أقول ان الصنم ليس له نفع ألبتة حتى يقال ضره أقرب من نفعه * وأجاب بعضهم عن زعم من زعم ان ظاهر الآيتين يقتضى التعارض بأنها لاتضر ولاتنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضرر اليها كقوله رب انهن أضللن كثيرا من الناس أضاف الاضلال اليهن إذ كانوا سبب الضلال فكذا هنا نفى الضرر عنهم لكونها ليست فاعلة ثم أضافه اليها لكونها سبب الضرر * وقال آخرون هى فى الحقيقة لاتضر ولاتنفع بين ذلك فى الآية الأولى ثم أثبت لها الضر والنفع فى الثانية على طريق التسليم أى ولو سلمنا كونها ضارة نافعة لكان ضرها أكثر من نفعها وتكلف المعربون وجوها فقالوا يدعو اما ان يكون لها تعلق بقوله لمن ضره أولا ان لم يكن لها تعلق فوجوه * أحدها ان يكون توكيدا لفظيا ليدعو الأولى فلا يكون لها معمول * الثانى ان تكون عاملة فى ذلك من قوله ذلك هو الضلال وقدم المفعول الذى هو ذلك وجعل موصولا بمعنى الذى قاله أبو على الفارسى وهذا لايتضح الاعلى قول الكوفيين إذ يجيزون فى اسم الاشارة أن يكون موصولا والبصريون لايجيزون ذلك الافى ذا بشرط أن يتقدمها الاستفهام بما أومن * الثالث أن يكون يدعو فى موضع الحال وذلك مبتدأ وهو فصل أو مبتدأ وحذف الضمير من يدعو أى يدعوه وقدره مدعوا وهذا ضعيف لأن يدعوه لايقدر مدعوا انما يقدر داعيا فلو كان يدعى مبنيا للمفعول لكان تقديره مدعوا جاريا على القياس وقال نحوه الزجاج وان كان له تعلق بقوله لمن ضره فوجوه * أحدها ماقاله الاخفش وهو ان يدعو بمعنى يقول ومن مبتدأ موصول صلته الجملة بعده وهى ضره أقرب من نفعه وخبر المبتدأ محذوف تقديره اله والهى والجملة فى موضع نصب محكية بيدعو التى هى بمعنى يقول قيل هو فاسد المعنى لأن الكافر لم يعتقد قط أن الاوثان ضرها أقرب من نفعها * وقيل فى هذا القول يكون لبئس مستأنفا لأنه لايصح دخوله فى الحكاية لأن الكفار لايقولون عن أصنامهم لبئس المولى * الثانى أن يدعو بمعنى يسمى والمحذوف آخرا هو المفعول الثانى ليسمى تقديره الها وهذا لايتم الابتقدير زيادة اللام أى يدعو من ضره * الثالث ان يدعو شبه بأفعال القلوب لأن الدعاء لايصدر الا عن اعتقاد والاحسن أن يضمن معنى يزعم و يقدر لمن خبره والجملة فى موضع نصب ليدعو وأشار الى هذا الوجه الفارسى * الرابع ماقاله الفراء وهو ان

اللام دخلت في غير موضعها او التقدير يدعو من لضره أقرب من نفعه وهذا بعيد لأن ما كان في صلة الموصول لا يتقدم على الموصول * الخامس ان تكون اللام زائدة للتوكيد ومن مفعول بيدعو وهو ضعيف لأنه ليس من مواضع زيادة اللام لكن يقويه قراءة عبد الله يدعو من ضره باسقاط اللام وأقرب التوجيهات أن يكون يدعو توكيدا ليدعو الأول واللام في لمن لام الابتداء والخبر الجملة التي هي قسم محذوف وجوابه لبئس المولى والظاهر ان يدعو يراد به النداء والاستغاثة * وقيل معناه يعبد والمولى هنا الناصر والعشير الصاحب المخالط ولما ذكر تعالى حالة من يعبده على حرف وسفه رأيه وتوعده بخسرانه في الآخرة عقبه بذكر حال مخالفيهم من أهل الايمان وما وعدهم به من الوعد الحسن ثم أخذ في توبيخ أولئك الأولين كأنه يقول هؤلاء العابدون على حرف صحبهم القلق وظنوا ان الله لن ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأتباعه ونحن انما أمرناهم بالصبر وانتظار وعدنا فمن ظن غير ذلك فليمدد بسبب و يختنق و ينظر هل يذهب بذلك غيظه قال هذا المعنى قتادة وهذا على جهة المثل السائر قولهم دونك الحبل فاختنق يقال ذلك للذي يريد من الأمر ما لا يمكنه فعلى هذا تكون الهاء في ينصره للرسول صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدي واختاره الفراء والزجاج فالمعنى أن لن ينصر الله محمدا في الدنيا باعلاء كلمته واظهار دينه وفي الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه والرسول وان لم يجر له ذكر في الآية ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الايمان في قوله ان الله يدخل الذين آمنوا وظان ذلك قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر أو أعراب استبطؤا ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم فتباطؤا عن الاسلام والظاهر ان الضمير في ينصره عائد على من لأنه المذكور وحق الضمير أن يعود على المذكور وهو قول مجاهد وحمل بعض قائلي هذا القول النصر هنا على الرزق كما قالوا أرض منصورة أي ممطورة * وقال الشاعر

وانك لا تعطى امرأ فوق حقه * ولا تملك الشق الذي أنت ناصره

أي معطيه * وقال وقف علينا سائل من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله فالمعنى من كان يظن أن لن يرزقه الله فيعدل عن دين محمد لهذا الظن كما وصف في قوله وان أصابته فتنة انقلب على وجهه فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يبلغه الا ما قدر له ولا يجعله مرزوقا أكثر مما قسم له و يحتمل على هذا القول أن يكون النصر على بابه أي من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فيغتاظ لانتفاء نصره فليمدد و يدل على قوله فيغتاظ قوله هل يذهبن كيده ما يغيظ و يكون معنى قوله فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليتحيل بأعظم الحيل في نصرة الله اياه ثم ليقطع الحبل فلينظر هل يذهبن كيده وتحيله في ايصال النصر اليه الشيء الذي يغيظه من انتفاء نصره بتسلط أعدائه عليه * وقال الزمخشري هذا كلام دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك و يطمع فيه و يغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه أنه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد

﴿ان الذين آمنوا والذين هادوا﴾ الآية لما ذكر قبل أن الله يهدي من يريد أعقب ببيان من يهديه ومن لا يهديه والمجوس هم عبدة النار ويقال انهم كان لهم نبي اسمه زرادشت ويجوز أن يحذف منه أل فلا ينصرف كما إذا حذفت أل من اليهود لا ينصرف أيضا وفي منع صرف مجوس قال الشاعر أجار ترى بريقا هب وهنا * كنار مجوس تستعر استعارا وقال الشاعر في منع صرف يهود أولئك أولى من يهود بمدحة * اذا أنت يوما قلتها لم يؤنب ومنع الصرف للعلمية وتأنيث القبيلة ﴿والذين أشركوا﴾ هم عبدة الأوثان والاصنام وخبر ان قوله ان الله يفصل بينهم وحسن ذلك طول الفصل بين إن وخبرها بالمعاطيف ويقل أن تقول ان زيدا إن عمرا ضاربه بلا فصل ﴿ولله يسجد﴾ الظاهر أن السجود هنا عبارة عن طواعية ما ذكر الله والانقياد لما يريد تعالى وهذا معنى يشمل من يعقل ومن لا ومن يسجد سجود التكليف ومن لا وعطف على من ما عبد من دون الله ففي السموات الملائكة عبدتها (١) والشمس عبدتها حمير وعبد القمر كنانة قاله ابن عباس والدبران تميم والشعرى لخم والثريا طي وعطارد أسد والمرزم ربيعة وفي الارض من عبد من البشر والاصنام المنحوتة من الجبال والشجر والبقر وما عبد من الحيوان والاحسن على أن بين من يعقل ومالا يعقل قدرا مشتركا وهو الانفعال والطواعية لما يريد الله

تعالى منه ومن مفعول يهن تقديره أي شخص والفاء في قوله فما جواب الشرط ومن مكرم مبتدأ ومن زائدة خبره له ﴿هذان خصمان﴾ لما ذكر تعالى أهل السعادة وأهل الشقاوة ذكر ما دار بينهم من الخصومة في دينه فقال هذان خصمان * قال قيس بن عباد وهلال بن يساف نزلت في المتبارزين يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة ابن الحرث برز والعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد ابن عتبة وقال ابن عباس الاشارة الى المؤمنين وأهل الكتاب وقع بينهم تخاصم فقالت اليهود نحن أقدم دينا منكم فنزلت وخصم مصدر أريد به هنا الفريق فلذلك جاء اختصموا مراعاة للمعنى اذ تحت كل خصم منهم أفراد ومعنى في ربهم والظاهر أن هذا الاختصام هو في الآخرة ولذلك جاء بعد قوله اختصموا التقسيم بالفاء الدالة على التعقيب في قوله ﴿فالذين كفروا﴾ ولهذا قال علي كرم الله وجهه أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله عز وجل وأقسم أبو ذر على هذا ﴿ثياب من نار﴾ كأنه تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم ﴿يصهر به﴾ الآية صهرت الشحم بالنار اذا أذبته والصهارة الألية المذابة وقيل ينضج وما موصولة مفعولة بيصهر ﴿والجلود﴾ معطوف على ما ﴿ولهم مقامع﴾ المقمعة بكسر الميم المقرعة يقمع بها المضروب و ﴿من غم﴾ بدل من قوله منها أعيد معه حرف الجر والظاهر تعليق الاعادة على الارادة للخروج فلابد من محذوف يصح به المعنى أي من أماكنهم المعدة لتعذيبهم ﴿اعيدوا فيها﴾ أي في الاماكن وقيل أعيدوا فيها بضرب الزبانية اياهم بالمقامع ﴿وذوقوا﴾ أي يقال لهم ذوقوا والظاهر أن من في من أساور للتبعيض وفي من ذهب لابتداء الغاية أي أنشئت من ذهب ﴿وهدوا الى الطيب﴾ هذا إخبار

ليس في يده الا ما ليس بذهب لما يغيظه * وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي أن ينزل عليه وهذا قول ابن زيد * وقيل الضمير في ينصره عائد على الدين والاسلام * قال ابن عطية وأبين وجوه هذه الآية أن يكون مثلا ويكون النصر المعروف والقطع الاختناق والسماء الارتفاع في الهواء سقف أو شجرة أو نحوه فتأمله وما في ما يغيظ بمعنى الذي والعائد محذوف أو مصدرية * وكذلك أي ومثل ذلك الانزال أنزلنا القرآن كله آيات بينات أي لا تفاوت في انزال بعضه ولا انزال كله والهاء في أنزلناه للقرآن أضمر للدلالة عليه كقوله حتى توارت بالحجاب والتقدير والأمر ان الله يهدي من يريد أي يخلق الهداية في قلب من يريد هدايته لا خالق للهداية الا هو ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل ما يشاء هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ﴾ لما ذكر قبل ان الله يهدي من

﴿١﴾ بياض بالأصل

يريد أعقب ببيان من يهديه ومن لا يهديه لأن ماقبله يقتضى أن من لا يريد هدايته لا يهديه يدل اثبات الهداية لمن يريد على نفيها عمن لا يريد والذين أشركوا هم عبدة الأوثان والأصنام ومن عبد غير الله * قال الزمخشرى ودخلت ان على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

وظاهر هذا انه شبه البيت بالآية وكذلك قرنه الزجاج بالآية ولا يتعين أن يكون البيت كالآية لأن البيت يحتمل أن يكون خبر ان الخليفة قوله به ترجى الخواتيم ويكون ان الله سربله سربال ملك جملة اعتراضية بين اسم ان وخبرها بخلاف الآية فانه يتعين قوله ان الله يفصل وحسن دخول ان على الجملة الواقعة خبرا طول الفصل بينهما بالمعاطيف والظاهر ان الفصل بينهم يوم القيامة هو بصيرورة المؤمنين الى الجنة والكافرين الى النار وناسب الختم بقوله شهيد الفصل بين الفرق * وقال الزمخشرى الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم فى الأحوال والأماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد * وقيل يفصل بينهم يقضى بين المؤمنين والكافرين والظاهر أن السجود هنا عبارة عن طواعية ماذكر تعالى والانقياد لما يريده تعالى وهذا معنى شمل من يعقل ومالا يعقل ومن يسجد سجود التكليف ومن لا يسجده وعطف على من ماعبد من دون الله ففى السموات الملائكة كانت تعبدها (١) والشمس عبدتها حمير * وعبد القمر * كنانة قاله ابن عباس * والدبران تميم * والشعرى لخم وقريش * والثريا طى وعطارد أسد * والمرزم ربيعة * وفى الأرض من عبد من البشر والأصنام المنحوتة من الجبال والشجر والبقر وما عبد من الحيوان * وقرأ الزهرى والدواب بتخفيف الباء * قال أبو الفضل الرازى ولا وجه لذلك الا أن يكون فرارا من التضعيف مثل ظلت وقرن ولا تعارض بين قوله ومن فى الارض لعمومه وبين قوله وكثير من الناس لخصوصه لانه لا يتعين عطف وكثير على ماقبله من المفردات المعطوفة الداخلة تحت يسجد اذ يجوز اضمار يسجد له كثير من الناس سجود عبادة دل عليه المعنى لأنه يفسره يسجد الاول لاختلاف الاستعمالين ومن يرى الجمع بين المشتركين وبين الحقيقة والمجاز يجيز عطف وكثير من الناس على المفردات قبله وان اختلف السجود عنده بنسبته لما لا يعقل ولمن يعقل ويجوز أن يرتفع على الابتداء والخبر محذوف يدل على مقابلة الذين فى الجملة بعده أى وكثير من الناس مثاب * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون من الناس خبرا له أى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ فى تكثير المحقوقين بالعذاب فعطفت كثير على كثير ثم عبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قال وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب انتهى وهذان التخريجان ضعيفان * وقرأ جناح بن حبيش وكبير حق بالباء * وقال ابن عطية وكثير حق عليه العذاب يحتمل أن يكون معطوفا على ماتقدم أى وكثير حق عليه العذاب يسجد أى كراهية وعلى رغمه امابظله واما بخضوعه عند المكاره ونحو ذلك قاله مجاهد وقال سجوده بظله * وقرئ وكثير حقا أى حق عليهم العذاب حقا * وقرئ حق بضم الحاء ومن مفعول مقدم بيهن * وقرأ الجمهور من مكرم اسم فاعل * وقرأ ابن أبى عبلة بفتح الراء على المصدر أى من اكرام * قال الزمخشرى ومن أهانه الله كتب عليه الشقاوة لما سبق فى علمه من كفره أوفسقه فقد بقى مهانا لن يجد له مكرما أنه يفعل مايشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك

إلى الجنة * والظاهر أن الحميد وصف لله تعالى وناسب هذا الوصف الكثرة مايحمده أهل الجنة

(الدر)

(ش) وأدخلت ان على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم

(ح) ظاهر هذا أنه شبه البيت بالآية وكذلك قرنه الزجاج بالآية ولا يتعين أن يكون البيت كالآية لان البيت يحتمل أن يكون خبر ان الخليفة قوله به ترجى الخواتيم ويكون ان الله سربله سربال ملك جملة اعتراض بين اسم ان وخبرها بخلاف الآية فانه يتعين قوله ان الله يفصل وحسن دخول ان على الجملة الواقعة خبرا طول الفصل بينهما بالمعاطيف

(ش) ويجوز أن يكون من الناس خبرا له أى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ فى تكثير المحقوقين بالعذاب فعطفت كثير على كثير ثم عبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قال وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب انتهى (ح) هذان التخريجان ضعيفان

---

(١) * بياض بجميع الأصول

الا مايقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين انتهى وفيه دسيسة الاعتزال * ولما ذكر تعالى أهل السعادة وأهل الشقاوة ذكر ما دار بينهم من الخصومة فى دينه فقال هذان قال قيس بن عباد وهلال ابن يساف نزلت فى المتبارزين يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث برز والعتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة * وعن على أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدى الله تعالى وأقسم أبو ذر على هذا ووقع فى صحيح البخارى ان الآية فيهم * وقال ابن عباس الاشارة الى المؤمنين وأهل الكتاب وقع بينهم تخاصم قالت اليهود نحن أقدم دينا منكم فنزلت * وقال مجاهد وعطاء بن أبى رباح والحسن وعاصم والكلبى الاشارة الى المؤمنين والكفار على العموم وخصم مصدر وأريد به هنا الفريق فلذلك جاء اختصموا مراعاة للمعنى اذ تحت كل خصم أفراد وفى رواية عن الكسائى خصمان بكسر الخاء ومعنى فى ربهم فى دين ربهم * وقرأ ابن أبى عبلة اختصما راعى لفظ التثنية ثم ذكر تعالى ما أعد للكفار * وقرأ الزعفرانى فى اختياره قطعت بتخفيف الطاء كأنه تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة والظاهر ان هذا المقطع لهم يكون من النار * وقال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس شئ اذا حمى أشد حرارة منه فالتقدير من نحاس محمى بالنار * وقيل الثياب من النار استعارة عن احاطة النار بهم كما يحيط الثوب بلابسه * وقال وهب يكسى أهل النار والعرى خير لهم ويحيون والموت خير لهم ولما ذكر مايصب على رؤسهم اذ يظهر فى المعروف ان الثوب انما يغطى به الجسد دون الرأس فذكر مايصيب الرأس من العذاب * وعن ابن عباس لو سقطت من الحميم نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ولما ذكر مايعذب به الجسد ظاهره ومايصب على الرأس ذكر مايصل الى باطن المعذب وهو الحميم الذى يذيب مافى البطن من الحشا ويصل ذلك الذوب الى الظاهر وهو الجلد فيؤثر فى الظاهر تأثيره فى الباطن كما قال تعالى فقطع أمعاءهم * وقرأ الحسن وفرقة يصهر بفتح الصاد وتشديد الهاء وفى الحديث ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلب مافى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان والظاهر عطف والجلود على مامن قوله يصهر به مافى بطونهم وان الجلود تذاب كما تذاب الاحشاء * وقيل التقدير وتحرق الجلود لأن الجلود لاتذاب انما تجتمع على النار وتنكمش وهذا كقوله

* علفتها تبنا وماء باردا * أى وسقيتها ماء والظاهر ان الضمير فى ولهم عائد على الكفار واللام للاستحقاق * وقيل بمعنى على أى وعليهم كقوله ولهم اللعنة أى وعليهم * وقيل الضمير يعود على مايفسره المعنى وهو الزبانية * وقال قوم منهم الضحاك المقامع المطارق * وقيل سياط من نار وفى الحديث لو وضع مقمع منها فى الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ماأقلوه من الارض * ومن غم بدل من منها بدل اشتمال أعيد معه الجار وحذف الضمير لفهم المعنى أى من غمها ويحتمل ان تكون من للسبب أى لأجل الغم الذى يلحقهم والظاهر تعليق الاعادة على الارادة للخروج فلابد من محذوف يصح به المعنى أى من أماكنهم المعدة لتعذيبهم أعيدوا فيها أى فى تلك الأماكن * وقيل أعيدوا فيها بضرب الزبانية اياهم بالمقامع وذوقوا أى ويقال لهم ذوقوا ولما ذكر تعالى ماأعد لأحد الخصمين من العذاب ذكر ماأعد من الثواب للخصم الآخر * وقرأ الجمهور يحلون بضم الياء وفتح الحاء وتشديد اللام * وقرئ بضم الياء والتخفيف وهو بمعنى المشدد * وقرأ ابن عباس يحلون بفتح الياء واللام وسكون الحاء من قولهم حلى الرجل وحليت المرأة اذا صارت ذات حلى والمرأة ذات

﴿ إن الذين كفروا ويصدون ﴾ الآية المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال فيدل إذ ذاك على الاستمرار ومنه ويصدون عن سبيل الله كقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن (٣٦١) وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام والظاهر أنه نفس المسجد وقيل الحرم كله ومن صد عن الوصول إليه فقد صد عنه وقرئ سواء بالنصب مفعول ثان لجعلنا فارتفع به العاكف وسواء أصله مصدر بمعنى مستو فعلى هذا يكون العاكف مبتدأ وفيه متعلق بالعاكف وسواء الخبر والجملة في موضع المفعول الثاني لجعلناه وخبر ان محذوف يدل عليه جزاء الشرط تقديره يجزون على كفرهم وصدهم بالعذاب الأليم ومفعول يرد بالحاد والباء زائدة والأحسن أن يضمن معنى يرد يلتبس فيتعدى بالباء والالحاد هو الميل عن القصد والظلم هو الشرك ولذلك رتب عليه العذاب الأليم * ولما ذكر تعالى حال الكفار وصدهم عن المسجد الحرام وتوعد من أراد فيه بالحاد ذكرهم حال أبيهم إبراهيم وبخهم على سلوكهم غير طريقه من كفرهم باتخاذ الأصنام وامتنانه عليهم بايفاد العالم اليهم

﴿ وإذ بوأنا ﴾ أي واذكر إذ بوأنا أي جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة ﴿ أن لا تشرك بي شيئا ﴾ خطاب لإبراهيم صلى الله عليه وسلم وكذا ما بعده من الأمر وأن مصدرية وصلت بالنهي كما توصل بالأمر

حلي والمرأة حال * وقال أبو الفضل الرازي يجوز ان يكون من حلي بعيني يحلى اذا استحسنته قال فتكون من زائدة فيكون المعنى يستحسنون فيها الاساورة الملبوسة انتهى وهذا ليس بجيد لأنه جعل حلي فعلا متعديا ولذلك حكم بزيادة من في الواجب وليس مذهب البصريين وينبغي على هذا التقدير أن لا يجوز لأنه لا يحفظ لازما فان كان بهذا المعنى كانت من للسبب أي بلباس أساور الذهب يحلون بعين من يراهم أي يحلى بعضهم بعين بعض * قال أبو الفضل الرازي ويجوز ان تكون من حليت به اذا ظفرت به فيكون المعنى يحلون فيها بأساور فتكون من بدلا من الباء والحلية من ذلك فاما اذا أخذته من حليت به فانه من الحلية وهو من الياء وان أخذته من حلي بعيني فانه من الحلاوة من الواو انتهى ومن معنى الظفر قولهم لم يحل فلان بطائل أي لم يظفر والظاهر ان من في من أساور للتبعيض وفي من ذهب لابتداء الغاية أي أنشئت من ذهب * وقال ابن عطية من في من أساور لبيان الجنس ويحتمل ان تكون للتبعيض وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة في الكهف * وقرأ ابن عباس من اسور بفتح الراء من غير الف ولا هاء وكان قياسه ان يصرفه لأنه نقص بناؤه فصار كجندل لكنه قدر المحذوف موجودا فمنعه الصرف * وقرأ عاصم ونافع والحسن والجحدري والاعرج وأبو جعفر وعيسى بن عمر وسلام ويعقوب ولؤلؤا هنا وفي فاطر بالنصب وحمله أبو الفتح على اضمار فعل وقدره الزمخشري ويؤتون لؤلؤا ومن جعل من في من أساور زائدة جاز ان يعطف ولؤلؤا على موضع أساور * وقيل يعطف على موضع من أساور لأنه يقدر ويحلون حليا من أساور * وقرأ باقي السبعة والحسن أيضا وطلحة وابن وثاب والأعمش وأهل مكة ولؤلؤ بالخفض عطفا على أساور أو على ذهب لأن السوار يكون من ذهب ولؤلؤ يجمع بعضه الى بعض * قال الجحدري الألف ثابتة بعد الواو في الامام * وقال الأصمعي ليس فيها الف وروى يحيى عن أبي بكر همز الاخير وابدال الأولى * وروى المعلى بن منصور عنه ضد ذلك * وقرأ الفياض ولوليا قلب الهمزتين واوا صارت الثانية واوا قبلها ضمة عمل فيها ما عمل في أدل من قلب الواو ياء والضمة قبلها كسرة * وقرأ ابن عباس وليليا أبدل الهمزتين واوين ثم قلبهما ياءين اتبع الاولى للثانية * وقرأ طلحة ولول بجر و را عطفا على ما عطف عليه المهموز * والطيب من القول ان كانت الهداية في الدنيا فهو قول لا اله الا الله والاقوال الطيبة من الاذكار وغيرها ويكون الصراط طريق الاسلام وان كان اخبارا عما يقع منهم في الآخرة فهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده وما أشبه ذلك من محاورة أهل الجنة ويكون الصراط الطريق الى الجنة * وعن ابن عباس هو لا اله الا الله والحمد لله زاد ابن زيد والله أكبر * وعن السدي القرآن * وحكى الماوردي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر * وعن ابن عباس هو الحمد لله الذي صدقنا وعده والظاهر أن الحميد وصف لله تعالى * قال ابن عطية ويحتمل أن يريد بالحميد نفس الطريق فأضاف اليه على حد اضافته في قوله دار الآخرة

﴿ ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا

﴿ والقائمين ﴾ هم المصلون ذكر من أركانها أعظمها وهو القيام والركوع والسجود ﴿ وأذن في الناس بالحج ﴾ أي ناد وروى أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم ﴿ يأتوك ﴾ جواب الامر والكاف في يأتوك خطاب لابراهيم صلى الله عليه وسلم جعل اتيان البيت إتيانا له صلى الله عليه وسلم لانه المعلم باتيان الناس ﴿ ورجالا ﴾ جمع راجل وهو الماشي على قدميه ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ أي وركبانا على كل ضامر وهي الابل التي ضمرت أحشاؤها من طول السير والضمير في ﴿ تأتين ﴾ عائد على كل ضامر ﴿ العميق ﴾ البعيد وأصله البعد سفلا يقال بئر عميق أي بعيدة الغور والفعل عمق وعمق قال الشاعر

اذا الخيل جاءت من فجاج عميقة * يمد بها في السير أشعث شاحب

﴿ ليشهدوا ﴾ متعلق بيأتوك ونكر المنافع لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنياوية لا توجد في غيرها من العبادات ﴿ ويذكروا اسم الله ﴾ كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لأن أهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به الى الله أن يذكر اسمه عليه * والايام المعلومات أيام العشر قاله ابن عباس وجماعة * وبهيمة الانعام تقدم الكلام عليها في المائدة ﴿ فكلوا منها ﴾ الظاهر وجوب الاكل والاطعام وقيل باستحبابهما وقيل باستحباب الاكل ووجوب الاطعام والبائس الذي أصابه بؤس أي شدة ﴿ والتفث ﴾ ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وازالة شعثه ونحوه من اقامة الخمس من الفطرة حسب الحديث والنذور هنا ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم ﴿ وليطوفوا ﴾ هذا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج وبه تمام التحلل * والعتيق القديم كما قال تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة وقال الشاعر

اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة * معتقة مما يجيء به التجر

يعني بمعتقة أي قديمة ﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله ﴾ ذلك اشارة الى الطواف وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره تمام الحج والحرمات ما لا يحل هتكه وجميع التكليفات من مناسك الحج وغيرها حرمة وضمير فهو عائد على المصدر المفهوم من قوله ومن يعظم أي فالتعظيم خير له عند ربه أي قربة منه وزيادة في طاعته يثيبه عليها والظاهر عمومه في جميع التكاليف والظاهر أن خيرا هنا ليس أفعل تفضيل ﴿ وأحلت لكم بهيمة الأنعام ﴾ دفعا لما كانت العرب تعتاده من تحريم أشياء برأيها كالبحيرة والسائبة ويعني بقوله ﴿ الا ما يتلى عليكم ﴾ ما نص في كتابه على تحريمه والمعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه ولما حث على تعظيم حرمات الله وذكر أن تعظيمها خير لمعظمها عند الله أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وجمعا في قران واحد لان الشرك من أعظم الزور لان المشرك يزعم أن الوثن يستحق العبادة فكأنه قال فاجتنبوا

وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾

المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال فيدل إذ ذاك على الاستمرار ومنه ويصدون عن سبيل الله كقوله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله * وقيل هو مضارع أريد به الماضي عطفا على كفروا * وقيل هو على اضمار مبتدأ أي وهم يصدون وخبر ان محذوف قدره ابن عطية بعد والباد خسروا وأهلكوا وقدره الزمخشري بعد قوله الحرام نذيقهم من عذاب أليم ولا يصح تقديره بعده لان الذي صفة المسجد الحرام فموضع التقدير هو بعد والباد لكن مقدر الزمخشري أحسن من مقدر ابن عطية لانه يدل عليه الجملة الشرطية بعد من جهة اللفظ وابن عطية لحظ من جهة المعنى لان من أذيق العذاب خسر وهلك * وقيل الواو في ويصدون زائدة وهو خبر ان تقديره ان الذين كفروا يصدون * قال ابن عطية وهذا مفسد للمعنى المقصود انتهى ولا يجيز البصريون زيادة الواو وانما هو قول كوفي مرغوب عنه وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وذلك انه لم يعلم لهم صد قبل ذلك بجمع الا أن يراد صدهم لافراد من الناس فقد وقع ذلك في صدر المبعث والظاهر انه نفس المسجد ومن صد عن الوصول اليه فقد صد عنه * وقيل الحرم كله لانهم صدوه وأهله عليه السلام فنزلوا خارجا عنه لكنه قصد بالذكر المهم المقصود من الحرم * وقرأ الجمهور سواء بالرفع على أن الجملة من مبتدأ وخبر في موضع المفعول الثاني والأحسن أن يكون العاكف والبادي هو المبتدأ وسواء

الخبر وقد أجيز العكس * وقال ابن عطية والمعنى الذى جعلناه للناس قبلة أو متعبدا انتهى ولا يحتاج الى هذا التقدير الا ان كان أراد تفسير المعنى لا الاعراب فيسوغ لان الجملة فى موضع المفعول الثانى فلا يحتاج الى هذا التقدير * وقرأ حفص والاعمش سواء بالنصب وارتفع به العاكف لانه مصدر فى معنى مستو اسم الفاعل ومن كلامهم مررت برجل سواء هو والعدم فان كانت جعل تتعدى الى اثنين فسواء الثانى أو الى واحد فسواء حال من الهاء * وقرأت فرقة منهم الاعمش فى رواية القطعى سواء بالنصب العاكف فيه بالجر * قال ابن عطية عطفا على الناس انتهى وكأنه يريد عطف البيان والاولى أن يكون بدل تفصيل * وقرئ والبادى وصلا ووقفا وبتركها فيهما وباثباتها وصلا وحذفها وقفا والعاكف المقيم فيه والبادى الطارئ عليه وأجمعوا على الاستواء فى نفس المسجد الحرام واختلفوا فى مكة فذهب عمر وابن عباس ومجاهد وجماعة الى أن الامر كذلك فى دور مكة وان القادم له النزول حيث وجد وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أو أبى وقال به الثورى وكذلك كان الامر فى الصدر الاول * قال ابن سابط وكانت دورهم بغير أبواب حتى كثرت السرقة فاتخذ رجل بابا فأنكر عليه عمر وقال أتغلق بابا فى وجه حاج بيت الله فقال انما أردت حفظ متاعهم من السرقة فتركه فاتخذ الناس الابواب وهذا الخلاف مترتب على الخلاف فى فتح مكة أكان عنوة أو صلحا وهى مسألة يبحث عنها فى الفقه * والالحاد الميل عن القصد * ومفعول يرد قال أبو عبيدة هو بالحاد والباء زائدة فى المفعول * قال الأعشى * ضمنت برزق عيالنا أرماحنا * أى رزق وكذا قراءة الحسن منصوبا قرأ ومن يرد الحاده بظلم أى الحادا فيه فتوسع * وقال ابن عطية يجوز أن يكون التقدير ومن يرد فيه الناس بالحاد * وقال الزمخشرى بالحاد بظلم حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب أليم * وقيل الالحاد فى الحرم منع الناس عن عمارته * وعن سعيد بن جبير الاحتكار * وعن عطاء قول الرجل فى المبايعة لا والله وبلى والله انتهى والاولى أن تضمن يرد معنى يتلبس فيتعدى بالباء وعلق الجزاء وهو نذقه على الارادة فلو نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بها الا فى مكة وهذا قول ابن مسعود وجماعة * وقال ابن عباس الالحاد هنا الشرك * وقال أيضا هو استحلال الحرام * وقال مجاهد هو العمل السيئ فيه * وقال ابن عمر لا والله وبلى والله من الالحاد * وقال حبيب بن أبى ثابت الحكرة بمكة من الالحاد بالظلم والاولى حمل هذه الاقوال على التمثيل لا على الحصر اذ الكلام يدل على العموم * وقرأت فرقة ومن يرد بفتح الياء من الورود وحكاها الكسائى والفراء ومعناه ومن أتى به بالحاد ظالما * ولما ذكر تعالى حال الكفار وصدهم عن المسجد الحرام وتوعد فيه من أراد فيه بالحاد ذكر حال أبيهم ابراهيم وتوبيخهم على سلوكهم غير طريقه من كفرهم باتخاذ الاصنام وامتنانه عليهم بانفاذ العالم اليهم واذ بوأنا أى واذكر اذ بوأنا أى جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة أى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة * قيل واللام زائدة أى بوأنا ابراهيم مكان البيت أى جعلناه يبوء اليه كقوله لنبوأنهم من الجنة غرفا * وقال الشاعر

كم صاحب لى صالح * بوأته بيدى لحدا

* وقيل مفعول بوأنا محذوف تقديره بوأنا الناس واللام فى لابراهيم لام العلة أى لأجل ابراهيم كرامة له وعلى يديه والظاهر أن قوله أن لا تشرك بى شيأ خطاب لابراهيم وكذا ما بعده من الأمر * وقيل هو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان مخففة من الثقيلة قاله ابن عطية والاصل أن يليها فعل تحقيق أو ترجيح كحالها اذا كانت مشددة أو حرف تفسير قاله الزمخشرى وابن عطية

عبادة الأوثان التى هى رأس الزور ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ كله ومن فى من الأوثان لبيان الجنس وتقدر بالموصول عندهم أى الرجس الذى هو الأوثان ﴿ومن يشرك بالله﴾ شبه المشرك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطاوح البعيدة

(الدر)

ان الذين كفروا ويصدون الآية (ح) خبر ان محذوف قدره (ع) بعد والباد خسروا وهلكوا وقدره (ش) بعد قوله الحرام نذيقهم من عذاب أليم ولا يصح تقديره بعده لان الذى صفة للمسجد الحرام فموضع التقدير هو بعد والباد لكن مقدر (ش) أحسن من مقدر (ع) لانه يدل عليه الجملة الشرطية بعد من جهة اللفظ و(ع) لحظ من جهة المعنى لان من أذيق العذاب خسر وهلك (ع) والمعنى الذى جعلناه للناس قبلة أو متعبدا انتهى (ح) لا يحتاج الى هذا التقدير الا ان كان أراد تفسير المعنى لا الاعراب فيسوغ لان الجملة فى موضع المفعول الثانى فلا يحتاج الى هذا التقدير

وشرطها أن يتقدمها جملة فى معنى القول و بوأنا ليس فيه معنى القول والاولى عندى أن تكون أن الناصبة للمضارع اذ يليها الفعل المتصرف من ماض ومضارع وأمر والنهى كالامر * قال الزمخشرى (فان قلت) كيف يكون النهى عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة (قلت) كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لاتشرك بى شيأ وطهر بيتى من الاصنام والاوثان والاقذار أن تطرح حوله * وقرأ عكرمة وأبو نهيك أن لايشرك بالياء على معنى أن يقول معنى القول الذى قيل له * قال أبو حاتم ولا بد من نصب الكاف على هذه القراءة بمعنى أن لاتشرك والقائمون هم المصلون ذكر من أركانها أعظمها وهو القيام والركوع والسجود * وقرأ الجمهور وأذن بالتشديد أى ناد * روى انه صعد أبا قبيس فقال ياأيها الناس حجوا بيت ربكم وتقدم قول من قال انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقاله الحسن قال أمر أن يفعل ذلك فى حجة الوداع * وقرأ الحسن وابن محيصن وآذن بمدة وتخفيف الذال * قال ابن عطية وتصحف هذا على ابن جنى فانه حكى عنهما وأذن على فعل ماض وأعرب على ذلك بأن جعله عطفا على بوأنا انتهى وليس بتصحيف بل قد حكى أبو عبد الله الحسين بن خالويه فى شواذ القراآت من جمعه وصاحب اللوامح أبو الفضل الرازى ذلك عن الحسن وابن محيصن * قال صاحب اللوامح وهو عطف على و إذ بوأنا فيصير فى الكلام تقديم وتأخير ويصير يأتوك جزما على جواب الأمر الذى هو وطهر انتهى * وقرأ ابن أبى اسحق بالحج بكسر الحاء حيث وقع والجمهور بفتحها * وقرأ الجمهور رجالا وابن أبى اسحق بضم الراء والتخفيف وروى كذلك عن عكرمة والحسن وأبى مجاز وهو اسم جمع كظؤار وروى عنهم وعن ابن عباس ومجاهد وجعفر بن محمد بضم الراء وتشديد الجيم * وعن عكرمة أيضا رجالى على وزن النعامى بألف التأنيث المقصورة وكذلك مع تشديد الجيم عن ابن عباس وعطاء وابن حدير ورجال جمع راجل كتاجر وتجار * وقرأ الجمهور يأتين فالظاهر عود الضمير على كل ضامر لأن الغالب أن البلاد الشاسعة لايتوصل منها الى مكة بالركوب وقد يجوز أن يكون الضمير يشمل رجالا وكل ضامر على معنى الجماعات والرفاق * وقرأ عبد الله وأصحابه والضحاك وابن أبى عبلة يأتون غلب العقلاء الذكور فى البداءة برجال تفضيلا للمشاة الى الحج * وعن ابن عباس ما آسى على شئ فاتنى أن لا أكون حججت ماشيا والاستدلال بقوله يأتوك رجالا وعلى كل ضامر على سقوط فرض الحج على من يركب البحر ولا طريق له سواه لكونه لم يذكر فى هذه الآية ضعيف لأن مكة ليست على بحر و إنما يتوصل اليها على احدى هاتين الحالتين مشى أو ركوب فذكر تعالى مايتوصل به اليها * وقرأ ابن مسعود فج معيق * قال ابن عباس وغيره من المنافع التجارة * وقال الباقر الأجر * وقال مجاهد وعطاء كلاهما واختاره ابن العربى * قال الزمخشرى ونكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنياوية لاتوجد فى غيرها من العبادات * وعن أبى حنيفة انه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لأن أهل الاسلام لاينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلى فيما يتقرب به الى الله أن يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا أن جمع بين قوله ليذكروا اسم الله عليه وقوله على مارزقهم ولو قال لينحروا فى أيام معلومات بهيمة الأنعام لم تر شيأ من ذلك الحسن والروعة انتهى واستدل من قال ان المقصود بذكر اسم الله هو على الذبح والنحر على أن الذبح لا يكون بالليل ولا يجوز فيه لقوله فى

أيام وهو مذهب مالك وأصحاب الرأى * وقيل الذكر هنا حمده وتقديسه شكرا على نعمته فى الرزق ويؤيده قوله عليه السلام انها أيام أكل وشرب وذكر اسم الله والايام المعلومات أيام العشر قاله ابن عباس والحسن وابراهيم وقتادة وأبو حنيفة والمعدودات أيام التشريق الثلاثة * وقالت فرقة منهم مالك وأصحابه المعلومات يوم النحر ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق الثلاثة فيوم النحر معلوم لامعدود واليومان بعده معلومان معدودان والرابع معدود لامعلوم ويوم النحر ويومان بعده هى أيام النحر عند على وابن عباس وابن عمر وأنس وأبى هريرة وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وأبى حنيفة والثورى وعند الحسن وعطاء والشافعى ثلاثة أيام بعد يوم النحر وعند النخعى النحر يومان وعند ابن سيرين النحر يوم واحد وعن أبى سلمة وسليمان بن يسار الاضحى الى هلال المحرم * وقال ابن عطية ويظهر أن تكون المعلومات والمعدودات بمعنى أن تلك الأيام الفاضلة كلها ويبقى أمر الذبح وأمر الاستعجال لايتعلق بمعدود ولا معلوم ويكون فائدة قوله معلومات ومعدودات التحريض على هذه الايام وعلى اغتنام فضلها أى ليست كغيرها فكأنه قال هى مخصوصات فلتغتنم انتهى والبهيمة مبهمة فى كل ذات أربع فى البر والبحر فبينت بالأنعام وهى الابل والبقر والضأن والمعز وتقدم الخلاف فى مدلول بهيمة الأنعام فى أول المائدة والظاهر وجوب الأكل والاطعام * وقيل باستحبابهما * وقيل باستحباب الأكل ووجوب الاطعام * والبائس الذى أصابه بؤس أى شدة * والتفث مايصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وازالة شعثه ونحوه من إقامة الخمس من الفطرة حسب الحديث وفى ضمن ذلك قضاء جميع مناسكه اذ لايقضى التفث الابعد ذلك * وقال ابن عمر التفث ماعليهم من الحج وعنه المناسك كلها والنذور هنا ماينذرونه من أعمال البر فى حجهم * وقيل المراد الخروج عما وجب عليهم نذروا أولم ينذروا * وقرأ شعبة عن عاصم وليوفوا مشدّدا والجمهور مخففا وليطوفوا هو طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذى هو من أركان الحج وبه تمام التحلل * وقيل هو طواف الصدر وهو طواف الوداع * وقال الطبرى لاخلاف بين المتأولين أنه طواف الافاضة * قال ابن عطية ويحتمل بحسب الترتيب أن يكون طواف الوداع انتهى * والعتيق القديم قاله الحسن وابن زيد أو المعتق من الجبابرة قاله ابن الزبير وابن أبى نجيح وقتادة كم جبار سار اليه فأهلكه الله قصده تبع ليهدمه فأصابه الفالج فأشار الاخيار عليه أن يكف عنه وقالوا له رب يمنعه فتركه وكساه وهو أول من كساه وقصده أبرهة فأصابه ماأصابه وأما الحجاج فلم يقصد التسليط على البيت لكن تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه أو المحرر لم يملك موضعه قط قاله مجاهد أو المعتق من الطوفان قاله مجاهد أيضا وابن جبير أو الجيد من قولهم عتاق الخيل وعتاق الطير أو الذى يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب * قال ابن عطية وهذا يرده التصريف انتهى ولايرده التصريف لانه فسره تفسير معنى وأما من حيث الاعرب فلأن العتيق فعيل بمعنى مفعل أى معتق رقاب المذنبين ونسب الاعتاق اليه مجازا اذ بزيارته والطواف به يحصل الاعتاق وينشأ عن كونه معتقا أن يقال فيه يعتق فيه رقاب المذنبين * ذلك خبر مبتدا محذوف قدره ابن عطية فرضكم ذلك أو الواجب ذلك وقدره الزمخشرى الامر أو الشأن ذلك قال كما يقدم الكاتب جملة من كتابه فى بعض المعانى ثم اذا أراد الخوض فى معنى آخر قال هذا وقد كان كذا انتهى * وقيل مبتدأ محذوف الخبر أى ذلك الامر الذى ذكرته * وقيل فى موضع نصب تقديره امتثلوا ذلك ونظير هذه الاشارة البليغة قول زهير وقد تقدم له جمل فى وصف هرم

(الدر)

(ح) فى تفسير العتيق هنا أقوال منها أنه يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب (ع) وهذا يرده التصريف (ح) ولايرده التصريف لأنه فسره تفسير معنى وأما من حيث الاعراب فلان العتيق فعيل بمعنى مفعل أى معتق رقاب المذنبين ونسب الاعتاق اليه مجازا لأنه بزيارته والطواف به يحصل الاعتاق وينشأ عن كونه معتقا أن يقال فيه يعتق فيه رقاب المذنبين

هذا وليس كمن يعيا بخطبته * وسط الندى اذا ما ناطق نطقا

وكان وصفه قبل هذا بالكرم والشجاعة ثم وصفه في هذا البيت بالبلاغة فكأنه قال هذا خلقه وليس كمن يعيا بخطبته والحرمات ما لا يحل هتكه وجميع التكليفات من مناسك الحج وغيرها حرمه والظاهر عمومه في جميع التكاليف ويحتمل الخصوص بما يتعلق بالحج وقاله الكلبي قال ما أمر به من المناسك وعن ابن عباس هي جميع المناهي في الحج فسوق وجدال وجماع وصيد وعن ابن زيد هي خمس المشعر الحرام والمسجد الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل * وضمير فهو عائد على المصدر المفهوم من قوله ومن يعظم أي فالتعظيم خير له عند ربه أي قربة منه وزيادة في طاعته يثيبه عليها والظاهر أن خيرا هنا ليس أفعل تفضيل * وأحلت لكم بهيمة الأنعام دفعا لما كانت عليه من تحريم أشياء برأيها كالبحيرة والسائبة ويعني بقوله الا ما يتلى عليكم ما نص في كتابه على تحريمه والمعنى ما يتلى عليكم آية تحريمه ولما حث على تعظيم حرمات الله وذكر ان تعظيمها خير لمعظمها عند الله أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وجمعا في قران واحد لأن الشرك من باب الزور لان المشرك يزعم ان الوثن يستحق العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ومن في من الأوثان لبيان الجنس ويقدر بالموصول عندهم أي الرجس الذي هو الأوثان ومن أنكر أن تكون من لبيان الجنس جعل من لابتداء الغاية فكأنه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبدأه الذي منه يلحقهم اذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس وعلى القول الأول يكون النهي عن سائر الارجاس من موضع غير هذا * قال ابن عطية ومن قال ان من للتبعيض قلب معنى الآية فأفسده انتهى وقد يمكن التبعيض فيها بأن يعني بالرجس عبادة الاوثان وقد روي ذلك عن ابن عباس وابن جريج فكأنه قال فاجتنبوا من الاوثان الرجس وهو العبادة لان المحرم من الاوثان انما هو العبادة ألا ترى انه قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغير ذلك مما لم يحرمه الشرع فكأن للوثن جهات منها عبادتها وهو المأمور باجتنابه وعبادتها بعض جهاتها ولما كان قول الزور معادلا للكفر لم يعطف على الرجس بل أفرد بأن كرر له العامل اعتناء باجتنابه وفي الحديث عدلت شهادة الزور بالشرك ولما أمر باجتناب عبادة الاوثان وقول الزور ضرب مثلا للمشرك فقال ومن يشرك بالله الآية * قال الزمخشري يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها وعصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تنازع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة انتهى * وقرأ نافع فتخطفه بفتح الخاء والطاء مشددة وباقي السبعة بسكون الخاء وتخفيف الطاء * وقرأ الحسن وأبو رجاء والأعمش بكسر التاء والخاء والطاء مشددة وعن الحسن كذلك الا انه فتح الطاء مشددة * وقرأ الأعمش أيضا تخطفه بغير فاء واسكان الخاء وفتح الطاء مخففة * وقرأ أبو جعفر والحسن وأبو رجاء الرياح ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى

﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ الآية ذلك مبتدأ خبره محذوف تقديره حال المشرك وتقدم تفسير شعائر الله في أول المائدة وأما هنا فقال ابن عباس وجماعة هي البدن الهدايا وتعظيمها تسمينها والاهتبال بها والمغالاة فيها والضمير في فانها عائد على الشعائر على حذف مضاف أي فان تعظيمها * وأضاف التقوى الى القلوب كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى صدره قال الزمخشري فان تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع الى الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى الذي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء انتهى وما

(الدر)

(ع) ومن قال ان من للتبعيض قلب معنى الآية فأفسده (ح) قد يمكن التبعيض فيها بأن يعني بالرجس عبادة الاوثان وقد روي ذلك عن ابن عباس وابن جريج فكأنه قال فاجتنبوا من الاوثان الرجس وهو العبادة لأن المحرم من الاوثان انما هو العبادة ألا ترى انه قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغير ذلك مما لم يحرمه الشرع فكان للوثن جهات منها عبادتها وهو المأمور باجتنابه وعبادتها بعض جهاتها.

قدره عار من راجع الى الجزاء الى من ألا ترى أن قوله فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب ليس فى شئ منه ضمير يعود الى من يربط جملة الجزاء بجملة الشرط الذى أداته من واصلاح ما قاله أن يكون التقدير فان تعظيمها منه فيكون الضمير فى منه عائدا الى من فيرتبط الجزاء بالشرط فاعرفه * والضمير فى فيها عائد على البدن والمنافع درها ونسلها وصوفها وركوب ظهرها * الى أجل مسمى * وهو أن يسميها ويوجبها هديا فليس له شئ من منافعها قاله ابن عباس * ثم محلها * وثم للتراخى فى الوقت فاستعيرت للتراخى فى الأفعال ثم محلها * الى البيت العتيق * أى وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت العتيق والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت * منسكا * قال الفراء عيدا * ليذكروا اسم الله * معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله وأن يكون الذبح له لانه رازق ذلك ثم خرج الى الحاضر بن فقال * والهكم إله (٣٦٧) واحد فله أسلموا * أى انقادوا وكما أن الاله واحد يجب أن يخلص له فى الذبيحة ولا يشرك فيها بغيره وتقدم شرح الاخبات وناسب تبشير من اتصف بالاخبات هنا لأن أفعال الحج من نزع الثياب والتجرد من المخيط وكشف الرأس والتردد فى تلك المواضع المغبرة المحجرة والتلبس بأفعال شاقة لا يعلم معناها الا الله مؤذن بالاستسلام المحض والتواضع المفرط حيث يخرج الانسان عن مألوفه الى أفعال غريبة ولذلك وصفهم بالاخبات والوجل اذا ذكر الله والصبر على ما أصابهم من المشاق واقامة الصلوات فى مواضع لا يقيمها الا المؤمنون المصطفون والانفاق مما رزقهم الله ومنها الهدايا التى يغالون فيها * وانتصب البدن على الاشتغال أى وجعلنا البدن وقرئ بالرفع على الابتداء و * لكم * أى لأجلكم ومن شعائر فى موضع المفعول الثانى ومعنى من شعائر الله من أعلام الشريعة التى شرعها الله وأضافها الى اسمه تعظيما لها * لكم فيها خير * قاله ابن عباس نفع فى الدنيا وأجر فى الآخرة وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا إله الا الله والله أكبر اللهم منك ولك * عليها صواف * أى على نحرها معقولة * فاذا وجبت جنوبها * عبارة عن سقوطها الى الأرض بعد نحرها قال ابن عباس القانع المستغنى بما أعطيته والمعتر المعترض من غير سؤال * كذلك سخرناها لكم * أى مثل ذلك التسخير سخرناها لكم تأخذونها منقادة من الله عليهم بذلك ولولا التسخير من الله لم نطق ذلك وكفى بالابل شاهدا وعبرة * لن ينال الله لحومها ولا دماؤها * قال مجاهد أراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم حول الكعبة منصوبا ونضح حوالى الكعبة بالدم تقربا الى الله فنزلت هذه الآية وكرر تذكير النعم بالتسخير أى لتشكروا والله على هدايته إياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بأن تهللوا وتكبروا واختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته * وبشر المحسنين * ظاهر فى العموم

القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين * اعراب ذلك كاعراب ذلك المتقدم وتقدم تفسير شعائر الله فى أول المائدة وأما هنا فقال ابن عباس ومجاهد وجماعة هى البدن الهدايا وتعظيمها تسمينها والاهتبال بها والمغالاة فيها * وقال زيد بن أسلم الشعائر ست الصفا والمروة والبدن والجمار والمشعر الحرام وعرفة والركن وتعظيمها اتمام ما يفعل فيها * وقال ابن عمر والحسن ومالك وابن زيد مواضع الحج كلها ومعالمه بمنى وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير ذلك وهذا نحو من قول زيد بن أسلم * وقيل شرائع دينه وتعظيمها التزامها والمنافع الاجر ويكون الضمير فى فيها من قوله لكم فيها منافع عائدا على الشعائر التى هى الشرائع أى لكم فى التمسك بها منافع الى أجل منقطع التكليف * ثم محلها يشكل على هذا التأويل * فقيل الايمان والتوجه اليه بالصلاة وكذلك القصد فى الحج والعمرة أى محل ما يختص منها بالاحرام البيت العتيق * وقيل معنى ذلك ثم أجرها على رب البيت العتيق * قيل ولو قيل على هذا التأويل ان البيت العتيق الجنة لم يبعد والضمير فى انها عائد على الشعائر على حذف مضاف أى فان تعظيمها أو على التعظمة وأضاف التقوى الى القلوب كما قال عليه الصلاة والسلام التقوى ههنا وأشار الى صدره وعن عمر انه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وأهدى هو عليه السلام مائة بدنة فيها جمل لأبى جهل فى أنفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطى فيتصدق

بلحومها وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله فى التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم أمر عظيم لابد أن يقام به ويسارع فيه وذكر القلوب لان المنافق يظهر التقوى وقلبه خال عنها فلا يكون مجدا فى اداء الطاعات والمخلص التقوى بالله فى قلبه فيبالغ فى ادائها على سبيل الاخلاص * وقال الزمخشرى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التى اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها فى سائر الاعضاء انتهى وماقدره عار من راجع الى الجزاء الى من ألا ترى ان قوله فان تعظيمها من أفعال القلوب ليس فى شئ منه ضمير يعود الى من يربط جملة الجزاء بجملة الشرط الذى اداته من واصلاح ماقاله أن يكون التقدير فأى تعظيمها منه فيكون الضمير فى منه عائدا على من فيرتبط الجزاء بالشرط * وقرئ القلوب بالرفع على الفاعلية بالمصدر الذى هو تقوى والضمير فى فيها عائد على البدن على قول الجمهور والمنافع درها ونسلها وصوفها وركوب ظهرها الى أجل مسمى وهو أن يسميها ويوجبها هديا فليس له شئ من منافعها * قاله ابن عباس فى رواية مقسم ومجاهد وقتادة والضحاك * وقال عطاء منافع الهدايا بعد ايجابها وتسميتها هديا بأن تركب ويشرب لبنها عند الحاجة الى أجل مسمى أى الى أن تنحر * وقيل الى أن تشعر فلا تركب الا عند الضرورة * وروى أبو رزين عن ابن عباس الاجل المسمى الخروج من مكة * وعن ابن عباس الى أجل مسمى أى الى الخروج والانتقال من هذه الشعائر الى غيرها * وقيل الاجل يوم القيامة * وقال الزمخشرى الى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخى فى الوقت فاستعيرت للتراخى فى الافعال والمعنى ان لكم فى الهدايا منافع كثيرة فى دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا فى النفع محلها الى البيت أى وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا فى الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده * وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه انتهى * وقال القفال الهدى المتطوع به اذا عطب قبل بلوغ مكة فان محله موضعه فاذا بلغ منى فهى محله وكل فجاج مكة * وقال ابن عطية وتكرر ثم لترتيب الجمل لأن المحل قبل الاجل ومعنى الكلام عند هاتين الفريقين يعنى من قال بقول مجاهد ومن وافقه ومن قال بقول عطاء ثم محلها الى موضع النحر فذكر البيت لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدى وغيره والاجل الرجوع الى مكة لطواف الافاضة وقوله ثم محلها مأخوذ من احلال المحرم معناه ثم أخر هذا كله الى طواف الافاضة بالبيت العتيق فالبيت على هذا التأويل مراد بنفسه قاله مالك فى الموطأ انتهى والمنسك مفعل من نسك واحتمل أن يكون موضعا للنسك أى مكان نسك واحتمل أن يكون مصدرا واحتمل أن يراد به مكان العبادة مطلقا أو العبادة واحتمل أن يراد مكان نسك خاص أو نسكا خاصا وهو موضع ذبح أو ذبح وحمله الزمخشرى على الذبح يقال شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له أى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على المناسك انتهى وقياس بناء مفعل مما مضارعه يفعل بضم العين مفعل بفتحها فى المصدر والزمان والمكان وبالفتح قرأ الجمهور * وقرأ بكسرها الاخوان وابن سعدان وأبو حاتم عن أبى عمرو ويونس ومحبوب وعبد الوارث الا القصبى عنه * قال ابن عطية والكسر فى هذا من الشاذ ولا يسوغ فيه القياس ويشبه أن يكون الكسائى

(الدر)

(ش) فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التى اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها فى سائر الأعضاء (ح) وماقدره عار من راجع من الجزاء الى من ألا ترى ان قوله فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب ليس فى شئ منه ضمير يعود الى من يربط جملة الجزاء بجملة الشرط الذى أداته من واصلاح ماقاله أن يكون التقدير فان تعظيمها منه فيكون الضمير فى منه عائدا على من فيرتبط الجزاء بالشرط فاعرفه

سمعه من العرب * وقال الازهري منسك ومنسك لغتان * وقال مجاهد المنسك الذبح وارقة الدماء يقال نسك اذا ذبح والذبيحة نسيكة وجمعها نسك * وقال الفراء المنسك في كلام العرب المعتاد في خير و بر * وقال ابن عرفة منسكا أي مذهبا من طاعة الله يقال نسك نسك قومه اذا سلك مذهبهم * وقال الفراء منسكا عيدا وقال قتادة حجا * ليذكروا اسم الله معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله وان يكون الذبح له لأنه رازق ذلك ثم خرج الى الحاضرين فقال فالهكم اله واحد فله أسلموا أي انقادوا وكما أن الاله واحد يجب أن يخلص له في الذبيحة ولا يشرك فيها لغيره وتقدم شرح الاخبات * وقال عمرو بن أوس المخبتون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا * وقرأ الجمهور والمقيمي الصلاة بالخفض على الاضافة وحذفت النون لأجلها * وقرأ ابن أبي اسحاق والحسن وأبو عمرو في رواية الصلاة بالنصب وحذفت النون لأجلها * وقرأ ابن مسعود والاعمش والمقيمين بالنون الصلاة بالنصب * وقرأ الضحاك والمقيم الصلاة وناسب تبشير من اتصف بالاخبات هنا لأن أفعال الحج من نزع الثياب والتجرد من المخيط وكشف الرأس والتردد في تلك المواضع الغبرة المحجرة والتلبس بأفعال شاقة لا يعلم معناها الا الله تعالى مؤذن بالاستسلام المحض والتواضع المفرط حيث يخرج الانسان عن مألوفه الى أفعال غريبة ولذلك وصفهم بالاخبات والوجل اذا ذكر الله تعالى والصبر على ما أصابهم من المشاق واقامة الصلوات في مواضع لا يقيمها الا المؤمنون المصطفون والانفاق مما رزقهم ومنها الهدايا التي يغالون فيها * وقرأ الجمهور والبدن باسكان الدال * وقرأ الحسن وابن أبي اسحاق وشيبة وعيسى بضمها وهي الاصل ورويت عن أبي جعفر ونافع * وقرأ ابن أبي اسحاق أيضا بضم الباء والدال وتشديد النون فاحتمل أن يكون اسما مفردا بني على فعل كعتل واحتمل أن يكون التشديد من التضعيف الجائز في الوقف وأجرى الوصل مجرى الوقف والجمهور على نصب والبدن على الاشتغال أي وجعلنا البدن * وقرئ بالرفع على الابتداء ولكم أي لأجلكم ومن شعائر في موضع المفعول الثاني ومعنى من شعائر الله من أعلام الشريعة التي شرعها الله وأضافها الى اسمه تعالى تعظيما لها * لكم فيها خير * قال ابن عباس نفع في الدنيا وأجر في الآخرة * وقال السدي أجر * وقال النخعي من احتاج الى ظهرها ركب والى لبنها شرب * صواف أي على نحرها * قال مجاهد معقولة * وقال ابن عمر قائمة قد صفت أيديها بالقيود * وقال ابن عيسى مصطفة وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك * وقرأ أبو موسى الاشعري والحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وشقيق وسليمان التيمي والاعرج صوافي جمع صافية ونون الياء عمرو بن عبيد * قال الزمخشري التنوين عوض من حرف عند الوقف انتهى والاولى ان يكون على لغة من صرف ما لا ينصرف ولا سيما الجمع المتناهي ولذلك قال بعضهم والصرف في الجمع أي كثيرا حتى ادعى قوم به التخيير أي خوالص لوجه الله تعالى لا يشرك فيها بشئ كما كانت الجاهلية تشرك * وقرأ الحسن أيضا صواف مثل عوار وهو على قول من قال فكسوت عار لحمه بدعاريا وقولهم اعط القوس باريها * وقرأ عبد الله وابن عمر وابن عباس والباقر وقتادة ومجاهد وعطاء والضحاك والكلبي والاعمش بخلاف عنه صوافن بالنون والصافنة من البدن ما اعتمدت على طرف رجل بعد تمكنها بثلاث قوائم وأكثر ما يستعمل في الخيل * فاذا وجبت جنوبها عبارة عن سقوطها الى الارض بعد نحرها * قال محمد بن كعب ومجاهد وابراهيم والحسن والكلبي القانع السائل والمعتر المعترض من غير سؤال وعكست فرقة هذا * وحكى الطبري عن ابن عباس القانع المستغني بما أعطيه والمعتر

المعترض من غير سؤال وحكى عنه القانع المتعفف والمعتر السائل وعن مجاهد القانع الجار وان كان غنيا * وقال قتادة القانع من القناعة والمعتر المعترض للسؤال * وقيل المعتر الصديق الزائر * وقرأ أبو رجاء القنع بغير ألف أى القانع بحذف الالف كالحذر والحاذر * وقرأ الحسن والمعترى اسم فاعل من اعترى * وقرأ عمرو واسماعيل والمعتر بكسر الراء دون ياء هذا نقل ابن خالويه * وقال أبو الفضل الرازى فى كتاب اللوامح أبو رجاء بخلاف عنه وابن عبيد والمعترى على مفتعل * وعن ابن عباس برواية المقرى والمعتر أراد المعترى لكنه حذف الياء تخفيفا واستغناء بالكسرة عنها وجاء كذلك عن أبى رجاء * قال ابن مسعود الهدى أثلاث * وقال جعفر بن محمد أطعم القانع والمعتر ثلثا والبائس الفقير ثلثا وأهلى ثلثا * وقال ابن المسيب ليس لصاحب الهدى منه الا الربع وهذا كله على جهة الاستحباب لا الفرض قاله ابن عطية * كذلك سخرها لكم أى مثل ذلك التسخير سخرناها لكم تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها فتطعنون فى لباتها من عليهم تعالى بذلك ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التى هى أصغر منها جرما وأقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة * وقال ابن عطية كما أمرناكم فيها بهذا كله سخرناها لكم لن ينال الله لحومها ولادماؤها * قال مجاهد أراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوبا حول الكعبة ونضح الكعبة حوالها بالدم تقربا الى الله فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس قريب منه والمعنى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتياط بشروط التقوى فى حل ماقرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم قاله الزمخشرى وهو تكثير فى اللفظ * وقرأ مالك بن دينار والاعرج وابن يعمر والزهرى واسحاق الكوفى عن عاصم والزعفرانى ويعقوب * وقال ابن خالويه تناله التقوى بالتاء يحيى بن يعمر والجحدرى * وقرأ زيد بن على لحومها ولادماءها بالنصب * ولكن يناله بضم الياء وكرر ذكر النعمة بالتسخير * قال الزمخشرى لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته انتهى * وبشر المحسنين ظاهر فى العموم * قال ابن عباس وهم الموحدون وروى أنها نزلت فى الخلفاء الأربعة * ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لايحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والى المصير قل ياأيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين

آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلى الكبير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما فى السموات وما فى الارض وان الله لهو الغنى الحميد ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير * الهدم معروف وهو نقض ما بنى * قال الشاعر

وكل بيت وان طالت اقامته * على دعائمه لا بد مهدوم

* الصومعة موضع العبادة وزنها فعولة وهى بناء مرتفع منفرد حديد الاعلى والاصمع من الرجال الحديد القول وكانت قبل الاسلام مختصة برهبان النصارى وبعباد الصابئين قاله قتادة ثم استعمل فى مئذنة المسلمين * البيع كنائس النصارى واحدها بيعة * وقيل كنائس اليهود * البئر من بأرت أى حفرت وهى مؤنثة على وزن فعل بمعنى مفعول وقد تذكر على معنى القليب * تعطيل الشئ ابطال منافعه * العقم الامتناع من الولادة يقال امرأة عقيم ورجل عقيم لا يولد له والجمع عقم وأصله من القطع ومنه الملك عقيم أى يقطع فيه الارحام بالقتل والعقيم الذى قطعت ولادتها * وقال

﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ روى أن المؤمنين لما كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر الى أرض الحبشة أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار و يحتال و يغدر فنزلت الى قوله كفور وعد فيها بالمدافعة ونهى عن الخيانة وخص المؤمنين بالدفع عنهم والنصرة لهم * ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر جملة مما يفعل في الحج وكان المشركون قد صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وآذوا من كان بمكة من المؤمنين أنزل الله تعالى هذه الآيات مبشرة للمؤمنين بدفعه تعالى عنهم ومشيرة الى نصرهم وآذنة لهم في القتال وتمكنهم في الارض بردهم الى ديارهم وفتح مكة وأن عاقبة الأمور راجعة الى الله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ لما هاجر المؤمنون الى المدينة أذن الله لهم في القتال وقرئ أذن وأذن و يقاتلون بكسر التاء وفتحها ﴿الذين أخرجوا﴾ في موضع جر نعت للذين أو بدل أو في موضع نصب بأعني أو في موضع رفع على اضمارهم و ﴿الا أن يقولوا﴾ استثناء منقطع فان يقولوا في موضع نصب لانه منقطع لا يمكن توجه العامل اليه فهو مقدر بلكن من حيث المعنى لانك لو قلت الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله لم يصح وقال الزمخشري أن يقولوا في محل الجر على الابدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله وهل تنقمون منا الآية انتهى اتبع الزمخشري في هذا الزجاج وما أجازاه من البدل لا يكون الا اذا سبقه نفي أو نهي أو استفهام في معنى النفي نحو ما قام أحد الا زيد ولا يضرب أحد إلا زيد وهل يضرب أحد الا زيد وأما اذا كان الكلام موجبا أو أمرا فلا يجوز البدل لا يقال قام القوم الا زيد على البدل ولا ليضرب القوم الا زيد على البدل لان البدل لا يكون الا حيث يكون العامل يتسلط عليه ولو قلت قام الا زيد وليضرب الا عمرو لم يجز ولو قلت في غير القرآن أخرج الناس من ديارهم الا بأن يقولوا لا إله الا الله لم يكن كلاما هذا اذا تخيل أن يكون الا أن يقولوا في موضع جر بدلا من غير المضاف الى حق وأما أن يكون بدلا من حق كما نص عليه الزمخشري فهو في غاية الفساد لانه يلزم منه أن يكون البدل يلي غيرا فيصير التركيب بغير الا أن يقولوا وهذا لا يصح ولو قدر الا بغير كما يقدر في النفي في ما مررت باحد الا زيد فيجعله بدلا لم يصح لانه يصير التركيب بغير غير كقولهم ربنا الله فتكون قد أضيفت غير الى غير وهي هي فصار بغير غير و يصح في ما مررت باحد الا زيد أن تقول ما مررت بغير زيد ثم ان الزمخشري حين مثل البدل قدره بغير موجب سوى التوحيد وهذا التمثيل للصفة جعل الا بمعنى سوى و يصح على الصفة فالتبس عليه باب الصفة بباب البدل و يجوز أن تقول مررت بالقوم الا زيد على الصفة لا على البدل ﴿ولولا دفع الله﴾ تقدم الكلام عليه في البقرة * الهدم معروف * الصومعة موضع العبادة و وزنها فوعلة وهي بناء مرتفع منفرد حديد الاعلى والاصمع من الرجال الحديد القول فكانت قبل الاسلام مختصة برهبان النصارى و بعباد الصابئين ثم استعمل في مئذنة المسلمين والاظهر في تعداد هذه المواضع ان ذلك بحسب متعبدات الأمم فالصوامع للرهبان وقيل للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود وهو على حذف مضاف أي ومواضع صلوات والمساجد للمسلمين وأخبر تعالى انه قوي على نصرهم عزيز لا يغالب والظاهر عود الضمير في قوله يذكر فيها على المواضع جميعها فيكون يذكر في موضع الصفة لها و يجوز ان يعود على قوله ومساجد فيكون يذكر صفة للمساجد ﴿الذين ان مكناهم﴾ يجوز في اعرابه ما يجوز في اعراب الذين أخرجوا ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ توعد للمخالف ما رتب على التمكين ﴿وان يكذبوك﴾ فيها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب من سبق من الأمم السالفة لأنبيائهم و وعيد لقريش إذ مثلهم بالأمم المكذبة المعذبة وأسند الفعل بعلامة التأنيث من حيث أراد الامة والقبيلة و بني الفعل

أبو عبيد العقم السد يقال امرأة معقومة الرحم أي مسدودة الرحم * السطو القهر * وقال ابن عيسى السطوة اظهار ما يهول للاخافة * الذباب الحيوان المعروف يجمع على ذباب بكسر الذال وضمها وعلى ذب والمذبة ما يطرد به الذباب وذباب السيف طرفه والعين انسانها وأسنان الابل * سلبت الشيء اختطفته بسرعة * استنقذ استفعل بمعنى أفعل أي أنقذ نحو أبل واستبل ﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع و بيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد

وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾ روى أن المؤمنين لما كثروا بمكة اذاهم الكفار وهاجر من هاجر الى أرض الحبشة أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار ويحتال ويغدر فنزلت الى قوله كفور وعد فيها بالمدافعة ونهى عن الخيانة وخص المؤمنين بالدفع عنهم والنصرة لهم وعلل ذلك بأنه لا يحب أعداءهم الخائنين الله والرسول الكافرين نعمه * ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر جملة مما يفعل في الحج وكان المشركون قد صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وآذوا من كان بمكة من المؤمنين أنزل الله تعالى هذه الآيات مبشرة المؤمنين بدفعه تعالى عنهم ومشيرة الى نصرهم واذنه لهم في القتال وتمكينهم في الارض بردهم الى ديارهم وفتح مكة وان عاقبة الامور راجعة الى الله تعالى وقال تعالى والعاقبة للمتقين * وقرأ الحسن وأبو جعفر ونافع يدافع ولولا دفاع الله * وقرأ أبو عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع * وقرأ الكوفيون وابن عامر يدافع ولولا دفع وفاعل هنا بمعنى المجرد نحو جاوزت وجزت * وقال الأخفش دفع أكثر من دافع * وحكى الزهراوي ان دفاعا مصدر دفع كحسب حسابا * وقال ابن عطية يحسن يدافع لأنه قد عن للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم فتجيء مقاومته ودفعه مدافعة عنهم انتهى يعني فيكون فاعل لاقتسام الفاعلية والمفعولية لفظا والاشتراك فيهما معنى * وقال الزمخشري ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلغ انتهى ولم يذكر تعالى ما يدفعه عنهم ليكون أفخم وأعظم وأعم ولما هاجر المؤمنون الى المدينة أذن الله لهم في القتال * وقرأ نافع وعاصم وأبو عمرو بضم همزة اذن وفتح باقي السبعة * وقرأ نافع وابن عامر وحفص يقاتلون بفتح التاء والباقون بكسرها والمأذون فيه محذوف أي في القتال لدلالة يقاتلون عليه وعلل للاذن بأنهم ظلموا كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر وهي

للمفعول في وكذب موسى لان قومه لم يكذبوه انما كذبه القبط ﴿ فأمليت للكافرين ﴾ أي أمهلت لهم وأخرت عنهم العذاب مع علمي بفعلهم وفي قوله فأمليت للكافرين ترتيب الاملاء على وصف الكفر فكذلك قريش أملى لهم الله تعالى ثم أخذهم في غزوة بدر وفتح مكة وغيرهما والاخذ كناية عن العذاب والاهلاك والنكير مصدر كالنذير المراد به المصدر والمعنى فكيف انكاري عليهم وتبديل حالهم الحسنة بالسيئة وحياتهم بالاهلاك ومعمورهم بالخراب وهذا الاستفهام يصحبه معنى التعجب كانه قيل ما أشدما كان انكاري عليهم وفي الجملة ارهاب لقريش ﴿ وكأين ﴾ للتكثير وتقدم الكلام عليها واحتمل ان يكون في موضع رفع على الابتداء وفي موضع نصب على الاشتغال ﴿ وهي ظالمة ﴾ جملة حالية ﴿ فهي خاوية ﴾ تقدم تفسيرها في البقرة * وقال الزمخشري * فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية * قلت الاولى في محل نصب على الحال والثانية لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل انتهى وهذا الذي قاله ليس بجيد لأن وكأين الاجود في اعرابها ان تكون مبتدأة والخبر الجملة من قوله أهلكناها فهي في موضع رفع والمعطوف على الخبر خبر فيكون قوله فهي خاوية في موضع رفع لكن يتجه قول الزمخشري على الوجه القليل وهو اعراب فكأين منصوبا باضمار فعل على الاشتغال فتكون الجملة من قوله أهلكناها مفسرة لذلك الفعل وعلى هذا لا محل لهذه الجملة المفسرة فالمعطوف عليها لا محل له *وقرئ وبئر بهمز وبغير همز * يقال عطلت البئر وأعطلتها فعطلت بفتح الطاء وعطلت المرأة من الحلي بكسر الطاء ووصف القصر بمشيد ولم يوصف بمشيدة كما في بروج مشيدة لان ذلك جمع ناسب التكثير فيه وهذا مفرد وأيضا مشيد فاصلة آية وقال الشاعر

وتيماء لم تترك بها جذع نخلة * ولا اطما الا مشيدا بجندل

وعطف وبئر وقصر على قوله من قرية يدل على التكثير وثم بليدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زمانا وعبدوا صنما فأرسل الله اليهم حنظلة بن صفوان وقيل اسمه شريح بن صفوان نبيا فقتلوه في السوق فأهلكهم الله عن آخرهم وسلط عليهم بخت نصر الذي تقدم ذكره في الانبياء وعطف وبئر وقصر على قوله من قرية فدل على التكثير وقد عينت هذه البئر فعن ابن عباس أنها كانت لاهل عدن من اليمن وهي الرس وعن كعب الاحبار ان القصر بناه عاد الثاني وهو منذر بن عاد بن ارم ابن عاد وعن الضحاك وغيره ان البئر بحضرموت من أرض الشحر والقصر مشرف على قلة جبل لا يرتقى

أول آية اذن فيها بالقتال بعدما نهى عنه في نيف وسبعين آية * وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم * وان الله على نصرهم لقدير وعد بالنصر والاخبار بكونه يدفع عنهم * الذين أخرجوا في موضع جر نعت للذين أو بدل أو في موضع نصب باعني أو في موضع رفع على اضمارهم * والا أن يقولوا استثناء منقطع فان يقولوا في موضع نصب لأنه منقطع لا يمكن توجه العامل عليه فهو مقدر بلكن من حيث المعنى لأنك لو قلت الذين أخرجوا من ديارهم الا ان يقولوا ربنا الله لم يصح بخلاف ما في الدار أحد الا حمار فان الاستثناء منقطع و يمكن ان يتوجه عليه العامل فتقول ما في الدار الا حمار فهذا يجوز فيه النصب والرفع النصب للحجاز والرفع لتميم بخلاف مثل هذا فالعرب مجمعون على نصبه وأجاز أبو اسحق فيه الجر على البدل واتبعه الزمخشري فقال ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا انتهى وما أجازاه من البدل لا يجوز لأن البدل لا يكون الا اذا سبقه نفي أو نهي أو استفهام في معنى النفي نحو ما قام أحد الا زيد ولا يضرب أحد الا زيد وهل يضرب أحد الا زيد وأما اذا كان الكلام موجبا أو امرا فلا يجوز البدل لا يقال قام القوم الا زيد على البدل ولا يضرب القوم الا زيد على البدل لان البدل لا يكون الا حيث يكون العامل يتسلط عليه ولو قلت قام الا زيد وليضرب الا عمرو لم يجز ولو قلت في غير القرآن اخرج الناس من ديارهم الا بأن يقولوا لا اله الا الله لم يكن كلاما هذا اذا تخيل ان يكون الا ان يقولوا في موضع جر بدلا من غير المضاف الى حق واما ان يكون بدلا من حق كما نص عليه الزمخشري فهو في غاية الفساد لأنه يلزم منه ان يكون البدل يلي غيرا فيصير التركيب بغير الا ان يقولوا وهذا لا يصح ولو قدرت الا بغير كما يقدر في النفي في ما مررت بأحد الا زيد فتجعله بدلا لم يصح لأنه يصير التركيب بغير غير قولهم ربنا الله فتكون قد أضفت غيرا الى غير وهي هي فصار بغير غير و يصح في ما مررت بأحد الا زيد ان تقول ما مررت بغير زيد ثم ان الزمخشري حين مثل البدل قدره بغير موجب سوى التوحيد وهذا تمثيل للصفة جعل الا بمعنى سوى و يصح على الصفة فالتبس عليه باب الصفة بباب البدل و يجوز ان تقول مررت بالقوم الا زيد على الصفة لا على البدل * ولولا دفع الله الناس الآية فيها تحريض على القتال المأذون فيه قبل وانه تعالى أجرى العادة بذلك في الامم الماضية بأن ينتظم به الأمر وتقوم الشرائع وتصان المتعبدات من الهدم وأهلها من القتل والشتات وكأنه لما قال اذن للذين يقاتلون قيل فليقاتل المؤمنون فلولا القتال لتغلب على الحق في كل أمة وانظر الى مجيء قوله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض اثر قتال طالوت لجالوت وقتل داود جالوت وأخبر تعالى انه لولا ذلك الدفع فسدت الارض فكذلك هنا * وقال علي بن أبي طالب ولولا دفع الله بأصحاب محمد الكفار عن التابعين فمن بعدهم وأخذ الزمخشري قول علي وحسنه وذيل عليه فقال دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليط المؤمنين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى

(ش) أن يقولوا في محل الجر على الابدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا أن آمنا (ح) اتبع (ش) في هذا الزجاج وما أجازاه من البدل لا يجوز لأن البدل لا يكون الا اذا سبقه نفي أو نهي أو استفهام في معنى النفي نحو ما قام أحد الا زيد ولا يضرب أحد الا زيد وهل يضرب أحد الا زيد وأما اذا كان الكلام موجبا أو أمرا فلا يجوز البدل لا يقال قام القوم الا زيد على البدل ولا ليضرب القوم الا زيد على البدل لأن البدل لا يكون الا حيث يكون العامل يتسلط عليه ولو قلت قام الا زيد وليضرب الا عمرو لم يجز ولو قلت في غير القرآن أخرج الناس من ديارهم الا بأن يقولوا لا إله الا الله لم يكن كلاما هذا اذا تخيل أن يكون الا أن يقولوا في موضع جر بدلا من غير المضاف الى حق وأما ان يكون بدلا من حق كما نص عليه (ش) فهو في غاية الفساد لأنه يلزم منه أن يكون البدل يلي غيرا فيصير التركيب بغير الا أن يقولوا وهذا لا يصح وقدرت الا بغير كما يقدر في النفي ما مررت بأحد الا زيد فتجعله بدلا لم يصح لأنه يصير التركيب بغير غير قولهم ربنا الله فتكون قد أضفت غيرا الى غير وهي هي فصار بغير غير ويصح في ما مررت بأحد الا زيد أن تقول ما مررت بغير زيد ثم ان (ش) حين مثل البدل قدره بغير موجب سوى التوحيد وهذا تمثيل للصفة جعل الا بمعنى سوى ويصح على الصفة فالتبس عليه باب الصفة بباب البدل ويجوز أن يقول مررت بالقوم الا زيد على الصفة لا على البدل

متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين انتهى * وقال مجاهد ولولا دفع الله ظلم قوم بشهادات العدول ونحو هذا * وقال قوم دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة * وقالت فرقة دفع العذاب بدعاء الأخيار *وقال قطرب بالقصاص عن النفوس * وقيل بالنبيين عن المؤمنين *وقال الحسن لولا أمان الاسلام لخربت متعبدات أهل الذمة ومعنى الدفع بالقتال أليق بالآية وأمكن فى دفع الفساد * وقرأ الحرميان وأيوب وقتادة وطلحة وزائدة عن الأعمش والزعفرانى لهدمت مخففا وباقى السبعة وجماعة مشددة لما كانت المواضع كثيرة ناسب مجىء التضعيف لكثرة المواضع فتكرر الهدم لتكثيرها* وقرأ الجمهور وصلوات جمع صلاة * وقرأ جعفر بن محمد وصلوات بضم الصاد واللام * وحكى عنه ابن خالويه صلوات بسكون اللام وكسر الصاد وحكيت عن الجحدرى والجحدرى صلوات بضم الصاد وفتح اللام وحكيت عن الكلبى وأبى العالية بفتح الصاد وسكون اللام صلوات والحجاج بن يوسف والجحدرى أيضا وصلوت وهى مساجد النصارى بضمتين من غير ألف ومجاهد كذلك الا انه بفتح الثاء وألف بعدها والضحاك والكلبى وصلوث بضمتين من غير ألف وبثاء منقوطة بثلاث وجاء كذلك عن أبى رجاء والجحدرى وأبى العالية ومجاهد كذلك الا انه بعد الثاء ألف * وقرأ عكرمة وصلويثا بكسر الصاد واسكان اللام وواو مكسورة بعدها ياء بعدها ثاء منقوطة بثلاث بعدها ألف والجحدرى أيضا صلوات بضم الصاد وسكون اللام وواو مفتوحة بعدها ألف بعدها ثاء مثلثة النقط * وحكى ابن مجاهد انه قرئ كذلك الا انه بكسر الصاد * وحكى ابن خالويه وابن عطية عن الحجاج والجحدرى صلوب بالباء بواحدة على وزن كعوب جمع صليب كظريف وظروف وأسينة وأسون وهو جمع شاذ أعنى جمع فعيل على فعول فهذه ثلاث عشرة قراءة والتى بالثاء المثلثة النقط * قيل هى مساجد اليهود وهى بالسريانية مما دخل فى كلام العرب * وقيل عبرانية وينبغى أن تكون قراءة الجمهور يراد بها الصلوات المعهودة فى الملل وأما غيرها مما تلاعبت فيه العرب بتحريف وتغيير فينظر ما مدلوله فى اللسان الذى نقل منه فيفسر به * وروى هارون عن أبى عمرو وصلوات كقراءة الجماعة الا انه لا ينون التاء كأنه جعله اسم موضع كالمواضع التى قبله وكأنه علم فمنعه الصرف للعلمية والعجمة وكملت القراآت بهذه أربع عشرة قراءة والأظهر فى تعداد هذه المواضع أن ذلك بحسب معتقدات الأمم فالصوامع للرهبان * وقيل للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين وقاله خصيف * قال ابن عطية والأظهر انه قصد بها المبالغة فى ذكر المتعبدات وهذه الأسماء تشترك الأمم فى مسمياتها الا البيعة فانها مختصة بالنصارى فى عرف لغة ومعانى هذه الأسماء هى فى الامم التى لهم كتاب على قديم الدهر ولم يذكر فى هذه الآية المجوس ولا أهل الاشراك لان هؤلاء ليس لهم ما يوجب حمايته ولا يوجد ذكر الله الا عند أهل الشرائع انتهى والظاهر عود الضمير فى قوله يذكر فيها على المواضع كلها جميعها وقاله الكلبى ومقاتل فيكون يذكر صفة للمساجد واذا حملنا الصلوات على الافعال التى يصليها أهل الشرائع كان ذلك اما على حذف مضاف أى ومواضع صلوات واما على تضمين لهدمت معنى عطلت فصار التعطيل قدرا مشتركا بين المواضع والافعال وتأخير المساجد اما لأجل قدم تلك وحدوث هذه واما الانتقال من شريف الى أشرف وأقسم تعالى على انه

يُنصر من ينصر أي ينصر دينه وأولياءه ونصره تعالى هو أن يظفر أولياءه بأعدائهم جلادا وجدالا وفي ذلك حض على القتال ثم أخبر تعالى انه قوى على نصرهم عزيز لايغالب والظاهر انه يجوز في اعراب الذين ان مكناهم في الارض ماجاز في اعراب الذين أخرجوا * وقال الزجاج هو منصوب بدل ممن ينصره والتمكين السلطنة ونفاذ الامر على الخلق والظاهر انه من وصف المأذون لهم في القتال وهم المهاجرون وفيه اخبار بالغيب عما يكون عليه سيرتهم ان مكن لهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين * وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله تعالى لم يجعل التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة لغيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للأنصار والطلقاء وفي الآية أخذ العهد على من مكنه الله أن يفعل مارتب على التمكين في الآية * وقيل نزلت في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم * وعن الحسن وأبي العالية هم أمته عليه السلام * وعن عكرمة هم أهل الصلوات الخمس وهو قريب مما قبله * وقال ابن أبي نجيح هم الولاة * وقال الضحاك هو شرط شرطه الله من آتاه الملك * وقال ابن عباس المهاجرون والانصار والتابعون ولله عاقبة الامور توعد للمخالف مارتب على التمكين وان يكذبوك الآية فيها تسلية للرسول بتكذيب من سبق من الامم المذكورة لانبيائهم ووعيد لقريش اذ مثلهم بالامم المكذبة المعذبة وأسند الفعل بعلامة التأنيث من حيث أراد الامة والقبيلة وبنى الفعل للمفعول في وكذب موسى ان قومه لم يكذبوه وانما كذبه القبط * فأمليت للكافرين أي أمهلت لهم وأخرت عنهم العذاب مع علمي بفعلهم وفي قوله فأمليت للكافرين ترتيب الاملاء على وصف الكفر فكذلك قريش أملى تعالى لهم ثم أخذهم في غزوة بدر وفي فتح مكة وغيرهما والاخذ كناية عن العقاب والاهلاك والنكير مصدر كالنذير المراد به المصدر والمعنى فكيف كان انكاري عليهم وتبديل حالهم الحسنة بالسيئة وحياتهم بالهلاك ومعمورهم بالخراب وهذا استفهام يصحبه معنى التعجب كأنه قيل ما أشد ما كان انكاري عليهم وفي الجملة ارهاب لقريش فكأين للتكثير واحتمل أن يكون في موضع رفع على الابتداء وفي موضع نصب على الاشتغال * وقرأ أبو عمرو وجماعة أهلكتها بتاء المتكلم والجمهور بنون العظمة وهي ظالمة جملة حالية فهي خاوية على عروشها تقدم تفسير هذه الجملة في البقرة في قوله أو كالذي مر على قرية * وقال الزمخشري (فان قلت) ما محل الجملتين من الاعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية (قلت) الاولى في محل نصب على الحال والثانية لامحل لها لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل انتهى وهذا الذي قاله ليس بجيد لان فكأين الاجود في اعرابها أن تكون مبتدأة والخبر الجملة من قوله أهلكناها فهي في موضع رفع والمعطوف على الخبر خبر فيكون قوله فهي خاوية في موضع رفع لكن يتجه قول الزمخشري على الوجه القليل وهو اعراب فكأين منصوبا باضمار فعل على الاشتغال فتكون الجملة من قوله أهلكناها مفسرة لذلك الفعل وعلى هذا لامحل لهذه الجملة المفسرة فالمعطوف عليها لامحل له * وقرأ الجحدري والحسن وجماعة معطلة مخففا يقال عطلت البئر وأعطلتها فعطلت هي بفتح الطاء وعطلت المرأة من الحلي بكسر الطاء * قال الزمخشري ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت أي تركت لايستقى منها لهلاك أهلها والمشيد المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه انتهى وبئر وقصر معطوفان على من قرية

(الدر)

(ش) فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب أعني فهي ظالمة فهي خاوية قلت الاولى في محل نصب على الحال والثانية لامحل لها لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل (ح) هذا الذي قاله ليس بجيد لان فكأين الاجود في اعرابها أن تكون مبتدأ والخبر الجملة من قوله أهلكناها فهي في موضع رفع والمعطوف على الخبر خبر فيكون قوله فهي خاوية في موضع رفع لكن يتجه قول (ش) على الوجه القليل وهو اعراب فكأين منصوبا باضمار فعل على الاشتغال فتكون الجملة من قوله أهلكناها مفسرة لذلك وعلى هذا لامحل لهذه الجملة المفسرة فالمعطوف عليها لامحل له

﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾ الآية تقدم الكلام عليه وإسناد العقل إلى القلب يدل على انه محله ولا ننكر أن للدماغ بالقلب اتصالا يقتضي فساد العقل اذا فسد الدماغ ومتعلق يعقلون بها محذوف أي ما حل بالامم السالفة حين كذبوا أنبياءهم وكذلك مفعول يسمعون أي يسمعون أخبار تلك الامم الماضية والضمير في فانها ضمير القصة ﴿ ولكن تعمى القلوب ﴾ وصفت القلوب بالتي في الصدور مبالغة كقوله يقولون بأفواههم والضمير في ويستعجلونك لقريش وكان صلى الله عليه وسلم يحذرهم نقمات الله تعالى ويتوعدهم ذلك دنيا وآخرة وهم لا يصدقون بذلك ويستبعدون وقوعه فكان استعجالهم على سبيل الاستهزاء وأن ما وعدتنا به لا يقع وأن لا بعث وفي قوله ولن يخلف الله وعده أي ان ذلك واقع لا محالة لكن لوقوعه أجل لا يتعداه وأضاف الوعد إليه تعالى لان رسوله صلى الله عليه وسلم هو المخبر به عن الله تعالى وقيل التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدة أي وان يوما من أيام عذاب الله لشدة العذاب فيه وطوله كألف سنة من عددكم اذ أيام الترحة مستطالة وأيام الفرحة مستقصرة وقرئ تعدون بالتاء للخطاب والياء للغيبة وتكرر التكثير بكأين في القرى لافادة معنى غير ما جاءت له الاولى لانه ذكر فيها القرى التي أهلكنا دون املاء وتأخير بل أعقب الاهلاك التذكير وهذه الآية لما كان تعالى قد أمهل قريشا حتى استعجلت بالعذاب جاءت بالاهلاك بعد الاملاء تنبيها على أن قريشا وان أملى تعالى لهم وأمهلهم فانه لا بد من عذابهم فلا يفرحوا بتأخير العذاب عنهم ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لاهل مكة يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين من عذاب الله موضح لكم ما تحذرون أو موضح النذارة لا تتلجلج فيها وذكر النذارة دون البشارة وان كان التقسيم بعد ذلك يقتضيها لان الحديث مسوق للمشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم المقول فيهم والسعي الطلب والاجتهاد في ذلك فيكون باصلاح وبافساد وقرئ معاجزين ومعجزين فاما معاجزين فمعناه معاندين ومعجزين معناه مثبطين

ومن قرية تمييز لكأين وكأين تقتضي التكثير فدل ذلك على انه لا يراد بقرية وبئر وقصر معين وان كان الاهلاك انما يقع في معين لكن من حيث الوقوع لا من حيث دلالة اللفظ وينبغي أن يكون وبئر وقصر من حيث عطفا على من قرية أن يكون التقدير أهلكنهما كما كان أهلكنها خبرا به عن كأين الذي هو القرية من حيث المعنى والمراد أهل القرية والبئر والقصر وجعل وبئر معطلة وقصر مشيد معطوفين على عروشها جهل بالفصاحة ووصف القصر بمشيد ولم يوصف بمشيد كما في قوله في بروج مشيدة لان ذلك جمع ناسب التكثير فيه وهذا مفرد وأيضا مشيد فاصلة آية وقد عين بعض المفسرين هذه البئر * فعن ابن عباس انها كانت لأهل عدن من اليمن وهي الرس * وعن كعب الاحبار أن القصر بناه عاد الثاني وهو منذر بن عاد بن إرم بن عاد * وعن الضحاك وغيره أن البئر بحضرموت من أرض الشحر والقصر مشرف على قلة جبل لا يرتقى والبئر في سفحه لا يقر الريح شيأ يسقط فيها * روى ان صالحا عليه السلام نزل عليها مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وسميت بذلك لأن صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليهم جليس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل اليهم حنظلة بن صفوان * وقيل اسمه شريح بن صفوان نبيا فقتلوه في السوق فأهلكهم الله عن آخرهم وعطل بئرهم وخرب قصرهم * وعن الامام أبي القاسم الأنصاري انه قال رأيت قبر صالح بالشام في بلدة يقال لها عكا فكيف يكون بحضرموت ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والي المصير قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم ﴾ لما ذكر تعالى من كذب الرسل من الأمم الخالية وكان عند العرب أشياء من أحوالهم ينقلونها وهم عارفون ببلادهم وكثيرا ما يمرون على كثير منها قال أفلم يسيروا فاحتمل أن يكون حثا على السفر ليشاهدوا مصارع الكفار فيعتبروا أو يكونوا قد سافروا وشاهدوا فلم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا * وقرأ مبشر بن عبيد فيكون بالياء والجمهور بالتاء فتكون منصوب على جواب الاستفهام قاله ابن عطية وعلى جواب التقرير قاله الحوفي * وقيل على جواب النفي ومذهب البصريين ان النصب باضمار ان وينسبك منها ومن الفعل مصدر يعطف

على مصدر متوهم ومذهب الكوفيين انه منصوب على الصرف اذ معنى الكلام الخبر صرفوه عن الجزم على العطف على يسير واوردوه الى أخي الجزم وهو النصب هذا معنى الصرف عندهم ومذهب الجرمي أن النصب بالفاء نفسها واسناد العقل الى القلب يدل على أنه محله ولا ينكران للدماغ بالقلب اتصالا يقتضي فساد العقل اذا فسد الدماغ ومتعلق يعقلون بها محذوف أي ما حل بالأمم السابقة حين كذبوا أنبياءهم و يعقلون ما يجب من التوحيد وكذلك مفعول يسمعون أي يسمعون أخبار تلك الأمم أو ما يجب سماعه من الوحي والضمير في فانها ضمير القصة وحسن التأنيث هنا ورجحه كون الضمير وليه فعل بعلامة التأنيث وهي التاء في لاتعمى و يجوز في الكلام التذكير وقرأ به عبدالله فانه لاتعمى * وقال الزمخشري و يجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه انتهى وما ذكره لا يجوز لان الذي يفسره ما بعده محصور وليس هذا واحدا منها وهو في باب رب وفي باب نعم و بئس وفي باب الاعمال وفي باب البدل وفي باب المبتدا والخبر على خلاف في هذه الاربعة على ما قرر ذلك في أبوابه وهذه الخمسة يفسر الضمير فيها المفرد وفي ضمير الشأن ويفسر بالجملة على خلاف فيه أيضا وهذا الذي ذكره الزمخشري ليس واحدا من هذه الستة فوجب اطراحه والمعنى ان أبصارهم سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم ومعلوم ان الأبصار قد تعمى لكن المنفي فيها ليس العمى الحقيقي وانما هو ثمرة البصر وهو التأدية الى الفكرة فيما يشاهد البصر لكن ذلك متوقف على العقل الذي محله القلب ووصفت القلوب بالتي في الصدور * قال ابن عطية مبالغة كقوله يقولون بأفواههم وكما تقول نظرت اليه بعيني * وقال الزمخشري الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكان البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف لتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل المضاء هو لا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا انتهى وقوله ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا فصل الضمير وليس من مواضع فصله والصواب ولكن تعمدته به كما تقول السيف ضربتك به ولا تقول ضربت به اياك وفصله في مكان اتصاله عجمة * وقال أبو عبدالله الرازي وعندي فيه وجه آخر وهو ان القلب قد يجعل كناية عن الخاطر والتدبير كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وعند قوم ان محل الفكر هو الدماغ فالله تعالى بين أن محل ذلك هو الصدر والضمير في و يستعجلونك لقريش وكان صلى الله عليه وسلم يحذرهم نقمات الله و يوعدهم بذلك دنيا وآخرة وهم لا يصدقون بذلك و يستبعدون وقوعه فكان استعجالهم على سبيل الاستهزاء وأن ما توعدتنا به لا يقع وانه لا بعث وفي قوله ولن يخلف الله وعده أي ان ذلك واقع لا محالة لكن لوقوعه أجل لا يتعداه وأضاف الوعد اليه تعالى لان رسوله عليه الصلاة والسلام هو المخبر به عن الله تعالى * وقال الزمخشري أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل والآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل انتهى وفي قوله وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف دسيسة الاعتزال * وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال

(الدر)

(ش) و يجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه (ح) وما ذكره لا يجوز لأن الذي يفسره ما بعده محصور في مواضع وليس هذا واحدا منها وهي في باب رب وفي باب نعم و بئس وفي باب الاعمال وفي باب البدل وفي باب المبتدأ والخبر على خلاف في هذه الاربعة على ما قرر ذلك في أبوابه وهذه الخمسة يفسر الضمير فيها المفرد وفي ضمير الشأن و يفسر بالجملة على خلاف فيه أيضا وهذا الذي ذكره (ش) ليس واحدا من هذه الستة فوجب اطراحه (ش) بعد كلام وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا (ح) قوله ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا فصل الضمير وليس من مواضع فصله والصواب ولكن تعمدته به كما تقول السيف ضربتك به ولا تقول ضربت به اياك وفصله في مكان اتصاله عجمة

واختلفوا في هذا التشبيه * فقيل في العدد أي اليوم عند الله ألف سنة من عددكم وفي الحديث الصحيح يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وذلك خمسمائة عام فالمعنى وان طال الامهال فانه في بعض يوم من أيام الله * وقيل التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدة أي وان يوما من أيام عذاب الله لشدة العذاب فيه وطوله كألف سنة من عددكم إذ أيام الترحة مستطالة وأيام الفرحة مستقصرة وكان ذلك اليوم الواحد كألف سنة من سني العذاب والمعنى انهم لو عرفوا حال الآخرة ما استعجلوه وهذا القول قريب من قول أبي مسلم * وقيل التشبيه بالنسبة الى علمه تعالى وقدرته وانفاذ ما يريد كألف سنة واقتصر على ألف سنة وان كان اليوم عنده كالانهاية له من العدد لكون الألف منتهى العدد دون تكرار وهذا القول لا يناسب مورد الآية الا ان أريد انه القادر الذي لا يعجزه شئ فاذا لم يستبعدوا امهال يوم فلا يستبعدوا أيضا امهال ألف سنة * وقال ابن عباس أراد باليوم من الايام التي خلق الله فيها السموات والارض * وقال ابن عيسى يجمع لهم عذاب ألف سنة في يوم واحد ولأهل الجنة سرور ألف سنة في يوم واحد * وقال الفراء تضمنت الآية عذاب الدنيا والآخرة وأريد العذاب في الدنيا أي لن يخلف الله وعده في انزال العذاب بكم في الدنيا وان يوما من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا فكيف تستعجلون العذاب * وقال الزجاج تفضل تعالى عليهم بالامهال والمعنى ان اليوم عند الله والألف سواء في قدرته بين ما استعجلوا به وبين تأخره * وقرأ الاخوان وابن كثير يعدون بياء الغيبة وباقي السبعة بتاء الخطاب وعطفت فكأين الاولى بالفاء وهذه الثانية بالواو * وقال الزمخشري الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو أعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة وتكرر التكثير بكأين في القرى لافادة معنى غير ما جاءت له الأولى لانه ذكر فيها القرى التي أهلكها دون املاء وتأخير بل أعقب الاهلاك التذكير وهذه الآية لما كان تعالى قد أمهل قريشا حتى استعجلت بالعذاب جاءت بالاهلاك بعد الاملاء تنبيها على أن قريشا وان أملى تعالى لهم وأمهلهم فانه لا بد من عذابهم فلا يفرحوا بتأخير العذاب عنهم ثم أمر نبيه أن يقول لأهل مكة يا أيها الناس انما أنا لكم نذير من عذاب الله موضح لكم ما تحذرون أو موضح النذارة لا تلجلج فيها وذكر النذارة دون البشارة وان كان التقسيم بعد ذلك يقتضيهما لأن الحديث مسوق للمشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم المقول فيهم أفلم يسيروا والمخبر عنهم باستعجال العذاب وانما ذكر المؤمنون هنا وما أعد الله لهم من الثواب ليغاظ المشركون بذلك وليحرضهم على نيل هذه الرتبة الجليلة التي فيها فوزهم وحصر النذارة لان المعنى ليس لي تعجيل عذابكم ولا تأخيره عنكم وانما أنا منذركم به * وقال الكرماني التقدير بشير ونذير فحذف والتقسيم داخل في المقول والسعي الطلب والاجتهاد في ذلك ويقال سعى فلان في أمر فلان فيكون باصلاح وبافساد وقد يستعمل في الشر يقال فيه سعى بفلان سعاية أي تحيل وكاد في ايصال الشر اليه وسعيهم بالفساد في آيات الله حيث طعنوا فيها فسموها سحرا وشعرا وأساطير الاولين وثبطوا الناس عن الايمان بها * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والجحدري وأبو السمال والزعفراني معجزين بالتشديد هنا وفي حرفي سبا زاد الجحدري في جميع القرآن أي مثبطين * وقرأ باقي السبعة بألف * وقرأ ابن الزبير معجزين بسكون العين وتخفيف الزاي من أعجزني اذا سبقك ففاتك * قال صاحب اللوامح لكنه هنا بمعنى معاجزين أي ظانين أنهم يعجزوننا وذلك لظنهم أنهم لا يبعثون * وقيل

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾ الآية ذكر له تعالى مسلاة ثانية باعتبار من مضى من الرسل والانبياء وهو أنهم كانوا حريصين
على إيمان قومهم وأنه ما منهم أحد الاوكان الشيطان براغمه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك إليهم وإلقائه في نفوسهم كما أنه
صلى الله عليه وسلم كان من أحرص الناس على هداية قومه وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحرث يلقون لقومهم
وللوافدين عليهم شبها يثبطون بها عن الاسلام ولذلك جاء قبل هذه الآية والذين سعوا في آياتنا معاجزين وسعيهم بالقاء
الشبه في قلوب من استمالوه ونسب ذلك الى الشيطان لانه هو المغوى والمحرك شياطين الانس للاغواء كما قال لاغوينهم وقيل
ان الشياطين هنا هو جنس يراد به شياطين الانس والضمير في أمنيته عائد على الشياطين أي في أمنيته نفسه أي بسبب أمنية
نفسه ومفعول ألقى محذوف لفهم المعنى وهو الشر والكفر ومخالفة ذلك الرسول أو النبي لان الشيطان ليس يلقى الخير ومعنى
﴿فينسخ الله﴾ أي يزيل تلك الشبهة شيئا فشيئا حتى يسلم الناس كما قال تعالى ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ﴿يحكم
الله آياته﴾ أي معجزاته يظهرها محكمة لا لبس فيها ﴿ليجعل ما يلقى الشيطان﴾ من تلك الشبه وزخارف القول فتنة لمريض
القلب ولقاسيه وليعلم من أوتي العلم أن ما تمنى الرسول (٣٨٠) والنبي من هداية قومه وايمانهم هو الحق وهذه الآية ليس فيها
اسناد شئ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل والانبياء اذا تمنوا * وذكر المفسرون أشياء ذكرت في البحر ﴿من قبلك﴾ من لابتداء الغاية وفي ﴿من رسول﴾ زائدة تفيد استغراق الجنس وهو مفعول تقديره رسولا وعطف ولا نبي على من رسول دليل على المغايرة وتقدم الكلام عليها وحمل بعض المفسرين قوله
اذا تمنى على تلا وفي أمنيته على تلاوته والجملة بعد الا في موضع الحال أي وما أرسلناه الا وحاله هذه والظاهر أن تمنى من التمني أي تمنى هداية
قومه واتباعهم لما جاء به ومعنى ألقى الشيطان في أمنيته أي في تمنيه ضلالة تابع الرسول أو النبي لتعارض الحق بالباطل * والمرية الشك
* والظاهر أن الساعة يوم القيامة * واليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقم لان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن
عقم لم يلدن * والتنوين في يومئذ تنوين العوض والجملة المعوض منها هذا التنوين هو الذي حذف بعد إلغائه أي الملك اذ تأتيهم
الساعة ﴿والذين هاجروا﴾ هذا ابتداء معنى آخر وذلك انه لما مات عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس من
قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف أنفه فنزلت مسوية بينهم في أن الله يرزقهم رزقا حسنا وظاهر والذين هاجروا العموم
﴿ليدخلنهم مدخلا﴾ لما ذكر الرزق ذكر المسكن وهو الجنة ﴿يرضونه﴾ اذ فيه رضاهم كما قال تعالى لا يبغون عنها حولا
﴿ذلك ومن عاقب﴾ قيل نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم الكفار في الشهر الحرام فأبى المؤمنون من قتالهم وأبى المشركون الا
القتال فلما اقتتلوا جد المؤمنون ونصرهم الله * ومناسبتها لما قبلها واضحة وهو أنه تعالى لما ذكر ثواب من هاجر وقتل أو مات في
سبيل الله أخبر أنه لا يدع نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم ﴿يولج الليل في النهار﴾ الآية تقدم الكلام عليه في أوائل آل عمران

في معاجزين معاندين وأما معجزين بالتشديد فانه بمعنى مثبطين الناس عن الاسلام ويقال مثبطين
* وقال الزمخشري عاجزه سابقه لأن كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا
سبقه قيل أعجزه وعجزه فالمعنى سابقين أو مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام
يتم لهم انتهى * وقال أبو علي الفارسي معجزين معناه ناسبين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى
العجز كما تقول فسقت فلانا اذا نسبته الى الفسق وتقدم شرح أخرى هاتين الجملتين الواردتين
تقسيما ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه
حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا
في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا
يرضونه وإن الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو
غفور ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير ذلك بأن الله هو
الحق وأنما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾ لما ذكر تعالى انه يدفع عن

الذين آمنوا وانه تعالى أذن للمؤمنين في القتال وانهم كانوا أخرجوا من ديارهم وذكر مسلاة رسوله صلى الله عليه وسلم بتكذيب من تقدم من الأمم لانبيائهم وما آل اليه أمرهم من الاهلاك اثر التكذيب وبعد الامهال وأمره أن ينادي الناس ويخبرهم أنه نذير لهم بعد أن استعجلوا بالعذاب وانه ليس له تقديم العذاب ولا تأخيره ذكر له تعالى مسلاة ثانية باعتبار من مضى من الرسل والانبياء وهو انهم كانوا حريصين على ايمان قومهم متمنين لذلك مثابرين عليه وانه مامنهم أحد الا وكان الشيطان براغمه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك اليهم والقائه في نفوسهم كما أنه صلى الله عليه وسلم كان من أحرص الناس على هدى قومه وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحرث يلقون لقومه وللوافدين عليه شبها يثبطون بها عن الاسلام ولذلك جاء قبل هذه الآية والذين سعوا في آياتنا معاجزين وسعيهم بالقاء الشبه في قلوب من استمالوه ونسب ذلك الى الشيطان لانه هو المغوي والمحرك شياطين الانس للاغواء كما قال لأغوينهم * وقيل إن الشيطان هنا هو جنس يراد به شياطين الانس والضمير في أمنيته عائد على الشيطان أي في أمنية نفسه أي بسبب أمنية نفسه ومفعول ألقى محذوف لفهم المعنى وهو الشر والكفر ومخالفة ذلك الرسول أو النبي لان الشيطان ليس يلقي الخير * ومعنى فينسخ الله مايلقي الشيطان أي يزيل تلك الشبه شيأفشيأ حتى يسلم الناس كما قال ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * ويحكم الله آياته أي معجزاته يظهرها محكمة لا لبس فيها ليجعل مايلقي الشيطان من تلك الشبه وزخارف القول فتنة لمريض القلب ولقاسيه وليعلم من أوتي العلم ان ماتمنى الرسول والنبي من هداية قومه وايمانهم هو الحق وهذه الآية ليس فيها اسناد شئ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل والانبياء اذا تمنوا وذكر المفسرون في كتبهم ابن عطية والزمخشري فمن قبلهما ومن بعدهما مالا يجوز وقوعه من آحاد المؤمنين منسوبا الى المعصوم صلوات الله عليه وأطالوا في ذلك وفي تقريره سؤالا وجوابا وهي قصة سئل عنها الامام محمد بن اسحق جامع السيرة النبوية فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف في ذلك

(الدر) (ح) قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الآية مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبار من مضى من الرسل والانبياء وهو انهم كانوا أحريصين على ايمان قومهم متمنين لذلك مثابرين عليه وانه مامنهم أحد الا وكان الشيطان براغمه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك اليهم والقائه في نفوسهم كما انه صلى الله عليه وسلم كان من أحرص الناس على هدى قومه وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحرث يلقون لقومه وللوافدين عليه شبها يثبطون بها عن الاسلام ولذلك جاء قبل هذه الآية والذين سعوا في آياتنا معاجزين وسعيهم بالقاء الشبه في قلوب من استمالوه ونسب ذلك الى الشيطان لأنه هو المغوي والمحرك شياطين الانس للاغواء كما قال لأغوينهم وقيل ان الشيطان هنا هو جنس يراد به شياطين الانس والضمير في أمنيته عائد على الشيطان أي في أمنية نفسه أي بسبب أمنية نفسه ومفعول ألقى محذوف لفهم المعنى وهو الشر والكفر ومخالفة ذلك الرسول أو النبي لان الشيطان ليس يلقي الخير ومعنى فينسخ الله مايلقي الشيطان أي يزيل تلك الشبه شيأفشيأ حتى يسلم الناس كما قال ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ثم يحكم الله آياته أي معجزاته يظهرها لا لبس فيها ليجعل مايلقي الشيطان من تلك الشبه وزخارف القول فتنة لمريض القلب ولقاسيه وليعلم من أوتي العلم ان ماتمنى الرسول والنبي من هداية قومه وايمانهم هو الحق وهذه الآية ليس فيها اسناد شئ الى رسول الله صلى الله عليه وانما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل والأنبياء اذا تمنوا وذكر المفسرون في كتبهم (ع) و(ش) ومن قبلهما ومن بعدهما مالايجوز وقوعه من آحاد المؤمنين منسوبا الى المعصوم صلوات الله عليه وأطالوا في ذلك وفي تقريره سؤالا وجوابا وهي قضية سئل عنها الامام محمد بن اسحاق جامع السيرة النبوية فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف في ذلك كتابا وقال الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وقال مامعناه ان رواتها مطعون عليهم وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثية شئ مما ذكروه فوجب اطراحه ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه والعجب من نقل هذا وهم يتلون في كتاب الله تعالى والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقال تعالى آمرا لنبيه قل مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع الا مايوحى الي وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقال تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت الآية قال فالتثبيت واقع والمقاربة منفية وقال تعالى لنثبت به فؤادك وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى وهذه نصوص تشهد بعصمته وأما من جهة المعقول فلا يمكن ذلك

كتابا * وقال الامام الحافظ أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وقال ما معناه ان رواتها مطعون عليهم وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثية شئ مما ذكروه فوجب اطراحه ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه والعجب من نقل هذا وهم يتلون في كتاب الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى وقال الله تعالى آمرا نبيه قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع إلا ما يوحى إلي وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقال تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم الآية فالتثبيت واقع والمقاربة منفية وقال تعالى كذلك لنثبت به فؤادك وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى وهذه نصوص تشهد بعصمته وأما من جهة المعقول فلا يمكن ذلك لان تجويزه يطرق الى تجويزه في جميع الاحكام والشريعة فلا يؤمن فيها التبديل والتغيير واستحالة ذلك معلومة ولنرجع الى تفسير بعض ألفاظ الآية اذ قد قررنا ما لاح لنا فيها من المعنى فقوله من قبلك من فيه لابتداء الغاية ومن في من رسول زائدة تفيد استغراق الجنس وعطف ولا نبي على من رسول دليل على المغايرة وقد تقدم لنا الكلام على مدلوليهما فأغنى عن اعادته هنا وجاء بعد الا جملة ظاهرها الشرط وهو اذا تمنى ألقى الشيطان وقاله الحوفي ونصوا على أنه يليها في النفي مضارع لا يشترط فيه شرط فتقول ما زيد الا يفعل كذا وما رأيت زيدا الا يفعل كذا وماض بشرط أن يتقدمه فعل كقوله وما يأتيهم من رسول الا كانوا أو يكون الماضي مصحوبا بقد نحو ما زيد الا قد قام وما جاء بعد الا في الآية جملة شرطية ولم يلها ماض مصحوب بقد ولا عار منها فان صح ما نصوا عليه تؤول على ان اذا جردت للظرفية ولا شرط فيها وفصل بها بين الا والفعل الذي هو ألقى وهو فصل جائز فتكون الا قد وليها ماض في التقدير ووجد شرطه وهو تقدم فعل قبل الا وهو وما أرسلنا وعاد الضمير في تمنى مفردا وذكروا أنه اذا كان العطف بالواو عاد الضمير مطابقا للمتعاطفين وهذا عطف بالواو وما جاء غير مطابق أولوه على الحذف فيكون تأويل هذا وما أرسلنا من قبلك من رسول الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فحذف من الاول لدلالة الثاني عليه وتمنى تفعل من المنية * قال أبو مسلم التمني نهاية التقدير ومنه المنية وفاة الانسان للوقت الذي قدره الله ومنى الله لك أي قدر * وقال رواة اللغة الامنية القراءة واحتجوا ببيت حسان وذلك راجع الى الاصل الذي ذكر فان التالي مقدر للحروف فذكرها شيأ فشيأ انتهى * وبيت حسان

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخره لاقى حمام المقادر

﴿ وقال آخر ﴾

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمني داود الزبور على رسل

وحمل بعض المفسرين قوله اذا تمنى على تلا وفي أمنيته على تلاوته والجملة بعد الا في موضع الحال أي وما أرسلناه الا وحاله هذه * وقيل الجملة في موضع الصفة وهو قول الزمخشري في نحو ما مررت بأحد الا زيد خير منه والصحيح ان الجملة حالية لا صفة لقبولها واو الحال واللام في ليجعل متعلقة بيحكم قاله الحوفي * وقال ابن عطية بينسخ * وقال غيرهما بألقى والظاهر انها للتعليل * وقيل هي لام العاقبة وما في ما يلقي الظاهر انها بمعنى الذي وجوز أن تكون مصدرية * والفتنة الابتلاء والاختبار * والذين في قلوبهم مرض عامة الكفار * وقال الزمخشري المنافقون والشاكون * والقاسية قلوبهم خواص من الكفار عتاة كأبي جهل والنضر وعتبة * وقال الزمخشري

(الدر)

لان تجويزه يطرق الى تجويزه في جميع الأحكام والشريعة فلا يؤمن فيها التبديل والتغيير واستحالة ذلك معلومة والله الموفق

المشركون المكذبون * وان الظالمين يريدوان هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضع الظاهر موضع المضمر قضاء عليهم بالظلم * والشقاق المشاقة أى فى شق غير شق الصلاح ووصفه بالبعيد مبالغة فى انتهائه وانهم غير مرجو رجعتهم منه * والضمير فى انه * قال ابن عطية عائد على القرآن * والذين أوتوا العلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم من قولنا فى الآية مايعود الضمير اليه * فتخبت أى تتواضع وتتطامن بخلاف من فى قلبه مرض وقساقلبه * وقرأ الجمهور لهاد الذين آمنوا بالاضافة وأبو حيوة وابن أبى عبلة بتنوين لهاد * المرية الشك * والضمير فى منه * قيل عائد على القرآن * وقيل على الرسول * وقيل ماألقى الشيطان ولما ذكر حال الكافرين أولا ثم حال المؤمنين ثانيا عاد الى شرح حال الكافرين والظاهر ان الساعة يوم القيامة * قيل واليوم العقيم يوم بدر * وقيل ساعة موتهم أوقتلهم فى الدنيا كيوم بدر واليوم العقيم يوم القيامة * وقال الزمخشرى اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أولأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقم على سبيل المجاز * وقيل هو الذى لاخير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا * وقيل لامثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة فيه * وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة كأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أويأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير انتهى * وقال ابن عطية وسمى يوم القيامة أو يوم الاستئصال عقيما لأنه لاليلة بعده ولا يوم والايام كلها نتائج يجيء واحد اثر واحد وكان آخر يوم قد عقم وهذه استعارة وجملة هذه الآية توعد انتهى وحتى غاية لاستمرار مريتهم فالمعنى حتى تأتيهم الساعة أوعذاب يوم عقيم فتزول مريتهم ويشاهدون الامر عيانا والتنوين فى يومئذ تنوين العوض والجملة المعوض منها هذا التنوين هو الذى حذف بعد الغاية أى الملك يوم تزول مريتهم وقدره الزمخشرى أولا يوم يؤمنون وهو لازم لزوال المرية فانه اذا زالت المرية آمنوا وقدر ثانيا كما قدرنا وهو الأولى والظاهر ان هذا اليوم هو يوم القيامة من حيث انه لاملك فيه لأحد من ملوك الدنيا كما قال تعالى لمن الملك اليوم ويساعده هذا التقسيم بعده ومن قال انه يوم بدر ونحوه فمن حيث ينفذ قضاء الله وحده ويبطل ماسواه ويمضى حكمه فيمن أراد تعذيبه ويكون التقسيم اخبارا مترتبا على حالهم فى ذلك اليوم العقيم من الايمان والكفر وألفاظ التقسيم ومعانيها واضحة لاتحتاج الى شرح وقابل النعيم بالعذاب ووصفه بالمهين مبالغة فيه * والذين هاجروا الآية هذا ابتداء معنى آخر وذلك انه لما مات عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس من قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف أنفه فنزلت مسوية بينهم فى أن الله يرزقهم رزقا حسنا وظاهر والذين هاجروا العموم * وقال مجاهد نزلت فى طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون وقاتلوهم * وروى ان طوائف من الصحابة قالوا يانبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ماأعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فالنا ان متنا معك فأنزل الله هاتين الآيتين * وقال الزمخشرى لما جمعتهم المهاجرة فى سبيل الله سوّى بينهم فى الموعدان يعطى من مات منهم مثل مايعطى من قتل فضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه انتهى وفى قوله ومراتب استحقاقهم دسيسة الاعتزال والتسوية فى الوعد بالرزق لاتدل على تفضيل فى قدر المعطى ولاتسوية فان يكن تفضيل فمن دليل آخر وظاهر الشريعة ان المقتول أفضل * وقيل المقتول

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ لما ذكر تعالى مادل على قدرته الباهرة من ايلاج الليل فى النهار وهما مرئيان مشاهدان بمجىء الظلمة والنور ذكر أيضا ماهو مشاهد من العالم العلوى والعالم السفلى وهو نزول المطر وانبات الأرض ونسبة الانزال الى الله مدرك بالعقل وقوله ﴿ فتصبح الأرض مخضرة ﴾ قال سيبويه فيه وسألته يعنى الخليل عن ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة فقال هذا واجب وهو تنبيه كأنك قلت أتسمع انزال الله من السماء ماء فكان كذا وكذا ولابن عطية والزمخشرى فيه كلام فى البحر ﴿ ومافى الارض ﴾ يشمل الحيوان والمعادن والمرافق الفلك * تقدم الكلام عليه والظاهر أن أن تقع فى موضع نصب بدل اشتمال أى ويمنع وقوع السماء على الارض الا باذنه متعلق بتقع أى الا باذنه فتقع

والميت فى سبيل الله شهيدان * والرزق الحسن يحتمل أن يراد به رزق الشهداء فى البرزخ ويحتمل انه بعد يوم القيامة فى الجنة وهو النعيم فيها * وقال الكلبى هو الغنيمة * وقال الاصم هو العلم والفهم كقول شعيب ورزقنى منه رزقا حسنا وضعف هذان القولان لأنه تعالى جعل الرزق الحسن جزاء على قتلهم فى سبيل الله أو موتهم بعد هجرتهم وبعد ذلك لا يكون الرزق فى الدنيا والظاهر ان خير الرازقين أفعل تفضيل والتفاوت انه تعالى مختص بأن يرزق بما لا يقدر عليه غيره تعالى وبأنه الاصل فى الرزق وغيره انما يرزق بماله من الرزق من جهة الله ولما ذكر الرزق ذكر المسكن فقال ليدخلنهم مدخلا يرضونه وهو الجنة يرضونه يختارونه إذ فيه رضاهم كما قال لايبغون عنها حولا وتقدم الخلاف فى القراءة بضم الميم أو فتحها فى النساء والأولى أن يكون يراد بالمدخل مكان الدخول أو مكان الادخال ويحتمل أن يكون مصدرا * ذلك ومن عاقب الآية قيل نزلت فى قوم من المؤمنين لقيهم كفار فى الاشهر الحرم فأبى المؤمنون من قتالهم وأبى المشركون الا القتال فلما اقتتلوا جد المؤمنون ونصرهم الله * ومناسبتها لما قبلها واضحة وهو انه تعالى لما ذكر ثواب من هاجر وقتل أو مات فى سبيل الله أخبر أنه لايدع نصرتهم فى الدنيا على من بغى عليهم * وقال ابن جريج الآية فى المشركين بغوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجوه والتقدير الامر ذلك * قال الزمخشرى تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة (فان قلت) كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع (قلت) المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجانى على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ماندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر فى قول فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور فان الله لعفو غفور أى لايلومه على ترك مابعثه عليه وهو ضامن لنصره فى كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغى عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغى فيعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين أودل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لايوصف بالعفو الا القادر على حده ذلك أى ذلك النصر بسبب أنه قادر ومن آيات قدرته البالغة أنه يولج الليل فى النهار والنهار فى الليل أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه مايجرى فيهما على أيدى عباده من الخير والشر والبغى والانتصار وأنه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون وتقدم فى أوائل آل عمران شرح هذا الايلاج * ذلك أى ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجرى فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب ان الله الحق الثابت الالهية وأن كل مايدعى الهاً دونه باطل الدعوة وأنه لاشئ أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا * وقرأ الجمهور وأن ما بفتح الهمزة * وقرأ الحسن بكسرها * وقرأ الاخوان وأبو عمرو وحفص يدعون بياء الغيبة هنا وفى لقمان * وقرأ باقى السبعة بتاء الخطاب وكلاهما الفعل فيه مبنى للفاعل * وقرأ مجاهد واليمانى وموسى الاسوارى يدعو بالياء مبنيا للمفعول والواو عائدة على ماعلى معناها وما الظاهر أنها أصنامهم * وقيل الشياطين والأولى العموم فى كل مدعو دون الله تعالى ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ان الله لطيف خبير له مافى السموات ومافى الأرض وان الله لهو الغنى الحميد ألم تر أن الله سخر لكم مافى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه

﴿وهو الذي أحياكم﴾ تقدم الكلام عليه ﴿لكفور﴾ لجحود بنعم الله يعبد غير من أنعم عليه بهذه النعم المذكورة وبغيرها ﴿لكل أمة جعلنا منسكا﴾ روي أنها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما في الذبائح وقولهم للمؤمنين تأكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم ولا تأكلون ما قتل الله تعالى فنزلت بسبب هذه المنازعة ﴿وإن جادلوك﴾ آية موادعة نسختها آية السيف أي وإن أبوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء وهذا وعيد وانذار لكن برفق ولين ﴿الله يحكم بينكم﴾ خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى منهم

(الدر) (ش) فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي افادة بقاء المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم علي فلان عام كذا فاروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع * فان قلت فما باله رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى عكس ما هو الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب اليه من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير أهله (ع) وقوله فتصبح بمنزلة قوله فتضحى أو فتصبر عبارة عن استعجالها اثر نزول المطر واستمرارها كذلك عادة ووقع قوله فتصبح من حيث الآية خبرا والفاء عاطفة وليست بجواب لان كونها جوابا لقوله ألم تر فاسد المعنى (ح) لم يبين هو ولا (ش) قبله كيف يكون النصب نافيا للاخضرار ولا كون المعنى فاسدا وقال سيبويه وسألته يعني الخليل عن ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة فقال هذا واجب وهو تنبيه كانك قلت أتسمع أنزل

ان الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون * لما ذكر تعالى ما دل على قدرته الباهرة من ايلاج الليل في النهار والنهار في الليل وهما أمران مشاهدان مجيء الظلمة والنور ذكر أيضا ما هو مشاهد من العالم العلوي والعالم السفلي وهو نزول المطر وانبات الارض وانزال المطر واخضرار الأرض مرئيان ونسبة الانزال الى الله تعالى مدرك بالعقل * وقال أبو عبد الله الرازي الماء وان كان مرئيا الا أن كون الله منزله من السماء غير مرئي اذا ثبت هذا وجب حمله على العلم لأن المقصود من تلك الرؤية اذا لم يقترن بها العلم كانت كأنها لم تحصل * وقال الزمخشري (فان قلت) هلا قيل فأصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع (قلت) لنكتة فيه وهي افادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم علي فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع (فان قلت) فما باله رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام (قلت) لو نصب

الله من السماء ماء فكان كذا وكذا قال ابن خروف وقوله فقال هذا واجب وقوله فكان كذا يريد أنهما ماضيان وفسر الكلام بالسمع ليريك انه لا يتصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه ووقع في الشرقية عوض أتسمع انتبه انتهى يعني بالشرقية النسخة الشرقية من كتاب سيبويه وقال بعض شراح الكتاب فتصبح لا يمكن نصبه لان الكلام واجب ألا ترى أن المعنى أن الله أنزل فالارض هذا حالها وقال الفراء ألم تر خبر كما تقول في الكلام اعلم أن الله يفعل كذا فيكون كذا انتهى وتقول انما امتنع النصب جوابا للاستفهام هنا لان النفي اذا دخل عليه الاستفهام وان كان يقتضي تقريرا في بعض الكلام هو معامل معاملة النفي المحض في الجواب ألا ترى الى قوله ألست بربكم قالوا بلى وكذلك في الجواب بالفاء اذا أجبت النفي كان على معنيين في كل منهما ينتفي الجواب فاذا قلت ما تأتينا فتحدثنا بالنصب فالمعنى ما تأتينا محدثا انما تأتي ولا تحدث ويجوز أن يكون المعنى انك لا تأتي فكيف تحدث فالحديث منتف في الحالتين والتقرير باداة الاستفهام كالنفي المحض في الجواب يثبت ما دخلت همزة الاستفهام وينتفي الجواب فيلزم من هذا الذي قررناه اثبات الرؤية وانتفاء الاخضرار وهو خلاف المقصود وأيضا فان جواب الاستفهام ينعقد منه مع الاستفهام السابق شرط وخبر فقوله
* ألم تسأل فتخبرك الرسوم * يتقدر ان تسأل تخبرك الرسوم وهذا لا يتقدر أن تر انزال المطر فتصبح الارض مخضرة لأن اخضرارها ليس مرتبا على علمك أو رؤيتك انما هو مرتب على الانزال

لأعطى ماهو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفى الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم ترأنى أنعمت عليك فتشكر ان نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه وان رفعته فأنت مثبت للشكر هذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم فى علم الاعراب وتوقير أهله * وقال ابن عطيـة وقوله فتصبح الارض بمنزلة قوله فتضحى أوتصير عبارة عن استعجالها اثر نزول الماء واستمرارها كذلك عادة ووقع قوله فتصبح من حيث الآية خبرا والفاء عاطفـة وليست بجواب لان كونها جوابا لقوله ألم تر فاسـد المعنى انتهى ولم يبـين هو ولا الزمخشرى كيف يكون النصب نافيا للاخضرار ولا كون المعنى فاسدا * وقال سيبويه وسألتـه يعنى الخليل عن ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة فقال هـذا واجب وهو تنبيـه كأنك قلت أتسمع أنزل الله من السماء ماء فـكان كذا وكذا * قال ابن خروف وقوله فقال هـذا واجب وقوله فـكان كذا يريد أنهما ماضيان وفسر الـكلام بأتسمع ليريك أنه لايتصل بالاستفهام لضعف حـكم الاستفهام فيه ووقع فى الشرقية عوض أتسمع انتبه انتهى ومعنى فى الشرقيـة فى النسخة الشرقية من كتاب سيبويه * وقال بعض شراح الـكتاب فتصبح لا يمكن نصبه لان الـكلام واجب ألاترى ان المعنى أن الله أنزل فالارض هذا حالها * وقال الفراء ألم تر خبر كما تقول فى الـكلام اعـلم أن الله يفعل كذا فيكون كذا انتهى ويقول انما امتنع النصب جوابا للاستفهام هنا لان النفى اذا دخل عليه الاستفهام وان كان يقتضى تقريرا فى بعض الـكلام هو معامل معاملة النفى المحض فى الجواب ألاترى الى قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى وكذلك فى الجواب بالفاء اذا أجبت النـفى كان على معنيين فى كل منهـما ينتفى الجواب فاذا قلت ماتأتينا فتحدثنا بالنصب فالمعنى ماتأتينا محدثا انما تأتى ولا تحدث ويجوز أن يكون المعنى انك لاتأتى فـكيف تحدث فالحديث منتف فى الحالتين والتقرير بأداة الاسـتفهام كالنفى المحض فى الجواب يثبت ما دخلتـه الهمزة وينتفى الجواب فيلزم من هـذا الذى قررناه اثبات الرؤية وانتفاء الاخضرار وهو خـلاف المقصود وأيضا فان جواب الاستفهام ينعقد منه مع الاستفهام السابق شرط وجزاء فقوله * ألم تسأل فتخـبرك الرسوم * يتقدر أن تسأل فتخبرك الرسوم وهنا لايتقـدر أن ترى انزال المطر تصبح الارض مخضرة لان اخضرارها ليس مـترتبا على علمك أورؤيتك انما هو مترتب على الانزال وانما عبر بالمضارع لان فيه تصويرا للهيئـة التى الارض عليها والحالة التى لابست الارض والماضى يفيـد انقطاع الشئ وهـذا كقول جحدر بن معونة العكلى يصف حاله مع أشد نازلة فى قصة جرت له مع الحجاج بن يوسف

يسمو بناظرتين تحسب فيهما * لما أجالها شـعاع سراج
لما نزلت بحصـن أزبر مهصر * للقرن أرواح العـدا محاج
فأكر أحمـل وهو يقعى باسته * فاذا يعـود فراجع أدراجى
وعلمت أنى ان أبيت نزاله * أنى من الحجاج لست بناجى

فقوله فأكر تصوير للحالة التى لابسها * والظاهر تعقب اخضرار الارض انزال المطر وذلك موجود بمكة وتهامة فقط قاله عكرمـة وأخـذ تصبح على حقيقتها أى تصبح من ليلة المطر وذهب الى أن الاخضرار فى غير مكة وتهامة يتأخر * وقال ابن عطية وقد شاهدت هـذا فى السوس الاقصى نزل المطر ليلا بعـد قحط فأصبحت تلك الارض الرملة التى قد نسفتها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف انتهى واذا جعلنا فتصبح بمعنى فتصـير لا يلزم أن يكون ذلك الاخضرار فى وقت الصباح

واذا كان الاخضرار متأخرا عن انزال المطر فثم جمل محذوفة التقدير فتهتز وتربو فتصبح يبين ذلك قوله تعالى فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت * وقرئ مخضرة على وزن مفعلة ومسبعة أى ذات خضر وخص تصبح دون سائر أوقات النهار لان رؤية الأشياء المحبوبة أول النهار أبهج وأسر للرائى * ان الله لطيف أى باستخراج النبات من الأرض بالماء الذى أنزله خبير بما يحدث عن ذلك النبت من الحب وغيره * وقيل خبير بلطيف التدبير خبير بالصنع الكثير * وقيل خبير بمقادير مصالح عباده فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولا نقصان * وقال ابن عباس لطيف بأرزاق عباده خبير بما فى قلوبهم من القنوط * وقال الكلبى لطيف بأفعاله خبير بأعمال خلقه * وقال الزمخشرى لطيف واصل علمه أو فضله الى كل شئ خبير بمصالح الخلق ومنافعهم * وقال ابن عطية واللطيف المحكم للأمور برفق * ما فى الأرض يشمل الحيوان والمعادن والمرافق * وقرأ الجمهور والفلك بالنصب وضم اللام ابن مقسم والكسائى عن الحسن وانتصب عطفا على ماونبه عليها وان كانت مندرجة فى عموم ما تنبيها على غرابة تسخيرها وكثرة منافعها وهذا هو الظاهر وجوز أن يكون معطوفا على الجلالة بتقدير وان الفلك وهو اعراب بعيد عن الفصاحة وتجرى حال على الاعراب الظاهر وفى موضع الجر على الاعراب الثانى * وقرأ السلمى والأعرج وطلحة وأبو حيوة والزعفرانى بضم الكاف مبتدأ وخبر ومن أجاز العطف على موضع اسم ان أجازه هنا فيكون تجرى حالا والظاهر أن تقع فى موضع نصب بدل اشتمال أى ويمنع وقوع السماء على الارض * وقيل هو مفعول من أجله يقدره البصريون كراهة أن تقع والكوفيون لان لا تقع * وقوله الا باذنه أى يوم القيامة كأن طى السماء بعض هذه الهيئة لوقوعها ويجوز أن يكون ذلك وعيدا لهم فى انه ان أذن فى سقوطها كسفا عليكم سقطت كما فى قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا والا باذنه متعلق بان تقع أى الا باذنه فتقع * وقال ابن عطية ويحتمل أن يعود قوله الا باذنه على الامساك لان الكلام يقتضى بغير عمد ونحوه فكأنه أراد الا باذنه فيه يمسكها انتهى ولو كان على ما قاله ابن عطية لكان التركيب باذنه دون أداة الاستثناء أى يكون التقدير ويمسك السماء باذنه * وهو الذى أحياكم أى بعد أن كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة وهى الموتة الاولى المذكورة فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم * والانسان * قال ابن عباس هو الكافر * وقال أيضا هو الاسود بن عبد الأسد وأبو جهل وأبى بن خلف وهذا على طريق التمثيل * لكفور لجحود لنعم الله يعبد غير من أنعم عليه بهذه النعم المذكورة وبغيرها * ولكل أمة جعلنا منسكا روى انها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما فى الذبائح وقولهم للمؤمنين تأكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم ولا تأكلون ما قتل الله فنزلت بسبب هذه المنازعة * وقال ابن عطية هم ناسكوه يعطى ان المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال هم ناسكون فيه انتهى ولا يتعين ما قال إذ قد يتسع فى معمول اسم الفاعل كما يتسع فى معمول الفعل فهو موضع اتسع فيه فأجرى مجرى المفعول به على السعة ومن الاتساع فى ظرف المكان قوله

ومشرب أشربه رسيل * لا آجن الماء ولا وبيل

مشرب مكان الشرب عاد عليه الضمير وكان أصله أشرب فيه فاتسع فيه فتعدى الفعل الى ضميره ومن الاتساع سير بزيد فرسخان * وقرئ فلا ينازعنك بالنون الخفيفة أى اثبت على دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ومثله ولا يصدنك عن آيات الله وهذا النهى لهم عن المنازعة من باب

(الدر)

(ع) ويحتمل أن يعود قوله الا باذنه على الامساك لان الكلام يقتضى بغير عمد ونحوه فكأنه أراد الا باذنه فيه يمسكها (ح) ولو كان على ما قاله (ع) لكان التركيب باذنه دون اداة أى يكون التقدير ويمسك السماء باذنه (ع) هم ناسكوه يعطى أن المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال هم ناسكون فيه (ح) لا يتعين ما قاله اذ قد يتسع فى معمول اسم الفاعل ما لا يتسع فى معمول الفعل فهو موضع اتسع فيه فأجرى مجرى المفعول به على السعة ومن الاتساع فى ظرف المكان قوله * ومشرب أشرب به رسيل * لا آجن الماء ولا وبيل * مشرب مكان الشرب عاد عليه الضمير وكان أصله أشرب فيه فاتسع فيه فتعدى الفعل الى ضميره ومن الاتساع سير بزيد فرسخان

السماء والارض فلا يخفى عليه أعمالكم وأن ذلك فى كتاب وهو أم الكتاب الذى كتبه قبل خلق السموات والأرض كتب فيه ماهو كائن الى يوم القيامة والاشارة بقوله ان ذلك على الله يسير قيل الى الحكم السابق والظاهر أنه اشارة الى حصر المخلوقات تحت علمه واحاطته ﴿يسطون﴾ قال ابن عباس يبسطون اليهم أيديهم ﴿قل أفأنبئكم﴾ وعيد وتقريع والاشارة بذلكم الى غيظهم على التالين وسطوهم عليهم وروى أنهم قالوا محمد وأصحابه شر خلق قال الله تعالى قل لهم يا محمد أفأنبئكم بشر من ذكرتم على زعمكم أهل النار فهم أنتم شر خلق الله ﴿والنار خبر مبتدا محذوف تقديره هو النار والذين كفروا المفعول الاول والضمير فى وعدها المفعول الثانى وبئس المصير مخصوص بالذم محذوف تقديره الناس

لا أرينك ههنا والمعنى فلا بد لهم بمنازعتك فينازعوك ﴿ وقرأ أبو مجلز فلا ينازعنك من النزع بمعنى فلا يقلعنك فيحملونك من دينك الى أديانهم من نزعته من كذا والامر هنا الدين وماجئت به وعلى ماروى فى سبب النزول يكون فى الامر بمعنى فى الذبح ﴿ لعلى هدى أى ارشاد ﴿ وجاء ولكل أمة بالواو وهنا لكل أمة لان تلك وقعت مع مايدانيها ويناسبها من الآى الواردة فى أمر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا قاله الزمخشرى ﴿ وان جادلوك آية موادعة نسختها آية السيف أى وان أبوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين ﴿ الله يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يلقى منهم ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وماليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ﴾ لما تقدم ذكر الفصل بين الكفار والمؤمنين يوم القيامة أعقب تعالى انه عالم بجميع مافى السماء والارض فلا تخفى عليه أعمالكم ﴿ وان ذلك فى كتاب ﴿ قيل هو أم الكتاب الذى كتبه الله قبل خلق السموات والارض كتب فيه ماهو كائن الى يوم القيامة ﴿ وقيل الكتاب اللوح المحفوظ ﴿ والاشارة بقوله ان ذلك على الله يسير ﴿ قيل الى الحكم السابق والظاهر انه اشارة الى حصر المخلوقات تحت علمه واحاطته ﴿ وقال الزمخشرى ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل مايحدث فى السموات والارض وقد كتبه فى اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم انتهى وفى قوله لان العالم الذات فيه دسيسة الاعتزال لان من مذهبهم نفى الصفات فهو عالم لذاته لا بعلم عندهم ﴿ ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا أى حجة وبرهانا سماويا من جهة الوحى والسمع ﴿ وماليس لهم به علم أى دليل عقلى ضرورى أوغيره ﴿ وما للظالمين أى المجاوزين الحد فى عبادة مالا يمكن عبادته ﴿ من نصير ينصرهم فيما ذهبوا اليه أو اذا حل بهم العذاب ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا أى يتلوه الرسول أوغيره آياتنا الواضحة فى رفض آلهتهم ودعائهم الى توحيد الله وعبادته ﴿ تعرف فى وجوه الذين كفروا أى الذين ستروا الحق وغطوه وهو واضح بين والمنكر مصدر بمعنى الانكار ونبه على موجب المنكر وهو الكفر وناب الظاهر مناب المضمر كأنه قيل تعرف فى وجوههم لكنه نبه على العلة الموجبة لظهور المنكر فى وجوههم والمنكر المساءة والتجهم والبسور والبطش الدال ذلك كله على سوء المعتقد وخبث السريرة لان الوجه يظهر فيه الترح والفرح اللذان محلهما القلب ﴿ يكادون يسطون أى هم دهرهم بهذه الصفة فهم يقاربون ذلك طول زمانهم وان كان قد وقع منهم سطو ببعض الصحابة فى شاذ من الاوقات ﴿ قال ابن عباس يسطون يبسطون اليهم ﴿ وقال محمد بن كعب يقعون بهم ﴿ وقال الضحاك يأخذونهم أخذا باليد والمعنى واحد ﴿ وقرأ عيسى بن عمر يعرف مبنيا للمفعول المنكر ووقع ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلكم وعيد وتقريع والاشارة الى غيظهم على التالين وسطوهم عليهم أو الى

(الدر)

(ش) ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث فى السموات والارض وقد كتبه فى اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم (ح) فى قوله العالم الذات دسيسة الاعتزال لان من مذهبهم نفى الصفات فهو عالم لذاته لا بعلم عندهم

﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ الآية الخطاب عام يشمل من نظر في عبادة غير الله تعالى فانه يظهر له قبح ذلك * وضرب مبني للمفعول والظاهر أن ضارب المثل هو الله ضرب مثلا لما يعبد من دونه أي بين شبها لكم ولمعبودكم * وتدعون بتاء الخطاب لكفار مكة والضمير العائد على الذين محذوف تقديره تدعوهم آلهة ﴿فاستمعوا له﴾ أي لهذا المثل وبدأ تعالى بنفي اختراعهم وخلقهم أقل المخلوقات من حيث ان الاختراع صفة ثابتة له تعالى مختصة به لا يشركه فيها أحد وثنى بالامر الذي بلغ بهم غاية التعجيز وهو سلب الذباب وعدم استنقاذ شيء مما سلبهم وكان الذباب كثيرا عند العرب وكانوا يضمخون أوثانهم بأنواع الطيب وكان الذباب يذهب بذلك وعن ابن عباس كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ﴿ولو اجتمعوا له﴾ الواو للعطف على حال مقدرة تقديره على كل حال ولو في هذه الحالة التي كانت تقتضي أن يخلقوا لأجل اجتماعهم ولكنه ليس في مقدورهم ذلك والضمير في له عائد على الخالق المفهوم من يخلقوا ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ قال ابن عباس الصنم والذباب ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ أي ما عرفوه حق معرفته حيث عبدوا من هو منسلخ عن صفاته وسموه باسمه ثم ختم بصفتين منافيتين لصفات آلهتهم من القوة والغلبة ﴿الله يصطفي﴾ نزلت بسبب قول الوليد ابن المغيرة أأنزل الذكر عليه من بيننا وأنكروا أن يكون الرسول من البشر فرد الله تعالى عليهم بان رسله تعالى ملائكة وبشر ثم ذكر أنه عالم باحوال المكلفين لا يخفى عليه منهم شيء ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا﴾ أمر أولا بالصلاة وهي نوع من العبادة وثانيا بالعبادة وهي نوع من فعل الخير وثالثا بفعل الخير وهو أعم من العبادة فبدأ بخاص ثم بعام ثم باعم ﴿وجاهدوا في الله﴾ أمر بالجهاد في دين الله واعزاز كلمته يشمل جهاد الكفار والمبتدعة ﴿حق جهاده﴾ أي استفرغوا جهدكم وطاقتكم في ذلك وأضاف الجهاد اليه تعالى لما كان مختصا بالله تعالى من حيث هو مفعول لوجه الله ﴿من حرج﴾ من ضيق بل هي حنيفية سمحة ليس فيها تشديد بني اسرائيل شرع فيها التوبة والكفارات والرخص وانتصب ﴿ملة أبيكم﴾ بفعل محذوف تقديره اتبعوا ملة أبيكم وفي ذلك تذكير لهم بترك ابراهيم عبادة الأصنام ونهيه اياه عن ذلك وقال أبيكم بالاضافة الى امة الرسول لانه أب للرسول وأمة الرسول في حكم أولاده فصار أبا لأمته بهذه الوساطة * والظاهر أن الضمير في هو سماكم عائد على ابراهيم عليه السلام وهو أقرب مذكور ولكل نبي دعوة مستجابة ودعا ابراهيم فقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله تعالى له فجعلها أمة محمد صلى الله عليه وسلم * والمسلمين مفعول باسقاط حرف الجر تقديره بالمسلمين ﴿من قبل﴾ أي من قبل ظهور ملة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وفي هذا﴾ أي التسمية وهو اشارة الى التسمية وثم مبتدأ محذوف تقديره وفي هذا شرف لكم ونحر واستبشار وخبر هذا المبتدإ قوله وفي هذا ولتكونوا متعلق بما تعلق به المجرور الذي هو في هذا ﴿ليكون الرسول شهيدا عليكم﴾ أنه قد بلغكم ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بان الرسل قد بلغتهم واذ قد خصكم بهذه الكرامة والأثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا

ما أصابهم من الكراهة والبسور بسبب ما تلي عليهم * وقرأ الجمهور النار رفعا على اضمار مبتدأ كأن قائلا يقول قال وما هو قال النار أي نار جهنم وأجاز الزمخشري أن تكون النار مبتدأ ووعدها الخبر وأن يكون وعدها حالا على الاعراب الأول وأن تكون جملة اخبار مستأنفة وأجيز أن تكون خبرا بعد خبر وذلك في الاعراب الأول وروي انهم قالوا محمد وأصحابه شر خلق فقال الله قل لهم يا محمد أفأنبئكم بشر ممن ذكرتم على زعمكم أهل النار فهم أنتم شر خلق الله * وقرأ ابن أبي عبلة وابراهيم بن يوسف عن الأعشى وزيد بن علي النار بالنصب * قال الزمخشري على الاختصاص ومن أجاز في الرفع أن تكون النار مبتدأ فقياسه أن يجيز في النصب أن يكون من باب الاشتغال * وقرأ ابن أبي اسحاق وابراهيم بن نوح عن قتيبة النار بالجر على البدل من شر والظاهر ان الضمير في وعدها هو المفعول الأول على انه تعالى وعد النار بالكفار أن يطعمها اياهم ألا ترى الى قولها هل من مزيد ويجوز أن يكون الضمير هو المفعول الثاني والذين كفروا هو الاول كما قال وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا

الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير * لما ذكر تعالى ان الكفار يعبدون مالا دليل على عبادته لا من سمع ولا من عقل ويتركوا عبادة من خلقهم ذكر ما عليه معبوداتهم من انتفاء القدرة على خلق أقل الأشياء بل على ردّ ما أخذه ذلك الأقل منه وفي ذلك تجهيل عظيم لهم حيث عبدوا من هذه صفته لقوله ان الذين تدعون بتاء الخطاب * وقيل خطاب للمؤمنين أراد الله أن يبين لهم خطأ الكافر بن فيكون تدعون خطابا لغيرهم الكفار عابدي غير الله * وقيل الخطاب عام يشمل من نظر في أمر عبادة غير الله فانه يظهر له قبح ذلك * وضرب مبني للمفعول والظاهر ان ضارب المثل هو الله تعالى ضرب مثلا لما يعبد من دونه أي بين شبها لكم ولمعبودكم * وقيل ضارب المثل هم الكفار جعلوا مثلا لله تعالى أصنامهم وأوثانهم أي فاسمعوا أنتم أيها الناس لحال هذا المثل ونحوه ما قال الاخفش قال ليس ههنا مثل وانما المعنى جعل الكفار لله مثلا * وقيل هو مثل من حيث المعنى لانه ضرب مثل من يعبد الاصنام بمن يعبد مالا يخلق ذبابا * وقال الزمخشري (فان قلت) الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا (قلت) قد سميت الصفة أو القصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم انتهى * وقرأ الجمهور تدعون بالتاء * وقرأ الحسن ويعقوب وهارون والخفاف ومحبوب عن أبي عمرو بالياء وكلاهما مبني للفاعل * وقرأ اليماني وموسى الاسواري بالياء من أسفل مبنيا للمفعول * وقال الزمخشري لن أخت لا في نفي المستقبل الأأن تنفيه نفيا مؤكدا وتأكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا انتهى وهذا القول الذي قاله في لن هو المنقول عنه ان لن للنفي على التأبيد ألا تراه فسر ذلك بالاستحالة وغيره من النحاة يجعل لن مثل لا في النفي ألا ترى الى قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق كيف جاء النفي بلا وهو الصحيح والاستدلال عليه مذكور في النحو وبدأ تعالى بنفي اختراعهم وخلقهم أقل المخلوقات من حيث ان الاختراع صفة له تعالى ثابتة مختصة به لا يشركه فيها أحد وثنى بالامر الذي يبلغ بهم غاية التعجيز وهو أمر سلب الذباب وعدم استنقاذ شئ مما يسلبهم وكان الذباب كثيرا عند العرب وكانوا يضمخون أوثانهم بأنواع الطيب فكان الذباب يذهب بذلك * وعن ابن عباس كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها فيدخل الذباب من الكوى فيأكله * وموضع ولو اجتمعوا له قال الزمخشري نصب على الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه انتهى وتقدم لنا الكلام على نظير ولو هذه وتقرر ان الواو فيه للعطف على حال محذوفة كأنه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال ولو في هذه الحال التي كانت تقتضي أن يخلقوا الاجل اجتماعهم ولكنه ليس في مقدورهم ذلك * ضعف الطالب والمطلوب * قال ابن عباس الصنم والذباب أي ينبغي أن يكون الصنم طالبا لما سلب من طيبهم على معهود الانفة في الحيوان * وقيل المطلوب الآلهة والطالب الذباب فضعف الآلهة أن لا منعة لهم وضعف الذباب في استلابه ما على الآلهة * وقال الضحاك العابد والمعبود فضعف العابد في طلبهم الخير من غير جهته وضعف المعبود في إيصال ذلك لعابده * وقال الزمخشري وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب والظاهر انه اخبار بضعف الطالب والمطلوب * وقيل معناه التعجب أي ما أضعف الطالب والمطلوب * ما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوه حق معرفته حيث عبدوا من هو منسلخ عن صفاته وسموه باسمه ولم يؤهلوا خالقهم للعبادة ثم ختم بصفتين منافيتين لصفات آلهتهم من القوة والغلبة * الله يصطفي الآية نزلت بسبب قول

النصرة والولاية الامنه فهو خير مولى وناصر سبحانه وتعالى

(الدر)

(ش) لن أخت لا في نفي المستقبل الأأن لن تنفيه نفيا مؤكدا وتأكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال أن يخلقوا (ح) هذا الذي قاله في لن هو المنقول عنه أن لن للنفي على التأبيد ألا تراه فسر ذلك بالاستحالة وغيره من النحاة يجعل لن مثل لا في النفي ألا ترى الى قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق كيف جاء النفي بلا وهو الصحيح والاستدلال عليه مذكور في النحو (ش) وموضع ولو اجتمعوا له نصب على الحال كانه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه (ح) تقدم لنا الكلام على نظير ولو هذه وتقرر ان الواو فيه للعطف على حال محذوفة كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال ولو في هذه الحال التي كانت تقتضي أن يخلقوا لأجل اجتماعهم ولكنه ليس في مقدورهم ذلك

الوليد بن المغيرة أأنزل عليه الذكر من بيننا الآية وأنكروا أن يكون الرسول من البشر فرد الله عليهم بأن رسله ملائكة و بشر ثم ذكر انه عالم بأحوال المكلفين لا يخفى عليه منهم شئ واليه مرجع الامور كلها * ولما ذكر تعالى انه اصطفى رسلا من البشر الى الخلق أمرهم باقامة ماجاءت به الرسل من التكاليف وهو الصلاة قيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع و يركعون بلا سجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود واتفقوا على مشروعية السجود فى آخر آية ألم ترأن الله يسجد له وأما فى هذه الآية فذهب مالك وأبى حنيفة انه لا يسجد فيها ومذهب الشافعي وأحمد انه يسجد فيها وبه قال عمر وابنه عبد الله وعثمان وأبو الدرداء وأبو موسى وابن عباس * واعبدوا ربكم أى افردوه بالعبادة * وافعلوا الخير * قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق و يظهر فى هذا الترتيب انهم أمروا أولا بالصلاة وهى نوع من العبادة وثانيا بالعبادة وهى نوع من فعل الخير وثالثا بفعل الخير وهو أعم من العبادة فبدأ بخاص ثم بعام ثم بأعم * و جاهدوا فى الله أمر بالجهاد فى دين الله واعزاز كلمته يشمل جهاد الكفار والمبتدعة وجهاد النفس * وقيل أمر بجهاد الكفار خاصة * حق جهاده أى استفرغوا جهدكم وطاقتكم فى ذلك وأضاف الجهاد اليه تعالى لما كان مختصا بالله من حيث هو مفعول لوجهه ومن أجله فالاضافة تكون بأدنى ملابسة * قال الزمخشرى و يجوز أن يتسع فى الظرف كقوله * و يوم شهدناه سليما وعامرا * انتهى يعنى بالظرف الجار والمجرور كأنه كان الاصل حق جهاد فيه فاتسع بأن حذف حرف الجر وأضيف جهاد الى الضمير وحق جهاده من باب هو حق عالم وجد عالم أى عالم حقا وعالم جدا * وعن مجاهد والكلبى انه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم * هو اجتباكم أى اختاركم لتحمل تكاليفه وفى قوله هو تفخيم واختصاص أى هو لا غيره * من حرج من تضييق بل هى حنيفية سمحة ليس فيها تشديد بنى اسرائيل بل شرع فيها التوبة والكفارات والرخص * وانتصب ملة أبيكم بفعل محذوف وقدره ابن عطية جعلها ملة * وقال الزمخشرى نصب الملة بمضمون ماتقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه أو على الاختصاص أى أعنى بالدين ملة أبيكم كقوله الحمد لله الحميد * وقال الحوفى وأبو البقاء اتبعوا ملة ابراهيم * وقال الفراء هو نصب على تقدير حذف الكاف كأنه قيل كملة أبيكم بالاضافة الى أبيه الرسول وأمة الرسول فى حكم أولاده فصار أبا لامته بهذه الوساطة * وقيل لما كان أكثرهم من ولده كالرسول ورهطه وجميع العرب طلب الاكثر فأضيف اليهم وجاء قوله ملة ابراهيم باعتبار عبادة الله وترك الاوثان وهو المسوق له الآيات المتقدمة فلا يدل ذلك على الاتباع فى تفاصيل الشرائع والظاهر أن الضمير فى هو سماكم عائد على ابراهيم وهو أقرب مذكور ولكل نبى دعوة مستجابة ودعا ابراهيم فقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله له فجعلها أمة محمد عليه الصلاة والسلام وقاله ابن زيد والحسن * وقيل يعود هو الى الله وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك * وعن ابن عباس ان الله سماكم المسلمين من قبل أى فى كل الكتب * وفى هذا أى القرآن و يدل على أن الضمير لله قراءة أبى الله سماكم * قال ابن عطية وهذه اللفظة يعنى قوله وفى هذا تضعيف قول من قال الضمير لابراهيم ولا يتوجه الا على تقدير محذوف من الكلام مستأنف انتهى وتقدير المحذوف وسميتم فى هذا القرآن المسلمين والمعنى أنه فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم * ليكون الرسول شهيدا عليكم أنه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بأن الرسل قد بلغتهم واذ قد خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا

(الدر)

(ع) وهذه اللفظة يعنى قوله وفى هذا تضعيف قول من قال الضمير لابراهيم ولا يتوجه الا على تقدير محذوف من الكلام مستأنف (ح) تقدير المحذوف وسميتم فى هذا القرآن المسلمين

النصرة والولاية الامنه فهو خير مولى وناصر * وعن قتادة أعطيت هذه الأمة مالم يعطه الانبي * قيل للنبي أنت شهيد على أمتك * وقيل له ليس عليك حرج * وقيل له سل تعط * وقيل لهذه الأمة وتكونوا شهداء على الناس * وقيل لهم ماجعل عليكم فى الدين من حرج * وقيل لهم أدعونى أستجب لكم * واعتصموا * قال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره * وقال الحسن تمسكوا بدين الله

﴿ سورة المؤمنون مائة وتسع عشرة آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماهذا الابشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولوشاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين إن هو الارجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الامن سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ماهذا الابشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذامتم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين ان هو الارجل افترى على الله كذبا ومانحن له بمؤمنين قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ماتسبق من أمة أجلها ومايستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لايؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا

وسلطان مبين إلى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون. فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ﴾ السلالة فعالة من سللت الشيء من الشيء اذا استخرجته منه * وقال أمية

خلق البرية من سلالة منتن * والى السلالة كلها ستعود

والولد سلالة أبيه كأنه انسل من ظهر أبيه * قال الشاعر

فجاءت به عصب الاديم غضنفرا * سلالة فرج كان غير حصين

وهو بناء يدل على القلة كالقلامة والنحاتة * سيناء وسينون اسمان لبقعة وجمهور العرب على فتح سين سيناء فالالف فيه للتأنيث كصحراء فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم وكنانة تكسر السين فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم أيضا عند الكوفيين لأنهم يثبتون أن همزة فعلاء تكون للتأنيث وعند البصريين يمتنع من الصرف للعلمية والعجمة أو العلمية والتأنيث لأن ألف فعلاء عندهم لا تكون للتأنيث بل للالحاق كعلباء ودرحاء * قيل وهو جبل فلسطين * وقيل بين مصر وايلة * الدهن عصارة الزيتون واللوز وما أشبههما مما فيه دسم والدهن بفتح الدال مسح الشيء بالدهن * هيهات اسم فعل يفيد الاستبعاد فمعناها بعد وفيها لغات كثيرة ذكرناها في كتاب التكميل لشرح التسهيل و يأتي منها ما قرئ به ان شاء الله * الغثاء الزبد وما ارتفع على السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به قاله أبو عبيد * وقال الاخفش الغثاء والجفاء واحد وهو ما احتمله السيل من القذر والزبد * وقال الزجاج البالي من ورق الشجر اذا جرى السيل خالط زبده انتهى وتشدد ثاؤه وتخفف ويجمع على اغثاء شذوذا وروى بيت امرئ القيس من السيل والغثاء بالتخفيف والتشديد الجمع * تترى واحدا بعد واحد * قال الاصمعي وبينهما مهلة * وقال غيره المواترة التتابع بغير مهلة وتاؤه مبدلة من واو على غير قياس إذ أصله الوتر كتاء تولج وتيقور والاصل وولج وويقور لأنه من الولوج والوقار وجمهور العرب على عدم تنوينه فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم

﴿ سورة المؤمنين ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون ﴾ الآية هذه السورة مكية بلا خلاف وفي الصحيح للحاكم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات * ومناسبتها لآخر السورة قبلها ظاهرة لأنه تعالى خاطب المؤمنين بقوله يا أيها الذين آمنوا اركعوا الآية وفيها لعلكم تفلحون وذلك على سبيل الترجية فناسب ذلك قوله قد أفلح المؤمنون اخبار بحصول ما كانوا رجوه من الفلاح وقوله أو ما ملكت أريد بما النوع كقوله فانكحوا ما طاب لكم وهو مختص بالاناث باجماع وفي الجمع بين الاختين من ملك اليمين و بين المملوكة وعمتها وخالتها خلاف ومعنى وراء ذلك وراء هذا الحد الذي حد من الازواج ومملوكات النساء وانتصابه على أنه مفعول بابتغى أي خلاف ذلك ويشمل قوله وراء ذلك الزنا واللواط ومواقعة

البهائم والجمهور على تحريم الاستمناء وكان أحمد بن حنبل يجيز ذلك لأنه فضلة في البدن فجاز اخراجها عند الحاجة كالفصد والحجامة وقد ذكر عن بعض العرب فعل ذلك وأنشدهم فيه أبيات ذكر بعض ذلك في النوادر لابي علي *والظاهر عموم الامانات فيدخل فيها ما ائتمن تعالى عليه العبد من قول وفعل واعتقاد فيدخل في ذلك جميع الواجبات من الافعال والتروك وما ائتمنه الانسان والخشوع والمحافظة متغايران بدأ أولا بالخشوع وهو الجامع للمراقبة القلبية والتذلل بالافعال البدنية وثنى بالمحافظة وهي تأديتها في وقتها بشروطها من طهارة المصلي وملبوسه ومكانه وأداء أركانها على أحسن هيآتها ويكون ذلك دأبه في كل وقت ﴿ أولئك ﴾ أي الجامعون لهذه الأوصاف ﴿ هم الوارثون ﴾ الاحقاء أن يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله ﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾ فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر وتقدم الكلام في الفردوس في آخر الكهف ﴿ هم فيها ﴾ يدل على تأنيث الفردوس ﴿ ولقد خلقنا الانسان ﴾ لما ذكر تعالى ان المتصفين بتلك الأوصاف الجليلة هم يرثون الفردوس فتضمن ذلك المعاد الاخروي ذكر النشأة الاولى ليستدل بها على صحة النشأة الآخرة ﴿ من طين ﴾ قال ابن عباس هو آدم لانه انسل من الطين ﴿ ثم جعلناه ﴾ عائد على ابن آدم وان كان لم يذكر لشهرة الامر ﴿ نطفة ﴾ هو المني ﴿ في قرار مكين ﴾ هي الرحم وتقدم تفسير العلقة والمضغة ﴿ عظاما ﴾ دليل على أن المضغة تصير بنفسها عظاما وقرئ عظما

وكنانة تنونه و ينبغي أن تكون الالف فيه للالحاق كهي في علقى المنون وكتبه بالياء يدل على ذلك ومن زعم ان التنوين فيه كصبرا ونصرا فهو مخطئ لأنه يكون وزنه فعلا ولا يحفظ فيه الاعراب في الراء فتقول تتر في الرفع وتتر في الجر لكن ألف الالحاق في المصدر نادر ولا يلزم وجود النظير * وقيل تترى اسم جمع كاسرى وشتى * المعين الميم فيه زائدة ووزنه مفعول كمخيط وهو المشاهد جريه بالعين تقول عانه أدركه بعينه كقولك كبده ضرب كبده وأدخله الخليل في باب ع ي ن * وقيل الميم أصلية من باب معن الشيء معانة كثر فوزنه فعيل وأجاز الفراء الوجهين * وقال جرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك ما يزال معينا

* الغمرة الجهالة رجل غمر غافل لم يجرب الامور وأصله الستر ومنه الغمر للحقد لأنه يغطي القلب والغمر للماء الكثير لأنه يغطي الارض والغمرة الماء الذي يغمر القامة والغمرات الشدائد ورجل غامر اذا كان يلقي نفسه في المهالك ودخل في غمار الناس أي في زحمتهم * الجؤار مثل الخوار جأر الثور يجأر صاح وجأر الرجل الى الله تضرع بالدعاء قاله الجوهري * وقال الشاعر

يراوح من صلوات المليك فطورا سجودا وطورا جؤارا

* وقيل الجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه * السامر مفرد بمعنى الجمع يقال قوم سامر وسمر ومعناه سهر الليل مأخوذ من السمر وهو ما يقع على الشجر من ضوء القمر وكانوا يجلسون للحديث في ضوء القمر والسمير الرفيق بالليل في السهر ويقال له السمار أيضا ويقال لا أفعله ما أسمر ابنا سمير والسمير الدهر وابناه الليل والنهار * نكب عن الطريق ونكب بالتشديد اذا عدل عنه * اللجاج في الشيء التمادي عليه ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾

ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف وفي الصحيح للحاكم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات * ومناسبتها لآخر السورة قبلها ظاهرة لأنه تعالى خاطب المؤمنين بقوله يا أيها الذين آمنوا اركعوا الآية وفيها لعلكم تفلحون وذلك على سبيل الترجية فناسب ذلك قوله قد أفلح المؤمنون اخبارا بحصول ما كانوا رجوه من الفلاح * وقرأ طلحة بن مصرف وعمرو بن عبيد قد أفلح المؤمنون بضم الهمزة وكسر اللام مبنيا للمفعول ومعناه ادخلوا في الفلاح فاحتمل أن يكون من فلح لازما أو يكون أفلح يأتي متعديا ولازما * وقرأ طلحة أيضا بفتح الهمزة واللام وضم الحاء * قال عيسى بن عمر سمعت طلحة بن مصرف يقرأ قد أفلحوا المؤمنون فقلت له أتلحن قال نعم كما لحن أصحابي انتهى يعني ان مرجوعه في القراءة الى ماروى وليس بلحن لأنه على لغة أكلوني البراغيث وقال الزمخشري أو على الابهام والتفسير * وقال ابن عطية وهي قراءة مردودة وفي كتاب ابن خالويه مكتوبا بواو بعد الحاء وفي اللوامح وحذفت واو الجمع بعد الحاء لالتقائهما في الدرج وكانت الكتابة عليها محمولة على الوصل نحو ويمح الله الباطل * وقال الزمخشري وعنه أي عن طلحة أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله * فلو أن الاطباء كان حولي * انتهى وليس بجيد لأن الواو في أفلح حذفت لالتقاء الساكنين وهنا حذفت للضرورة فليست مثلها * قال الزمخشري قد تقتضيه لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولاشك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ماتوقعوه انتهى والخشوع لغة الخضوع والتذلل وللمفسرين فيه هنا أقوال * قال عمرو بن دينار هو السكون وحسن الهيئة * وقال مجاهد غض البصر وخفض الجناح * وقال مسلم بن يسار وقتادة تنكيس الرأس * وقال الحسن الخوف * وقال الضحاك وضع اليمين على الشمال * وعن على ترك الالتفات في الصلاة * وعن أبي الدرداء اعظام المقام واخلاص المقال واليقين التام وجمع الاهتمام وفي الحديث انه عليه الصلاة والسلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده ومن الخشوع أن تستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى * وفي التحرير اختلف في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكملاتها على قولين والصحيح الاول ومحله القلب وهو أول علم يرفع من الناس قاله عبادة بن الصامت * وقال الزمخشري (فان قلت) لم أضيفت الصلاة اليهم (قلت) لأن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته وأما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها * اللغو مالا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وماتوجب المروءة اطراحه يعني أن بهم من الجد مايشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعهم الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف انتهى واذا تقدم معمول اسم الفاعل جاز أن يقوى تعديته باللام كالفعل وكذلك اذا تأخر لكنه مع التقديم أكثر فلذلك جاء للزكاة باللام ولو جاء منصوبا لكان عربيا والزكاة ان أريد بها التزكية صح نسبة الفعل اليها إذ كل مايصدر يصح أن يقال فيه فعل وان أريد بالزكاة قدر مايخرج من المال للفقير

﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ قال ابن عباس وجماعة هو نفخ الروح فيه وقيل خروجه الى الدنيا وتبارك فعل ماض لايتصرف ومعناه تعالى وتقدس و﴿ أحسن الخالقين ﴾ أفعل التفضيل والخلاف فيها اذا أضيفت الى معرفة هل اضافتها محضة أم غير محضة فمن قال محضة أعرب أحسن صفة ومن قال غير محضة أعرب بدلا والاشارة بقوله بعد ذلك الى هذا التطور والانشاء خلقا أي وانقضاء مدة حياتكم ﴿ ثم انكم يوم القيامة تبعثون ﴾ ونبه تعالى على عظيم قدرته بالاختراع أولا ثم بالاعدام ثم بالايجاد

فيكون على حذف أى لأداء الزكاة * فاعلون إذ لا يصح فعل الاعيان من المزكى أو يضمن فاعلون معنى مؤدون وبه شرحه التبريزى * وقيل للزكاة للعمل الصالح كقوله خيرا منه زكاة أى عملا صالحا قاله أبو مسلم * وقيل الزكاة هنا النماء والزيادة واللام لام العلة ومعمول فاعلون محذوف التقدير والذين هم لأجل تحصيل النماء والزيادة فاعلون الخير * وقيل المصروف لا يسمى زكاة حتى يحصل بيد الفقير * وقيل لا تسمى العين المخرجة زكاة فكان التعبير بالفعل عن اخراجه أولى منه بالاداء وفيه رد على بعض زنادقة الاعاجم الاجانب عن ذوق العربية فى قوله ألا قال مؤدون قال فى التحرير والتحبير وهذا كما قيل لا عقل ولا نقل والكتاب العزيز نزل بأفصح اللغات وأصحها بلا خلاف * وقد قال أمية بن أبى الصلت

المطعمون الطعام فى السنة الازمة * والفاعلون للزكوات

ولم يرد عليه أحد من فصحاء العرب ولا طعن فيه علماء العربية بل جميعهم يحتجون به و يستشهدون انتهى * وقال الزمخشرى وحمل البيت على هذا أصح لأنها فيه مجموعة يعنى على أن الزكاة يراد بها العين وهو على حذف مضاف أى لأداء الزكوات وعلل ذلك بجمعها يعنى أنها اذا أريد بها العين صح جمعها واذا أريد بها التزكية لم تجمع لأن التزكية مصدر والمصادر لا تجمع وهذا غير مسلم بل قد جاء منها مجموعا ألفاظ كالعلوم والحلوم والاشغال وأما اذا اختلفت فالأكثرون على جواز جمعها وهنا اختلفت بحسب متعلقاتها فاخراج النقد غير اخراج الحيوان وغير اخراج النبات والزكاة فى قول أمية مما جاء جمعا من المصادر فلا يتعدى حمله على المخرج لجمعه * وحفظ لا يتعدى بعلى * فقيل على بمعنى من أى الا من أزواجهم كما استعملت من بمعنى على فى قوله ونصرناه من القوم أى على القوم قاله الفراء وتبعه ابن مالك وغيره والأولى أن يكون من باب التضمين ضمن حافظون معنى ممسكون أو قاصرون وكلاهما يتعدى بعلى كقوله أمسك عليك زوجك وتكلف الزمخشرى هنا وجوها * فقال على أزواجهم فى موضع الحال أى الاوالين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلانا ونظيره كان زياد على البصرة أى واليا عليها ومنه قولهم فلان تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أى يلامون على كل مباشر الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه أو بجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسى على تضمينه معنى النفى كما ضمن قولهم نشدتك الله الافعلت بمعنى ما طلبت منك الافعلك انتهى يعنى أن يكون حافظون صورته صورة المثبت وهو منفى من حيث المعنى أى والذين هم لم يحفظوا فروجهم إلا على أزواجهم فيكون استثناء مفرغا متعلقا فيه على بما قبله كما مثل بنشدتك الذى صورته صورة مثبت ومعناه النفى أى ما طلبت منك وهذه التى ذكرها وجوه متكلفة ظاهر فيها العجمة وقوله أو ما ملكت أريد بها النوع كقوله فانكحوا ما طاب لكم * وقال الزمخشرى أريد من جنس العقلاء ما يجرى مجرى غير العقلاء وهم الاناث انتهى وقوله وهم الاناث ليس بجيد لأن لفظ هم مختص بالذكور فكان ينبغى أن يقول وهو الاناث على لفظ ما أوهن الاناث على معنى ما وهذا الاستثناء حد يجب الوقوف عنده والتسرى خاص بالرجال ولا يجوز للنساء باجماع فلو كانت المرأة متزوجة بعبد فلكته فاعتقته حالة الملك انفسخ النكاح عند فقهاء الأمصار * وقال النخعى والشعبى وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يبقيان على نكاحهما وفى قوله أو ما ملكت أيمانهم دلالة على تعميم وطء ما ملك باليمين وهو مختص

بالاناث باجماع فكأنه قيل أوما ملكت أيمانهم من النساء وفي الجمع بين الاختين من ملك اليمين و بين المملوكة وعمتها أو خالتها خلاف ويخص أيضا في الآية بتحريم وطء الحائض والأمة اذا زوجت والمظاهر منها حتى يكفر ويشمل قوله وراء ذلك الزنا واللواط ومواقعة البهائم والاستمناء ومعنى وراء ذلك وراء هذا الحد الذي حد من الأزواج ومملوكات النساء وانتصابه على أنه مفعول بابتغى أي خلاف ذلك * وقيل لا يكون وراء هنا الا على حذف تقديره ماوراء ذلك والجمهور على تحريم الاستمناء ويسمى الخضخضة وجلد عميرة يكنون عن الذكر بعميرة وكان أحمد بن حنبل يجيز ذلك لانه فضلة في البدن فجاز اخراجها عند الحاجة كالفصد والحجامة وسأل حرملة بن عبد العزيز مالكا عن ذلك فتلا هذه الآية وكان جرى في ذلك كلام مع قاضي القضاة أبي الفتح محمد بن على بن مطيع القشيري ابن دقيق العيد فاستدل على منع ذلك بما استدل مالك من قوله فمن ابتغى وراء ذلك فقلت له ان ذلك خرج مخرج ما كانت العرب تفعله من الزنا والتفاخر بذلك في أشعارها وكان ذلك كثيرا فيها بحيث كان في بغاياهم صاحبات رايات ولم يكونوا ينكرون ذلك وأما جلد عميرة فلم يكن معهودا فيها ولا ذكره أحد منهم في أشعارهم فيما علمناه فليس يندرج في قوله وراء ذلك ألا ترى أن محل ما أبيح وهو نساؤهم بنكاح أو تسر فالذي وراء ذلك هو من جنس ما أحل لهم وهو النساء فلا يحل لهم شيء منهن الا بنكاح أو تسر والظاهر أن نكاح المتعة لا يندرج تحت قوله فمن ابتغى وراء ذلك لانها ينطلق عليها اسم زوج وسأل الزهري القاسم بن محمد عن المتعة فقال هي محرمة في كتاب الله وتلا والذين هم لفروجهم حافظون الآية ولا يظهر التحريم في هذه الآية * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو في رواية لاماناتهم بالافراد وباقي السبعة بالجمع والظاهر عموم الامانات فيدخل فيها ما ائتمن تعالى عليه العبد من قول وفعل واعتقاد فيدخل في ذلك جميع الواجبات من الافعال والتروك وما ائتمنه الانسان قبل و يحتمل الخصوص في أمانات الناس والامانة هي الشئ المؤتمن عليه ومراعاتها القيام عليها لحفظها الى أن تؤدى والامانة أيضا المصدر وقال تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها والمؤدى هو العين المؤتمن عليه أو القول ان كان المؤتمن عليه لا المصدر * وقرأ الاخوان على صلاتهم بالتوحيد وباقي السبعة بالجمع والخشوع والمحافظة متغايران بدأ أولا بالخشوع وهو الجامع للمراقبة القلبية والتذلل بالأفعال البدنية وثنى بالمحافظة وهي تأديتها في وقتها بشروطها من طهارة المصلى وملبوسه ومكانه وأداء أركانها على أحسن هيآتها ويكون ذلك دأبه في كل وقت * قال الزمخشري وحدت أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل أولئك أي الجامعون لهذه الأوصاف هم الوارثون الاحقاء أن يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث مامر في سورة مريم انتهى وتقدم الكلام في الفردوس في آخر الكهف * ولقد خلقنا الانسان الآية لما ذكر تعالى أن المتصفين بتلك الاوصاف الجليلة هم يرثون الفردوس فتضمن ذلك المعاد الاخروي ذكر النشأة الاولى ليستدل بها على صحة النشأة الآخرة * وقال ابن عطية هذا ابتداء كلام والواو في أوله عاطفة جملة كلام على جملة وان تباينت في المعاني انتهى وقد بينا المناسبة بينهما ولم تتباين في المعاني من جميع الجهات * والانسان هنا * قال

قتادة وغيره ورواه عن سلمان وابن عباس آدم لانه انسل من الطين * ثم جعلناه عائد على ابن آدم وان كان لم يذكر لشهرة الامر وان المعنى لا يصلح الا له ونظيره حتى توارت بالحجاب أو على حذف مضاف أي ثم جعلنا نسله * وعن ابن عباس أيضا أن الانسان ابن آدم وسلالة من طين صفوة الماء يعني المني وهو اسم جنس والطين يراد به آدم اذ كانت نشأة من الطين كما سمي عرق الثرى أو جعل من الطين لكونه سلالة من أبويه وهما متغذيان بما يكون من الطين * وقال الزمخشري خلق جوهر الانسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة انتهى فجعل الانسان جنسا باعتبار حالتيه لا باعتبار كل فرد منه ومن الأولى لابتداء الغاية ومن الثانية قال الزمخشري للبيان كقوله من الأوثان انتهى ولا تكون للبيان الا على تقدير أن تكون السلالة هي الطين أما اذا قلنا انه ما انسل من الطين فتكون لابتداء الغاية * والقرار مكان الاستقرار والمراد هنا الرحم * والمكين المتمكن وصف القرار به لتمكنه في نفسه بحيث لا يعرض له اختلال أو لتمكن من يحل فيه فوصف بذلك على سبيل المجاز كقوله طريق سائر لكونه يسار فيه وتقدم تفسير النطفة والعلقة والمضغة * وقرأ الجمهور عظاما والعظام بالجمع فيهما * وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبان والمفضل والحسن وقتادة وهارون والجعفي ويونس عن أبي عمرو وزيد بن علي بالافراد فيهما * وقرأ السلمي وقتادة أيضا والأعرج والأعمش ومجاهد وابن محيصن بافراد الأول وجمع الثاني * وقرأ أبو رجاء وابراهيم بن أبي بكر ومجاهد أيضا بجمع الأول وافراد الثاني فالافراد يراد به الجنس * وقال الزمخشري وضع الواحد موضع الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة انتهى وهذا لا يجوز عند سيبويه وأصحابنا الا في الضرورة وأنشدوا

* كلوا في بعض بطنكم تعفوا * ومعلوم ان هذا لا يلبس لانهم كلهم ليس لهم بطن واحد ومع هذا خصوا مجيئه بالضرورة * ثم أنشأناه خلقا آخر * قال ابن عباس والشعبي وأبو العالية والضحاك وابن زيد هو نفخ الروح فيه * وقال ابن عباس أيضا خروجه الى الدنيا * وقالت فرقة نبات شعره * وقال مجاهد كمال شبابه * وقال ابن عباس أيضا تصرفه في أمور الدنيا * قال ابن عطية وهذا التخصيص لا وجه له وانما هو عام في هذا وغيره من وجود النطق والادراك وأول رتبه من كونه آخر نفخ الروح وآخره تحصيله المعقولات الى أن يموت انتهى ملخصا وهو قريب مما رواه العوفي عن ابن عباس ويدل عليه قوله بعد ذلك ثم انكم بعد ذلك لميتون * وقال الزمخشري ما ملخصه خلقا آخر مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا ناطقا سميعا بصيرا وأودع كل عضو وكل جزء منه عجائب وغرائب لا تدرك بوصف ولا تبلغ بشرح وقد احتج أبو حنيفة بقوله خلقا آخر على ان غاصب بيضة أفرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ وقال أنشأناه جعل انشاء الروح فيه واتمام خلقه انشاء له * قيل وفي هذا رد على النظام في زعمه ان الانسان هو الروح فقط وقد بين تعالى انه مركب من هذه الأشياء ورد على الفلاسفة في زعمهم ان الانسان شئ لا ينقسم وتبارك فعل ماض لا يتصرف ومعناه تعالى وتقدس وأحسن الخالقين أفعل التفضيل والخلاف فيها اذا أضيفت الى معرفة هل اضافتها محضة أم غير محضة فمن قال محضة أعرب أحسن صفة ومن قال غير محضة أعربه بدلا * وقيل خبر مبتدا محذوف تقديره هو أحسن الخالقين ومعنى الخالقين المقدرين وهو وصف يطلق على غير الله تعالى كما قال زهير

ولأنت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

* قال الأعلم هذا مثل ضربه يعني زهيرا والخالق الذي يقدر الاديم ويهيئه لان يقطعه ويخرزه

﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾ لما ذكر ابتداء خلق الانسان وانتهاء أمره ذكره بنعمه وسبع طرائق قيل لها طرائق لتطارق بعضها فوق بعض يقال طارق النعل جعله على نعل وطارق بين ثوبين لبس أحدهما على الآخر ﴿ فاسكناه في الأرض ﴾ أي جعلناه قره في الارض وعن

ابن عباس أنزل الله من الجنة خمسة أنهار جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل وفي قوله فاسكناه دليل على أن مقر ما نزل من السماء هو في الارض فمنه الأنهار والعيون والآبار وكما أنزله تعالى بقدرته هو قادر على ذهابه والباء في به للتعدية أي على اذهابه كان الفعل لازما فصار بالباء متعديا كما قال تعالى لذهب بسمعهم أي لاذهب سمعهم ولما ذكر تعالى نعمة الماء ذكر ما ينشأ عنه فقال ﴿ وأنشأنا لكم به جنات ﴾ وخص هذه الأنواع الثلاثة من النخل والعنب والزيتون لانها أكرم الشجر وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بقوله لكم فيها الى آخره لان ثمرها جامع بين أمرين أحدهما أنه فاكهة يتفكه بها والآخر أنه طعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وتمرا وعنبا وزبيبا والزيتون فان دهنه صالح للاصطباح والاصطباغ جميعا والضمير في ولكم عائد على الجنات وهو أعم لسائر الثمرات وعطف وشجرة على جنات وهي شجرة الزيتون وهي كثيرة بالشام * تخرج من طور سيناء الطور الجبل أضيف الى سيناء والظاهر أنه علم اسم بقعة امتنع من الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ بفتح السين وكسرها وقرئ ﴿ تنبت ﴾ بفتح التاء وضم الباء ويكون بالدهن حالا أي ملتبسة بالدهن وقرئ تنبت فالباء في بالدهن زائدة أي تنبت الدهن فيكون مفعولا به

والفري القطع والمعنى انك اذا تهيأت لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه * وقال ابن عطية معناه الصانعين يقال لمن صنع شيأ خلقه وأنشد بيت زهير قال ولا تنفي هذه اللفظة عن البشر في معنى الصنع انما هي منفية بمعنى الاختراع * وقال ابن جريج قال الخالقين لانه أذن لعيسى في أن يخلق وتمييز أفعل التفضيل محذوف لدلالة الخالقين عليه أي أحسن الخالقين خلقا أي المقدرين تقديرا * وروي أن عمر لما سمع ولقد خلقنا الانسان الى آخره قال فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت وروي ان قائل ذلك معاذ * وقيل عبد الله بن أبي سرح وكانت سبب ارتداده ثم أسلم وحسن اسلامه * وقرأ زيد ابن علي وابن أبي عبلة وابن محيصن لمائتون بالالف يريد حدوث الصفة فيقال أنت مائت عن قليل وميت ولا يقال مائت للذي قد مات * قال الفراء انما يقال في الاستقبال فقط وكذا قال ابن مالك واذا قصد استقبال المصوغ من ثلاثي على غير فاعل ردت اليه ما لم يقدر الوقوع يعني انه لا يقال لمن مات مائت * وقال الزمخشري والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوها ضيق وضائق في قوله وضائق به صدرك انتهى والاشارة بقوله بعد ذلك الى هذا التطوير والانشاء خلقا آخر أي وانقضاء مدة حياتكم * ثم انكم يوم القيامة تبعثون ونبه تعالى على عظيم قدرته بالاختراع أولا ثم بالاعدام ثم بالايجاد وذكره الموت والبعث لا يدل على انتفاء الحياة في القبر لان المقصود ذكر الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة في القبر من جنس الاعادة ومعنى تبعثون للجزاء (فان قلت) الموت مقطوع به عند كل أحد والبعث قد أنكرته طوائف واستبعدته وان كان مقطوعا به من جهة الدليل لامكانه في نفسه ومجيء السمع به فوجب القطع به فما بال جملة الموت جاءت مؤكدة بان وباللام ولم تؤكد جملة البعث بان (فالجواب) انه بولغ في تأكيد ذلك تنبيها للانسان أن يكون الموت نصب عينيه ولا يغفل عن ترقبه فان مآله اليه فكأنه أكدت جملته ثلاث مرار لهذا المعنى لان الانسان في الحياة الدنيا يسعى فيها غاية السعي ويؤكد ويجمع حتى كأنه مخلد فيها فنبه بذكر الموت مؤكدا مبالغة فيه ليقصر وليعلم ان آخره الى الفناء فيعمل لدار البقاء ولم تؤكد جملة البعث الا بان لانه أبرز في صورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل انكارا وانه حتم لا بد من كيانه فلم يحتج الى توكيد ثان وكنت سئلت لم دخلت اللام في قوله لميتون ولم تدخل في تبعثون فأجبت بان اللام مخلصة المضارع للحال غالبا فلا تجامع يوم القيامة لان اعمال تبعثون في الظرف المستقبل تخلصه للاستقبال فتنافي الحال وانما قلت غالبا لانه قد جاءت قليلا مع الظرف المستقبل كقوله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة على انه يحتمل تأويل هذه الآية واقرار اللام مخلصة المضارع للحال بان يقدر عامل في يوم القيامة ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت

بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون * لما ذكر تعالى ابتداء خلق الانسان وانتهاء أمره ذكر بنعمه وسبع طرائق السموات قيل لها طرائق لتطارق بعضها فوق بعض طارق النعل جعله على نعل وطارق بين ثوبين لبس أحدهما على الآخر قاله الخليل والفراء والزجاج كقوله طباقا * وقيل لانها طرائق الملائكة في العروج * وقيل لانها طرائق في الكواكب في مسيرها * وقيل لان لكل سماء طريقة وهيئة غير هيئة الاخرى * قال ابن عطية ويجوز أن تكون الطرائق بمعنى المبسوطات من طرقت الشئ * وما كنا عن الخلق غافلين نفى تعالى عنه الغفلة عن خلقه وهو ما خلقه تعالى فهو حافظ السموات من السقوط وحافظ عباده بما يصلحهم أي هم بمرأى منا ندبرهم كما نشاء * بقدر بتقدير منا معلوم لايزيد ولا ينقص بحسب حاجات الخلق ومصالحهم * فأسكناه في الارض أي جعلنا مقره في الارض * وعن ابن عباس أنزل الله من الجنة خمسة أنهار جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل وفي قوله فأسكناه في الارض دليل على ان مقر ما نزل من السماء هو في الارض فمنه الأنهار والعيون والآبار وكما أنزله تعالى بقدرته هو قادر على اذهابه * قال الزمخشري على ذهاب به من أوقع النكرات وأحزها للفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه انتهى وذهاب مصدر ذهب والباء في به للتعدية مرادفة للهمزة كقوله لذهب بسمعهم أي لأذهب سمعهم وفي ذلك وعيد وتهديد أي في قدرتنا اذهابه فتهلكون بالعطش أنتم ومواشيكم وهذا أبلغ في الايعاد من قوله قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين * وقال مجاهد ليس في الأرض ماء الا وهو من السماء * قال ابن عطية ويمكن أن يقيد هذا بالعذاب والا فالاجاج ثابت في الارض مع القحط والعذب يقل مع القحط وأيضا فالأحاديث تقتضي الماء الذي كان قبل خلق السموات والارض ولا محالة أن الله قد جعل في الارض ماء وأنزل من السماء انتهى * وقيل ما نزل من السماء أصله من البحر رفعه تعالى بلطفه وحسن تقديره من البحر الى السماء حتى طاب بذلك الرفع والتصعيد ثم أنزله الى الارض لينتفع به ولو كان باقيا على حاله ما انتفع به من ملوحته ولما ذكر تعالى نعمة الماء ذكر ما ينشأ عنه فقال فأنشأنا لكم به جنات وخص هذه الأنواع الثلاثة من النخل والعنب والزيتون لانها أكرم الشجر وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بقوله لكم فيها الى آخره لان ثمرهما جامع بين أمرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويحتمل أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يعملها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون قاله الزمخشري * وقال الطبري وذكر النخيل والاعناب لانها ثمرة الحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما والضمير في ولكم فيها عائد على الجنات وهو أعم لسائر الثمرات ويجوز أن يعود على النخيل والاعناب وعطف وشجرة على جنات وهي شجرة الزيتون وهي كثيرة بالشام * وقال الجمهور سيناء اسم الجبل كما تقول جبل أحد من اضافة العام الى الخاص * وقال مجاهد معنى سيناء مبارك * وقال قتادة معناه الحسن والقولان عن ابن عباس * وقيل الحسن بالحبشة * وقيل بالنبطية * وقال معمر عن فرقة معناه ذو شجر * وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل اليها لوجودها عنده قاله مجاهد أيضا * وقرأ الحرميان وأبو عمرو والحسن بكسر السين وهي لغة

* وان لكم في الأنعام * تقدم الكلام عليه في النحل * ولكم فيها منافع * من الحمل والركوب والحرث والانتفاع بجلودها وأوبارها ونبه على أغزر فوائدها والزمها وهو الشرب والأكل وأدرج باقي المنافع في قوله ولكم فيها منافع كثيرة ثم ذكر ما يكاد يختص به بعض الأنعام وهو الحمل عليها وقرنها بالفلك لانها سفائن البر كما أن الفلك سفائن البحر قال ذوالرمة

سفينة بر تحت خدي زمامها

يريد صيدح ناقته الفلك معطوف على قوله وعليها أعيد معه حرف الجر

الانبياء عن الله وابتدأ بقصة نوح صلى الله عليه وسلم لانه أبو البشر الثانى كما ذكر أولا آدم فى قوله من سلالة من طين ولقصته أيضا مناسبة بما قبلها اذ قبلها وعلى الفلك تحملون فذكر قصة من صنع الفلك أولا وأنه كان سبب نجاة من آمن وهلاك من لم يكن فيه فالفلك من نعمة الله كل هذه القصص يحذر بها قريشا نقم الله تعالى ويذكرهم نعمه ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ أى يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله ويكون لكما الكبرياء فى الارض والاشارة فى بهذا الى افراد الله بالالوهية وترك الاصنام ﴿به جنة﴾ معلوم عندهم أنه ليس بمجنون ﴿فتربصوا به﴾ أى انتظروا حاله حين يتجلى أمره وعاقبة خبره فدعا ربه بأن ينصره ويظفره بهم بسبب ما كذبوه وتقدم تفسير أكثر الالفاظ التى فى هود ونهاه تعالى أن يخاطبه فى قومه بدعاء نجاة أو غيره وبين علة النهى بأنه تعالى قد حكم عليهم بالاغراق وأمره

لبنى كنانة * وقرأ عمر بن الخطاب وباقى السبعة بالفتح وهى لغة سائر العرب * وقرأ سينى مقصورا وبفتح السين والاصح ان سيناء اسم بقعة وانه ليس مشتقا من السناء لاختلاف المادتين على تقدير أن يكون سيناء عربى الوضع لان نون السناء عين الكلمة وعين سيناء ياء * وقرأ الجمهور تنبت بفتح التاء وضم الباء والباء فى بالدهن على هذا باء الحال أى تنبت مصحوبة بالدهن أى ومعها الدهن * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وسلام وسهل ورويس والجحدرى بضم التاء وكسر الباء فقيل بالدهن مفعول والباء زائدة التقدير تنبت الدهن * وقيل المفعول محذوف أى تنبت جناها وبالدهن فى موضع الحال من المفعول المحذوف أى تنبت جناها ومعه الدهن * وقيل أنبت لازم كنبت فتكون الباء للحال وكان الاصمعى ينكر ذلك ويتهم من روى فى بيت زهير * قطينا بها حتى اذا أنبت البقل * بلفظ أنبت * وقرأ الحسن والزهرى وابن هرمز بضم التاء وفتح الباء مبنيا للمفعول وبالدهن حال * وقرأ زر بن حبيش بضم التاء وكسر الباء الدهن بالنصب * وقرأ سليمان بن عبد الملك والاشهب بالدهان بالالف وما رووا من قراءة عبد الله يخرج الدهن وقراءة أبى تثمر بالدهن محمول على التفسير لمخالفته سواد المصحف المجمع عليه ولان الرواية الثابتة عنهما كقراءة الجمهور والصبغ الغمس والائتدام * وقال مقاتل الصبغ الزيتون والدهن الزيت جعل تعالى فى هذه الشجرة أدما ودهنا * وقال الكرمانى القياس أن يكون الصبغ غير الدهن لأن المعطوف غير المعطوف عليه * وقرأ الاعمش وصبغا بالنصب * وقرأ عامر بن عبد الله وصباغ بالالف فالنصب عطف على موضع بالدهن كان فى موضع الحال أو فى موضع المفعول والصباغ كالدبغ والدباغ وفى كتاب ابن عطية * وقرأ عامر بن عبد قيس ومتاعا للآكلين كأنه يريد تفسير الصبغ ذكر تعالى شرف مقر هذه الشجرة وهو الجبل الذى كلم الله فيه نجيه موسى عليه السلام ثم ذكر ما فيها من الدهن والصبغ ووصفها بالبركة فى قوله من شجرة مباركة زيتونة * قيل وهى أول شجرة نبتت بعد الطوفان * وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها تقدم تفسير نظير هذه الجملة فى النحل * ولكم فيها منافع من الحمل والركوب والحرث والانتفاع بجلودها وأوبارها ونبه على غزارة فوائدها وألزامها وهو الشرب والاكل وأدرج باقى المنافع فى قوله ولكم فيها منافع كثيرة ثم ذكر ما تكاد تختص به بعض الانعام وهو الحمل عليها وقرنها بالفلك لانها سفائن البر كما ان الفلك سفائن البحر * قال ذو الرمة

* سفينة بر تحت خدى زمامها * يريد صيدح ناقته ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان فى ذلك

تعالى بأن يحمده على نجاته وهلاك كهم فكان الامر له وحده وان كان الشرط قد شمله ومن معه لأنه نبيهم وإمامهم وهم متبعوه فى ذلك ثم أمره أن يدعوه بأن ينزله منزلا مباركا قيل قال ذلك عند الركوب فى السفينة وقيل عند الخروج منها ﴿ان فى ذلك﴾

كنا المبتلين﴾ أي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو لمختبرين بهذه الآيات عبادنا ليعتبروا كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ الآية ذكر هذه القصة عقيب قصة قوم نوح فظهر أن هؤلاء هم قوم هود وهو قول الأكثرين ﴿بلقاء الآخرة﴾ أي بلقاء الجزاء من الثواب والعقاب فيها ﴿وأترفناهم﴾ أي بسطنا لهم الآمال والارزاق ونعمناهم واحتملت هذه الجملة أن تكون معطوفة على صلة الذين وكان العطف مشعر بعلية التكذيب والكفر أي الحامل لهم على ذلك كوننا نعمناهم وأحسنا إليهم وكان نبغي أن يكون الامر بخلاف ذلك وأن يقابلوا نعمنا بالايمان وتصديق من أرسلته إليهم وأن يكون جملة حالية أي وقد أترفناهم أي كذبوا في هذه الحال ويؤل هذا المعنى الى المعنى الاول أي كذبوا في حال الاحسان اليهم وكان ينبغي أن لا يكفروا وأن يشكروا النعمة بالايمان بي والتصديق لرسلي ﴿مما تأكلون منه﴾

لآيات وان كنا لمبتلين ﴾ لما ذكر أولا بدء الانسان وتطوّره في تلك الاطوار وما امتن به عليه مما جعله تعالى سببا لحياتهم وادراك مقاصدهم ذكر أمثالا لكفار قريش من الأمم السابقة المنكرة لارسال الله رسلا المكذبة بما جاءتهم به الأنبياء عن الله فابتدأ قصة نوح لانه أبو البشر الثاني كما ذكر أولا آدم في قوله من سلالة من طين ولقصته أيضا مناسبة بما قبلها اذ قبلها وعلى الفلك تحملون فذكر قصة من صنع الفلك أولا وانه كان سبب نجاة من آمن وهلاك من لم يكن فيه الفلك من نعمة الله كل هذه القصص يحذر بها قريشا نقم الله ويذكرهم نعمه ﴿مالكم من اله غيره﴾ جملة مستأنفة منبهة على أن يفرد بالعبادة من كان منفردا بالالهية فكأنها تعليل لقوله اعبدوا الله أفلا تتقون أي أفلا تخافون عقوبته اذا عبدتم غيره فقال الملأ أي كبراء الناس وعظماؤهم وهم الذين هم أعصى الناس وأبعدهم لقبول الخير ﴿ماهذا الا بشر مثلكم﴾ أي مساويكم في البشرية ﴿فأنى تكون له اختصاص بالرسالة﴾ ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله وتكون لكما الكبرياء في الارض ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ هذا يدل على انهم كانوا مقرين بالملائكة وهذه شنشنة قريش ودأبها في استبعاد ارسال الله البشر والاشارة في هذا تحتمل ان تكون لنوح عليه السلام وان تكون الى ما كلمهم به من الامر بعبادة الله ورفض أصنامهم وأن يكون الى ما آتى به من أنه رسول الله وهو بشر وأعجب بضلال هؤلاء استبعدوا رسالة البشر واعتقدوا الهية الحجر ﴿وقولهم ماسمعنا بهذا الظاهر انهم كانوا مباهتين والافنبوة ادريس وآدم لم تكن المدة بينها وبينهم متطاولة بحيث تنسى فدافعوا الحق بما أمكنهم دفاعه ولهذا قالوا ان هو الا رجل به جنة ومعلوم عندهم انه ليس بمجنون ﴿فتربصوا به﴾ أي انتظروا حاله حتى يجلي أمره وعاقبة خبره فدعا ربه تعالى بأن ينصره ويظفره بهم بسبب ما كذبوه ﴿ وقال الزمخشري بدل ما كذبون كما تقول هذا بذاك أي بدل ذاك ومكانه والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم أو انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم انتهى ﴿ وقرأ أبو جعفر وابن محيصن قال رب بضم الباء وتقدم توجيهه في قوله قل رب احكم بضم الباء وتقدم الكلام على أكثر تفسير ألفاظ هذه الآية في سورة هود ونهاه تعالى ان يخاطبه في قومه بدعاء بنجاة أو غيره وبين علة النهي بأنه تعالى قد حكم عليهم بالاغراق وأمره تعالى بأن يحمده على نجاته وهلاكهم وكان الامر له وحده وان كان الشرط قد شمله ومن معه لأنه نبيهم وامامهم وهم متبعوه في ذلك إذ هو قدوتهم قال مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوّة واظهار كبرياء الربوبية وأن رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك أو نبي انتهى ثم أمره أن يدعوه بأنه ينزله منزلا مباركا ﴿ قيل وقال ذلك عند الركوب في السفينة ﴿ وقيل عند الخروج منها ﴿ وقرأ الجمهور منزلا بضم الميم وفتح الزاي لجاز أن يكون مصدرا ومكانا أي انزالا أو موضع انزال ﴿ وقرأ أبو بكر والمفضل وأبو حيوة وابن أبي عبلة وأبان بفتح الميم وكسر الزاي أي مكان نزول ﴿ان في ذلك خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أي ان في ماجرى على هذه أمة نوح لدلائل وعبرا وان كنا المبتلين أي لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو لمختبرين بهذه الآيات عبادنا ليعتبروا كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم

تحقيق للبشرية وحكم بالتساوى بينه وبينهم وأن لا مزية له عليهم والظاهر أن ما موصولة فى قوله مما تشربون وأن العائد محذوف تقديره مما تشربون منه فحذف منه لوجود من الداخلة على الموصول قال الزمخشرى اذن واقع فى جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم أى تخسرون عقولكم وتغبنون فى آرائكم انتهى ليس اذن واقعا فى جزاء الشرط بل واقعا بين انكم والخبر وانكم والخبر ليس جزاء للشرط بل ذلك جملة جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة ولو كانت انكم والخبر جوابا للشرط لزمت الفاء فى أنكم بل لو كانت بالفاء فى تركيب غير القرآن لم يكن ذلك التركيب جائزا الا عند الفراء والبصريون لا يجيزونه وهو عندهم خطأ واختلف المعربون فى تخريج انكم الثانية فالمنقول عن سيبويه أن انكم بدل من الاولى وفيها معنى التأكيد وخبر انكم الاولى محذوفة لدلالة خبر الثانية عليه تقديره أنكم تبعثون اذا متم (٤٠٣) وهذا الخبر المحذوف هو العامل فى اذا و ﴿هيهات﴾

انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ﴾ ذكر هذه القصة عقيب قصة نوح يظهر ان هؤلاء هم قوم هود والرسول هو هود عليه السلام وهو قول الاكثرين * وقال أبو سليمان الدمشقى والطبرى هم ثمود والرسول صالح عليه السلام هلكوا بالصيحة وفى آخر القصة فأخذتهم الصيحة ولم يأت ان قوم هود هلكوا بالصيحة وقصة قوم هود جاءت فى الاعراف وفى هود وفى الشعراء بإثر قصة قوم نوح وقال تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح والاصل فى أرسل أن يتعدى بالى كأخواته وجه وأنفذ وبعث وهنا عدى بفى جعلت الامة موضعا للارسال كما قال رؤبة * أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام * وجاء بعث كذلك فى قوله ويوم نبعث فى كل أمة ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا وان فى أن اعبدوا الله يجوز أن تكون مفسرة وان تكون مصدرية وجاء هنا وقال الملأ بالواو وفى الاعراف وسورة هود فى قصته بغير واو وقصد فى الواو العطف على ما قاله أى اجتمع قوله الذى هو حق وقولهم الذى هو باطل كأنه اخبار بتباين الحالين والتى بغير واو وقصد به الاستئناف وكأنه جواب لسؤال مقدر أى فما كان قولهم له قال قالوا كيت وكيت * بلقاء الآخرة أى بلقاء الجزاء من الثواب والعقاب فيها * وأترفناهم أى بسطنا لهم الآمال والارزاق ونعمناهم واحتملت هذه الجملة أن تكون معطوفة على صلة الذين وكان العطف مشعرا بغلبة التكذيب والكفر أى الحامل لهم على ذلك كوننا نعمناهم وأحسنا اليهم وكان ينبغى أن يكون الامر بخلاف ذلك وان يقابلوا نعمتنا بالايمان وتصديق من أرسلناه اليهم وان تكون جملة حالية أى وقد أترفناهم أى كذبوا فى هذه الحال ويؤول هذا المعنى الى المعنى الأول أى كذبوا فى حال الاحسان اليهم وكان ينبغى أن لا يكفروا وان يشكروا النعمة بالايمان والتصديق لرسلى وقوله يأكل مما تأكلون منه تحقيق للبشرية وحكم بالتساوى بينه وبينهم وان لا

اسم فعل لا يتعدى برفع الفاعل ظاهرا أو مضمرا مثال رفع الظاهر قول الشاعر

فهيهات هيهات العقيق واهله
وهيهات خل بالعقيق نواصله

ومثال المضمر قوله فى هذه الآية هيهات هو أى اخراجكم وفى هيهات لغات قال الزمخشرى فمن نونه نزله منزلة المصدر الى آخره انتهى ليس هذا بواضح لانهم قد نونوا أسماء الافعال ولا نقول انها اذا نونت تنزلت منزلة المصدر * قال ابن عطية طورا تلى الفاعل دون لام تقول هيهات مجئ زيد أى بعد وأحيانا يكون الفاعل محذوفا وذلك عند اللام كهذه الآية التقدير بعد الوجود لما توعدون انتهى هذا ليس بجيد لان فيه حذف الفاعل وفيه أنه مصدر حذف وأبقى معموله ولا يجيز البصريون شيئا من هذا وقالوا ان هى إن نافية وهى مبتدأ معناه ان الحياة الا حياتنا الخبر ففسر الضمير بسياق المعنى * افترى نسبوه الى افتراء الكذب على الله تعالى فى أنه نبأه وأرسله الينا وأخبره انا نبعث * ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ أى بمصدقين والضمير فى قال عائد على الرب ﴿عما قليل﴾ ما زائدة للتوكيد وقليل نعت لمنعوت محذوف تقديره عن زمان قليل وعن تحتمل وجهين أحدهما أن تتعلق بفعل محذوف تقديره عما قليل أنصرك والثانى أن يكون متعلقا بيصبحن وفيه دليل على أن ما بعد اللام المتلقى به القسم يجوز أن يتقدم على اللام تقول والله لأضربن زيدا فيجوز تقديم المفعول على اللام فيقول والله زيدا لأضربن ونادمين خبر ليصبحن والصيحة تقدم الكلام عليها وشبههم فى هلاكهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسود من الورق والعيدان * وانتصب بعدا بفعل متروك اظهاره أى بعدوا بعدا أى هلكوا هلاكا والقوم الظالمون بيان لمن دعا عليه بالبعد

مزية له عليهم والظاهر ان ما موصولة فى قوله مما تشربون وان العائد محذوف تقديره مما تشربون منه لوجود شرائط الحذف وهو اتحاد المتعلق والمتعلق كقوله مررت بالذى مررت وحسن هذا الحذف ورجحه كون تشربون فاصلة ولدلالة منه عليه فى قوله مما تأكلون منه وفى التحرير وزعم الفراء أن معنى قوله ويشرب مما تشربون على حذف أى مما تشربون منه وهذا لا يجوز عند البصريين ولا يحتاج الى حذف ألبتة لأن ما اذا كانت مصدر لم تحتج الى عائد فان جعلتها بمعنى الذى حذفت المفعول ولم تحتج الى اضمار من انتهى يعنى انه يصير التقدير مما تشربونه فيكون المحذوف ضميرا متصلا وشروط جواز الحذف فيه موجودة وهذا تخريج على قاعدة البصريين الا أنه يفوت فصاحة معادلة التركيب ألا ترى انه قال مما تأكلون منه فعداه بمن التبعيضية فالمعادلة تقتضى أن يكون التقدير مما تشربون منه فلو كان التركيب مما تأكلونه لكان تقدير تشربونه هو الراجح * وقال الزمخشرى حذف الضمير والمعنى من مشروبكم أو حذف منه لدلالة ما قبله عليه انتهى فقوله حذف الضمير معناه مما تشربونه وفسره بقوله مشروبكم لأن الذى تشربونه هو مشروبكم * وقال الزمخشرى اذا واقع فى جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم أى تخسرون عقولكم وتغبنون فى آرائكم انتهى وليس اذا واقعا فى جزاء الشرط بل واقعا بين انكم والخبر وانكم والخبر ليس جزاء للشرط بل ذلك جملة جواب القسم المحذوف قبل ان الموطئة ولو كانت انكم والخبر جوابا للشرط للزمت الفاء فى انكم بل لو كان بالفاء فى تركيب غير القرآن لم يكن ذلك التركيب جائزا الا عند الفراء والبصريون لا يجيزونه وهو عندهم خطأ واختلف المعربون فى تخريج انكم الثانية والمنقول عن سيبويه ان انكم بدل من الأولى وفيها معنى التأكيد وخبر انكم الأولى محذوف لدلالة خبر الثانية عليه تقديره انكم تبعثون اذا متم وهذا الخبر المحذوف هو العامل فى اذا وذهب الفراء والجرمى والمبرد الى ان انكم الثانية كررت للتأكيد لما طال الكلام حسن التكرار وعلى هذا يكون مخرجون خبر انكم الأولى والعامل فى اذا هو هذا الخبر وكان المبرد يأبى البدل لكونه من غير مستقبل إذ لم يذكر خبر ان الأولى وذهب الاخفش الى أن انكم مخرجون مقدر بمصدر مرفوع بفعل محذوف تقديره يحدث اخراجكم فعلى هذا التقدير يجوز أن تكون الجملة الشرطية خبرا لأنكم ويكون جواب اذا ذلك الفعل المحذوف ويجوز أن يكون ذلك الفعل المحذوف هو خبر انكم ويكون عاملا فى اذا وذكر الزمخشرى قول المبرد بادئا به فقال ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الأول والثانى بالظرف ومخرجون خبر عن الاول وهذا قول المبرد * قال الزمخشرى أو جعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم أخبر بالجملة عن انكم انتهى وهذا تخريج سهل لا تكلف فيه * قال أو رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم انتهى وهذا قول الاخفش الا أنه حتم أن تكون الجملة الشرطية خبرا عن انكم ونحن جوزنا فى قول الاخفش هذا الوجه وأن يكون خبر انكم ذلك الفعل المحذوف وهو العامل فى اذا وفى قراءة عبد الله أيعدكم اذا متم باسقاط انكم الاولى * وقرأ الجمهور هيهات هيهات بفتح التاءين وهى لغة الحجاز * وقرأ هرون عن أبى عمرو بفتحهما منونتين ونسبها ابن عطية لخالد بن إلياس * وقرأ أبو حيوة بضمهما من غير تنوين وعنه وعن الاحمر بالضم والتنوين وافقه أبو السماك فى الاول وخالفه فى الثانى * وقرأ أبو جعفر وشيبة بكسرهما من غير تنوين وروى هذا عن عيسى وهى فى تميم وأسد وعنه أيضا وعن خالد بن الياس بكسرهما

والتنوين * وقرأ خارجة بن مصعب عن أبي عمرو والاعرج وعيسى أيضا باسكانهما وهذه الكلمة تلاعبت بها العرب تلاعبا كبيرا بالحذف والابدال والتنوين وغيره وقد ذكرنا في التكميل لشرح التسهيل ماينيف على أربعين لغة فالذى اختاره انها اذا نونت وكسرت أو كسرت ولم تنون لاتكون جمعا لهيهات ومذهب سيبويه انها جمع لهيهات وكان حقها عنده أن تكون هيهات الآن ضعفها لم يقتض إظهار الياء قال سيبويه هي مثل بيضات يعني في انها جمع فظن بعض النحاة أنه أراد في اتفاق المفرد * فقال واحد هيهات هيهة وتحرير هذا كله مذكور في علم النحو ولا تستعمل هذه الكلمة غالبا الا مكررة وجاءت غير مكررة في قول جرير * وهيهات خل بالعقيق نواصله * * وقول رؤبة * هيهات من متخرق هيهاؤه * وهيهات اسم فعل لايتعدى يرفع الفاعل ظاهرا أو مضمرا وهنا جاء التركيب هيهات هيهات لما توعدون لم يظهر الفاعل فوجب أن يعتقد اضمار تقديره هو أي اخراجكم وجاءت اللام للبيان أي أعني لما توعدون كهي بعد بعد سقيا لك فتتعلق بمحذوف وبنيت المستبعد ماهو بعد اسم الفعل الدال على البعد كما جاءت في هيت لك لبيان المهيت به * وقال الزجاج البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون وينبغي أن يجعل كلامه تفسير معنى لاتفسير اعراب لانه لم تثبت مصدرية هيهات وقول الزمخشري فمن نونه نزله منزلة المصدر ليس بواضح لأنهم قد نونوا أسماء الافعال ولانقول انها اذا نونت تنزلت منزلة المصدر * وقال ابن عطية طورا تلى الفاعل دون لام تقول هيهات مجيء زيد أي بعد وأحيانا يكون الفاعل محذوفا وذلك عند اللام كهذه الآية التقدير بعد الوجود لما توعدون انتهى وهذا ليس بجيد لان فيه حذف الفاعل وفيه أنه مصدر حذف وأبقى معموله ولا يجيز البصريون شيأ من هذا * وقال ابن عطية أيضا في قراءة من ضم ونون انه اسم معرب مستقل وخبره لما توعدون أي البعد لوعدكم كما تقول النجح لسعيك * وقال صاحب اللوامح فأما من قال هيهات فرفع ونون احتمل أن يكونا اسمين متمكنين مرتفعين بالابتداء ومابعدهما خبرهما من حروف الجر بمعنى البعد * لما توعدون والتكرار للتأكيد ويجوز أن يكونا اسمين للفعل والضم للبناء مثل حوب في زجر الابل لكنه نون لكونه نكرة انتهى * وقرأ ابن أبي عبلة هيهات هيهات ما توعدون بغير لام وتكون ما فاعلة بهيهات وهي قراءة واضحة وقالوا ان هي هذا الضمير يفسره سياق الكلام لانهم قبل أنكروا المعاد فقالوا أيعدكم انكم الآية فاستفهموا استفهام استبعاد وتوقيف واستهزاء فتضمن أن لاحياة الا حياتهم * وقال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم مايعنى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها و يبينها ومنه هي النفس تتحمل ماحملت وهي العرب تقول ماشاءت والمعنى لاحياة الا هذه الحياة الدنيا لان ان الثانية دخلت على هي التي هي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت مابعدها نفي الجنس * نموت ونحيا أي يموت بعض و يولد بعض ينقرض قرن و يأتي قرن انتهى ثم أكدوا ماحصروه من أن لاحياة الا حياتهم وحرموا بانتفاء بعثهم من قبورهم للجزاء وهذا هو كفر الدهرية ثم نسبوه الى افتراء الكذب على الله في أنه نبأه وأرسله الينا وأخبره أنا نبعث * ومانحن له بمؤمنين أي بمصدقين ولما أيس من ايمانهم ورأى اصرارهم على الكفر دعا عليهم وطلب عقوبتهم على تكذيبهم قال عما قليل أي عن زمن قليل وما توكيد للقلة وقليل صفة لزمن محذوف وفي معناه قريب * قيل أي بعد الموت تصيرون نادمين * وقيل عما قليل أي وقت نزول العذاب في الدنيا ظهور علاماته والندامة على ترك قبول ماجاءهم به رسولهم حيث لاينفع

(الدر)

اللام كهذه الآية التقدير بعد الوجود لما توعدون (ح) هذا ليس بجيد لان فيه حذف الفاعل وفيه انه مصدر حذف وأبقى معموله ولا يجيز البصريون شيأ من هذا

﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين﴾ قال ابن عباس هم بنو اسرائيل ﴿ما تسبق﴾ الى آخر الآية تقدم الكلام عليه في الحجر ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ أي لأمم آخرين أنشأناهم بعد أولئك والتاء الأولى في تترى بدل من الواو وأصله وترى كما أبدلوا التاء من الواو في تخمة أصله وخمة ووزن الكلمة فعلى فقرئ منونا فتكون الألف فيه للالحاق كهي في أرطا منونا وقرئ بغير تنوين فتكون الألف للتأنيث اللازمة كهي في أرطى في لغة من لم ينون وانتصب على الحال أي متواترين واحدا بعد واحد وأضاف الرسل اليه تعالى وأضاف رسولا الى ضمير الأمة المرسل اليها لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه فالاول كانت الاضافة تشريف الرسل والثاني كانت الاضافة الى الأمة حيث كذبته فلم ينجح فيهم ارساله اليهم فناسب الاضافة اليهم ﴿فأتبعنا بعضهم بعضا﴾ في الهلاك الناشئ عن التكذيب ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ الظاهر أنه جمع أحدوثة وهو ما يتحدث به الناس على جهة الغرابة والتعجب قال الزمخشري الاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع وانما ذكره أصحابنا فيما شذ من الجموع كقطيع وأقاطيع واذا كان عباديد قد حكموا عليه بانه جمع تكسير لا اسم جمع وهو لم يلفظ له بواحد فأحرى أحاديث وقد لفظ له بواحد وهو حديث فالصحيح أنه جمع تكسير لما ذكرنا ﴿بآياتنا﴾ قال ابن عباس هي التسع ﴿والسلطان المبين﴾ قيل هي العصا واليد وعما اللتان اقترن بهما التحدي ﴿قوما عالين﴾ أي رفيعي الحال في الدنيا ﴿وقومهما﴾ أي بنو اسرائيل ﴿لنا عابدون﴾ أي خاضعون متذللون ﴿موسى الكتاب﴾ أي قوم موسى والكتاب التوراة ولذلك عاد الضمير على ذلك المحذوف في قولهم لعلهم ولا يصح عود هذا الضمير في لعلهم على فرعون وقومه لأن الكتاب لم يؤته موسى الا بعد هلاك فرعون لقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى ﴿لعلهم يهتدون﴾ ترج بالنسبة اليهم يهتدون بشرائعها ومواعظها ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه﴾ أي قصتهما وهي آية عظمى بمجموعهما وهي آيات مع التفصيل ﴿والربوة هنا﴾ قال ابن عباس الغوطة بدمشق وصفها أنها ذات قرار ومعين على الكمال

الرجوع واللام في ليصبحن لام القسم وعما قليل متعلق بما بعد اللام اما بيصبحن واما بنادمين وجاز ذلك لانه جار ومجرور ويتسامح في المجرورات والظروف ما لا يتسامح في غيرها ألا ترى أنه لو كان مفعولا به لم يجز تقديمه لو قلت لأضربن زيدا لم يجز زيدا لأضربن وهذا الذي قررناه من أن عما قليل يتعلق بما بعد لام القسم هو قول بعض أصحابنا وجمهورهم على أن لام القسم لا يتقدم شئ من معمولات ما بعدها عليها سواء كان ظرفا أو مجرورا أو غيرهما فعلى قول هؤلاء يكون عما قليل يتعلق بمحذوف يدل عليه ما قبله تقديره عما قليل تنصر لان قبله قال رب انصرني وذهب الفراء وأبو عبيدة الى جواز تقديم معمول ما بعد هذه اللام عليها مطلقا وفي اللوامح عن بعضهم لتصبحن بتاء على المخاطبة فلو ذهب ذاهب الى أن يصير القول من الرسول الى الكفار بعد ما أجيب دعاؤه لكان جائزا والله أعلم انتهى ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ قال الزمخشري صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم ﴿بالحق﴾ بالوجوب لأنهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه شبههم بالغثاء في دمارهم وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان انتهى ﴿ وعن ابن عباس الصيحة الرجفة ﴿ وقيل هي نفس العذاب والموت ﴿ وقيل العذاب المصطلم ﴿ قال الشاعر

صاح الزمان بآل زيد صيحة ﴿ خروا لشدتها على الاذقان

﴿ وقال المفضل بالحق بما لا مدفع له كقولك وجاءت سكرة الموت بالحق ﴿ وانتصب بعدا بفعل متروك اظهاره أي بعدوا بعدا أي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا ﴿ وقال الحوفي للقوم متعلق ببعدا ﴿ وقال الزمخشري وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون انتهى فلا تتعلق ببعدا بل بمحذوف ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما

﴿وان هذه أمتكم﴾ تقدم تفسيرها في الأنبياء ويدل على أن النداء للرسل نودي كل واحد منهم في زمانه بقوله وان هذه أمتكم وقوله فتقطعوا وجاء هنا فاتقون وهي أبلغ في التخويف والتحذير من قوله في الأنبياء فاعبدون لان هذه جاءت عقب اهلاك طوائف كثيرين من قوم نوح والأمم الذين من بعدهم وفي الانبياء وان تقدمت أيضا قصة نوح وماقبلها فانه جاء بعدها مايدل على الاحسان واللطف التام في قصة أيوب ويونس وزكريا ومريم فناسب الأمر بالعبادة لمن هذه صفته تعالى وجاء هنا فتقطعوا بالفاء ايذانا أن التقطيع اعتقب الأمر بالتقوى وذلك مبالغة في عدم قبولهم ونفارهم عن توحيد الله وعبادته وجاء في الانبياء بالواو فاحتمل معنى الفاء واحتمل تأخر تقطعهم عن الأمر بالعبادة وفرح كل حزب بما لديه دليل على تعمقه في ضلاله وأنه هو الذي ينبغي أن يعتقد وكانه لاريب عنده في أنه الحق ﴿غمرتهم﴾ هذا وعيد لهم حيث تقطعوا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقائل هو شاعر وقائل ساحر وقائل به جنة كما تقطع من قبلهم من الأمم والغمرة الماء الذي يغمر القامة فضرب مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم ﴿حتى حين﴾ ينزل بهم الموت وما في قوله انما موصولة بمعنى الذي وهي اسم أن وصلتها نمدهم والضمير في به عائد على ما الموصولة و ﴿من مال وبنين﴾ تبيين وتوضيح لما انبهم في ما الموصولة وخبر ان قوله ﴿نسارع لهم في الخيرات﴾ والمعنى نسارع لهم به وحذف لطول الكلام ودلالة به الاول عليه

تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون﴾ قرونا* قال ابن عباس هم بنو اسرائيل * وقيل قصة لوط وشعيب وأيوب ويونس صلوات الله عليهم * ماتسبق الى آخر الآية تقدم الكلام عليها في الحجر *ثم أرسلنا رسلنا تترى أي لأمم آخرين أنشأناهم بعد أولئك * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وقتادة وأبو جعفر وشيبة وابن محيصن والشافعي تترى منونا وباقي السبعة بغير تنوين وانتصب على الحال أي متواترين واحدا بعد واحد وأضاف الرسل اليه تعالى وأضاف رسولا الى ضمير الامة المرسل اليها لأن الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه فالاول كانت الاضافة لتشريف الرسل والثاني كانت الاضافة الى الامة حيث كذبته ولم ينجع فيهم ارساله اليهم فناسب الاضافة اليهم * فأتبعنا بعضهم بعضا أي بعض القرون أو بعض الامم بعضا في الاهلاك الناشئ عن التكذيب * وأحاديث جمع حديث وهو جمع شاذ وجمع أحدوثة وهو جمع قياسي والظاهر ان المراد الثاني أي صاروا يتحدث بهم وبحالهم في الاهلاك على سبيل التعجب والاعتبار وضرب المثل بهم * وقال الاخفش لايقال هذا الا في الشر ولايقال في الخير *قيل ويجوز أن يكون جمع حديث والمعنى أنه لم يبق منهم عين ولا أثر الا الحديث عنهم * وقال الزمخشري الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وأفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع وانما ذكره اصحابنا فيما شذ من الجموع كقطيع وأقاطيع واذا كان عباديد قد حكموا عليه بأنه جمع تكسير وهو لم يلفظ له بواحد فأحرى أحاديث وقد لفظ له وهو حديث فالصحيح أنه جمع تكسير لا اسم جمع لما ذكرناه * بآياتنا * قال ابن عباس هي التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والسنون ونقص من الثمرات *وسلطان مبين *قيل هي العصا واليد وهما اللتان اقترن بهما التحدي ويدخل في عموم اللفظ سائر آياتهما كالبحر والمرسلات الست وأما غير ذلك مما جرى بعد الخروج من البحر فليست تلك لفرعون بل هي خاصة ببني اسرائيل * وقال الحسن بآياتنا أي بديننا * وسلطان مبين هو المعجز ويجوز أن يراد بالآيات نفس المعجزات وبسلطان مبين كيفية دلالتها لانها وان شاركت آيات الانبياء فقد فارقتها في قوة دلالتها على قول موسى عليه السلام *قيل ويجوز أن يراد بالسلطان المبين العصا لانها كانت أم آيات موسى وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بالضرب بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كانها ليست بعض الآيات لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله وجبريل وميكال ويجوز أن يراد بسلطان مبين

(الدر) (ش) الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ح) أفاعيل ليس من ابنية اسم الجمع وانما ذكره أصحابنا في ماشذ من الجموع كقطيع وأقاطيع واذا كان عباديد قد حكموا عليه بأنه جمع تكسير وهو لم يلفظ له بواحد فأحرى أحاديث وقد لفظ له وهو حديث فالصحيح انه جمع تكسير لا اسم جمع لما ذكرناه.

الآيات أنفسها أي هي آيات وحجة بينة فاستكبروا عن الايمان بموسى وأخيه نفة * قوعالين أي رفيعي الحال في الدنيا أي متطاولين على الناس قاهرين بالظلم أو متكبرين كقوله ان فرعون علا في الارض أي وكان من شأنهم التكبر * والبشر يطلق على المفرد والجمع كقوله فاماترين من البشر أحدا وإنما أطلق على الواحد جازت تثنيته فلذلك جاء لبشرين * ومثل يوصف به المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولا يؤنث وقد يطابق تثنية وجمعا * وقومهما أي بنو اسرائيل لنا عابدون أي خاضعون متذللون أولانه كان يدعي الالهية فادعى الناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة * وقال أبو عبيد العرب تسمي كل من دان للملك عابدا ولما كان ذلك الاهلاك كالمعلول للتكذيب أعقبه بالفاء أي فكانوا ممن حكم عليهم بالغرق اذلم يحصل الغرق عقيب التكذيب * موسى الكتاب أي قوم موسى والكتاب التوراة ولذلك عاد الضمير على ذلك المحذوف في قوله لعلهم ولا يصح عود هذا الضمير في لعلهم على فرعون وقومه لان الكتاب لم يؤته موسى الا بعد هلاك فرعون لقوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى * لعلهم ترج بالنسبة اليهم لعلهم يهتدون لشرائعها ومواعظها * وجعلنا ابن مريم وأمه أي قصتهما وهي آية عظمى بمجموعها وهي آيات مع التفصيل ويحتمل أن يكون حذف من الاول آية لدلالة الثاني أي وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية * والربوة هنا * قال ابن عباس وابن المسيب الغوطة بدمشق وصفتها أنها ذات قرار ومعين على الكمال * وقال أبو هريرة رملة فلسطين * وقال قتادة وكعب بيت المقدس وزعم أن في التوراة ان بيت المقدس أقرب الارض الى السماء وأنه يزيد على أعلى الارض ثمانية عشر ميلا * وقال ابن زيد ووهب الربوة بأرض مصر وسبب هذا الايواء أن ملك ذلك الزمان عزم على قتل عيسى ففرت به أمه الى أحد هذه الاماكن التي ذكرها المفسرون * وقرأ الجمهور ربوة بضم الراء وهي لغة قريش والحسن وأبو عبد الرحمن وعاصم وابن عامر بفتحها وأبو اسحاق السبيعي بكسرها وابن أبي اسحاق رباوة بضم الراء وبالالف وزيد بن علي والاشهب العقيلي والفرزدق والسلمي في نقل صاحب اللوامح بفتحها وبالالف * وقرئ بكسرها وبالالف * ذات قرار أي مستوية يمكن القرار فيها للحرث والغراسة والمعنى أنها من البقاع الطيبة * وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني أنها لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ونداء الرسل وخطابهم بمعنى نداء كل واحد وخطابه في زمانه اذلم يجتمعوا في زمان واحد فينادون ويخاطبون فيه وانما أتى بصورة الجمع ليعتقد السامع ان أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يوخذ به ويعمل عليه * وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء بلفظ الجمع لقيامه مقام الرسل * وقيل ليفهم بذلك أن هذه طريقة كل رسول كما تقول تخاطب تاجرا يا تجار اتقوا الربا * وقال الطبري الخطاب لعيسى وروى أنه كان يأكل من غزل أمه والمشهور من بقل البرية * وقال الزمخشري ويجوز أن يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي آويناهما وقلنا لهما هذا الذي أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا وكلا مما رزقنا كما واعملا صالحا اقتداء بالرسل والطيبات الحلال لذيذا كان أو غير لذيذ * وقيل ما يستطاب ويستلذ من المأكل والفواكه ويشهد له ذات قرار ومعين وقدم الاكل من الطيبات على العمل الصالح دلالة على أنه لا يكون صالحا الا مسبوقا بأكل الحلال * اني بما تعملون عليم تحذير في الظاهر والمراد اتباعهم وان هذه أمتكم الآية تقدم تفسير مثلها في أواخر الانبياء * وقرأ الكوفيون وان بكسر الهمزة والتشديد على الاستئناف والحرميان وأبو عمرو بالفتح والتشديد أي

ولأن وابن عامر بالفتح والتخفيف وهي المخففة من الثقيلة ويدل على أن النداء للرسل نودي كل واحد منهم في زمانه قوله وان هذه أمتكم وقوله فتقطعوا وجاء هنا وأنا ربكم فاتقون وهو أبلغ في التخويف والتحذير من قوله في الانبياء فاعبدون لان هذه جاءت عقيب اهلاك طوائف كثيرين من قوم نوح والامم الذين من بعدهم وفي الانبياء وان تقدمت أيضا قصة نوح وماقبلها فانه جاء بعدها مايدل على الاحسان واللطف التام في قصة أيوب ويونس وزكريا ومريم فناسب الامر بالعبادة لمن هذه صفته تعالى وجاء هنا فتقطعوا بالفاء ايذانا بأن التقطيع اعتقب الامر بالتقوى وذلك مبالغة في عدم قبولهم وفي نفارهم عن توحيد الله وعبادته وجاء في الانبياء بالواو فاحتمل معنى الفاء واحتمل تأخر تقطعهم عن الامر بالعبادة وفرح كل حزب بما لديه دليل على نعمته في ضلاله وأنه هو الذي ينبغي أن يعتقد وكأنه لاريبة عنده في أنه الحق ولما ذكر تعالى من ذكر من الامم وما آل أمرهم من الاهلاك حين كذبوا الرسل كان ذلك مثالا لقريش فخاطب رسوله في شأنهم بقوله فذرهم في غمرتهم حتى حين وهذا وعيد لهم حيث تقطعوا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقائل هو شاعر وقائل ساحر وقائل به جنة كما تقطع من قبلهم من الأمم كما قال أتواصوا به بل هم قوم طاغون * قال الكلبي في غمرتهم في جهالتهم * وقال ابن بحر في حيرتهم * وقال ابن سلام في غفلتهم * وقيل في ضلالتهم حتى حين حتى ينزل بهم الموت * وقيل حتى يأتي ماوعدوا به من العذاب * وقيل هو يوم بدر * وقيل هي منسوخة بآية السيف * وقرأ الجمهور في غمرتهم وعلي بن أبي طالب وأبو حيوة والسلمي في غمراتهم على الجمع لان لكل واحد غمرة وعلى قراءة الجمهور فغمرة تعم اذا أضيفت الى عام * وقال الزمخشري الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال الشاعر

* كأني ضارب في غمرة لعب * سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخره انتهى ثم وقفهم تعالى على خطأ رأيهم في أن نعمة الله عليهم بالمال ونحوه انما هي لرضاه عن حالهم وبين تعالى أن ذلك انما هو املاء واستدراج الى المعاصي واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالاحسان * وقرأ ابن وثاب انما نمدهم بكسر الهمزة * وقرأ ابن كثير في رواية يمدهم بالياء وما في انما اما بمعنى الذي أو مصدرية أو كافة مهيئة ان كانت بمعنى الذي فصلتها امابعدها وخبران هي الجملة من قوله نسارع لهم في الخيرات والرابط لهذه الجملة ضمير محذوف لفهم المعنى تقديره نسارع لهم به في الخيرات وحسن حذفه استطالة الكلام مع أمن اللبس وتقدم نظيره في قوله انما نمدهم به * وقال هشام بن معونة الضرير الرابط هو الظاهر وهو في الخيرات وكان المعنى نسارع لهم فيه ثم أظهر فقال في الخيرات فلا حذف على هذا التقدير وهذا يتمشى على مذهب الأخفش في اجازته نحو زيد قام أبو عبد الله اذا كان أبو عبد الله كنية لزيد فالخيرات من حيث المعنى هي الذي مدوا به من المال والبنين وان كانت ما مصدرية فالمسبوك منها ومما بعدها هو مصدر اسم ان وخبر ان هو نسارع على تقدير مسارعة فيكون الأصل أن نسارع فحذفت أن وارتفع الفعل والتقدير أيحسبون أن امدادنا لهم بالمال والبنين مسارعة لهم في الخيرات وان كانت ما كافة مهيئة فهو مذهب الكسائي فيها هنا فلا تحتاج الى ضمير ولا حذف ويجوز الوقف على بنين كما تقول حسبت انما يقوم زيد وحسبت انك منطلق وجاز ذلك لان مابعد حسبت قد انتظم مسندا ومسندا اليه من حيث المعنى وان كان في مايقدره مفردا لانه

﴿ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك بذكر المؤمنين ووعدهم وذكرهم بأبلغ صفاتهم والاشفاق أبلغ التوقع والخوف ﴿أولئك يسارعون﴾ مبتدأ وخبر والجملة خبر ان و ﴿لا نكلف نفسا﴾ تقدم الكلام عليه في البقرة ﴿ولدينا كتاب﴾ أي كتاب فيه احصاء أعمال الخلق مشيرا الى الصحف التي يقرؤن فيها ما ثبت لهم ﴿بل قلوبهم﴾ أي قلوب الكفار في ضلال قد غمرها كما يغمر الماء ﴿من هذا﴾ أي من هذا العمل الذي وصف به المؤمنون ﴿من دون ذلك﴾ أي من دون الغمرة والضلال المحيط بهم والمعنى أنهم ضالون معرضون عن الحق وهم مع ذلك لهم سعايات فساد فوصفهم الله تعالى بحالتي شر والضمير في اذاهم عائد على مترفيهم واذا الفجائية جواب لاذا الشرطية يجأرون يجزعون عبر عن الصراخ بالجزع اذ الجزع بسببه ﴿انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي﴾ هي آيات القرآن ﴿تنكصون﴾ ترجعون استعارة للاعراض عن الحق والضمير في به عائد على المصدر الدال عليه تنكصون أي بالنكوص والتباعد عن سماع الآيات أو على الآيات لأنها في معنى الكتاب وضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي بالباء أو تكون الباء للسبب أي يحدث لكم بسبب سماعه استكبار وعتو ﴿سامرا﴾ السامر مفرد بمعنى الجمع يقال قوم سامر وسمر ومعناه سمر الليل مأخوذ من السمر وهو ما يقع على الشجر من ضوء القمر وكانوا يجلسون للحديث في ضوء القمر والسمير الرفيق بالليل في السمر ويقال له السمار أيضا ويقال لا أفعله ما سمر ابنا سمير والسمير الدهر وابناه الليل والنهار وكانوا يسمرون حول البيت بذكر القرآن وغيره وقرئ تهجرون بفتح التاء وضم الجيم قال ابن عباس تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه من الهجر وقرئ تهجرون بضم التاء وكسر الجيم مضارع أهجر وهو الفحش وفي قراءة التاء التفات من غيبة الى خطاب وقرئ بالياء فلا التفات

ينسبك من ان وما بعدها مصدر * وقرأ السلمي وعبد الرحمن بن أبي بكرة يسارع بالياء وكسر الراء فان كان فاعل نسارع ضمير يعود على ما بمعنى الذي أو على المصدر المنسبك من ما نمد فنسارع خبر لان ولا ضمير ولا حذف أي يسارع هو أي الذي يمدو يسارع هو أي امدادنا * وعن ابن أبي بكرة المذكور بالياء وفتح الراء مبنيا للمفعول * وقرأ الحر النحوي نسرع بالنون مضارع أسرع * بل لا يشعرون اضراب عن قوله أيحسبون أي بل هم أشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور فيتأملوا ويتفكروا أهو استدراج أم مسارعة في الخير وفيه تهديد ووعيد * ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون * لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك بذكر المؤمنين ووعدهم وذكرهم بأبلغ صفاتهم والاشفاق أبلغ التوقع والخوف ومنهم من حمل الخشية على العذاب والمعنى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبي ومقاتل * ومن خشية متعلق بمشفقون قاله الحوفي * وقال ابن عطية ومن في من خشية هي لبيان جنس الاشفاق والاشفاق انما هو من عذاب الله والآيات تعم القرآن والعبر والمصنوعات التي لله وغير ذلك مما فيه نظر * وفي كل شئ له آية * ثم ذكر نفي الاشراك وهو عبادتهم آلهتهم التي هي الأصنام إذ لكفار قريش أن تقول نحن نؤمن بآيات ربنا ونصدق بانه المخترع الخالق * وقيل ليس المراد منه الايمان بالتوحيد ونفي الشرك لله لان ذلك داخل في قوله والذين هم بآيات ربهم يؤمنون المراد نفي الشرك الخفي وهو أن يخلصوا في العبادة لا يقدم عليها إلا لوجه الله وطلب رضوانه * وقرأ الجمهور يؤتون ما آتوا أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات * وقلوبهم وجلة أي خائفة أن لا يقبل منهم لتقصيرهم انهم أي وجلة لأجل رجوعهم الى الله أي خائفة لأجل ما يتوقعون من لقاء الجزاء * قال ابن عباس وابن جبير هو عام في جميع أعمال البر كأنه قال والذين يفعلون من أنفسهم في طاعة الله ما بلغه جهدهم * وقرأت عائشة وابن عباس وقتادة والاعمش والحسن والنخعي يأتون ما أتوا من الاتيان أي يفعلون ما فعلوا قالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك

يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكنه هو الذي يصلي و يصوم و يتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن
لا يقبل * قيل وجل العارف من طاعته أكثر من مخالفته لان المخالفة تمحوها التوبة والطاعة
تطلب التصحيح * وقال الحسن المؤمن يجمع احسانا وشفقة والمنافق يجمع اساءة وأمنا * وقرأ
الاعمش انهم بالكسر * وقال أبو عبد الله الرازي ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن لان الاولى
دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز والثانية على تحصيل الايمان بالله والثالثة على
ترك الرياء في الطاعة والرابعة على أن المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتي بالطاعات مع خوف من
التقصير وهو نهاية مقامات الصديقين انتهى * أولئك يسارعون جملة في موضع خبر ان * قال ابن
زيد الخيرات المخافة والايمان والكف عن الشرك * قال الزمخشري يسارعون في الخيرات
يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون
في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه
أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها
وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين انتهى * وقرأ
الحر النحوي يسرعون مضارع أسرع يقال أسرعت الى الشئ وسرعت اليه بمعنى واحد وأما
المسارعة فالمسابقة أي يسارعون غيرهم * قال الزجاج يسارعون أبلغ من يسرعون انتهى وجهة
المبالغة أن المفاعلة تكون من اثنين فتقتضي حث النفس على السبق لان من عارضك في شئ
تشتهي أن تغلبه فيه * وهم لها سابقون الظاهر ان الضمير في لها عائد على الخيرات أي سابقون
اليها تقول سبقت لكذا وسبقت الى كذا ومفعول سابقون محذوف أي سابقون الناس وتكون
الجملة تأكيدا للتي قبلها مفيدة تجدد الفعل بقوله يسارعون وثبوته بقوله سابقون * وقيل
اللام للتعليل أي لأجلها سابقون الناس الى رضا الله * وقال الزمخشري لها سابقون أي فاعلون
السبق لأجلها أو سابقون الناس لأجلها انتهى وهذان القولان عندي واحد * قال أيضا أو اياها
سابقون أي ينالوها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا انتهى ولا يدل لفظ لها سابقون على
هذا التفسير لان سبق الشئ الشئ يدل على تقدم السابق على المسبوق فكيف يقال لهم وهم
يسبقون الخيرات هذا لا يصح * وقال أيضا ويجوز أن يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم
لها كمعنى قوله أنت لها انتهى وهذا مروى عن ابن عباس قال المعنى سبقت لهم السعادة في الأزل
فهم لها ورجحه الطبري بأن اللام متمكنة في المعنى انتهى والظاهر القول الأول وباقيها متعسف
وتحميل للفظ غير ظاهره * وقيل الضمير في لها عائد على الجنة * وقيل على الأمم * ولا نكلف نفسا
الا وسعها تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في آخر البقرة ولدينا كتاب ينطق بالحق أي كتاب فيه
احصاء أعمال الخلق يشير الى الصحف التي يقرؤن فيها ما ثبت لهم في اللوح المحفوظ * وقيل القرآن
بل قلوبهم أي قلوب الكفار في ضلال قد غمرها كما يغمر الماء * من هذا أي من هذا العمل الذي
وصف به المؤمنون أو من الكتاب الذي لدينا أو من القرآن والمعنى من اطراح هذا وتركه أو يشير
الى الدين بجملته أو الى محمد صلى الله عليه وسلم أقوال خمسة ولهم أعمال من دون ذلك أي من دون
الغمرة والضلال المحيط بهم فالمعنى انهم ضالون معرضون عن الحق وهم مع ذلك لهم سعايات فساد
وصفهم تعالى بحالتي شر قال هذا المعنى قتادة وأبو العالية وعلى هذا التأويل الاخبار عما سلف من
أعمالهم وعماهم فيه * وقيل الاشارة بذلك الى قوله من هذا وكأنه قال لهم أعمال من دون الحق أو

(الدر)

(ش) لها سابقون
فاعلون السبق لا
أوسابقون الناس لا
(ح) هذان القول
عندي واحد (ش) أو ا
سابقون أي ينالوا
الدنيا قبل الآخرة ح
عجلت لهم في الدنيا (
لا يدل لفظ لها سابق
على هذا التفسير لان س
الشئ الشئ يدل على تق
السابق على المسب
فكيف يقال
يسبقون الخيرات
لا يصح

القرآن ونحوه * وقال الحسن ومجاهد انما أخبر بقوله ولهم أعمال عما يستأنف من أعمالهم أي انهم لهم أعمال من الفساد * وعن ابن عباس أعمال سيئة دون الشرك * وقال الزمخشري ولهم أعمال متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون ولا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب * وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية انتهى * وقيل الضمير في قوله بل قلوبهم يعود الى المؤمنين المشفقين في غمرة من هذا وصف لهم بالحيرة كأنه قال وهم مع ذلك الخوف والوجل كالمتحيرين في أعمالهم أهي مقبولة أم مردودة * ولهم أعمال من دون ذلك أي من النوافل ووجوه البر سوى ما هم عليه ويريد بالاعمال الأول الفرائض وبالثاني النوافل * حتى اذا أخذنا مترفيهم رجوع الى وصف الكفار قاله أبو مسلم * قال أبو عبد الله الرازي وهو أولى لأنه اذا أمكن رد الكلام الى ما اتصل به كان أولى من رده الى ما بعده خصوصا وقد رغب المرء في الخير بأن يذكر ان أعمالهم محفوظة كما يحذر بذلك من الشر وان يوصف بشدة فكرة في أمر آخرته بأن قلبه في غمرة ويراد انه قد استولى عليه الفكر في قبوله أو رده وفي انه هل أداه كما يجب أو قصر (فان قيل) فما المراد بقوله من هذا (قلنا) اشارة الى اشفاقهم ووجلهم بين استيلاء ذلك على قلوبهم انتهى وتقدم قول الزمخشري في حتى انها التي يبتدأ بعدها الكلام وانها غاية لما قبلها وقدر ذلك انهم معتادون لها حتى يأخذهم الله بالعذاب * وقال الحوفي حتى غاية وهي عاطفة اذا ظرف يضاف الى ما بعده فيه معنى الشرط اذا الثانية في موضع جواب الاولى ومعنى الكلام عامل في اذا والتقدير جأر وافيكون جأروا العامل في اذا الاولى والعامل في الثانية أخذنا انتهى وهو كلام مخبط ليس أهلا أن يرد * وقال ابن عطية وحتى حرف ابتداء لاغير واذا واذا الثانية التي هي جواب يمنعان من أن تكون حتى غاية لعاملون انتهى * وقال مكي أي لكفار قريش أعمال من الشر دون أعمال أهل البر لها عاملون الى أن يأخذ الله أهل النعمة والبطر منهم * بالعذاب اذا هم يضجون ويستغيثون والمترفون المنعمون والرؤساء والعذاب القحط سبع سنين والجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد * وقيل العذاب قتلهم يوم بدر * وقيل عذاب الآخرة والظاهر ان الضمير في أذاهم عائد على مترفيهم اذهم المحدث عنهم صاحوا حين نزل بهم العذاب * وقيل يعود على الباقين بعد المعذبين * قال ابن جريج المعذبون قتلى بدر والذين يجأرون أهل مكة لأنهم ناحوا واستغاثوا * لا تجأروا اليوم أي يقال لهم اما حقيقة تقول لهم الملائكة ذلك واما مجازا أي لسان الحال يقول ذلك هذا ان كان الذين يجأرون هم المعذبون وعلى قول ابن جريج ليس القائل الملائكة * وقال قتادة يجأرون يصرخون بالتوبة فلا يقبل منهم * وقال الربيع بن أنس تجأرون تجزعون عبر بالصراخ بالجزع اذا الجزع سببه * انكم منا لا تنصرون أي لا تمنعون من عذابنا أو لا يكون لكم نصر من جهتنا فالجؤار غير نافع لكم ولا مجد * قد كانت آياتي هي آيات القرآن * تنكصون ترجعون استعارة للاعراض عن الحق * وقرأ علي بن أبي طالب تنكصون بضم الكاف والضمير في به عائد على المصدر الدال عليه تنكصون أي بالنكوص والتباعد من سماع الآيات أو على الآيات لأنها في معنى الكتاب وضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى بالباء أو تكون الباء للسبب أي يحدث لكم بسبب سماعه استكبار وعتو والجمهور على ان الضمير في به عائد على الحرم والمسجد وان لم يجر له ذكر وسوغ هذا الاضمار شهرتهم

بالاستكبار بالبيت وانه لم تكن لهم معجزة الا انهم ولاته والقائمون به وذكر منذر بن سعيد ان الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسنه ان في قوله تتلى عليكم دلالة على التالي وهو الرسول عليه السلام وهذه أقوال تتعلق فيها بمستكبرين * وقيل تتعلق بسامرا أي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب من أتى به * وقرأ الجمهور سامرا وابن مسعود وابن عباس وأبو حيوة وابن محيصن وعكرمة والزعفراني ومحبوب عن أبي عمرو سمرا بضم السين وشد الميم مفتوحة جمع سامر وابن عباس أيضا وزيد بن علي وأبو رجاء وأبو نهيك كذلك وبزيادة ألف بين الميم والراء جمع سامر أيضا وهما جمعان مقيسان في مثل سامر * وقرأ الجمهور تهجرون بفتح التاء وضم الجيم * وروى ابن أبي عاصم بالياء على سبيل الالتفات * قال ابن عباس تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه من الهجر * وقال ابن زيد وأبو حاتم من هجر المريض اذا هذى أي يقولون اللغو من القول * وقرأ ابن عباس وابن محيصن ونافع وحميد بضم التاء وكسر الجيم مضارع اهجر أي يقولون الهجر بضم الهاء وهو الفحش * قال ابن عباس اشارة الى السب للصحابة وغيرهم * وقرأ ابن مسعود وابن عباس أيضا وزيد بن علي وعكرمة وأبو نهيك وابن محيصن أيضا وأبو حيوة كذلك الا أنهم فتحوا الهاء وشددوا الجيم وهو تضعيف من هجر ماضي الهجر بالفتح بمعنى مقابل الوصل أو الهذيان أو ماضي الهجر وهو الفحش * وقال ابن جني لو قيل ان المعنى انكم مبالغون في المجاهرة حتى انكم ان كنتم سمرا بالليل فكأنكم تهجرون في الهاجرة على الافتضاح لكان وجها ﴿ أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون ﴾ ذكر تعالى توبيخهم على اعراضهم عن اتباع الحق والقول القرآن الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم أي أفلم يتفكروا فيما جاء به عن الله فيعلموا أنه المعجز الذي لا يمكن معارضته فيصدقوا به وبمن جاء به ووبخهم ووقفهم على تدبره وانهم بمكابرتهم ونظرهم الفاسد قال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وهو أعظم الدلائل الباقية على غابر الدهر قرعهم أولا بترك الانتفاع بالقرآن ثم ثانيا بأن ماجاءهم جاء آباءهم الأولين أي ارسال الرسل ليس بدعا ولا مستغربا بل جاءت الرسل الأمم قبلهم وعرفوا ذلك بالتواتر ونجاة من آمن واستئصال من كذب وآباؤهم اسماعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وروى لاتسبوا مضر ولا ربيعة ولا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مر ولا قسا وذكر انهم كانوا مسلمين وان تبعا كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود

﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ ذكر تعالى توبيخهم على اعراضهم عن اتباع الحق والقول القرآن الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم قرعهم أولا بترك الانتفاع بالقرآن ثم ثانيا بأن ماجاءهم جاء آباءهم الأولين ثم ثالثا بأنهم يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم وصحة نسبه وأمانته وصدقه ثم رابعا نسبوه الى الجن وقد علموا أنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم ﴾ أوقع التناقض باختلاف أهوائهم واضطرابها واختل نظام العالم بذكرهم أي بوعظهم والبيان لهم ﴿ أم تسألهم خرجا ﴾ هذا استفهام توبيخ أيضا المعنى بل أتسألهم مالا فقاقوا الذلك واستثقلوك من أجله وتقدم الكلام على قوله خرجا في آخر الكهف ولما زيف طريقة الكفار أتبع ذلك ببيان صحة ماجاء به الرسول فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام ثم أخبر أن من أنكر المعاد ناكب عن هذا الصراط لأنه لا يسلكه الا من كان راجيا للثواب خائفا من العقاب وهؤلاء غير مصدقين بالجزاء فهم مائلون عنه * من ضر وقيل هو الاسر بالعذاب قيل هو الاسر والقتل ﴿ بابا ذا عذاب شديد ﴾ روى أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة منع الميرة من أهل مكة فأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت الآية ﴿ مبلسون ﴾ أي آيسون من الشر الذي نالهم

و بخهم ثالثا بأنهم يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم وصحة نسبه وحلوله فى سطة هاشم وأمانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بأنه خير فتيان قريش وكفى بخطبة أبى طالب حين تزوج خديجة وانها احتوت على صفات له صلى الله عليه وسلم طرقت آذان قريش فلم تنكر منها شيأ أى قد سبقت معرفتهم له جملة وتفصيلا فلا يمكن انكار شئ من أوصافه ثم وبخهم رابعا بأنهم نسبوه الى الجن وقد علموا أنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا وان الفرق بين الحكمة وفصل الخطاب الذى جاء به و بين كلام ذى الجنة غير خاف على من له مسكة من عقل وهذه التوبيخات الاربع كان يقتضى ما وبخوا به منها أن يكون سببا لانقيادهم الى الحق لأن التدبير لما جاء به والنظر فى سير الماضين وارسال الرسل اليهم ومعرفة الرسول ذاتا وأوصافا و براءته من الجنون هاد لمن وفقه الله للهداية ولكنه جاءهم بما حال بينهم و بين أهوائهم ولم يوافق ما نشؤا عليه من اتباع الباطل ولما لم يجدوا له مدفعا لأنه الحق عاملوا بالبهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر * بل جاءهم بالحق أى بالقرآن المشتمل على التوحيد وما به النجاة فى الآخرة والسودد فى الدنيا * وأكثرهم للحق كارهون يدل على أن فيهم من لا يكره الحق وذلك من يترك الايمان أنفة واستكبارا من توبيخ قومه أن يقولوا صبأ وترك دين آبائه * ولو اتبع الحق أهواءهم * قرأ ابن وثاب ولو اتبع بضم الواو والظاهر انه الحق الذى ذكر قبل فى قولهم بل جاءهم بالحق أى لو كان ما جاء به الرسول من الاسلام والتوحيد متبعا أهواءهم لانقلب شركا و جاء الله بالقيامة وأهلك العالم ولم يؤخر قال معناه الزمخشرى و بعضه بلفظه وقال أيضا دل بهذا على عظم شأن الحق فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام * وقيل لو كان ما جاء به الرسول بحكم هوى هؤلاء من اتخاذ شريك لله وولد وكان ذلك حقا لم يكن لله الصفات العلية ولم تكن له القدرة كما هى وكان فى ذلك فساد السموات والارض * وقيل كانوا يرون الحق فى اتخاذ الآلهة مع الله لكنه لو صح ذلك لوقع الفساد فى السموات والارض على ما قرر فى دليل التمانع فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وقيل كانت آراؤهم متناقضة فلو اتبع الحق أهواءهم لوقع التناقض واختل نظام العالم * وقال قتادة الحق هنا الله تعالى * فقال الزمخشرى معناه ولو كان الله يتبع أهواءهم و يأمر بالشرك والمعاصى لما كان الها ولما قدر على أن يمسك السموات والارض * وقال ابن عطية ومن قال ان الحق فى الآية هو الله تعالى وكان قد حكاه عن ابن جريج وأبى صالح تشعب له لفظة اتبع وصعب عليه ترتيب الفساد المذكور فى الآية لأن لفظة الاتباع انما هى استعارة بمعنى ان يكون أهواؤهم يقررها الحق فنحن نجد الله تعالى قد قرر كفر أمم وأهواءهم وليس فى ذلك فساد سموات وأما نفسه الذى هو الصواب فلو كان طبق أهوائهم لفسد كل شئ فتأمله انتهى * وقرأ الجمهور بنون العظمة وابن أبى اسحاق وعيسى بن عمر و يونس عن أبى عمرو بياء المتكلم وابن أبى اسحاق وعيسى أيضا وأبو البرهسيم وأبو حيوة والجحدرى وابن قطيب وأبو رجاء بتاء الخطاب للرسول عليه السلام وأبو عمرو فى رواية آتيناهم بالمد أى أعطيناهم والجمهور بذكرهم أى بوعظهم والبيان لهم قاله ابن عباس * وقرأ عيسى بذكراهم بألف التأنيث وقتادة نذكرهم بالنون مضارع ذكر ونسبة الاتيان الحقيقى الى الله لا تصح وانما هو مجاز أى بل آتاهم كتابنا أو رسولنا * وقال الزمخشرى بذكرهم أى بالكتاب الذى هو ذكرهم أى وعظهم أو صيتهم وفخرهم أو بالذكر الذى كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين * أم تسألهم خرجا هذا استفهام توبيخ

أيضا المعنى بل أتسألهم مالا فغلبوا الذلك واستثقلوك من أجله قاله ابن عطية وخطب الزمخشري بأحسن كلام فقال أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق والكثير من عطاء الخالق خير فقد ألزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذي أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره علنه خليق بأن يجتبي مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من أدوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر انتهى وتقدم الكلام في قوله خرجا فخراج في قوله تعالى فهل نجعل لك خرجا في الكهف قراءة ومدلولا * وقرأ الحسن وعيسى خراجا فخرج فكملت بهذه القراءة أربع قراآت وفي الحرفين فخراج ربك أي ثوابه لأنه الباقي وما يؤخذ من غيره فان * وقال الكلبي فعطاؤه لأنه يعطى لا لحاجة وغيره يعطي لحاجة * وقيل فرزقه ويؤيده خير الرازقين * قال الجبائي خير الرازقين دل على أنه لا يساويه أحد في الافضال على عباده ودل على أن العباد قد يرزق بعضهم بعضا انتهى وهذا مدلول خير الذي هو أفعل التفضيل ومدلول الرازقين الذي هو جمع أضيف اليه أفعل التفضيل ولما زيف طريقة الكفار أتبع ذلك ببيان صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام ثم أخبر ان من أنكر المعاد ناكب عن هذا الصراط لأنه لا يسلكه الا من كان راجيا للثواب خائفا من العقاب وهؤلاء غير مصدقين بالجزاء فهم مائلون عنه وأبعد من زعم أن الصراط الذي هم ناكبون عنه هو طريق الجنة في الآخرة ومن زعم أن الصراط هو في الآخرة ناكبون عنه بأخذهم يمنة ويسرة الى النار * قال ابن عباس لناكبون لعادلون * وقال الحسن تاركون له * وقال قتادة حائرون * وقال الكلبي معرضون وهذه أقوال متقاربة المعنى * ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر * قيل هو الجوع * وقيل القتل والسبي * وقيل عذاب الآخرة أي بلغوا من التمرد والعناد أنهم لو ردوا الى الدنيا العاد والشدة لجاجهم فيما هم عليه من البعد وهذا القول بعيد بل الظاهر ان هذا التعليق كان يكون في الدنيا ويدل على ذلك قوله ولقد أخذناهم بالعذاب الى آخر الآية استشهد على شدة شكيمتهم في الكفر ولجاجهم على تقدير رحمته لهم بأنه أخذهم بالسيوف أولا وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل فأبلسوا وخضعت رقابهم والظاهر من هذا ان الضمير هو القحط والجوع الذي أصابهم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مروي عن ابن عباس وابن جريج * وسبب نزول الآية دليل على ذلك روي انه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة منع الميرة من أهل مكة فأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي أصابهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين وافراطهم فيها * وقيل المعنى ولو امتحناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رئي فيهم استكانة ولا انقياد حتى اذا عذبوا بنار جهنم أبلسوا كقوله

و يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون فعلى هذا القول يكون الفتح لباب العذاب الشديد فى الآخرة وعلى الأول كان فى الدنيا و وزن استكان استفعل أى انتقل من كون الى كون كما تقول استحال انتقل من حال الى حال وقول من زعم ان استكان افتعل من السكون وان الألف اشباع ضعيف لان الاشباع بابه الشعر كقوله

أعوذ بالله من العقراب * الشائلات عقد الاذناب

ولان الاشباع لا يكون فى تصاريف الكلمة ألا ترى ان من أشبع فى قوله *ومن ذم الزمان بمنتزاح* لاتقول انتزاح ينتزيح فهو منتزيح وأنت تقول استكان يستكين فهو مستكين ومستكان ويجىء مصدره استكانة يدل على أن الفعل وزنه استفعل كاستقام استقامة وتخالف استكانوا ويتضرعون فى الصيغة فلم يكونا ماضيين ولا مضارعين * قال الزمخشرى لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا و يتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد * والمبلس الآيس من الشر الذى ناله * وقرأ السامى مبلسون بفتح اللام ﴿ وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون وهو الذى ذرأكم فى الأرض واليه تحشرون وهو الذى يحيي و يميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ماقال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب إما تريني مايوعدون رب فلا تجعلني فى القوم الظالمين وإنا على أن نريك مانعدهم لقادرون ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾ * الهمز النخس والدفع بيد وغيرها ومنه مهماز الرائض وهمز الناس باللسان * البرزخ الحاجز بين المسافتين * وقيل الحجاب بين الشيئين يمنع أحدهما أن

(الدر)

(ح) استكان استفعل أى انتقل من كون الى كون كما تقول استحال انتقل من حال الى حال وقول من زعم ان استكان افتعل من السكون وان الالف اشباع ضعيف لان الاشباع بابه الشعر كقوله

* أعوذ بالله من العقراب الشائلات عقد الأذناب *

ولأن الاشباع لا يكون فى تصاريف الكلمة ألا ترى ان من أشبع فى قوله

ومن ذم الرجال بمنتزاح لايقول انتزاح ينتزيح فهو منتزيح وأنت تقول استكان يستكين فهو مستكين ومستكان ويجىء مصدره استكانة يدل على ان الفعل وزنه استفعل كاستقام استقامة

﴿وهو الذي أنشأ لكم﴾ الآية تقدم الكلام على نظيرها ﴿ما تشكرون﴾ ما زائدة للتأكيد ﴿بل قالوا﴾ بل اضراب أي ليس لهم عقل ولا نظر في هذه الآيات بل قالوا والضمير لأهل مكة ومن جرى مجراهم في انكار البعث مثل ما قال آباؤهم عاد وثمود ومن يرجعون إليهم من الكفار ﴿قل لمن الارض﴾ لما اتخذوا من دونه آلهة ونسبوا اليه الولد نبههم على فرط جهلهم بكونهم مقرين بانه تعالى له الأرض ومن فيها ملك له وأنه رب العالم العلوي وأنه مالك كل شئ وهم مع ذلك ينسبون إليه الولد ويتخذون له شركاء ﴿سيقولون لله﴾ قوله لله جواب مطابق لقوله لمن الأرض كما تقول لمن الدار فتقول لزيد * الثاني والثالث بلفظ الجلالة مرفوعا وكذا هو في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام وقرئ لله فيهما بلام الجر فالقراءة الاولى فيها المطابقة لفظا ومعنى والثانية جاءت على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا في معنى واحد ولم يختلف في الاول انه باللام وختم كل سؤال بما يناسبه فختم ملك الارض ومن فيها بالتذكر أي أفلا تذكرون فتعلمون أن من له ملك الارض ومن فيها حقيق أن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية وختم ما بعدها بالتقوى وهي أبلغ من التذكر وفيها وعيد شديد أي أفلا تخافونه فلا تشركون به وختم ما بعد هذه بقوله ﴿فأنى تسحرون﴾ مبالغة في التوبيخ بعد اقرارهم والتزامهم ما يقع عليهم به الاحتجاج وأنى بمعنى كيف قرر أنهم مسحورون وسألهم عن الهيئة التي سحروا بها أي كيف تخدعون عن توحيده وطاعته والسحر هنا مستعار وهو تشبيه لما يقع منهم من التخليط ووضع الافعال والاقوال غير مواضعها بما يقع من المسحور عبر عنهم بذلك ﴿وانهم لكاذبون﴾ فيما ينسبون اليه من اتخاذ الولد والشركاء وغير ذلك مما هم فيه كاذبون ثم نفى اتخاذ الولد وهو نفي استحالة ونفي الشريك بقوله وما كان معه من إله أي وما كان معه شريك في خلق العالم واختراعهم ولا في غير ذلك مما يليق به من الصفات العلى فنفي الولد تنبيه على من قال الملائكة بنات الله ونفي الشريك في الالوهية تنبيه على من قال الاصنام آلهة و ﴿من إله﴾ نفي عام يفيد استغراق الجنس ولهذا جاء ﴿إذا لذهب كل إله﴾ ولم يأت التركيب اذا لذهب الاله * ومعنى لذهب أي لانفرد كل إله بخلقه الذي خلق واستبد به وتميز كل ملك واحد عن ملك الآخر وغلب بعضهم بعضا كحال ملوك الدنيا واذا لم يقع الانفراد والتغالب فاعلم أنه إله واحد واذن لم يتقدمها في اللفظ شرط ولا سؤال سائل ولا عدة قالوا فالشرط محذوف تقديره ولو كان معه إله وانما حذفت لدلالة قوله وما كان معه من إله عليه وهذا قول الفراء زعم أنه اذا جاء بعدها اللام كانت لو وما دخلت عليه محذوفة وقد قررنا نحن بجملها على غير هذا في واذا لاتخذوك خليلا في سورة سبحان والظاهر أن ما في خلق بمعنى الذي * وقال الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي في تقرير استحالة وجود إلهين ما نصه لو فرضنا موجودين واجبي الوجود لذاتهما فلابد أن يشتركا في الوجود ولابد أن يمتاز كل واحد منهما عن الآخر بعينه وما به الاشتراك غير ما به الممايزة فيكون كل واحد مشاركا للآخر وكل مركب يفتقر الى آخر ممكن لذاته فاذن واجب الوجود لذاته ممكن الوجود لذاته هذا خلف فاذن ليس واجب الوجود الا واحدا وكل ما عداه محدث انتهى ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ تنزيه عن الولد والشريك

يصل الى الآخر * النسب القرابة من جهة الولادة * اللفح اصابة النار الشئ بوهجها واحراقها * وقال الزجاج اللفح أشد من اللقح تأثيرا * الكلوح تشمر الشفتين عن الاسنان ومنه كلوح كلوح الكلب والأسد * وقيل الكلوح بسور الوجه وهو تقطيبه وكلح الرجل كلوحا وكلاحا ودهر كالح وبرد كالح شديد * العبث اللعب الخالي عن فائدة ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا إلا أساطير الأولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون﴾ مناسبة وهو الذي أنشأ لكم لما قبله انه لما بين اعراض الكفار عن سماع الأدلة ورؤية العبر والتأمل في الحقائق خاطب قيل المؤمنين والظاهر العالم بأسرهم تنبيها على ان من لم يعمل هذه الاعضاء في ما خلقه الله تعالى وتدبر ما أودعه فيها

من الدلائل على وحدانيته و باهر قدرته فهو كعادم هذه الاعضاء وممن قال تعالى فيهم فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ فمن أنشأ هذه الحواس وأنشئت هي له وأحيا وأمات وتصرف في اختلاف الليل والنهار هو قادر على البعث وخص هذه الاعضاء بالذكر لانه يتعلق بها منافع الدين والدنيا من اعمال السمع والبصر في آيات الله والاستدلال بفكر القلب على وحدانية الله وصفاته ولما كان خلقها من أتم النعم على العبد قال قليلا ما تشكرون أي تشكرون قليلا وما زائدة للتأكيد ومن شكر النعمة الاقرار بالمنعم بها ونفي الند والشريك له وذرأكم خلقكم وبثكم فيها * واليه أي والى حكمه وقضائه وجزائه تحشرون يريد البعث والجمع في الآخرة بعد التفرق في الدنيا والاضمحلال * وله اختلاف الليل والنهار أي هو مختص به ومتوليه وله القدرة التي ذلك الاختلاف عنها والاختلاف هنا التعاقب أي يخلف هذا هذا * أفلا تعقلون من هذه تصرفات قدرته وآثار قهره فتوحدونه وتنفون عنه الشركاء والأنداد اذهم ليسوا بقادرين على شئ من ذلك * وقرأ أبو عمرو في رواية يعقلون بياء الغيبة على الالتفات * بل قالوا بل اضراب أي ليس لهم عقل ولا نظر في هذه الآيات بل قالوا والضمير لأهل مكة ومن جرى مجراهم في انكار البعث مثل ما قال آباؤهم عاد وثمود ومن يرجعون اليهم من الكفار ولما اتخذوا من دون الله تعالى آلهة ونسبوا اليه الولد نبههم على فرط جهلهم بكونهم يقرون بأنه تعالى له الارض ومن فيها ملك وأنه رب العالم العلوي وأنه مالك كل شئ وهم مع ذلك ينسبون له الولد و يتخذون له شركاء * وقرأ عبد الله والحسن والجحدري ونصر بن عاصم وابن وثاب وأبو الأشهب وأبو عمرو من السبعة سيقولون الله الثاني والثالث بلفظ الجلالة مرفوعا وكذا هو في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام * وقرأ باقي السبعة لله فيهما بلام الجر فالقراءة الأولى فيها المطابقة لفظا ومعنى والثانية جاءت على المعنى لأن قولك من رب هذا ولمن هذا في معنى واحد ولم يختلف في الأول انه باللام * وقرأ ابن محيصن العظيم برفع الميم نعتا للرب وتقول أجرت فلانا على فلان اذا منعته منه أي وهو يمنع من يشاء ممن يشاء ولا يمنع أحد منه أحدا ولا تعارض بين قوله ان كنتم تعلمون لا ينفي عنهم و بين ما حكى عنهم من قولهم سيقولون الله لأن قوله ان كنتم تعلمون لا ينفي علمهم بذلك وقد يقال مثل ذلك في الاحتجاج على وجه التأكيد لعلمهم وختم كل سؤال بما يناسبه فختم ملك الأرض ومن فيها بقوله أفلا تذكرون وختم ما بعده لا يشرك به بعض خلقه ممن في الارض ملكاله الربوبية وختم مابعدها بالتقوى وهي أبلغ من التذكر وفيها وعيد شديد أي أفلا تخافونه فلا تشركوا به وختم مابعد هذه بقوله فأنى تسحرون مبالغة في التوبيخ بعد اقرارهم والتزامهم مايقع عليهم به في الاحتجاج وأنى بمعنى كيف قرر انهم مسحورون وسألهم عن الهيئة التي سحروا بها أي كيف تخدعون عن توحيده وطاعته والسحر هنا مستعار وهو تشبيه لما يقع منهم من التخليط ووضع الافعال والأقوال غير مواضعها بما يقع من المسحور عبر عنهم بذلك * وقرئ بل آتيتهم بتاء المتكلم وابن أبي اسحاق بتاء الخطاب وانهم لكاذبون فيما ينسبون الى الله تعالى من اتخاذ الولد ومن الشركاء وغير ذلك مما هم فيه كاذبون ثم نفى اتخاذ الولد وهو نفي استحالة ونفي الشريك بقوله وما كان معه من إله أي وما كان معه شريك في خلق العالم واختراعهم ولا في غير ذلك مما يليق به من الصفات العلى فنفي الولد تنبيه على من قال الملائكة بنات الله ونفي الشريك في الالوهية تنبيه على من قال الاصنام آلهة و يحتمل أن يراد به ابطال قول النصارى والثنوية ومن ولد ومن اله نفي عام يفيد

﴿قل رب إما تريني﴾ الآية لما ذكر تعالى ما كان عليه الكفار من ادعاء الولد والشريك لله وكان تعالى قد أعلم نبيه أنه ينتقم منهم ولم يبين أذلك في حياته أم بعد موته أمره بأن يدعو بهذا الدعاء أي ان تريني ما تعدهم واقعا بهم في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني معهم ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم معصوم مما يكون سببا لجعله معهم ولكنه أمره أن يدعو بذلك إظهارا للعبودية وتواضعا لله *على أن نريك متعلق بقادرون ثم أمره تعالى بحسن الاخلاق والتي هي أحسن أبلغ من الحسنة للمبالغة الدال عليها أفعل التفضيل وجاء في صلة التي ليدل على معرفة السامع بالحالة التي هي أحسن قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف والتي هي أحسن شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة الشرك * ثم أمره تعالى أن يستعيذ من نخسات الشيطان والهمز من الشيطان عبارة عن حثه على العصيان والاغراء ثم أمره أن يستعيذ من حضورهم عنده لانهم اذا حضروا توقع الهمز وفسر همز الشيطان بسورة الغضب التي لا يملك الانسان فيها نفسه *﴿حتى اذا جاء أحدهم الموت﴾ قبلها جملة محذوفة تكون حتى غاية لما يدل عليها ما قبلها التقدير فلا أكون كالكفار الذين يهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى اذا جاء أحدهم الموت ونظير حذف هذه الجملة قول الشاعر *

فيا عجبا حتى كليب تسبني كأن أباها نهشل أو مجاشع

أي يسبني الناس حتى كليب فدل ما بعد حتى على الجملة المحذوفة وفي الآية دل ما قبلها عليها * حتى اذا جاء أحدهم الموت أي حضر وعاينه الانسان فحينئذ يسأل الرجعة الى الدنيا وفي الحديث اذا عاين الموت قالت له الملائكة نرجعك فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدما الى الله وأما الكافر فيقول ارجعون لعلي أعمل صالحا ومعنى فيما تركت في الايمان الذي تركته ﴿كلا﴾ كلمة ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد فقيل هي من قول الله لهم وقيل من قول من عاين الموت يقول ذلك لنفسه على سبيل التحسر والندم ومعنى هو قائلها لا يسكت ولا ينزع لاستيلاء الحسرة عليه ولا يجدي لها جدوى ولا يجاب لما سأل ولا يغاث ﴿ومن ورائهم﴾ أي الكفار ﴿برزخ﴾ حاجز بينهم وبين الرجعة الى وقت البعث وفي هذه الجملة اقناط كلي أن لا رجوع الى الدنيا وانما الرجوع الى الآخرة استعير البرزخ للمدة التي بين موت الانسان وبعثه ﴿فلا أنساب﴾ أي لا تواصل بينهم حين افتراقهم الى ما أعد لهم من ثواب وعقاب وانما التواصل بالاعمال ولا تعارض بين انتفاء التساؤل هنا وبين اثباته في قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان يوم القيامة مواطن ومواقف وتقدم الكلام في الموازين في الاعراف * قال الزمخشري في جهنم خالدون بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة

استغراق الجنس ولهذا جاء اذا لذهب كل اله ولم يأت التركيب اذا لذهب الاله ومعنى لذهب أي لانفرد كل اله بخلقه الذي خلق واستبد به وتميز ملك كل واحد عن ملك الآخر وغلب بعضهم بعضا كحال ملوك الدنيا واذا لم يقع الانفراد والتغالب فاعلموا أنه اله واحد واذا لم يتقدمه في اللفظ شرط ولا سؤال سائل ولا عدة قالوا فالشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهذا قول الفراء زعم أنه اذا جاء بعدها اللام كانت لو وما دخلت عليه محذوفة وقد قررنا تخريجها على غير هذا في قوله واذا لاتخذوك خليلا في سورة الاسراء والظاهر ان ما في بما خلق بمعنى الذي وجوز أن تكون مصدرية *سبحان الله عما يصفون تنزيه عن الولد والشريك * وقرىء عما تصفون بتاء الخطاب * وقرأ الابنان وأبو عمرو وحفص عالم بالجر * قال الزمخشري صفة لله * وقال ابن عطية اتباع للمكتوبة * وقرأ باقي السبعة وابن أبي عبلة وأبو حيوة وأبو بحرية بالرفع * قال الأخفش الجر أجود ليكون الكلام من وجه واحد * قال أبو علي الرفع ان الكلام قد انقطع يعني أنه خبر مبتدا محذوف أي هو عالم * وقال ابن عطية والرفع عندي أبرع * والفاء في قوله فتعالى عاطفة فالمعنى كأنه قال عالم الغيب والشهادة فتعالى كما تقول زيد شجاع فعظمت منزلته أي شجع فعظمت ويحتمل أن يكون المعنى فأقول تعالى عما يشركون على اخبار مؤتنف * والغيب ما غاب عن الناس والشهادة ما شاهدوه انتهى *﴿قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾ لما ذكر ما كان عليه الكفار

لامحل لها أوخبر بعد خبر لاولئك أوخبر مبتدإ محذوف انتهى جعل في جهنم بدلا من خسروا وهذا بدل غريب وحقيقته أن يكون البدل الفعل الذي يتعلق به في جهنم أي استقروا في جهنم وكأنه من بدل الشيء من الشيء وهما لمسمى واحد على سبيل المجاز لأن من خسر نفسه استقر في جهنم وأجاز أبو البقاء أن يكون الذين نعتا لاولئك وخبر أولئك في جهنم والظاهر أن تكون خبرا لاولئك لانعتا وخالدون خبرا ثانيا وفي جهنم متعلقا به * اللفح أشد من النفخ تأثيرا والكلوح تشمر الشفتين عن الاسنان ومنه كلوح الكلب والاسد وخص الوجه باللفح لانه أشرف ما في الانسان والانسان أحفظ له من الآفات من غيره من الاعضاء فاذا لفح الاشرف فما دونه ملفوح ولما ذكر إصابة النار للوجه ذكر الكلوح المختص ببعض أعضاء الوجه وفي الترمذي تقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته قال هذا حديث حسن صحيح

من ادعاء الولد والشريك له وكان تعالى قد أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أنه ينتقم منهم ولم يبين اذ ذاك في حياته أم بعد موته أمره بأنه يدعو بهذا الدعاء أي ان ترني ما تعدهم وأقعابهم في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني معهم ومعلوم أنه عليه السلام معصوم مما يكون سببا لجعله معهم ولكنه أمره أن يدعو بذلك اظهارا للعبودية وتواضعا لله واستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة من هذا القبيل * وقال أبو بكر وليتكم ولست بخيركم * قال الحسن كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وجاء الدعاء بلفظ الرب قبل الشرط وقبل الجزاء مبالغة في الابتهال الى الله تعالى والتضرع ولأن الرب هو المالك الناظر في مصالح العبد * وقرأ الضحاك وأبو عمران الجوني ترئني بالهمز بدل الياء وهذا كما قرىء فاما ترئن ولترؤن بالهمز وهو ابدال ضعيف ثم أخبر تعالى أنه قادر على تعجيل العذاب لهم كما كانوا يطلبون ذلك وذلك في حياته عليه الصلاة والسلام ولكن تأخيره لأجل يستوفونه والجمهور على أن هذا العذاب في الدنيا * فقيل يوم بدر * وقيل فتح مكة * وقيل هو عذاب الآخرة ثم أمره تعالى بحسن الاخلاق والتي هي أحسن شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك * وقال الحسن الصفح والاغضاء * وقال عطاء والضحاك السلام اذا أفحشوا * وحكى الماوردي ادفع بالموعظة المنكر والأجود العموم في الحسنى وفيما يسوء والتي هي أحسن أبلغ من الحسنة للمبالغة الدال عليها أفعل التفضيل وجاء في صلة التي ليدل على معرفة السامع بالحالة التي هي أحسن * قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف * وقيل هي محكمة لأن المداراة محثوث عليها مالم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة * نحن أعلم بما يصفون يقتضي أنها آية موادعة والمعنى بما يذكرون ويصفونك به مما أنت بخلافه ثم أمره تعالى أن يستعيذ من نخسات الشياطين والهمز من الشيطان عبارة عن حثه على العصيان والاغراء به كما يهمز الرائض الدابة لتسرع ثم أمره أن يستعيذ بسورة الغضب التي لا يملك الانسان فيها نفسه * وقال ابن زيد همز الشيطان الجنون والظاهر أنه أمر بالاستعاذة من حضور الشياطين في كل وقت * وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن * حتى اذا جاء أحدهم الموت * قال الزمخشري حتى يتعلق بيصفون أي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستنزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم أو على قوله وانهم لكاذبون انتهى * وقال ابن عطية حتى في هذا الموضع حرف ابتداء ويحتمل أن تكون غاية مجردة بتقدير كلام محذوف والاول أبين لان ما بعدها هو المعنى به المقصود ذكره انتهى فتوهم ابن عطية أن حتى اذا كانت حرف ابتداء لا تكون غاية وهي اذا كانت حرف ابتداء لا تفارقها الغاية ولم يبين الكلام المحذوف المقدر * وقال أبو البقاء حتى غاية في معنى العطف والذي يظهر لي ان قبلها جملة

(الدر)

(ع) حتى في هذا الموضع حرف ابتداء ويحتمل أن تكون غاية مجردة بتقدير كلام محذوف والاول أبين لان ما بعدها هو المعنى به المقصود ذكره (ح) توهم (ع) ان حتى اذا كانت حرف ابتداء لا تكون غاية وهي اذا كانت حرف ابتداء لا تفارقها الغاية ولم يبين الكلام المحذوف المقدر * وقال أبو البقاء حتى غاية في معنى العطف والذي يظهر لي ان قبلها جملة محذوفة تكون حتى غاية لها يدل عليها ما قبلها التقدير فلا أكون كالكفار الذين تهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى اذا جاء أحدهم الموت ونظير حذف هذه الجملة قول الشاعر

فيا عجبا حتى كليب تسبني *

أي يسبني الناس حتى كليب فدل ما بعد حتى على الجملة المحذوفة وفي الآية دل ما قبلها عليها

محذوفة تكون حتى غاية لها يدل عليها ماقبلها التقدير فلا أكون كالكفار الذين تهمزهم الشياطين و يحضرونهم حتى اذا جاء أحدهم الموت ونظير حذف هذه الجملة قول الشاعر

* فيا عجبا حتى كليب تسبني * أي يسبني الناس حتى كليب فدل مابعد حتى على الجملة المحذوفة وفي الآية دل ماقبلها عليها * وقال القشيري احتج تعالى عليهم وذكرهم قدرته ثم قال هم مصرون على الانكار حتى اذا حضر أحدهم الموت تيقن ضلالته وعاين الملائكة ندم ولا ينفعه الندم انتهى وجمع الضمير في ارجعون اما مخاطبة له تعالى مخاطبة الجمع تعظيما كما أخبر عن نفسه بنون الجماعة في غير موضع * وقال الشاعر * فان شئت حرمت النساء سواكم *

* وقال آخر * * ألا فارحموني يا اله محمد *

واما استغاث أولا بربه وخاطب ملائكة العذاب وقاله ابن جريج والظاهر ان الضمير في أحدهم راجع الى الكفار ومساق الآيات الى آخرها يدل على ذلك * وقال ابن عباس من لم يزك ولم يحج سأل الرجعة * فقيل له ذلك للكفار فقرأ مستدلا لقوله وأنفقوا مما رزقناكم آية سورة المنافقين * وقال الأوزاعي هو مانع الزكاة وجاء الموت أي حضر وعاينه الانسان فحينئذ يسأل الرجعة الى الدنيا وفي الحديث اذا عاين المؤمن الموت قالت له الملائكة نرجعك فيقول الى دار الهموم والأحزان بل قدما الى الله واما الكافر فيقول ارجعون لعلي أعمل صالحا ومعنى فيما تركت في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الايمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي أبني على أس يريد أؤسس أسا وأبني عليه * وقيل في ماتركت من المال على مافسره ابن عباس كلا كلمة ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد * فقيل هي من قول الله لهم * وقيل من قول من عاين الموت يقول ذلك لنفسه على سبيل التحسر والندم ومعنى هو قائلها الا يسكت عنها ولا ينزع لاستيلاء الحسرة عليه أولا يجد لها جدوى ولا يجاب لما سأل ولا يغاث * ومن ورائهم أي الكفار برزخ حاجز بينهم وبين الرجعة الى وقت البعث وفي هذه الجملة اقناط كلي أن لا رجوع الى الدنيا وانما الرجوع الى الآخرة استعير البرزخ للمدة التي بين موت الانسان و بعثه * وقرأ ابن عباس والحسن وابن عياض في الصور بفتح الواو جمع صورة وأبو رزين بكسر الصاد وفتح الواو وكذا فأحسن صوركم وجمع فعلة بضم الفاء على فعل بكسر الفاء شاذ * فلا أنساب نفي عام فقال ابن عباس عند النفخة الأولى يموت الناس فلا يكون بينهم نسب في ذلك الوقت وهم أموات وهذا القول يزيل هول الحشر * وقال ابن مسعود وغيره عند قيام الناس من القبور فلهول المطلع اشتغل كل امرئ بنفسه فانقطعت الوسائل وارتفع التفاخر والتعاون بالانساب * وعن قتادة ليس أحد أبغض الى الانسان في ذلك اليوم ممن يعرف لانه يخاف أن يكون له عنده مظلمة وفي ذلك اليوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه * وقيل فلا أنساب أي لا تواصل بينهم حين افتراقهم الى ما أعد لهم من ثواب وعقاب وانما التواصل بالأعمال * وقرأ عبد الله ولا يساءلون بتشديد السين أدغم التاء في السين اذ أصله يتساءلون ولا تعارض بين انتفاء التساؤل هنا و بين اثباته في قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان يوم القيامة مواطن ومواقف و يمكن أن يكون انتفاء التساؤل عند النفخة الأولى وأما في الثانية فيقع التساؤل وتقدم الكلام في الموازين وثقلها وخفتها في أوائل الأعراف * وقال الزمخشري في جهنم خالدون بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدا محذوف انتهى جعل في جهنم بدلا من خسروا وهذا بدل غريب وحقيقته أن

(الدر)

(ش) في جهنم خالدون بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لاولئك أو خبر مبتدإ محذوف (ح) جعل في جهنم بدلا من خسروا وهذا بدل غريب وحقيقته أن يكون البدل الفعل الذي يتعلق به في جهنم أي استقروا في جهنم فكانه من بدل الشئ من الشئ وهما المسمى واحد على سبيل المجاز لان من خسر نفسه استقر في جهنم وأجاز أبو البقاء أن يكون الذين نعتا لاولئك وخبر أولئك في جهنم والظاهر أن يكون خبر الاولئك لا نعتا

﴿ألم تكن آياتي﴾ الآية يقول الله تعالى لهم على لسان من يشاء من ملائكته ألم تكن آياتي وهي القرآن ولما سمعوا هذا التقرير
أذعنوا وأقروا على أنفسهم بقولهم غلبت علينا شقوتنا من قولهم غلبني فلان على كذا اذا أخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء
العاقبة ﴿وكنا قوما ضالين﴾ أي عن الهدى ثم تدرجوا من الاقرار الى الرغبة والتضرع وذلك أنهم أقروا والاقرار بالذنب اعتذار
فقالوا ﴿ربنا أخرجنا منها﴾ أي من جهنم ﴿فان عدنا﴾ الى التكذيب واتخاذ آلهة وعبادة غيرك ﴿فانا ظالمون﴾ أي متجاوزون
الحد في العدوان حيث ظلمنا أنفسنا أولا ثم سوء محافظتنا ثانيا ﴿قال اخسؤا فيها﴾ أي ذلوا فيها وانزجروا كما تزجر الكلاب اذا
زجرت يقال خسأت الكلب وخسأ هو بنفسه يكون متعديا ولازما ﴿ولا تكلمون﴾ أي في رفع العذاب أو تخفيفه قيل هو آخر
كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون

﴿انه كان فريق من عبادي﴾ الفريق هنا هم المستضعفون من المؤمنين وهذه الآية مما يقال للكفار على جهة التوبيخ ونزلت في كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال ونظرائهم ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديما وبقية الدهر ﴿سخريا﴾ أي تسخرون منهم ومن اتباعهم للحق * قال الزمخشري في قراءة من قرأ أنهم بالفتح هو المفعول الثاني أي جزيتهم فوزهم انتهى الظاهر أنه تعليل أي جزيتهم لأنهم والكسر على الاستئناف وقد يراد به التعليل فيكون الكسر مثل الفتح من حيث المعنى لا من حيث
الاعراب لاضطرار المفتوحة الى عامل و ﴿الفائزون﴾ الناجون من هلكته الى نعمته ﴿قال كم لبثتم﴾ سألهم سؤال توقيف وهو
تعالى يعلم عدد ما لبثوا ولما سئلوا عن المدة التي أقاموا فيها في الأرض أجابوا بقولهم لبثنا يوما أو بعض يوم ترددوا فيما لبثوا فنسوا الفرط
هول العذاب حتى قالوا يوما أو بعض يوم * العبث اللعب الخالي عن الفائدة وانتصب على أنه مصدر في موضع الحال تقديره عابثين
وعلى أنه مفعول من أجله والمعنى في هذا ما خلقناكم للعبث وانما خلقناكم للتكليف والعبادة ﴿وأنكم الينا﴾ معطوف على انما
فهو داخل في الحسبان والكريم صفة للعرش لتنزل الخيرات منه أو لنسبته الى أكرم الأكرمين ومن شرطية وجوابه فانما
حسابه ولا برهان له به صفة لازمة لا للاحتراز من أن يكون ثم آخر يقوم عليه برهان فهي مؤكدة كقوله يطير بجناحيه ويجوز
أن يكون جملة اعتراض بين الشرط وجزائه فلا موضع لها من الاعراب وافتتح السورة بقوله قد أفلح المؤمنون وأورد في
خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فانظر تفاوت ما بين الافتتاح والاختتام ثم أمر رسوله بأن يدعو بالغفران والرحمة

يكون البدل الفعل الذي يتعلق به في جهنم أي استقروا في جهنم وكأنه من بدل الشيء من الشيء وهما
لمسمى واحد على سبيل المجاز لان من خسر نفسه استقر في جهنم وأجاز أبو البقاء أن يكون الذين
نعتا لأولئك وخبر أولئك في جهنم والظاهر أن يكون خبرا لأولئك لا نعتا وخص الوجه باللفح لأنه
أشرف ما في الانسان والانسان أحفظ له من الآفات من غيره من الأعضاء فاذا لفح الأشرف فما
دونه ملفوح ولما ذكر اصابة النار للوجه ذكر الكلوح المختص ببعض أعضاء الوجه وفي الترمذي
تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته قال هذا حديث
حسن صحيح * وقرأ أبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة كلحون بغير ألف ﴿ألم تكن آياتي
تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا
منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا
آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم
تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا
لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما
خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم
ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر
وارحم وأنت خير الراحمين﴾ يقول الله لهم على لسان من يشاء من ملائكته ألم تكن آياتي وهي
القرآن ولما سمعوا هذا التقرير أذعنوا وأقروا على أنفسهم بقولهم غلبت علينا شقوتنا من قولهم
غلبني فلان على كذا اذا أخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة * وقيل الشقوة الهوى وقضاء
اللذات لان ذلك يؤدي الى الشقوة أطلق اسم المسبب على السبب قاله الجبائي * وقيل ما كتب علينا
في اللوح المحفوظ وسبق به علمك * وقرأ عبد الله والحسن وقتادة وحمزة والكسائي والمفضل
عن عاصم وأبان والزعفراني وابن مقسم شقاوتنا بوزن السعادة وهي لغة فاشية وقتادة أيضا والحسن

في رواية خالد بن حوشب عنه كذلك الا انه بكسر الشين وباقي السبعة والجمهور بكسر الشين وسكون القاف وهي لغة كثيرة في الحجاز * قال الفراء أنشدني أبو ثروان وكان فصيحا

علق من عنائه وشقوته * بنت ثماني عشرة من حجته

*وقرأ شبل في اختياره بفتح الشين وسكون القاف *وكنا قوما ضالين أي عن الهدى ثم تدرجوا من الاقرار الى الرغبة والتضرع وذلك انهم أقروا والاقرار بالذنب اعتذار فقالوا ربنا أخرجنا منها أي من جهنم فان عدنا أي الى التكذيب واتخاذ آلهة وعبادة غيرك فانا ظالمون أي متجاوزوا الحد في العدوان حيث ظلمنا أنفسنا أولا ثم سوى محافظ امنا اها ثانيا وحكى الطبري حديثا طويلا في مقاولة تكون بين الكفار وبين مالك خازن النار ثم بينهم وبين ربهم جل وعز وآخرها قال اخسؤا فيها ولا تكلمون قال وتنطبق عليهم جهنم ويقع اليأس ويبقون ينبح بعضهم في وجه بعض * قال ابن عطية واختصرت ذلك الحديث لعدم صحته لكن معناه صحيح ومعنى اخسؤا أي ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأت الكلب وخسأ هو بنفسه يكون متعديا ولازما * ولا تكلمون أي في رفع العذاب أو تخفيفه * قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون * انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * قرأ أبي وهارون العتكي انه بفتح الهمزة أي لأنه والجمهور بكسرها والهاء ضمير الشأن وهو محذوف مع ان المفتوحة الهمزة والفريق هنا هم المستضعفون من المؤمنين وهذه الآية مما يقال للكفار على جهة التوبيخ ونزلت في كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال ونظرائهم ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديما وبقية الدهر * وقرأ حمزة والكسائي ونافع سخريا بضم السين وباقي السبعة بالكسر *قال الزمخشري مصدر سخر كالسخر الا أن في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وهما بمعنى الهزء في قول الخليل وأبي زيد الانصاري وسيبويه * وقال أبو عبيدة والكسائي والفراء ضم السين من السخرة والاستخدام والكسر من السخر وهو الاستهزاء * ومنه قول الاعشى

اني أتاني حديث لا أسر به * من علو لا كذب فيه ولا سخر

* وقال يونس اذا أريد التخديم فضم السين لا غير واذا أريد الهزء فالضم والكسر *قال ابن عطية * وقرأ أصحاب عبد الله وابن أبي اسحاق والاعرج بضم السين كل ما في القرآن * وقرأ الحسن وأبو عمرو بالكسر الا التي في الزخرف فانهما ضما السين كما فعل الناس انتهى وكان قد قال عن أبي علي يعني الفارسي ان قراءة كسر السين أوجه لأنه بمعنى الاستهزاء والكسر فيه أكثر وهو أليق بالآية ألا ترى الى قوله وكنتم منهم تضحكون انتهى قول أبي علي ثم قال ابن عطية ألا ترى الى اجماع القراء على ضم السين في قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا لما تخلص الامر للتخديم انتهى وليس ما ذكره من اجماع القراء على ضم السين في الزخرف صحيحا لأن ابن محيصن وابن مسلم كسرا في الزخرف ذكر ذلك أبو القاسم بن جبارة الهذلي في كتاب الكامل * فاتخذتموهم سخريا أي هزأة تهزؤن منهم *حتى أنسوكم ذكري أي بتشاغلكم بهم فتركتم ذكري أي أن تذكروني وتخافوني في أوليائي وأسند النسيان الى فريق المؤمنين من حيث كان سببه وقرأ زيد بن علي وحمزة والكسائي وخارجة عن نافع انهم هم بكسر الهمزة وباقي السبعة بالفتح ومفعول جزيتهم الثاني محذوف تقديره الجنة أو رضواني * وقال الزمخشري في قراءة من قرأ انهم بالفتح هو المفعول الثاني أي جزيتهم

(الدر)

(ع) وقرر أصحاب عبد الله وابن أبي اسحق والأعرج بضم السين كل ما في القرآن وقرأ الحسن وأبو عمرو بالكسر الا التي في الزخرف فانهما ضما السين كما فعل الناس ثم قال بعد نقل كلام عن أبي علي الفارسي ألا ترى الى اجماع القراء على ضم السين في قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا لما تخلص الامر للتحريم (ح) ليس ما ذكره من اجماع القراء على ضم السين في الزخرف صحيحا لان ابن محيصن وابن مسلم كسرا في الزخرف ذكر ذلك أبو القاسم بن جبارة الهذلي في كتابه الكامل (ش) في قراءة من قرأ انهم بالفتح هو المفعول الثاني أي جزيتهم فوزهم (ح) الظاهر انه تعليل اي جزيتهم لانهم والكسر على الاستئناف وقد يراد به التعليل فيكون الكسر مثل الفتح من حيث المعنى لا من حيث الاعراب لاضطرار المفتوحة الى عامل

فوزهم انتهى والظاهر انه تعليل أى جزيتهم لأنهم والكسر هو على الاستئناف وقد يراد به التعليل فيكون الكسر مثل الفتح من حيث المعنى لا من حيث الاعراب لاضطرار المفتوحة الى عامل والفائزون الناجون من هلكة الى نعمة * وقرأ حمزة والكسائى وابن كثير قل كم والمخاطب ملك يسألهم أو بعض أهل النار فلذا قال عبر عن القوم * وقرأ باقى السبعة قال والقائل الله تعالى أو المأمور بسؤالهم من الملائكة * وقال الزمخشرى قال فى مصاحف أهل الكوفة وقل فى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام * وقال ابن عطية وفى المصاحف قال فيهما الا فى مصحف الكوفة فان فيه قل بغير ألف وتقدم ادغام باب لبثت فى البقرة سألهم سؤال توقيف على المدة * وقرأ الجمهور عدد سنين على الاضافة وكم فى موضع نصب على ظرف الزمان وتمييزها عدد * وقرأ الاعمش والمفضل عن عاصم عددا بالتنوين * فقال أبو الفضل الرازى صاحب كتاب اللوامح سنين نصب على الظرف والعدد مصدر أقيم مقام الاسم فهو نعت مقدم على المنعوت ويجوز أن يكون معنى لبثتم عددتم فيكون نصب عددا على المصدر وسنين بدل منه انتهى وكون لبثتم بمعنى عددتم بعيد ولما سئلوا عن المدة التى أقاموا فيها فى الارض ويعنى فى الحياة الدنيا قاله الطبرى وتبعه الزمخشرى فنسوا الفرط هول العذاب حتى قالوا يوما أو بعض يوم أجابوا بقولهم لبثنا يوما أو بعض يوم ترددوا فيما لبثوا قاله ابن عباس * وقيل أريد بقوله فى الارض فى جوف التراب أمواتا وهذا قول جمهور المتأولين * قال ابن عطية وهذا هو الاصوب من حيث أنكروا البعث وكانوا قولهم انهم لا يقومون من التراب قيل لهم لما قاموا كم لبثتم وقوله آخرا وانكم الينا لا ترجعون يقتضى ما قلناه انتهى فاسأل العادين خطاب للذى سألهم * قال مجاهد العادين الملائكة أى هم الذين يحفظون أعمال بنى آدم ويحصون عليهم ساعاتهم * وقال قتادة أهل الحساب والظاهر أنهم من يتصف بهذه الصفة ملائكة أو غيرهم لأن النائم والميت لا يعد فيتقدر له الزمان * وقال الزمخشرى والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدكم بقى فسئل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقى اليه فكره انتهى * وقرأ الحسن والكسائى فى رواية العادين بتخفيف الدال أى الظلمة فانهم يقولون كما تقول * قال ابن خالويه ولغة أخرى العاديين يعنى بياء مشددة جمع عادى يعنى للقدماء * وقال الزمخشرى وقرىء العاديين أى القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم * وقرأ الاخوان قل ان لبثتم على الامر وباقى السبعة قال وان نافية أى ما لبثتم الا قليلا أى قليل القدر فى جنب ما تعذبون فيه ان كان اللبث فى الدنيا وان كان فى القبور فقلت ان كل آت قريب ولكنكم كذبتم به إذ كنتم لا تعلمون أى لم ترغبوا فى العلم والهدى وانتصب عبثا على الحال أى عابثين أو على انه مفعول من أجله والمعنى فى هذا ما خلقناكم للعبث وانما خلقناكم للتكليف والعبادة * وقرأ الاخوان لا ترجعون مبنيا للفاعل وباقى السبعة مبنيا للمفعول والظاهر عطف وانكم على انما فهو داخل فى الحسبان * وقال الزمخشرى يجوز أن يكون على عبثا أى للعبث ولتركم غير مرجوعين انتهى فتعالى الله أى تعاظم وتنزه عن الصاحبة والولد والشريك والعبث وجميع النقائص بل هو الملك الحق الثابت هو وصفاته العلى والكريم صفة للعرش لتنزل الخيرات منه أو لنسبته الى أكرم الاكرمين * وقرأ أبان بن تغلب وابن محيصن وأبو جعفر واسماعيل عن ابن كثير الكريم بالرفع صفة لرب العرش أو العرش ويكون معطوفا على معنى المدح ومن شرطية والجواب فانما * ولا برهان له به صفة لازمة لا للاحتراز من أن يكون ثم آخر يقوم عليه

﴿ سورة النور ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ سورة أنزلناها ﴾ الآية هذه السورة مدنية بلا خلاف ولما ذكر تعالى فى مشركى قريش ولهم أعمال من دون ذلك أى أعمال سيئة هم لها عاملون واستطرد بعد ذلك الى أحوالهم واتخاذهم الولد والشريك والى مآلهم فى النار كان من أعمالهم السيئة أنه كان لهم جوار بغايا يستحسنون عليهن ويأكلون من كسبهن من الزنا فانزل الله تعالى هذه السورة تغليظا فى أمر الزنا وكان فيما ذكر ناس من المسلمين هموا بنكاحهن ﴿ سورة ﴾ مرفوع بالابتداء أو خبر مبتدإ محذوف تقديره فيما أنزلنا سورة أو هذه سورة وقرئ سورة انتهى جعله بالنصب على الاشتغال أى أنزلنا سورة أنزلناها قال الزمخشرى أو على دونك سورة انتهى جعله منصوبا على الاغراء ولا يجوز حذف أداة الاغراء * وكان الابتداء بقوله سورة وان كان نكرة لتقدير صفة محذوفة تسوغ الابتداء بالنكرة كانه قيل سورة معظمة أنزلناها وقرئ ﴿ وفرضناها ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ وأنزلنا فيها آيات ﴾ أى أمثالا ومواعظ وأحكاما ليس فيها مشكل يحتاج الى تأويل ﴿ الزانية ﴾ مبتدأ والخبر محذوف أى فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزانى وقوله فاجلدوا بيان (٤٢٥) لذلك الحكم هذا مذهب سيبويه وقدمت الزانية على الزانى لان داعيتها أقوى لقوة شهوتها ونقصان عقلها ولكون زناها أفحش وأكثر عارا وللعلوق بولد الزنا وحال النساء الحجبة والصيانة وأل فى الزانية والزانى للعموم فى جميع الزناة والجلد اصابة الجلد بالضرب كما تقول رأسه ونطنه وظهره أى ضرب رأسه وبطنه وظهره والمأمور بالجلد أئمة المسلمين ونوابهم ﴿ كل واحد منهما ﴾ الظاهر اندراج الكافر والعبد والمحصن فى هذا العموم وهو لا يندرج فيه لا الصبى ولا المجنون والظاهر الاقتصار على الجلد أحصنا أو لم يحصنا وهو مذهب الخوارج واتفق فقهاء الأمصار على أن المحصن يرجم ولا يجلد وجلد على رضى الله عنه شراحة الهمدانية ثم رجمها وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله ﴿ رأفة ﴾ أى لين وهوادة فى استيفاء حدود الله وقرئ ﴿ تأخذكم ﴾ بالتاء والياء رأفة بسكون الهمزة وفتحها ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله ﴾ تثبيت وحض وتهييج للغضب لله ولدينه وأمره تعالى بحضور جلدهما طائفة اغلاظا على الزناة وتوبيخا لهم بحضرة الناس وسمى الجلد عذابا اذ فيه إيلام وافتضاح وهو عقوبة على ذلك الفعل والطائفة المأمور بشهودها ذلك أقل ما يتصور فيه ذلك ثلاثة وهى صفة غالبة لأنها الجماعة ﴿ الزانى لا ينكح الا زانية ﴾ الظاهر أنه خبر قصد به تشنيع الزنا وأمره ومعنى لا ينكح لا يطأ وزاد المشركة فى التقسيم فالمعنى أن الزانى فى وقت زناه لا يجامع الا زانية من المسلمين أو أخس منها وهى المشركة والنكاح بمعنى الجماع ﴿ والذين يرمون ﴾ القذف الرمى بالزنا وغيره واستعير الرمى للشتم لأنه اذاية بالقول كما قال وجرح اللسان كجرح اليد و ﴿ المحصنات ﴾ الظاهر أن المراد النساء العفائف وخص النساء بذلك وان كان الرجال يشاركوهن فى الحكم

برهان فهى مؤكدة كقوله يطير بجناحيه ويجوز أن تكون جملة اعتراض إذ فيها تشديد وتأكيد فتكون لا موضع لها من الاعراب كقولك من أساء اليك لا أحق بالاساءة منه فأسئ اليه ومن ذهب الى أن جواب الشرط هو لا برهان له به هروبا من دليل الخطاب من أن يكون ثم داع له برهان فلا يصح لأنه يلزم منه حذف الفاء فى جواب الشرط ولا يجوز الا فى الشعر وقد خرجناه على الصفة اللازمة أو على الاعتراض وكلاهما تخريج صحيح * وقرأ الحسن وقتادة انه لا يفلح بفتح الهمزة أى هو فوضع الكافرون موضع الضمير حملا على معنى من والجمهور بكسر الهمزة وخبر حسابه الظرف وانه استئناف * وقرأ الحسن يفلح بفتح الفاء واللام وافتتح السورة بقوله قد أفلح المؤمنون وأورد فى خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فانظر تفاوت ما بين الافتتاح والاختتام ثم أمر رسوله عليه السلام بأن يدعو بالغفران والرحمة * وقرأ ابن محيصن رب بضم الباء

﴿ سورة النور أربع وستون آية مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم

لأن القذف فيهن أشنع وأنكى للنفوس ومن حيث هن هوى للرجال ففيه ايذاء لهن ولأزواجهن وقراباتهن وقيل المعنى الفروج المحصنات كما قال والتي أحصنت فرجها ويكون اللفظ شاملا للنساء والرجال * ولما كانت معصية الزنا كبيرة من أمهات الكبائر وكان متعاطيها كثيرا مايتستر بها وقلما يطلع عليها أحد شدد الله على القاذف حيث شرط فيها أربعة شهداء رحمة للعباد وسترا والمعنى ثم لم يأتوا الحكام والجمهور على اضافة أربعة الى شهداء وقرأ أبو زرعة وعبد الله بن مسلم بأربعة بالتنوين وهى قراءة فصيحة لأنه اذا اجتمع اسم العدد والصفة كان الاتباع أجود من الاضافة قال ابن عطية وسيبويه يرى أن تنوين العدد وترك اضافته انما يجوز فى الشعر انتهى ليس كما ذكر انما يرى ذلك سيبويه فى العدد الذى بعده اسم نحو ثلاثة رجال وأما فى الصفة فلا بل الصحيح التفصيل الذى ذكرنا واذا نونت أربعة فشهداء بدل اذ هو وصف جرى مجرى الاسماء أو صفة لأنه صفة حقيقية ويضعف قول من قال انه حال أو تمييز ﴿فاجلدوهم﴾ الأمر للامام ونوابه بالجلد والظاهر وجوب الجلد وان لم يطالب المقذوف وبه قال ابن أبى ليلى وقال أبو حنيفة وأصحابه والاوزاعى والشافعى لايجلد الا بمطالبته قال مالك الا أن يكون الامام سمعه يقذفه فيحده اذا كان مع الامام شهود عدول وان لم يطالب المقذوف والظاهر أن العبد القاذف الحر اذا لم يأت بأربعة شهداء جلد ثمانين لاندراجه فى عموم والذين وبه قال عبد الله بن مسعود والأوزاعى وقال أبو حنيفة وأصحابه ومالك والثورى وعثمان البتى والشافعى يجلد أربعين ﴿ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا﴾ الظاهر أنه لاتقبل شهادته أبدا وان أكذب نفسه وتاب وهو نهى جاء بعد أمر وكما أن حكمه الجلد كذلك حكم رد شهادته ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ الظاهر أنه كلام مستأنف غير داخل فى خبر والذين (٤٢٦) يرمون كأنه اخبار بحال الرامين بعد انقضاء الموصول المتضمن معنى الشرط وماترتب فى خبره من الجلد وعدم قبول الشهادة أبدا ﴿الا الذين تابوا﴾ الآية هذا الاستثناء تعقب جملا ثلاثة جملة الأمر بالجلد وهو لو تاب وأكذب نفسه لم يسقط عنه حد القذف وجملة النهى عن قبول شهادتهم أبدا وقد وقع الخلاف فى قبول شهادتهم اذا تابوا بناء على أن هذا الاستثناء راجع الى جملة النهى وجملة الحكم بالفسق او هو راجع الى الجملة الأخيرة وهى الثالثة وهى الحكم بفسقهم والذى يقتضيه النظر ان الاستثناء اذا تعقب جملا يصلح أن يتخصص كل واحد منها بالاستثناء أى يجعل تخصيصا فى الجملة الأخيرة وهذه المسئلة تكلم عليها فى أصول الفقه وفيها خلاف وتفصيل ولم أر من تكلم عليها من النحاة غير المهاباذى وابن مالك واختار ابن مالك أن يعود الى الجمل كلها كالشرط واختار المهاباذى أن يعود الى الجملة الأخيرة وهو الذى نختاره وقد استدللنا على صحة ذلك فى شرح التسهيل * ولما ذكر تعالى قذف المحصنات وكان الظاهر أنه يتناول الأزواج وغيرهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم على حد هلال بن أمية حين رمى زوجته بشريك بن سحماء فنزلت ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ والمعنى بالزنا ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ ولم يقيد بعدد اكتفاء بالتقييد فى قذف غير الزوجات والمعنى شهداء على صدق قولهم وأزواجهم يعم سائر الأزواج من المؤمنات والكافرات والاماء فكلهن يلاعن الزوج للانتفاء من الحمل وقرئ أربع شهادات بالنصب على المصدر وارتفع فشهادة خبرا على إضمار مبتدإ أى فالحكم أو الواجب أو مبتدأ على اضمار الخبر متقدما أى فعليه أن يشهد أو مؤخرا أى كافية أو واجبة وقرئ ﴿والخامسة﴾ بالرفع فيهما وهو مبتدأ وقرئ ﴿أن لعنة الله﴾ وأن لعنة مخففة من الثقيلة وينسبك من القراءتين مصدر وهو خبر عن قوله والخامسة والتقدير والخامسة كينونة لعنة الله عليه وقرئ ﴿أن غضب الله عليها﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ويدرأ﴾ أى يدفع * والعذاب قال الجمهور الحد وقال أصحاب الرأى لاحد عليها ان لم تلاعن ولايوجبه عليها قول الزوج والظاهر الاكتفاء فى اللعان بهذه الكيفية المذكورة فى الآية ﴿ولولا فضل الله﴾ جواب لو محذوف تقديره لهلكتم

ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ﴾ هذه السورة مدنية بلاخلاف ولما ذكر تعالى مشركى قريش ولهم أعمال من دون ذلك أى أعمال سيئة هم لها عاملون واستطرد بعد

ذلك الى أحوالهم واتخاذهم الولد والشريك والى ما لهم فى النار كان من أعمالهم السيئة أنه كان لهم جوار بغايا يستحسنون عليهن و يأكلون من كسبهن من الزنا فأنزل الله أول هذه السورة تغليظا فى أمر الزنا وكان فيما ذكر وكأنه لا يصح ناس من المسلمين هموا بنكاحهن * وقرأ الجمهور سورة بالرفع فجوزوا أن يكون خبر مبتدا محذوف أى هذه سورة أو مبتدأ محذوف الخبر أى فيما أوحينا اليك أو فيما يتلى عليكم * وقال ابن عطية و يجوز أن يكون مبتدأ والخبر الزانية والزانى وما بعد ذلك والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا اذ السورة عبارة عن آيات مسرودة لها بدء وختم الا أن يكون المبتدأ ليس بالبين انه الخبر الا أن يقدر الخبر فى السورة كلها وهذا بعيد فى القياس وأنزلناها فى هذه الأعاريب فى موضع الصفة انتهى * وقرأ عمر بن عبد العزيز ومجاهد وعيسى ابن عمر الثقفى البصرى وعيسى بن عمر الهمدانى الكوفى وابن أبى عبلة وأبو حيوة ومحبوب عن أبى عمرو وأم الدرداء سورة بالنصب فخرج على اضمار فعل أى اتلو سورة وأنزلناها صفة * قال الزمخشرى أو على دونك سورة فنصب على الاغراء ولا يجوز حذف أداة الاغراء وأجازوا أن يكون من باب الاشتغال أى أنزلنا سورة أنزلناها فأنزلناها مفسر لأنزلنا المضمرة فلا موضع له من الاعراب الا أنه فيه الابتداء بالنكرة من غير مسوغ الا ان اعتقد حذف وصف أى سورة معظمة أو موضحة أنزلناها فيجوز ذلك * وقال الفراء سورة حال من الهاء والألف والحال من المكنى يجوز أن يتقدم عليه انتهى فيكون الضمير المنصوب فى أنزلناها ليس عائدا على سورة وكان المعنى أنزلنا الأحكام وفرضناها سورة أى فى حال كونها سورة من سور القرآن فليست هذه الاحكام ثابتة بالسنة فقط بل بالقرآن والسنة * وقرأ الجمهور وفرضناها بتخفيف الراء أى فرضنا أحكامها وجعلناها واجبة متطوعا بها * وقيل وفرضنا العمل بما فيها * وقرأ عبدالله وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة وأبو عمرو وابن كثير بتشديد الراء اما للمبالغة فى الايجاب واما لان فيها فرائض شتى أو لكثرة المفروض عليهم * قيل وكل أمر ونهى فى هذه السورة فهو فرض وأنزلنا فيها آيات بينات أمثالا ومواعظ وأحكاما ليس فيها مشكل يحتاج الى تأويل * وقرأ الجمهور الزانية والزانى بالرفع وعبدالله والزان بغير ياء ومذهب سيبويه أنه مبتدأ والخبر محذوف أى فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزانى وقوله فاجلدوا بيان لذلك الحكم وذهب الفراء والمبرد والزجاج الى أن الخبر فاجلدوا وجوزه الزمخشرى وسبب الخلاف هو أنه عند سيبويه لا بد أن يكون المبتدأ الداخل الفاء فى خبره موصولا بما يقبل أداة الشرط لفظا أو تقديرا واسم الفاعل واسم المفعول لا يجوز أن يدخل عليه أداة الشرط وغير سيبويه ممن ذكرنا لم يشرط ذلك وتقرير المذهبين والترجيح مذكور فى النحو * وقرأ عيسى الثقفى و يحيى بن يعمر وعمرو بن فائد وأبو جعفر وشيبة وأبو السمال ورويس الزانية والزانى بنصبهما على الاشتغال أى واجلدوا الزانية والزانى كقولك زيدا فاضربه ولدخول الفاء تقرير ذكر فى علم النحو والنصب هنا أحسن منه فى سورة أنزلناها لأجل الأمر وتضمنت السورة أحكاما كثيرة فيما يتعلق بالزنا ونكاح الزوانى وقذف المحصنات والتلاعن والحجاب وغير ذلك فبدئ بالزنا لقبحه وما يحدث عنه من المفاسد والعار وكان قد نشأ فى العرب وصار من امائهم أصحاب رايات وقدمت الزانية على الزانى لأن داعيتها أقوى لقوة شهوتها ونقصان عقلها ولأن زناها أفحش وأكثر عارا وللعلوق بولد الزنا وحال النساء الحجبة والصيانة * وقال الزمخشرى (فان قلت) قدمت الزانية على الزانى أولا ثم قدم عليها ثانيا (قلت) سبقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا

(الدر)

﴿سورة النور﴾

﴿بسم الله الرحمن الرح...

(ش) أو على دونك سو...

(ح) جعله منصوبا...

الاغراء ولا يجوز حذ...

اداة الاغراء

والمرأة على المادة التى منها نشأت الجناية فانها لو لم تطمع الرجل ولم تر بض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا فى ذلك بدىء بذكرها وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب انتهى ولايتم هذا الجواب فى الثانية الا اذا حمل النكاح على العقد لا على الوطء وأل فى الزانية والزانى للعموم فى جميع الزناة * وقال ابن سلام وغيره هو مختص بالبكرين والجلد اصابة الجلد بالضرب كما تقول رأسه و بطنه وظهره أى ضرب رأسه و بطنه وظهره وهذا مطرد فى أسماء الاعيان الثلاثية العضوية والظاهر اندراج الكافر والعبد والمحصن فى هذا العموم وهو لايندرج فيه المجنون ولا الصبى باجماع * وقال ابن سلام وغيره واتفق فقهاء الأمصار على أن المحصن يرجم ولا يجلد * وقال الحسن واسحاق وأحمد يجلد ثم يرجم وجلد على رضى الله عنه شراحة الهمدانية ثم رجمها وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حجة فى كون مرجومة أنيس والغامدية لم ينقل جلدهما لان ذلك معلوم من أحكام القرآن فلا ينقل الا ما كان زائدا على القرآن وهو الرجم فلذلك ذكر الرجم ولم يذكر الجلد ومذهب أبى حنيفة ان من شرط الاحصان الاسلام ومذهب الشافعى انه ليس بشرط واتفقوا على أن الامة تجلد خمسين وكذا العبد على مذهب الجمهور وقال أهل الظاهر يجلد العبد مائة ومنهم من قال تجلد الامة مائة الا اذا تزوجت فخمسين والظاهر اندراج الذميين فى الزانية والزانى فيجلدان عند أبى حنيفة والشافعى واذا كانا محصنين يرجمان عند الشافعى * وقال مالك لاحد عليهما والظاهر أنه ليس على الزانية والزانى حد غير الجلد فقط وهو مذهب الخوارج وقد ثبت الرجم بالسنة المستفيضة وعمل به بعد الرسول خلفاء الاسلام أبو بكر وعمر وعلى ومن الصحابة جابر وأبو هريرة و بريدة الأسلمى وزيد بن خالد واختلفوا فى التغريب بنفى البكر بعد الجلد * وقال الثورى والأوزاعى والحسن بن صالح والشافعى ينفى الزانى * وقال الأوزاعى ومالك ينفى الرجل ولا تنفى المرأة قال مالك ولا ينفى العبد نصف سنة والظاهر ان هذا الجلد انما هو على من ثبت عليه الزنا فلو وجدا فى ثوب واحد فقال اسحق يضرب كل واحد منهما مائة جلدة وروى ذلك عن عمر وعلى * وقال عطاء والثورى ومالك وأحمد يؤدبان على مذاهبهم فى الأدب وأما الاكراه فالمكرهة لاحد عليها وفى حد الرجل المكره خلاف وتفصيل بين أن يكرهه سلطان فلا يحد أو غيره فيحد وهو قول أبى حنيفة وقول أبى يوسف ومحمد والحسن بن صالح والشافعى لا يحد فى الوجهين وقول زفر يحد فيهما جميعا والظاهر انه لايندرج فى الزنا من أتى امرأة من دبرها ولاذكرا ولا بهيمة * وقيل يندرج والمأمور بالجلد أئمة المسلمين ونوابهم واختلفوا فى اقامة الخارجى المتغلب الحدود * فقيل له ذلك * وقيل لا وفى اقامة السيد على رقيقه * فقال ابن مسعود وابن عمر وعائشة وفاطمة والشافعى له ذلك * وقال أبو حنيفة ومحمد وزفر لا وقال مالك والليث له ذلك الا فى القطع فى السرقة فانما يقطعه الامام والجلد كما قلنا ضرب الجلد ولم تتعرض الآية لهيئة الجالد ولا هيئة المجلود ولا لمحل الجلد ولا لصفة الآلة المجلود بها وذلك مذكور فى كتب الفقه * وقال الزمخشرى (فان قلت) هذا حكم جميع الزناة والزوانى أم حكم بعضهم (قلت) بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم (فان قلت) اللفظ يقتضى تعليق الحكم بجميع الزناة والزوانى لان قوله الزانية والزانى عام فى الجميع يتناوله المحصن وغير المحصن (قلت) الزانية والزانى يدلان على الجنسين المنافيين لجنسى العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة فى الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم

المشترك انتهى وليست دلالة اللفظ على الجنسين كما ذكر دلالة مطلقة لان دلالة عموم الاستغراق مباينة لدلالة عموم البدل وهو الاطلاق وليست كدلالة المشترك لان دلالة العموم هي كل فرد فرد على سبيل الاستغراق ودلالة المشترك تدل على فرد فرد على الاستغراق أعني في الاستعمال وان كان في ذلك خلاف في أصول الفقه لكن ماذكرته هو الذي يصح في النظر واستعمال كلام العرب * وقرأ عليّ بن أبي طالب والسلمي وابن مقسم وداود بن أبي هند عن مجاهد ولا يأخذكم بالياء لان تأنيث الرأفة مجاز وحسن ذلك الفصل * وقرأ الجمهور بالتاء لتأنيث الرأفة لفظا * وقرأ الجمهور رأفة بسكون الهمزة وابن كثير بفتحها وابن جريج بألف بعد الهمزة * وروى هذا عن عاصم وابن كثير وكلها مصادر أشهرها الأول والرأفة المنهى أن تأخذ المتولين اقامة الحد * قال أبو مجلز ومجاهد وعكرمة وعطاء هي في اسقاط الحد أي أقيموه ولا بد رأخذا تأويل ابن عمر وابن جبير وغيرهما ومن مذهبهم ان الحد في الزنا والفرية والخمر على نحو واحد * وقال قتادة وابن المسيب وغيرهما الرأفة المنهى عنها هي في تخفيف الضرب على الزناة ومن رأيهم أن يخفف ضرب الفرية والخمر ويشدد ضرب الزنا * وقال الزمخشري والمعنى ان الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده انتهى فهذا تحسين قول أبي مجاز ومن وافقه * وقال الزهري يشدد في الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب * وقال مجاهد والشعبي وابن زيد في الكلام حذف تقديره ولا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها والنهى في الظاهر للرأفة والمراد ما تدعو اليه الرأفة وهو تعطيل الحدود أو نقصها ومعنى في دين الله في الاخلال بدين الله أي بشرعه * قيل ويحتمل أن يكون الدين بمعنى الحكم * ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر تثبيت وحض وتهييج للغضب لله ولدينه كما تقول ان كنت رجلا فافعل وأمر تعالى بحضور جلدهما طائفة اغلاظا على الزناة وتوبيخا لهم بحضرة الناس وسمى الجلد عذابا إذ فيه إيلام وافتضاح وهو عقوبة على ذلك الفعل والطائفة المأمور بشهودها ذلك يدل الاشتقاق على ما يكون يطوف بالشئ وأقل ما يتصور ذلك فيه ثلاثة وهي صفة غالبة لانها الجماعة الحافة بالشئ * وعن ابن عباس وابن زيد في تفسيرها أربعة الى أربعين * وعن الحسن عشرة * وعن قتادة والزهري ثلاثة فصاعدا * وعن عكرمة وعطاء رجلان فصاعدا وهو مشهور قول مالك * وعن مجاهد الواحد فما فوقه واستعمال الضمير الذي للجمع عائدا على الطائفة في كلام العرب دليل على انه يراد بها الجمع وذلك كثير في القرآن * الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة الظاهر انه خبر قصد به تشنيع الزنا وأمره ومعنى لا ينكح لا يطأ وزاد المشركة في التقسيم فالمعنى ان الزاني في وقت زناه لا يجامع إلا زانية من المسلمين أو أخس منها وهي المشركة والنكاح بمعنى الجماع مروى عن ابن عباس هنا * وقال الزمخشري وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين أحدهما ان هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم يرد بها الا معنى العقد والثاني فساد المعنى وأداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا تزني إلا بزان انتهى وماذكره من الأمر الأول أخذه من الزجاج قال لا يعرف النكاح في كتاب الله إلا بمعنى التزويج وليس كما قال وفي القرآن حتى تنكح زوجا غيره وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه بمعنى الوطء وأما الأمر الثاني فالمقصود به تشنيع الزنا وتشنيع أمره وأنه محرم على المؤمنين * وقال الزمخشري وأخذه من الضحاك وحسنه الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والخبث لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء اللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة

(الدر)

(ش) وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين أحدهما ان هذه أي الكلمة اينما وردت في القرآن لم يرد بها الا معنى العقد والثاني فساد المعنى وأداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا تزني الا بزان (ح) ماذكره من الأمر الأول أخذه من الزجاج قال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج وليس كما قال وفي القرآن حتى تنكح زوجا غيره وبين الرسول انه بمعنى الوطء وأما الأمر الثاني فالمقصود به تشنيع الزنا وتشنيع أمره وانه محرم على المؤمنين

من شكله أو فى مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال
و ينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة والمشركين ونكاح المؤمن الممدوح
عند الله الزانية و رغبته فيها وانخراطه بذلك فى سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم محظور لما فيه
من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد ومجالسة
الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزوانى والقحاب واقدامه على ذلك
انتهى * وعن ابن عمر وابن عباس وأصحابه انها فى قوم مخصوصين كانوا يزنون فى جاهليتهم ببغايا
مشهورات فلما جاء الاسلام وأسلموا لم يمكنهم الزنا فأرادوا لفقرهم زواج أولئك النسوة إذ كن
من عادتهن الانفاق على من ارتسم بزواجهن فنزلت الآية بسببهن والاشارة بالزانى الى أحد أولئك
أطلق عليه اسم الزنا الذى كان فى الجاهلية وقوله لا ينكح أى لا يتزوج وعلى هذين التأويلين فيه
معنى التفجع عليهم وفيه توبيخ كأنه يقول الزانى لا يريد أن يتزوج إلا زانية أو مشركة أى تنزع
نفوسهم الى هذه الخسائس لقلة انضباطهم ويرد على هذين التأويلين الاجماع على أن الزانية
لا يجوز أن يتزوجها مشرك فى قوله وحرم ذلك على المؤمنين أى نكاح أولئك البغايا فيزعم
أهل هذين التأويلين ان نكاحهن حرمه الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم * وقال الحسن المراد
الزانى المحدود والزانية المحدودة قال وهذا حكم من الله فلا يجوز لزان محدود أن يتزوج الا زانية * وقد
روى ان محدودا تزوج غير محدودة فرد على بن أبى طالب نكاحها * وحرم ذلك على المؤمنين يريد
الزنا * وروى الزهراوى فى هذا حديثا من طريق أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا
ينكح الزانى المحدود الا مثله * قال ابن عطية وهذا حديث لا يصح وقول فيه نظر وادخال المشرك فى
الآية يرده وألفاظ الآية تأباه وان قدرت المشركة بمعنى الكتابية فلا حيلة فى لفظ المشرك انتهى
* وقال ابن المسيب هذا حكم كان فى الزناة عام أن لا يتزوج زان الا زانية ثم جاءت الرخصة ونسخ ذلك
بقوله وأنكحوا الأيامى منكم وقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وروى ترتيب هذا النسخ
عن مجاهد الا أنه قال حرم نكاح أولئك البغايا على أولئك النفر * قال ابن عطية وذكر الاشراك فى
الآية يضعف هذه المناحى انتهى * وعن الجبائى انها منسوخة بالاجماع وضعف بأنه ثبت فى أصول
الفقه أن الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به وتلخص من هذه الأقوال ان النكاح ان أريد به الوطء فالآية
وردت مبالغة فى تشنيع الزنا وان أريد به التزوج فاما أن يراد به عموم فى الزناة ثم نسخ أو عموم فى
الفساق الخبيثين لا يرغبون الا فيمن هو شكل لهم والفواسق الخبائث لا يرغبن الا فيمن هو شكل
لهن ولا يجوز التزويج على ما قرره الزمخشرى أو يراد به خصوص فى قوم كانوا فى الجاهلية زناة
ببغايا فأرادوا تزوجهن لفقرهم وايسارهن مع بقائهن على البغاء فلا يتزوج عفيفة ولو زنا رجل
بامرأة ثم أراد تزوجها فأجاز ذلك أبو بكر الصديق وابن عمر وابن عباس وجابر وطاوس وابن
المسيب وجابر بن زيد وعطاء والحسن وعكرمة ومالك والثورى والشافعى ومنعه ابن مسعود والبراء
ابن عازب وعائشة وقالا لا يزالان زانيين ما اجتمعا ومن غريب النقل انه لو تزوج معروف بالزنا أو
بغيره من الفسوق ثبت الخيار فى البقاء معه أو فراقه وهو عيب من العيوب التى يترتب الخيار عليها
وذهب قوم الى أن الآية محكمة وعندهم ان من زنى من الزوجين فسد النكاح بينهما * وقال قوم منهم
لا ينفسخ و يؤمر بطلاقها اذا زنت فان أمسكها أثم قالوا ولا يجوز التزوج بالزانية ولا من الزانى فان
ظهرت التوبة جاز * وقال الزمخشرى (فان قلت) أى فرق بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية

(قلت) معنى الأولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفتها بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهى والمرفوع فيه معنى النهى ولكن هو أبلغ وآكد كما أن رحمك الله ويرحمك الله أبلغ من ليرحمك ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها انتهى * وقرأ أبو البرهشيم وحرم مبنيا للفاعل أى الله وزيد بن على وحرم بضم الراء وفتح الحاء والجمهور وحرّم مشددا مبنيا للمفعول والقذف الرمى بالزنا وغيره والمراد به هنا الزنا لاعتقابه إياه ولاشتراط أربعة شهداء وهو مما يخص القذف بالزنا اذ فى غيره يكفى شاهدان * قال ابن جبير ونزلت بسبب قصة الافك * وقيل بسبب القذفة عاما واستعير الرمى للشتم لأنه اذاية بالقول * كما قال * وجرح اللسان كجرح اليد * وقال

رمانى بأمر كنت منه ووالدى * بريئا ومن أجل الطوى رمانى

* والمحصنات الظاهر ان المراد النساء العفائف وخص النساء بذلك وان كان الرجال يشركونهن فى الحكم لأن القذف فيهن أشنع وأنكر للنفوس ومن حيث هن هوى الرجال ففيه إيذاء لهن ولأزواجهن وقراباتهن * وقيل المعنى الفروج المحصنات كما قال والتى أحصنت فرجها * وقيل الأنفس المحصنات وقاله ابن حزم وحكاه الزهراوى فعلى هذين القولين يكون اللفظ شاملا للنساء وللرجال ويدل على الثانى قوله والمحصنات من النساء وثم محذوف أى بالزنا وخرج بالمحصنات من ثبت زناها أو زناه واستلزم الوصف بالاحصان الاسلام والعقل والبلوغ والحرية * قال أبو بكر الرازى ولا نعلم خلافا بين الفقهاء فى هذا المعنى والمراد بالمحصنات غير مزوجات الرامين أو لمن زوجه حكم يأتى بعد ذلك والرمى بالزنا الموجب للحد هو التصريح بأن يقول يا زانية أو يا زانى أو يا ابن الزانى وابن الزانية يا ولد الزنا لست لأبيك لست لهذه وما أشبه ذلك من الصرائح فلو عرض كأن يقول ما أنا بزان ولا أمى بزانية لم يحد فى مذهب أبى حنيفة وزفر وأبى يوسف ومحمد وابن شبرمة والثورى والحسن بن صالح والشافعى ويحد فى مذهب مالك وثبت الحد فيه عن عمر بعد مشاورته الناس وقال أحمد واسحق هو قذف فى حال الغضب دون الرضا فلو قذف كتابيا اذا كان للمقذوف ولد مسلم * وقيل اذا قذف الكتابية تحت المسلم حد واتفقوا على ان قاذف الصبى لا يحد وان كان مثله يجامع واختلفوا فى قاذف الصبية * فقال مالك يحد اذا كان مثلها يجامع * وقال مالك والليث يحد اذا كان مثلها يجامع * وقال مالك والليث يحد قاذف المجنون * وقال غيرهما لا يحد * والذين يرمون ظاهره الذكور وحكم الراميات حكمهم ولو قذف الصبى أو المجنون زوجته أو أجنبية فلا حد عليه أو أخرس وله كناية معروفة أو اشارة مفهومة حد عند الشافعى * وقال أبو حنيفة لا يصح قذفه ولا لعانه ولما كانت معصية الزنا كبيرة من أمهات الكبائر وكان متعاطيها كثيرا ما يتستر بها فقلما يطلع أحد عليها شدد الله تعالى على القاذف حيث شرط فيها أربعة شهداء رحمة بعباده وسترا لهم والمعنى ثم لم يأتوا الحكام والجمهور على اضافة أربعة الى شهداء * وقرأ أبو زرعة وعبد الله بن مسلم بأربعة بالتنوين وهى قراءة فصيحة لأنه اذا اجتمع اسم العدد والصفة كان الاتباع أجود من الاضافة ولذلك رجح ابن جنى هذه القراءة على قراءة الجمهور من حيث أخذ مطلق الصفة وليس كذلك لأن الصفة اذا جرت مجرى الأسماء وباشرتها العوامل جرت فى العدد وفى غيره مجرى الأسماء ومن ذلك شهيد ألا ترى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وقوله واستشهدوا شهيدين وكذلك عبد

(ح) قرأ أبو زرعة وعبد الله بن مسلم بأربعة بالتنوين وهى قراءة فصيحة لأنه اذا اجتمع اسم العدد والصفة كان الاتباع أجود من الاضافة ولذلك رجح ابن جنى هذه القراءة على قراءة الجمهور من حيث أخذ مطلق الصفة وليس كذلك لان الصفة اذا جرت مجرى الاسماء وباشرتها العوامل جرت فى العدد وفى غيره مجرى الاسماء ومن ذلك شهيد ألا ترى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وقوله واستشهدوا شهيدين وكذلك عبد فثلاثة شهداء بالاضافة أفصح من التنوين والاتباع وكذلك ثلاثة أعبد (ع) وسيبويه يرى ان تنوين العدد وترك اضافته انما يجوز فى الشعر (ح) ليس كما ذكر انما يرى ذلك سيبويه فى العدد الذى بعده اسم نحو ثلاثة رجال وأما فى الصفة فلا بل الصحيح التفصيل الذى ذكرناه واذا نونت أربعة فشهداء بدل أو هو وصف جرى مجرى الاسماء أو صفة لانه صفة حقيقية ويضعف قول من قال انه حال أو تمييز

فثلاثة شهداء بالاضافة أفصح من التنوين والاتباع وكذلك ثلاثة أعبد * وقال ابن عطية وسيبويه يرى أن تنوين العدد وترك اضافته انما يجوز في الشعر انتهى وليس كما ذكر انما يرى ذلك سيبويه في العدد الذي بعده اسم نحو ثلاثة رجال وأما في الصفة فلا بل الصحيح التفصيل الذي ذكرناه واذا نونت أربعة فشهداء بدل اذ هو وصف جرى مجرى الاسماء أو صفة لانه صفة حقيقية ويضعف قول من قال انه حال أو تمييز وهذه الشهادة تكون بالمعاينة البليغة كالمرود في المكحلة والظاهر انه لا يشترط شهادتهم أن تكون حالة اجتماعهم بل لو أتى بهم متفرقين صحت شهادتهم * وقال أبو حنيفة شرط ذلك أن يشهدوا مجتمعين فلو جاؤا متفرقين كانوا قذفة والظاهر انه يجوز أن يكون أحد الشهود زوج المقذوفة لاندراجه في أربعة شهداء ولقوله فأشهدوا عليهن أربعة منكم ولم يفرق بين كون الزوج فيهم وبين أن يكونوا أجنبيين وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وتحد المرأة وروى ذلك عن الحسن والشعبي * وقال مالك والشافعي يلاعن الزوج ويحد الثلاثة وروى مثله عن ابن عباس * فاجلدوهم أمر للامام ونوابه بالجلد والظاهر وجوب الجلد وان لم يطالب المقذوف وبه قال ابن أبي ليلى * وقال أبو حنيفة وأصحابه والاوزاعي والشافعي لا يحد الا بمطالبته * وقال مالك كذلك الا أن يكون الامام سمعه يقذفه فيحده اذا كان مع الامام شهود عدول وان لم يطالب المقذوف والظاهر أن العبد القاذف حر اذا لم يأت بأربعة شهداء حد ثمانين لاندراجه في عموم والذين يرمون وبه قال عبد الله بن مسعود والاوزاعي * وقال أبو حنيفة وأصحابه ومالك والثوري وعثمان البتي والشافعي يجلد أربعين وهو قول علي وفعل أبي بكر وعمر وعلي ومن بعدهم من الخلفاء قاله عبد الله بن ربيعة ولو قذف واحد جماعة بلفظ واحد أو أفرد لكل واحد حد حدا واحدا وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ومالك والثوري والليث * وقال عثمان البتي والشافعي لكل واحد حد * وقال الشعبي وابن أبي ليلى ان كان بلفظ واحد نحو يا زناة فحد واحد أو قال لكل واحد يا زاني فلكل انسان حد والظاهر من الآية انه لا يجلد الا القاذف ولم يأت جلد الشاهد اذا لم يستوف عدد الشهود وليس من جاء للشهادة للقاذف بقاذف وقد أجراه عمر مجرى القاذف * وجلد أبا بكرة وأخاه نافعا وشبل بن معبد البجلي لتوقف الرابع وهو زيادة في الشهادة فلم يؤدها كاملة ولو أتى بأربعة شهداء فساق * فقال زفر يدرأ الحد عن القاذف والشهود * وعن أبي يوسف يحد القاذف ويدرأ عن الشهود * وقال مالك وعبيد الله بن الحسن يحد الشهود والقاذف * ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا الظاهر أنه لا يقبل شهادته أبدا وان أكذب نفسه وتاب وهو نهي جاء بعد أمر فكما ان حكمه الجلد كذلك حكمه رد شهادته وبه قال شريح القاضي والنخعي وابن المسيب وابن جبير والحسن والثوري وأبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح لا تقبل شهادة المحدود في القذف وان تاب وتقبل شهادته في غير القذف اذا تاب * وقال مالك تقبل في القذف بالزنا وغيره اذا تاب وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد والشعبي والقاسم بن محمد وسالم والزهري وقال لا تقبل شهادة محدود في الاسلام يعني مطلقا وتوبته عما اذا تقبل باكذاب نفسه في القذف وهو قول الشافعي وكذا فعل عمر بنافع وشبل أكذبا أنفسهما فقبل شهادتهما وأصر أبو بكرة فلم تقبل شهادته حتى مات * وأولئك هم الفاسقون الظاهر انه كلام مستأنف غير داخل في حيز الذين يرمون كأنه اخبار بحال الرامين بعد انقضاء الموصول المتضمن معنى الشرط وما ترتب في خبره من الجلد وعدم قبول الشهادة أبدا * الا الذين تابوا هذا الاستثناء يعقب جملا ثلاثة جملة الامر بالجلد وهو لو تاب وأكذب نفسه لم يسقط عنه حد القذف وجملة النهي

عن قبول شهادتهم أبدا وقد وقع الخلاف في قبول شهادتهم اذا تابوا بناء على أن هذا الاستثناء راجع الى جملة النهي وجملة الحكم بالفسق أو هو راجع الى الجملة الاخيرة وهي الثالثة وهي الحكم بفسقهم والذي يقتضيه النظر ان الاستثناء اذا تعقب جملة يصلح أن يتخصص كل واحد منها بالاستثناء أن يجعل تخصيصا في الجملة الاخيرة وهذه المسئلة تكلم عليها في أصول الفقه وفيها خلاف وتفصيل ولم أر من تكلم عليها من النحاة غير المهابادي وابن مالك فاختار ابن مالك أن يعود الى الجمل كلها كالشرط واختار المهابادي أن يعود الى الجملة الاخيرة وهو الذي نختاره وقد استدللنا على صحة ذلك في كتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل * وقال الزمخشري وجعل يعني الشافعي الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند أبي حنيفة النصب لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث مجموعهن جزاء الشرط يعني الموصول المضمن معنى الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوه وردوا شهادته وفسقوه أي اجمعوا له الحد والرد والفسق * الا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فان الله غفور رحيم فينقلبون غير محدودين ولا مردودين ولا مفسقين انتهى وليس يقتضي ظاهر الآية عود الاستثناء الى الجمل الثلاث بل الظاهر هو ما يعضده كلام العرب وهو الرجوع الى الجملة التي تليها والقول بأنه استثناء منقطع مع ظهور اتصاله ضعيف لا يصار اليه الا عند الحاجة ولما ذكر تعالى قذف المحصنات وكان الظاهر انه يتناول الازواج وغيرهن ولذلك قال سعد بن عبادة يا رسول الله ان وجدت مع امرأتي رجلا أمهله حتى آتي بأربعة شهداء والله لأضربنه بالسيف غير مصفح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم على حد هلال بن أمية حين رمى زوجته بشريك بن سحماء فنزلت والذين يرمون أزواجهم واتضح أن المراد بقوله والذين يرمون المحصنات غير الزوجات والمشهور ان نازلة هلال قبل نازلة عويمر * وقيل نازلة عويمر قبل والمعنى بالزنا ولم يكن لهم شهداء ولم يقيد بعدد اكتفاء بالتقييد في قذف غير الزوجات والمعنى شهداء على صدق قولهم * وقرئ ولم تكن بالتاء * وقرأ الجمهور بالياء وهو الفصيح لأنه اذا كان العامل مفرغا لما بعد الا وهو مؤنث فالفصيح أن يقول ما قام الا هند وأما قامت الا هند فأكثر أصحابنا يخصه بالضرورة وبعض النحويين يجيزه في الكلام على قلة * وأزواجهم يعم سائر الازواج من المؤمنات والكافرات والاماء فكلهن يلاعن الزوج للانتفاء من العمل * وقال أبو حنيفة وأصحابه بأحد معنيين أحدهما أن تكون الزوجة ممن لا يجب على قاذفها الحد وان كان أجنبيا نحو أن تكون الزوجة مملوكة أو ذمية وقد وطئت وطأ حراما في غير ملك والثاني أن يكون أحدهما ليس من أهل الشهادة بأن يكون محدودا في قذف أو كافرا أو عبدا فأما اذا كان أعمى أو فاسقا فله أن يلاعن * وقال الثوري والحسن بن صالح لا لعان اذا كان أحد الزوجين مملوكا أو كافرا ويلاعن المحدود في القذف * وقال الاوزاعي لا لعان بين أهل الكتاب ولا بين المحدود في القذف وامرأته * وقال الليث يلاعن العبد امرأته الحرة والمحدود في القذف * وعن مالك الامة المسلمة والحرة الكتابية يلاعن الحر المسلم والعبد يلاعن زوجته الكتابية وعنه ليس بين المسلم والكافرة لعان الا لمن يقول رأيتها تزني فيلاعن ظهر الحمل أو لم يظهر ولا يلاعن المسلم الكافرة ولا زوجته الامة الا في نفي الحمل ويتلاعن المملوكان المسلمان لا الكافران * وقال الشافعي

بدلا من هم في لهم وحقه عند أبي حنيفة النصب لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن يكون الجمل الثلاث مجموعهن جزاء الشرط يعني الموصول المضمن معنى الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوه وردوا شهادته وفسقوه أي اجمعوا له الحد والرد والفسق الا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فان الله غفور لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين (ح) ليس يقتضي ظاهر الآية عود الاستثناء الى الجمل الثلاث بل الظاهر هو ما يعضده كلام العرب وهو الرجوع الى الجملة التي تليها وذلك ان الذي يقتضيه النظر ان الاستثناء اذا تعقب جملة يصلح أن يتخصص كل واحد منها بالاستثناء أن يجعل تخصيصا في الجملة الاخيرة وهذه المسئلة تكلم عليها في أصول الفقه وفيها خلاف وتفصيل ولم أر من تكلم عليها من النحاة غير المهابادي وابن مالك فاختار ابن مالك أن يعود الى الجمل كلها كالشرط

واختار المهابادي أن يعود الى الجملة الأخيرة وهو الذي نختاره وقد استدللنا عليه في كتب النحو والقول بأنه استثناء منقطع مع ظهور اتصاله ضعيف لا يصار اليه الا عند الحاجة

كل زوج جاز طلاقه ولزمه الفرض يلاعن والظاهر العموم فى الرامين وزوجاتهم المرميات بالزنا والظاهر اطلاق الرمى بالزنا سواء قال عاينتها تزنى أم قال زنيت وهو قول أبى حنيفة وأصحابه وكان مالك لا يلاعن الا أن يقول رأيتك تزنين أو ينفى حملا بها أو ولدا منها والاعمى يلاعن * وقال الليث لا يلاعن الا أن يقول رأيت عليها رجلا أو يكون استبرأها فيقول ليس هذا الحمل منى ولم تتعرض الآية فى اللعان الا لكيفيته من الزوجين وقد أطال المفسرون الزمخشرى وابن عطية وغيرهما فى ذكر كثير من أحكام اللعان مما لم تتعرض له الآية وينظر ذلك فى كتب الفقه * وقرأ الجمهور أربع شهادات بالنصب على المصدر * وارتفع فشهادة خبرا على اضمار مبتدإ أى فالحكم أو الواجب أو مبتدأ على اضمار الخبر متقدما أى فعليه أن يشهد أو مؤخرا أى كافيه أو واجبه * وبالله من صلة شهادات ويجوز أن يكون من صلة فشهادة قاله ابن عطية وفرغ الحوفى ذلك على الاعمال فعلى رأى البصريين واختيارهم يتعلق بشهادات وعلى اختيار الكوفيين يتعلق بقوله فشهادة * وقرأ الاخوان وحفص والحسن وقتادة والزعفرانى وابن مقسم وأبو حيوة وابن أبى عبلة وأبو بحرية وأبان وابن سعدان أربع بالرفع خبرا للمبتدإ وهو فشهادة وبالله من صلة شهادات على هذه القراءة ولا يجوز أن يتعلق بفشهادة للفصل بين المصدر ومعموله بالجر ولا يجوز ذلك * وقرأ الجمهور والخامسة بالرفع فيهما * وقرأ طلحة والسلمى والحسن والأعمش وخالد بن اياس ويقال ابن الياس بالنصب فيهما * وقرأ حفص والزعفرانى بنصب الثانية دون الأولى فالرفع على الابتداء وما بعده الخبر ومن نصب الأولى فعطف على أربع فى قراءة من نصب أربع وعلى اضمار فعل يدل عليه المعنى فى قراءة من رفع أربع أى وتشهد الخامسة ومن نصب الثانية فعطف على أربع وعلى قراءة النصب فى الخامسة يكون ان بعده على اسقاط حرف الجر أى بأن وجوز أن يكون ان وما بعده بدلا من الخامسة * وقرأ نافع ان لعنة بتخفيف أن ورفع لعنة وان غضب بتخفيف ان وغضب فعل ماض والجلالة بعد مرفوعة وهى ان المخففة من الثقيلة لما خففت حذف اسمها وهو ضمير الشأن * وقرأ أبو رجاء وقتادة وعيسى وسلام وعمرو بن ميمون والاعرج ويعقوب بخلاف عنهما والحسن أن لعنة كقراءة نافع وأن غضب بتخفيف أن وغضب مصدر مرفوع وخبر ما بعده وهى ان المخففة من الثقيلة * وقرأ باقى السبعة أن لعنة الله وأن غضب الله بتشديد أن ونصب ما بعدهما اسما لها وخبر ما بعد * قال ابن عطية وان الخفيفة على قراءة نافع فى قوله ان غضب قد وليها الفعل * قال أبو على وأهل العربية يستقبحون أن يليها الفعل الا أن يفصل بينها وبينه بشئ نحو قوله علم أن سيكون وقوله أفلا يرون أن لا يرجع وأما قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فذلك لعلة تمكن ليس فى الأفعال وأما قوله أن بورك من فى النار فبورك على معنى الدعاء فلم يجر دخول الفواصل لئلا يفسد المعنى انتهى ولا فرق بين أن غضب الله وأن بورك فى كون الفعل بعد ان دعاء ولم يبين ذلك ابن عطية ولا الفارسى ويكون غضب دعاء مثل النحاة انه اذا كان الفعل دعاء لا يفصل بينه وبين أن بشئ وأورد ابن عطية أن غضب فى قراءة نافع مورد المستغرب * ويدرأ عنها العذاب أى يدفع والعذاب قال الجمهور الحد * وقال أصحاب الرأى لا حد عليها ان لم يلاعن ولا يوجبه عليها قول الزوج * وحكى الطبرى عن آخرين ان العذاب هو الحبس والظاهر الاكتفاء فى اللعان بهذه الكيفية المذكورة فى الآية وبه قال الليث ومكان ضمير الغائب ضمير المتكلم فى شهادته مطلقا وفى شهادتها فى قوله عليها تقول على * فقال الثورى وأبو حنيفة ومحمد وأبو يوسف يقول بعد من

﴿ان الذين جاؤابالافك﴾ الآية سبب نزول هذه الآيات مذكور فى حديث عائشة فى الصحيح والافك الكذب والافتراء ﴿والعصبة﴾ الجماعة وتقدم الكلام عليها فى يوسف ﴿منكم﴾ أى من أهل ملتكم فى موضع الصفة و ﴿لاتحسبوه﴾ مستأنف والضمير فى لاتحسبوه الظاهر أنه عائد على الافك بل هو خير لكم لبراءة الساحة وثواب الصبر على ذلك الاذى وانكشاف كذب القاذفين ﴿ما اكتسب من الاثم﴾ أى جزاء ما اكتسب وذلك بقدر ماخاض فيه (٤٣٥) لأن بعضهم ضحك وبعضهم سكت وبعضهم تكلم وا كتسب مستعمل فى المآثم ونحوها لأنها تدل على اعتمال وقصد فهو أبلغ فى التكذيب وكسب مستعمل فى الخير لأن حصوله مغن عن الدلالة على اعتمال فيه وقد تستعمل كسب فى الوجهين ﴿والذى تولى كبره﴾ المشهور أنه عبد الله بن أبى ابن سلول * والعذاب العظيم هو عذاب يوم القيامة وقيل هو ماأصاب حسان من ذهاب بصره وشل يده وقرئ كبره بكسر الكاف وضمها والعذاب الأليم عماه وحده وضرب صفوان له بالسيف على رأسه وقال

توق ذباب السيف عنى فاننى
غلام اذا هوجيت لست بشاعر
ولكننى أحمى حماى وأتقى
من الباهت الرامى البرئ الظواهر

وأنشد حسان أبياتا يثنى فيها على أم المؤمنين ويظهر براءته مما نسب اليه وهى هذه

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل * خليلة خير الناس دينا ومنصبا
نبى الهدى والمكرمات الفواضل * عقيلة حى من لؤى بن غالب * كرام المساعى مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل شين وباطل * فان كان مابلغت عنى قلته
فلا رفعت سوطى الى أناملى * وكيف وودى ماحييت ونصرتى * لآل رسول الله زين المحافل

الصادقين فيمارماها به من الزنا وكذا بعد من الكاذبين وكذا هى بعد من الكاذبين ومن الصادقين فان كان هنالك ولد ينفيه زاد بعد قوله فيمارماها به من الزنا فى نفى الولد * وقال مالك يقول أشهد بالله انى رأيتها تزنى وهى أشهد بالله مارآنى أزنى والخامسة تقول ذلك أربعا والخامسة لفظ الآية * وقال الشافعى يقول أشهد بالله انى لصادق فيمارميت به زوجتى فلانة بنت فلان ويشير اليها ان كانت حاضرة أربع مرات ثم يقعد الامام ويذكره الله تعالى فان رآه يريد أن يمضى أمر من يضع يده على فيه ويقول ان قولك وعلى لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيمارميت به فلانة من الزنا فان قذفها بأحد يسميه بعينه واحدا أواثنين فى كل شهادة وان نفى ولدها زاد وان هذا الولد ماهو منى والظاهر أنه اذا طلقها بائنا فقذفها وولدت قبل انقضاء العدة فنفى الولد أنه يحد ويلحقه الولد لأنه لاينطلق عليها زوجة الا مجازا * وعن ابن عباس اذا طلقها تطليقة أوتطليقتين ثم قذفها حد * وعن ابن عمر يلاعن * وعن الليث والشافعى اذا أنكر حملها بعد البينونة لاعن * وعن مالك ان أنكره بعد الثلاث لاعنها * ولو قذفها ثم بانت منه بطلاق أوغيره فقال الثورى وأبو حنيفة وأصحابه لاحد ولا لعان * وقال الأوزاعى والليث والشافعى يلاعن وهذا هو الظاهر لأنها كانت زوجته حالة القذف والظاهر من قوله فشهادة أحدهم أنه يلزم ذلك فان نكل حبس حتى يلاعن وكذلك هى وهذا مذهب أبى حنيفة وأصحابه * وقال مالك والحسن بن صالح والليث والشافعى أيهما نكل حد هو للقذف وهى للزنا * وعن الحسن اذا لاعن وأبت حبست * وعن مكحول والضحاك والشعبى ترجم ومشروعية اللعان دليل على أن الزنا والقذف ليسا بكفر من فاعلهما خلافا للخوارج فى قولهم ان ذلك كفر من الكاذب منهما لاستحقاق اللعن من الله والغضب * قال الزمخشرى (فان قلت) لم خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله (قلت) تغليظا عليها لأنها هى أصل الفجور ومنبعه باطماعها ولذلك كانت مقدمة فى آية الجلد ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخويلة والرجم أهون عليك من غضب الله * ولولا فضل الله الى آخره * قال السدى فضله منته ورحمته نعمته * وقال ابن سلام فضله الاسلام ورحمته الكتمان * ولما بين تعالى حكم الرامى المحصنات والأزواج كان فى فضله ورحمته ان جعل اللعان سبيلا الى الستر والى درء الحد وجواب لولا محذوف * قال التبريزى تقديره لهلكتم أولفضحكم أولعاجلكم بالعقوبة أولتبين الكاذب * وقال ابن عطية لكشف الزناة بأيسر من هذا أولأخذهم بعقاب من عنده ونحو هذا من المعانى التى يوجب تقديرها ابهام الجواب ﴿إن الذين جاؤابالافك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾

لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم ﴾ سبب نزول هذه الآيات مشهور مذكور فى الصحيح والافك الكذب والافتراء * وقيل هو البهتان لاتشعر به حتى يفجأك * والعصبة الجماعة وقد تقدم الكلام عليها فى سورة يوسف عليه السلام * منكم أى من أهل ملتكم وممن ينتمى الى الاسلام ومنهم منافق ومنهم مسلم والظاهر ان خبران هو عصبة منكم ومنكم فى موضع الصفة وقاله الحوفى وأبو البقاء * ولاتحسبوه مستأنف * وقال ابن عطية عصبة رفع على البدل من الضمير فى جاؤا وخبران فى قوله ولاتحسبوه التقدير ان فعل الذين وهذا أنسق فى المعنى وأكثر فائدة من أن يكون عصبة خبران انتهى والعصبة عبد الله بن أبى رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ممن لم يرد ذكر اسمه ولاتحسبوه خطاب لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخصوصا أصحاب القصة والضمير فى لاتحسبوه الظاهر أنه عائد على الافك وعلى اعراب ابن عطية يعود على ذلك المحذوف الذى قدره اسم ان * قيل ويجوز أن يعود على القذف وعلى المصدر المفهوم من جاؤا وعلى مانال المسلمين من الغم والمعنى لاتحسبوه ينزل بكم منه عار بل هو خير لكم لبراءة الساحة وثواب الصبر على ذلك الأذى وانكشاف كذب القاذفين * وقيل الخطاب بلاتحسبوه للقاذفين وكينونة ذلك خيرا لهم حيث كان هذا الذكر عقوبة معجلة كالكفارة وحيث تاب بعضهم وهذا القول ضعيف لقوله بعد لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم أى جزاء ما اكتسب وذلك بقدر ماخاض فيه لان بعضهم ضحك وبعضهم سكت وبعضهم تكلم واكتسب مستعمل فى المآثم ونحوها لانها تدل على اعتمال وقصد فهو أبلغ فى الترتيب وكسب مستعمل فى الخير لأن حصوله مغن عن الدلالة على اعتمال فيه وقد يستعمل كسب فى الوجهين * والذى تولى

له رتب عال على الناس فضلها * تقاصر عنها سورة المتطاول ﴿ لولا اذ سمعتموه ﴾ لولا حرف تحضيض بمعنى هلا وفيه تحريض على ظن الخير وزجر وأدب والظاهر أن الخطاب للمؤمنين حاشا من تولى كبره قيل ويحتمل دخولهم فى الخطاب وفيه عتاب أى كان الانكار واجبا عليهم وعدل بعد الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يجئ التركيب ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ليبالغ فى التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لايصدق مؤمن على أخيه قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن اذا سمع مقالة فى أخيه أن يبنى الأمر فيه على ظن الخير وأن يقول بناء على ظنه هذا إفك مبين هكذا باللفظ الصريح ببراءة أخيه ﴿ ولولا فضل الله عليكم ﴾ الآية أى فى الدنيا بالنعم التى منها الامهال للتوبة ﴿ ورحمته ﴾ عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة ﴿ لمسكم ﴾ العذاب فيما خضتم فيه من حديث الافك يقال أفاض فى الحديث واندفع وهضب وخاض ﴿ اذ تلقونه ﴾ العامل فى اذ لمسكم تلقونه أى يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه والأصل وتلقفه تتلقونه ومعنى بأفواهكم أى تلوكونه وتديرونه فيها من غير علم لأن الشئ المعلوم يكون فى القلب ثم يعبر عنه باللسان وهذا الافك ليس محله الا الأفواه كما قال يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ﴿ وتحسبونه هينا ﴾ أى ذنبا صغيرا ﴿ وهو عند الله ﴾ من الكبائر وعلق من العذاب بثلاثة آثام تلقى الافك والتكلم به واستصغاره ثم أخذ يوبخهم على التكلم به وكان الواجب عليهم اذا سمعوه أن لايفوهوا به ﴿ ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ﴾ قال مجاهد هذه الاشارة الى عبد الله بن أبى ومن أشبهه ﴿ فى الذين آمنوا ﴾ لعداوتهم لهم والعذاب الأليم فى الدنيا الحد وفى الآخرة النار والظاهر فى الذين يحبون العموم فى كل قاذف منافقا كان أو مؤمنا وتعليق الوعيد على محبة الشياع دليل على أن ارادة الفسق فسق والله يعلم أى البرىء من المذنب وسرائر الأمور ووجه الحكمة فى ستركم والتغليظ فى الوعيد ﴿ والله يعلم ﴾ كذبهم ﴿ وأنتم لاتعلمون ﴾ لأنه غيب وجواب لولا محذوف أى لعاقبكم ﴿ وأن الله رؤف ﴾ بالبرية ﴿ رحيم ﴾ بقبول توبة من تاب من قذف

كبره المشهور انه عبد الله بن أبي والعذاب العظيم عذاب يوم القيامة * وقيل هو ما أصاب حسان من ذهاب بصره وشل يده وكان ذلك من عبد الله بن أبي لامعانه في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وروى عنه كلام قبيح في ذلك نزهت كتابي عن ذكره وقلمي عن كتابته قبحه الله * وقيل الذي تولى كبره حسان والعذاب الأليم عماه وحده وضرب صفوان له بالسيف على رأسه وقال له

توقّ ذباب السيف عني فانني * غلام اذا هوجيت لست بشاعر
ولكنني أحمي حماي وأتقي * من الباهت الرامي البريء الظواهر

وأنشد حسان أبياتا يثني فيها على أم المؤمنين ويظهر براءته مما نسب اليه وهي

حصان رزان ما تزنّ بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
خليلة خير الناس دينا ومنصبا * نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لؤي بن غالب * كرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل شين وباطل
فان كان ما بلغت عني قلته * فلا رفعت سوطي الىّ أناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي * بآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس فضلها * تقاصر عنها سورة المتطاول

قال ابن عباس والخطا[ب] لحسان ومسطح وحمن[ة] والظاهر العموم

والمشهور انه حد حسان ومسطح وحمنة * قيل وعبد الله بن أبي وقد ذكره بعض شعراء ذلك العصر في شعر * وقيل لم يحد مسطح * وقيل لم يحد عبد الله * وقيل لم يحد أحد في هذه القصة وهذا مخالف للنص * فاجلدوهم ثمانين جلدة وقابل ذلك يقول انما يقام الحد باقرار أو بينة ولم يتقيد باقامته بالاخبار كما لم يتقيد بقتل المنافقين وقد أخبر تعالى بكفرهم * وقرأ الجمهور كبره بكسر الكاف * وقرأ الحسن وعمرة بنت عبد الرحمن والزهري وأبو رجاء ومجاهد وأبو البرهثيم والأعمش وحميد وابن أبي عبلة وسفيان الثوري ويزيد بن قطيب ويعقوب والزعفراني وابن مقسم وسورة عن الكسائي ومحبوب عن أبي عمرو بضم الكاف والكبر والكبر مصدران لكبر الشيء عظم لكن استعمال العرب الضم ليس في السن هذا كبر القوم أي كبيرهم سنا أو مكانة وفي الحديث في قصة حويصة ومحيصة الكبر الكبر * وقيل كبره بالضم معظمه وبالكسر البداءة بالافك * وقيل بالكسر الاثم * لولا إذ سمعتموه هذا تحريض على ظن الخير وزجر وأدب والظاهر ان الخطاب للمؤمنين حاشا من تولى كبره * قيل ويحتمل دخولهم في الخطاب وفيه عتاب أي كان الانكار واجبا عليهم وعدل بعد الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر فلم يجئ التركيب ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في أخيه أن يبني الأمر فيه على ظن الخير وأن يقول بناء على ظنه هذا إفك مبين هكذا باللفظ الصريح ببراءة أخيه كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الأدب الحسن ومعنى بأنفسهم أي كان يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات هذا الأمر على أنفسهم فاذا كان ذلك يبعد عليهم فضوانه في حق من هو خير منهم أبعد * وقيل معنى بأنفسهم بأمهاتهم * وقيل باخوانهم * وقيل بأهل دينهم وقال ولا تلمزوا أنفسكم فسلموا على أنفسكم أي لا يلمز بعضكم بعضا وليسلم

بعضكم على بعض * لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء جعل الله فصلا بين الرمى الكاذب والرمى الصادق ثبوت أربعة شهداء وانتفاؤها * فاذا لم يأتوا فهم فى حكم الله وشريعته كاذبون وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك ولم يجدوا فى دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف فى الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل * ولولا فضل الله أى فى الدنيا بالنعم التى منها الامهال للتوبة ورحمته عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة * لمسكم العذاب فيما خضتم فيه من حديث الافك يقال أفاض فى الحديث واندفع وهضب وخاض * إذ تلقونه العامل فى إذ لمسكم * وقرأ الجمهور تلقونه بفتح الثلاث وشد القاف وشد التاء البزى وأدغم ذال اذ فى التاء النحويان وحمزة أى يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه والأصل تتلقونه وهى قراءة أبى * وقرأ ابن السميفع تلقونه بضم التاء والقاف وسكون اللام مضارع ألقى وعنه تلقونه بفتح التاء والقاف وسكون اللام مضارع لقى * وقرأت عائشة وابن عباس وعيسى وابن يعمر وزيد بن على بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف من قول العرب ولق الرجل كذب حكاه أهل اللغة * وقال ابن سيده جاؤا بالمتعدى شاهدا على غير المتعدى وعندى انه أراد يلقون فيه فحذف الحرف ووصل الفعل للضمير * وحكى الطبرى وغيره ان هذه اللفظة مأخوذة من الولق الذى هو الاسراع بالشئ بعد الشئ كعدد فى أثر عدد وكلام فى أثر كلام يقال ولق فى سيره اذا أسرع قال

* جاءت به عيس من الشام يلق * وقرأ ابن أسلم وأبو جعفر تألقونه بفتح التاء وهمزة ساكنة بعدها لام مكسورة من الالق وهو الكذب * وقرأ يعقوب فى رواية المازنى تيلقونه بتاء مكسورة بعدها ياء ولام مفتوحة كأنه مضارع ولق بكسر اللام كما قالوا تيجل مضارع وجلت * وقال سفيان سمعت أمى تقرأ اذ تثقفونه يعنى مضارع ثقف قال وكان أبوها يقرأ بحرف ابن مسعود ومعنى بأفواهكم وتديرونه فيما من غير علم لان الشئ المعلوم يكون فى القلب ثم يعبر عنه اللسان وهذا الافك ليس محله الا الأفواه كما قال يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم * وتحسبونه هينا أى ذنبا صغيرا وهو عند الله من الكبائر وعلق مس العذاب بثلاثة آثام تلقى الافك والتكلم به واستصغاره ثم أخذ يوبخهم على التكلم به وكان الواجب عليهم اذ سمعوه أن لا يفوهوا به * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم (قلت) للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة نفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها مالا يتسع فى غيرها انتهى وما ذكره من أدوات التحضيض يوهم ان ذلك مختص بالظرف وليس كذلك بل يجوز تقديم المفعول به على الفعل فتقول لولا زيدا ضربت وهلا عمرا قتلت * قال الزمخشرى (فان قلت) فأى فائدة فى تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا (قلت) الفائدة بيان انه كان الواجب عليهم أن ينقادوا حال ما سمعوه بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فان قلت) ما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل مالنا أن نتكلم بهذا (قلت) معناه ما ينبغى ويصح أى ما ينبغى لنا أن نتكلم بهذا ولا يصح لنا ونحوه ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق وسبحانك تعجب من عظم الأمر (فان قلت) ما معنى التعجب فى كلمة التسبيح (قلت) الأصل فى ذلك أن تسبيح الله عند رؤية المتعجب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أو لتنزيه الله عن أن تكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم كما قيل فيها انتهى * يعظكم الله أن تعودوا أى فى أن تعودوا تقول وعظت فلانا فى كذا فتركه * ان كنتم مؤمنين حث لهم على الاتعاظ وتهييج لان من شأن المؤمن الاحتراز مما يشينه من القبائح * وقيل ان

(الدر)

(ش) فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم * قلت للظروف شأن وهو تنزلها من الاشياء منزلة نفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها مالا يتسع فى غيرها (ح) ما ذكره فى أدوات التحضيض يوهم ان ذلك مختص بالظرف وليس كذلك بل يجوز تقديم المفعول به على الفاعل فتقول لولا زيدا ضربت وهلا عمرا قتلت

تعودوا مفعول من أجله أي كراهة أن تعودوا * ويبين الله لكم الآيات أي الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب ويعظكم من المواعظ الشافية * ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة * قال مجاهد وابن زيد الاشارة الى عبد الله بن أبي ومن أشبهه * في الذين آمنوا العداوتهم لهم والعذاب الأليم في الدنيا الحد وفي الآخرة النار والظاهر في الذين يحبون أن تشيع الفاحشة العموم في كل قاذف منافقا كان أو مؤمنا وتعليق الوعيد على محبة الشياع دليل على ان ارادة الفسق فسق والله يعلم أي البريء من المذنب وسرائر الأمور ووجه الحكمة في ستركم والتغليظ في الوعيد * وقال الحسن عنى بهذا الوعيد واللعن المنافقين وانهم قصدوا وأحبوا اذاية الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك كفر وملعون فاعله * وقال أبو مسلم هم المنافقون أوعدهم الله بالعذاب في الدنيا على يد الرسول بالمجاهدة كقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم * وقال الكرماني والله يعلم كذبهم وأنتم لا تعلمون لأنه غيب وجواب لولا محذوف أي لعاقبكم وان الله رؤف بالتبرئة رحيم بقبول توبة من تاب ممن قذف * قال ابن عباس الخطاب لحسان ومسطح وحمنة والظاهر العموم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ تقدم الكلام على خطوات الشيطان تفسيرا وقراءة في البقرة والضمير في فانه عائد على من الشرطية أي فان متبع خطوات الشيطان يأمر بالفحشاء وهو ما أفرط قبحه والمنكر وهو ما تنكره العقول السليمة أي يصير رأسا في الضلال بحيث يكون آمرا يطيعه أصحابه * ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالتوبة الممحصة ما طهر أحد منكم * وقرأ الجمهور ما زكى بتخفيف الكاف وأمال حمزة والكسائي وأبو حيوة والحسن والأعمش وأبو جعفر في رواية وروح بتشديدها وأماله الأعمش وكتب زكى المخفف بالياء وهو من ذوات الواو على سبيل الشذوذ لأنه قد يمال أو على قراءة من شدد الكاف * ولكن الله يزكي من يشاء ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح أمارة على سبقها أو من يشاء بقبول

﴿ يأأيها الذين آمنوا لاتتبعوا ﴾ الآية تقدم الكلام على خطوات الشيطان في البقرة والضمير في فانه عائد على من الشرطية أي فان متبع خطوات الشيطان ﴿ يأمر بالفحشاء ﴾ وهو ما أفرط قبحه ﴿ والمنكر ﴾ وهو ما تنكره العقول السليمة أي يصير رأسا في الضلال بحيث يكون آمرا تطيعه أصحابه ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بالتوبة الممحصة ما طهر أحد منكم ما زكى يزكي من يشاء ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح أمارة على سبقها أو من يشاء بقبول التوبة النصوح ﴿ والله سميع ﴾ لأقوالكم عليم بضمائركم ﴿ ولا يأتل ﴾ هو مضارع ائتلى افتعل من الألية وهي الحلف وقيل معناه يقصر بني افتعل من ألوت بمعنى قصرت ومنه لا يألونكم خبالا وقال الشاعر

وما المرء ما دامت حشاشة نفسه
بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

* وسبب نزولها المشهور أنه حلف أبي بكر على مسطح أن لا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة وقال ابن عباس والضحاك قطع جماعة من المؤمنين منافعهم عمن قال في الافك وقالوا لا نصل من تكلم به فنزلت في جميعهم والآية تتناول من هو بهذا الوصف ﴿ الغافلات ﴾ أي السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولا يفطن لما يفطن له المجربات ﴿ لعنوا في الدنيا والآخرة ﴾ جاء في قذف المحصنات قبل هذا الاستثناء بالتوبة وفي هذه الآية لم يجئ استثناء ويناسب أن تكون هذه الآية كما قيل نزلت في مشركي مكة كانت المرأة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفوها وقالوا خرجت لتفجر قاله أبو حمزة اليماني ويؤيده قوله ﴿ يوم تشهد عليهم ﴾ والناصب ليوم تشهد ما تعلق به الجار والمجرور وهو ولهم ﴿ يومئذ يوفيهم ﴾ يوم بدل من يوم والتنوين في إذ للعوض من الجملة المحذوفة والتقدير يوم اذ تشهد عليهم والدين هنا هو الجزاء أي جزاء أعمالهم الخبيث من يكتم في قلبه اذاية الناس حتى يمكر بهم ﴿ أولئك ﴾ اشارة للطيبين والطيبات والضمير في يقولون عائد على ذوي الخبث

التوبة النصوح والله سميع لأقوالهم عليم بضمائرهم * ولا يأتل هو مضارع ائتلى افتعل من الالية وهي الحلف * وقيل معناه يقصر من افتعل ألوت قصرت ومنه لا يألونكم * وقول الشاعر

وما المرء مادامت حشاشة نفسه * بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

وهذا قول أبي عبيدة واختاره أبو مسلم * وسبب نزولها المشهور انه حلف أبي بكر على مسطح أن لا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة * وقال ابن عباس والضحاك قطع جماعة من المؤمنين منافعهم عمن قال في الافك وقالوا لا نصل من تكلم فيه فنزلت في جميعهم والآية تتناول من هو بهذا الوصف * وقرأ الجمهور يأتل * وقرأ عبد الله بن عياش بن ربيعة وأبو جعفر مولاه وزيد بن أسلم والحسن يتأل مضارع تألى بمعنى حلف * قال الشاعر

تألى ابن أوس حلفة ليردني * الى نسوة كأنهن معائد

والفضل والسعة يعني المال وكان مسطح ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من المهاجرين وممن شهد بدرا وكان مانسب اليه داعيا أبا بكر أن لا يحسن اليه فأمر هو ومن جرى مجراه بالعفو والصفح وحين سمع أبو بكر ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال بلى أحب أن يغفر الله لي ورد الى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا * وقرأ أبو حيوة وابن قطيب وأبو البرهسيم ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويناسبه ألا تحبون وأن يؤتوا نصب الفعل المنهي فان كان بمعنى الحلف فيكون التقدير كراهة أن يؤتوا وأن لا يؤتوا الحذف لا وان كان بمعنى يقصر فيكون التقدير في أن يؤتوا أو عن أن يؤتوا * وقرأ عبد الله والحسن وسفيان بن الحسين وأسماء بنت يزيد ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء أمر خطاب للحاضرين * ان الذين يرمون عام في الرامين واندرج فيه الراميان تغليبا للمذكر على المؤنث * والمحصنات ظاهره انه عام في النساء العفائف * وقال النحاس من أحسن ماقيل فيه انه عام لجميع الناس من ذكر وأنثى وان التقدير يرمون الأنفس المحصنات فيدخل فيه المذكر والمؤنث * وقيل هو خاص بمن تكلم فيها في حديث الافك * وقيل خاص بأمهات المؤمنين وكبراهن منزلة وجلالة تلك فعلي أنه خاص بها جمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الأمة الموصوفات بتلك الصفات من الاحصان والعقل والايمان كما قال * قدني من نصر الخبيبين قدي * يعني عبد الله بن الزبير وأشياعه * والغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولا يفطن لما يفطن له المجربات كما قال الشاعر

ولقد لهوت بطفلة ميالة * بلهاء تطلعني على أسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله أكثر أهل الجنة البله * لعنوا في الدنيا والآخرة في قذف المحصنات * قيل هذا الاستثناء بالتوبة وفي هذه لم يجئ استثناء * وعن ابن عباس ان من خاض في حديث الافك وتاب لم تقبل توبته والصحيح ان الوعيد في هذه الآية مشروط بعدم التوبة ولا فرق بين الكفر والفسق وان من تاب غفر له * ويناسب أن تكون هذه الآية كما قيل نزلت في مشركي مكة كانت المرأة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفوها وقالوا خرجت لتفجر قاله أبو حمزة اليماني ويؤيده قوله يوم تشهد عليهم * وعن ابن عباس انها نزلت في عبد الله بن أبي كان يشك في الدين فاذا كان يوم القيامة علم حيث لا ينفعه * والناصب ليوم تشهد ماتعلق به الجار والمجرور وهو ولهم * وقال الحوفي العامل فيه عذاب ولا يجوز لأنه موصوف الا على رأي الكوفيين * وقرأ الاخوان والزعفراني وابن مقسم وابن سعدان يشهد بياء من تحت لأنه تأنيث مجازي ووقع

الفصل و باقي السبعة بالتاء ولما كان قلب الكافر لا يريد مايشهد به أنطق الله الجوارح والالسنة والايدي والارجل بما عملوا في الدنيا وأقدرها على ذلك وليست الحياة شرطا لوجود الكلام وقالت المعتزلة يخلق في هذه الجوارح الكلام وعندهم المتكلم فاعل الكلام فتكون تلك الشهادة من الله في الحقيقة الا أنه تعالى أضافها الى الجوارح توسعا وقالوا أيضا انه تعالى ينشئ هذه الجوارح على خلاف ماهي عليه و يلجئها أن تشهد على الانسان وتخبر عنه بأعماله * قال القاضي وهذا أقرب الى الظاهر لأن ذلك يفيد انها بفعل الشهادة وانتصب يومئذ يوفيهم والتنوين في إذ عوض من الجملة المحذوفة والتقدير يوم إذ تشهد * وقرأ زيد بن علي يوفيهم مخففا والدين هنا الجزاء أي جزاء أعمالهم * وقال

ولم يبق سوى العد * وان دناهم كما دانوا

ومنه كما تدين تدان * وقرأ الجمهور الحق بالنصب صفة لدينهم * وقرأ عبد الله ومجاهد وأبو روق وأبو حيوة بالرفع صفة لله و يجوز الفصل بالمفعول بين الموصول وصفته و يعلمون الى آخره يقوي قول من قال ان الآية في عبد الله بن أبي لأن كل مؤمن يعلم أن الله هو الحق المبين * قال الزمخشري ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شئ تغليظه في الافك وما أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعذاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ماركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه مانزل فيه على طرق مختلفة وأساليب متقنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وان ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا و بهتوا به وانه يوفيهم جزاء الحق الذي هم أهله حتى يعلموا عند الله أن الله هو الحق المبين فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ماهو دونه في الفظاعة انتهى وهو كلام حسن ثم قال بعد كلام (فان قلت) مامعنى قوله هو الحق المبين (قلت) معناه ذو الحق المبين العادل الذي لاظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله أن يتقى وتجتنب محارمه انتهى وفي قوله لم تسقط عنده اساءة مسيء دسيسة الاعتزال والظاهر أن الخبيثات وصف للنساء وكذلك الطيبات أي النساء الخبيثات للرجال الخبيثين و يرجحه مقابلته بالذكور فالمعنى ان الخبيثات من النساء ينزعن للخباث من الرجال فيكون قريبا من قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة وكذلك الطيبات من النساء للطيبين من الرجال و يدل على هذا التأويل قول عائشة حين ذكرت التسع التي ما أعطيتهن امرأة غيرها وفي آخرها ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما وهذا التأويل نحا اليه ابن زيد فهو تفريق بين عبد الله وأشباهه والرسول وأصحابه فلم يجعل الله له الا كل طيبة وأولئك خبيثون فهم أهل النساء الخبائث * وقال ابن عباس والضحاك ومجاهد وقتادة هي الاقوال والافعال ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم الكلمات والفعلات الخبيثة لايقولها ولا يرضاها الا الخبيثون من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه وقال بعضهم الكلمات والفعلات لاتليق وتلصق عند رمي الرامي وقذف القاذف الا بالخبيثين من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه * أولئك اشارة للطيبين أو اشارة لهم وللطيبات اذا عني بهن النساء * مبرؤن مما يقولون أي يقول الخبيثون من خبيثات الكلم أو القاذفون الرامون المحصنات

ووعد الطيبين المغفرة عند الحساب والرزق الكريم فى الجنة ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ماتبدون وماتكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الاماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن الالبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون * وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مماملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد إكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ألم ترأن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير ألم ترأن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار والله خلق كل دابة من ماء فنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله مايشاء ان الله على كل شئ قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم

المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لاتقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ماحمل وعليكم ماحملتم وان تطيعوه تهتدوا وماعلى الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض ومأواهم النار ولبئس المصير يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء التى لايرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أوماملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا ان لله مافى السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم﴾ * غض البصر أطبق الجفن على الجفن بحيث تمتنع الرؤية * قال الشاعر

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

* الخمر جمع خمار وهو المقنعة التى تلقى المرأة على رأسها وهو جمع كثرة مقيس فيه ويجمع فى القلة على أخمرة وهو مقيس فيها أيضا * قال الشاعر

وترى الشجراء فى ريقه * كرؤس قطعت فيها الخمر

* الجيب فتح يكون فى طوق القميص يبدو منه بعض الجسد * والعورة ما احترز من الاطلاع عليه ويغلب فى سوأة الرجل * والمرأة الأيم قال النضر بن شميل كل ذكر لاأنثى معه وكل أنثى لاذكر معها ووزنه فعيل كلين ويقال آمت تئيم * وقال الشاعر

كل امرىء ستئيم منـ * ـه العرس أومنها يئيم

أى سينفرد فيصير أيما وقياس جمعه أيائم كسيائد فى جمع سيد وجمعه على فعالى محفوظ لامقيس * البغاء الزنا يقال بغت المرأة تبغى بغاء فهى بغى وهو مختص بزنا النساء * المشكاة الكوة غير

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا ﴾ الآية جاءت امرأة من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى أكون في بيتي على حال لا أحب أحد أن يراني عليها فلا يزال حتى يدخل على رجل من أهلي فنزلت فقال أبو بكر بعد نزولها يا رسول الله أرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن فنزل ليس عليكم جناح الآية * ومناسبتها لما قبلها هو أن أهل الافك انما وجدوا السبيل الى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة فصارت كأنها طريقة للتهمة فأوجب الله أن لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستئذان والسلام لأن في الدخول على غير هذا الوجه وقوع التهمة وفي ذلك من المضرة ما لا يخفى والظاهر أنه يجوز للانسان أن يدخل بيت نفسه بغير استئذان ولا سلام لقوله غير بيوتكم ويروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمي قال نعم قال ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن وغيا النهى عن الدخول بالاستئناس والسلام على أهل تلك البيوت والظاهر أن الاستئناس خلاف الاستيحاش ﴿ غير مسكونة ﴾ هي الفنادق التي في طرق المسافرين وقيل الخرب التي تدخل للتبرز وقيل الربط وقيل حوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والشراء والبيع وغير ذلك ﴿ قل للمؤمنين يغضوا ﴾ الآية تقدم مثل هذا التركيب في قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا ومن لابتداء الغاية ﴿ ذلك ﴾ أي غض البصر وحفظ الفرج أطهر لهم ﴿ خبير بما يصنعون ﴾ من اجالة النظر وانكشاف العورات فيجازي على ذلك والمؤمنات عام في الزوجات المملوكات ﴿ ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ﴾ وهو الكحل والخضاب والخاتم ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ الخمر جمع خمار وهو المقنعة التي تلقي المرأة على رأسها وهو جمع كثرة مقيس ويجمع في القلة على أخمرة وهو مقيس فيه أيضا قال وترى الشجراء في ريقه * كرؤس قطعت فيها الخمر وكان النساء يغطين رؤسهن بالأخمرة ويسدلنها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والاذنان

النافذة * قال الكلبي حبشي معرب * الزجاجة جوهر مصنوع معروف وضم الزاي لغة الحجاز وكسرها وفتحها لغة قيس * الزيت الدهن المعتصر من حب شجرة الزيتون * قال الكرماني السراب بخار يرتفع من قعور القيعان فيكثف فاذا اتصل به ضوء الشمس أشبه الماء من بعيد فاذا دنا منه الانسان لم يره كما كان يراه بعيدا * وقال الفراء السراب ما لصق بالارض * وقيل هو الشعاع الذي يرى نصف النهار عند اشتداد الحر في البر يخيل للناظر أنه الماء السارب أي الجاري * وقال الشاعر

فلما كففنا الحرب كانت عهودكم * كلمع سراب في الفلا متألق

* وقال * أمر الطول لماع السراب * وقيل السراب ما يرقرق من الهواء في الهجير في فيافي الأرض المنبسطة * اللجي الكثير الماء ولجة البحر معظمه وكان لجيا منسوب الى اللجة * الودق المطر شديده وضعيفه قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

* وقال أبو الأشهب العقيلي هو البرق * ومنه قول الشاعر

أثرن عجاجة وخرجن منها * خروج الودق من خلل السحاب

والودق مصدر ودق السحاب يدق ودقا ومنه استودقت الفرس * البرد معروف وهو قطع متجمدة يذوب منه ماء بالحرارة * السنا مقصور من ذوات الواو وهو الضوء * قال الشاعر

* يضيء سناه أو مصابيح راهب * يقال سنا يسنو سنا والسنا أيضا نبت يتداوى به والسناء بالمد الرفعة والعلو قال * وسن كسنيق سناء وسنما * أذعن للشيء انقاد له * وقال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة * الحيف الميل في الحكم يقال حاف في قضيته أي جار * اللواذ الروغان من شيء الى شيء في خفية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني

لاستر عليهن وضمن وليضربن معنى وليضعن وليلقين فلذلك عداه بعلى و بدأ تعالى بالأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من الزينة ثم ثنى بالمحارم وسوى بينهم فى ابداء الزينة ولكن تختلف مراتبهم فى الحرمة بحسب ما فى نفوس البشر فالأب والأخ ليسا كابن الزوج فقد تبدى للاب مالا تبدى لابن الزوج ولم يذكر تعالى هنا العم ولا الخال وقال الحسن هما كسائر المحارم فى جواز النظر ﴿ أو نسائهن ﴾ مخصوص بمن كان على دينهن قال ابن عباس ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدى للكافرة الا ما تبدى للاجانب الا أن تكون أمة لقوله تعالى ﴿ أو ما ملكت أيمانهن ﴾ وكتب عمر الى أبى عبيدة أن امنع نساء أهل الذمة من دخول الحمام مع المؤمنات والظاهر العموم فى قوله أو ما ملكت أيمانهن فيشمل الذكور والاناث فيجوز للعبد أن ينظر من سيدته ما ينظر أولئك المستثنون وهو مذهب عائشة وأم سلمة وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم آية النور فانما المراد بها الاماء * قال الزمخشرى وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبى منها خصيا كان أو فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصى فتقنعت منه فقال هو خصى فقالت يا معاوية أترى المثلة تحلل ما حرم الله وعن أبى حنيفة لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم و بيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف امساكهم و﴿ الاربة ﴾ الحاجة الى الوطء لأنهم بله لا يعرفون شيأ من أمر النساء و يدخل فى هذه الصفة المجنون والمعتوه والمخنث والشيخ الفانى والزمن الموقوذ بزمانته وقسم التابعين غير أولى الحاجة الى الوطء قسمين رجال وأطفال والمفرد المحلى بأل يكون للجنس فيعم ولذلك وصف بالجمع فى قوله ﴿ الذين لم يظهروا ﴾ ومن ذلك قول العرب أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض يريد الدنانير والدراهم فكأنه قال والاطفال والطفل ما لم يراهق الحلم ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ﴾ كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وزعم حضرمى أن امرأة اتخذت خلخالا من فضة واتخذت جزعا فجعلته فى ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الآية ﴿ وتوبوا الى الله ﴾ لما سبقت منه تعالى اوامر ومناه وكان الانسان لا يكاد يقدر على مراعاتها دائما وان ضبط نفسه واجتهد فلا بد من تقصير أمر بالتوبة ورجى الفلاح اذا تابوا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة وقرئ ﴿ أيه المؤمنون ﴾ وأيه الساحر وأيه الثقلان أصل ها التنبيه ضمت لضم الياء قبلها اتباعا وضمها لغة لبنى مالك رهط شقيق بن سلمة

اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ جاءت امرأة من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى أكون فى بيتى على حال لا أحب أن يرانى عليها أحد فلا يزال يدخل على رجل من أهلى فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا الآية فقال أبو بكر بعد نزولها يا رسول الله أرأيت الخانات والمساكن التى ليس فيها ساكن فنزل ليس عليكم جناح الآية * ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أن أهل الافك انما وجدوا السبيل الى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة فصارت كأنها طريق للتهمة فأوجب الله تعالى أن لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستئذان والسلام لأن فى الدخول لا على هذا الوجه وقوع التهمة وفى ذلك من المضرة مالا خفاء به والظاهر أنه يجوز للانسان أن يدخل بيت نفسه من غير استئذان ولا سلام لقوله غير بيوتكم و يروى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمى قال نعم قال ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال وغيا النهى عن الدخول بالاستئناس والسلام على أهل تلك البيوت والظاهر أن الاستئناس هو خلاف الاستيحاش لأن الذى يطرق باب غيره لا يدرى أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال اذا أذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكنايات والارداف لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن وقد روى عن ابن عباس أنه قال تستأنسوا معناه تستأذنوا ومن روى عن ابن عباس ان قوله تستأنسوا خطأ أو وهم من الكاتب وأنه قرأ حتى تستأذنوا فهو طاعن فى الاسلام ملحد فى الدين وابن عباس برىء من هذا القول وتستأنسوا

متمكنة فى المعنى بنية الوجه فى كلام العرب وقد قال عمر للنبى صلى الله عليه وسلم أستأنس يارسول الله وعمر واقف على باب الغرفة الحديث المشهور وذلك يقتضى أنه طلب الانس به صلى الله عليه وسلم * وقيل هو من الاستئناس الذى هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشئ اذا أبصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل براد دخولكم أم لا ومنه استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا أى تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة

كان رحلى وقد زال النهار بنا * يوم الجليل على مستأنس وحد

ويجوز أن يكون من الانس وهو أن يتعرف هل ثم انسان * وعن أبى أيوب قال قلنا يارسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة يتنحنح يؤذن أهل البيت والتسليم أن يقول السلام عليكم وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد فصدّ الله عن ذلك وعلم الأحسن الأكمل وذهب الطبرى فى تستأنسوا الى أنه بمعنى حتى تؤنسوا أهل البيت من أنفسكم بالتنحنح والاستئذان ونحوه وتؤنسوا أنفسكم بأن تعلموا أن قد شعر بكم * قال ابن عطية وتصريف الفعل يأبى أن يكون من آنس انتهى * وقال عطاء الاستئذان واجب على كل محتلم والظاهر مطلق الاستئذان فيكفى فيه المرة الواحدة * وفى الحديث الاستئذان ثلاث يعنى كماله فان أذن له والا فليرجع ولا يزيد على ثلاث الا أن يحقق ان من فى البيت لم يسمع والظاهر تقديم الاستئذان على السلام * وفى حديث أبى داود قل السلام عليكم أأدخل والواو فى وتسلموا لا تقتضى ترتيبا فشرع النداء بالسلام على الاذن لما فى السلام من التفاؤل بالسلامة * ذلكم اشارة الى المصدر المفهوم من تستأنسوا وتسلموا أى ذلكم الاستئناس والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية * لعلكم تذكرون أى شرعنا ذلك ونبهنا كم على ما فيه مصلحتكم من الستر وعدم الاطلاع على ما تكرهون الاطلاع عليه لعلكم تذكرون اعتناء بهذا الحكم * فان لم تجدوا فيها أحدا أى يأذن لكم فلا تقدموا على الدخول فى ملك غيركم حتى يؤذن لكم اذ قد يكون لرب البيت فيه ما لا يحب أن يطلع عليه * وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا وهذا عائد الى من استأذن فى دخول بيت غيره فلم يؤذن له سواء كان فيه من يأذن أم لم يكن أى لا تلحوا فى طلب الاذن ولا فى الوقوف على الباب منتظرين * هو أزكى أى الرجوع أطهر لكم وأنمى خيرا لما فيه من سلامة الصدر والبعد عن الريبة * ثم أخبر أنه تعالى بما تعملون عليم أى بما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه وفى ذلك توعد لأهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غيره والنظر لما لا يحل * ليس عليكم جناح قال الزمخشرى استثنى من البيوت التى يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها نحو الفنادق وهى الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع انتهى وماذكره الزمخشرى من انه استثناء من البيوت كما ذكر هو مروى عن ابن عباس وعكرمة والحسن ولا يظهر انه استثناء لان الآية الأولى فى البيوت المسكونة والمملوكة ولذلك قال بيوتا غير بيوتكم وهذه الآية الثانية هى فى البيوت المباحة وقد مثل العلماء لهذه البيوت أمثلة * فقال محمد بن الحنفية وقتادة ومجاهد هى فى الفنادق التى فى طرق المسافرين * قال مجاهد لا يسكنها أحد بل هى موقوفة يأوى اليها كل ابن سبيل * وفيها متاع لهم أى استمتاع بمنفعتها ومثل عطاء بالخرب التى تدخل للتبرز * وقال ابن زيد والشعبى هى حوانيت

(الدر)

(ش) استثنى من البيوت التى يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها نحو الفنادق وهى الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد الى آخره (ح) ماذكره (ش) من انه استثنى من البيوت كما ذكر هو مروى عن ابن عباس وعكرمة والحسن ولا يظهر انه استثناء لان الآية الاولى فى البيوت المسكونة والمملوكة ولذلك قال بيوتا غير بيوتكم وهذه الآية الثانية فى البيوت المباحة

القيسارية والسوق * قال ابن الحنفية أيضاهى دورمكة وهذا لايسوغ إلا على القول بان دور مكة غير مملوكة وان الناس فيها شركاء وان مكة فتحت عنوة * والله يعلم ماتبدون وماتكتمون وعيد للذين يدخلون البيوت غير المسكونة من أهل الريب * ومن فى من أبصارهم عند الأخفش زائدة أى يغضوا أبصارهم عما يحرم وعند غيره للتبعيض وذلك ان أول نظرة لايملكها الانسان وانما يغض فيما بعد ذلك ويؤيده قوله لعلى كرم الله وجهه لاتتبع النظرة النظرة فان الأولى لك وليست لك الثانية * وقال ابن عطية يصح أن تكون من لبيان الجنس ويصح أن تكون لابتداء الغاية انتهى ولم يتقدم مبهم فتكون من لبيان الجنس على أن الصحيح ان من ليس من موضوعاتها أن تكون لبيان الجنس * ويحفظوا فروجهم أى من الزنا ومن التكشف ودخلت من فى قوله من أبصارهم دون الفرج دلالة على ان أمر النظر أوسع ألاترى ان الزوجة ينظر زوجها الى محاسنها من الشعر والصدر والعضد والساق والقدم وكذلك الجارية المستعرضة وينظر من الأجنبية الى وجهها وكفيها وأما أمر الفرج فضيق * وعن أبى العالية وابن زيد كل مافى القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا الاهذا فهو من الاستتار ولايتعين ماقاله بل حفظ الفرج يشمل النوعين * ذلك أى غض البصر وحفظ الفرج أطهر لهم ان الله خبير بما يصنعون من اجالة النظر وانكشاف العورات فيجازى على ذلك وقدم غض البصر على حفظ الفرج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر لايكاد يقدر على الاحتراز منه وهو الباب الأكبر الى القلب وأعمر طرق الحواس اليه ويكثر السقوط من جهته * وقال بعض الأدباء

وما الحب إلا نظرة اثر نظرة * تزيد نموا ان تزده لجاجا

* ثم ذكر تعالى حكم المؤمنات فى تساويهن مع الرجال فى الغض من الأبصار وفى الحفظ للفروج * ثم قال ولايبدين زينتهن واستثنى ماظهر من الزينة والزينة ماتتزين به المرأة من حلى أوكحل أوخضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بابدائه للأجانب وماخفى منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلاتبديه إلا لمن استثنى وذكر الزينة دون مواضعها مبالغة فى الأمر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لايحل النظر اليها لغير هؤلاء وهى الساق والعضد والعنق والرأس والصدر والآذان فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر لايحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل النظر اليها غير ملابسة لها وسومح فى الزينة الظاهرة لان سترها فيه حرج فان المرأة لاتجد بدا من مزاولة الأشياء بيدها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا فى الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشى فى الطرقات وظهور قدميها خاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ماظهر منها يعنى الاماجرت العادة والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور وسومح فى الزينة الخفيفة * أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم فى الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك * وقال ابن مسعود ماظهر منها هو الثياب ونص على ذلك أحمد قال الزينة الظاهرة الثياب وقال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وفسرت الزينة بالثياب * وقال ابن عباس الكحل والخاتم * وقال الحسن فى جماعة الوجه والكفان * وقال ابن جريج الوجه والكحل والخاتم والخضاب والسوار * وقال الحسن أيضا الخاتم والسوار * وقال ابن عباس الكحل والخاتم فقط * وقال

(الدر)

(ع) ويصح أن تكون من لبيان الجنس ويصح أن تكون لابتداء الغاية (ح) لم يتقدم مبهم فتكون من لبيان الجنس على ان الصحيح ان من ليس من موضوعاتها أن تكون لبيان الجنس

المسور بن مخرمة هما والسوار * وقال الحسن أيضا الخاتم والسوار * وقال ابن بحر الزينة تقع على محاسن الخلق التي فعلها الله وعلى ما يتزين به من فضل لباس فنهاهن الله عن ابداء ذلك لمن ليس بمحرم واستثنى مالا يمكن اخفاؤه في بعض الأوقات كالوجه والأطراف على غير التلذذ وأنكر بعضهم اطلاق الزينة على الخلقة والأقرب دخوله في الزينة وأي زينة أحسن من خلق العضو في غاية الاعتدال والحسن * وفي قوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن دليل على أن الزينة ما يعم الخلقة وغيرها منعهن من اظهار محاسن خلقهن فأوجب سترها بالخمار وقد يقال لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورها عادة وعبادة في الصلاة والحج حسن أن يكون الاستثناء راجعا اليهما وفي السنن لأبي داود أنه عليه السلام قال يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وأشار الى وجهه وكفيه * وقال ابن خويزمنداد اذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك وكان النساء يغطين رؤسهن بالأخمرة ويسدلنها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر عليهن وضمن وليضربن معنى وليلقين وليضعن فلذلك عداه بعلى كما تقول ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه * وقرأ عياش عن أبي عمرو وليضربن بكسر اللام وطلحة بخمرهن بسكون الميم وأبو عمرو ونافع وعاصم وهشام جيوبهن بضم الجيم وباقي السبعة بكسر الجيم وبدأ تعالى بالأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من الزينة ثم ثنى بالمحارم وسوى بينهم في ابداء الزينة ولكن تختلف مراتبهم في الحرمة بحسب ما في نفوس البشر فالأب والأخ ليس كابن الزوج فقد يبدي للأب ما لا يبدي لابن الزوج ولم يذكر تعالى هنا العم ولا الخال * وقال الحسن هما كسائر المحارم في جواز النظر قال لأن الآية لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب وقال في سورة الاحزاب لا جناح عليهن في آبائهن ولم يذكر فيها البعولة وذكرهم هنا والاضافة في نسائهن الى المؤمنات تقتضي تعميم ما أضيف اليهن من النساء من مسلمة وكافرة كتابية ومشركة من اللواتي يكن في صحبة المؤمنات وخدمتهن وأكثر السلف على ان قوله أو نسائهن مخصوص بمن كان على دينهن * قال ابن عباس ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدي للكافرة الا ما تبدي للاجانب الا ان تكون أمة لقوله أو ما ملكت أيمانهن وكتب عمر الى أبي عبيدة ان امنع نساء أهل الذمة من دخول الحمام مع المؤمنات والظاهر العموم في قوله أو ما ملكت أيمانهن فيشمل الذكور والاناث فيجوز للعبد ان ينظر من سيدته ما ينظر أولئك المستثنون وهو مذهب عائشة وأم سلمة * وعن مجاهد كان أمهات المؤمنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم وروى ان عائشة كانت تمتشط وعبدها ينظر اليها * وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع عنه * وقال ابن مسعود والحسن وابن المسيب وابن سيرين لا ينظر العبد الى شعر مولاته وهو قول أبي حنيفة وفي الحديث لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا فوق ثلاث الا مع ذي محرم والعبد ليس بذي محرم * وقال سعيد بن المسيب لا يغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء * قال الزمخشري وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها خصيا كان أو فحلا * وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية أترى المثلة تحلل ما حرم الله وعند أبي حنيفة لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف امساكهم انتهى والاربة الحاجة الى الوطء لأنهم بله لا يعرفون شيأ من أمر النساء ويتبعون لأنهم يصيبون من فضل الطعام * قال ابن عطية ويدخل في هذه

الصفة المجنون والمعتوه والمخنث والشيخ الفانى والزمن الموقوذ بزمانته * وقرأ ابن عامر وأبو بكر بالنصب على الحال أو الاستثناء وباقى السبعة بالجر على النعت وعطف أو الطفل على من الرجال قسم التابعين غير أولى الحاجة للوطء الى قسمين رجال وأطفال والمفرد المحكى بأل يكون للجنس فيعم ولذلك وصف بالجمع فى قوله الذين لم يظهروا ومن ذلك قول العرب أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض يريد الدنانير والدراهم فكأنه قال أو الأطفال والطفل مالم يبلغ الحلم وفى مصحف حفصة أو الأطفال جمعا * وقال الزمخشرى وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس ويبين مابعده انه يراد به الجمع ونحوه يخرجكم طفلا انتهى ووضع المفرد موضع الجمع لاينقاس عند سيبويه وانما قوله الطفل من باب المفرد المعرف بلام الجنس فيعم كقوله ان الانسان لفى خسر ولذلك صح الاستثناء منه والتلاوة ثم يخرجكم بثم لابالواو وقوله ونحوه ليس نحوه لأن هذا معرف بلام الجنس وطفلا نكرة ولا يتعين حمل طفلا هنا على الجمع الذى لايقيسه سيبويه لأنه يجوز أن يكون المعنى ثم يخرج كل واحد منكم كما قيل فى قوله تعالى وأعتدت لهن متكأ أى لكل واحدة منهن وكما تقول بنو فلان يشبعهم رغيف أى يشبع كل واحد منهم رغيف وقوله لم يظهروا امامن قولهم ظهر على الشئ اذا اطلع عليه أى لايعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها وإما من ظهر على فلان اذا قوى عليه وظهر على القرن أخذه ومنه فأصبحوا ظاهرين أى غالبين قادرين عليه فالمعنى لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء * وقرأ الجمهور عورات بسكون الواو وهى لغة أكثر العرب لايحركون الواو والياء فى نحو هذا الجمع وروى عن ابن عباس تحريك واو عورات بالفتح والمشهور فى كتب النحو ان تحريك الواو والياء فى مثل هذا الجمع هو لغة هذيل بن مدركة ونقل ابن خالويه فى كتاب شواذ القرآت ان ابن أبى اسحق والأعمش قرآ عورات بالفتح قال وسمعنا ابن مجاهد يقول هو لحن وانما جعله لحنا وخطأ من قبل الرواية والا فله مذهب فى العربية بنو تميم يقولون روضات وجورات وعورات وسائر العرب بالاسكان * وقال الفراء العرب على تخفيف ذلك الا هذيلا فتثقل ما كان من هذا النوع من ذوات الياء والواو * وأنشدنى بعضهم

أبو بيضات رائح متأوب * رفيق بمسح المنكبين سبوح

*ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال * وقال ابن عباس هو قرع الخلخال بالاجراء وتحريك الخلاخل عند الرجال وزعم حضرمى ان امرأة اتخذت خلخالا من فضة واتخذت جزعا فجعلته فى ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الارض فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الآية * وقال الزجاج وسماع صوت هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من ابدائها انتهى * وقال أبو محمد بن حزم مامعناه انه تعالى نهاهن عن ذلك لأن المرأة اذا مرت على الرجال قد لايلتفت اليها ولا يشعر بها وهى تكره ان لاينظر اليها فاذا فعلن ذلك نبهن على أنفسهن وذلك بحبهن فى تعلق الرجال بهن وهذا من خفايا الاعلام بحالهن * وقال مكى ليس فى كتاب الله آية أكثر ضمائر من هذه جمعت خمسة وعشرين ضمير اللمؤمنات من مخفوض ومرفوع * وقال الزمخشرى وانما نهى عن اظهار صوت الحلى بعد مانهى عن اظهار الحلى علم بذلك ان النهى عن اظهار مواقع الحلى أبلغ * وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لما سبقت أوامر منه تعالى ومناه وكان الانسان لا يكاد يقدر على مراعاتها دائما وان ضبط

(ش) وضع الواحد موضع الجمع لايفيد الجنس ويبين مابعده انه يراد به الجمع ونحوه يخرجكم طفلا (ح) وضع المفرد موضع الجمع لاينقاس عند سيبويه وانما قوله الطفل من المفرد المعرف بلام الجنس فيعم كقولك ان الانسان لفى خسر ولذلك صح الاستثناء منه والتلاوة ثم يخرجكم بثم لابالواو وقوله ونحوه ليس نحوه لان هذا معرف بلام الجنس وطفلا نكرة ولا يتعين حمل طفلا هنا على الجمع الذى لايقيسه سيبويه لأنه يجوز أن يكون المعنى ثم يخرج كل واحد منكم كما قيل فى قوله تعالى وأعتدت لهن متكأ أى لكل واحدة منهن وكما تقول بنو فلان يشبعهم رغيف أى يشبع كل واحد منهم رغيف (ح) روى عن أبى عامر تحريك واو عورات بالفتح والمشهور فى كتب النحو أن تحريك الواو والياء فى مثل هذا الجمع هو لغة هذيل بن مدركة ونقل ابن خالويه فى كتاب شواذ القرآن ان بنى تميم يقولون روضات وجوارت وعورات يعنى بتحريك الواو بالفتح وسائر العرب بالاسكان

﴿ وأنكحوا الأيامى ﴾ لما تقدمت أوامر ونواه في غض البصر وحفظ الفرج وإخفاء الزينة وغير ذلك قال بعده وأنكحوا
والظاهر أن الأمر في وأنكحوا للوجوب وبه قال أهل الظاهر وأكثر العلماء على أنه للندب وتقدم في المفردات أن الأيم من
لا زوج له من ذكر وأنثى ووزنه فعيل يقال منه آم يئيم وقال كل امرىء ستئيم منه العر ٭ س أو منها يئيم ﴿ وإمائكم ﴾
جمع أمة أصله أموة حذفت منه لام الكلمة وهي الواو ﴿ وليستعفف ﴾ أي ليجتهد في العفة وصون النفس وهو استفعل
بمعنى طلب العفة من نفسه وحملها عليها وجاء الفك في لغة الحجاز ﴿ لا يجدون نكاحا ﴾ قيل النكاح هنا اسم لما يمهر به وينفق في
الزواج كاللحاف واللباس لما يلتحف به ويلبس أمر أولا بما يعصم عن الفتنة ويبعد عن مواقعة العصيان وهو غض البصر
ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن
الطموح إلى الشهوات عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة ولما بعث السيد على تزويج الصالحين من العبيد والإماء
رغبهم في أن يكاتبوهم إذا طلبوا ذلك ليصيروا (٤٥٠) أحرارا فيتصرفون في أنفسهم ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾
أي المكاتبة كالعتاب والمعاتبة ﴿ مما ملكت أيمانكم ﴾ يعم المماليك الذكور والإناث ٭ والذين يحتمل أن يكون مبتدأ خبره الجملة والفاء دخلت في الخبر لما تضمن الموصول من معنى اسم الشرط ٭ والخير المال قاله ابن عباس ﴿ وآتوهم ﴾ أمر للمكاتبين ﴿ من مال الله ﴾ لا يدل على مقدار معين من المال ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن عبد الله بن أبي كان له ست جوار ٭ معاذة ٭ ومسيكة
وأميمة ٭ وعمرة ٭ وأروى ٭ وقتيلة جاءت إحداهن ذات يوم بدينار وأخرى ببرد فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل ذلك
قد جاءنا الله بالإسلام وحرم الزنا فأتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكتا إليه ذلك فنزلت ٭ والفتاة المملوكة وهذا خطاب
للجميع ويؤكد أن يكون وآتوهم خطابا للجميع والنهي عن الإكراه على الزنا مشروط بإرادة التعفف منهن لأنه لا يمكن
الإكراه إلا مع إرادة التحصن أما إذا كانت مريدة للزنا فإنه لا يتصور الإكراه ﴿ فإن الله من بعد إكراههن غفور
رحيم ﴾ جواب للشرط والصحيح أن التقدير غفور رحيم لهم ليكون جواب الشرط فيه ضمير يعود على من الذي هو اسم
الشرط ويكون ذلك مشروطا بالتوبة ولما غفل الزمخشري وابن عطية وأبو البقاء عن هذا الحكم وقدروا فإن الله غفور
رحيم لهن أي المكرهات فعريت جملة جواب الشرط من ضمير يعود على اسم الشرط ٭ ومثلا أي قصة غريبة من قصصهم
كقصة يوسف ومريم في براءتهما وقال الضحاك المثل ما في التوراة والإنجيل من إقامة الحدود وأنزل في القرآن مثله
﴿ وموعظة ﴾ أي ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة لولا إذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله وخص
المتقين لأنهم المنتفعون بالموعظة

نفسه واجتهد فلا بد من تقصير أمر بالتوبة وبترجي الفلاح إذا تابوا ٭ وعن ابن عباس توبوا مما
كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة ٭ وقرأ ابن عامر أيه المؤمنون ويا أيه
الساحر يا أيه الثقلان بضم الهاء ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت الألف
بالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها وضم ها التي للتنبيه بعد أي لغة لبني مالك رهط شقيق
ابن سلمة ووقف بعضهم بسكون الهاء لأنها كتبت في المصحف بلا ألف بعدها ووقف بعضهم بالألف
﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون
الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا
تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله
من بعد إكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم
وموعظة للمتقين ﴾ لما تقدمت أوامر ونواه في غض البصر وحفظ الفرج وإخفاء الزينة وغير ذلك
وكان الموجب للطموح من الرجال إلى النساء ومن النساء إلى الرجال هو عدم التزوج غالبا لأن في
تكاليف النكاح وما يجب لكل واحد من الزوجين ما يشغل أمر تعالى بإنكاح الأيامى وهم الذين
لا أزواج لهم من الصنفين حتى يشتغل كل منهما بما يلزمه فلا يلتفت إلى غيره والظاهر أن الأمر في
قوله وأنكحوا للوجوب وبه قال أهل الظاهر وأكثر العلماء على أنه هنا للندب ولم يخل عصر من

لاعصارمن وجود الايامى ولم ينكر ذلك ولا أمر الاولياء بالنكاح * وقال الزمخشرى الايامى واليتامى أصلهما أيائم و يتائم فقلبا انتهى وفى التحرير قال أبو عمر وأيامى مقلوب أيائم وغيره من النحويين ذكران أيماو يتيما جمعا على أيامى و يتامى شذوذا يحفظ و وزنه فعالى وهو ظاهر كلام سيبويه * قال سيبويه فى أواخر هذا باب تكسيرك ما كان من الصفات وقالوا وج ووجيا كما قالوا زمن وزمنى فاجر وه على المعنى كما قالوا يتيم و يتامى وأيم وأيامى فأجر وه مجرى رجاعى انتهى وتقدم فى المفردات الأيم من لاز وج له من ذكر أو أنثى وفى شرح كتاب سيبويه لابى بكر الخفاف الأيم التى لازوج لها وأصله فى التى كانت متزوجة ففقدت زوجها بر ز إطرأ عليها فهو من البلايا ثم قيل فى البكر مجاز الأنها لازوج لها انتهى * منكم خطاب للمؤمنين أمر تعالى بانكاح من تأيم من الأحرار والحرائر ومن فيه صلاح من العبيد والاماء واندرج المؤنث فى المذكر فى قوله والصالحين وخص الصالحين ليحصن لهم دينهم و يحفظ عليهم صلاحهم ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين يشفق مواليهم عليهم و ينزلونهم منزلة الأولاد فى الأثرة والمودة فكانوا مظنة للاهتمام بشأنهم وتقبل الوصية فيهم والمفسدون منهم حالهم عند مواليهم على عكس ذلك * وقيل معنى والصالحين أى للنكاح والقيام بحقوقه * وقرأ مجاهد والحسن من عبيدكم بالياء مكان الألف وفتح العين وأكثر استعماله فى المماليك * وان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله هذا مشروط بالمشيئة المذكورة فى قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء * والله واسع أى ذوغنى وسعة يبسط الله لمن يشاء * عليم بحاجات الناس فيجرى عليهم ماقدر من الرزق وليستعفف أى ليجتهد فى العفة وصون النفس وهو استفعل بمعنى طلب العفة من نفسه وحملها عليها و جاء الفك على لغة الحجاز ولايعلم أحد قرأ وليستعف بالادغام * الذين لايجدون نكاحا * قيل النكاح هنا اسم ماءيمهر و ينفق فى الزواج كاللحاف واللباس لما يلتحف به و يلبس و يؤيده قوله حتى يغنيهم الله من فضله فالمأمور بالاستعفاف هو من عدم المال الذى يتزوج به و يقوم بمصالح الزوجية والظاهر انه أمر ندب لقوله قبل ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله * ومعنى لايجدون نكاحا أى لايتمكنون من الوصول اليه فالمعنى انه أمر بالاستعفاف كل من تعذر عليه النكاح ولايجده بأى وجه تعذر ثم أغلب الموانع عن النكاح عدم المال وحتى يغنيهم ترجئة للمستعففين وتقدمة للوعد بالتفضل عليهم فالمعنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا فى استعفافهم ور بطا على قلوبهم وما أحسن ماترتبت هذه الأوامر حيث أمر أولا بما يعصم عن الفتنة و يبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذى يحصن به الدين و يقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى أن يرزق القدرة عليه انتهى وهو من كلام الزمخشرى وهو حسن ولما بعث السيد على تزويج الصالحين من العبيد والاماء رغبهم فى أن يكاتبوهم اذا طلبوا ذلك ليصيروا أحرارا فيتصرفون فى أنفسهم * والذين يبتغون الكتاب أى المكاتبة كالعتاب والمعاتبة * مما ملكت يعم المماليك الذكور والاناث * والذين يحتمل أن يكون مبتدا وخبره الجملة والفاء دخلت فى الخبر لما تضمن الموصول من معنى اسم الشرط و يحتمل أن يكون منصوبا كما تقول زيدا فاضر به لأنه يجوز أن تقول زيدا فاضرب وزيدا اضرب فاذا دخلت الفاء كان التقدير بنية فاضرب زيدا فالفاء فى جواب أمر محذوف وهذا يوضح فى النحو بأكثر من هذا * قال الأزهرى وسمى هذا العقد مكاتبة لما يكتب للعبد على السيد من العتق اذا أدى ماتراضيا عليه من المال وما

(الدر)

(ش) الايامى واليتا[...]
أصلها أيائم و يتائم فق[...]
انتهى (ح)غيره من
النحويين ذكران أي[...]
و يتيما جمعا على أيامى و يتا[...]
شذوذا يحفظ و وزنه ف[...]
وهو ظاهر كلام سيبو[...]
قال(ش) فى أواخر هـ[...]
باب تكسيرك ما ك[...]
من الصفات وقالوا وج[...]
و وجيا كما قالوا ز[...]
و زمنى وأجروه على المع[...]
كما قالوا يتيم و يتامى و[...]
وأيامى فأجروه مجرى ر[...]
انتهى والايم من لاز و[...]
له من ذكر أو أنثى

يكتب للسيد على العبد من النجوم التي يؤديها والظاهر وجوب المكاتبة لقوله فكاتبوهم وهذا مذهب عطاء وعمرو بن دينار والضحاك وابن سيرين وداود وظاهر قول عمر لانه قال لأنس حين سأل سيرين الكتابة فتلكأ أنس كاتبه أو لأضربنك بالدرة وذهب مالك وجماعة الى انه أمر ندب وصيغتها كاتبتك على كذا ويعين ما كاتبه عليه وظاهر الأمر يقتضي انه لايشترط تنجيم ولاحلول بل يكون حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وهذا مذهب أبي حنيفة * وقال الشافعي لايجوز على أقل من ثلاثة أنجم * وقال أكثر العلماء يجوز على نجم واحد * وقال ابن خويز منداد اذا كاتب على مال معجل كان عتقا على مال ولم تكن كتابة وأجاز بعض المالكية الكتابة الحالية وسماها قطاعة والخير المال قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك أو الحيلة التي تقتضي الكسب قاله ابن عباس أيضا أو الدين قاله الحسن أو اقامة الصلاة قاله عبيدة السلماني أو الصدق والوفاء والامانة قاله الحسن وابراهيم أو ارادة خير بالكتابة قاله سعيد بن جبير * وقال الشافعي الامانة والقوة على الكسب والذي يظهر من الاستعمال انه الدين يقول فلان فيه خير فلا يتبادر الى الذهن الا الصلاح والأمر بالكتابة مقيد بهذا الشرط فلو لم يعلم فيه خيرا لم تكن الكتابة مطلوبة بقوله فكاتبوهم والظاهر في وآتوهم انه أمر للمكاتبين وكذا قال المفسرون وجمهور العلماء واختلفوا هل هو على الوجوب أو على الندب واستحسن ابن مسعود والحسن أن يكون ثلث الكتابة وعلى ربعها وقتادة عشرها * وقال عمر من أول نجومه مبادرة الى الخير * وقال مالك من آخر نجم * وقال بريدة والحسن والنخعي وعكرمة والكلبي والمقاتلان أمر الناس جميعا بمواساة المكاتب واعانته * وقال زيد بن أسلم الخطاب لولاة الأمور أن يعطوا المكاتبين من مال الصدقة حقهم وهو الذي تضمنه قوله وفي الرقاب * وقال صاحب النظم لو كان المراد بالايتاء الحط لوجب أن تكون العبارة العربية ضعوا عنهم أو قاصوهم فلما قال وآتوهم دل على انه من الزكاة اذ هي مناولة واعطاء ويؤكده انه أمر باعطاء وما أطلق عليه الاعطاء كان سبيله الصدقة * وقوله من مال الله الذي آتاكم هو ما ثبت ملكه للمالك أمر باخراج بعضه ومال الكتابة ليس بدين صحيح لأنه على عبده والمولى لايثبت له على عبده دين صحيح وأيضا ما آتاه الله هو الذي يحصل في يده ويملكه وما يسقطه عقيب العقد لايحصل له عليه ملك فلا يستحق الصفة بأنه من مال الله الذي آتاه ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء في صحيح مسلم عن جابر ان جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة كان يكرههما على الزنا فشكيا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت * وقيل كانت له ست معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة جاءته احداهن ذات يوم بدينار وأخرى ببرد فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لانفعل ذلك وقد جاءنا الله بالاسلام وحرم الزنا فأتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا فنزلت والفتاة المملوكة وهذا خطاب للجميع ويؤكد أن يكون وآتوهم خطابا للجميع والنهي عن الاكراه على الزنا مشروط بارادة التعفف منهن لأنه لا يمكن الاكراه الامع ارادة التحصن أما اذا كانت مريدة للزنا فانه لايتصور الاكراه وكلتا ان وايثارها على اذا إيذان بأن المسافحات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من خبر الشاذ النادر وقد ذهب هذا النظر على كثير من المفسرين فقال بعضهم ان أردن راجع الى قوله وأنكحوا الأيامى منكم وهذا فيه بعد وفصل كثير وأيضا فالأيامى يشمل الذكور والاناث فكان لو أريد هذا المعنى لكان التركيب ان أرادوا تحصنا فيغلب المذكر على المؤنث * وقال بعضهم هذا الشرط ملغى * وقال الكرماني هذا شرط

﴿الله نور السموات والارض﴾ الآية النور الضوء المدرك بالبصر واسناده الى الله مجاز كما تقول زيد كرم واسناده على اعتبارين اما على أنه اسم فاعل أي منور السموات والارض واما على حذف مضاف أي ذو نور ويؤيده قوله مثل نوره وأضاف النور للسموات والارض للدلالة على سعة اشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السموات والارض * المشكاة الكوة غير النافذة قال الكلبي وهو حبشي معرب وهو على حذف مضاف أي صفة نوره كنور مشكاة ﴿فيها مصباح﴾ المصباح آلة يستصبح بها كالمفتاح آلة للفتح وقال أبو موسى المشكاة الحديدة والرصاصة التي يكون فيها الفتيلة في جوف الزجاجة والزجاجة ظرف للمصباح لقوله المصباح في زجاجة ﴿كأنها﴾ أي كأن الزجاجة لصفاء جوهرها وذاتها وهي أبلغ في الانارة أولما احتوت عليه من نور المصباح كأنها ﴿كوكب دري﴾ قرئ دري بضم الدال وتشديد الياء نسبة الى الدر لصفائه وقرئ دريء بهمزة على وزن صريق وقرئ دريء بكسر الدال والهمز

في الظاهر وليس بشرط كقوله ان علمتم فيهم خيرا ومع انه وان كان لم يعلم خيرا صحت الكتابة * وقال ابن عيسى جاء بصيغة الشرط لتفحيش الاكراه على ذلك وقال لأنها نزلت على سبب فوقع النهي على تلك الصفة انتهى وعرض الحياة الدنيا هو ما يكسبنه بالزنا وقوله فان الله جواب للشرط والصحيح ان التقدير غفور رحيم لهم ليكون جواب الشرط فيه ضمير يعود على من الذي هو اسم الشرط ويكون ذلك مشروطا بالتوبة ولما غفل الزمخشري وابن عطية وأبو البقاء عن هذا الحكم قدروا فان الله غفور رحيم لهن أي للمكرهات فعريت جملة جواب الشرط من ضمير يعود على اسم الشرط وقد ضعف ما قلناه أبو عبد الله الرازي فقال فيه وجهان أحدهما فان الله غفور رحيم لهن لأن الاكراه يزيل الاثم والعقوبة من المكره فيما فعل والثاني فان الله غفور رحيم للمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لأنه على التفسير الاول لا حاجة لهذا الاضمار وعلى الثاني يحتاج اليه انتهى وكلامهم كلام من لم يمعن في لسان العرب (فان قلت) قوله اكراههن مصدر أضيف الى المفعول والفاعل مع المصدر محذوف والمحذوف كالملفوظ والتقدير من بعد اكراههم اياهن والربط يحصل بهذا المحذوف المقدر فلتجز المسئلة (قلت) لم يعدوا في الروابط الفاعل المحذوف تقول هند عجبت من ضربها زيدا فتجوز المسئلة ولو قلت هند عجبت من ضرب زيدا لم تجز ولما قدر الزمخشري في أحد تقديراته لهن أورد سؤال الاقفال (فان قلت) لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لأن المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير آثمة (قلت) لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف وغيره حتى يسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة انتهى وهذا السؤال والجواب مبنيان على تقدير لهن * وقرأ مبينات بفتح الياء الحرميان وأبو عمرو وأبو بكر أي بين الله في هذه السورة وأوضح آيات تضمنت أحكاما وحدودا وفرائض فتلك الآيات هي المبينة ويجوز أن يكون المراد مبينا فيها ثم اتسع فيكون المبين في الحقيقة غيرها وهي ظرف للمبين * وقرأ باقي السبعة والحسن وطلحة والاعمش بكسر الياء فاما أن تكون متعدية أي مبينات غيرها من الاحكام والحدود فأسند ذلك اليها مجازا واما أن تكون لا تتعدى أي بينات في نفسها لا تحتاج الى موضح بل هي واضحة لقولهم في المثل * قد بين الصبح لذي عينين * أي قد ظهر ووضح وقوله ومثلا معطوف على آيات فيحتمل أن يكون المعنى ومثلا من أمثال الذين من قبلكم أي قصة غريبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم في براءتهما البراءة من رميت بحديث الافك لينظروا قدرة الله في خلقه وصنعه فيعتبروا * وقال الضحاك والمراد بالمثل ما في التوراة والانجيل من اقامة الحدود فأنزل في القرآن مثله * وقال مقاتل أي شبها من حالهم في تكذيب الرسل أي بينا لكم ما أحللنا بهم من العذاب لتمردهم فجعلنا ذلك مثلا لكم لتعلموا انكم اذا شاركتموهم في المعصية كنتم مثلهم في استحقاق العقاب * وموعظة للمتقين أي ما وعظ في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة ولولا إذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا وخص المتقين لأنهم المنتفعون بالموعظة ﴿الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري

(الدر)

(ح) فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم جواب الشرط والصحيح ان التقدير غفور رحيم لهم ليكون جواب الشرط فيه ضمير يعود على من الذي هو اسم الشرط ويكون ذلك مشروطا بالتوبة ولما غفل (ش) و(ع) وأبو البقاء عن هذا الحكم قدروا فان الله غفور رحيم لهن أي للمكرهات

وهما مشتقان من درأ أي دفع كأنهما يدفعان الظلمة وقرئ يوقد أي المصباح وتوقد بالتاء أي الزجاجة ونسب الاتقاد إليها لتوقد المصباح فيها ﴿ من شجرة ﴾ أي من زيت شجرة ﴿ مباركة ﴾ قيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم صلى الله عليه وسلم والزيتون من أعظم الشجر ثمرا ونماء ﴿ زيتونة ﴾ بدل من شجرة وأجاز الكوفيون والفارسي أن يكون عطف بيان ولا يجيزه البصريون ذلك لأنهم شرطوا في عطف البيان أن يكون معرفة لمعرفة ﴿ لا شرقية ولا غربية ﴾ هي من شجر الشام فليست من شرق الارض ولا من غربها لأن شجر الشام أفضل الشجر ﴿ يكاد زيتها يضيء ﴾ مبالغة في صفاء الزيت وانه لاشراقه وجودته يكاد يضيء من غير نار والجملة من قوله ﴿ ولو لم تمسسه نار ﴾ حالية معطوفة على حال محذوفة أي يكاد زيتها يضيء في كل حال ولو في هذه الحال التي تقتضي أنه لا يضيء لانتفاء مس النار له ﴿ نور على نور ﴾ أي متضاعف تعاون عليه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت فلم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا شيء لأن المصباح اذا كان في مكان ضيق كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فانه ينشر النور والقنديل أعون شيء على زيادة النور وكذلك الزيت وصفاؤه وهنا تم المثال وما أحسن ما جاء في التركيب في قوله تعالى المصباح في زجاجة حيث ذكر الاصباح مرتين نكرة ومعرفة وكذلك قوله الزجاجة ذكرها نكرة ومعرفة فدل ذلك على تفخيم هذا التركيب وحسنه ولو كان في غير القرآن لاكتفى بقوله كمصباح في مشكاة في زجاجة وهذا التشبيه كله انما جاء باعتبار ما يتخيله الناس من انتشار هذا النور والا فالنور المنسوب الى الله أعظم من كل نور يتخيل ولقد أحسن أبو تمام في قوله وقد مدح ملكا فشبهه بعمرو في اقدامه وحاتم في كرمه وأحنف في حلمه واياس في ذكائه فقال

اقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء اياس فقيل له شبهت ذلك الملك باجلاف من العرب فقال مرتجلا

لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس (٤٥٤). فالله قد ضرب الأقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

والنبراس المصباح ثم قال ﴿ يهدي الله لنوره ﴾ أي يهدي من يشاء هدايته ويصطفيه لها ثم ذكر تعالى أنه يضرب الأمثال ليقع لهم العبرة والنظر

يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ النور في كلام العرب الضوء المدرك بالبصر فاسناده الى

المؤدي الى الايمان ﴿ في بيوت ﴾ الظاهر أن يتعلق في بيوت بقوله يسبح وان ارتباط هذه بما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر أنه يهدي لنوره من يشاء ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور وهم المؤمنون ثم ذكر أشرف عباداتهم القلبية وهو تنزيههم الله تعالى عن النقائص واظهار ذلك بالتلفظ به في مساجد الجماعات ثم ذكر سائر أوصافهم من التزام ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وخوفهم مما يكون في البعث ولذلك جاء مقابل المؤمنين وهم الكفار في قوله والذين كفروا وكأنه لما ذكرت الهداية للنور رجاء التقسيم لقابل الهداية وعدم قابلها فبدئ بالمؤمن وما تأثر به من أنواع الهدى ثم ذكر الكافرين وقرئ يسبح بكسر الباء ورجال فاعل وقرئ بفتح الباء ورجال فاعل بفعل محذوف ولما قال يسبح له قيل من يسبحه فقيل رجال وحذف لدلالة يسبح عليه وفيها بدل

(الدر) فعريت جملة جواب الشرط من ضمير يعود على اسم الشرط وقد ضعف ما قلنا أبو عبد الله الرازي فقال فيه وجهان أحدهما فان الله غفور رحيم لهن لان الاكراه يزيل الاثم والعقوبة من المكره فيما فعل والثاني فان الله غفور رحيم للمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لأنه على التفسير الأول لا حاجة لهذا الاضمار وعلى الثاني يحتاج اليه انتهى وكلامهم كلام من لم يمعن في لسان العرب فان قلت قوله اكراههن مصدر أضيف الى المفعول والفاعل مع المصدر محذوف والمحذوف كالملفوظ به والتقدير من بعد اكراههم اياهن والربط يحصل بهذا المحذوف المقدر فلتجز المسئلة قلت لم يعدوا في الروابط الفاعل المحذوف نحو هند عجبت من ضرب زيدا فتجوز المسئلة ولو قلت هند عجبت من ضرب زيد لم يجز ولما قدر (ش) في أحد تقديراته لهن أورد سؤال فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في أنها غير آثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف وغيره حتى يسلم من الاثم الى آخر السؤال وهذا السؤال والجواب مبنيان على تقدير لهن

الله تعالى مجاز كما تقول زيد كرم وجود واسناده على اعتبارين اما على انه بمعنى اسم الفاعل أى منوّر السموات والارض ويؤيد هذا التأويل قراءة على بن أبى طالب وأبى جعفر وعبد العزيز المكى وزيد بن على وثابت بن أبى حفصة والقورصى ومسلمة بن عبد الملك وأبى عبد الرحمن السلمى وعبد الله بن عياش بن أبى ربيعة نور فعلا ماضيا والارض بالنصب واما على حذف أى ذو نور ويؤيده قوله مثل نوره ويحتمل أن يجعل نورا على سبيل المدح كما قالوا فلان شمس البلاد ونور القبائل وقمرها وهذا مستفيض فى كلام العرب وأشعارها * قال الشاعر

* كأنك شمس والملوك كواكب * وقال * قمر القبائل خالد بن يزيد * وقال

اذا سار عبد الله من مرو ليلة * فقد سار منها بدرها وجمالها

ويروى نورها وأضاف النور الى السموات والارض للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى يضيء له السموات والارض أو يراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به * وقال ابن عباس نور السموات أى هادى أهل السموات * وقال مجاهد مدبر أمور السموات * وقال الحسن منور السموات * وقال أبى الله به نور السموات أو منه نور السموات أى ضياؤها * وقال أبو العالية مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بالأنبياء والعلماء * وقيل المنزه من كل عيب امرأة نوار بريئة من الريبة والفحشاء * وقال الكرمانى هو الذى يرى ويرى به مجاز وصف الله به لأنه يرى ويرى بسببه مخلوقاته لأنه خلقها وأوجدها والظاهر ان الضمير فى مثل نوره عائد على الله تعالى * واختلفوا فى هذا القول ما المراد بالنور المضاف اليه تعالى * فقيل الآيات البينات فى قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات * وقيل الايمان المقذوف فى قلوب المؤمنين * وقيل النور هنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل النور هنا المؤمن * وقال كعب وابن جبير الضمير فى نوره عائد على محمد صلى الله عليه وسلم أى مثل نور محمد * وقال أبىّ هو عائد على المؤمنين وفى قراءته مثل نور المؤمن وروى أيضا فيها مثل نور من آمن به * وقال الحسن يعود على القرآن والايمان وهذه الأقوال الثلاثة عاد فيها الضمير على غير مذكور ونقلت المعنى المقصود بالآية بخلاف عوده على الله تعالى ولذلك قال مكى يوقف على والارض فى تلك الأقوال الثلاثة * واختلفوا فى هذا التشبيه أهو تشبيه جملة بجملة لا يقصد فيها الى تشبيه جزء بجزء ومقابلة شئ بشئ أو مما قصد به ذلك أى مثل نور الله الذى هو هداه واتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور الذى تتخذونه أنتم على هذه الصفة التى هى أبلغ صفات النور الذى بين أيدى الناس أى مثل نور الله فى الوضوح كهذا الذى هو منتها كم أيها البشر * وقيل هو من التشبيه المفصل المقابل جزأ بجزء وقرروه على تلك الأقوال الثلاثة أى مثل نوره فى محمد أو فى المؤمن أو فى القرآن والايمان كمشكاة فالمشكاة هو الرسول أو صدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من علمه وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة الوحى والملائكة رسل الله اليه وشبه الفصل به بالزيت وهو الحجج والبراهين والآيات التى تضمنها الوحى وعلى قول المؤمن فالمشكاة صدره والمصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه والشجرة القرآن وزيتها هو الحجج والحكمة التى تضمنها * قال أبىّ فهو على أحسن الحال يمشى فى الناس كالرجل الحى يمشى فى قبور الأموات وعلى قول الايمان والقرآن أى مثل الايمان والقرآن فى صدر المؤمن فى قلبه كمشكاة وهذا القول ليس فى مقابلة التشبيه كالاولين لان المشكاة ليست تقابل الايمان * وقال الزمخشرى أى صفة نوره العجيبة الشأن فى الاضاءة

من قوله فى بيوت ثم ذ كر
تعالى وصف المسبحين بانه
لمراقبتهم أمر الله تعالى
وطلبهم رضاه لايشتغلون
عن ذكر الله * واحتمل
قوله لاتلهيهم وجهين
أحدهما أنهم لاتجارة
لهم تلهيهم عن ذكر الله
كقوله
على لاحب لايهتدى بمنار
أى لامنار له فيهتدى ب
والثانى أنهم ذوو تجارة
وبيع ولكن لايشغله
ذلك عن ذكر الله وعم
فرض عليهم * واللام فى
ليجزيهم متعلقة بمحذوف
تقديره فعلوا ذلك ليجزيهم
* أحسن هو على حذف
مضاف أى ثواب أحسن
ماعملوا وما فى ماعملوا يحتمل
أن تكون موصولة بمعنى
الذى والعائد محذوف
تقديره عملوه واحتمل
أن تكون مصدرية أى
أحسن عملهم

كمشكاة أى كصفة مشكاة انتهى و يظهر لى ان قوله كمشكاة هو على حذف مضاف أى مثل نوره مثل نور مشكاة وتقدم فى المفردات أن المشكاة هى الكوة غير النافذة وهو قول ابن جبير وسعيد بن عياض والجمهور * وقال أبو موسى المشكاة الحديدة والرصاصة التى تكون فيها الفتيل فى جوف الزجاجة * وقال مجاهد المشكاة العمود الذى يكون المصباح على رأسه وقال أيضا الحدائد التى تعلق فيها القناديل * فيها مصباح أى سراج ضخم والظاهر ان الزجاجة ظرف للمصباح لقوله المصباح فى زجاجة وقدره الزمخشرى فى زجاج شامى وكان عنده أصفى الزجاج هو الشامى ولم يقيد فى الآية * وقرأ أبو رجاء ونصر بن عاصم فى زجاجة الزجاجة بكسر الزاى فيهما وابن أبى عبلة ونصر ابن عاصم فى رواية ابن مجاهد بفتحها * كأنها أى كان الزجاجة لصفاء جوهرها وذاتها وهو أبلغ فى الانارة ولما احتوت عليه من نور المصباح * كوكب درى قال الضحاك هو الزهرة شبه الزجاجة فى زهرتها بأحد الدرارى من الكواكب المشاهير وهى المشترى والزهرة والمريخ وسهيل ونحو ذلك * وقرأ الجمهور من السبعة نافع وابن عامر وحفص وابن كثير درى بضم الدال وتشديد الراء والياء والظاهر نسبة الكوكب الى الدر لبياضه وصفائه ويحتمل أن يكون أصله الهمز فأبدل وأدغم * وقرأ قتادة وزيد بن على والضحاك كذلك الا أنهما فتحا الدال وروى ذلك عن نصر بن عاصم وأبى رجاء وابن المسيب * وقرأ الزهرى كذلك الا أنه كسر الدال * وقرأ حمزة كذلك الا أنه همز من الدرء بمعنى الدفع أى يدفع بعضها بعضا أو يدفع ضوؤها خفاءها ووزنها فعيل * قيل ولا يوجد فعيل الا قولهم مريق للعصفر ودرىء فى هذه القراءة * قيل وسرية اذا قيل انها مشتقة من السمر ور وأبدل من أحد المضعفات الياء فأدغمت فيها ياء فعيل وسمع أيضا مريخ للذى فى داخل القرن اليابس بضم الميم وكسرها * وقيل منه علية * وقيل درى ووزنه فى الاصل فعول كسبوح فاستثقل الضم فرد الى الكسر وكذا قيل فى سرته وذرته * وقرأ أبو عمرو والكسائى كذلك الا أنه كسر الدال وهو بناء كثير فى الأسماء نحو سكين وفى الاوصاف سكير * وقرأ قتادة أيضا وأبان بن عثمان وابن المسيب وأبو رجاء وعمرو بن فائد والأعمش ونصر بن عاصم كذلك الا أنه بفتح الدال * قال ابن جنى وهذا عزيز لم يحفظ منه الا السكينة بفتح السين وشد الكاف انتهى وفى الابنية حكى الاخفش كوكب درىء من درأته ودرية وعليك بالسكينة والوقار عن أبى زيد * وحكى الفراء بكسر السين * وقرأ الاخوان وأبو بكر والحسن وزيد بن على وقتادة وابن وثاب وطلحة وعيسى والاعمش توقد بضم التاء أى الزجاجة مضارع أوقدت مبنيا للمفعول ونافع وابن عامر وحفص كذلك الا أنه بالياء أى المصباح وابن كثير وأبو عمرو توقد بفتح الاربعة فعلا ماضيا أى المصباح والحسن والسلمى وقتادة وابن محيصن وسلام ومجاهد وابن أبى اسحاق والمفضل عن عاصم كذلك الا أنه بضم الدال مضارع توقد وأصله تتوقد أى الزجاجة * وقرأ عبد الله وقد بغير تاء وشدد القاف جعله فعلا ماضيا أى وقد المصباح * وقرأ السلمى وقتادة وسلام أيضا كذلك الا أنه بالياء من تحت وجاء كذلك عن الحسن وابن محيصن وأصله يتوقد أى المصباح الا أن حذف الياء فى يتوقد مقيس لدلالة ما أبقى على ما حذف وفى يوقد شاذ جدا لان الياء الباقية لا تدل على التاء المحذوفة وله وجه من القياس وهو حمله على يعد اذ حمل يعد وتعد وأعد فى حذف الواو كذلك هذا لما حذفوا من تتوقد بالتاء بن حذفوا التاء مع الياء وان لم يكن اجتماع التاء والياء مستثقلا * من شجرة أى من زيت شجرة وهى شجرة الزيتون * مباركة كثيرة المنافع أو لانها تنبت فى الارض التى بارك فيها للعالمين * وقيل بارك فيها

للعالمين * وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام والزيتون من أعظم الشجر ثمرا ونماء واطرادا فنان ونضارة أفنان * وقال أبو طالب

بورك الميت الغريب كما * بورك نضر الرمان والزيتون

لاشرقية ولا غربية قال ابن زيد هي من شجر الشام فهي ليست من شرق الارض ولا من غربها لان شجر الشام أفضل الشجر *وقال ابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم هي في منكشف من الارض تصيبها الشمس طول النهار تستدير عليها فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية* وقال الحسن هذا مثل وليست من شجر الدنيا اذ لو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية *وعن ابن عباس أنها في درجة أحاطت بها فليست منكشفة لا من جهة الشرق ولا من جهة الغرب وهذا لا يصح عن ابن عباس لانها اذا كانت بهذه الصفة فسد جناها * وقال ابن عطية انها في وسط الشجر لا تصيبها الشمس طالعة ولا غاربة بل تصيبها بالغداة والعشي * وقال عكرمة هي من شجر الجنة * وقال ابن عمر الشجرة مثل أي انها ملة ابراهيم ليست بيهودية ولا نصرانية *وقيل ملة الاسلام ليست بشديدة ولا لينة *وقيل لا مضحى ولا مفيأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها * وزيتونة بدل من شجرة وجوز بعضهم فيه أن يكون عطف بيان ولا يجوز على مذهب البصريين لان عطف البيان عندهم لا يكون الا في المعارف وأجاز الكوفيون وتبعهم الفارسي انه يكون في النكرات *ولاشرقية ولا غربية على قراءة الجمهور بالخفض صفة لزيتونة * وقرأ الضحاك بالرفع أي لاهي شرقية ولا غربية والجملة في موضع الصفة *يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار مبالغة في صفاء الزيت وانه لاشراقه وجودته يكاد يضيء من غير نار والجملة من قوله ولو لم تمسسه نار حالية معطوفة على حال محذوفة أي يكاد زيتها يضيء في كل حال ولو في هذه الحال التي تقتضي انه لايضيء لانتفاء مس النار له وتقدم لنا أن هذا العطف انما يأتي مرتبا لما كان لا ينبغي أن يقع لامتناع الترتيب في العادة وللاستقصاء حتى يدخل ما لا يقدر دخوله فيما قبله نحو اعطوا السائل ولو جاء على فرس ردوا السائل ولو بظلف محرق * وقرأ الجمهور تمسسه بالتاء وابن عباس والحسن بالياء من تحت وحسنه الفصل وان تأنيث النار مجازي وهو مؤنث بغير علامة *نور على نور أي متضاعف تعاون عليه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت فلم يبق مما يقوى النور ويزيده اشراقا شئ لان المصباح اذا كان في مكان ضيق كان أجمع لنوره بخلاف المكان المتسع فانه ينشر النور والقنديل أعون شئ على زيادة النور وكذلك الزيت وصفاؤه وهنا تم المثال* ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء أي لهداه والايمان من يشاء هدايته ويصطفيه لها ومن فسر النور في مثل نوره بالنبوة قدر يهدي الله الى نبوته * وقيل الى الاستدلال بالآيات ثم ذكر تعالى أنه يضرب الأمثال للناس ليقع لهم العبرة والنظر المؤدي الى الايمان ثم ذكر احاطة علمه بالأشياء فهو يضع هداه عند من يشاء* في بيوت متعلق بيوقد قاله الرماني أو في موضع الصفة لقوله كمشكاة أي كمشكاة في بيوت قاله الحوفي وتبعه الزمخشري قال كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد قال مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت انتهى وقوله كأنه الى آخره تفسير معنى لا تفسير اعراب أو في موضع الصفة لمصباح أي مصباح في بيوت قاله بعضهم أو في موضع الصفة لزجاجة قاله بعضهم وعلى هذه الاقوال الاربعة لا يوقف على قوله عليم * وقيل في بيوت مستأنف والعامل فيه يسبح حكاه أبو حاتم وجوزه الزمخشري * فقال وقد ذكر تعلقه

بكمشكاة قال أو بما بعده وهو يسبح أى يسبح له رجال فى بيوت وفيها تكرير كقولك زيد فى الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله فى تسع آيات أى سبحوا فى بيوت انتهى وعلى هذه الاقوال الثلاثة يوقف على قوله عليم والذى أختاره أن يتعلق فى بيوت بقوله يسبح وان ارتباط هذه بما قبلها هو انه تعالى لما ذكر أنه يهدى لنوره من يشاء ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور وهم المؤمنون ثم ذكر أشرف عباداتهم القلبية وهو تنزيههم الله عن النقائص واظهار ذلك بالتلفظ به فى مساجد الجماعات ثم ذكر سائر أوصافهم من التزام ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وخوفهم ما يكون فى البعث ولذلك جاء مقابل المؤمنين وهم الكفار فى قوله والذين كفروا وكأنه لما ذكرت الهداية للنور جاء فى التقسيم لقابل الهداية وعدم قابلها فبدئ بالمؤمن وما تأثر به من أنواع الهدى ثم ذكر الكافر والظاهر ان قوله فى بيوت أريد به مدلوله من الجمعية * وقال الحسن أريد به بيت المقدس وسمى بيوتا من حيث فيه مواضع يتحيز بعضها عن بعض ويؤثر ان عادة بنى اسرائيل فى وقيده فى غاية التهمم والزيت مختوم على ظروفه وقد صنع صنعة وقدس حتى لا يجرى أو قيد بغيره فكان أضوأ بيوت الارض والظاهر ان فى بيوت مطلق فيصدق على المساجد والبيوت التى تقع فيها الصلاة والعلم * وقال مجاهد بيوت الرسول صلى الله عليه وسلم * وقال ابن عباس والحسن أيضا ومجاهد هى المساجد التى من عادتها أن تنور بذلك النوع من المصابيح * وقيل الكعبة و بيت المقدس ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ومسجد قباء * وقيل بيوت الانبياء ويقوى انها المساجد قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال واذنه تعالى وأمره بان ترفع أى يعظم قدرها قاله الحسن والضحاك * وقال ابن عباس ومجاهد تبنى وتعلى من قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل * وقيل ترفع تطهر من الأنجاس والمعاصى * وقيل ترفع أى ترفع فيها الحوائج الى الله * وقيل ترفع الأصوات بذكر الله وتلاوة القرآن * ويذكر فيها اسمه ظاهره مطلق الذكر فيعم كل ذكر عموم البدل * وعن ابن عباس توحيده وهو لا اله الا الله * وعنه يتلى فيها كتابه * وقيل أسماؤه الحسنى * وقيل يصلى فيها * وقرأ الجمهور يسبح بكسر الباء و بالياء من تحت وابن وثاب وأبو حيوة كذلك الا انه بالتاء من فوق وابن عامر وأبو بكر والبخترى عن حفص ومحبوب عن أبى عمرو والمنهال عن يعقوب والمفضل وأبان بفتحها و بالياء من تحت واحد المجرورات فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله والاولى الذى يلى الفعل لان طلب الفعل للمرفوع أقوى من طلبه للمنصوب الفضلة * وقرأ أبو جعفر تسبح بالتاء من فوق وفتح الباء * قال الزمخشرى و وجهها أن تسند الى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد بها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما انتهى و يجوز أن يكون المفعول الذى لم يسم فاعله ضمير التسبيحة الدال عليه تسبح أى تسبح له هى أى التسبيحة كما قالوا ليجزى قوما فى قراءة من بناه للمفعول أى ليجزى هو أى الجزاء * وقرأ أبو مجلز والايصال وتقدم نظيره وارتفع رجال على هاتين القراءتين على الفاعلية باضمار فعل أى يسبح أو يسبح له رجال * واختلف فى اقتياس هذا فعلى اقتياسه نحو ضربت هند زيد أى ضربها زيد و يجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أى المسبح رجال وتقدم الكلام فى تفسير الغدو والآصال والمراد بهما * ثم ذكر تعالى وصف المسبحين بانهم لمراقبتهم أمر الله وطلبهم رضاه لا يشتغلون عن ذكر الله واحتمل قوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع وجهين * أحدهما أنهم لا تجارة لهم ولا بيع فيلهيهم عن ذكر الله كقوله * على لاحب لا يهتدى بمناره * أى لا منار له فيهتدى به * والثانى

(الدر)

(ش) وقرأ أبو جعفر تسبح بالتاء من فوق وفتح الباء ووجهها ان تسند الى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد بها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما (ح) و يجوز أن يكون المفعول الذى لم يسم فاعله ضمير التسبيحة الدال عليه يسبح أى يسبح له هى أى التسبيحة كما قالوا ليجزى قوما فى قراءة من بناه للمفعول أى ليجزى هو أى الجزاء

﴿ والذين كفروا وأعمالهم كسراب ﴾ الآية لما ذكر تعالى حال المؤمنين ذكر حال الكافرين فمثل لهم ولأعمالهم مثلين أحدهما بطلان أعمالهم في الآخرة وانهم لا ينتفعون بها والثاني يقتضي حالها في الدنيا من ارتباكها في الضلال والظلمة شبه أعمالهم أولا في اضمحلالها وفقدان ثمرتها بسراب في مكان منخفض ظنه العطشان ماء فقصده وأتعب نفسه في الوصول اليه ﴿حتى إذا جاءه﴾ أي جاء موضعه الذي تخيله فيه ﴿لم يجده شيئا﴾ أي فقده لأنه مع الدنو لا يرى شيئا كذلك الكافر يظن أن عمله في الدنيا نافعه حتى اذا أفضى الى الآخرة لم ينفعه عمله بل صار وبالا عليه * والقيعة المكان المنخفض من الارض وجمعها قيعان * والظمآن العطشان * والسراب الضباب المنعقد كأنه سحاب وهو لا حقيقة له والظاهر أنه تعالى شبه أعمالهم في عدم انتفاعهم بها بسراب صفته كذا وأن الضمائر فيما بعد الظمآن له والمعنى في

انهم ذوو تجارة وبيع ولكن لا يشغلهم ذلك عن ذكر الله وعما افترض عليهم والظاهر مغايرة التجارة والبيع ولذلك عطف فاحتمل أن تكون تجارة من اطلاق العام ويراد به الخاص فأراد بالتجارة الشراء ولذلك قابله بالبيع أو يراد تجارة الجلب ويقال تجر فلان في كذا اذا جلبه وبالبيع البيع بالأسواق ويحتمل أن يكون ولا بيع من ذكر خاص بعد عام لان التجارة هي البيع والشراء طلبا للربح ونبه على هذا الخاص لانه في الالهاء أدخل من قبل أن التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته ألهته ما لا يلهيه شئ يتوقع فيه الربح لان هذا يقين وذاك مظنون * قال الزمخشري التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ونحوه * وأخلفوك عدا الامر الذي وعدوا * انتهى وهذا الذي ذكر من ان التاء سقطت لاجل الاضافة هو مذهب الفراء ومذهب البصريين ان التاء من نحو هذا لا تسقط للاضافة وتقدم لنا الكلام على وإقام الصلاة في الانبياء وصدر البيت الذي أنشد عجزه قوله * ان الخليط أجدوا البين فانجردوا * وقد تأول خالد ابن كلثوم قوله عدا الامر على انه جمع عدوة والعدوة الناحية كأن الشاعر أراد نواحي الامر وجوانبه * يخافون يوما هو يوم القيامة والظاهر ان معنى تتقلب تضطرب من هول ذلك اليوم كما قال تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر فتقلبها هو قلقها واضطرابها فتتقلب من طمع في النجاة الى طمع ومن حذر هلاك الى هلاك وهذا المعنى تستعمله العرب في الحروب كقوله * بل كان قلبك في جناحي طائر * ويبعد قول من قال تتقلب على جر جهنم لان ذلك ليس في يوم القيامة بل بعده وقول من قال ان تقلبها ظهور الحق لها أي فتتقلب عن معتقدات الضلال الى اعتقاد الحق على وجهه فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد أن كانت عميا والقول الاول أبلغ في التهويل * وقرأ ابن محيصن تقلب بادغام التاء في التاء * واللام في ليجزيهم متعلقة بمحذوف أي فعلوا ذلك ليجزيهم ويجوز أن تتعلق بيسبح وهو الظاهر * وقال الزمخشري والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم انتهى والظاهر ان قوله يخافون صفة لرجال كما أن لا تلهيهم كذلك * أحسن هو على حذف مضاف أي ثواب أحسن ما عملوا أو أحسن جزاء ما عملوا * ويزيدهم من فضله على ما تقتضيه أعمالهم فأهل الجنة أبدا في مزيد * وقال الزمخشري ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض * والله يرزق من يشاء ما يتفضل به بغير حساب فأما الثواب فله حسنات لكونه على حسب الاستحقاق انتهى * وفي قوله على حسب الاستحقاق دسيسة اعتزال ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا

(الدر)

(ش) التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما أضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض ونحوه * وأخلفوك عدا الامر الذي وعدوا * (ح) هذا الذي ذكر من أن التاء سقطت لأجل الاضافة هو مذهب الفراء ومذهب البصريين ان التاء من نحو هذا لا تسقط للاضافة وتقدم لنا الكلام على واقام الصلاة في الانبياء وصدر البيت الذي أنشد عجزه قوله * ان الخليط أجدوا البين فانجردوا * وقد تأول خالد بن كلثوم قوله عدا الامر على انه جمع عدوة والعدوة الناحية كأن الشاعر أراد نواحي الأمر وجوانبه

﴿ووجدالله عنده﴾ أى ووجدمقدور الله عليه فى هلاكه بالظمآ عنده أى عند موضع السراب ﴿فوفاه﴾ ما كتب له من ذلك وهو المحسوب له والله تعالى معجل حسابه لايؤخره عنه فيكون الكلام متناسقا آخذا بعضه بعنق بعض وذلك باتصال الضمائر لشئ واحد ويكون هذا التشبيه مطابقا لأعمالهم من حيث انهم اعتقدوها نافعة فلم ينفعهم وحصل لهم الهلاك بأثر ماحوسبوا ﴿أوكظلمات﴾ هذا التشبيه الثانى لأعمالهم (٤٦٠) والأول فيما تؤول إليه أعمالهم فى الآخرة وهذا الثانى فيماهم عليه فى حال الدنيا وبدأ بالتشبيه الأول لأنه آكد فى الاخبار لما فيه من ذكر مايؤول إليه أمرهم من العقاب الدائم والعذاب السرمد ثم أتبعه بهذا التمثيل الذى نبههم على ماهى أعمالهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ الى الايمان ويتفكرون فى نور الله تعالى الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ ﴿سحاب ظلمات﴾ على الاضافة وسحاب منونا ظلمات مجرور بدلا من ظلمات المتقدمة ويكون بعضها فوق بعض مبتدأ وخبر فى موضع الصفة بظلمات وقرئ سحاب منونا ظلمات منونا بدل من قوله سحاب والضمير فى يده عائد على محذوف يدل عليه المعنى تقديره اذا أخرج من استقر فى الظلمات يده لم يكد يراها أى لم يقارب رؤيتها لتكاثف الظلمة واذا انتفت المقاربة انتفت الرؤية

ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أوكظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ﴾ لماذكر تعالى حالة الايمان والمؤمنين وتنوير قلوبهم ووصفهم بما وصفهم من الأعمال النافعة فى الآخرة أعقب ذلك بذكر مقابلهم الكفرة وأعمالهم فمثل لهم ولأعمالهم مثلين أحدهما يقتضى بطلان أعمالهم فى الآخرة وانهم لاينتفعون بها والثانى يقتضى حالها فى الدنيا من ارتباكها فى الضلال والظلمة شبه أولا أعمالهم فى اضمحلالها وفقدان ثمرتها بسراب فى مكان منخفض ظنه العطشان ماء فقصده وأتعب نفسه فى الوصول اليه حتى اذا جاءه أى جاء موضعه الذى تخيله فيه لم يجده شيئا أى فقده لأنه مع الدنو لا يرى شيئا كذلك الكافر يظن ان عمله فى الدنيا نافعه حتى اذا أفضى الى الآخرة لم ينفعه عمله بل صار وبالا عليه وقرأ مسلمة بن محارب بقيعات بتاء ممطوطة جمع قيعة كديمات وقيمات فى ديمة وقيمة وعنه أيضا بتاء شكل الهاء ويقف عليها بالهاء فيحتمل أن يكون جمع قيعة ووقف بالهاء على لغة طى كما قالوا البناه والأخواه فى الوقف على البنات والاخوات وقال صاحب اللوامح ويجوز أن يريد قيعة كالعامة أى كالقراءة العامة لكنه أشبع الفتحة فتولدت منها الألف مثل مخرنبق لينباع وقال الزمخشرى وقد جعل بعضهم بقيعات بتاء ممدودة كرجل عزهاة وقال صاحب اللوامح ويجوز انه جعله مثل سعلة وسعلاة وليلة وليلاة والقيعة مفرد مرادف للقاع أو جمع قاع كنار ونيرة فتكون على هذا قراءة قيعات جمع صحة تناول جمع تكسير مثل رجالات قريش وجمالات صفر وقرأ شيبة وأبوجعفر ونافع بخلاف عنهما الظمان بحذف الهمزة ونقل حركتها الى الميم والظاهر ان قوله يحسبه الظمآن هو من صفات السراب ولايعنى الاطلاق الظمآن لا الكافر الظمآن وقال الزمخشرى شبه ما يعمله من لايعتقد الايمان ولايتبع الحق من الأعمال الصالحة التى يحسبها ان تنفعه عندالله وتنجيه من عذابه يوم القيامة ثم يخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ماقدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد مارجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه ويعتلونه ويسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى الاسلام انتهى فجعل الظمآن هو الكافر حتى تطرد الضمائر فى جاءه ولم يجده ووجده وعنده وفوفاه لشخص واحد وغيره غاير بين الضمائر فالضمير فى جاءه ولم يجده للظمآن وفى ووجد الكافر الذى ضرب له مثلا بالظمآن أى ووجد هذا

(الدر) (ش) شبه مايعمله من لايعتقد الايمان ولايتبع الحق من الأعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه عندالله وتنجيه من عذابه يوم القيامة ثم يخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه العطش الى آخره (ح) جعل الظمآن هو الكافر حتى تطرد الضمائر فى جاءه ولم يجده ووجد وعنده وفوفاه لشخص واحد وهو وان جعل الضمائر للظمآن لكنه جعل الظمآن هو الكافر كما قلنا فيؤول التشبيه فيه الى ان شبه أعمال الكفار بعمل الكافر وهو تشبيه الشئ بنفسه كما قال وشبه الماء بعد الجهد بالماء قال جامعه هذا العجز من بيت شهير احسبه ينسب قبلا فى بعض شعراء المصريين وقد قال

الكافر وعده الله بالجزاء على عمله بالمرصاد فوفاه حسابه عمله الذى جازاه عليه وهذا معنى قول أبى وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأفرد الضمير فى ووجد بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد من الكفار * وقال ابن عطية يحتمل أن يعود الضمير فى جاءه على السراب ثم فى الكلام متروك كثير يدل عليه الظاهر تقديره وكذلك الكافر يوم القيامة يظن عمله نافعا حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ويحتمل الضمير أن يعود على العمل الذى يدل عليه قوله أعمالهم ويكون تمام المثل فى قوله ماء ويستغنى الكلام عن متروك على هذا التأويل لكن يكون فى المثل ايجاز واقتضاب لوضوح المعنى المراد به * ووجد الله عنده أى بالجزاء والضمير فى عنده عائد على العمل انتهى والذى يظهر لى أنه تعالى شبه أعمالهم فى عدم انتفاعهم بها بسراب صفته كذا وان الضمائر فيما بعد الظمآن له والمعنى فى ووجد الله عنده أى ووجد مقدور الله عليه من هلاك بالظمأ عنده أى عند موضع السراب فوفاه ما كتب له من ذلك وهو المحسوب له والله معجل حسابه لا يؤخره عنه فيكون الكلام متناسقا آخذا بعضه بعنق بعض وذلك باتصال الضمائر لشئ واحد ويكون هذا التشبيه مطابقا لأعمالهم من حيث انهم اعتقدوها نافعة فلم تنفعهم وحصل لهم الهلاك بأثر ما حوسبوا وأما فى قول الزمخشرى فانه وان جعل الضمائر للظمآن لكنه جعل الظمآن هو الكافر وهو تشبيه الشئ بنفسه كما قال * وشبه الماء بعد الجهد بالماء * وأما فى قول غيره ففيه تفكيك الكلام اذ غاير بين الضمائر وانقطع ترصيف الكلام بجعل بعضه فلتة من بعض * أو كظلمات هذا التشبيه الثانى لاعمالهم فالاول فيما يؤول اليه أعمالهم فى الآخرة وهذا الثانى فيما هم عليه فى حال الدنيا وبدأ بالتشبيه الاول لانه آكد فى الاخبار لما فيه من ذكر ما يؤول اليه أمرهم من العقاب الدائم والعذاب السرمدى ثم أتبعه بهذا التمثيل الذى نبههم على ما هى أعمالهم عليه لعلهم يرجعون الى الايمان ويفكرون فى نور الله الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والظاهر انه تشبيه لاعمالهم وضلالهم بالظلمات المتكاثفة * وقال أبو على الفارسى التقدير أو كذى ظلمات قال ودل على هذا المضاف قوله اذا أخرج يده فالكناية تعود الى المضاف المحذوف فالتشبيه وقع عند أبى على للكافر لا للاعمال وهو خلاف الظاهر ويتخيل فى تقرير كلامه أن يكون التقدير أوهم كذى ظلمات فيكون التشبيه الاول لاعمالهم والثانى لهم فى حال ضلالهم * وقال أبو البقاء فى التقدير وجهان أحدهما أو كاعمال ذى ظلمات فيقدر ذى ظلمات ليعود الضمير من قوله اذا أخرج يده اليه ويقدر أعمال ليصح تشبيه أعمال الكفار بأعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب الظلمات والثانى لا حذف فيه والمعنى أنه شبه أعمال الكفار بالظلمة فى حيلولتها بين القلب وبين ما يهتدى اليه فاما الضمير فى قوله اذا أخرج يده فيعود الى مذكور حذف اعتمادا على المعنى تقديره اذا أخرج من فيها يده * وقال الجرجانى الآية الاولى فى ذكر أعمال الكفار والثانية فى ذكر كفرهم ونسق الكفر على أعمالهم لان الكفر أيضا من أعمالهم وقد قال تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور من الكفر الى الايمان فيكون التمثيل قد وقع لاعمالهم بكفر الكافر وأعمالهم منها كفرهم فيكون قد شبه أعمالهم بالظلمات والعطف بأو هنا لانه قصد التنويع والتفصيل لا ان أو للشك * وقال الكرمانى أو للتخيير على تقدير شبه أعمال الكفار بأيهما شئت * وقرأ سفيان بن حسين أو كظلمات بفتح الواو جعلها واو عطف تقدمت عليها الهمزة التى لتقرير التشبيه الخالى عن محض الاستفهام والظاهر أن الضمير فى يغشاه عائد على بحر لجى أى يغشى ذلك البحر أى يغطى بعضه بعضا بمعنى ان تجيء موجة تتبعها أخرى فهو متلاطم لا يسكن وأخوف

(الدر)

* لله يوم غمام نعمت به
والماء من حوضه ماييننا
جار *
* كأنه فوق سقات الرخام
ضحى
ماء يسيل على أثواب
قصار *
وصدر البيت الذى أنشد
شيخنا عجزه
* أقام يعمل أياما ويتمه

ما يكون اذا توالت أمواجه وفوق هذا الموج سحاب وهو أعظم للخوف لاخفائه النجوم التى يهتدى بها وللريح والمطر الناشئين مع السحاب ومن قدر أو كذى ظلمات أعاد الضمير فى يغشاه على ذى المحذوف أى يغشى صاحب الظلمات * وقرأ الجمهور سحاب بالتنوين ظلمات بالرفع على تقدير خبر لمبتدأ محذوف أى هذه أو تلك ظلمات وأجاز الحوفى ان تكون مبتدأ و بعضها فوق بعض مبتدأ وخبره فى موضع خبر ظلمات والظاهر انه لايجوز لعدم المسوغ فيه للابتداء بالنكرة الا ان قدرت صفة محذوفة أى ظلمات كثيرة أو عظيمة بعضها فوق بعض * وقرأ البزى سحاب ظلمات بالاضافة * وقرأ قنبل سحاب بالتنوين ظلمات بالجر بدلا من ظلمات و بعضها فوق بعض مبتدأ وخبر فى موضع الصفة لظلمات * قال الحوفى و يجوز على رفع ظلمات ان يكون بعضها بدلا منها وهو لا يجوز من جهة المعنى لأن المراد والله أعلم الاخبار بأنها ظلمات وان بعض تلك الظلمات فوق بعض أى هى ظلمات متراكمة وليس على الاخبار بأن بعض ظلمات فوق بعض من غير اخبار بأن تلك الظلمات السابقة ظلمات متراكمة وتقدم الكلام فى كاد اذا دخل عليها حرف نفى مشبعا فى البقرة فى قوله وما كادوا يفعلون فأغنى عن اعادته والمعنى هنا انتفاء مقاربة الرؤية و يلزم من ذلك انتفاء الرؤية ضرورة وقول من اعتقد زيادة يكد أو انه راها بعد عسر ليس بصحيح والزيادة قول ابن الانبارى وانه لم يرها الابعد الجهد قول المبرد والفراء * وقال ابن عطية مامعناه اذا كان الفعل بعد كاد منفيا دل على ثبوته نحو كاد زيد لا يقوم أو مثبتا دل على نفيه كاد زيد يقوم واذا تقدم النفى على كاد احتمل أن يكون منفيا تقول المفلوج لا يكاد يسكن فهذا تضمن نفى السكون وتقول رجل منصرف لا يكاد يسكن فهذا تضمن ايجاب السكون بعد جهد انتهى والظاهر ان هذا التشبيه الثانى هو تشبيه أعمال الكفار بهذه الظلمات المتكاثفة من غير مقابلة فى المعنى باجزائه لاجزاء المشبه * قال الزمخشرى وشبهها يعنى أعماله فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لجج البحر والامواج والسحاب ومنهم من لاحظ التقابل فقال الظلمات الاعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلة والبحر اللجى صدر الكافر وقلبه والموج الضلال والجهالة التى غمرت قلبه والفكر المعوجة والسحاب شهوته فى الكفر واعراضه عن الايمان * وقال الفراء هذا مثل لقلب الكافر أى انه لا يعقل ولا يبصر * وقيل الظلمات أعماله والبحر هواه * القيعان القريب الغرق فيه الكثير الخطر والموج ما يغشى قلبه من جهل وغفلة والموج الثانى ما يغشاه من شك وشبهة والسحاب ما يغشاه من شرك وحيرة فيمنعه من الاهتداء على عكس ما فى مثل نور الدين انتهى والتفسير بمقابلة الاجزاء شبيه بتفسير الباطنية وعدول عن منهج كلام العرب ولما شبه أعمال الكفار بالظلمات المتراكمة وذكر انه لا يكاد يرى اليد من شدة الظلمة قال ومن لم يجعل الله له نورا أى من لم ينور قلبه بنور الايمان وبهده اليه فهو فى ظلمة ولا نور له ولا يهتدى أبدا وهذا النور هو فى الدنيا * وقيل هو فى الآخرة أى من لم ينوره الله بعفوه و يرحمه برحمته فلا رحمة له وكونه فى الدنيا أليق بلفظ الآية وأيضا فذلك متلازم لأن نور الآخرة هو لمن نور الله قلبه فى الدنيا * وقال الزمخشرى ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو فى ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لأن الالطاف انما تردف الايمان والعمل الصالح أو كونهما مرتقبين ألا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله و يضل

﴿ألم تر أن الله يسبح له﴾ الآية لما ذكر تعالى مثل المؤمن والكافر وان الايمان والضلال أمرهما راجع إليه أعقب بذكر الدلائل على قدرته وتوحيده والظاهر حمل التسبيح على حقيقته وتخصيص من في قوله ومن في الارض بالمطيع لله من الثقلين وقيل من عام لكل موجود وغلب من يعقل على مالا يعقل فادرج مالا يعقل فيه ولما ذكر انقياد من في السموات والأرض والطير إليه وذكر ملكه لهذا العالم وصيرورتهم إليه أكد ذلك بشيء عجيب من أفعاله مشعر بانتقال من حال الى حال وكان عقب قوله واليه المصير فاعلم بانتقال الى معاد فعطف عليه مايدل على تصرفه في نقل الأشياء من حال الى حال * ومعنى يزجي يسوق قليلا قليلا ويستعمل في سوق الثقيل برفق كالسحاب والابل والسحاب اسم جنس واحده سحابة والمعنى يسوق سحابة الى سحابة * ثم يؤلف بينه أي بين أجزائه لأنه سحابة تتصل بسحابة فيجعل ذلك ملتئما بتأليف بعضه إلى بعض * فيجعله ركاما أي متكاثفا يجعل بعضه على بعض ﴿فترى الودق﴾ أي المطر لتراكم السحاب بعضه على بعض وانعصاره بذلك ﴿من خلاله﴾ أي من فتوقه ومخارجه التي حدثت بالتراكم والانعصار * والخلال قيل مفرد وقيل جمع خلل كجبال وجبل والظاهر أن في السماء جبالا من برد قاله مجاهد والكلبي وأكثر المفسرين خلقها الله تعالى كما خلق في الأرض جبالا من حجارة وجبال على معنى الكثرة وقرئ * سنا مقصورا * برقه مفردا وقرئ سناء ممدودا برقه

الله الظالمين انتهى وهو على طريقة الاعتزال ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار * يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله مايشاء ان الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾ لما ذكر تعالى مثل المؤمن والكافر وان الايمان والضلال أمرهما راجع اليه أعقب بذكر الدلائل على قدرته وتوحيده والظاهر حمل التسبيح على حقيقته وتخصيص من في قوله ومن في الارض بالمطيع لله تعالى من الثقلين * وقيل من عام لكل موجود غلب من يعقل على مالا يعقل فأدرج مالا يعقل فيه ويكون المراد بالتسبيح دلالته بهذه الاشياء على كونه تعالى منزها عن النقائص موصوفا بنعوت الكمال * وقيل المراد بالتسبيح التعظيم فمن ذي الدين بالنطق والصلاة ومن غيرهم من مكلف وجماد بالدلالة فيكون ذلك قدرا مشتركا بينهما وهو التعظيم * وقال سفيان تسبيح كل شيء بطاعته وانقياده * والطير صافات أي صفت أجنحتها في الهواء للطيران وانما خص الطير بالذكر لأنها تكون بين السماء والارض اذا طارت فهي خارجة من جملة من في السموات والارض حالة طيرانها * وقرأ الجمهور والطير مرفوعا عطفا على من وصافات نصب على الحال * وقرأ الاعرج والطير بالنصب على انه مفعول معه * وقرأ الحسن وخارجة عن نافع والطير صافات برفعهما مبتدأ وخبر تقديره يسبحن * قيل وتسبيح الطير حقيقي قاله الجمهور * قال الزمخشري ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها * وقال الحسن وغيره هو تجوز انما تسبيحه ظهور الحكمة فيه فهو لذلك يدعو الى التسبيح * كل أي كل ممن ذكر فيشمل الطير والظاهر ان الفاعل المستكن في علم وفي صلاته وتسبيحه عائد على كل وقاله الحسن قال فهو مثابر عليهما يؤديهما * وقال الزجاج الضمير في علم وفي صلاته وتسبيحه لكل * وقيل الضمير في علم لكل وفي صلاته وتسبيحه لله أي صلاة الله وتسبيحه اللذين أمر بهما وهدى اليهما فهذه اضافة خلق الى خالق * وقال مجاهد الصلاة للبشر

بضم الباء وفتح الراء جمع برقة كاللقمة وهي المقدار من البرق ﴿يذهب بالابصار﴾ الباء للتعدية تقديره يذهب الأبصار ﴿كل دابة من ماء﴾ والظاهر أن من ماء متعلق بخلق ومن لابتداء الغاية أي ابتدأ خلقها من الماء واندرج في كل دابة المميز وغيره فسهل التفصيل بمن التي لمن يعقل ومالا يعقل اذ كان مندرجا في العام فحكم له بحكمه كان الدواب كلهم مميزون والماشي على بطنه الحيات والحوت ونحوه من الدود وغيره و ﴿على رجلين﴾ الانسان والطير و ﴿على أربع﴾ لسائر الحيوان الأرضي من البهائم وغيرها فان وجد من له أكثر من أربع فقيل اعتماده انما هو على الأربع ولا يفتقر في مشيه الى جميعها وقدم ماهو أغرب في القدرة وأعجب وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل وقوائم ثم الماشي على رجلين ثم على أربع

والتسبيح لما عداهم * وقرأ الحسن وعيسى وسلام وهارون عن أبي عمرو تفعلون بتاء الخطاب وفيه وعيد وتخويف * ولله ملك السموات والارض اخبار بأن جميع المخلوقات تحت ملكه يتصرف فيهم بما يشاء تصرف القاهر الغالب * واليه المصير أي الى جزائه من ثواب وعقاب وفي ذلك تذكير وتخويف ولما ذكر انقياد من في السموات والارض والطير اليه تعالى وذكر ملكه لهذا العالم وصير ورتهم اليه أكد ذلك بشيء عجيب من أفعاله مشعر بانتقال من حال الى حال وكان عقب قوله واليه المصير فاعلم بانتقال الى المعاد فعطف عليه ما يدل على تصرفه في نقل الاشياء من حال الى حال ومعنى يزجي يسوق قليلا قليلا ويستعمل في سوق الثقيل برفق كالسحاب والابل والسحاب اسم جنس واحده سحابة والمعنى يسوق سحابة الى سحابة * ثم يؤلف بينه أي بين أجزائه لأنه سحابة تتصل بسحابة فجعل ذلك ملتئما بتأليف بعض الى بعض * وقرأ ورش يولف بالواو وباقي السبعة بالهمز وهو الأصل * فيجعله ركاما أي متكاثفا يجعل بعضه الى بعض وانعصاره بذلك من خلاله أي فتوقه ومخارجه التي حدثت بالتراكم والانعصار * والخلال * قيل مفرد * وقيل جمع خلل كجبال وجبل * وقرأ ابن مسعود وابن عباس والضحاك ومعاذ العنبري عن أبي عمرو والزعفراني من خالِهِ بالافراد والظاهر ان في السماء جبالا من برد قاله مجاهد والكلبي وأكثر المفسرين خلقها الله كما خلق في الارض جبالا من حجر * وقيل جبال مجاز عن الكثرة لا ان في السماء جبالا كما تقول فلان يملك جبالا من ذهب وعنده جبال من العلم يريد الكثرة * قيل أو هو على حذف حرف التشبيه * والسماء السحاب أي من السماء التي هي جبال أي كجبال كقوله حتى اذا جعله نارا أي كنار قاله الزجاج فجعل السماء هو السحاب المرتفع سمي بذلك لسموه وارتفاعه وعلى القول الأول المراد بالسماء الجسم الازرق المخصوص وهو المتبادر للذهن ومن استعمال الجبال في الكثرة مجازا قول ابن مقبل

اذا مت عن ذكر القوافي فلن * ترى لها شاعرا مني أطب وأشعرا
وأكثر بيتا شاعرا ضربت له * بطون جبال الشعر حتى تيسرا

واتفقوا على ان من الأولى لابتداء الغاية * وأما من جبال * فقال الحوفي هي بدل من السماء ثم قال وهي للتبعيض وهذا خطأ لأن الأولى لابتداء الغاية في ما دخلت عليه واذا كانت الثانية بدلا لزم أن يكون مثلها لابتداء الغاية لو قلت خرجت من بغداد من الكرخ لزم أن يكونا معا لابتداء الغاية * وقال الزمخشري وابن عطية هي للتبعيض فيكون على قولهما في موضع المفعول لينزل * قال الحوفي والزمخشري والثانية للبيان انتهى فيكون التقدير وينزل من السماء بعض جبال فيها التي هي البرد فالمنزل برد لأن بعض البرد برد فمفعول ينزل من جبال * قال الزمخشري أولا ولان للابتداء والاخيرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها انتهى فيكون من جبال بدلا من السماء * وقيل من الثانية والثالثة زائدتان وقاله الاخفش وهما في موضع نصب عنده كأنه قال وينزل من السماء جبالا فيها أي في السماء بردا و بردا بدل أي برد جبال * وقال الفراء هما زائدتان أي جبالا فيها برد لا حصى فيها ولا حجر أي يجتمع البرد فيصير كالجبال على التهويل فبرد مبتدأ وفيها خبره والضمير في فيها عائد على الجبال أو فاعل بالجار والمجرور لأنه قد اعتمد بكونه في موضع الصفة لجبال * وقيل من الأولى والثانية لابتداء الغاية والثالثة زائدة أي وينزل من السماء من جبال السماء بردا * وقال الزجاج معناه وينزل من السماء من جبال برد فيها كما تقول هذا خاتم في يدي من حديد أي خاتم حديد في يدي وانما جئت في هذا وفي الآية بمن لما فرقت ولأنك اذا

قلت هذا خاتم من حديد كان المعنى واحدا انتهى فعلى هذا يكون من برد فى موضع الصفة لجبال كما كان من فى من حديد صفة لخاتم فيكون فى موضع جر و يكون مفعول ينزل هو من جبال واذا كانت الجبال من برد لزم أن يكون المنزل بردا والظاهر اعادة الضمير فى به على البرد و يحتمل أن يكون أريد به الودق والبرد و جرى فى ذلك مجرى اسم الاشارة وكأنه قال فيصيب بذلك والمطر هو أعم وأغلب فى الاصابة والصرف أبلغ فى المنفعة والامتنان * وقرأ الجمهور سنا مقصورا برقه مفردا * وقرأ طلحة بن مصرف سناء ممدودا برقه بضم الباء وفتح الراء جمع برقة بضم الباء وهى المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وعنه بضم الباء والراء اتبع حركة الراء لحركة الباء كما اتبعت فى ظلمات وأصلها السكون والسناء بالمد ارتفاع الشأن كأنه شبه المحسوس من البرق لارتفاعه فى الهواء بغير المحسوس من الانسان فان ذلك صيب لا يحس به بصر * وقرأ الجمهور يذهب بفتح الياء والهاء وأبو جعفر يذهب بضم الياء وكسر الهاء وذهب الأخفش وأبو حاتم الى تخطئة أبى جعفر فى هذه القراءة قالا لأن الباء تعاقب الهمزة وليس بصواب لأنه لم يكن ليقرأ الا عاروى وقد أخذ القراءة عن سادات التابعين الآخذين عن جلة الصحابة أبىّ وغيره ولم ينفرد بها أبو جعفر بل قرأها شيبة كذلك وخرج ذلك على زيادة الباء أى يذهب الأبصار وعلى أن الباء بمعنى من والمفعول محذوف تقديره يذهب النور من الأبصار كما قال * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج * يريد من برد وتقليب الليل والنهار آيتان أحدهما بعد الآخر أو زيادة هذا وعكسه أو بغير النهار بظلمة السحاب مرة وضوء الشمس أخرى و يغير الليل باشتداد ظلمته مرة وضوء القمر أخرى أو باختلاف مايقدر فيهما من الخير والنفع والشدة والنعمة والامن ومقابلاتها ونحو ذلك أقوال أربعة ان فى ذلك اشارة الى ماتقدم من الدلائل الدالة على وحدانيته من تسبيح من ذكر وتسخير السحاب ومايحدثه تعالى فيه من أفعاله حتى ينزل المطر فيقسم رحمته بين خلقه واراءتهم البرق فى السحاب الذى يكاد يخطف الأبصار و يقلب الليل والنهار *لعبرة أى اتعاظا وخص أولو الابصار بالاتعاظ لان البصر والبصيرة اذا استعملا وصلا الى ادراك الحق كقوله انما يتذكر أولو الألباب *وقرأ الجمهور خلق فعلا ماضيا * كل نصب * وقرأ حمزة والكسائى وابن وثاب والأعمش خالق اسم فاعل مضاف الى كل *والدابة مايحرك أمامه قدما و يدخل فيه الطير * قال الشاعر *دبيب قطا البطحاء فى كل منهل *والحوت وفى الحديث دابة من البحر مثل الظرب واندرج فى كل دابة المميز وغيره فسهل التفصيل بمن التى لمن يعقل ومالا يعقل اذا كان مندرجا فى العام فحكم له بحكمه كان الدواب كلهم مميزون والظاهر ان من ماء متعلق بخلق ومن لابتداء الغاية أى ابتدأ خلقها من الماء * فقيل لما كان غالب الحيوان مخلوقا من الماء لتولده من النطفة أو لكونه لايعيش الا بالماء أطلق لفظ كل تنزيلا للغالب منزلة العام و يخرج عما خلق من ماء ماخلق من نور وهم الملائكة ومن نار وهم الجن ومن تراب وهو آدم وخلق عيسى من الروح وكثير من الحيوان لايتولد من نطفة * وقيل كل دابة على العموم فى هذه الأشياء كلها وان أصل جميع المخلوقات الماء فروى ان أول ماخلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم خلق من ذلك الماء النار والهواء والنور ولما كان المقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة وكان الأصل الاول هو الماء قال خلق كل دابة من ماء *وقال القفال ليس من ماء متعلقا بخلق وانما هو فى موضع الصفة لكل دابة فالمعنى الاخبار انه تعالى خلق كل دابة متولدة من الماء أى متولدة من الماء مخلوقة لله تعالى ونكر الماء هنا وعرف فى وجعلنا من الماء كل شئ حى لان المعنى هنا

﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾ الآية الى قوله الا البلاغ المبين نزلت فى المنافقين بسبب منافق اسمه بشر دعاه يهودى فى خصومة بينهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهو الى كعب بن الأشرف فنزلت * ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد أتبع ذلك بذم قوم آمنوا بألسنتهم دون عقائدهم ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ عن الايمان بعد ذلك أى بعد قولهم آمنا ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ اشارة الى القائلين فينتفى عن جميعهم الايمان أو الى الفريق المتولى فيكون ماسبق لهم من الايمان ليس ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة بالقلب وأفرد الضمير فى ليحكم وقد تقدم قوله الى الله ورسوله لأن حكم الرسول عن الله تعالى وقسم تعالى جهات توليهم عن حكومته فقال ﴿أفى قلوبهم مرض﴾ أى نفاق وعدم اخلاص ﴿أم ارتابوا﴾ أى عرضت لهم الريبة والشك فى نبوته بعد أن كانوا مخلصين ﴿أم يخافون﴾ أى يعرض لهم الخوف من الحيف فى حكومته فيكون ذلك ظلما لهم ثم استدرك بل أنهم هم الظالمون ﴿وأقسموا بالله﴾ لما بلغ المنافقين ما أنزل الله فيهم أتوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأقسموا الى آخره أى ليخرجن عن ديارهم ونسائهم وأموالهم أولئن أمرتهم بالجهاد ليخرجن * وتقدم الكلام فى جهد أيمانهم فى الانعام ونهاهم تعالى عن قسمهم لعلمه تعالى أنه ليس حقا * وطاعة مبتدأ ومعروفة صفة والخبر محذوف أى أمثل وأولى أو خبر مبتدإ محذوف أى أمرنا والمطلوب طاعة معروفة ﴿فان تولوا فانما عليه﴾ أى على الرسول ﴿ما حمل﴾ وهو التبليغ ومكافحة الناس بالرسالة واعمال الجهاد فى انذارهم ﴿وعليكم ما حملتم﴾ وهو السمع والطاعة واتباع الحق ثم علق هدايتهم على طاعته فلا تقع الا بطاعته ﴿وما على الرسول الا البلاغ﴾ تقدم الكلام على مثل هذه الجملة فى المائدة * والخطاب فى منكم للرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه ومن للبيان أى الذين هم أنتم ﴿وعد الله﴾ أن ينصر الاسلام على الكافرين ويورثهم الارض ويجعلهم خلفاء ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ أى بنى اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة * واللام فى ليستخلفنهم جواب قسم محذوف أى وأقسم ليستخلفنهم أو أجرى وعد الله لتحققه مجرى القسم فجوب بما يجاب به القسم وعلى تقدير حذف القسم يكون معمول وعد محذوفا تقديره استخلافكم وتمكين دينكم ودل عليه جواب القسم المحذوف

خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بهذه الدابة أو من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فهو هوام وبهائم وناس كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وهنالك قصد ان أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذى هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينها وبينه وسائط كما قيل ان أصل النور والنار والتراب الماء وسمى الزحف على البطن مشيا لما كانه مابعده من ذكر الماشين أو استعارة كما قالوا قد مشى هذا الامر وما يتمشى لفلان أمر كما استعاروا المشفر للشفة والشفة للجحفلة والماشى على بطنه الحيات والحوت ونحو ذلك من الدود وغيره * وعلى رجلين الانسان والطير والاربع لسائر حيوان الارض من البهائم وغيرها فان وجد من له أكثر من أربع * فقيل اعتماده انما هو على أربع ولا يفتقر فى مشيه الى جميعها وقدم ماهو أعرف فى القدرة وأعجب وهو الماشى بغير آلة مشى من رجل وقوائم ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع وفى مصحف أبى ومنهم من يمشى على أكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوان لكنه لم يثبت قرآنا ولعله ما أورده مورد قرآن بل تنبيها على أن الله خلق من يمشى على أكثر من أربع كالعنكبوت والعقرب والرتيلا وذى أربع وأربعين رجلا وتسمى الاذن وهذا النوع لندوره لم يذكر * يخلق الله مايشاء اشارة الى أنه تعالى ماتعلقت به ارادة خلقه أنشأه واخترعه وفى ذلك تنبيه على كثرة الحيوان وانها كما اختلفت بكيفية المشى اختلفت بأمور أخر ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لاتقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم

﴿وليمكنن لهم دينهم﴾ أي يثبته ويوطده باظهاره واعزاز أهله واذلال الشرك وأهله و﴿الذي ارتضى﴾ لهم صفة مدح جليلة وقد بلغت هذه الأمة في تمكين هذا الدين الغاية القصوى بما أظهره الله على أيديهم من الفتوح والعلوم التي فاقوا فيها جميع العالم من لدن آدم صلى الله عليه وسلم الى زمان هذه الملة

المحمدية ﴿لاتحسبن﴾ قال صاحب النظم لايحتمل أن يكون ومأواهم متصلا بقوله لاتحسبن ذلك نهي وهذا إيجاب فهو اذن معطوف بالواو على مضمر قبله تقديره لاتحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض بل هم مقهورون ﴿ ومأواهم النار ﴾ انتهى واستبعد العطف من حيث ان لاتحسبن نهي ومأواهم جملة خبرية فلم تتناسب عنده أن تعطف الجملة الخبرية على جملة النهي لتباينهما وهذا مذهب قوم ولما أحس الزمخشري بهذا قال كانه قيل الذين كفروا لايفوتون الله فتأول جملة النهي بجملة خبرية حتى تقع المناسبة والصحيح أن ذلك لايشترط بل يجوز عطف الجمل على اختلافها بعضها على بعض وان لم تتحد في النوعية وهو مذهب سيبويه قال الزمخشري يكون الأصل لاتحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول وكان

وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لاتحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾ نزلت الى قوله الا البلاغ المبين في المنافقين بسبب منافق اسمه بشر دعاه يهودي في خصومة بينهما الى الرسول صلى الله عليه وسلم ودعاه هو الى كعب بن الاشرف فنزلت ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد أتبع ذلك بذم قوم آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم ﴿ ثم يتولى فريق منهم عن الايمان ﴾ بعد ذلك أي بعد قولهم آمنا ﴿ وما أولئك اشارة الى القائلين فينتفي عن جميعهم الايمان أو الى الفريق المتولي فيكون ما سبق لهم من الايمان ليس ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة بالقلب وأفرد الضمير في ليحكم بينهم وقد تقدم قوله الى الله ورسوله لان حكم الرسول هو عن الله ﴿ قال الزمخشري كقولك أعجبني زيد وكرمه يريد كرم زيد ومنه

ومنهل من الفلاق أوسطه ﴿ غلسته قبل القطا وفرطه

أراد قبل فرط القطا انتهى أي قبل تقدم القطا اليه ﴿ وقرأ أبو جعفر ليحكم في الموضعين مبنيا للمفعول واذا الثانية للفجاءة جواب اذا الأولى الشرطية وهذا أحد الدلائل على أن الجواب لايعمل في اذا الشرطية خلافا للأكثرين من النحاة لان اذا الفجائية لايعمل مابعدها فيما قبلها وقد أحكم ذلك في علم النحو والظاهر ان اليه متعلق بيأتوا والضمير في اليه عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم وأجاز الزمخشري أن يتعلق اليه بمذعنين قال لانه بمعنى مسرعين في الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص وقد رددنا عليه ذلك وفي مارجح تهيئة العامل للعمل وقطعه عن العمل وهو مما يضعف والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معه إلا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه منهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم الحق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا إلا بحكومتك ﴿ أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أم هنا منقطعة والتقدير بل ارتابوا بل أيخافون وهو استفهام توقيف وتوبيخ ليقروا بأحد هذه الوجوه التي عليهم في الاقرار بها ما عليهم وهذا التوقيف يستعمل في الأمور الظاهرة مما يوبخ به ويذم أو مما يمدح به وهو بليغ جدا في المبالغة في الذم ﴿ قول الشاعر

ألست من القوم الذين تعاهدوا ﴿ على اللؤم والفحشاء في سالف الدهر

ومن المبالغة في المدح ﴿ قول جرير

ألستم خير من ركب المطايا ﴿ وأندى العالمين بطون راح

وقسم تعالى جهات صدودهم عن حكومته فقال أفي قلوبهم مرض أي نفاق وعدم اخلاص أم ارتابوا أي عرضت لهم الريبة والشك في نبوته بعد ان كانوا مخلصين أم يخافون أي يعرض لهم الخوف من الحيف في الحكومة فيكون ذلك ظلما لهم ثم استدرك ببل انهم هم الظالمون ﴿ وقرأ

الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت كالشئ الواحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث انتهى قد رددنا هذا التخريج في آخر آل عمران في قوله لايحسبن الذين يفرحون بما أتوا في قراءة من قرأ بياء الغيبة وجعل الفاعل الذين يفرحون وملخصه أنه ليس هذا من الضمائر التي يفسرها مابعدها فلا تقول لايحسبنهم اذلا يجوز ظننته زيدا قائما على تقدير رفع زيد بظنه

على وابن أبى اسحق والحسن انما كان قول بالرفع والجمهور بالنصب * قال الزمخشرى والنصب أقوى لان أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما فى التعريف وأن يقولوا أوغل لانه لاسبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان فى قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا انتهى ونص سيبويه على أن اسم كان وخبرها اذا كانتا معرفتين فأنت بالخيار فى جعل ماشئت منهما الاسم والآخر الخبر من غير اعتبار شرط فى ذلك ولا اختيار * وقرأ أبو جعفر والجحدرى وخالد بن الياس ليحكم بينهم مبنيا للمفعول والمفعول الذى لم يسم فاعله هو ضمير المصدر أى ليحكم هو أى الحكم والمعنى ليفعل الحكم بينهم ومثله قولهم جمع بينهما وألف بينهما وقوله تعالى وحيل بينهم * قال الزمخشرى ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا أى وقع التقطع بينكم انتهى ولا يتعين ماقاله فى الآية اذ يجوز أن يكون الفاعل ضميرا يعود على شئ قبله وتقدم الكلام فى ذلك فى موضعه * أن يقولوا سمعنا أى قول الرسول وأطعنا أى أمره * وقرئ ويتقه بالاشباع والاختلاس والاسكان * وقرئ ويتقه بسكون القاف وكسر الهاء من غير اشباع أجرى خبر كان المنفصل مجرى المتصل فكما يسكن علم فيقال علم كذلك سكن ويتقه لانه تقه كعلم وكما قال السالم

* قالت سليمى اشتر لنا سويقا * يريد اشتر لنا ومن يطع الله فى فرائضه ورسوله فى سننه ويخشى الله على مامضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل * وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه ولما بلغ المنافقين ما أنزل تعالى فيهم أتوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأقسموا الى آخره أى ليخرجن عن ديارهم وأموالهم ونسائهم ولئن أمرتهم بالجهاد ليخرجن اليه وتقدم الكلام فى جهد أيمانهم فى الانعام ونهاهم تعالى عن قسمهم لعلمه تعالى انه ليس حقا * طاعة معروفة أى معلومة لاشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخالص من المؤمنين المطابق باطنهم لظاهرهم لا أيمان تقسموا بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أوطاعتكم طاعة معروفة بالقول دون الفعل أوطاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة قاله الزمخشرى * وقال ابن عطية يحتمل معانى * أحدها النهى عن القسم الكاذب إذ قد عرف أن طاعتهم دغلة رديئة فكأنه يقول لاتغالطوا فقد عرف ما أنتم عليه * والثانى لاتتكلفوا القسم طاعة معروفة متوسطة على قدر الاستطاعة أمثل وأجدى عليكم وفى هذا الوجه ابقاء عليهم * والثالث لاتقنعوا بالقسم طاعة تعرف منكم وتظهر عليكم هو المطلوب منكم * والرابع لاتقنعوا لأنفسكم بارضائنا بالقسم طاعة الله معروفة وجهاد عدوه مهيع لائح انتهى * وطاعة مبتدأ أومعروفة صفة والخبر محذوف أى أمثل وأولى أو خبر مبتدا محذوف أى أمرنا أو المطلوب طاعة معروفة * وقال أبو البقاء ولو قرئ بالنصب لكان جائزا فى العربية وذلك على المصدر أى أطيعوا اطاعة انتهى وقد قرأه بالنصب زيد بن على واليزيدى وتقدير بعضهم الرفع على اضمار ولتكن طاعة معروفة ضعيف لانه لايحذف الفعل ويبقى الفاعل الا اذا كان ثم مشعر به نحو رجال بعد يسبح مبنيا للمفعول أى يسبحه رجال أو يجاب به نفى نحو بلى زيد لمن قال ماجاء أحد أو استفهام نحو قوله

ألا هل أتى أم الحويرث مرسل * بلى خالد ان لم تعقه العوائق

أى أتاها خالد * ان الله خبير بما تعملون أى مطلع على سرائركم ففاضحكم والتفت من الغيبة الى الخطاب لانه أبلغ فى تبكيتهم ولما بكتهم بانه مطلع على سرائرهم تلطف بهم فأمرهم بطاعة الله والرسول وهو أمر عام للمنافقين وغيرهم * فان تولوا أى فان تتولوا * فانما عليه أى على الرسول ماحمل وهو التبليغ

(الدر)

ش) والنصب أقوى لان ولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما فى التعريف وأن يقولوا وغل لانه لاسبيل عليه تنكير بخلاف قول لمؤمنين وكان هذا من بيل كان فى قوله ما كان له أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا نتهى (ح) نص سيبويه على أن اسم كان وخبرها ذا كانتا معرفتين فأنت لخيار فى جعل ماشئت نهما الاسم والآخر الخبر ن غير اعتبار شرط فى ذلك ولا اختيار (ش) ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا ى وقع التقطع بينكم ح) لايتعين ماقاله فى لآية اذ يجوز أن يكون لفاعل ضميرا يعود على شئ قبله وتقدم الكلام فى ذلك فى موضعه وأماهنا لمفعول الذى لم يسم اعله ضمير المصدر أى يحكم هو أى الحكم والمعنى يفعل الحكم بينهم ومثله قولهم جمع بينهما وألف بينهما وقوله وحيل بينهم

ومكافحة الناس بالرسالة واعمال الجهد فى انذارهم * وعليكم ماحملتم وهو السمع والطاعة واتباع الحق ثم علق هدايتهم على طاعته فلا يقع إلا بطاعته وما على الرسول الا البلاغ المبين تقدم الكلام على مثل هذه الجملة فى المائدة * روى ان بعض الصحابة شكا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف وانهم لا يضعون أسلحتهم فنزل وعد الله الذين آمنوا منكم * وروى انه عليه الصلاة والسلام لما قال بعضهم ما أتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة * قال ابن عباس وهذا الوعد وعده الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل والخطاب فى منكم للرسول وأتباعه ومن للبيان أى الذين هم أنتم وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم خلفاء وقوله فى الأرض هى البلاد التى تجاورهم وهى جزيرة العرب ثم افتتحوا بلاد الشرق والغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا * وفى الصحيح زويت لى الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها * قال بعض العلماء ولذلك اتسع نطاق الاسلام فى الشرق والغرب دون اتساعه فى الجنوب والشمال (قلت) ولا سيما فى عصرنا هذا باسلام معظم العالم فى المشرق كقبائل الترك وفى المغرب كبلاد السودان التكرور والحبشة وبلاد الهند * كما استخلف الذين من قبلهم أى بنى اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة * وقيل هو ما كان فى زمان داود وسليمان عليهما السلام وكان الغالب على الارض المؤمنون * وقرئ كما استخلف مبنيا للمفعول واللام فى ليستخلفنهم جواب قسم محذوف أى وأقسم ليستخلفنهم أو أجرى وعد الله لتحققه مجرى القسم فجووب بما يجاوب به القسم وعلى التقدير حذف القسم يكون معمول وعد محذوفا تقديره استخلافكم وتمكين دينكم ودل عليه جواب القسم المحذوف * وقال الضحاك هذه الآية تتضمن خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى لأنهم أهل الايمان وعمل الصالحات * وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون انتهى ويندرج من جرى مجراهم فى العدل من استخلف من قريش كعمر بن عبد العزيز من الامويين والمهتدين بالله فى العباسيين وليمكنن لهم دينهم أى يثبته ويوطده باظهاره واعزاز أهله واذلال الشرك وأهله والذى ارتضى لهم صفة مدح جليلة وقد بلغت هذه الامة فى تمكين هذا الدين الغاية القصوى بما أظهر الله على أيديهم من الفتوح والعلوم التى فاقوا فيها جميع العالم من لدن آدم الى زمان هذه الملة المحمدية * وقرأ الجمهور وليبدلنهم بالتشديد وابن كثير وأبو بكر والحسن وابن محيصن بالتخفيف * وقال أبو العالية لما أظهر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم على جزيرة العرب وضعوا السلاح وآمنوا ثم قبض الله نبيه عليه السلام فكانوا آمنين كذلك فى امارة أبى بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة فادخل الله عليهم الخوف فغيروا فغير الله ما بهم * يعبدوننى الظاهر انه مستأنف فلا موضع له من الاعراب كأنه قيل ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى قاله الزمخشرى * وقال ابن عطية يعبدوننى فعل مستأنف أى هم يعبدوننى ويعنى بالاستئناف الجملة لا نفس الفعل وحده وقاله الحوفى قال ويجوز ان يكون مستأنفا على طريق الثناء عليهم أى هم يعبدوننى * وقال الزمخشرى وان جعلته حالا عن وعدهم أى وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب انتهى * وقال الحوفى قبله * وقال أبو البقاء يعبدوننى حال من ليستخلفنهم وليبدلنهم لا يشركون بدل من يعبدوننى أو حال

من الفاعل في يعبدونني موحدين انتهى والظاهر انه متى أطلق الكفر كان مقابل الاسلام والايمان وهو ظاهر قول حذيفة قال كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذهب ولم يبق الا كفر بعد ايمان * قال ابن عطية يحتمل ان يريد كفر هذه النعم اذا وقعت ويكون الفسق على هذا غير مخرج عن الملة * قيل ظهر في قتلة عثمان * وقال الزمخشري ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم الله * فاولئك هم الفاسقون أي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة والظاهر ان قوله وأقيموا التفات من الغيبة الى الخطاب وبحسنه الخطاب في منكم * وقال الزمخشري وأقيموا الصلاة معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول توكيدا لوجوبها انتهى * وقرأ الجمهور لاتحسبن بتاء الخطاب والتقدير لاتحسبن أيها المخاطب ولا يندرج فيه الرسول وقالوا هو خطاب للرسول وليس بجيد لأن مثل هذا الحسبان لا يتصور وقوعه فيه عليه السلام * وقرأ حمزة وابن عامر لايحسبن بالياء للغيبة والتقدير لايحسبن حاسب والرسول لا يندرج في حاسب وقالوا يكون ضمير الفاعل للرسول لتقدم ذكره في وأطيعوا الرسول قاله أبو علي والزمخشري وليس بجيد لما ذكرناه في قراءة التاء * وقال النحاس ماعلمت أحدا من أهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يخطىء قراءة حمزة فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يأت الا بمفعول واحد ليحسبن وممن قال هذا أبو حاتم انتهى * وقال الفراء هو ضعيف وأجازه على حذف المفعول الثاني وهو قول البصريين تقديره أنفسهم ومعجزين المفعول الثاني * وقال علي بن سليمان الذين كفروا في موضع نصب قال ويكون المعنى ولا يحسبن الكافر الذين كفروا معجزين في الارض * وقال الكوفيون معجزين المفعول الاول وفي الارض الثاني قيل وهو خطأ وذلك لان ظاهر في الارض تعلقه بمعجزين فلا يكون مفعولا ثانيا وخرج الزمخشري ذلك متبعا قول الكوفيين * فقال معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لايحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا لهم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد انتهى * وقال أيضا يكون الاصل لايحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت كالشئ الواحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث انتهى وقد رددنا هذا التخريج في آل عمران في قوله لايحسبن الذين يفرحون بما أتوا في قراءة من قرأ بياء الغيبة وجعل الفاعل الذين يفرحون وملخصه أنه ليس هذا من الضمائر التي يفسرها ما بعدها فلا يتقدر لايحسبنهم اذ لا يجوز ظنه زيد قائما على تقدير رفع زيد بظنه * ومأواهم النار * قال الزمخشري عطف على لاتحسبن كأنه قيل الذين كفروا لايفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم انتهى * وقال صاحب النظم لا يحتمل ان يكون ومأواهم متصلا بقوله لايحسبن الذين كفروا معجزين في الارض بل هم مقهورون ومأواهم النار انتهى واستبعد العطف من حيث إن لاتحسبن نهي ومأواهم النار جملة خبرية فلم يناسب عنده ان يعطف الجملة الخبرية على جملة النهي لتباينهما وهذا مذهب قوم ولما أحس الزمخشري بهذا قال كأنه قيل الذين كفروا لايفوتون الله فتأول جملة النهي بجملة خبرية حتى تقع المناسبة والصحيح أن ذلك لا يشترط بل يجوز عطف الجمل على اختلافها بعضا على بعض وان لم تتحد في النوعية وهو

(الدر)

(ش) يكون الأصل لاتحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت كالشئ الواحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث (ح) قد رددنا هذا التخريج في أواخر آل عمران في قوله لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا في قراءة من قرأ بياء الغيبة وجعل الفاعل الذين يفرحون وملخصه أنه ليس هذا من الضمائر التي يفسرها ما بعدها فلا يتقدر لايحسبنهم اذ لايجوز ظنه زيد قائما على تقدير رفع زيد بظنه

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم﴾ الآية روى أن عمر بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج وكان نائما فدق عليه الباب ودخل فاستيقظ وجلس فانكشف منه شئ فقال عمر وددت أن الله تعالى نهى أبناءنا ونساءنا عن الدخول علينا فى هذه الساعة الا باذن ثم انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدا لله * وليستأذنكم أمر والظاهر حمله على الوجوب وقيل على الندب والظاهر عموم الذين ملكت أيمانكم فى العبيد والاماء * والظاهر من قوله ثلاث مرات ثلاث استئذانات ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلاث ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وقد ينكشف النائم ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ لأنه وقت وضع الثياب للقائلة لأن النهار اذ ذاك يشتد حره فى ذلك الوقت ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ﴿ثلاث عورات لكم﴾ سمى كل واحدة منها عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنه أعور الفارس وأعور المكان والاعور المختل العين وقرئ ثلاث بالرفع أى تلك وقرئ بالنصب وقرأ الأعمش عورات بفتح الواو وهى لغة تميم وهذيل بن مدركة ﴿طوافون عليكم﴾ أى يمضون ويجيئون وهو خبر مبتدإ محذوف تقديره هم طوافون أى المماليك والصغار طوافون عليكم (٤٧١) يدخلون عليكم فى المنازل غدوة وعشية بغير اذن الا فى تلك الأوقات ﴿كذلك﴾ الاشارة الى ما تقدم ذكره من استئذان المماليك وغير البلغ * ولما أمر تعالى النساء بالتحفظ من الرجال والأطفال غير البلغ فى الأوقات التى هى مظنة كشف عورتهن استثنى القواعد من النساء اللاتى كبرن وقعدن عن الميل اليهن والافتتان بهن فقال والقواعد وهن جمع قاعد من صفات الاناث وقال ابن السكيت امرأة قاعد قعدت عن الحيض وقال ابن قتيبة سمين بذلك لأنهن بعد الكبر يكثرن القعود ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ عن ابن عباس لما نزلت لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة الأعمى لأنه لا يبصر موضع الطعام الطيب والأعرج لأنه لا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض لأنه لا يستطيع استيفاء الطعام فأنزل الله تعالى هذه الآية قيل وتحرجوا عن أكل طعام القرابات فنزلت مبيحة جميع هذه المطاعم ومبينة أن تلك فى التعدى والقمار وما يأكله المؤمن من مال من يكره أهله ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ قيل الزمنى ملكوا التصرف فى البيوت التى سلمت اليهم مفاتيحها وقيل ولى اليتيم يتناول من ماله بقدر ما قال تعالى ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ومفاتحه بيده ﴿أو صديقكم﴾ قرن الله تعالى الصديق بالقرابة المحضة قيل لبعضهم من أحب اليك أخوك أم صديقك فقال لا أحب أخى الا اذا كان صديقى وقال ابن عباس الصديق آكد من القرابة ألا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ولم يستغيثوا بالآباء والأمهات * وانتصب جميعا وأشتاتا على الحال أى مجتمعين أو متفرقين ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ قال ابن عباس المساجد فسلموا على من فيها فان لم يكن فيها أحد فالسلام على رسول الله وقيل يقول السلام عليكم يعنى الملائكة ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقيل اذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا فيها فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة ﴿تحية من عند الله﴾ أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه * وانتصب تحية لقوله فسلموا لان معناه فحيوا كقولك قعدت جلوسا

مذهب سيبويه ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ روى ان عمر بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الأنصار يقال له مدلج وكان نائما فدق عليه الباب ودخل فاستيقظ

وجلس فانكشف منه شئ فقال عمر وددت ان الله نهى أبناءنا ونساءنا عن الدخول علينا فى هذه الساعات الا باذن ثم انطلق الى الرسول فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدا * وقيل نزلت فى أسماء بنت أبى مرثد قيل دخل عليها غلام لها كبير فى وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا حالا نكرهها * ليستأذنكم أمر والظاهر حمله على الوجوب والجمهور على الندب * وقيل بنسخ ذلك اذ صار للبيوت أبواب روى ذلك عن ابن عباس وابن المسيب والظاهر عموم الذين ملكت أيمانكم فى العبيد والاماء وهو قول الجمهور وقال ابن عمر وآخرون العبيد دون الاماء وقال السلمى الاماء دون العبيد * والذين لم يبلغوا الحلم منكم عام فى الاطفال عبيدا كانوا أو أحرارا وقرأ الحسن وأبو عمرو فى رواية وطلحة الحلم بسكون اللام وهى لغة تميم وقيل منكم أى من الاحرار ذكورا كانوا أو اناثا والظاهر من قوله ثلاث مرات ثلاث استئذانات لانك اذا ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه الا ثلاث ضربات ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام الاستئذان ثلاث والذى عليه الجمهور أن معنى ثلاث مرات ثلاثة أوقات وجعلوا ما بعده من ذكر تلك الاوقات تفسيرا لقوله ثلاث مرات ولا يتعين ذلك بل تبقى ثلاث مرات على مدلولها * من قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وقد ينكشف النائم * وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة لانه وقت وضع الثياب للقائلة لان النهار اذ ذاك يشتد حره فى ذلك الوقت * ومن فى من الظهيرة قال أبو البقاء لبيان الجنس أى حين ذلك هو الظهيرة قال أو بمعنى من أجل حر الظهيرة وحين معطوف على موضع من قبل ومن بعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثلاث عورات لكم سمى كل واحد منها عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنه أعور الفارس وأعور المكان والاعور المختل العين وقرأ حمزة والكسائى ثلاث بالنصب قالوا بدل من ثلاث عورات وقدره الحوفى والزمخشرى وأبو البقاء أوقات ثلاث عورات وقال ابن عطية انما يصح يعنى البدل بتقدير أوقات عورات فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقرأ باقى السبعة بالرفع أى هن ثلاث عورات وقرأ الاعمش عورات بفتح الواو وتقدم انها لغة هذيل بن مدركة وبنى تميم وعلى رفع ثلاث قال الزمخشرى يكون ليس عليكم الجملة فى محل رفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستئذان فى تلك الاحوال خاصة * بعدهن أى بعد استئذانهم فيهن حذف الفاعل وحرف الجر بقى بعد استئذانهن ثم حذف المصدر وقيل ليس على العبيد والاماء ومن لم يبلغ الحلم فى الدخول عليكم بغير استئذان جناح بعد هذه الاوقات الثلاث طوافون عليكم يمضون ويجيئون وهو خبر مبتدا محذوف تقديره هم طوافون أى المماليك والصغار طوافون عليكم أى يدخلون عليكم فى المنازل غدوة وعشية بغير اذن الا فى تلك الاوقات وجوز وافى بعضكم على بعض ان يكون مبتدا وخبرا لكن الجر قدر وهو طائف على بعض وهو كون مخصوص فلا يجوز حذفه * قال الزمخشرى وحذف لان طوافون يدل عليه وان يكون مرفوعا بفعل محذوف تقديره يطوف بعضكم * وقال ابن عطية بعضكم بدل من قوله طوافون ولا يصح لانه ان أراد بدلا من طوافون نفسه فلا يجوز لانه يصير التقدير هم بعضكم على بعض وهذا معنى لا يصح وان جعلته بدلا من الضمير فى طوافون فلا يصح أيضا ان قدر الضمير ضمير غيبة لتقدير المبتدا هم لانه يصير التقدير هم يطوف بعضكم على بعض

(الدر)

(ع) بعضكم بدل من قوله طوافون (ح) هذا لا يصح لأنه ان أراد بدلا من طوافون نفسه فلا يجوز لأنه يصير التقدير بعضكم على بعض وهذا معنى لا يصح وان جعلته بدلا من الضمير فى طوافون فلا يصح أيضا ان قدر الضمير ضمير غيبة لتقدير المبتدأ هم لانه يصير التقدير هم يطوف بعضكم على بعض وهو لا يصح فان جعلت التقدير أنتم يطوف عليكم بعضكم على بعض فيدفعه ان قوله عليكم يدل على أنهم هم المطوف عليهم وأنتم طوافون يدل على انهم طائفون فتعارضا

وهو لا يصح فان جعلت التقدير أنتم يطوف عليكم بعضكم على بعض فيدفعه ان قوله عليكم يدل على انهم هم المطوف عليهم وأنتم طوافون يدل على انهم طائفون فتعارضا وقرأ ابن أبي عبلة طوافين بالنصب على الحال من ضمير عليهم وقال الحسن اذا بات الرجل خادمه معه فلا استئذان عليه ولا في هذه الاوقات الثلاثة * واذا بلغ الاطفال أي من أولادكم وأقر بائكم * فليستأذنوا أي في كل الاوقات فانهم قبل البلوغ كانوا يستأذنون في ثلاث الاوقات * كما استأذن الذين من قبلهم يعني البالغين وقيل الكبار من أولاد الرجل وأقر بائه ودل ذلك على ان الابن والأخ البالغين كالأجنبي في ذلك وتكلموا هنا فيما به البلوغ وهي مسئلة تذكر في الفقه * كذلك الاشارة الى ما تقدم ذكره من استئذان المماليك وغير البلغ * ولما أمر تعالى النساء بالتحفظ من الرجال ومن الاطفال غير البلغ في الاوقات التي هي مظنة كشف عورتهن استثنى القواعد من النساء اللاتي كبرن وقعدن عن الميل اليهن والافتتان بهن فقال والقواعد وهو جمع قاعد من صفات الاناث وقال ابن السكيت امرأة قاعد قعدت عن الحيض وقال ابن قتيبة سمين بذلك لانهن بعد الكبر يكثرن القعود وقال ربيعة لقعودهن عن الاستمتاع بهن فايسن ولم يبق لهن طمع في الازواج وقيل قعدن عن الحيض والحبل * وثيابهن الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار والملاء الذي فوق الثياب أو الخمر أو الرداء والخمار أقوال و يقال للمرأة اذا كبرت امرأة واضع أي وضعت خمارها * غير متبرجات بزينة أي غير متظاهرات بالزينة لينظر اليهن وحقيقة التبرج اظهار ما يجب اخفاؤه أو غير قاصدات التبرج بالوضع ورب عجوز يبدو منها الحرص على ان يظهر بها جمال * وأن يستعففن عن وضع الثياب و يتسترن كالشباب أفضل لهن * والله سميع لما يقول كل قائل عليم بالمقاصد وفي ذكر هاتين الصفتين توعد وتحذير * عن ابن عباس لما نزل ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة الاعمى لانه لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لانه لا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض لانه لا يستطيع استيفاء الطعام فأنزل الله هذه الآية قيل وتحرجوا عن أكل طعام القرابات فنزلت مبيحة جميع هذه المطاعم ومبينة أن تلك انما هي في التعدي والقمار وما يأكله المؤمن من مال من يكره أهله أو بصفقة فاسدة ونحوه وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وابن المسيب كانوا اذا نهضوا الى الغزو وخلفوا أهل العذر في منازلهم وأموالهم تحرجوا من أكل مال الغائب فنزلت مبيحة لهم ما تمس اليه حاجتهم من مال الغائب اذا كان الغائب قد بنى على ذلك وقال مجاهد كان الرجل اذا ذهب بأهل العذر الى بيته فلم يجد فيه شيأ ذهب بهم الى بيوت قراباته فتحرج أهل الاعذار من ذلك فنزلت وقيل كانت العرب ومن بالمدينة قبل البعث تجتنب الاكل مع أهل هذه الاعذار فبعضهم تقذراً لمكان جولان يد الاعمى ولانبساط الجلسة مع الاعرج ولرائحة المريض وهي أخلاق جاهلية وكبر فنزلت واستبعد هذا لانه لو كان هذا السبب لكان التركيب ليس عليكم حرج أن تأكلوا معهم ولم يكن ليس على الاعمى حرج وأجاب بعضهم بان على في معنى في أي في مواكلة الاعمى وهذا بعيد جدا وفي كتاب الزهراوي عن ابن عباس ان أهل هذه الاعذار تحرجوا في الاكل مع الناس من أجل عذرهم فنزلت وعلى هذه الاقوال كلها يكون نفي الحرج عن أهل العذر ومن بعدهم في المطاعم وقال الحسن وعبد الرحمن بن زيد الحرج المنفي عن أهل العذر هو في القعود عن الجهاد وغيره مما رخص لهم فيه والحرج المنفي عمن بعدهم في الاكل مما ذكر وهو مقطوع مما قبله اذ متعلق الحرجين مختلف وان كانا قد اجتمعا في انتفاء الحرج وهذا القول

هو الظاهر ولم يذكر بيوت الاولاد اكتفاء بذكر بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وبيته بيته وفي الحديث ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه * ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم والولد أقرب من عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى وقرأ طلحة إمهاتكم بكسر الهمزة * أو ما ملكتم مفاتحه * قال ابن عباس هو وكيل الرجل أن يتناول من التمر ويشرب من اللبن * وقال قتادة العبد لان ماله لك * وقال مجاهد والضحاك خزائن بيوتكم اذا ملكتم مفاتيحها * وقال ابن جرير الزمني ملكوا التصرف في البيوت التي سلمت اليهم مفاتيحها * وقيل ولي اليتيم يتناول من ماله بقدر ما قال تعالى ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ومفاتحه بيده * وقرأ الجمهور ملكتم بفتح الميم واللام خفيفة * وقرأ ابن جبير بضم الميم وكسر اللام مشددة والجمهور مفاتحه جمع مفتح وابن جبير مفاتيحه جمع مفتاح وقتادة وهارون عن أبي عمرو مفتاحه مفردا * أو صديقكم قرئ بكسر الصاد اتباعا لحركة الدال حكاه حميد الخزاز قرن الله الصديق بالقرابة المحضة * قيل لبعضهم من أحب اليك أخوك أم صديقك فقال لا أحب أخي الا اذا كان صديقي * وقال معمر قلت لقتادة ألا أشرب من هذا الحب قال أنت لي صديق فما هذا الاستئذان * وقال ابن عباس الصديق أوكد من القرابة ألا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ولم يستغيثوا بالآباء والأمهات ومعنى أو صديقكم أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون للواحد والجمع كالخليط والقطين وقد أكل جماعة من أصحاب الحسن من بيته وهو غائب فجاء فسر بذلك وقال هكذا وجدناهم يعني كبراء الصحابة وكان الرجل يدخل بيت صديقه فيأخذ من كيسه فيعتق جاريته التي مكنته من ذلك * وعن جعفر الصادق من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وترك الحشمة بمنزلة النفس والأب والابن والأخ * وقال هشام بن عبد الملك نلت ما نلت حتى الخلافة وأعوزني صديق لا أحتشم منه * وقال أهل العلم اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح * وانتصب جميعا أو أشتاتا على الحال أي مجتمعين أو متفرقين * قال الضحاك وقتادة نزلت في حي من كنانة تحرجوا أن يأكل الرجل وحده فربما قعد والطعام بين يديه لا يجد من يؤاكله حتى يمسي فيضطر الى الأكل وحده * وقال بعض الشعراء

اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له * أكيلا فاني لست آكله وحدي

* وقال عكرمة في قوم من الأنصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه * وقيل في قوم تحرجوا أن يأكلوا جميعا مخافة أن يزيد أحدهم على الآخر في الأكل * وقيل أو صديقكم هو اذا دعاك الى وليمة فحسب * وقيل هذه الآية منسوخة بقوله عليه السلام ألا ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام وبقوله عليه السلام من حديث ابن عمر لا يحلبن أحد ماشية أحد الا باذنه وبقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم * قال ابن عباس والنخعي المساجد فسلموا على من فيها فان لم يكن فيها أحد قال السلام على رسول الله * وقيل يقول السلام عليكم يعني الملائكة ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * وقال جابر وابن عباس وعطاء البيوت المسكونة وقالوا يدخل فيها غير المسكونة فيقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * وقال ابن عمر بيوتا خالية * وقال السدي على أنفسكم على أهل دينكم * وقال قتادة على أهاليكم في بيوت أنفسكم * وقيل بيوت الكفار فسلموا على أنفسكم * وقال الزمخشري فاذا دخلتم بيوتا

من هذه البيوت لتأكلوا فابدأوا بالسلام على أهلها الذين هم فيها منكم دينا وقرابة وتحية من عند
الله أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أو لان التسليم والتحية طلب للسلامة وحياة للمسلم عليه ووصفها
بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق انتهى * وقال
مقاتل مباركة بالأجر * وقيل بورك فيها بالثواب * وقال الضحاك فى السلام عشر حسنات ومع
الرحمة عشرون ومع البركات ثلاثون * وانتصب تحية بقوله فسلموا لأن معناه فحيوا كقولك قعدت
جلوسا ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى
يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم
فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم ألا ان لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه
فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم ﴾ لما افتتح السورة بقوله سورة أنزلناها وذكر أنواعا من
الأوامر والحدود مما أنزله على الرسول عليه السلام اختتمها بما يجب له عليه السلام على أمته من
التتابع والتشايع على ما فيه مصلحة الاسلام ومن طلب استئذانه ان عرض لأحد منهم عارض ومن
توقيره فى دعائهم اياه * وقال الزمخشرى أراد عز وجل أن يريهم عظيم الجناية فى ذهاب الذاهب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه * اذا كانوا معه على أمر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه
ثالث الايمان بالله والايمان برسوله صلى الله عليه وسلم وجعلهما كالتسبيب له والبساط لذكره وذلك
مع تصدير الجملة بانما وارتفاع المؤمنين مبتدأ ومخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم
عقبه بما يزيده توكيدا وتسديدا بحيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك
أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة
الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه لم يذهبوا حتى

﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا ﴾ الآية لما افتتح السورة بقوله سورة أنزلناها وذكر أنواعا من الأوامر والحدود مما أنزله
على رسوله صلى الله عليه وسلم اختتمها بما يجب له صلى الله عليه وسلم على أمته من التتابع والتشايع على ما فيه مصلحة الاسلام
ومن طلب استئذانه ان عرض لأحد منهم عارض ومن توقيره فى دعائهم اياه والمؤمنون مبتدأ والموصول خبره وهو قوله الذين
آمنوا ومعنى على أمر جامع نحو مقاتلة عدو وتشاور فى أمر مهم أو تضام لارهاب مخالف يحتاج فيه الى اجتماع ذوى الآراء فاذ ذاك
لا يحل ذهاب أحد ممن يحتاج اليه الا بعد استئذان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك غيا الذهاب بقوله حتى يستأذنوه ثم أكد
الاستئذان بقوله ان الذين يستأذنونك بلفظ ان وبالاشارة فى قوله أولئك وبالخبر بعده * ثم أمره تعالى بأن يأذن لمن يستأذن لبعض
شأنه وأمره باستغفار الله له على طاعته باستئذانه ﴿ لا تجعلوا ﴾ خطاب لمعاصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
كان التداعى بالاسماء على عادة البداوة أمروا بتوقير الرسول صلى الله عليه وسلم بان يدعوه باحسن ما يدعى به نحو يارسول الله يانبى الله ألا ترى الى بعض جفاة من أسلم كان يقول يا محمد وفى قوله كدعاء بعضكم بعضا اشارة الى جواز ذلك مع بعضهم لبعض اذ لم يؤمر بالتوقير والتعظيم فى دعائه صلى الله عليه وسلم الا من دعاه لا من دعا غيره وكانوا يقولون يا أبا القاسم يا محمد فنهوا عن ذلك ومعنى ﴿ يتسللون ﴾ ينصرفون قليلا قليلا عن الجماعة فى خفية ﴿ لواذا ﴾ يلوذ بعضهم ببعض هذا بذاك بحيث يدور معه حيث
دار استتارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولواذا صحت الواو فيه وان كان قبلها كسرة لصحتها فى الفعل فى قولهم لاوذ بخلاف
قام قياما فانها اعتلت فى الفعل فاعتلت فى مصدره وقيل فى حفر الخندق ينصرف المنافقون بغير إذن ويستأذن المؤمنون اذا
عرضت لهم حاجة وخالف يتعدى بنفسه يقول خالفت أمر زيد وبالى تقول خالفت الى كذا فقوله عن أمره ضمن خالف معنى صد
وأعرض فعداه بعن والضمير فى أمره عائد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر الأمر الوجوب ولذلك جعل فى المخالفة اصابة
الفتنة أو اصابة العذاب ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ أى من مخالفة أمر الله وأمر رسوله وفيه تهديد ووعيد وأتى بالمضارع وهو يعلم كناية
عن المجازاة والظاهر أن الخطاب فى أنتم للمنافقين ولغيرهم وما عامة فى الاعمال التى يعملها المكلفون ﴿ ويوم يرجعون اليه ﴾ ويوم
معطوف على ما أى علم الذى أنتم عليه ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ فيتعلق علمه بالأمرين حالا وهو ما أنتم عليه ومآلا وهو ويوم يرجعون
اليه والتفت من ضمير الخطاب فى أنتم الى ضمير الغيبة فى يرجعون

يستأذنوه و يأذن لهم ألا تراه كيف علق الامر بعد وجود استئذانهم بمشيئته واذنه لمن استصوب أن يأذن له والامر الجامع الذى يجمع له الناس فوصف بالجمع على المجاز وذلك نحو مقابلة عدو وتشاور فى أمرهم أو تضام لارهاب مخالف أو ماينتج فى حلف وغير ذلك والامر الذى يعم بضرره أو بنفعه وفى قوله واذا كانوا معه على أمر جامع انه خطب جليل لابد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوى رأى وقوة يظاهرونه عليه و يعاونونه و يستضىء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم فى كفاءته ففارقة أحدهم فى مثل هذه الحالة مما يشق على قلبه و يشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم وضيق الامر فى الاستئذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض مايهمهم و يعنيهم وذلك قوله لبعض شأنهم وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الاحسن الافضل أن لايحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه * وقيل نزلت فى حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن لذلك ينبغى أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم فى نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر فى الاذن مفوض الى الامام ان شاء أذن وان شاء لم يأذن على حسب مااقتضاه رأيه انتهى وهو تفسير حسن و يجرى هذا المجرى امام الامرة اذا كان الناس معه مجتمعين لمراعاة مصلحة دينية فلا يذهب أحدمنهم عن الجمع الا باذن منه اذ قد يكون له رأى فى حضور ذلك الذاهب * وقال مكحول والزهرى الجمعة من الامر الجامع فاذا عرض للحاضر مايمنعه الحضور من سبق رعاف فليستأذن حتى يذهب عنه سوء الظن به * وقال ابن سيرين كانوا يستأذنون الامام على المنبر فلما كثر ذلك قال زياد من جعل يده على أنفه فليخرج دون اذن وقد كان هذا بالمدينة حتى ان سهيل بن أبى صالح رعف يوم الجمعة فاستأذن الامام * وقال ابن سلام هو كل صلاة فيها خطبة كالجمعة والعيدين والاستسقاء * وقال ابن زيد فى الجهاد * وقال مجاهد الاجتماع فى طاعة الله * قيل فى قوله فائذن لمن شئت منهم أريد بذلك عمر بن الخطاب * وقرأ اليمانى على أمر جميع * لا تجعلوا خطاب لمعاصرى الرسول عليه السلام لما كان التداعى بالاسماء على عادة البداوة أمروا بتوقير رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحسن مايدعى به نحو يارسول الله يانبى الله ألا ترى الى بعض جفاة من أسلم كان يقول يامحمد وفى قوله كدعاء بعضكم بعضا اشارة الى جواز ذلك مع بعضهم لبعض إذ لم يؤمر بالتوقير والتعظيم فى دعائه عليه السلام الامن دعاه لامن دعا غيره وكانوا يقولون ياأبا القاسم يامحمد فنهوا عن ذلك * وقيل نهاهم عن الابطاء والتأخر اذا دعاهم واختاره المبرد والقفال و يدل عليه فليحذر الذين يخالفون عن أمره وهذا القول موافق لمساق الآية ونظمها * وقال الزمخشرى اذا احتاج الى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن الجمع بغير اذن الداعى انتهى وهو قريب مما قبله * وقال أيضا و يحتمل لاتجعلوا دعاء الرسول ربه مثل مايدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه وربما رده وان دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة انتهى * وقال ابن عباس انما هو لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض أى دعاؤه عليكم مجاب فاحذروه * قال ابن عطية ولفظ الآية يدفع هذا المعنى انتهى * وقرأ الحسن و يعقوب فى رواية نبيكم بنون مفتوحة وباء مكسورة و ياء مشددة بدل قوله بينكم ظرفا فقراءة الجمهور * قال صاحب اللوامح وهو النبى عليه السلام على البدل من الرسول فانما صار بدلا لاختلاف تعريفهما باللام مع الاضافة يعنى أن الرسول معرفة باللام ونبيكم معرفة بالاضافة الى الضمير فهو فى رتبة العلم فهو أكثر

تعريفا من ذى اللام فلا يصح النعت به على المذهب المشهور لأن النعت يكون دون المنعوت أو مساويا له فى التعريف ثم قال صاحب اللوامح ويجوز أن يكون نعتا لكونهما معرفتين انتهى وكأنه مناقض لما قرر من اختياره البدل وينبغى أن يجوز النعت لأن الرسول قد صار علما بالغلبة كالبيت للكعبة اذ ما جاء فى القرآن والسنة من لفظ الرسول انما يفهم منه أنه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا كان كذلك فقد تساويا فى التعريف ومعنى يتسللون ينصرفون قليلا قليلا عن الجماعة فى خفية ولواذا بعضهم ببعض أى هذا يلوذ بهذا وهذا بذاك بحيث يدور معه حيث دار استتارا من الرسول * وقال الحسن لواذا فرارا من الجهاد * وقيل فى حفر الخندق ينصرف المنافقون بغير اذن ويستأذن المؤمنون اذا عرضت لهم حاجة * وقال مجاهد لواذا خلافا * وقال أيضا يتسللون من الصف فى القتال * وقيل يتسللون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى كتابه وعلى ذكره * وانتصب لواذا على انه مصدر فى موضع الحال أى متلاوذين ولواذا مصدر لاوذ وصحت العين فى الفعل فصحت فى المصدر ولو كان مصدر لاذ لكان لياذا كقام قياما * وقرأ يزيد بن قطيب لواذا بفتح اللام فاحتمل أن يكون مصدر لاذ ولم يقبل لأنه لا كسرة قبل الواو فهو كطاف طوافا واحتمل أن يكون مصدر لاوذ وكانت فتحة اللام لأجل فتحة الواو وخالف يتعدى بنفسه تقول خالفت أمر زيد وبالى تقول خالفت الى كذا فقوله عن أمره ضمن خالف معنى صد وأعرض فعدا بعن * وقال ابن عطية معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول كان المطر عن ريح وعن هى لما عدا الشئ * وقال أبو عبيدة والاخفش عن زائدة أى أمره والظاهر ان الامر بالحذر للوجوب وهو قول الجمهور وان الضمير فى أمره عائد على الله * وقيل على الرسول * وقرئ يخلفون بالتشديد أى يخلفون أنفسهم بعد أمره والفتنة القتل قاله ابن عباس أيضا أو بلاء قاله مجاهد أو كفر قاله السدى ومقاتل أو اسباغ النعم استدراجا قاله الجراح أو قسوة القلب عن معرفة المعروف والمنكر قاله الجنيد أو طبع على القلوب قاله بعضهم وهذه الاقوال خرجت مخرج التمثيل لا الحصر وهى فى الدنيا * أو عذاب أليم * قيل عذاب الآخرة * وقيل هو القتل فى الدنيا * ألا ان لله ما فى السموات والارض هذا كالدلالة على قدرته تعالى عليهما وعلى المكلف فيما يعامله به من المجازاة من ثوابه وعقابه * قد يعلم ما أنتم عليه أى من مخالفة أمر الله وأمر رسوله وفيه تهديد ووعيد والظاهر انه خطاب للمنافقين * وقال الزمخشرى ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما فى خروجها الى معنى التكثير فى نحو قوله

فان يمس مهجور الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود

ونحو من ذلك قول زهير

أخى ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

انتهى وكون قد اذا دخلت على المضارع أفادت التكثير قول بعض النحاة وليس بصحيح وانما التكثير مفهوم من سياقة الكلام فى المدح والصحيح فى رب انها لتقليل الشئ أو تقليل نظيره فان فهم تكثير فليس ذلك من رب ولا قد انما هو من سياقة الكلام وقد بين ذلك فى علم النحو * وقرأ الجمهور يرجعون مبنيا للمفعول * وقرأ ابن يعمر وابن أبى اسحاق وأبو عمرو مبنيا للفاعل والتفت من ضمير الخطاب فى أنتم الى ضمير الغيبة فى يرجعون ويجوز أن يكون ما أنتم عليه خطابا عاما ويكون يرجعون للمنافقين والظاهر عطف ويوم على ما أنتم عليه فتصبه نصب المفعول * قال ابن

﴿ سورة الفرقان ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾

هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال ابن عباس وقتادة الا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي والذين لا يدعون مع الله الى قوله وكان الله غفورا رحيما * ومناسبة هذه لما قبلها أنه تعالى لما ذكر من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاستئذان وتوقيره عليه الصلاة والسلام في أن لا يكون دعاؤهم له عليه الصلاة والسلام كدعاء بعضهم بعضا بل بالاجلال والتعظيم والتوقير و رتب على مخالفة أمره اصابة الفتنة أو العذاب ناسب افتتاح

هذه السورة بتعظيمه عليه الصلاة والسلام بنسبته إليه وانزاله القرآن عليه وجعله نذيرا للعالمين كلهم وناسب قوله لله ما في السموات والأرض قوله في هذه السورة الذي له ملك السموات والارض وتنزيهه تعالى عن الولد والشريك * والضمير في ليكون عائد على عبده لانه أقرب مذكور والفرقان القرآن ﴿وخلق كل شئ﴾ عام في الخلق ﴿فقدره تقديرا﴾ تقدير الأشياء هو حدها بالامكنة والأزمان والمقادير والمصلحة والاتقان والضمير في واتخذوا عائد على ما يفهم من سياق الكلام لأن في قوله ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك دلالة على ذلك اذ لم ينتف الا وقد قيل به ويندرج في واتخذوا كل من ادعى الها غير الله ولا يختص بذلك عباد الأوثان ولا عباد الكواكب ﴿وقال الذين كفروا﴾ قال ابن عباس هو النضر بن الحارث وأتباعه والافك أسوأ الكذب ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ قال مجاهد قوم من اليهود ألقوا أخبار الامم اليه وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا كتابيين يقرؤن التوراة أسلموا وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يتعهدهم والظاهر أن الضمير في فقد جاؤا عائد على الذين كفروا والمعنى ان هؤلاء الكفار وردوا ظلما كما تقول جئت المكان فيكون جاء متعديا بنفسه ويجوز أن يحذف الجار أي جاؤا بظلم وزور ويصل الفعل بنفسه

عطية ويجوز أن يكون التقديم والعلم الظاهر لكم أو نحو هذا يوم فيكون النصب على الظرف

﴿ مفردات سورة الفرقان ﴾

* الهباء قال أبو عبيدة والزجاج مثل الغبار يدخل الكوة مع ضوء الشمس * وقال ابن عرفة الهبوة والهباء التراب الدقيق * وقال الجوهري يقال منه اذا ارتفع هبا يهبو هبوا وأهبيته أنا إهباء * وقيل هو الشرر الطائر من النار اذا أضرمت * النثر التفريق * العض وقع الاسنان على المعضوض بقوة وفعله على وزن فعل بكسر العين وحكى الكسائي عضضت بفتح عين الكلمة * فلان كناية عن علم من يعقل * الجملة من الكلام هو المجتمع غير المفرق * الترتيل سرد اللفظ بعد اللفظ يتخلل بينهما زمن يسير من قولهم ثغر مرتل أي مفلج الاسنان * السبات الراحة ومنه يوم السبت لما جرت العادة من الاستراحة فيه ويقال للعليل اذا استراح من تعب العلة مسبوت قاله أبو مسلم * وقال الزمخشري السبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة * مرج قال ابن عرفة خلط ومرج الامر اختلط واضطرب * وقيل مرج وأمرج أجرى ومرج لغة الحجاز وأمرج لغة نجد * العذب الحلو * والفرات البالغ في الحلاوة * الملح المالح * والاجاج البالغ في الملوحة * وقيل المر * وقيل الحار * الصهر قال الخليل لا يقال لأهل بيت المرأة الا اصهار ولأهل بيت الرجل الا اختان ومن العرب من يجعلهم أصهارا كلهم * السراج الشمس * الهون الرفق واللين * الغرفة العلية وكل بناء عال فهو غرفة * عبأ من العبء وهو الثقيل يقال عبأت الجيش بالتخفيف والتثقيل هيأته للقتال ويقال ما عبأت به أي ما اعتددت به كقولك ما اكترثت به

﴿ سورة الفرقان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا

﴿ا كتتبها﴾ أى جمعها من قولهم كتب الشئ أى جمعه أومن الكتابة أى كتبها بيده فيكون ذلك من جملة كذبهم عليه وهم يعلمون أنه لايكتب شيئا و ﴿ أساطير ﴾ خبر امبتدأ محذوف أى هو وهذه أساطير وا كتتبها خبر ثان وأساطير تقدم الكلام عليه قال الزمخشرى قرأطلحة اكتتبها مبنيا للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لأنه أمى لايكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بنى الفعل للضمير الذى هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا و بقى ضمير الأساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى انتهى لايصح ذلك على مذهب جمهور البصريين لان اكتتبها له كاتب وصل فيه اكتتب لمفعولين أحدهما مسرح وهو ضمير الاساطير والآخر مقيد وهو ضميره عليه الصلاة والسلام ثم اتسع فى الفعل فحذف حرف الجر فصار اكتتبها اياه كاتب فاذا بنى هذا للمفعول انما ينوب عن المفعول المسرح لفظا وتقديرا لا المسرح لفظا المقيد تقديرا فعلى هذا كان يكون التركيب اكتتبه لا اكتتبها وعلى هذا الذى قلناه جاء السماع من العرب فى هذا النوع الذى أحد المفعولين فيه مسرح لفظا وتقديرا والآخر مسرح لفظا لا تقديرا قال الفرزدق ومنا الذى اختير الرجال سماحة * وجودا اذا هب الرياح الزعازع ولو جاء على ماقرره الزمخشرى لجاء التركيب ومنا الذى اختيره الرجال لان اختار تعدى الى الرجال على اسقاط حرف الجر اذ تقديره اختير من الرجال ﴿ قل أنزله الذى يعلم السر ﴾ أى كل سر خفى ورد عليهم بهذا وهو وصفه تعالى بالعلم لان هذا القرآن لم يكن ليصدر الا من عالم بكل المعلومات ﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ الضمير لكفار قريش وكانوا قد جمعهم والرسول مجلس مشهور ذكره ابن اسحاق فى السير فقالوا عتبة وغيره ان كنت تحب الرئاسة وليناك علينا أو المال جمعنا لك فلما أبى عليهم اجتمعوا عليه فقالوا مالك وأنت

وقالوا أساطير الأولين ا كتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هـذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الارجلا مسحورا أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار و يجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا

رسول من الله تأكل الطعام وتقف بالاسواق لالتماس الرزق سل ربك أن ينزل معك ملكا ينذر معك أو يلقى اليك كنزا تنفق منه أو يرد لك جبال مكة ذهبا وتزال الجبال و يكون مكانها جنات تطرد فيها المياه وأشاعوا هذه المحاجة فنزلت وهذا استفهام يصحبه استهزاء ﴿أنظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر وغيره ﴿ فضلوا ﴾ أى أخطؤا الطريق فلا يجدون سبيل هداية ولا يطيقونه لالتباسهم والاشارة بذلك الظاهر انه الى ماذكره الكفار من الكنز والجنة فى الدنيا والظاهر ان هذا الجعل كان يكون فى الدنيا لو شاء الله وقيل فى الآخرة ﴿و يجعل لك﴾ قرئ بجزم اللام معطوفا على قوله جعل لانه فى موضع جزم على جواب الشرط وقرئ بالرفع على الاستئناف أى وهو يجعل لك قال الزمخشرى وقرئ و يجعل بالرفع عطفا على جعل اذ الشرط اذا وقع ماضيا جاز فى جوابه الجزم والرفع كقوله وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لاغائب مالى ولا حرم

انتهى هذا الذى ذهب اليه الزمخشرى ليس مذهب سيبويه وفى المسألة خلاف ذكر فى النحو ﴿ وأعتدنا ﴾ جعلنا معدا ﴿سعيرا﴾ نارا كثيرة الايقاد ﴿ لمن كذب بالساعة ﴾ عام فى هؤلاء المكذبين وغيرهم ﴿ اذا رأتهم ﴾ أى صارت منهم بقدر مايرى الرائى من البعد كقولهم دورهم تتراءى أى تتناظر وتتقابل ومنه لاتتراءى ناراهما وقيل هو على حذف مضاف أى اذا رأتهم خزنتها ﴿من مكان بعيد سمعوا لها ﴾ صوت تغيظ لأن التغيظ لايسمع واذا كان على حذف مضاف كان لمعنى تغيظ الزبانية وزفروا على الكفار غضبا وشهوة للانتقام منهم وقيل سمعوا صوت لهيبها واشتعالها وانتصب مكانا على الظرف أى فى مكان ضيق وعن ابن عباس يضيق عليهم تضييق الزج فى الرمح ﴿مقرنين ﴾ قرنت أيديهم الى أعناقهم بالسلاسل وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه فى سلسلة وفى أرجلهم الاصفاد ﴿هنالك﴾ ظرف مكان أشير به لقوله مكانا ضيقا والظاهر دعاء الثبور وهو الهلاك فيقولون واثبوراه ﴿ لاتدعوا اليوم ﴾ يقال لهم لاتدعوا أوهم أحق أن يقال لهم ذلك وان

فهو متجدد دائما واما لأنه أنواع وكل نوع منه يكون ثبورا لشدته وفظاعته والظاهر ان الاشارة بذلك الى النار وأحوال أهلها وخيرهنا ليست تدل على الافضلية بل هي على ماجرت عادة العرب من بيان فضل الشئ وخصوصيته بالفضل دون مقابله كقوله * فشركما لخيركما الفداء * وهذا الاستفهام على سبيل التوقيف والتوبيخ *قال ابن عطية ومن حيث كان الكلام استفهاما جاز فيه مجئ لفظة التفضيل بين الجنة والنار في الخير لأن الموقف جائز له ان يوقف محاوره على مايشاء ليرى هل يجيبه بالصواب أم بالخطأ وانما منع سيبويه وغيره من التفضيل بين شيئين لاشترك بينهما في المعنى الذي فيه تفضيل اذا كان الكلام خبرا لان فيه مخالفة وأما اذا كان استفهاما فذلك سائغ انتهى ماذكره يخالفه قوله *فشركما لخيركما الفداء وقوله رب السجن أحب الى فان هذا خبر وكذلك قولهم العسل أحلى من الخل الا أن يتقيد الخبر بانه اذا كان واضح الحكم فيه للسامع بحيث لايختلج في ذهنه ولايتردد أيهما أفضل فانه يجوز ﴿وعدا﴾ أي موعودا ﴿مسؤلا﴾ سألته الملائكة في قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم

كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها مايشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسئولا * هذه السورة مكية في قول الجمهور * وقال ابن عباس وقتادة الاثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي والذين لايدعون مع الله الها آخر الى قوله وكان الله غفورا رحيما * وقال الضحاك مدنية الامن أولها الى قوله ولا نشورا فهو مكي * ومناسبة أول هذه السورة لآخر ماقبلها أنه لما ذكر وجوب مبايعة المؤمنين للرسول وانهم اذا كانوا معه في أمر مهم توقف انفصال واحد منهم على اذنه وحذر من يخالف أمره وذكر ان له ملك السموات والارض وأنه تعالى عالم بما هم عليه ومجازيهم على ذلك فكان ذلك غاية في التحذير والانذار ناسب أن يفتتح هذه السورة بأنه تعالى منزه في صفاته عن النقائص كثير الخير ومن خيره أنه نزل الفرقان على رسوله منذرا لهم فكان في ذلك اطماع في خيره وتحذير من عقابه *وتبارك تفاعل مطاوع بارك وهو فعل لايتصرف ولم يستعمل في غيره تعالى فلايجيء منه مضارع ولااسم فاعل ولامصدر * وقال الطرماح

تباركت لامعط لشئ منعته * وليس لما أعطيت يارب مانع

* قال ابن عباس لم يزل ولايزول * وقال الخليل تمجد * وقال الضحاك تعظم * وحكى الاصمعي تباركت عليكم من قول عربي صعد رابية فقال لاصحابه ذلك أي تعاليت وارتفعت ففي هذه الاقوال تكون صفة ذات * وقال ابن عباس أيضا والحسن والنخعي هو من البركة وهو التزايد في الخير من قبله فالمعنى زاد خيره وعطاؤه وكثر وعلى هذا يكون صفة فعل وجاء الفعل مسندا الى الذي وهم وان كانوا لايقرون بأنه تعالى هو الذي نزل الفرقان فقد قام الدليل على الاعجاز فصارت الصلة معلومة بحسب الدليل وان كانوا منكرين لذلك وتقدم في آل عمران لم سمي القرآن فرقانا * وقرأ الجهور على عبده وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم * وقرأ ابن الزبير على عباده أي الرسول وأمته كما قال لقد أنزلنا اليكم وما أنزل الينا ويبعد أن يراد بالقرآن الكتب المنزلة وبعبده من نزلت عليهم فيكون اسم جنس كقوله وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها *والضمير في ليكون *قال ابن زيد عائد على عبده ويترجح بأنه العمدة المسند اليه الفعل وهو من وصفه تعالى كقوله انا كنا منذرين * والظاهر ان نذيرا بمعنى منذر وجوز أن يكون مصدرا بمعنى لانذار كالنكير بمعنى الانكار ومنه فكيف كان عذابي ونذر * وللعالمين عام للانس والجن ممن عاصره أو جاء بعده وهذا معلوم من الحديث المتواتر وظواهر الآيات * وقرأ ابن الزبير للعالمين للجن والانس وهو تفسير العالمين ولما سبق في أواخر السورة ألاان لله مافي السموات والارض فكان اخبارا بأن مافيهما ملك لله أخبر هنا أنه له ملكهما أي قهرهما وقهر مافيهما فاجتمع له الملك والملك لهما ولمافيهما والذي مقطوع للمدح رفعا أونصبا أونعت أو بدل من الذي نزل ومابعد نزل من تمام الصلة ومتعلق به فلايعد فاصلا بين النعت أوالبدل ومتبوعه * ولم يتخذ ولدا الظاهر نفي الاتخاذ أي لم ينزل أحدا منزلة الولد * وقيل المعنى لم يكن له ولد بمعنى قوله لم يلد لان التوالد مستحيل عليه وفي ذلك رد على مشركي قريش وعلى النصارى واليهود الناسبين لله الولد * ولم يكن له شريك في الملك تأكيد لقوله له ملك السموات والارض ورد على من جعل لله شريكا * وخلق كل شئ عام في خلق الذوات وأفعالها * قيل وفي

الكلام حذف تقديره وخلق كل شئ مما يصح خلقه لتخرج عنه ذاته وصفاته القديمة انتهى ولا يحتاج الى هذا المحذوف لأن من قال أكرمت كل رجل لا يدخل هو في العموم فكذلك لم يدخل في عموم وخلق كل شئ ذاته تعالى ولا صفاته القديمة * فقدره تقديرا ان كان الخلق بمعنى التقدير فكيف جاء فقدره اذ يصير المعنى وقدر كل شئ بقدره تقديرا * فقال الزمخشري المعنى أنه أحدث كل شئ احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له أو سمى احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيأ لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت * فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة احداث الله وأوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شئ فقدره في ايجاده متفاوتا * وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى أمد معلوم * وقال ابن عطية تقدير الاشياء هو حدها بالامكنة والازمان والمقادير والمصلحة والاتقان انتهى * واتخذوا من دونه آلهة الضمير في واتخذوا عائد على ما يفهم من سياق الكلام لان في قوله ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك دلالة على ذلك لم ينف الا وقد قيل به * وقال الكرماني الواو ضمير للكفار وهم مندرجون في قوله للعالمين * وقيل لفظ نذيرا ينبئ عنهم لانهم المنذرون ويندرج في واتخذوا كل من ادعى الها غير الله ولا يختص ذلك بعباد الاوثان وعباد الكواكب * وقال القاضي يبعد أن يدخل فيه النصارى لانهم لم يتخذوا من دون الله آلهة على الجمع والاقرب ان المراد به عبدة الاصنام ويجوز أن يدخل فيه من عبد الملائكة لان لعبادها كثرة انتهى ولا يلزم ما قال لان واتخذوا جمع وآلهة جمع واذا قوبل الجمع بالجمع تقابل الفرد بالفرد ولا يلزم أن يقابل الجمع بالجمع فيندرج معبود النصارى في لفظ آلهة ثم وصف الآلهة بانتفاء انشائهم شيأ من الاشياء اشارة الى انتفاء القدرة بالكلية ثم بأنهم مخلوقون لله ذاتا أو مصنوعون بالنحت والتصوير على شكل مخصوص وهذا أبلغ في الخساسة ونسبة الخلق للبشر تجوز * ومنه قول زهير ولانت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

* وقال الزمخشري الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله وتخلقون افكا والمعنى انهم آثروا على عبادته عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شئ من أفعال الله ولا أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيأ وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع الذي يقدر عليه العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله أعجز * وقال الذين كفروا * قال ابن عباس هو النضر بن الحارث وأتباعه والافك أسوأ الكذب * وأعانه عليه قوم آخرون * قال مجاهد قوم من اليهود ألقوا أخبار الأمم اليه * وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا كتابيين يقرؤن التوراة أسلموا وكان الرسول يتعهدهم * وقال ابن عباس أشاروا الى قوم عبيد كانوا للعرب من الفرس أبو فكيهة مولى الحضرميين وجبر ويسار وعداس وغيرهم * وقال الضحاك عنوا أبا فكيهة الرومي * وقال المبرد عنوا بقوم آخرين المؤمنين لان آخر لا يكون الا من جنس الأول انتهى وما قاله لا يلزم للاشتراك في جنس الانسان ولا يلزم الاشتراك في الوصف ألا ترى الى قوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة فقد اشتركتا في مطلق الفئة واختلفتا في الوصف والظاهر ان الضمير في فقد جاؤا عائد على الذين كفروا والمعنى ان هؤلاء الكفار وردوا ظلما كما تقول جئت المكان فيكون جاء متعديا بنفسه قاله الكسائي ويجوز أن يحذف الجار أي بظلم

والمعنى اكتتبها لانه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام الاعجاز ثم حذفت اللام فأفضى الفعل الى الضمائر فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بنى الفعل للضمير الذى هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا و بقى ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى (ح) لايصح ذلك على مذهب جهور البصريين لأن اكتتبها له كاتب وصل فيها اكتتب لمفعولين أحدهما مسرح وهو ضمير الاساطير والآخر مقيد وهو ضميره عليه السلام ثم اتسع فى الفعل لحذف حرف الجر فصار اكتتبها اياه كاتب فاذا بنى للمفعول انما ينوب عن الفاعل المفعول المسرح لفظا وتقديرا لاالمسرح لفظا المقيد تقديرا فعلى هذا كان يكون التركيب اكتتبه لا اكتتبها وعلى هذا الذى قلناه جاء السماع من العرب فى هذا النوع الذى هو أحد المفعولين فيه مسرح لفظا وتقديرا والآخر مسرح لفظا لا تقديرا قال الفرزدق

ومنا الذى اختير الرجال سماحة ﴿ وجودا اذا هب الرياح الزعازع ﴾ ولو جاء على ماقرره (ش) لجاء التركيب ومنا الذى اختيره الرجال لان اختار تعدى الى الرجال على اسقاط حرف الجر اذ تقديره اختير من الرجال

وزور و يصل الفعل بنفسه ﴿ وقال الزجاج اذا جاء يستعمل بهذين الاستعمالين وظلمهم ان جعلوا العربى يتلقن من العجمى كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ماهو برىء منه اليه ﴿ وقيل الضمير عائد على قوم آخرين وهو من كلام الكفار والضمير فى وقالوا للكفار وتقدم الكلام على أساطير الأولين ﴿ اكتتبها أى جمعها من قولهم كتب الشئ أى جمعه أو من الكتابة أى كتبها بيده فيكون ذلك من جملة كذبهم عليه وهم يعلمون انه لا يكتب ويكون كاستكب الماء واصطبه أى سكبه وصبه ويكون لفظ افتعل مشعرا بالتكلف والاعتمال أو بمعنى أمر أن يكتب كقولهم احتجم وافتصد اذا أمر بذلك ﴿ فهى تملى عليه أى تلقى عليه ليحفظها لان صورة الالقاء على المتحفظ كصورة الاملاء على الكاتب ﴿ وأساطير الأولين خبر مبتدا محذوف أى هو أو هذه أساطير واكتتبها خبر ثان ويجوز أن يكون أساطير مبتدا واكتتبها الخبر ﴿ وقرأ الجمهور اكتتبها مبنيا للفاعل ﴿ وقراءة طلحة مبنيا للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بنى الفعل للضمير الذى هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا و بقى ضمير الأساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى انتهى وهو من كلام الزمخشرى ولا يصح ذلك على مذهب جمهور البصريين لان اكتتبها له كاتب وصل فيها اكتتب لمفعولين أحدهما مسرح وهو ضمير الأساطير والآخر مقيد وهو ضميره عليه السلام ثم اتسع فى الفعل لحذف حرف الجر فصار اكتتبها اياه كاتب فاذا بنى هذا الفعل للمفعول انما ينوب عن الفاعل المفعول المسرح لفظا وتقديرا لا المسرح لفظا المقيد تقديرا فعلى هذا كان يكون التركيب اكتتبه لا اكتتبها وعلى هذا الذى قلناه جاء السماع عن العرب فى هذا النوع الذى أحد المفعولين فيه مسرح لفظا وتقديرا والآخر مسرح لفظا لا تقديرا ﴿ قال الشاعر وهو الفرزدق

ومنا الذى اختير الرجال سماحة ﴿ وجودا إذا هب الرياح الزعازع

ولو جاء على ماقرره الزمخشرى لجاء التركيب ومنا الذى اختيره الرجال لان اختار تعدى الى الرجال على اسقاط حرف الجر اذ تقديره اختير من الرجال والظاهر ان قوله اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا من تمام قول الكفار ﴿ وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة فى اكتتبها للاستفهام الذى فى معنى الانكار و وجهه أن يكون نحو قوله

أفرح ان أرزأ الكرام وان ﴿ آخذ ذودا شصايصا نبلا

وحق للحسن أن يقف على الأولين والظاهر تقييد الاملاء بوقت انتشار الناس وحين الايواء الى مساكنهم وهما البكرة والاصيل أو يكونان عبارة عن الديمومة ﴿ وقرأ طلحة وعيسى فهى تتلى بالتاء بدل الميم ﴿ قل أنزله الذى يعلم السر أى كل سر خفى و رد عليهم بهذا وهو وصفه تعالى بالعلم لان هذا القرآن لم يكن ليصدر الا من علام بكل المعلومات لما احتوى عليه من اعجاز التركيب الذى لا يمكن صدوره من أحد ولو استعان بالعالم كلهم ولاشتماله على مصالح العالم وعلى أنواع العلوم واكتفى بعلم السر لان ماسواه أولى أن يتعلق علمه به أو يعلم ماتسرون من الكيد لرسوله مع علمكم ببطل ماتقولون فهو مجازيكم ﴿ انه كان غفورا رحيما اطماع فى انهم اذا تابوا غفر لهم مافرط من كفرهم و رحمهم أو غفورا رحيما فى كونه أمهلكم ولم يعاجلكم على ما استوجبتموه من العقاب بسبب

مكابرتكم أولما تقدم ما يدل على العقاب أعقبه بما يدل على القدرة عليه لان المتصف بالغفران والرحمة قادر على أن يعاقب * وقالوا الضمير لكفار قريش وكانوا قد جمعهم والرسول مجلس مشهور ذكره ابن اسحق في السير فقال عتبة وغيره ان كنت تحب الرئاسة وليناك علينا أو المال جمعنا لك فلما أبى عليهم اجتمعوا عليه فقالوا مالك وأنت رسول من الله تأكل الطعام وتقف بالأسواق لالتماس الرزق سل ربك أن ينزل معك ملكا ينذر معك أو يلقي اليك كنزا تنفق منه أو يرد لك جبال مكة ذهبا وتزال الجبال ويكون مكانها جنات تطرد فيها المياه وأشاعوا هذه المحاجة فنزلت الآية وكتب في المصحف لام الجر مفصولة من هذا وهذا استفهام يصحبه استهزاء أي مال هذا الذي يزعم انه رسول أنكروا عليه ما هو عادة للرسل كما قال وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق أي حاله كحالنا أي كان يجب أن يكون مستغنيا عن الأكل والتعيش ثم قالوا وهب انه بشر فهلا أرفد بملك ينذر معه أو يلقى اليه كنز من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم اقتنعوا بأن يكون له بستان يأكل منه ويرتزق كالمياسير * وقرئ فتكون بالرفع حكاه أبو معاذ عطفا على أنزل لان أنزل في موضع رفع وهو ماض وقع موقع المضارع أي هلا ينزل اليه ملك أو هو جواب التحضيض على اضمار هو أي فهو يكون وقراءة الجمهور بالنصب على جواب التحضيض وقوله أو يلقي أو يكون عطف على أنزل أي لولا ينزل فيكون المطلوب أحد هذه الامور أو مجموعها باعتبار اختلاف القائلين ولا يجوز النصب في أو يلقي ولا في أو يكون عطفا على فيكون لانهما في حكم المطلوب بالتحضيض لا في حكم الجواب لقوله لولا أنزل * وقرأ قتادة والاعمش أو يكون بالياء من تحت * وقرأ يأكل بياء الغيبة أي الرسول وزيد بن علي وحمزة والكسائي وابن وثاب وطلحة والاعمش بنون الجمع أي يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم * وقال الظالمون أي المؤمنين * قال الزمخشري وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوه انتهى وتركيبه وأراد بالظالمين اياهم باعيانهم ليس تركيبا سائغا بل التركيب العربي ان يقول وأرادهم بأعيانهم بالظالمين مسحورا غلب على عقله السحر وهذا أظهر أو ذا سحر وهو الرئة أو يسحر بالطعام وبالشراب أي يغذى أو أصيب سحره كما تقول رأسته أصبت رأسه * وقيل مسحورا ساحرا عنوا به انه بشر مثلهم لاملك وتقدم تفسيره في الاسراء وبهذين القولين قيل والقائلون ذلك النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن تابعهم * انظر كيف ضربوا لك الأمثال أي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه أي فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا له * وقيل ضربوا لك الامثال بالمسحور والكاهن والشاعر وغيره فضلوا أخطؤا الطريق فلا يجدون سبيل هداية ولا يطيقونه لالتباسهم بضده من الضلال * وقيل فلا يستطيعون سبيلا الى حجة وبرهان على ما يقولون مرة يقولون هو بليغ فصيح يتقول القرآن من نفسه ويفتريه ومرة مجنون ومرة ساحر ومرة مسحور * وقال ابن عباس شبه لك هؤلاء المشركون الأشباه بقولهم هو مسحور فضلوا بذلك عن قصد السبيل فلا يجدون طريقا الى الحق الذي بعثك به * وقال مجاهد لا يجدون مخرجا يخرجهم عن الامثال التي ضربوا لك ومعناه انهم ضربوا لك هذه ليتوصلوا بها الى تكذيبك فضلوا عن سبيل الحق وعن بلوغ ما أرادوا * وقال أبو عبد الله الرازي انظر كيف

اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التي لافائدة فيها الاجل انهم لما ضلوا وأرادوا القدح في نبوتك لم يجدوا الى القدح سبيلا اذ الطعن عليه انما يكون فيما يقدح في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول * وقال الفراء لايستطيعون في أمرك حيلة * وقال السدى سبيلا الى الطعن ولما قال المشركون ما قالوا قيل فيما روى ان شئت ان نعطيك خزائن الدنيا ومفاتيحها ولم يعط ذلك أحد قبلك ولا يعطاه أحد بعدك وليس ذلك بناقصك في الآخرة شيأ وان شئت جمعناه لك في الآخرة فقال يجمع لى ذلك في الآخرة فنزل تبارك الذي * وعن ابن عباس عنه عليه السلام قال عرض على جبريل عليه السلام بطحاء مكة ذهبا فقلت بل شبعة وثلاث جوعات وذلك أكثر لذكرى ومسألتي * قال الزمخشري في تبارك أي تكاثر خيرا الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور انتهى والاشارة بذلك الظاهر انه الى ما ذكره الكفار من الجنة والكنز في الدنيا قاله مجاهد ويبعد تأويل ابن عباس انه اشارة الى أكله الطعام ومشيه في الاسواق والظاهر ان هذا الجعل كان يكون في الدنيا لو شاء الله * وقيل في الآخرة ودخلت ان على المشيئة تنبيها انه لاينال ذلك الا برحمته وانه معلق على محض مشيئته ليس لاحد من العباد على الله حق لا في الدنيا ولا في الآخرة والاول أبلغ في تبكيت الكفار والرد عليهم * قال ابن عطية ويرده قوله بعد ذلك بل كذبوا بالساعة انتهى ولا يرده لان المعنى به متمكن وهو عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتى بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة * وقرأ الجمهور ويجعل بالجزم قالوا عطفا على موضع جعل لان التقدير ان يشأ يجعل ويجوز ان يكون مرفوعا أدغمت لامه في لام لك لكن ذلك لايعرف الا من مذهب أبي عمرو والذي قرأ بالجزم من السبعة نافع وحمزة والكسائي وأبو عمرو وليس من مذهب الثلاثة ادغام المثلين اذا تحرك أولهما انما هو من مذهب أبي عمرو كما ذكرنا * وقرأ مجاهد وابن عامر وابن كثير وحميد وأبو بكر ومحبوب عن أبي عمرو بالرفع * قال ابن عطية والاستئناف ووجهه العطف على المعنى في قوله جعل لان جواب الشرط هو موضع استئناف ألا ترى ان الجمل من الابتداء والخبر قد تقع موقع جواب الشرط * وقال الحوفي من رفع جعله مستأنفا منقطعا مما قبله انتهى * وقال أبو البقاء وبالرفع على الاستئناف * وقال الزمخشري وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

انتهى وهذا الذي ذهب اليه الزمخشري من انه اذا كان فعل الشرط ماضيا جاز في جوابه الرفع ليس مذهب سيبويه اذ مذهب سيبويه ان الجواب محذوف وان هذا المضارع المرفوع النية به التقديم ولكون الجواب محذوفا لا يكون فعل الشرط الا بصيغة الماضي وذهب الكوفيون والمبرد الى انه هو الجواب وانه على حذف الفاء وذهب غير هؤلاء الى انه هو الجواب وليس على حذف الفاء ولا على التقديم ولما لم يظهر لأداة الشرط تأثير في فعل الشرط لكونه ماضي اللفظ ضعف عن العمل في فعل الجواب فلم تعمل فيه وبقي مرفوعا وذهب الجمهور الى ان هذا التركيب فصيح وانه جائز في الكلام وقال بعض أصحابنا هو ضرورة اذ لم يجئ الا في الشعر وهو على اضمار الفاء والكلام على هذه المذاهب مذكور في علم النحو * وقرأ عبيد الله بن موسى وطلحة بن سليمان ويجعل بالنصب على اضمار ان * وقال أبو الفتح هي على جواب الشرط بالواو وهي قراءة ضعيفة انتهى ونظير هذه القراآت الثلاث قول النابغة

(ش) وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لأن الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لاغائب مالي ولا حرم

(ح) هذا الذي ذهب اليه من انه اذا كان فعل الشرط ماضيا جاز في جوابه الرفع ليس مذهب سيبويه اذ مذهب سيبويه ان الجواب محذوف وان هذا المضارع المرفوع النية به التقديم ولكون الجواب محذوفا لا يكون فعل الشرط الا بصيغة الماضي وذهب الكوفيون والمبرد الى أنه هو الجواب وانه على حذف الفاء وذهب غير هؤلاء الى انه هو الجواب وليس على حذف الفاء ولا على التقديم ولما لم يظهر لأداة الشرط تأثير في فعل الشرط لكونه ماضي اللفظ ضعف عن العمل في فعل الجواب فلم يعمل فيه وبقي مرفوعا وذهب الجمهور الى أن هذا التركيب فصيح وانه جائز في الكلام وقال بعض أصحابنا هو ضرورة اذ لم يجيء الا في الشعر وهو على اضمار الفاء والكلام على هذه المذاهب مذكور في علم النحو

فان يهلك أبو قابوس يهلك * ربيع الناس والشهر الحرام
ونأخذ بعده بذناب عيش * اجب الظهر ليس له سنام

يروى بجزم نأخذ ورفعه ونصبه *بل كذبوا بالساعة* قال الكرمانى المعنى مامنعهم من الايمان أكلك الطعام ولامشيك فى السوق بل منعهم تكذيبهم بالساعة *وقيل ليس ماتعلقوا به شبهة بل الحامل على تكذيبك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها وقيل يجوز أن يكون متصلا بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ماوعدك فى الآخرة وهم لايؤمنون بالآخرة انتهى و بل لترك اللفظ المتقدم من غير ابطال لمعناه وأخذ فى لفظ آخر وأعتدنا جعلناه معدا *سعيرا نارا كبيرة الايقاد* وعن الحسن اسم من أسماء جهنم *اذا رأتهم قيل هو حقيقة وان لجهنم عينين وروى فى ذلك أثر فان صح كان هو القول الصحيح والا كان مجازا أى صارت منهم بقدر مايرى الرائى من البعد كقولهم دورهم تتراءى أى تتناظر وتتقابل ومنه لاتتراءى ناراهما* وقال قوم النار اسم لحيوان نارى يتكلم و يرى و يسمع و يتغيظ و يزفر حكاه الكرمانى وقيل هو على حذف مضاف أى رأتهم خزنتها من مكان بعيد قيل مسيرة خمسمائة عام وقيل مائة سنة وقيل سنة سمعوا لها صوت تغيظ لان التغيظ لايسمع واذا كان على حذف المضاف كان المعنى تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم وقيل سمعوا صوت لهيبها واشتعالها وقيل هو مثل قول الشاعر

فياليت زوجك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

وهذا مخرج على تخريجين أحدهما الحذف أى ومعتقلا رمحا والثانى تضمين متقلدا معنى متسلحا فكذلك الآية أى سمعوا لها ورأوا تغيظا وزفيرا وعاد كل واحد الى ماينا سبه أوضمن سمعوا معنى أدركوا فيشمل التغيظ والزفير وانتصب مكانا على الظرف أى فى مكان ضيق *وعن ابن عباس تضيق عليهم ضيق الزج فى الرمح مقرنين قرنت أيديهم الى أعناقهم بالسلاسل وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه فى سلسلة وفى أرجلهم الاصفاد وقرأ ابن كثير وعبيد عن أبى عمرو ضيقا قال ابن عطية وقرأ أبو شيبة صاحب معاذ بن جبل مقرنون بالواو وهى قراءة شاذة والوجه قراءة الناس ونسبها ابن خالويه الى معاذ بن جبل ووجهها ان يرتفع على البدل من ضمير ألقوا بدل نكرة من معرفة ونصب على الحال والظاهر دعاء الثبور وهو الهلاك فيقولون واثبوراه أى يقال ياثبور فهذا أوانك* وقيل المدعو محذوف تقديره دعوا من لايجيبهم قائلين ثبرنا ثبورا والثبور قال ابن عباس هو الويل وقال الضحاك هو الهلاك ومنه قول ابن الزبعرى

اذ يجارى الشيطان فى سنن الغى * ومن مال ميله مثبور

لاتدعوا اليوم يقال لهم لاتدعوا أوهم أحق أن يقال لهم ذلك وان لم يكن هناك قول أى لاتقتصروا على حزن واحد بل احزنوا حزنا كثيرا وكثرته امالديمومة العذاب فهو متجدد دائما واما لانه أنواع وكل نوع يكون منه ثبور لشدته وفظاعته وقرأ عمرو بن محمد ثبورا بفتح الثاء فى ثلاثتها وفعول بفتح الواو فى المصادر قليل نحو البتول وحكى على بن عيسى ماثبرك عن هذا الامر أى ماصرفك كأنهم دعوا بما فعلوا فقالوا واصرفاه عن طاعة الله كما تقول واندامتاه روى ان أول ماينادى بذلك ابليس يقول واثبوراه حتى يكسى حلة من جهنم يضعها على جبينه و يسحبها من خلفه ثم يتبعه فى القول أتباعه فيقول لهم خزان جهنم لاتدعوا الآية وقيل نزلت فى ابن خطل وأصحابه والظاهر ان الاشارة

﴿ و يوم نحشرهم ومايعبدون من دون الله ﴾ الآية قرئ نحشرهم وفنقول بالنون والياء فيهما * قال ابن عطية وقرأ الاعرج نحشرهم بكسر الشين وهي قليلة في الاستعمال قوية في القياس لان يفعل بكسر العين في المتعدي أقيس من يفعل بضم العين انتهى هذا ليس كما ذكر بل فعل المتعدي الصحيح جميع حروفه اذا لم يكن للمبالغة ولا حلقي عين ولا لام فانه جاء على يفعل و يفعل كثيرا فان شهر أحد الاستعمالين اتبع والا فالخيار حتى ان بعض أصحابنا خير فيهما سمعا للكلمة أو لم يسمعا * وقال الجمهور من عبد من يعقل ممن لم يأمر بعبادته كالملائكة وعيسى وعزير وهو الأظهر لقوله ﴿ أأنتم أضللتم عبادي ﴾ ومابعده من المحاورات التي ظاهرها انها لاتصدر الامن العقلاء جاء مايشبه ذلك خصوصا وفي قوله ﴿ ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾ وأأنت قلت للناس اتخذوني وسؤاله تعالى وهو عالم بالمسؤل عنه ليجيبوا بما أجابوا به فيبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فتزيد حسرتهم وجاء الاستفهام مقدما فيه الاسم على الفعل ولم يأت التركيب أضللتم ولا أم ضلوا لان كلا من الضلال والاضلال واقع والسؤال انما هو عن فاعله وتقدم نظير هذا في قوله أأنت فعلت هذا بآلهتنا ﴿ سبحانك ﴾ تنزيه لله تعالى أن يشرك معه في العبادة أحد أو يفرد بعبادة ﴿ من أولياء ﴾ مفعول على زيادة من وحسن زيادتها انسحاب النفي على أن نتخذ لأنه معمول لينبغي واذا انتفى الانبغاء لزم منه انتفاء متعلقه وهو اتخاذ ولي من دون الله ولما تضمن قولهم ما كان ينبغي لنا أنا لم نضلهم ولم نحملهم على الامتناع من الايمان صلح أن يستدرك بلكن والمعنى لكن أكثرت عليهم وعلى آبائهم النعمة وأطلت أعمارهم وكان يجب عليهم شكرها والايمان بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فكان ذلك سببا للاعراض عن ذكر الله تعالى

بذلك الى النار وأحوال أهلها وقيل الى الجنة والكنز في قولهم وقيل الى الجنة والقصور المجعولة في الدنيا على تقدير المشيئة وخيرهنا ليست تدل على الافضلية بل هي على ماجرت عادة العرب في بيان فضل الشئ وخصوصيته بالفضل دون مقابله كقوله * فشركما لخيركما الفداء * وكقول العرب * الشقاء أحب اليك أم السعادة * وكقوله السجن أحب الي مما يدعونني اليه وهذا الاستفهام على سبيل التوقيف والتوبيخ قال ابن عطية ومن حيث كان الكلام استفهاما جاز فيه مجيء لفظه للتفضيل بين الجنة والنار في الخير لان الموقف جائزله أن يوقف محاوره على ماشاء ليرى هل يجيبه بالصواب أو بالخطأ وانما منع سيبويه وغيره من التفضيل اذا كان الكلام خبرا لان فيه مخالفة وأما اذا كان استفهاما فذلك سائغ انتهى وماذكره يخالفه قوله * فشركما لخيركما الفداء * وقوله السجن أحب الي فان هذا خبر وكذلك قولهم العسل أحلى من الخل الا ان تقيد الخبر بانه اذا كان واضحا الحكم فيه للسامع بحيث لايختلج في ذهنه ولا يتردد أيهما أفضل فانه يجوز وضمير التي محذوف أي وعدها وضمير مايشاؤن كذلك أي مايشاؤنه وفي قوله مايشاؤنه دليل على ان حصول المرادات بأسرها لاتكون الا في الجنة وشمل قوله جزاء ومصيرا الثواب ومحله كما قال نعم الثواب وحسنت مرتفقا وفي ضده بئس الشراب وساءت مرتفقا لانه بطيب المكان يتضاعف النعيم كما أنه برداءته يتضاعف العذاب وعدا أي موعودا مسؤلا سألته الملائكة في قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم قاله محمد بن كعب والناس في قولهم ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقال معناه ابن عباس وابن زيد وقال الفراء وعدا مسؤلا أي واجبا يقال لأعطينك ألفا وعدا مسؤلا أي واجبا وان لم يسأل قيل وماقاله الفراء محال انتهى وليس محالا اذ يكون المعنى انه ينبغي ان يسأل هذا الوعد الذي وعدته أو بصدد ان يسأل أي من حقه ان يكون مسؤلا * وعلى ربك أي بسبب الوعد صار لابد منه وقال الزمخشري كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا أن يسأل و يطلب لانه جزاء وأجر مستحق وهذا على مذهب المعتزلة ﴿ و يوم نحشرهم ومايعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر

(الدر) (ع) ومن حيث كان الكلام استفهاما جاز فيه مجيء لفظ للتفضيل بين الجنة والنار في الخير لان الموقف جائزله أن يوقف محاوره على ماشاء ليرى هل يجيبه بالصواب أو بالخطأ وانما منع سيبويه وغيره من التفضيل اذا كان الكلام خبرا لأنه فيه مخالفه وأما اذا كان استفهاما فذلك سائغ (ح) ماذكره يخالفه قوله * فشركما لخيركما الفداء * وقوله السجن أحب الي فان هذا خبر وكذلك قولهم العسل أحلى من الخل الا أن يقيد الخبر بأنه اذا كان واضحا الحكم فيه للسامع بحيث لايختلج في ذهنه ولا يتردد أيهما أفضل فانه يجوز

«بورا» البور مصدر يوصف به الواحد والجمع وقيل جمع بائر كعائذ وعوذ وقيل فسدى وهو لغة الازد يقولون أمر بائر أي فاسد وبارت البضاعة فسدت ومنه قولهم أرض بوار أي متعطلة لانبات فيها «فقد كذبوكم» هذا من قول الله تعالى بلا خلاف وهي مفاجأة بالاحتجاج والالزام والخطاب للمعبودين من العقلاء عيسى والملائكة وعزير وهو الظاهر لتناسق الخطاب مع قوله أأنتم أضللتم أي كذبكم المعبودون «بما تقولون» أي بقولهم انكم أضللتموهم وزعمهم انكم أولياؤهم من دون الله تعالى «فما يستطيعون صرفا» لأنفسهم عماهم عليه ومايستطيعون صرفكم عن الحق الذي أنتم عليه «ولا نصرا» لانفسهم من البلاء الذي استوجبوه بتكذيبهم «ومن يظلم» الظاهر أنه عام والظلم هنا الشرك ومفعول أرسلنا محذوف تقديره رسولا من المرسلين والجملة بعد الا في موضع الحال ولما تقدم طعنهم على الرسول عليه الصلاة والسلام بأكل الطعام والمشي في الاسواق أخبر تعالى أن هذه عادة مستمرة في كل رسله عليهم السلام «وجعلنا بعضكم لبعض فتنة» هو عام للمؤمن والكافر فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير والفقير الشاكر فتنة للغني والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس الكفار في عصره وكذلك العلماء وحكام العدل وقد تلا ابن القاسم هذه الآية حين رأى أشهب والتوقيف به «أتصبرون» خاص للمؤمنين المحققين فهو لامة محمد عليه الصلاة والسلام كأنه جعل امهال الكفار فتنة للمؤمنين أي اختبارا ثم وقفهم هل تصبرون أم لا ثم أعرب قوله «وكان ربك بصيرا» عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين «وقال الذين لا يرجون لقاءنا» الآية لا يرجون أي لا يخافون «لولا أنزل علينا الملائكة» فتخبرنا انك رسول حقا «أو نرى ربنا» فيخبرنا بذلك وهذا كله على سبيل التعنت والا فما جاءهم به من المعجزات كاف لو وفقوا «لقد استكبروا» أي تكبروا «في أنفسهم» أي عظموا أنفسهم بسؤال

رؤية الله تعالى وهم ليسوا بأهل لها واللام في لقد جواب قسم محذوف «وعتوا» تجاوزوا الحد في الظلم ووصف بكبيرا مبالغة في افراطه أي لم يجسروا على هذا القول الا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو وجاء هنا عتوا على الاصل وفي مريم عتيا على استثقال اجتماع الواوين والقلب لمناسبة الفواصل قال ابن عباس عتوا كفروا وأشد الكفر وأفحشوا «يوم يرون الملائكة» يوم منصوب باذكر وهو أقرب أو بفعل يدل عليه «لا بشرى يومئذ للمجرمين» أي يمنعون البشرى ولا يعمل فيه لا بشرى لأنه مصدر ولأنه منفي بلا التي لنفي الجنس لانه لا يعمل مابعدها فيما قبلها ودخول لا على بشرى لانتفاء أنواع البشرى وهذا اليوم الظاهر أنه يوم القيامة لقوله بعد وقدمنا الى ماعملوا من عمل والظاهر عموم المجرمين فيندرج هؤلاء القائلون فيهم والظاهر ان الضمير في ويقولون عائد على القائلين لانهم المحدث عنهم كأنهم يطلبون نزول الملائكة ثم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لايلقونهم الا بما يكرهون فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولون عند لقاء العدو ونزول الشدة «حجرا محجورا» عوذا يستعيذون من الملائكة وقال أبو عبيدة هاتان اللفظتان عوذة للعرب يقولها من خاف آخر في الحرم أو في شهر حرام اذا لقيه وبينهما ترة «وقدمنا الى ماعملوا من عمل» القدوم الحقيقي مستحيل في حق الله تعالى فهو عبارة عن حكمه بذلك وانفاذه وقيل أو على حذف مضاف أي قدمت ملائكتنا أسند ذلك اليه لأنه عن أمره وحسنت لفظة قدمنا لأن القادم على شيء مكروه لم يقرره ولا أمر به مغير له ومذهب ومثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم بحال قوم خالفوا سلطانهم فقصد الى ماتحت أيديهم فخرقها بحيث لم يترك لها أثرا وفي أمثالهم أقل من الهباء ومنثورا صفة للهباء شبهه بالهباء لقلته وانه لاينتفع به ثم وصفه بمنثورا لأن الهباء تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب «خير مستقرا» المستقر مكان الاستقرار في أكثر الاوقات والمقيل المكان الذي يأوون اليه في الاسترواح الى الأزواج والتمتع ولا نوم في الجنة فسمي مكان استرواحهم الى الحور «مقيلا» على طريق التشبيه اذ المكان المتخير للقيلولة

وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا * قرأ أبو جعفر والأعرج وابن كثير وحفص يحشرهم ويقول بالياء فيهما * وقرأ الحسن وطلحة وابن عامر بالنون فيهما * وقرأ باقي السبعة نحشرهم بالنون

وفى فيقول بالياء * وقرأ الأعرج يحشرهم بكسر الشين * قال صاحب اللوامح فى كل القرآن وهو
القياس فى الأفعال المتعدية الثلاثية لان يفعل بضم العين قد يكون من اللازم الذى هو فعل بضمها
فى الماضى * وقال ابن عطية وهى قليلة فى الاستعمال قوية فى القياس لان يفعل بكسر العين فى
المتعدى أقيس من يفعل بضم العين انتهى وهذا ليس كما ذكر بل فعل المتعدى الصحيح جميع حروفه
اذا لم يكن للمبالغة ولا حلقى عين ولا لام فانه جاء على يفعل و يفعل كثيرا فان شهر أحد الاستعمالين اتبع
والا فالخيار حتى ان بعض أصحابنا خير فيهما سمعا للكلمة أولم يسمعا * ومايعبدون * قال الضحاك
وعكرمة الاصنام التى لا تعقل يقدرها الله على هذه المقالة من الجواب * وقال الكلبى يحيى الله
الأصنام يومئذ لتكذيب عابديها * وقال الجمهور من عبد ممن يعقل ممن لم يأمر بعبادته كالملائكة
وعيسى وعزير وهو الأظهر كقوله أأنتم أضللتم ومابعده من المحاورة التى ظاهرها انها لا تصدر
الامن العقلاء وجاء مايشبه ذلك منصوصا فى قوله ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وسؤاله تعالى وهو عالم بالمسؤل عنه ليجيبوا بما
أجابوا به فيبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فيزيد حسرتهم و يسر المؤمنون بحالهم ونجاتهم من فضيحة
أولئك وليكون حكاية ذلك فى القرآن لطفا للمكلفين وجاء الاستفهام مقدما فيه الاسم على الفعل
ولم يأت التركيب أأضللتم ولا أأضلوا لان كلا من الاضلال والضلال واقع والسؤال انما هو من فاعله
وتقدم نظير هذا فى أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم * وقال الزمخشرى وفيه كسر بين لقول من
يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتم أم ضلوا بأنفسهم
فيتبرؤن من ضلالهم و يستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على
هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا الرحمة التى حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر
ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا تبرأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الضلال
الذى هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منهم فهم لربهم الغنى العدل أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه
حين أضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى
الكفرة فشرحوا الاضلال المجازى الذى أسنده الله الى ذاته فى قوله يضل من يشاء ولو كان هو
المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم انتهى وهو على طريقة المعتزلة
والمعنى أأنتم أوقعتم هؤلاء وتسببتم لهم فى اضلالهم عن الحق أم ضلوا بأنفسهم عنه وضل أصله أن يتعدى
بعن كقوله من يضل عن سبيله ثم اتسع فحذف وأضله عن السبيل كما ان هدى يتعدى بالى ثم يحذف
و يضل مطاوع أضل كما تقول أقعدته فقعد * وسبحانك تنزيه لله تعالى أن يشرك معه فى العبادة أحد
أو يفرد بعبادة فانى لهم ان يقع منهم اضلال أحد وهم المنزهون المقدسون أو يكون أحد منهم ندا وهو
المنزه عن الند والنظير * وقال الزمخشرى سبحانك تعجب منهم مما قيل لأنهم ملائكة وأنبياء
معصومون فما أبعدهم عن الاضلال الذى هو مختص بابليس وحزبه انتهى * وقرأ علقمة ماينبغى
بسقوط كان وقراءة الجمهور بثبوتها أمكن فى المعنى لانهم أخبروا عن حال كانت فى الدنيا ووقت
الاخبار لاعمل فيه * وقرأ أبو عيسى الاسود القارى ينبغى لنا مبنيا للمفعول * وقال ابن خالويه
زعم سيبويه ان ينبغى لغة * وقرأ الجمهور أن نتخذ مبنيا للفاعل ومن أولياء مفعول على زيادة من
وحسن زيادتها انسحاب النفى على نتخذ لانه معمول لينبغى واذا انتفى الابتغاء لزم منه انتفاء متعلقه
وهو اتخاذ ولى من دون الله ونظيره مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل

يكون أطيب المواضع
وفى لفظ أحسن رمز الى
مايتزين به مقيلهم من حسن
الوجوه وملاحة الصور
الى غير ذلك من المحاسن

(الدر)

(ع) وقرأ الاعرج يحشرهم
بكسر الشين وهى قليلة
فى الاستعمال قوية فى
القياس لان يفعل بكسر
العين فى المتعدى أقيس
من يفعل بضم العين (ح)
هذا ليس كما ذكر بل
فعل المتعدى الصحيح جميع
حروفه اذا لم يكن للمبالغة
ولا حلقى عين ولا لام فانه
جاء على يفعل و يفعل كثيرا
فان شهر أحد الاستعمالين
اتبع والا فالخيار حتى ان
بعض أصحابنا خير فيهما
سمعا للكلمة أولم يسمعا

عليكم من خير أي خير والمعنى ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحداً دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك * وقال أبو مسلم ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين نريد الكفر فنتولى الكفار قال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت * وقرأ أبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء ونصر بن علقمة وزيد بن علي وأخوه الباقر ومكحول والحسن وأبو جعفر وحفص بن عبيد والنخعي والسلمي وشيبة وأبو بشر والزعفراني أن نتخذ مبنيا للمفعول واتخذ مما يتعدى تارة لواحد كقوله أم اتخذوا آلهة من الارض وعليه قراءة الجمهور وتارة الى اثنين كقوله أفرأيت من اتخذ إلهه هواه فقيل هذه القراءة منه فالاول الضمير في نتخذ والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء وهذا قول الزمخشري * وقال ابن عطية ويضعف هذه القراءة دخول من في قوله من أولياء اعترض بذلك سعيد بن جبير وغيره * وقال أبو الفتح من أولياء في موضع الحال ودخلت من زيادة لمكان النفي المتقدم كما تقول ما اتخذت زيدا من وكيل * وقيل من أولياء هو الثاني على زيادة من وهذا لا يجوز عند أكثر النحويين انما يجوز دخولها زائدة على المفعول الأول بشرطه * وقرأ الحجاج أن نتخذ من دونك أولياء فبلغ عاصما فقال مقت المخدج أو ما علم ان فيها من ولما تضمن قولهم ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء انا لم نضلهم ولم نحملهم على الامتناع من الايمان صلح أن يستدرك بلكن والمعنى لكن أكثرت عليهم وعلى آبائهم النعم وأطلت أعمارهم وكان يجب عليهم شكرها والايمان بما جاءت به الرسل فكان ذلك سببا للاعراض عن ذكر الله * قيل ولكن متعتهم كالرمز الى ما صرح به موسى من قوله ان هي الا فتنتك أي أنت الذى أعطيتهم مطالبهم من الدنيا حتى صاروا غرقى في بحر الشهوات فكان صارفا لهم عن التوجه الى طاعتك والاشتغال بخدمتك والذكر ما ذكر به الناس على ألسنة الأنبياء أو الكتب المنزلة أو القرآن * والبور قيل مصدر يوصف به الواحد والجمع * وقيل جمع بائر كعائذ وعوذ * قال معناه هلكى * وقيل فسدى وهي لغة الأزدية ويقولون أمر بائر أي فاسد وبارت البضاعة فسدت * وقال الحسن لا خير فيهم من قولهم أرض بور أي معطلة لا نبات فيها * وقيل بورا عميا عن الحق * فقد كذبوكم هذا من قول الله بلا خلاف وهي مفاجأة فالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وهو على اضمار القول كقوله يا أهل الكتاب الى قوله فقد جاءكم أي فقلنا قد جاءكم * وقول الشاعر

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

أي فقلنا قد جئنا وكذلك هذا أي فقلنا قد كذبوكم فان كان المجيب الاصنام فالخطاب للكفار أي قد كذبتكم معبوداتكم من الاصنام بقولهم ما كان ينبغي لنا وان كان الخطاب للمعبودين من العقلاء عيسى والملائكة وعزير عليهم السلام وهو الظاهر لتناسق الخطاب مع قوله أأنتم أضللتم أي كذبكم المعبودون * بما تقولون أي بقولهم انكم أضللتموهم وزعمهم انكم أولياؤهم من دون الله ومن قرأ بما تقولون بتاء الخطاب فالمعنى فيما تقولون أي سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء * وقيل الخطاب للكفار العابدين أي كذبكم المعبودون بما تقولون من الجواب * سبحانك ما كان ينبغي لنا أو فيما تقولون أنتم من الافتراء عليهم خوطبوا على جهة التوبيخ والتقريع * وقيل هو خطاب للمؤمنين في الدنيا أي قد كذبكم أيها المؤمنون الكفار في الدنيا فيما تقولونه من التوحيد والشرع * وقرأ الجمهور بما تقولون بالتاء من فوق وأبو حيوة وابن الصلت عن قنبل بالياء من تحت * وقرأ حفص وأبو حيوة والاعمش وطلحة فما تستطيعون بتاء الخطاب ويؤيد هذه القراءة

أن الخطاب في كذبوكم للكفار العابدين وذكر عن ابن كثير وأبي بكر انهما قرآ بما يقولون فما يستطيعون بالياء فيهما أي هم * صرفا أي صرف العذاب أوتوبة أوحيلة من قولهم انه ليتصرف أي يحتال هذا ان كان الخطاب في كذبوكم للكفار فالتاء جارية على ذلك والياء التفات وان كان للمعبودين فالتاء التفات والياء جارية على ضمير كذبوكم المرفوع وان كان الخطاب للمؤمنين أمة الرسول عليه السلام في قوله فقد كذبوكم فالمعنى أنهم شديدو الشكيمة في التكذيب فما تستطيعون أنتم صرفهم عماهم عليه من ذلك وبالياء فما يستطيعون صرفا لأنفسهم عماهم عليه أوما يستطيعون صرفكم عن الحق الذي أنتم عليه * ولانصرا لأنفسهم من البلاء الذي استوجبوه بتكذيبهم * ومن يظلم منكم الظاهر انه عام * وقيل خطاب للمؤمنين * وقيل خطاب للكافرين * والظلم هنا الشرك قاله ابن عباس والحسن وابن جريج ويحتمل دخول المعاصي غير الشرك في الظلم * وقال الزمخشري العذاب الكبير لاحق لكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون انتهى وفيه دسيسة الاعتزال * وقرئ يذقه بياء الغيبة أي الله وهو الظاهر * وقيل هو أي الظلم وهو المصدر المفهوم من قوله يظلم أي يذقه الظلم ولما تقدم الطعن على الرسول بأكل الطعام والمشي في الاسواق أخبر تعالى أنها عادة مستمرة في كل رسالة ومفعول أرسلنا عند الزجاج والزمخشري ومن تبعهما محذوف تقديره أحدا وقدره ابن عطية رجالا أورسلا وعاد الضمير في انهم على ذلك المحذوف كقوله ومامنا الاله مقام أي ومامنا أحد والجملة عند هؤلاء صفة أعني قوله الاانهم كأنه قال الا آكلين وماشين وعند الفراء المفعول محذوف وهو موصول مقدر بعد الا أي الامن * انهم والضمير عائد على من على معناها فيكون استثناء مفرغا وقيل انهم قبله قول محذوف أي الاقيل انهم وهذان القولان مرجوحان في العربية * وقال ابن الانباري التقدير الاوانهم يعني ان الجملة حالية وهذا هو المختار وقد رد على من قال ان مابعد الا قد يجيء صفة واماحذف الموصول فضعيف وقد ذهب الى حكاية الحال أيضا أبو البقاء قال وقيل لولم تكن اللام لكسرت لأن الجملة حالية إذ المعنى الاوهم يأكلون * وقرئ انهم بالفتح على زيادة اللام وان مصدرية التقدير الاانهم يأكلون أي ماجعلناهم رسلا الى الناس الالكونهم مثلهم * وقرأ الجمهور ويمشون مضارع مشى خفيفا * وقرأ علي وابن مسعود وعبد الرحمن بن عبد الله يمشون مشددا مبنيا للمفعول أي يمشيهم حوائجهم والناس قال الزمخشري ولوقرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية انتهى وقد قرأ كذلك أبو عبد الرحمن السلمي مشددا مبنيا للفاعل وهي بمعنى يمشون قراءة الجمهور * قال الشاعر

ومشى بأعطان المباءة وابتغى * قلائص منها صعبة وركوب

* وجعلنا بعضكم * قال ابن عطية هو عام للمؤمن والكافر فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير والفقير الشاكر فتنة للغني والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس الكفار في عصره وكذلك العلماء وحكام العدل وقد تلا ابن القاسم هذه الآية حين رأى أشهب انتهى وروى قريب من هذا عن ابن عباس والحسن * قال ابن عطية والتوقيف بأتصبرون خاص للمؤمنين المحقين فهو لأمة محمد صلى الله عليه وسلم كأنه جعل امهال الكفار فتنة للمؤمنين أي اختبارا ثم وقفهم * هل تصبرون أم لا ثم أعرب قوله وكان ربك بصيرا عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين * وقال الزمخشري فتنة أي محنة وبلاء وهذا تصبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقالوه واستبعدوه

(الدر)

(ش) ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية (ح قد قرأ بذلك أبو عبد الرحمن السلمي مشددا مبنيا للفاعل وهو بمعنى يمشون قراءة الجمهور قال الشاعر

* ومشى بأعطان المباءة وابتغى
قلائص منها صعبة وركوب *

من أكله الطعام ومشيه فى الاسواق بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول جرت عادتى وموجب حكمتى على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا الآية وموقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء فى قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا * بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلى به وبغيره فلا يضيقن صدرك ولا تستخفنك أقاويلهم فان فى صبرك عليهم سعادة وفوزك فى الدارين * وقيل هو تسلية عما عيروه به من الفقر حين قالوا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل تصبرون وانها حكمته ومشيئته يغنى من يشاء ويفقر من يشاء * وقيل جعلناك فتنة لهم لأنك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنات لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا وانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك منهم خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوى * وقيل كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل ومن فى طبقتهم يقولون ان أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان فرفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض انتهى وفيه تكثير وهذا القول الاخير قول الكلبى والفراء والزجاج والأولى ان قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة يشمل معانى هذه الالفاظ كلها لأن بين الجميع قدرا مشتركا * وقيل فى قوله أتصبرون انه استفهام بمعنى الامر أى اصبروا والظاهر حمل الرجاء على المشهور من استعماله والمعنى لا يأملون لقاءنا بالخير وثوابنا على الطاعة لتكذيبهم بالبعث لكفرهم بما جئت به * وقال أبو عبيدة وقوم معناه لا يخافون * وقال الفراء لا يرجون نشورا لا يخافون وهذه الكلمة تهامية وهى أيضا من لغة هذيل اذا كان مع الرجاء جحد ذهبوا به الى معنى الخوف فتقول فلان لا يرجو ربه يريدون لا يخاف ربه ومن ذلك ما لكم لا ترجون لله وقارا أى لا تخافون لله عظمة واذا قالوا فلان يرجو ربه فهذا معنى الرجاء لا على الخوف * وقال الشاعر

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وحالفها فى بيت نوب عوامل

﴿ وقال آخر ﴾

لا ترتجى حين تلاقى الذائدا * أسبعة لاقت معا أم واحدا

انتهى ومن لازم الرجاء للثواب الخوف من العقاب ومن كان مكذبا بالبعث لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ومن تأول لم يرج لسعها على معنى لم يرج دفعها ولا الانفكاك عنها فهو لذلك يوطن على الصبر ويجد فى شغله فتأويله ممكن لكن الفراء وغيره نقلوا ذلك لغة لهذيل فى النفى والشاعر هذلى فينبغى أن لا يتكلف للتأويل وان يحمل على لغته * لولا أنزل علينا الملائكة فتخبرنا انك رسول حقا * أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك قاله ابن جريج وغيره وهذه كما قالت اليهود لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وكقولهم أعنى المشركين أو تأتى بالله والملائكة قبيلا وهذا كله فى سبيل التعنت والا فما جاءهم به من المعجزات كاف لو وفقوا * لقد استكبروا أى تكبروا فى أنفسهم أى عظموا أنفسهم بسؤال رؤية الله وهم ليسوا بأهل لها والمعنى أن سؤال ذلك انما هو لما أضمروا فى أنفسهم من الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد الكامن فى قلوبهم الظاهر عنه ما لا يقع لهم كما قال ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه واللام فى لقد جواب قسم محذوف وعتوا تجاوزوا الحد فى الظلم ووصفه بكبير مبالغة فى افراطه أى لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو وجاء هنا

عتوا على الاصل وفى مريم عتيا على استثقال اجتماع الواوين والقلب لمناسبة الفواصل * قال ابن عباس عتوا كفر وأشد الكفر وأفحشوا * وقال عكرمة تجبروا * وقال ابن سلام عصوا * وقال ابن عيسى أسرفوا * قال الزمخشرى هذه الجملة فى حسن استيفائها غاية فى أسلوبها * ونحوه قول القائل

وجارة جساس أبأنا بنابها * كليبا غلت ناب كليب بواؤها

فى نحو هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب ألا ترى ان المعنى ما أشد استكبارهم وما أكثر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب * يوم يرون الملائكة يوم منصوب باذكر وهو أقرب أو بفعل يدل عليه لا بشرى أى يمنعون البشرى ولا يعمل فيه لا بشرى لأنه مصدر ولأنه منفى بلا التى لنفى الجنس لأنه لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وكذا الداخلة على الاسماء عاملة عمل ليس ودخول لا على بشرى لانتفاء أنواع البشرى وهذا اليوم الظاهر انه يوم القيامة لقوله بعد وقدمنا الى ما عملوا * وعن ابن عباس عند الموت والمعنى ان هؤلاء الذين اقترحوا نزول الملائكة لا يعرفون ما يكون لهم اذا رأوهم من الشر وانتفاء البشارة وحصول الخسار والمكروه واحتمل بشرى أن يكون مبنيا مع لا واحتمل أن يكون فى نية التنوين منصوب اللفظ ومنع من الصرف للتأنيث اللازم فان كان مبنيا مع لا احتمل أن يكون الخبر يومئذ وللمجرمين خبر بعد خبر أو نعت لبشرى أو متعلق بما تعلق به الخبر وان يكون يومئذ صفة لبشرى والخبر للمجرمين ويجىء خلاف سيبويه والاخفش هل الخبر لنفس لا أو الخبر للمبتدأ الذى هو مجموع لا ومابنى معها وان كان فى نية التنوين وهو معرب جاز أن يكون يومئذ معمولا لبشرى وأن يكون صفة والخبر من الخبر وأجاز أن يكون يومئذ وللمجرمين خبر وجاز أن يكون يومئذ خبرا وللمجرمين صفة والخبر اذا كان الاسم ليس مبنيا النفس لا باجماع * وقال الزمخشرى ويومئذ للتكرير وتبعه أبو البقاء ولا يجوز أن يكون تكريرا سواء أريد به التوكيد اللفظى أم أريد به البدل لأن يوم منصوب بما تقدم ذكره من اذكر أو من يعدمون البشرى وما بعد لا العاملة فى الاسم لا يعمل فيه ما قبلها وعلى تقديره يكون العامل فيه ما قبل الا والظاهر عموم المجرمين فيندرج هؤلاء القائلون فيهم * قيل ويجوز أن يكون من وضع الظاهر موضع الضمير والظاهر أن الضمير فى ويقولون عائد على القائلين لأن المحدث عنهم كانوا يطلبون نزول الملائكة ثم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم الا بما يكرهون فقالوا عندرؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو ونزول الشدة وقال معناه مجاهد قال حجرا عوذا يستعيذون من الملائكة * وقال مجاهد وابن جريج كانت العرب اذا كرهت شيأ قالوا حجرا * وقال أبو عبيدة هاتان اللفظتان عوذة للعربية ولهما من خاف آخر فى الحرم أو فى شهر حرام اذا لقيه وبينهما ترة انتهى * ومنه قول المتلمس

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها * حجر حرام ألا تلك الدهاليس

أى هذا الذى حننت اليه هو ممنوع وذكر سيبويه حجرا فى المصادر المنصوبة غير المتصرفة * وقال بعض الرجاز

قالت وفيها حيرة وذعر * عوذ بربى منكم وحجر

وأنه واجب اضمار ناصبها * قال سيبويه ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا فيقول حجرا وهى من حجره اذا منعه لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه لا يلحقه * وقرأ أبو رجاء والحسن

(الدر)

ش) ويومئذ للتكرير انتهى (ح) تبعه أبو البقاء فى ذلك ولا يجوز أن يكون تكريرا سواء أريد به التوكيد اللفظى أم أريد به البدل لان يوم منصوب بما تقدم ذكره من اذكر أو من يعدمون البشرى وما بعد لا العاملة فى الاسم لا يعمل فيه ما قبلها وعلى تقديره يكون العامل فيه ما قبل لا

﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ الظاهر ان السماء هي المظلة لنا والباء باء الحال أي متغيمة أو باء السبب أي بسبب طلوع الغمام منه كانه الذي ينشق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة ﴿ونزل الملائكة﴾ أي الى الارض لوقوع الجزاء والحساب والحق صفة للملك أي الثابت لأن كل ملك يومئذ يبطل ولا يبقى الا ملكه * وخبر ﴿الملك يومئذ﴾ وللرحمن متعلق بالحق أو للبيان أي أعني للرحمن وعسر ذلك اليوم على الكافرين بدخولهم النار وما في خلال ذلك من المخاوف ودل قوله على الكافرين على تيسيره على المؤمنين ففي الحديث انه يهون حتى يكون على المؤمن (٤٩٣) أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ قيل سبب نزولها هو عقبة وأبي وقيل كان عقبة خليلا لامية فاسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد لرضا أمية فنزلت وذكر من اساءة عقبة الى الرسول ما كان سببا ان قال له الرسول عليه الصلاة والسلام لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا أمر عليا فضرب عنقه وقتل أبي بن خلف يوم أحد في المبارزة والمقصود ذكر هول يوم القيامة بتندم الظالم وتمنيه انه لم يكن أطاع خليله الذي كان يأمره بالظلم وما من ظالم الا وله في الغالب خليل خاص به يعبر عنه بفلان وفلان كناية عن اسم علم لمن يعقل كما ان فل كناية عن نكرة من يعقل تقول يا فل معناه يا رجل والظاهر أن الظالم يعض يديه فعل النادم المتفجع والذكر ذكر الله أو القرآن أو الموعظة والظاهر حمل الشيطان على ظاهره لانه هو الذي وسوس اليه في مخالة من أضله أو يريد خليله الذي أضله سماه شيطانا لأنه أضل كما أضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة والظاهر أن هذه الجملة من تمام كلام الظالم والظاهر ان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه واخباره بهجر قومه قريش القرآن هو مما جرى له في الدنيا بدليل اقبائه عليه مسليا ومواسيا بقوله وكذلك جعلنا وانه هو الكافي في هدايته ونصره فهو وعد منه بالنصر وهذا القول من الرسول وشكايته فيه تخويف لقومه والظاهر أن مهجورا مفعول أي متروكا من الايمان به مبعدا مقصيا في الهجر * وانتصب هاديا ونصيرا على التمييز وقالوا أي الكفار على سبيل

والضحاك حجرا بضم الحاء * وقيل الضمير في ويقولون عائد على الملائكة أي تقول الملائكة للمجرمين حجرا محجورا عليكم البشرى ومحجورا صفة تؤكد معنى حجرا كما قالوا موت مائت وذيل ذائل والقدوم الحقيقي مستحيل في حق الله تعالى فهو عبارة عن حكمه بذلك وانفاذه * قيل أو على حذف مضاف أي قدمت ملائكتنا وأسند ذلك اليه لأنه عن أمره وحسنت لفظة قدمنا لأن القادم على شئ مكروه لم يقرره ولا أمر به مغير له ومذهب مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم بحال قوم خالفوا سلطانهم فقصد الى ما تحت أيديهم فمزقها بحيث لم يترك لها أثرا وفي أمثالهم أقل من الهباء ومنثورا صفة للهباء شبهه بالهباء لقلته وأنه لا ينتفع به ثم وصفه بمنثورا لأن الهباء تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب * وقال الزمخشري أو جعله يعني منثورا مفعولا ثالثا لجعلناه أي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أي جامعين للمسخ والخسء انتهى وخالف ابن درستويه فخالف النحويين في منعه أن يكون لكان خبران وأزيد وقياس قوله في جعل أن يمنع أن يكون لها خبر ثالث * وقال ابن عباس الهباء المنثور ما تسفي به الرياح وتبثه وعنه أيضا الهباء الماء المهراق والمستقر مكان الاستقرار في أكثر الاوقات والمقيل المكان الذي يأوون اليه في الاسترواح الى الازواج والتمتع ولا نوم في الجنة فسمي مكان استرواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه اذ المكان المتخير للقيلولة يكون أطيب المواضع وفي لفظ أحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين * وخير قيل ليست على بابها من استعمالها دالة على الأفضلية فيلزم من ذلك خير في مستقر أهل النار ويمكن ابقاؤها على بابها ويكون التفضيل وقع بين المستقرين والمقيلين باعتبار الزمان الواقع ذلك فيه فالمعنى خير مستقرا في الآخرة من الكفار المترفين في الدنيا وأحسن مقيلا في الآخرة من أولئك في الدنيا * وقيل خير مستقرا منهم لو كان لهم مستقر فيكون التقدير وجود مستقر لهم فيه خير * وعن ابن مسعود وابن عباس والنخعي وابن جريج وابن جبير ومقاتل ان الحساب يكمل في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا ويقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن

الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ﴾ قرأ الحرميان وابن عامر تشقق بادغام التاء من تتشقق فى الشين هنا وفى ق وباقى السبعة بحذف تلك التاء ويعنى يوم القيامة كقوله السماء منفطر به * وقرأ الجمهور ونزل ماضيا مشددا مبنيا للمفعول وابن مسعود وأبو رجاء ونزل ماضيا مبنيا للفاعل وعنه أيضا وأنزل مبنيا للفاعل وجاء مصدره تنزيلا وقياسه انزالا الا أنه لما كان معنى أنزل ونزل واحدا جاز مجىء مصدر أحدهما للآخر كما قال الشاعر * حتى تطويت انطواء الخصب * كأنه قال حتى انطويت * وقرأ الأعمش وعبد الله فى نقل ابن عطية وأنزل ماضيا رباعيا مبنيا للمفعول مضارعه ينزل * وقرأ جناح بن حبيش والخفاف عن أبى عمرو ونزل ثلاثيا مخففا مبنيا للفاعل وهارون عن أبى عمرو وتنزل بالتاء من فوق مضارع نزل مشددا مبنيا للفاعل وأبو معاذ وخارجة عن أبى عمرو ونزل الملائكة بضم النون وشد الزاى أسقط النون من وننزل وفى بعض المصاحف وننزل بالنون مضارع نزل مشددا مبنيا للفاعل ونسبها ابن عطية لابن كثير وحده قال وهى قراءة أهل مكة ورويت عن أبى عمرو وعن أبى أيضا وتنزلت * وقرأ أبى ونزلت ماضيا مشددا مبنيا للمفعول بتاء التأنيث * وقال صاحب اللوامح عن الخفاف عن أبى عمرو ونزل مخففا مبنيا للمفعول الملائكة رفعا فان صحت القراءة فانه حذف منها المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وتقديره ونزل نزول الملائكة فحذف النزول ونقل اعرابه الى الملائكة بمعنى نزل نازل الملائكة لان المصدر يكون بمعنى الاسم وهذا مما يجىء على مذهب سيبويه فى ترتيب اللازم للمفعول به لان الفعل يدل على مصدره انتهى * وقال أبو الفتح وهذا غير معروف لان نزل لا يتعدى الى مفعول فيبنى هنا للملائكة ووجهه أن يكون مثل زكم الرجل وجن فانه لا يقال الا أزكمه الله وأجنه وهذا باب سماع لا قياس انتهى فهذه احدى عشرة قراءة والظاهر أن الغمام هو السحاب المعهود * وقيل هو الذى فى قوله فى ظلل من الغمام * وقال ابن جريج الغمام الذى يأتى الله فيه فى الجنة زعموا * وقال الحسن سترة بين السماء والارض تعرج الملائكة فيه تنسخ أعمال بنى آدم ليحاسبوا * وقيل غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن لبنى اسرائيل فى تيههم والظاهر ان السماء هى المظلة لنا * وقيل تتشقق سماء سماء قاله مقاتل والباء باء الحال أى متغيمة أو باء السبب أى بسبب طلوع الغمام منه كأنه الذى تتشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به أو بمعنى عن أقوال ثلاثة والفرق بين الباء السببية وعن ان انشق عن

الافتراح والاعتراض الدال على نفورهم عن الحق قال الزمخشرى نزل هاهنا بمعنى أنزل لاغير كخبر بمعنى أخبر والا كان متدافعا انتهى وانما قال ان نزل بمعنى أنزل لان نزل عنده أصلها أن تكون للتفريق فلو أقره على أصله عنده من الدلالة على التفريق تدافع هو وقوله جملة واحدة وقد قررنا ان نزل لا يقتضى التفريق لان التضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة وقد بينا ذلك فى أول آل عمران وقائل ذلك كفار قريش قالوا لو كان هذا من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والانجيل وقيل قائلو ذلك اليهود * والكاف فى ﴿ كذلك ﴾ للتشبيه وذلك اشارة الى تنزيله مفرقا و﴿ لنثبت ﴾ متعلق بنزلناه المحذوفة ﴿ ورتلناه ﴾ أى فصلناه ﴿ ولا يأتونك بمثل ﴾ يضربونه على جهة المعارضة منهم كتمثيلهم فى هذه بالتوراة والانجيل الا جاء القرآن بالحق فى ذلك ثم هو أوضح بيانا وتفصيلا ﴿ الذين يحشرون على وجوههم ﴾ الظاهر أنهم لما اعترضوا فى حديث القرآن وانزاله مفرقا كان فى ضمن كلامهم انهم ذو رشد وخير وانهم على طريق مستقيم ولذلك اعترضوا فاخبر تعالى بحالهم وما يؤول اليه أمرهم فى الآخرة بكونهم شر مكانا وأضل سبيلا والظاهر أنه يحشر الكافر على وجهه بان يسحب على وجهه وفى الحديث ان الذى أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم وقيل هو مجاز للذلة المفرطة والهوان والخزى وأعربوا الذين مبتدأ والجملة من أولئك فى موضع الخبر ويجوز عندى أن يكون الذين خبر مبتدأ محذوف لما تقدم ذكر الكافرين وما قالوا قال ابعادا لهم وتسميعا بما يؤول اليه حالهم هم الذين يحشرون ثم استأنف اخبارا آخر عنهم فقال أولئك شر مكانا

كذا تفتح عنه وانشق بكذا انه هو الشاق له * ونزل الملائكة أي الى الأرض لوقوع الجزاء والحساب * والحق صفة للملك أي الثابت لان كل ملك يومئذ يبطل ولا يبقى الا ملكه تعالى وخبر الملك يومئذ * والرحمن متعلق بالحق أو للبيان أعني للرحمن * وقيل الخبر للرحمن و يومئذ معمول للملك * وقيل الخبر الحق وللرحمن متعلق به أو للبيان وعسر ذلك اليوم على الكافرين بدخولهم النار وما في خلال ذلك من المخاوف ودل قوله على الكافرين على تيسيره على المؤمنين ففي الحديث انه يهون حتى يكون على المؤمن أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا والظاهر عموم الظالم إذ اللام فيه للجنس قاله مجاهد وأبو رجاء وقالا فلان هو كناية عن الشيطان * وقال ابن عباس و جماعة الظالم هنا عقبة بن أبي معيط اذ كان جنح الى الاسلام وأبي بن خلف هو المكنى عنه بفلان وكان بينهما مخالة فنهاه عن الاسلام فقبل منه * وعن ابن عباس أيضا عكس هذا القول * قيل وسبب نزولها هو عقبة وأبي * وقيل كان عقبة خليلا لأمية فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد لرضا أمية فنزلت قاله الشعبي وذكر من اساءة عقبة على الرسول ما كان سبب أن قال له الرسول عليه السلام لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا أمر عليا فضرب عنقه وقتل أبي بن خلف يوم أحد في المبارزة والمقصود ذكر هول يوم القيامة بتندم الظالم وتمنيه انه لم يكن أطاع خليله الذي كان يأمره بالظلم وما من ظالم إلا وله في الغالب خليل خاص به يعبر عنه بفلان والظاهر ان الظالم يعض على يديه فعل النادم المتفجع * وقال الضحاك يأكل يديه الى المرفق ثم تنبت ولا يزال كذلك كلما أكلها نبتت * وقيل هو مجاز عبر به عن التحير والغم والندم والتفجع ونقل أئمة اللغة ان المتأسف المتحزن المتندم يعض على ابهامه ندما وقال الشاعر

لطمت خدها بحمر لطاف * نلن منها عذاب بيض عذاب
فتشكى العناب نور اقاح * واشتكى الورد ناضر العناب

وفي المثل يأكل يديه ندما و يسيل دمعه دما * وقال الزمخشري عض الأنامل واليدين والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الاسنان والارم وفروعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فتذكر الرادفة و يدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة و يجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه انتهى * وقال الشاعر في حرق الناب

أبى الضيم والنعمان يحرق نابه * عليه فأفضى والسيوف معاقله

* يقول في موضع الحال أي قائلا ياليتني فان كانت اللام للعهد فالمعنى انه تمنى عقبة ان لو صحب النبي صلى الله عليه وسلم وسلك طريق الحق وان كانت اللام للجنس فالمعنى انه تمنى سلوك طريق الرسول وهو الايمان و يكون الرسول للجنس لان كل ظالم قد كلف اتباع ما جاء به رسول من الله الى ان جاءت الملة المحمدية فنسخت جميع الملل فلا يقبل بعد مجيئه دين غير الذي جاء به ثم ينادي بالويل والحسرة يقول ياويلتى أي ياهلكاه كقوله ياحسرتى على ما فرطت في جنب الله * وقرأ الحسن وابن قطيب ياويلتي بكسر التاء والياء ياء الاضافة وهو الأصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا أوانك * وقرأت فرقة بالامالة * قال أبو علي وترك الامالة أحسن لان هذه اللفظة الياء فبدلت الكسرة فتحة والياء ألفا فرارا من الياء فمن أمال رجع الى الذي عنه فر أولا وفلان كناية

(الدر)

(ح) فلان كناية عن
العلم وهو منصرف
وفل كناية عن نكرة
الانسان نحو يارجل
وهو مختص بالنداء وفل
بمعنى ياامرأة كذلك ولا
فل ياء أو واو وليس مرخم
من فلان خلافا للفراء
و وهم ابن عصفور وابن
مالك وصاحب البسيط في
قولهم فل كناية عن العلم
كفلان في كتاب سيبويه
ماقلناه بالنقل عن العرب

عن العلم وهو متصرف وفل كناية عن نكرة الانسان نحو يارجل وهو مختص بالنداء وفلة بمعنى يا امرأة كذلك ولام فل ياء أو واو وليس مرخما من فلان خلافا للفراء وهم ابن عصفور وابن مالك وصاحب البسيط فى قولهم فل كناية عن العلم كفلان وفى كتاب سيبويه ماقلناه بالنقل عن العرب * والذكر ذكر الله أو القرآن أو الموعظة والظاهر حمل الشيطان على ظاهره لانه هو الذى وسوس اليه فى مخالة من أضله سماه شيطانا لانه يضل كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة وتحتمل هذه الجملة أن تكون من تمام كلام الظالم و يحتمل أن تكون اخبارا من كلام الله على جهة الدلالة على وجه ضلالهم والتحذير من الشيطان الذى بلغهم ذلك المبلغ * وفى الحديث الصحيح تمثيل الجليس الصالح بالمسك والجليس السوء بنافخ الكير والظاهر أن دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه واخباره بهجر قومه قريش القرآن هو مما جرى له فى الدنيا بدليل إقباله عليه مسليا مؤانسا بقوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وانه هو الكافى فى هدايته ونصره فهو وعد منه بالنصر وهذا القول من الرسول وشكايته فيه تخويف لقومه * وقالت فرقة منهم أبو مسلم انه قوله عليه السلام فى الآخرة كقوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والظاهر ان مهجورا بمعنى متروكا من الايمان به مبعدا مقصيا من الهجر بفتح الهاء وقاله مجاهد والنخعى وأتباعه * وقيل من الهجر والتقدير مهجورا فيه بمعنى انه باطل * وأساطير الأولين انهم اذا سمعوه هجروا فيه كقوله وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه * قال الزمخشرى و يجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمحلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز أن يكون واحدا وجمعا انتهى * وانتصب هاديا ونصيرا على الحال أو على التمييز * وقالوا أى الكفار على سبيل الاقتراح والاعتراض الدال على نفورهم عن الحق * قال الزمخشرى نزل ههنا بمعنى أنزل لاغير كخبر بمعنى أخبر والا كان متدافعا انتهى وانما قال ان نزل بمعنى أنزل لان نزل عنده أصلها أن تكون للتفريق فلو أقره على أصله عنده من الدلالة على التفريق تدافع هو * وقوله جملة واحدة وقد قررنا ان نزل لاتقتضى التفريق لان التضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة وقد بينا ذلك فى أول آل عمران وقائل ذلك كفار قريش قالوا لو كان هذا من عند الله لنزل جملة كما نزلت التوراة والانجيل * وقيل قائلو ذلك اليهود وهذا قول لاطائل تحته لان أمر الاحتجاج به والاعجاز لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقا بل الاعجاز فى نزوله مفرقا أظهر اذ يطالبون بمعارضة سورة منه فلو نزل جملة واحدة وطولبوا بمعارضته مثل مانزل لكانوا أعجز منهم حين طولبوا بمعارضة سورة منه فعجزوا والمشار اليه غير مذكور * فقيل هو من كلام الكفار وأشاروا الى التوراة والانجيل أى تنزيلا مثل تنزيل تلك الكتب الالهية جملة واحدة و يبقى لنثبت به فؤادك تعليلا لمحذوف أى فرقناه فى أوقات لنثبت به فؤادك * وقيل هو مستأنف من كلام الله تعالى لامن كلامهم ولما تضمن كلامهم معنى لم أنزل مفرقا أشير بقوله كذلك الى التفريق أى كذلك أنزل مفرقا * قال الزمخشرى والحكمة فيه أن نقوى بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شىء وجزأ عقيب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لكان يعيا فى حفظه والرسول عليه السلام فارقت حاله حال داود وموسى وعيسى عليهم السلام حيث كان أميا لا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجما فى عشرين سنة * وقيل فى ثلاث وعشرين سنة وأيضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجواب السائلين ولان

(الدر)

(ش) نزل هاهنا بمعنى أنزل لاغير كخبر بمعنى أخبر والا كان متدافعا (ح) انما قال ان نزل بمعنى أنزل لان نزل عنده أصلها أن تكون للتفريق فلو أقره على أصله عنده من الدلالة على التفريق تدافع هو وقوله جملة واحدة وقد قررنا ان نزل لاتقتضى التفريق لان التضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة وقد بينا ذلك فى أول آل عمران

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ الآية لما تقدم تكذيب قريش والكفار لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر تعالى ما فيه تسلية له عليه الصلاة والسلام وإرهاب للمكذبين وتذكير أن يصيبهم ما أصاب الأمم السالفة لما كذبوا رسلهم فناسب أولاً أن ذكر من نزل عليه كتابه جملة واحدة ومع ذلك كفروا وكذبوا به (٤٩٧) فكذلك هؤلاء لو نزل عليه القرآن جملة واحدة لكفروا وكذبوا كما كذب قوم موسى * الكتاب هنا التوراة * وهرون بدل أو عطف بيان * ووزيرا مفعول ثان لجعلناه والمذهوب إليهم القبط وفرعون وفي الكلام حذف تقديره ذهبا وأديا الرسالة فكذبوهما فدمرناهم والتدمير أشد الإهلاك ﴿وقوم نوح﴾ هو منصوب بإضمار فعل تقديره وأهلكنا قوم نوح أو معطوف على ضمير النصب في دمرناهم وأجازوا أن يكون منصوبا على الاشتغال أي وأغرقنا قوم نوح وهو قد يجوز لأن لما إن كانت ظرفا كما زعم بعضهم بمعنى حين فالجملة بعدها في موضع جر والناصب لما أغرقناهم وإن كانت حرف وجوب لوجوب وهو الصحيح كان أغرقناهم جوابا لما وهو لا يجوز أن يفسر وذلك إشارة إلى أولئك المتقدمي الذكر فلذلك حسن دخول بين عليه من غير أن يعطف عليه شيء كأنه قيل بين المذكورين وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك * وانتصب كلا الأول على الاشتغال أي وأنذرنا كلا أو حذرنا كلا والثاني على أنه مفعول بتبرنا لأنه لم يأخذ مفعولا ومعنى ضرب الأمثال أي بين لهم القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أدى إليه تكذيبهم بأنبيائهم من عذاب الله تعالى وتدميره إياهم والضمير في ولقد أتوا لقريش كانوا يمرون على سدوم من قرى لوط عليه السلام وتقدم الكلام عليها * ومطر السوء الحجارة التي أمطرت عليهم من السماء فهلكوا

بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا انتهى * واللام في لنثبت به لام العلة * وقال أبو حاتم هي لام القسم والتقدير والله ليثبتن فحذفت النون وكسرت اللام انتهى وهذا قول في غاية الضعف وكان ينحو إلى مذهب الأخفش أن جواب القسم يتلقى بلام كي وجعل منه ولتصغى إليه أفئدة وهو مذهب مرجوح * وقرأ عبد الله ليثبت بالياء أي ليثبت الله ورتلناه أي فصلناه * وقيل بيناه * وقيل فسرناه * ولا يأتونك بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم كتمثيلهم في هذه بالتوراة والانجيل إلا جاء القرآن بالحق في ذلك ثم هو أوضح بيانا وتفصيلا * وقال الزمخشري ولا يأتونك بمثل بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطلان إلا أتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا أو ولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو أن يقرن بك ملك ينذر معك أو يلقى إليك كنز أو تكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن نعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته انتهى * وقيل ولا يأتونك بشبهة في إبطال أمرك إلا جئناك بالحق الذي يدحض شبهة أهل الجهل ويبطل كلام أهل الزيغ والمفضل عليه محذوف أي وأحسن تفسيرا من مثلهم ومثلهم قولهم لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة * والذين يحشرون * قال الكرماني متصل بقوله أصحاب الجنة يومئذ الآية * قيل ويجوز أن يكون متصلا بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين انتهى والذي يظهر أنهم لما اعترضوا في حديث القرآن وإنزاله مفرقا كان في ضمن كلامهم أنهم ذوو رشد وخير وأنهم على طريق مستقيم ولذلك اعترضوا فأخبر تعالى بحالهم وما يؤول إليه أمرهم في الآخرة بكونهم شر مكانا وأضل سبيلا والظاهر أنه يحشر الكافر على وجهه بأن يسحب على وجهه وفي الحديث أن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم وهذا قول الجمهور * وقيل هو مجاز للذلة المفرطة والهوان والخزي * وقيل هو من قول العرب مر فلان على وجهه إذا لم يدر أين ذهب ويقال مضى على وجهه إذا أسرع متوجها لقصده وشر وأضل ليسا على بابهما من الدلالة على التفضيل وقوله شر مكانا أي مستقرا وهو مقابل لقوله خير مستقرا ويحتمل أن يراد بالمكان المكانة والشرف لا المستقر وأعربوا الذين مبتدأ والجملة من أولئك في موضع الخبر ويجوز عندي أن يكون الذين خبر مبتدأ محذوف لما تقدم ذكر الكافرين وما قالوا قال إبعادا لهم وتسميعا بما يؤول إليه حالهم هم الذين يحشرون ثم استأنف إخبارا أخبر عنهم فقال أولئك شر مكانا ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمودا

﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ فيعتبروا بما جرى لأهاليهم أضرب ببل والمعنى أنهم حملهم على عدم الاعتبار كونهم لايؤمنون بالبعث وهو النشور *﴿وإذا رأوك﴾* تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في الأنبياء وبعث صلة للذي وضميره محذوف ورسولا منصوب على الحال *﴿إن كاد﴾* إن هي المخففة من الثقيلة واسم كاد ضمير يعود على الرسول واللام هي الفارقة بين إن النافية وإن المخففة وتقدم الكلام على هذا في أول البقرة في قوله وإن كانت لكبيرة ومذهب الكوفيين في ذلك *﴿أن صبرنا﴾* في موضع مبتدإ وخبره محذوف تقديره لولا صبرنا موجود وجواب لولا محذوف تقديره لأضلنا والظاهر أن من استفهامية مبتدأ وأضل خبره والجملة في موضع نصب ليعلمون ويعلمون معلق ويجوز أن تكون من موصولة مفعولة بيعلمون وأضل خبر مبتدإ محذوف تقديره هو أضل وهذه الجملة صلة لمن وجاز حذف هذا الضمير للاستطالة التي حصلت بالتمييز كما حصلت في قول العرب ما أنا بالذي قائل لك سوأ *﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾* هذا إياس عن إيمانهم وإشارة إليه عليه الصلاة والسلام أن لا يتأسف عليهم وإعلام أنهم في الجهل بالمنافع وقلة النظر في العواقب مثل البهائم ثم ذكر أنهم أضل سبيلا من الأنعام من حيث لهم فهم وتركوا استعماله فيما يخلصهم من عذاب الله تعالى والأنعام لا سبيل لها إلى فهم المصالح وأرأيت استفهام تعجب من جهل من هذه حالته وآلهة المفعول الأول لاتخذ وهواه الثاني أي أقام مقام الإله الذي يعبده هواه فهو جار على ما يكون في هواه والمعنى أنه لم يتخذ إلها إلا هواه ومفعول أرأيت الأول هو من والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني وتقدم لنا الكلام في أرأيت في أوائل الأنعام ومعنى *﴿وكيلا﴾* أي هل تستطيع أن تدعوه إلى الهدى فتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وأم منقطعة تتقدر ببل والهمزة كأنه قال بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى خفت بالإضراب عنها إليها وهو كونهم مسلوبي الأسماع كالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم انتقل إلى إضراب آخر بقوله بل هم أضل أي أشد في الضلال من الأنعام وحذف من الأنعام

وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا * لما تقدم تكذيب قريش والكفار لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر تعالى ما فيه تسلية للرسول وإرهاب للمكذبين وتذكير لهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة من هلاك الاستئصال لما كذبوا رسلهم فناسب أن ذكر أولا من نزل عليه كتابه جملة واحدة ومع ذلك كفروا وكذبوا به فكذلك هؤلاء لو نزل عليه القرآن دفعة لكذبوا وكفروا كما كذب قوم موسى * والكتاب هنا التوراة وهارون بدل أو عطف بيان واحتمل أن يكون معه المفعول الثاني لجعلنا وأن يكون وزيرا والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان في الزمان الواحد أنبياء يوازر بعضهم بعضا والمذهوب إليهم القبط وفرعون وفي الكلام حذف أي فذهبا وأديا الرسالة فكذبوهما فدمرناهم والتدمير أشد الإهلاك وأصله كسر الشيء على وجه لا يمكن إصلاحه وقصة موسى ومن أرسل إليه ذكرت منتهية في غير ما موضع وهنا اختصرت فأوجز بذكر أولها وآخرها لأنه بذلك يلزم الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم * وقرأ علي والحسن ومسلمة بن محارب فدمراهم على الأمر لموسى وهارون وعن علي أيضا كذلك إلا أنه مؤكد بالنون الشديدة وعنه أيضا فدمرا أمر لهما بهم بباء الجر ومعنى الأمر كونا سبب تدميرهم * وانتصب وقوم نوح على الاشتغال وكان النصب أرجح لتقدم الجمل الفعلية قبل ذلك ويكون لما في هذا الإعراب ظرفا على مذهب الفارسي وأما إن كانت حرف وجوب لوجوب فالظاهر أن أغرقناهم جواب لما فلا يفسر ناصبا لقوم فيكون معطوفا على المفعول في فدمرناهم أو منصوبا على مضمر تقديره اذكر وقد جوز الوجوه الثلاثة الحوفي * لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله أو جعل تكذيبهم لنوح تكذيبا للجميع أو لم يروا بعثة الرسل كالبراهمة والظاهر عطف وعادا على وقوم * وقال أبو إسحاق يكون معطوفا على الهاء والميم في وجعلناهم للناس آية * قال ويجوز أن يكون معطوفا على الظالمين لأن التأويل وعدنا الظالمين بالعذاب ووعدنا عادا وثمودا * وقرأ عبد الله وعمرو بن ميمون والحسن وعيسى وثمود غير مصروف * وأصحاب الرس * قال ابن عباس هم قوم ثمود ويبعده عطفه على ثمود لأن العطف يقتضي التغاير * وقال قتادة أهل قرية من اليمامة يقال لها

الرس والفلج * قيل قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقوم صالح * وقال كعب ومقاتل والسدي بئر بانطاكية الشام قتل فيها صاحب ياسين وهو حبيب النجار * وقيل قتلوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه فيه * وقال وهب والكلبي أصحاب الرس وأصحاب الأيكة قومان أرسل اليهما شعيب أرسل الى أصحاب الرس وكانوا قوما من عبدة الأصنام وأصحاب آبار ومواش فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبيناهم حول الرس وهي البئر غير المطوية وعن أبي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبدارهم * وقال علي فيما نقله الثعلبي قوم عبدوا شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت رسوا نبيهم في بئر حفروه له في حديث طويل وقيل هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان صلى الله عليه وسلم كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فج وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فأهلكوا * وقيل هم أصحاب الاخدود والرس هو الاخدود * وقال ابن عباس الرس بئر أذربيجان * وقيل الرس ما بين نجران الى اليمن الى حضرموت * وقيل قوم بعث الله اليهم أنبياء فقتلوهم ورسوا عظامهم في بئر * وقيل قوم بعث اليهم نبي فأكلوه * وقيل قوم نساؤهم سواحق * وقيل الرس ماء ونخل لبني أسد * وقيل الرس نهر من بلاد المشرق بعث الله اليهم نبيا من أولاد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا فشكا الى الله منهم فحفروا له بئرا وأرسلوه فيها وقالوا نرجو أن يرضى عنا الهنا فكانوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم فدعا بتعجيل قبض روحه فمات وأضلتهم سحابة سوداء أذابتهم كما يذوب الرصاص * وروى عكرمة ومحمد بن كعب القرظي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان أهل الرس أخذوا نبيهم فرسوه في بئر وأطبقوا عليه صخرة فكان عبد اسود قد آمن به يجيء بطعام الى تلك البئر فيعينه الله على تلك الصخرة فيقلعها فيعطيه ما يغذيه به ثم يرد الصخرة الى ان ضرب الله يوما على اذن ذلك الاسود بالنوم أربع عشرة سنة وأخرج أهل القرية نبيهم فآمنوا به في حديث طويل * قال الطبري فيمكن انهم كفروا بعد ذلك فذكرهم الله في هذه الآية وكثر الاختلاف في أصحاب الرس فلو صح مانقله عكرمة ومحمد بن كعب كان هو القول الذي لا يمكن خلافه (وملخص هذه الاقوال) انهم قوم أهلكهم الله بتكذيب من أرسل اليهم * وقرونا بين ذلك هذا ابهام لا يعلم حقيقة ذلك الا الله وذلك اشارة الى أولئك المتقدمي الذكر فلذلك حسن دخول بين عليه من غير أن يعطف عليه شيء كأنه قيل بين المذكورين وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها وانتصب كلا الاول على الاشتغال أي وأنذرنا كلا أو حذرنا كلا والثاني على انه مفعول بتبرنا لانه لم يأخذ مفعولا وهذا من واضح الاعراب ومعنى ضرب الامثال أي بين لهم القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما أدى اليه تكذيبهم بأنبيائهم من عذاب الله وتدميره اياهم ليهتدوا بضرب الامثال فلم يهتدوا وأبعد من جعل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال والمعنى وكل الامثال ضربنا للرسول وعلى هذا وكلا منصوب بضربنا والامثال بدل من كلا والضمير في ولقد أتوا القريش كانوا يمرون على سدوم من قرى قوم لوط في متاجرهم الى الشام وكانت قرى خمسة أهلك الله منها أربعا وبقيت واحدة وهي زغر لم يكن أهلها يعملون ذلك العمل قاله ابن عباس ومطر السوء الحجارة التي أمطرت عليهم من السماء فهلكوا وكان ابراهيم عليه السلام ينادي نصيحة لكم ياسدوم يوم لكم من الله عز وجل أنهاكم ان تتعرضوا للعقوبة من الله ومعنى أتوا مروا وافل ذلك عداه بعلى وأفرد لفظ القرية وان كانت قرى لان سدوم هي أم تلك

القرى وأعظمها * وقال مكي الضمير في أتوا عائد على الذين اتخذوا القرآن مهجورا انتهى وهم قريش وانتصب مطر على انه مفعول ثان لامطرت على معنى أوليت أو على انه مصدر محذوف الزوائد أي امطار السوء * أفلم يكونوا يرونها أي ينظرون الى ما فيها من العبر والآثار الدالة على ماحل بها من النقم كما قال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل * وقال وانهما لبامام مبين وهو استفهام معناه التعجب ومع ذلك فلم يعتبروا برؤيتها أن يحل بهم في الدنيا ماحل بأولئك بل كانوا كفرة لا يؤمنون بالبعث فلم يتوقعوا عذاب الآخرة وضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يتفكروا ومروا بها كما مرت ركابهم أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم الى ثواب أعمالهم أولا يخافون على اللغة التهامية * وقرأ زيد بن علي مطرت ثلاثيا مبنيا للمفعول ومطر متعد * قال الشاعر * كمن بواديه بعد المحل ممطور * وقرأ أبو السمال مطر السوء بضم السين * واذا رأوك ان يتخذونك الاهزوا لم يقتصر المشركون على انكار نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام وترك الايمان به بل زادوا على ذلك بالاستهزاء والاحتقار حتى يقول بعضهم لبعض أهذا الذي بعث الله رسولا وان نافية جواب اذا وانفردت اذا بانه اذا كان جوابها منفيا بما أو بلا لا تدخله الفاء بخلاف أدوات الشرط غيرها فلا بد من الفاء مع ما ومع لا اذا ارتفع المضارع فلو وقعت ان النافية في جواب غير اذا فلا بد من الفاء كما النافية ومعنى هزؤا موضع هزء أو مهزوا به * أهذا قبله قول محذوف أي يقولون وقال جواب اذا ما أضمر من القول أي واذا رأوك قالوا أهذا الذي بعث الله رسولا وان يتخذونك جملة اعتراضية بين اذا وجوابها * قيل ونزلت في أبي جهل كان اذا رأى الرسول عليه الصلاة والسلام قال أهذا الذي بعث الله رسولا وأخبر بلفظ الجمع تعظيما لقبح صنعه أو لكون جماعة معه قالوا ذلك والظاهر ان قائل ذلك جماعة كثيرة وهذا الاستفهام استصغار واحتقار منهم أخرجوه بقولهم بعث الله رسولا في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا أهذا زعم أو ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا * وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث اللفظ مجرى التقييد للحكم المطلق قاله الزمخشري * وقال أبو عبد الله الرازي الاستهزاء اما بالصورة فكان أحسن منهم خلقة أو بالصفة فلا يمكن لان الصفة التي تميز بها عنهم ظهور المعجز عليه دونهم وما قدروا على القدح في حجته ففي الحقيقة هم الذين يستحقون أن يهزأ بهم ثم لوقاحتهم قلبوا القصة واستهزؤا بالرسول عليه الصلاة والسلام انتهى * قيل وتدل الآية على أنهم صاروا في ظهور حجته عليه الصلاة والسلام عليهم كالمجانين استهزؤا به أولا ثم انهم وصفوه بانه كاد ليضلنا عن مذهبنا لولا انا قابلناه بالجحود والاصرار فهذا يدل على انهم سلموا له قوة الحجة وكمال العقل فكونهم جمعوا بين الاستهزاء به وبين هذه المكيدة دل على أنهم كانوا كالمتحيرين في أمره تارة يستهزؤن منه وتارة يصفونه بما لا يليق الا بالعالم الكامل * وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال فلا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التأخير ولما قالوا ان كاد ليضلنا جاء قوله من أضل سبيلا أي سيظهر لهم من المضل ومن الضال بمشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه والظاهر ان من استفهامية وأضل خبره والجملة في موضع مفعول يعلمون ان كانت

﴿ألم تر الى ربك كيف مد الظل﴾ الآية لما بين تعالى جهل المعترضين على دلائل الصانع وفساد طريقهم ذكر أنواعا من الدلائل الواضحة التي تدل على قدرته التامة لعلهم يتدبرونها فبدأ بأحوال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال الى حال وان ذلك جار على مشيئته وتقدم الكلام على ألم تر في البقرة والمعنى ألم تر الى صنع ربك وقدرته * وكيف سؤال عن حال في موضع نصب بمد والجملة في موضع متعلق ألم تر لأن تر معلقة

والجملة الاستفهامية التي هي معلق عنها فعل القلب ليس باقيا على حقيقة الاستفهام فالمعنى ألم تر الى مد ربك الظل ﴿ولو شاء لجعله ساكنا﴾ مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويقلص ثم نسخه بها قبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير وفيه التفات من خروج ضمير الغائب الى ضمير المتكلم في جعلناه وقبضناه ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسا﴾ انتقل من ضمير المتكلم الى ضمير الغائب *ولباسا تشبيه بالثوب الذي يغطي البدن ويستره من حيث الليل يستر الاشياء *والسبات ضرب من الاغماء يعتري اليقظان مرضا فشبه النوم به والسبت الاقامة في المكان فكان السبات سكونا ما *والنشور هنا الاحياء شبه اليقظة به ليطابق الاحياء مع الاماتة * بين يدي رحمته استعارة حسنة أي قدام المطر لانها تجيء معلمة به والطهور فعول اما للمبالغة كنؤوم فهو معدول عن طاهر وإما أن يكون اسما لما يتطهر به كالسحور والفطور واما مصدرا لتطهر جاء على غير المصدر حكاه سيبويه والظاهر في قوله ماء طهورا ان يكون للمبالغة في طهارته وجه المبالغة كونه لم يشبه شئ بخلاف ما نبع من الأرض ونحوه فانه تشوبه اجزاء أرضية من مقره أو من ممره أو مما يطرح فيه ويجوز ان يوصف بالاسم وبالمصدر

متعدية الى واحد أو في موضع مفعولين ان كانت تعدت الى اثنين ويجوز ان تكون من موصولة مفعولة بيعلمون وأضل خبر مبتدأ محذوف أي هو أضل وصار حذف هذا المضمر للاستطالة التي حصلت في قول العرب ما أنا بالذي قائل لك سوءا * أفرأيت من اتخذ الهه هواه هذا يأس عن ايمانهم واشارة اليه عليه السلام أن لا يتأسف عليهم واعلام انهم في الجهل بالمنافع وقلة النظر في العواقب مثل البهائم ثم ذكر أنهم أضل سبيلا من الانعام من حيث لهم فهم وتركوا استعماله فيما يخلصهم من عذاب الله والانعام لا سبيل لها الى فهم المصالح وأرأيت استفهام تعجب من جهل من هذه حاله والهه المفعول الأول لاتخذ وهواه الثاني أي أقام مقام الاله الذي يعبده هواه فهو جار على ما يكون في هواه والمعنى انه لم يتخذ الها الاهواه وادعاء القلب ليس بجيد إذ يقدره من اتخذ هواه الهه والبيت من ضرائر الشعر ونادر الكلام فينزه كلام الله عنه كان الرجل يعبد الصنم فاذا رأى أحسن منه رماه وأخذ الاحسن * قيل نزلت في الحرث بن قيس السهمي كان اذا هوى شيأ عبده والهوى ميل القلب الى الشئ أفأنت تجبره على ترك هواه أو أفأنت تحفظه من عظيم جهله * وقرأ بعض أهل المدينة من اتخذ آلهة منونة على الجمع وفيه تقديم جعل هواه أنواعا أسماء الأجناس مختلفة فجعل كل جنس من هواه الها آخر * وقرأ ابن هرمز إلاهة على وزن فعالة وفيه أيضا تقديم أي هواه إلاهة بمعنى معبود لأنها بمعنى المألوهة فالهاء فيها للمبالغة فلذلك صرفت * وقيل بل الالاهة الشمس ويقال لها ألاهة بضم الهمزة وهي غير مصروفة للعلمية والتأنيث لكنها لما كانت مما يدخلها لام المعرفة في بعض اللغات صارت بمنزلة ما كان فيه اللام ثم نزعت فلذلك صرفت وصارت بمنزلة النعوت فتنكرت قاله صاحب اللوامح ومفعول أرأيت الأول هو من والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني وتقدم الكلام في أرأيت في أوائل الانعام ومعنى وكيلا أي هل تستطيع أن تدعو الى الهدى فتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وأم منقطعة تتقدر ببل والهمزة على المذهب الصحيح كأنه قال بل أتحسب كان هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهو كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لأنهم لا يلقون الى استماع الحق أذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ونفى ذلك عن أكثرهم لأن فيهم من سبقت له السعادة فأسلم وجعلوا أضل من الانعام لأنها تنقاد لأربابها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب منفعتها وتجتنب مضرتها وتهتدي الى مراعيها ومشاربها وهم لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم ولا يرغبون في الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولا يهتدون للحق ﴿ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو

﴿ لنحيي به بلدة ميتا ﴾ وصف بلدة بصفة المذكر لأن البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وقدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي لان حياتهم بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ماهو السبب في ذلك ولأنهم اذا وجدوا ما يسقي أرضهم ومواشيهم وجدوا سقياهم ونكر الانعام والاناسي ووصفا بالكثرة لان كثيرا منهم لا يعيشهم الا ما أنزل الله من المطر وكذلك لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتباعدين عن مظان الماء بخلاف سكان المدن فانهم قريبون من الاودية والانهار والعيون فهم غنيون غالبا عن ماء المطر وخص الانعام من بين ماخلق من الحيوان الشارب لان الطيور والوحوش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام فانها قنية الاناسي ومنافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي أنعامهم كالانعام بسقيهم ﴿ وأناسي ﴾ جمع انسان في مذهب سيبويه وجمع انسي في مذهب الفراء والمبرد وحكى أناسين في جمع انسان كسرحان وسراحين ﴿ ولقد صرفناه بينهم ﴾ قال ابن عباس عائد على القرآن وان لم يجر له ذكر لوضوح الامر ويعضده وجاهدهم به ﴿ وهو الذي مرج البحرين ﴾ يقال مرج الأمر اختلط واضطرب وقيل مرج وأمرج ﴿ العذب ﴾ الحلو ﴿ والفرات ﴾ البالغ في الحلاوة ﴿ والملح ﴾ المالح ﴿ والاجاج ﴾ البالغ في الملوحة والظاهر انه يراد بالبحرين الماء الكثير العذب

الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ﴾ لما بين تعالى جهل المعترضين على دلائل الصانع وفساد طريقتهم ذكر أنواعا من الدلائل الواضحة التي تدل على قدرته التامة لعلهم يتدبرونها ويؤمنون بمن هذه قدرته وتصرفه في عالمه فبدأ بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال الى حال وان ذلك جار على مشيئته وتقدم الكلام على ألم تر في البقرة في قصة الذي حاج ابراهيم والمعنى ألم تر الى صنع ربك وقدرته ﴿ وكيف ﴾ سؤال عن حال في موضع نصب

والماء الكثير الملح والبرزخ والحجر ماحجز بينهما من الارض والسد ﴿ وحجرا محجورا ﴾ كلمة يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي هنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال تعالى لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة فانتفاء البغي ثم كالتعوذ هنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه والظاهر عموم البشر وهم بنو آدم والبشر ينطلق على الواحد والجمع والنسب والصهر يعمان كل قربى بين آدميين وأن الكافر اسم جنس فيعم وقيل هو أبو جهل والآية نزلت فيه ومعنى ظهيرا ههنا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت إليه ﴿ قل ما أسألكم ﴾ أمره تعالى أن يحتج عليهم مزيلا لوجوه التهم بقوله لا أسئلكم عليه أي على القرآن أجرا أي لا أطلب مالا ﴿ ولا نفعا ﴾ يختص بي والضمير في عليه عائد على القرآن والظاهر في الا من شاء أنه استثناء منقطع تقديره لكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل والظاهر تعلق به بقوله فاسأل وبقاء الباء غير مضمنة معنى عن وخبيرا من صفات الله كما تقول لقيت بزيد أسدا ولقيت بزيد البحر تريد انه هو الأسد شجاعة والبحر كرما والمعنى انه تعالى اللطيف العليم الخبير والمعنى فاسأل الله الخبير بالاشياء العالم بخفاتها وقال الشاعر

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب

﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ﴾ الظاهر انهم لما قيل لهم اسجدوا للرحمن فذكرت الصفة المقتضية للمبالغة في الرحمة والكلمة عربية لا ينكر وضعها اظهروا التجاهل بهذه الصفة التي لله مغالطة منهم ووقاحة ﴿ فقالوا وما الرحمن ﴾ وهم عارفون به وبصفته الرحمانية وهذا كما قال فرعون وما رب العالمين حين قال له موسى اني رسول من رب العالمين على سبيل المناكرة وهو عالم برب العالمين كما قال له موسى عليه السلام لقد علمت ما أنزل هؤلاء فكذلك كفار قريش استفهموا عن الرحمن استفهام من يجهله وهم عالمون به وقرئ تأمرنا بالياء والتاء ﴿ وزادهم ﴾ أي هذا القول وهو الأمر بالسجود للرحمن ﴿ نفورا ﴾ أي فرارا

بعدوا الجملة فى موضع متعلق ألم تر لأن تر معلقة والجملة الاستفهامية التى هى معلق عنها فعل القلب ليس باقيا على حقيقة الاستفهام فالمعنى ألم تر الى مد ربك الظل * وقال الجمهور الظل هنا من طلوع الفجر الى طلوع الشمس مثل ظل الجنة ظل ممدود لا شمس فيه ولا ظلمة واعترض بأنه فى غير النهار بل فى بقايا الليل ولا يسمى ظلا * وقيل الظل الليل لا ظل الارض وهو يغمر الدنيا كلها * وقيل من غيبوبة الشمس الى طلوعها وهذا هو القول الذى قبله ولكن أورده كذا * وقيل ظلال الأشياء كلها كقوله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله * وقال أبو عبيدة الظل بالغداة والفىء بالعشى * وقال ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفىء ما نسخ الشمس * وقيل ما لم تكن عليه الشمس ظل وما كانت عليه فزالت فىء * ولو شاء لجعله ساكنا * قال ابن عباس وقتادة وابن زيد كظل الجنة الذى لا شمس تذهبه * وقال مجاهد لا تصيبه الشمس ولا تزول * وقال الحسن لو شاء لتركه ظلا كما هو * وقيل لأدامه أبدا بمنع طلوع الشمس بعد غيبوبتها فاذا طلعت الشمس دلت على زوال الظل وبدا فيه النقصان فبطلوع الشمس يبدو النقصان فى الظل وبغروبها تبدو الزيادة فى الظل فبالشمس استدل أهل الارض على الظل وزيادته ونقصه وكلما علت الشمس نقص الظل وكلما دنت للغروب زاد وهو قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يعنى فى وقت علو الشمس بالنهار ينقص الظل نقصانا يسيرا بعد يسير وكذلك زيادته بعد نصف النهار يزيد يسيرا بعد يسير حتى يعم الأرض كلها فأما زوال الظل كله فانما يكون فى البلدان المتوسطة فى وقت * وقال الزمخشرى ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس * ولو شاء لجعله ساكنا أى لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجر وغير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها فى مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا فى مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه أن ينسخه بظل الشمس يسيرا أى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيأ بعد شئ من المنافع ما لا يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا (فان قلت) ثم فى هذين الموضعين كيف موقعها (قلت) موقعها البيان تفاضل الأمور الثلاثة كأن الثانى أعظم من الأول والثالث أعظم من الثانى تشبيها التباعد ما بينهما فى الفضل بتباعد ما بين الحوادث فى الوقت ووجه آخر وهو أنه بنى الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الارض لعدم النير * ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل سلطها عليه وجعلها دليلا متبوعا لهم كما يتبع الدليل فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويقلص ثم نسخها بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام أسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء أسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير انتهى وقوله سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه لم يسم الله ذلك انما قال كيف مد الظل وقوله ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة فهذا بعيد احتماله لانه انما ذكر آثار صنعته وقدرته لتشاهد ثم قال مد الظل وعطف عليه ماضيا مثله فيبعد أن يكون التقدير ثم قبضه عند قيام الساعة مع ظهور كونه ماضيا مستدام أمثاله * وقال ابن عطية ولو شاء لجعله ساكنا أى ثابتا غير متحرك ولا منسوخ لكنه جعل الشمس ونسخها اياه

بطرده اله من موضع الى موضع دليلا عليه مبينا لوجوده ولوجه العبرة فيه * وحكى الطبري أنه لولا الشمس لم يعلم ان الظل شئ اذ الأشياء انما تعرف بأضدادها * وقال ابن عباس يسيرا معجلا * وقال مجاهد لطيفا أى شيأ بعد شئ ويحتمل أن يريد سهلا قريب التناول * وقال أبو عبد الله الرازى أكثر الناس فى تأويل هذه الآية ويرفع الكلام فيها الى وجهين الأول ان الظل لا ضوء خالص ولا ظلمة خالصة وهو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وكذلك الكيفيات الحاصلة داخل السقف وأبنية الجدارات وهى أطيب الأحوال لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الخالص يحير الحس البصرى ويحدث السخونة القوية وهى مؤذية ولهذا قيل فى الجنة وظل ممدود والناظر الى الجسم الملون كأنه يشاهد بالظل شيأ سوى الجسم وسوى اللون والظل ليس أمرا ثالثا ولا معرفة به الا أنه اذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على الجسم ثم مال عرف للظل وجود وماهية ولولاها ما عرف لأن الاشياء تدرك بأضدادها فظهر للعقل ان الظل كيفية زائدة على الجسم واللون ولذلك قال ثم جعلنا الشمس عليه دليلا أى جعلنا الظل أولا بما فيه من المنافع واللذات ثم هدينا العقول الى معرفة وجوده بأن أطلعنا الشمس فكانت دليلا على وجود الظل * ثم قبضناه أى أزلناه لا دفعة بل يسيرا يسيرا كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل من جانب المغرب ولما كانت الحركات المكانية لا توجد دفعة بل يسيرا يسيرا كان زوال الاظلال كذلك * والثانى أنه لما خلق السماء والارض وقع ظل السماء على الارض فجعل الشمس دليلا لأنه بحسب حركات الاضواء تتحرك الاظلال فهما متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما يزداد أحدهما ينقص الآخر فكان المهتدى يقتدى بالهادى والدليل ويلازمه فكذلك الأظلال ملازمة للاضواء ولذلك جعل الشمس دليلا عليه انتهى ملخصا وهو مأخوذ من كلام الزمخشرى ومحسن ببعض تحسين والآية فى غاية الظهور ولا تحتاج الى هذا التكثير * وقال أيضا الظل ليس عدما محضا بل هو أضواء مخلوطة بظلام فهو أمر وجودى وفى تحقيقه دقيق يرجع فيه الى الكتب العقلية انتهى والآية فى غاية الوضوح ولا تحتاج الى هذا التكثير وقد تركت أشياء من كلام المفسرين مما لا تمس اليه الحاجة * جعل الليل لباسا تشبيها بالثوب الذى يغطى البدن ويستره من حيث الليل يستر الأشياء * والسبات ضرب من الاغماء يعترى اليقظان مرضا فشبه النوم به والسبت الاقامة فى المكان فكان السبات سكونا ما والنشور هنا الاحياء شبه اليقظة به ليتطابق الاحياء مع الامانة اللذين يتضمنهما النوم والسبات انتهى من كلام ابن عطية وقال غيره السبات الراحة جعل النوم سباتا أى سبب راحة * وقال الزمخشرى السبات الموت وهو كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل (فان قلت) هلا فسرته بالراحة (قلت) النشور فى مقابلته يأباه انتهى ولا يأباه الا لو تعين تفسير النشور بالحياة * وقال أبو مسلم نشورا هو بمعنى الانتشار والحركة * وقال ابن عطية ويحتمل أن يريد بالنشور وقت انتشار وتفرق لطلب المعاش وابتغاء فضل الله والنهار نشورا وما قبله من باب ليل نائم ونهار صائم وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس فوائد دينية ودنيوية * وقال الشاعر

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبر أن المانوية تكذب

والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة أى عبرة فيهما لمن اعتبر * وعن لقمان انه قال لابنه يابنى كما

(الدر)

(ش) السبات الموت وهو كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل * فان قلت هلا فسرته بالراحة * قلت النشور فى مقابلته يأباه (ح) لا يأباه الا لو تعين تفسير النشور بالحياة

تنام فتوقظ فكذلك تموت فتنشر وتقدم الخلاف فى قراءة الريح بالافراد والجمع فى البقرة * قال ابن عطية وقراءة الجمع أوجه لان عرف الريح متى وردت فى القرآن مفردة فانما هى للعذاب ومتى كانت للمطر والرحمة فانما هى رياح لان ريح المطر تتشعب وتتداءب وتتفرق وتأتى لينة ومن ههنا وههنا وشيأ اثر شئ وريح العذاب خرجت لاتتداءب وانما تأتى جسدا واحدا ألاترى انها تحطم ماتجد وتهدمه * قال الرمانى جمعت رياح الرحمة لانها ثلاثة لواقح الجنوب والصبا والشمال وأفردت ريح العذاب لانها واحدة لاتلقح وهى الدبور قال أى ابن عطية يرد هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا هبت الريح اللهم اجعلها رياحا ولاتجعلها ريحا انتهى ولايسوغ أن يقال هذه القراءة أوجه لان كلا من القراءتين متواتر والألف واللام فى الريح للجنس فتعم وماذكر من أن قول الرمانى يرده الحديث فلايظهر لانه يجوز أن يريد بقوله عليه السلام رياحا الثلاثة اللواقح وبقوله ولاتجعلها ريحا الدبور فيكون ماقاله الرمانى مطابقا للحديث على هذا المفهوم * وتقدم الخلاف فى قراءة نشرا وفى مدلوله فى الأعراف بين يدى رحمته استعارة حسنة أى قدام المطر لانه يجئ معاسابه * والطهور فعول إما للمبالغة كنؤوم فهو معدول عن طاهر وإما أن يكون اسما لما يتطهر به كالسحور والفطور وإما مصدر لتطهر جاء على غير المصدر حكاه سيبويه والظاهر فى قوله ماء طهورا أن يكون للمبالغة فى طهارته وجهة المبالغة كونه لم يشبه شئ بخلاف مانبع من الأرض ونحوه فانه تشوبه أجزاء أرضية من مقره أو ممره أو مما يطرح فيه ويجوز أن يوصف بالاسم وبالمصدر * وقال ثعلب هو ماكان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره فان كان ماقاله شرحا لمبالغته فى الطهارة كان سديدا ويعضده وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والافعول لايكون بمعنى مفعل ومن استعمال طهور للمبالغة قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا * وقال الشاعر

الى رجح الأكفال غيد من الظبا * عذاب الثنايا ريقهن طهور

* وقرأ عيسى وأبو جعفر ميتا بالتشديد ووصف بلدة بصفة المذكر لان البلدة تكون فى معنى البلد فى قوله فسقناه الى بلد ميت ورجح الجمهور التخفيف لانه يماثل فعلا من المصادر فكما وصف المذكر والمؤنث بالمصدر فكذلك بما أشبهه بخلاف المشدد فانه يماثل فاعلا من حيث قبوله للتاء الافيما خص المؤنث نحو طامث * وقرأ عبد الله وأبو حيوة وابن أبى عبلة والأعمش وعاصم وأبو عمرو فى رواية عنهما ونسقيه بفتح النون ورويت عن عمر بن الخطاب * وقرأ يحيى بن الحرث الذمارى واناسى بتخفيف الياء ورويت عن الكسائى واناسى جمع انسان فى مذهب سيبويه وجمع انسى فى مذهب الفراء والمبرد والزجاج والقياس اناسية كما قالوا فى مهلبى مهالبة وحكى اناسين فى جمع انسان كسرحان وسراحين ووصف الماء بالطهارة وعلل انزاله بالاحياء والسقى لانه لما كان الاناسى من جملة ماأنزل له الماء وصف بالطهور اكراما له وتتميما للنعمة عليه والتعليل يقتضى ان الطهارة شرط فى صحة ذلك كما تقول حملنى الأمير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش وقدم احياء الأرض وسقى الانعام على سقى الاناسى لان حياتهم بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ماهو السبب فى ذلك ولانهم اذا وجدوا مايسقى أرضهم ومواشيهم وجدوا سقياهم ونكر الأنعام والاناسى ووصفا بالكثرة لان كثيرا منهم لايعيشهم إلا ماأنزل الله من المطر وكذلك لنحيى به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتباعدين عن مظان الماء بخلاف سكان المدن فانهم قريبون من الأودية والانهار والعيون فهم غنيون غالبا عن سقى ماء المطر وخص الانعام من بين ماخلق من الحيوان الشارب لان الطيور

والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام فانها قنية الاناسي ومنافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي أنعامهم كالانعام بسقيهم * والضمير في صرفناه عائد على الماء المنزل من السماء أي جعلنا انزال الماء تذكرة بان يصرفه عن بعض المواضع الى بعض وهو في كل عام بمقدار واحد قاله الجمهور منهم ابن مسعود وابن عباس ومجاهد فعلى هذا التأويل إلا كفورا هو قولهم بالانواء والكواكب قاله عكرمة * وقيل كفورا على الاطلاق لما تركوا التذكر * وقال ابن عباس أيضا عائد على القرآن وان لم يتقدم له ذكر لوضوح الأمر ويعضده وجاهدهم به لتوافق الضمائر وعلى انه للمطر يكون به للقرآن * وقال أبو مسلم راجع الى المطر والرياح والسحاب وسائر ما ذكر فيه من الادلة * وقال الزمخشري صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال المطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث بها * وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا امطرنا بنوء كذا ولا يذكروا رحمته وصنعته * وعن ابن عباس ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية * ويروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف في البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كأنه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير انتهى * وقرأ عكرمة صرفناه بتخفيف الراء * ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا لما عظم تعالى ما كابده الرسول من أذى قومه أعلمه أنه تعالى لو أراد لبعث في كل قرية نذيرا فيخف عنك الامر ولكنه أعظم أجرك وأجلك اذ جعل انذارك عاما للناس كلهم وخصك بذلك ليكثر ثوابك لانه على كثرة المجاهدة يكون الثواب وليجمع لك حسنات من آمن بك إذ أنت مؤسسها * فلا تطع الكافرين يعني كفار قريش فانهم كانوا استعموا اليه ورغبوا أن يرجع الى دين آبائهم ويملكونه عليهم ويجمعون له مالا عظيما فنهاه تعالى عن طاعتهم حتى يظهر لهم أنه لا رغبة له في شيء من ذلك لكن رغبته في الدعاء الى الله والايمان به * وجاهدهم به أي القرآن أو بالاسلام أو بالسيف أو بترك طاعتهم وجهادا مصدر وصف بكبير الانه يلزمه عليه السلام مجاهدة جميع العالم فهو جهاد كبير * ومرج خلط بينهما أو أفاض أحدهما في الآخر أو أجراهما أقوال والظاهر انه يراد بالبحرين الماء الكثير العذب والماء الكثير الملح * وقيل بحران معينان * فقيل بحر فارس وبحر الروم * وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام قاله ابن عباس * وقال مجاهد مياه الانهار الواقعة في البحر الاجاج وهذا قريب من القول الاول * قال ابن عطية والمقصد بالآية التنبيه على قدرة الله واتقان خلقه للاشياء في أن بث في الارض مياها عذبة كثيرة من الانهار والعيون والآبار وجعلها خلال الأجاج وجعل الأجاج خلالها فترى البحر قد اكتنفته المياه العذبة في ضفتيه ويلقى الماء البحر في الجزائر ونحوها قد اكتنفه الماء الاجاج والبرزخ والحجر ما حجز بينهما من الارض والسد قاله الحسن ويمشي هذا على قول من قال ان مرج بمعنى أجرى * وقيل البرزخ البلاد والقفار فلا يختلفان الا بزوال الحاجز يوم القيامة * قال الاكثرون الحاجز مانع من قدرة الله * قال الزجاج فهما مختلطان في مرأى العين منفصلان بقدرة الله وسواد البصرة ينحدر الماء العذب منه في دجلة نحو البحر ويأتي المد من البحر

فيلتقيان من غير اختلاط فماء البحر الى الخضرة الشديدة وماء دجلة الى الحمرة فالمستقى يغرف من ماء دجلة عذبا لا يخالطه شئ ونيل مصر فى فيضه يشق البحر المالح شقا بحيث يبقى نهرا جاريا أحمر فى وسط المالح ليستقى الناس منه وترى المياه قطعا فى وسط البحر المالح فيقولون هذا ماء ثلج فيسقون منه من وسط البحر * وقرأ طلحة وقتيبة عن الكسائى ملح بفتح الميم وكسر اللام وكذا فى فاطر * قال أبو حاتم وهذا منكر فى القراءة * وقال أبو الفتح أراد مالحا وحذف الألف كما حذفت من برد أى بارد * وقال أبو الفضل الرازى فى كتاب اللوامح هى لغة شاذة قليلة * وقيل أراد مالح فقصره بحذف الالف فالمالح جائز فى صفة الماء لان الماء يوجد فى الضفيان بان يكون مملوحا من جهة غيره ومالحا لغيره وان كان من صفته ان يقال ماء ملح موصوف بالمصدر أى ماء ذو ملح فالوصف بذلك مثل حلف ونضو من الصفات قال الزمخشرى (فان قلت) حجرا محجورا ما معناه (قلت) هى الكلمة التى يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهى ههنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين متعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أى لا يبغى أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغى ثم كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما فى صورة الباغى على صاحبه فهو يتعوذ منه وهى من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة انتهى والظاهر ان حجرا محجورا معطوف على برزخا عطف المفعول على المفعول وكذا أعربه الحوفى وعلى ماذكره الزمخشرى يكون ذلك على اضمار القول المجازى أى ويقولان أى كل واحد منهما لصاحبه حجرا محجورا * والظاهر عموم البشر وهم بنو آدم والبشر ينطلق على الواحد والجمع * وقيل المراد بالنسب آدم وبالصهر حواء * وقيل النسب البنون والصهر البنات ومن الماء اما النطفة واما انه أصل خلقة كل حى والنسب والصهر يعمان كل قربى بين آدميين فالنسب ان يجتمع مع آخر فى أب وأم قرب ذلك أو بعد والصهر هو نواشج المناكحة * وقال على بن أبى طالب النسب ما لا يحل نكاحه والصهر قرابة الرضاع * وعن طاوس الرضاعة من الصهر وعن على الصهر ما يحل نكاحه والنسب ما لا يحل نكاحه * وقال الضحاك الصهر قرابة الرضاع * وقال ابن سيرين نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وعلى لانه جمعه معه نسب وصهر * قال ابن عطية فاجتماعهما وكادة حرمة الى يوم القيامة * وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى ولما ذكر دلائل قدرته وما امتن به على عباده من غرائب مصنوعاته ثبت بذلك انه المستحق للعبادة لنفعه وضره بين فساد عقول المشركين حيث يعبدون الاصنام * والظاهر ان الكافر اسم جنس فيعم * وقيل هو أبو جهل والآية نزلت فيه * وقال عكرمة الكافر هنا ابليس والظهير والمظاهر كالمعين والمعاون قاله مجاهد والحسن وابن زيد وفعيل بمعنى مفاعل كثير والمعنى أن الكافر يعاون الشيطان على ربه بالعداوة والشرك * وقيل معناه وكان الذى يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا يلتفت اليه وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم الآية قاله الطبرى * وقيل على ربه أى معينا على أولياء الله * وقيل معينا للمشركين على أن لا يوحد الله * وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا سلى نبيه بذلك أى لا تهتم بهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات وانما أنت رسول تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفرة بالنار ولست بمطلوب بايمانهم أجمعين ثم أمره تعالى أن يحتج عليهم مزيلا لوجوه التهم بقوله قل ما أسألكم عليه من أجر أى لا أطلب مالا ولا نفعا يختص بى والضمير فى عليه عائد على التبشير والانذار أو على القرآن أو على

ابلاغ الرسالة أقوال * والظاهر في الا من شاء انه استثناء منقطع وقاله الجمهور فعلى هذا قيل بعباده
لكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل * وقيل لكن من أنفق في سبيل الله ومجاهدة أعدائه
فهو مسؤلي * وقيل هو متصل على حذف مضاف تقديره الا أجر من اتخذ الى ربه سبيلا أي الا أجر
من آمن أي الاجر الحاصل لي على دعائه الى الايمان وقبوله لانه تعالى يأجرني على ذلك * وقيل الا
أجر من آمن يعني بالاجر الانفاق في سبيل الله أي لا أسألكم أجرا الا الانفاق في سبيل الله فجعل
الانفاق أجرا ولما أخبر انه فطم نفسه عن سؤالهم شيأ أمره تعالى بتفويض أمره اليه وثقته به
واعتماده عليه فهو المتكفل بنصره واظهار دينه * ووصف تعالى نفسه بالصفة التي تقتضي التوكل
في قوله الحي الذي لا يموت لان هذا المعنى يختص به تعالى دون كل حي كما قال كل شئ هالك الا وجهه
* وقرأ بعض السلف هذه الآية فقال لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق ثم أمره بتنزيهه
وتمجيده مقرونا بالثناء عليه لان التنزيه محله اعتقاد القلب والمدح محله اللسان الموافق للاعتقاد
وفي الحديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وهي
الكلمتان الخفيفتان على اللسان الثقيلتان في الميزان * وكفى به بذنوب عباده خبيرا أراد انه ليس
اليه من أمور عباده شئ آمنوا أم كفروا وانه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم وفي هذه الجملة
تسلية للرسول ووعيد للكافر وفي بعض الاخبار كفى بك ظفرا ان يكون عدوك عاصيا وهي كلمة يراد
بها المبالغة تقول كفى بالعلم جمالا وكفى بالادب مالا أي حسبك لا تحتاج معه الى غيره لانه خبير
بأحوالهم قادر على مكافأتهم ولما أمره بالتوكل والتسبيح وذكر صفة الحياة الدائمة ذكر ما دل على
القدرة التامة وهو ايجاد هذا العالم وتقدم الكلام في نظير هذا الكلام واحتمل الذي أن يكون صفة
للحي الذي لا يموت ويتعين على قراءة زيد بن علي الرحمن بالجر واما على قراءة الجمهور الرحمن بالرفع
فانه يحتمل أن يكون الذي صفة للحي والرحمن خبر مبتدا محذوف ويحتمل أن يكون الذي مبتدا
والرحمن خبره وان يكون الذي خبر مبتدا محذوف والرحمن صفة له أو يكون الذي منصوبا على
اضمار أعني ويجوز على مذهب الاخفش أن يكون الرحمن مبتدا وفاسأل خبره تخريجه على حد
قول الشاعر * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وجوزوا أيضا في الرحمن أن يكون بدلا من الضمير
المستكن في استوى والظاهر تعلق به بقوله فاسأل وبقاء الباء غير مضمنة معنى عن وخبيرا من
صفات الله كما تقول لقيت بزيد أسدا ولقيت بزيد البحر تريد انه هو الاسد شجاعة والبحر كرما
والمعنى انه تعالى اللطيف العالم الخبير والمعنى فاسأل الله الخبير بالأشياء العالم بحقائقها * وقال ابن
عطية وخبيرا على هذا منصوب اما بوقوع السؤال واما على الحال المؤكدة كما قال وهو الحق مصدقا
وليست هذه الحال منتقلة اذ الصفة العلية لا تتغير انتهى وبنى هذا الاعراب على انه كما تقول لو لقيت
فلانا للقيت به البحر كرما أي لقيت منه والمعنى فاسأل الله عن كل أمر وكونه منصوبا على الحال
المؤكدة على هذا التقدير لا يصح انما يصح أن يكون مفعولا به ويجوز أن تكون الباء بمعنى عن أي
فاسأل عنه خبيرا كما قال الشاعر

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب

وهو قول الأخفش والزجاج ويكون خبيرا ليس من صفات الله هنا كأنه قيل اسأل عن الرحمن
الخبراء جبريل والعلماء وأهل الكتب المنزلة وان جعلت به متعلقا بخبيرا كان المعنى فاسأل عن الله
الخبراء به * وقال الكلبي معناه فاسأل خبيرا به وبه يعود الى ما ذكر من خلق السموات والأرض

(الدر)

(ع) وخبيرا على هذا
منصوب اما بوقوع
السؤال واما على الحال
المؤكدة كما قال وهو الحق
مصدقا وليست هذه الحال
منتقلة اذ الصفة العلية لا
تتغير (ح) وبنى هذا
الاعراب على انه كما تقول
لو لقيت فلانا للقيت به
البحر كرما أي لقيت منه
والمعنى فاسأل الله عن كل
أمر وكونه منصوبا على
الحال المؤكدة على هذا
التقدير لا يصح انما يصح أن
يكون مفعولا به

﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ﴾ الآية لما جعلت قريش سؤالها عن اسمه الذى هو الرحمن سؤالا عن مجهول نزلت هذه الآية مصرحة بصفاته التى تعرف به وتوجب الاقرار بالوهيته * ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر انه خلق السموات والأرض وغير ذلك نبههم على مالهم به اعتناء تام من رصد الكواكب وأحوالها ووضع أسماء لها والظاهر ان المراد بالبروج المعروفة عند العرب وتقدم الكلام عليها والضمير فى فيها الظاهر انه عائد على السماء وقيل على البروج فالمعنى وجعل فى جملتها سراجا وهو الشمس وانتصب ﴿ خلفة ﴾ على الحال فقيل هو مصدر خلف خلفة أى خلف هذا ذاك وذاك هذا وقيل خلفة فى الزيادة والنقصان ﴿ لمن أراد أن يذكر ﴾ قال ابن عباس مافاته من الخير والصلاة ونحوه فى أحدهما فيستدركه فى الذى يليه ولما تقدم ذكر الكفار وذمهم وجاء لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ذكر أحوال المؤمنين المتذكرين الشاكرين فقال ﴿ وعباد الرحمن ﴾ وهذه إضافة تشريف وتفضيل وهو جمع عبد أى الذين يعبدون الله حق عبادته والظاهر ان وعباد مبتدأ والذين يمشون الخبر وقيل أولئك الخبر والذين صفة والهون الرفق واللين وانتصب هونا على أنه نعت لمصدر محذوف أى مشيا هونا أو على الحال أى يمشون هينين فى تؤدة وسكينة وحسن سمت لا يضربون بأقدامهم الارض ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون ﴾ أى بما لا يسوغ الخطاب به ﴿ قالوا سلاما ﴾ أى سلام توديع لا تحية كقول ابراهيم عليه السلام لابيه سلام عليك وقيل هو على الخبر فعلا [illegible] ﴿ والذين يبيتون لربهم سجدا ﴾ [illegible]

والاستواء على العرش وذلك الخبير هو الله تعالى لأنه لا دليل فى العقل على كيفية خلق ذلك فلا يعلمها الا الله * وعن ابن عباس الخبير جبريل وقدم لرؤس الآى * وقال الزمخشرى الباء فى به صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب كما يكون عن صلته فى نحو ثم لتسألن يومئذ عن النعيم أو صلة خبيرا به فتجعل خبيرا مفعولا أى فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فسل رجلا خبيرا به وبرحمته أو فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به أسدا أى رأيت برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا بجعله حالا عن به تريد فسل عنه عالما بكل شئ * وقيل الرحمن اسم من أسماء الله مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه * فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون مانعرف الرحمن الا الذى فى اليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة انتهى * واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن وكانت قريش لا تعرف هذا فى أسماء الله غالطت قريش بذلك فقالت ان محمدا يأمرنا بعبادة رحمن اليمامة نزلت واذا قيل لهم وما سؤال عن المجهول فيجوز أن يكون سؤالا عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم ويجوز أن يكون سؤالا عن معناه لأنه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما يستعمل الرحيم والرحوم والراحم أو لأنهم أنكروا اطلاقه على الله قاله الزمخشرى والذى يظهر انهم لما قيل لهم اسجدوا للرحمن فذكرت الصفة المقتضية للمبالغة فى الرحمة والكلمة عربية لا ينكر وضعها أظهروا التجاهل بهذه الصفة التى لله مغالطة منهم ووقاحة فقالوا وما الرحمن وهم عارفون به وبصفته الرحمانية وهذا كما قال فرعون وما رب العالمين حين قال له موسى انى رسول من رب العالمين على سبيل المناكرة وهو عالم برب العالمين كما قال موسى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فكذلك كفار قريش استفهموا عن الرحمن استفهام من يجهله وهم عالمون به فعلى قول من قال لم يكونوا يعرفون الرحمن الا مسيلمة وعلى قول من قال من لا يعرفون الرحمن الا مسيلمة فالمعنى أنسجد لمسيلمة وعلى قول من قال لا يعرفون الرحمن بالكلية فالمعنى أنسجد لما تأمرنا من غير علم بيانه والقائل اسجدوا الرسول أو الله على لسان رسوله * وقرأ ابن مسعود والاسود بن يزيد وحمزة والكسائى يأمر بالياء من تحت أى يأمرنا محمد والكناية عنه أو المسمى الرحمن ولا نعرفه * وقرأ باقى السبعة بالتاء خطابا للرسول ومفعول تأمرنا الثانى محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره يأمرنا بسجوده نحو قولهم أمرتك الخير * وزادهم أى هذا القول وهو الأمر بالسجود للرحمن زادهم ضلالا يختص به مع ضلالهم السابق وكان حقه أن يكون باعثا على فعل السجود والقبول * وقال الضحاك سجد أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعثمان بن مظعون وعمرو ابن غلسة فرآهم المشركون فأخذوا فى ناحية المسجد يستهزؤن فهذا المراد بقوله وزادهم نفورا ومعنى نفورا فرارا * ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين

الليل نعت أو لم تتم وهو خلاف الظلول والظلول الاقامة بالنهار ولما ذكر حالهم بالنهار بأنهم يتصرفون أحسن تصرف ذكر حالهم بالليل والظاهر انه يعني احياء الليل بالصلاة أو أكثره ثم عقبه بذكر دعائهم هذا إيذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون يبتهلون الى الله تعالى في صرف العذاب عنهم * وساءت بمعنى بئست والمخصوص بالذم محذوف وفي ساءت ضمير مبهم * ويتعين أن يكون مستقرا ومقاما تمييز والتقدير ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا المخصوص بالذم هو رابط الجملة الواقعة خبرا لان ويجوز أن تكون ساءت بمعنى أحزنت فيكون المفعول محذوفا أي ساءتهم والفاعل ضمير مبهم وجاز في مستقرا ومقاما أن يكونا تمييزين وأن يكونا حالين قد عطف أحدهما على الآخر *﴿لم يسرفوا ولم يقتروا﴾* الانفاق في غير طاعة الله تعالى اسراف والامساك عن طاعة الله اقتار وقرئ يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وضمها من قتر ويقتر بضم الياء وكسر التاء من اقتر واسم كان ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله أنفقوا و﴿ بين ذلك﴾* أي بين الاسراف والاقتار و*﴿قواما﴾* معتدلا يجوز أن يكون خبر كان وبين ذلك خبر وقواما حال *﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾* الآية سأل ابن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم فقال أن تجعل لله ندا وهو خالقك قال ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون الآية وقيل الآثام الاثم ومعناه يلق جزاء آثام فاطلق اسم الشئ على جزائه *﴿ ذلك﴾* اشارة الى كل فرد فرد مما تقدم * يضاعف ويخلد قرئ بالرفع فيهما على الاستئناف أو يكون في موضع الحال تقديره مضاعفا له العذاب وخالدا فيه مهانا وقرئ بالجزم فيهما على أن يكون يضاعف بدلا من يلق بدل فعل من فعل كما قال الشاعر

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل عملا صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا

والظاهر ان توبة المؤمن القاتل النفس بغير حق مقبولة لعموم قوله تعالى إلا من تاب وسيئاتهم هو المفعول الثاني وهو أصله أن يكون مقيدا بحرف الجر أي بسيئاتهم وحسنات هو المفعول الأول وهو المسرح كما قال تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين وقال الشاعر

تضحك مني أخت ذات النحيين * أبدلها الله بلون لونين سواد وجه وبياض عينين

﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ عاد الى ذكر أوصاف عباد الرحمن والظاهر ان المعنى لا يشهدون بالزور أو شهادة الزور واللغو كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمعرضين منهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عندهم والخوض معهم كقوله تعالى واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه *﴿ بآيات ربهم﴾* هي القرآن *﴿ لم يخروا عليها صما وعميانا﴾* النفي متوجه الى القيد الذي هو صم وعميان لا للخرور الداخل عليه وهذا الأكثر في لسان العرب ان النفي يتسلط على القيد والمعنى انهم اذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها بآذان واعية وأعين راعية بخلاف غيرهم من المنافقين وأشباههم فانهم اذا ذكروا بها كانوا مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها في ظاهر الامر وكانوا صما وعميانا حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها *﴿قرة أعين﴾* كناية عن السرور والفرح وهو مأخوذ من القر وهو البرد يقال دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن ويقال أقر الله عينك وأسخن الله عين العدو وقال الشاعر

فاما عيون العاشقين فاسخنت * وأما عيون الشامتين فقرت

وقال الزمخشري وجاء أعين بصيغة جمع القلة دون عيون الذي هو صيغة جمع الكثرة لأنه أراد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى غيرهم انتهى ليس بجيد لأن أعين ينطلق على العشرة فما دونها من الجمع والمتقون ليست أعينهم عشرة بل هي عيون كثيرة جدا وان كانت عيونهم قليلة بالنسبة الى عيون غيرهم فهي من الكثرة بحيث تفوت العدو قرئ ذريتنا على الافراد وذرياتنا على الجمع *﴿ أولئك﴾* اشارة الى الموصوفين بهذه الصفات العشرة * والغرفة اسم معرف بال فيعم أي الغرف كما جاء وهم في الغرفات آمنون وهي العلالي قال ابن عباس هي بيوت من زبرجد ودر وياقوت والباء في بما صبروا للسبب

و يلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل مايعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ﴾ لما جعلت قريش سؤالها عن اسمه الذي هو الرحمن سؤالا عن مجهول نزلت هذه الآية مصرحة بصفاته التي تعرف به وتوجب الاقرار بألوهيته * ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر انه خلق السموات والأرض ومابينهما ووصف نفسه بالرحمن وسألوا هم فيه عما وضع في السماء من النيرات وماصرف من حال الليل والنهار لبادروا بالسجود والعبادة للرحمن ثم نبههم على مالهم به اعتناء تام من رصد الكواكب وأحوالها ووضع أسمائها والظاهر ان المراد بالبروج المعروفة عند العرب وهي منازل الكواكب السيارة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وسميت بذلك لشبهها بماشبهت به وسميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره * وقيل البروج هنا القصور في الجنة * قال الاعمش وكان أصحاب عبد الله يقرؤنها في السماء قصورا * وقال أبو صالح البروج هنا الكواكب العظام * قال ابن عطية والقول بأنها قصور في الجنة تحط من غرض الآية في التنبيه على أشياء مدركات تقوم بها الحجة على كل منكر لله أو جاهل والضمير في فيها الظاهر انه عائد على السماء * وقيل على البروج فالمعنى وجعل في جلتها سراجا * وقرأ الجمهور سراجا على الافراد وهو الشمس * وقرأ عبد الله وعلقمة والأعمش والاخوان سرجا بالجمع مضموم الراء وهو يجمع الأنوار فيكون خص القمر بالذكر تشريفا * وقرأ الأعمش أيضا والنخعي وابن وثاب كذلك بسكون الراء * وقرأ الحسن والأعمش والنخعي وعصمة عن عاصم وقرا بضم القاف وسكون الميم فالظاهر انه لغة في القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب * وقيل جمع قمراء أي ليلة قمراء كأنه قال وذا قمر منير لان الليلة تكون قمراء بالقمر فأضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان * بردى يصفق بالرحيق السلسل * يريد ماء بردى * فنيرا وصف لذلك المحذوف كما قال يصفق بالياء من تحت ولو لم يراع المضاف لقال تصفق بالتاء وقال منيرا أي مضيئا ولم يجعله سراجا كالشمس لأنه لاتوقد له * وانتصب خلفة على الحال * فقيل هو مصدر خلف خلفة * وقيل هو اسم هيئة كالركبة ووقع حالا اسم الهيئة في قولهم مررت بماء قعدة رجل وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة أي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه ومن هذا المعنى قول زهير

* بها العيس والآرام يمشين خلفة * ﴿وقول الآخر﴾ يصف امرأة تنتقل من منزل في الشتاء الى منزل في الصيف دأبا

ولها بالما طرون اذا * أكل النمل الذي جمعا
خلفة حتى اذا ارتفعت * سكنت من جلق بيعا
في بيوت وسط دسكرة * حولها الزيتون قدينعا

* وقيل خلفة في الزيادة والنقصان * وقال مجاهد وقتادة والكسائي هذا أسود وهذا أبيض وهذا طويل وهذا قصير * لمن أراد أن يذكر * قال عمر وابن عباس والحسن معناه لمن أراد أن يذكر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في أحدهما فيستدركه في الذي يليه * وقال مجاهد وغيره أي يعتبر

والتحية دعاء بالتعمي[...]
والسلام دعاء بالسلا[...]
اى تحييهم الملائكة أو ي[...]
بعضهم بعضا ﴿ حسنت[...]
مستقرا ومقاما ﴾ معاد[...]
لقوله في جهنم ساءت[...]
مستقرا ومقاما والظاه[...]
ان قوله قل مايعبأ بكم ر[...]
خطاب لكفار قريش[...]
لقائلين أنسجد لما تأمرنا[...]
لا يحفل بكم ربي لولا تضر[...]
اليه واستغاثتكم اياه[...]
الشدائد ﴿ فقد كذبتم[...]
بما جاء به الرسول علي[...]
الصلاة والسلام فتستحق[...]
العقاب ﴿ فسوف يكون[...]
العقاب وهو ماأنت[...]
تكذيبكم ونفس لهم[...]
حلوله بلفظة فسوف يك[...]
﴿ لزاما ﴾ أى لازما لك[...]
تنفكون منه

بالمصنوعات ويشكر الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم * وقال الزمخشري وعن أبي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم أن لابد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وليكونا وقتين للمتذكر والشاكر من فاته في أحدهما ورده من العبادة أتى به في الآخر * وقرأ النخعي وابن وثاب وزيد بن علي وطلحة وحمزة تذكر مضارع ذكر خفيفا ولما تقدم ذكر الكفار وذمهم جاء لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ذكر أحوال المؤمنين المتذكرين الشاكرين فقال وعباد الرحمن وهذه اضافة تشريف وتفضيل وهو جمع عبد * وقال ابن بحر جمع عابد كصاحب وصحاب وتاجر وتجار وراجل ورجال أي الذين يعبدونه حق عبادته والظاهر أن وعباد مبتدأ والذين يمشون الخبر * وقيل أولئك الخبر والذين صفة وقوم من عبد القيس يسمون العباد لأن كسرى ملكهم دون العرب * وقيل لأنهم تالهوا مع نصارى الحيرة فصاروا عباد الله * وقرأ اليماني وعباد جمع عابد كضارب وضراب * وقرأ الحسن وعبد بضم العين والباء * وقرأ السلمي واليماني يمشون مبنيا للمفعول مشددا * والهون الرفق واللين وانتصب هونا على انه نعت لمصدر محذوف أي مشيا هونا أو على الحال أي يمشون هينين في تؤدة وسكينة وحسن سمت لايضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق * وقال مجاهد بالحلم والوقار * وقال ابن عباس بالطاعة والعفاف والتواضع * وقال الحسن حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا * وقال ابن عطية هونا عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم فذكر من ذلك المعظم لاسيما في الانتقال في الارض هي معاشرة الناس وخلطتهم ثم قال هونا بمعنى أمره كله هون أي ليس بخشن وذهبت فرقة الى أن هونا مرتبط بقوله يمشون على الارض أي ان المشي هو الهون ويشبه أن يتأول هذا على أن يكون اخلاق ذلك الماشي هونا مناسبة لمشيه فيرجع القول الى نحو ما بينا وأما أن يكون المراد صفة المشي وحده فباطل لأن رب ماش هونا رويدا وهو ذئب أطلس وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكفأ في مشيه كأنما يمشي في صبب وهو عليه السلام الصدر في هذه الآية وقوله عليه السلام من مشى منكم في طمع فليمش رويدا أراد في عمر نفسه ولم يرد المشي وحده ألا ترى أن المبطلين المتعلين بالدين تمسكوا بصورة المشي فقط حتى قال فيهم الشاعر

كلهم يمشي رويدا * كلهم يطلب صيدا

* وقال الزهري سرعة المشي تذهب بهاء الوجه يريد الاسراع الخفيف لأنه يخل بالوقار والخير في التوسط * وقال زيد بن أسلم انه رأى في النوم من فسر له الذين يمشون على الارض هونا بأنهم الذين لايريدون أن يفسدوا في الارض * وقال عياض بن موسى كان عليه السلام يرفع في مشيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال انما ينحط من صبب وكان عمر يسرع جبلة لاتكلفا * واذا خاطبهم الجاهلون أي بما لايسوغ الخطاب به قالوا سلاما أي سلام توديع لاتحية كقول ابراهيم عليه السلام لأبيه سلام عليك قاله الاصم * وقال مجاهد قولا سديدا فهو منصوب بقالوا * وقيل هو على اضمار فعل تقديره سلمنا سلاما فهو جزء من متعلق الجملة المحكية * قال ابن عطية والذي أقوله ان قالوا هو العامل في سلاما لأن المعنى قالوا هذا اللفظ * وقال الزمخشري تسلما منكم فأقيم السلام مقام التسليم * وقيل قالوا سدادا من

القول يسلمون فيه من الأذى والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الأدب وسوء الرغبة من قوله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

انتهى * وقال الكلبي وأبو العالية نسختها آية القتال * وقال ابن عطية وهذه الآية كانت قبل آية السيف فنسخ منها ما يخص الكفرة وبقى حكمها في المسلمين الى يوم القيامة وذكر سيبويه في هذه الآية في كتابه وما تكلم على نسخ سواه ورجح به ان المراد السلامة لا التسليم لأن المؤمنين لم يؤمروا قط بالسلام على الكفرة والآية مكية فنسختها آية السيف وفي التاريخ ما معناه ان ابراهيم بن المهدي كان منحرفا عن علي بن أبي طالب فرآه في النوم قد تقدمه الى عبور قنطرة فقال له انما تدعي هذا الأمر بامرأة ونحن أحق به منك وكان حكى ذلك للمأمون قال فما رأيت له بلاغة في الجواب كما يذكر عنه فقال له المأمون فما أجابك به قال كان يقول لي سلاما سلاما فنبهه المأمون على هذه الآية وقال يا عم قد أجابك بأبلغ جواب فخزي ابراهيم واستحيا وكان ابراهيم لم يحفظ الآية أو ذهب عنه حالة الحكاية * والبيتوتة هو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وهو خلاف الظلول بحيلة وأزد السراة يقولون بيات وسائر العرب يقولون بيبيت ولما ذكر حالهم بالنهار بأنهم يتصرفون أحسن تصرف ذكر حالهم بالليل والظاهر أنه يعني احياء الليل بالصلاة أو أكثره * وقيل من قرأ شيأ من القرآن بالليل في صلاة فقد بات ساجدا وقائما * وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء * وقيل من شفع وأوتر بعد أن صلى العشاء فقد دخل في هذه الآية * وفي هذه الآية حض على قيام الليل في الصلاة * وقدم السجود وان كان متأخرا في الفعل لأجل الفواصل ولفضل السجود فانها حالة أقرب ما يكون العبد فيها من الله * وقرأ أبو البرهسم سجودا على وزن قعودا ومدحهم تعالى بدعائه أن يصرف عنهم عذاب جهنم وفيه تحقيق ايمانهم بالبعث والجزاء * قال ابن عباس غراما فظيعا وجيعا * وقال الخدري لازما ملحا دائما * قال الحسن كل غريم يفارق غريمه الا غريم جهنم * وقال السدي شديدا وأنشدوا على أن غراما لازما قول الشاعر وهو بشر بن أبي خازم

ويوم النسار ويوم الجفار * كانا عذابا وكانا غراما

﴿ وقال الاعشى ﴾

ان يعاقب يكن غراما * وان يعط جزيلا فانه لا يبالي

وصفهم باحياء الليل ساجدين ثم عقبه بذكر دعائهم هذا ايذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون يبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم * وساءت احتمل أن يكون بمعنى بئست والمخصوص بالذم محذوف وفي ساءت ضمير مبهم ويتعين أن يكون مستقرا ومقاما تمييز والتقدير ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا المخصوص بالذم هو رابط الجملة الواقعة خبر الان ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت فيكون المفعول محذوفا أى ساءتهم والفاعل ضمير جهنم وجاز في مستقرا ومقاما أن يكونا تمييزين وان يكونا حالين قد عطف أحدهما على الآخر والظاهر ان التعليلين غير مترادفين ذكر أولا لزوم عذابها وثانيا مساءة مكانها وهما متغايران وان كان يلزم من لزوم العذاب في مكان ذم ذلك المكان * وقيل هما مترادفان والظاهر انه من كلام الداعين وحكاية لقولهم * وقيل هو من كلام الله ويظهر ان قوله ومقاما معطوف على سبيل التوكيد لأن الاستقرار والاقامة كأنهما مترادفان * وقيل المستقر للعصاة من أهل الايمان فانهم يستقرون فيها ولا يقيمون والاقامة للكفار * وقرأت فرقة ومقاما بفتح الميم أى مكان قيام والجمهور بالضم أى مكان إقامة * لم يسرفوا ولم يقتروا * قال أبو عبد الرحمن الجبلي

الانفاق فى غير طاعة اسراف والامساك عن طاعة اقتار وقال معناه ابن عباس ومجاهد وابن زيد وسمع رجل رجلا يقول لاخير فى الاسراف فقال لااسراف فى الخير * وقال عون بن عبد الله بن عتبة الاسراف أن تنفق مال غيرك * وقال النخعى هو الذى لايجيع ولايعرى ولاينفق نفقة يقول الناس قد أسرف * وقال يزيد بن أبى حبيب هم الذين لايلبسون الثياب للجمال ولايأكلون طعاما للذة وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك قال له عمر الحسنة بين السيئتين ثم تلا الآية والاسراف مجاوزة الحد فى النفقة والقتر التضييق الذى هو نقيض الاسراف وعن أنس فى سنن ابن ماجه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من السرف أن تأكل ما اشتهيته * وقال الشاعر

ولاتغل فى شئ من الامر واقتصد * كلا طرفى قصد الامور ذميم

﴿ وقال آخر ﴾

إذا المرء أعطى نفسه كلما اشتهت * ولم ينهها تاقت الى كل باطل
وساقت اليه الاثم والعار بالذى * دعته اليه من حلاوة عاجل

﴿ وقال حاتم ﴾

اذا أنت قد أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

* وقرأ الحسن وطلحة والاعمش وحمزة والكسائى وعاصم يقترون بفتح الياء وضم التاء ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء مشددة وكلها لغات فى التضييق وأنكر أبو حاتم لغة أقتر رباعيا هنا وقال اقتر اذا افتقر ومنه وعلى المقتر قدره وغاب عنه ما حكاه الاصمعى وغيره من اقتر بمعنى ضيق والقوام الاعتدال بين الحالتين * وقرأ حسان بن عبد الرحمن قواما بالكسر * فقيل هما لغتان بمعنى واحد * وقيل بالكسر ما يقام به الشئ يقال أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لايفضل عنها ولاينقص * وقيل قواما بالكسر مبلغا وسدادا وملاك حال وبين ذلك وقواما يصح أن يكونا خبرين عند من يجيز تعداد خبر كان وان يكون بين هو الخبر وقواما حال مؤكدة وان يكون قواما خبرا وبين ذلك اما معمول لكان على مذهب من يرى ان كان الناقصة تعمل فى الظرف وان يكون حالا من قواما لأنه لو تأخر لكان صفة وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان وبنى لاضافته الى مبنى كقوله ومن خزى يومئذ فى قراءة من فتح الميم وقواما الخبر * قال الزمخشرى وهو من جهة الاعراب لابأس به ولكن المعنى ليس بقوى لأن ما بين الاسراف والتقتير قوام لامحالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة انتهى وصفهم تعالى بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله خوطب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ولاتجعل يدك مغلولة الآية * والذين لايدعون الآية سأل ابن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم فقال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أى قال ان تزانى حليلة جارك فأنزل الله تصديقها والذين لايدعون الآية * وقيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركون قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فقالوا ان الذى تقول وتدعو اليه لحسن أو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت الى غفورا رحيما * وقيل سبب نزولها قصة وحشى فى اسلامه فى حديث طويل * قال الزمخشرى نفى هذه التقبيحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة فى الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم

مما أنتم عليه * وقال ابن عطية اخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في عبادتهم الاوثان وقتلهم النفس بوأد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات وبالزنا الذي كان عندهم مباحا انتهى وتقدم تفسير نظير ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق في سورة الانعام * وقرئ يلق بضم الياء وفتح اللام والقاف مشددة وابن مسعود وأبو رجاء يلقى بألف كأنه نوى حذف الضمة المقدرة على الألف فأقر الألف * والآثام في اللغة العقاب وهو جزاء الاثم * قال الشاعر

جزى الله ابن عروة حيث أمسى * عقوقا والعقوق له اثام

أي حد وعقوبة وبه فسره قتادة وابن زيد * وقال عبد الله بن عمرو ومجاهد وعكرمة وابن جبير آثام واد في جهنم هذا اسمه جعله الله عقابا للكفرة * وقال أبو مسلم الآثام الاثم ومعناه يلق جزاء آثام فأطلق اسم الشئ على جزائه * وقال الحسن الآثام اسم من أسماء جهنم * وقيل بئر فيها * وقيل جبل * وقرأ ابن مسعود يلق أياما جمع يوم يعني شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب وذلك في قوله ومن يفعل ذلك يظهر أنه اشارة الى المجموع من دعاء اله آخر وقتل النفس بغير حق والزنا فيكون التضعيف مرتبا على مجموع هذه المعاصي ولا يلزم ذلك التضعيف على كل واحد منها ولا شك ان عذاب الكفار يتفاوت بحسب جرائمهم * وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي يضاعف له العذاب مبنيا للمفعول وبألف ويخلد مبنيا للفاعل والحسن وأبو جعفر وابن كثير كذلك الا أنهم شددوا العين وطرحوا الألف * وقرأ أبو جعفر أيضا وشيبة وطلحة بن سليمان نضعف بالنون مضمومة وكسر العين مشددة العذاب نصب وطلحة بن مصرف يضاعف بالياء مبنيا للفاعل العذاب نصبا * وقرأ طلحة بن سليمان وتخلد بتاء الخطاب على الالتفات مرفوعا أي وتخلد أيها الكافر * وقرأ أبو حيوة ويخلد مبنيا للمفعول مشدد اللام مجزوما وروىت عن أبي عمرو وعنه كذلك مخففا * وقرأ أبو بكر عن عاصم يضاعف ويخلد بالرفع عنهما وكذا ابن عامر والمفضل عن عاصم يضاعف ويخلد مبنيا للمفعول مرفوعا مخففا والاعمش بضم الياء مبنيا للمفعول مرفوعا مخففا والاعمش بضم الياء مبنيا للمفعول مشددا مرفوعا فالرفع على الاستئناف أو الحال والجزم على البدل من يلق * كما قال الشاعر

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

والضمير في فيه عائد على العذاب والظاهر ان توبة المسلم القاتل النفس بغير حق مقبولة خلافا لابن عباس وتقدم ذلك في النساء وتبديل سيئاتهم حسنات هو جعل أعمالهم بدل معاصيهم الأول طاعة ويكون ذلك سبب رحمة الله اياهم قاله ابن عباس وابن جبير والحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وردوا على من قال هو في يوم القيامة * وقال الزجاج السيئة بعينها لا تصير حسنة ولكن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط عمله وتثبت عليه السيئات وتأول ابن مسيب ومكحول أن ذلك يوم القيامة وهو بمعنى كرم العفو وفي كتاب مسلم ان الله يبدل يوم القيامة لمن يريد المغفرة له من الموحدين بدل سيئات حسنات وقالا تمحى السيئة ويثبت بدلها حسنة * وقال القفال والقاضي يبدل العقاب بالثواب فذكرهما وأراد ما يستحق بهما * الا من تاب استثناء متصل من الجنس ولا يظهر لأن المستثنى منه محكوم عليه بأنه يضاعف له العذاب فيصير التقدير الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف فالأولى عندي أن يكون استثناء منقطعا أي لكن من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا ألبتة وسيئاتهم هو المفعول الثاني وهو أصله أن

يكون مقيدا بحرف الجر أى بسيئاتهم وحسنات هو المفعول الأول وهو المسرح كما قال تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين * وقال الشاعر

تضحك منى أخت ذات النحيين * أبدلك الله بلون لونين

* سواد وجه وبياض عينين *

* الظاهر ان ومن تاب أى أنشأ التوبة فانه يتوب الى الله أى يرجع الى ثوابه واحسانه * قال ابن عطية ومن تاب فانه قد تمسك بأمر وثيق كما تقول لمن يستحسن قوله فى أمر لقد قلت يافلان قولا فكذلك الآية معناها مدح المتاب كأنه قال فانه يجد الفرج والمغفرة عظيما * وقال الزمخشرى ومن يترك المعاصى ويندم عليها ويدخل فى العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله الذى يعرف حق التائبين ويفعل بهم مايستوجبون والله يحب التوابين ويحب المتطهرين * وقيل من عزم على التوبة فانه يتوب الى الله فليبادر اليها ويتوجه بها الى الله * وقيل من تاب من ذنوبه فانه يتوب الى من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات * وقيل ومن تاب استقام على التوبة فانه يتوب الى الله أى فهو التائب حقا عند الله * والذين لايشهدون الزور عاد الى ذكر أوصاف عباد الرحمن والظاهر أن المعنى لايشهدون بالزور أو شهادة الزور قاله على والباقر فهو من الشهادة * وقيل المعنى لايحضرون من المشاهدة والزور الشرك والصنم أو الكذب أو آلة الغناء أو أعياد النصارى أو لعبة كانت فى الجاهلية أو النوح أو مجالس يعاب فيها الصالحون أقوال فالشرك قاله الضحاك وابن زيد والغناء قاله مجاهد والكذب قاله ابن جريج وفى الكشاف عن قتادة مجالس الباطل * وعن ابن الحنفية اللهو والغناء * وعن مجاهد أعياد المشركين واللغو كل ماينبغى أن يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا بأهل اللغو مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم لقوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه انتهى * بآيات ربهم هى القرآن * لم يخروا عليها صما وعميانا النفى متوجه الى القيد الذى هو صم وعميان لا للخرور الداخل عليه وهذا الاكثر فى لسان العرب ان النفى يتسلط على القيد والمعنى انهم اذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها باذان واعية وأعين راعية بخلاف غيرهم من المنافقين وأشباههم فانهم اذا ذكروا بها كانوا مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها فى ظاهر الأمر وكانوا صما وعميانا حيث لايعونها ولا يتبصرون مافيها * قال ابن عطية بل يكون خرورهم سجدا وبكيا كما تقول لم يخرج زيد الى الحرب جزعا أى انما خرج جريا مقدما وكان المستمع المذكر قائم القناة قويم الأمر فاذا أعرض كان ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام وترتيب وان كان قد أشبه الذى يخر ساجدا لكن أصله أنه على غير ترتيب انتهى * وقال السدى لم يخروا صما وعميانا هى صفة للكفار وهى عبارة عن اعراضهم وجهدهم فى ذلك وقرن ذلك بقولك قعد فلان يتمنى وقام فلان يبكى وأنت لم تقصد الاخبار بقعود ولا قيام وانما هى توطئات فى الكلام والعبارة * قرة أعين كناية عن السرور والفرح وهو مأخوذ من القر وهو البرد * يقال دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن ويقال أقر الله عينك وأسخن الله عين العدو * وقال أبو تمام

فأما عيون العاشقين فأسخنت * وأما عيون الشامتين فقرت

* وقيل هو مأخوذ من القرار أى يقر النظر به ولا ينظر الى غيره * وقال أبو عمرو وقرة العين النوم أى آمنا لأن الامن لا يأتى مع الخوف حكاه القفال وقرة العين فيمن ذكروا رؤيتهم مطيعين لله

قاله ابن عباس والحسن وحضرمي كانوا في أول الاسلام يهتدي الأب والابن كافر والزوج والزوجة كافرة وكانت قرة عيونهم في ايمان أحبابهم * وقال ابن عباس قرة عين الولد ان تراه يكتب الفقه والظاهر أنهم دعوا بذلك ليجابوا في الدنيا فيسروا بهم * وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أولئك في الجنة ليتم لهم سرورهم انتهى ويتضمن هذا القول الأول الذي هو في الدنيا لأن ذلك نتيجة ايمانهم في الدنيا ومن الظاهر انها لابتداء الغاية أي هب لنا من جهتهم ماتقر به عيوننا من طاعة وصلاح وجوز أن تكون للبيان قاله الزمخشري قال كانه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين من قولك رأيت منك أسدا أي أنت أسد انتهى وتقدم لنا ان من التي لبيان الجنس لابد أن تتقدم المبين ثم يأتي بمن البيانية وهذا على مذهب من أثبت أنها تكون لبيان الجنس والصحيح ان هذا المعنى ليس بثابت لمن * وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص وذرياتنا على الجمع وباقي السبعة وطلحة على الافراد * وقرأ عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة قرات على الجمع والجمهور على الافراد ونكرت القرة لتنكير الأعين كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وجاء أعين بصيغة جمع القلة دون عيون الذي هو صيغة جمع الكثرة لأنه أريد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قاله الزمخشري وليس بجيد لأن أعين تنطلق على العشرة فما دونه من الجمع والمتقون ليست أعينهم عشرة بل هي عيون كثيرة جدا وان كانت عيونهم قليلة بالنسبة الى عيون غيرهم فهي من الكثرة بحيث تفوت العد * وأفرد اماما اما اكتفاء بالواحد عن الجمع وحسنه كونه فاصلة ويدل على الجنس ولا لبس واما لان المعنى واجعل كل واحد اماما واما أن يكون جمع آم كحال وحلال واما لاتحادهم واتفاق كلمتهم قالوا واجعلنا اماما واحدا ادعوا الله أن يكونوا قدوة في الدين ولم يطلبوا الرئاسة قاله النخعي * وقيل في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ونزلت في العشرة المبشرين بالجنة * أولئك اشارة الى الموصوفين بهذه الصفات العشرة * والغرفة اسم معرف بأل فيعم أي الغرف كما جاء وهم في الغرفات آمنون وهي العلالي * قال ابن عباس وهي بيوت من زبرجد ودر وياقوت * وقيل الغرفة من أسماء الجنة * وقيل السماء السابعة غرفة * وقيل هي أعلى منازل الجنة * وقيل المراد العلو في الدرجات والباء في بما صبروا للسبب * وقيل للبدل أي بدل صبرهم كما قال * فليت لي بهم قوما اذا ركبوا * أي فليت لي بدلهم قوما ولم يذكر متعلق الصبر مخصصا ليعم جميع متعلقاته * وقرأ الحسن وشيبة وأبو جعفر والحرميان وأبو عمرو وأبو بكر ويلقون بضم الياء وفتح اللام والقاف مشددة * وقرأ طلحة ومحمد اليماني وباقي السبعة بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة أي تحييهم الملائكة أو يحيي بعضهم بعضا * وقيل يحيون بالتحف جمع لهم بين المنافع والتعظيم * حسنت مستقرا ومقاما معادل لقوله في جهنم ساءت مستقرا ومقاما ولما وصف عباده العباد وعدد مالهم من صالح الأعمال أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصرح للناس بأن لا اكتراث لهم عند ربهم انما هو العبادة والدعاء في قوله لولا دعاؤكم هو العبادة والظاهر ان ما نفي أي ليس يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ويجوز أن تكون استفهامية فيها معنى النفي أي أي عبء يعبأ بكم ودعاؤكم مصدر أضيف الى الفاعل أي لولا عبادتكم اياه أي لولا دعاؤكم وتضرعكم اليه أو ما يعبأ بتعذيبكم لولا دعاؤكم الاصنام آلهة * وقيل أضيف الى المفعول أي لولا دعاؤه اياكم الى طاعته والذي يظهر ان قوله قل ما يعبأ بكم خطاب لكفار قريش القائلين

(الدر)

(ش) من من ذرياتنا للبيان كانه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين من قولك رأيت منك أسدا أي أنت أسد (ح) تقدم لنا ان من التي لبيان الجنس لابد أن تتقدم المبين ثم تأتي بمن البيانية وهذا على مذهب من أثبت لها أنها تكون لبيان الجنس والصحيح ان هذا المعنى ليس بثابت لمن (ش) وجاء أعين بصيغة جمع القلة دون عيون الذي هو صيغة جمع الكثرة لأنه أريد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم (ح) ليس بجيد لان أعين تنطلق على العشرة فما دونه من الجمع والمتقون ليست أعينهم عشرة بل هي عيون كثيرة جدا وان كانت عيونهم قليلة بالنسبة الى عيون غيرهم فهي من الكثرة بحيث تفوت العد

نسجد لما تأمرنا أي لا يحفل بكم ربي لولا تضرعكم اليه واستغاثتكم اياه في الشدائد * فقد كذبتم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فتستحقون العقاب فسوف يكون العقاب وهو ما أنتجه تكذيبكم ونفس لهم في حلوله بلفظة فسوف يكون لزاما أي لازما لهم لا ينفكون منه * وقرأ عبد الله وابن عباس وابن الزبير فقد كذب الكافرون وهو محمول على انه تفسير لا قرآن والأكثرون على ان اللزام هنا هو يوم بدر وهو قول ابن مسعود وأبي * وقيل عذاب الآخرة * وقيل الموت ولا يحمل على الموت المعتاد بل القتل ببدر * وقيل التقدير فسوف يكون هو أي العذاب وقد صرح به من قرأ فسوف يكون العذاب لزاما والوجه أن يترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف * وعن ابن عباس فسوف يكون هو أي التكذيب لزاما أي لازما لكم لا تعطون توبة ذكره الزهراوي * قال الزمخشري والخطاب الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي انى لا أعتد الا بعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن عصى عليه ان من عادتي أن أحسن الى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك * وقرأ ابن جريج فسوف تكون بتاء التأنيث أي فسوف تكون العاقبة وقرأ الجمهور لزاما بكسر اللام * وقرأ المنهال وأبان بن ثعلب وأبو السمال بفتحها مصدر يقول لزم لزوما ولزاما مثل ثبت ثبوتا وثباتا وأنشد أبو عبيدة على كسر اللام لصخر الغي

فاما ينج من حتف أرض * فقد لقيا حتوفهما لزاما

ونقل ابن خالويه عن أبي السمال انه قرأ لزام على وزن حذام
جعله مصدرا معدولا عن اللزمة كفجار
معدول عن الفجرة

﴿ تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع وأوله سورة الشعراء ﴾